الرَّوْضُ الرَّيَّانُ

شَرْحُ

كِتَابِ الإِيْمَانِ

مِنْ صَحِيحِ الإِمَامِ مُسْلِمٍ

شَرَحَهُ
فضيلة الشيخ المحدث الدكتور
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
السَّلَفِيُّ الأَثَرِيُّ

المجلَّدُ الأَوَّلُ

دار ابن حزم

الروض الريان

الروض الريان

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الروض الريان

شرح

كتاب الإيمان

من صحيح الإمام مسلم

شرحه
فضيلة الشيخ المحدث الدكتور
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
السلفي الأثري

المجلد الأول

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ISBN 978-614-416-298-9

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

فاتحة القول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله؛ نحمدُه، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن المطلع على صحيح الإمام مسلم وما فيه من حسن سياق، وترتيب بديع، وتحرٍّ في الروايات، وتلخيص لطرقها واختصارها، وضبط متفرقها وانتشارها. وما فيه من أنواع الاحتياط والورع، وما حواه من مادة حديثية غزيرة؛ فهو ـ بحق ـ كتاب جامع لمسائل الإيمان، والأحكام، والآداب، والأخلاق، وغير ذلك من أبواب الشريعة؛ عَلِمَ يقيناً أنه صنو «صحيح البخاري» عند أكثر العلماء.

وقد حصل لي ـ بفضل من الله وتوفيقه ـ تعلُّق خاص بهذا الكتاب الفذ منذ بدايات الطلب في بواكير الصبا، وكلما مرَّت السنون ازددت شغفاً به، فلما استوى الأمر على سوقه شرعت في شرحه لتلاميذي في درس أسبوعي في (مدينة الرصيفة) من أعمال (الزرقاء الأردنية) فكنت ـ بحمد الله ومنّه ـ أول من أحيا تدريس كتاب السنَّة المسندة في الديار الأردنية حتى انتهينا من كتاب الإيمان، ثم جاءتنا أحوال انقطعنا بسببها عن إنهائه.

لكن حصل ـ بفضل الله وعونه ـ من ذلك نفع عظيم، وانتشر الشرح الصوتي في آفاق المعمورة، واستفاد منه أهل العلم وطلابه على اختلاف مراتبهم، وتباعد منازلهم. وقد راسلني كثير منهم لأضع ذلك الشرح المسموع في كتاب؛ لأن الكتاب أكثر نفعاً، وأبقى أثراً، وبخاصة أن الشرح المسموع قد لا يتيسر لكل راغب، أو لا يصبر على سماعه كل طالب، فوقع ذلك في نفسي موقعاً حسناً؛ فشرعت في تحقيق ذلك مستعيناً بذلك الشرح المسموع مستفيداً من كل الشروح التي اعتنت بالصحيح سواء ما كان قديماً أو معاصراً؛ فانتقيت منها ما يناسب منهجي في هذا الكتاب؛ فما وقع من تشابه فيه؛ فهو مستفاد منها؛ فجزى الله أهل العلم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وتابعت العمل في ذلك على فترات حتى جاء هذا الكتاب سبيكة من السبائك راجياً المولى ـ عز وجل ـ أن يجعله قرة عين لأهل السنة والجماعة، ومناراً من منارات منهج السلف الصالح أهل الحديث، وسمَّيته: «**الرَّوْضُ الرَّيّانُ شَرْحُ كتابِ الإيمانِ مِن صَحيحِ مُسْلِمٍ**».

وأسأل الله العلي الأعلى: أن يتقبله بقَبول حسن، وأن يدَّخر لي ثواب ذلك كله ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقبل الشروع في المقصود بعون الغفور الودود يلزمني أن أبين منهجي في هذا الشرح:

١ ـ اعتمدت ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ـ رحمه الله ـ؛ لأن الناس قد جعلوه عُمدتهم في المعاجم والفهارس والبرامج الحديثية، وإن كان عليه مؤاخذات قد يطول شرحها، ويصعب حصرها.

٢ ـ اعتمدت كتابة نص الحديث سنداً ومتناً وتراجم الأبواب من طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ ترجمت ترجمة موجزة لصحابي الحديث.

٤ ـ ذكرت فوائد الإسناد ولطائفه.

٥ ـ شرحت غريب الحديث شرحاً وسيطاً بمجموعه يحصل المعنى (الشرح) الإجمالي للحديث.

٦ ـ ذكرت الفوائد العلمية المستنبطة من الحديث، وقد أستطرد في بعض البحوث للحاجة إليها، ولزوم التنبيه عليها.

٧ ـ قدمت بين يدي الشرح بذكر منهج السلف الصالح في مسألة الإيمان وبيان حقيقته وماهيته، وموقف الفرق من ذلك، وحصرتها في ثوابت هذا الباب، وأعرضت عما أدخله الخالفون على هذا الباب العظيم من شروط وتقعيدات أخرجته عن يسره وسماحته التي تتلائم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

٨ ـ صنعت فهارس علمية تسهل الانتفاع بهذا الشرح؛ الذي سيشرح ـ بإذن الله ـ صدر كل سُنِّي جعل هجرته لله ورسوله.

هذا؛ فإن أصبت ووُفقت فبفضل من الله وحده، وإن حصل خلل فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك؛ لكن يشفع لي أنني لم أقصد مخالفة للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، بل: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وكتبه
حامداً ومصلِّياً ومسلِّماً
سليم بن عيد الهلالي
أبو أسامة



كتاب الإيمان

الإيمان: لغةً واصطلاحاً:

الإيمان لغةً: مصدر آمن يؤمن إيماناً؛ فهو مؤمن(١)، وهو من الأمن ضد الخوف(٢).

قال الراغب الأصفهاني: «أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اشتقاقه من الأمن؛ الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد»(٤).

وقد عُرِّف الإيمان لغة بعدة تعريفات:

فقيل: التصديق.

وقيل: الثقة.

وقيل: الطمأنينة.

وقيل: الإقرار.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٥/٥١٣).
(٢) «الصحاح» (٥/٢٠٧١)، و«القاموس المحيط» (ص١٥١٨).
(٣) «المفردات» (ص٣٥).
(٤) «الصارم المسلول» (ص٥١٩).

والذي اختاره شيخ الإسلام: أنه بمعنى الإقرار؛ لأنه أصدق في الدلالة على معنى الإيمان من غيره من الألفاظ، ودفع دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق، وذكر بينهما فروقاً تؤدي إلى أن أولى تفسير لغوي للإيمان هو الإقرار:

١ ـ أن لفظة (آمن) تختلف عن لفظة (صدق) من جهة التعدي؛ حيث إن (آمن) لا تتعدى إلا بحرف الباء؛ كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥]، أو باللام؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فيقال: آمن به وآمن له، ولا يقال: آمنه، بخلاف لفظة (صدق)؛ فإنها تتعدى بنفسها، فيقال: صدَّقه.

٢ ـ أنه ليس بين (صدق) و(آمن) ترادف في المعنى؛ فإن الإيمان لا يستخدم إلا في الأمور التي يؤتمن فيها المخبر، مثل الأمور الغيبية؛ لأنه مشتق من الأمن، أما الأمور المشاهدة المحسوسة؛ فهذه لا يصلح أن يقال فيها: آمن، وإنما يقال: صدق؛ لأن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، أما لفظة الإيمان؛ فلا تستعمل إلا في الخبر عن غائب.

٣ ـ أن لفظة الإيمان في اللغة لا تقابل بالتكذيب، فإذا لم يصدق المخبر في خبره يقال: كذبت، وإذا صدق يقال: صدقت، فيقال: صدقناه، أو كذبناه، ولا يقال لكل مخبر: آمنا له أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذب به.

وإنما يقابل (الإيمان) لفظ (الكفر)، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق، لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك، وأخالفك ولا أوافقك؛ لكان كفره أعظم. فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط؛ علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط.

٤ ـ أن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف،

فآمن؛ أي: صار داخلاً في الأمن، فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة؛ كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: لا تقر بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم. أما التصديق؛ فلا يتضمن شيئاً من ذلك.

هذه الأمور تمنع دعوى الترادف، وتدفعها بين الإيمان والتصديق.

وعليه: فالإيمان ليس هو التصديق فحسب؛ إنما هو تصديق وأمن، أو تصديق وطمأنينة، وهو متضمن للالتزام بالمؤمَن به، سواء أكان خبراً أم إنشاءً، بخلاف لفظ التصديق المجرد، فمن أخبر غيره بخبر لا يتضمن طمأنينة إلى المخبر؛ لا يقال فيه: آمن له، بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر. والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له، وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه، فإذا تضمن طاعة المستمع؛ لم يكن مؤمناً للمخبر إلا بالتزام طاعته مع تصديقه، فإنْ صدَّقه دون التزام بطاعته؛ فهذا يسمى: تصديقاً، ولا يسمى: إيماناً(١).

ولهذا؛ فإن اللفظ المطابق لـ (آمن) من جهة اللغة: هو لفظ (أقر)؛ لتوافقه مع لفظ (آمن) في الأمور المتقدمة، فإن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو: الطمأنينة؛ كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرَّ يقرّ، وهو قريب من لفظ آمن يؤمن، لكن الصادق يطمئن إلى خبره، والكاذب بخلاف ذلك؛ كما في قوله ﷺ: **«الصدق طمأنينة والكذب ريبة»**(٢).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٢٩٠ ـ ٢٩٣ و٥٢٩ ـ ٥٣٤).

(٢) هو جزء من حديث الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/٣٢٧ ـ ٣٢٨)، وأحمد (١/٢٠٠) مرفوعاً؛ وأوله: «**دَعْ ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ، فإن...**».

وصححه الترمذي.

وهو كما قال، وانظر كتابي: «نيل الأوطار بتخريج كتاب الأذكار» (٢/٨٦١/١٢٤٣).

فالمؤمن دخل في الأمن، كما أن المقر دخل في الإقرار. ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون على وجهين:

أحدهما: الإخبار، وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما، وهذا الإقرار الذي يذكره الفقهاء في (كتاب الإقرار).

الآخر: إنشاء التزام؛ كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وليس هو ـ هنا ـ بمعنى الخبر المجرد؛ فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ فهذا التزام للإيمان والنصر للرسول، وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام، بخلاف لفظ التصديق المجرد[(١)].

لذا؛ فالإيمان لغة: هو الإقرار؛ لأن التصديق إنما يطابق الخبر فقط، وأما الإقرار؛ فيطابق الخبر والأمر، ولأن (قرّ) و(آمن) متقاربان، فالإيمان دخول في الأمن، والإقرار دخول في القرار[(٢)].

ولذلك؛ قال شيخ الإسلام: «ومعلوم أن الإيمان: هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضُمِّنَ قول القلب ـ الذي هو التصديق ـ وعمل القلب ـ الذي هو الانقياد ـ»[(٣)].

وقال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فكان تفسيره بلفظ (الإقرار) أقرب من تفسيره بلفظ (التصديق)، مع أن بينهما فرقاً»[(٤)].

وعليه؛ فالمختار في تعريف الإيمان: الإقرار، وهو مشتمل على أمرين:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٥٣٠ ـ ٥٣١).
(٢) المصدر السابق (٧/٦٣٧).
(٣) المصدر نفسه (٧/٦٣٨).
(٤) المصدر نفسه (٧/٢٩١).

١ ـ قول القلب؛ وهو: تصديقه بالأخبار.

٢ ـ عمل القلب؛ وهو: إذعانه، وانقياده للأوامر.

الإيمان شرعاً:

هو عند السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة والحديث والأثر خمس نونات: اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمٰن، وينقص بطاعة الشيطان.

قال الإمام الآجري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث».

قال: «اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق؛ وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا: أنه لا تجزىء المعرفة بالقلب والتصديق؛ إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزىء معرفة القلب ونطق اللسان؛ حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال: كان مؤمناً؛ دلّ على ذلك الكتاب، والسُّنة، وقول علماء المسلمين»[1].

وقال: «الإيمان: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح؛ لا يجوز غير هذا»[2].

وقال الإمام ابن بطة العكبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «باب بيان الإيمان وفرضه، وأنه تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمناً إلا بهذه الثلاث». ثم قال: «اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله ـ جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه ـ فرض على القلب المعرفة به، والتصديق له

---

(١) «الشريعة» (٢/٦١١).

(٢) المصدر السابق (٢/٦٢٤).

ولرسله ولكتبه، وبكل ما جاءت به السُّنة، وعلى الألسن النطق بذلك والإقرار به قولاً، وعلى الأبدان والجوارح العمل بكل ما أمر به وفرضه من الأعمال؛ لا تجزىء واحدة من هذه إلا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بأن يجمعها كلّها؛ حتى يكون مؤمناً بقلبه، مقرًّا بلسانه، عاملاً مجتهداً بجوارحه.

ثم لا يكون ـ أيضاً ـ مع ذلك مؤمناً حتى يكون موافقاً للسُّنة في كل ما يقوله ويعمله، متّبعاً للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله»[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: «ذهب مالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة ـ رحمهم الله ـ، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين إلى أنه: تصديق بالجَنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»[2].

وقال الشيخ عبيدالله الرحماني المباركفوري ـ رحمه الله ـ: «وقال السلف من الأئمة الثلاثة ـ مالك والشافعي وأحمد ـ، وغيرهم من أصحاب الحديث: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، فالإيمان عندهم مركب ذو أجزاء، والأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، ومن هاهنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان ـ بحسب الكمية ـ»[3].

وقال شيخنا حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ: «خلاصة مذهب السلف: أن الإيمان يتألف من خمس نونات:

أولاً: قول باللسان.

ثانياً: اعتقاد بالجنان.

ثالثاً: عمل بالأركان.

---

(١) «الإبانة» (٢/٧٦٠ ـ ٧٦١).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٣٢).

(٣) «مرعاة المفاتيح» (١/٣٦ ـ ٣٧).

رابعاً: يزيد بطاعة الرحمٰن.

خامساً: ينقص بطاعة الشيطان.

هكذا الإيمان عند السلف؛ بخلاف الإيمان عند المبتدعة»[1].

وقال شيخ الإسلام: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح»[2].

فهذه خمسة أمور اشتمل عليها الإيمان عند السلف الصالح: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح، والأدلة على ذلك متكاثرة متوافرة؛ نذكر بعضها:

أولاً: قول القلب؛ وهو: تصديقه ويقينه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر: **٣٣** و**٣٤**].

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: **١٥**].

وفي حديث الشفاعة العظيم: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة**»[3].

ثانياً: قول اللسان؛ وهو: النطق بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بلوازمهما ومقتضاهما.

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

---

(١) في مقدمته على كتاب «تعظيم قدر الصلاة» لابن نصر المروزي (١/٦ ـ ٧)، وانظر كتاب: «المجموع» لابنه عبدالأول (٢/٤٨٠ ـ ٤٨١ و٧٢٣).

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص١٦١ ـ بشرح هراس).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...**» الحديث[1].

ثالثاً: عمل القلب؛ وهو: النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والخضوع، والإنابة، والإقبال على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والتوكُّل عليه، وخشيته، والخوف، والرجاء، ولوازم ذلك وتوابعه.

قال جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

رابعاً: عمل اللسان؛ وهو: العمل الذي لا يؤدى إلا به - أي: حركته -؛ كتلاوة القرآن، وذكر الله؛ من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والاستغفار، وغير ذلك من الأعمال التي لا تؤدى إلا باللسان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ و٤٢].

خامساً: عمل الجوارح؛ وهو: العمل الذي لا يؤدى إلا بها، مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، والحج، والجهاد، وإماطة الأذى عن الطريق، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -.
وقد ورد عن جمع من الصحابة - رضي الله عنهم -؛ فهو حديث متواتر كما صرح بذلك شيخنا الإمام الألباني في «الصحيحة» (٣٠٣ و٤٠٧ و٤٠٩ و٤١٠ و٣٢٧٨).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣ و٦٤].

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «وهاهنا أصل آخر؛ وهو: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل:

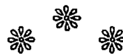
ـ والقول قسمان: قول القلب؛ وهو الاعتقاد، وقول اللسان؛ وهو التكلم بكلمة الإسلام.

ـ والعمل قسمان: عمل القلب ـ وهو نيته، وإخلاصه ـ، وعمل الجوارح.

فإذا زالت هذه الأربع: زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب: لم تنفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق؛ فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السُّنة:

فأهل السُّنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ـ وهو محبته، وانقياده ـ؛ كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ؛ بل ويقرُّون به سرًّا وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب؛ ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به»[1].



(١) «كتاب الصلاة» (ص٥٤).

زيادة الإيمان ونقصانه

وأما الزيادة والنقصان؛ فإن الذي جاءت به الأدلة من القرآن صريحاً هو الزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل باللزوم؛ لأن الزيادة تستلزم النقص ولا بد، ولأن كل شيء قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

قال إمام أهل السنة والجماعة؛ أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: «إن كان قبل زيادته ـ أي: الإيمان ـ تاماً؛ فكما يزيد ينقص»[(١)].

وقال أبو الفضل التميمي ـ نقلاً عن الإمام أحمد ـ: «وما جاز عليه الزيادة؛ جاز عليه النقص»[(٢)].

وقال أبو محمد ابن حزم ـ رحمه الله ـ: «فإذ قد وضح وجود الزيادة في الإيمان. . . فبالضرورة ندري أن الزيادة تقتضي النقص ضرورة ولا بد، لأن معنى الزيادة هي عدد مضاف إلى عدد، وإذا كان ذلك؛ فذلك العدد المضاف إليه هو ـ بيقين ـ ناقص عند عدم الزيادة فيه»[(٣)].

---

(١) «السنة» للخلال (٢/٦٨٨/١٠٣٠).

(٢) في رسالته التي أملاها في ذكر معتقد الإمام أحمد، التي طبعت في آخر «طبقات الحنابلة» (٢/٣٠٢).
وقد غلط في مواضع منها فيما نسبه للإمام. وانظر ـ لزاماً ـ كلام شيخ الإسلام حولها في: «درء تعارض العقل والنقل» (٢/١٧)، و«مجموع الفتاوى» (٦/٥٣).

(٣) «الفصل» (٣/٢٣٧).

وقال البغدادي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بعد أن ذكر الآيات المصرحة بزيادة الإيمان: «. . . ففي هذه الآيات الست تصريح بأن الإيمان يزيد، وإذا صحت الزيادة فيه كان الذي زاد إيمانه قبل الازدياد أنقص إيماناً منه في حال الازدياد»[١].

وقال البيهقي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فعدمت الزيادة؛ كان عدمها نقصاناً»[٢].

وقال أيضاً: «وإذا قبل الزيادة قبل النقص»[٣].

وقال ابن بطّال: «فإيمان مَن لم تحصل له الزيادة ناقص»[٤].

وقال شيخنا العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وكل نص يدل على زيادة الإيمان؛ فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس؛ لأن الزيادة والنقص متلازمان، لا يعقل أحدهما بدون الآخر»[٥].

وبهذا يعلم: أن كل دليل نورده على زيادة الإيمان؛ يعد دليلاً على النقصان كذلك لزوماً.



(١) «أصول الدين» (ص٢٥٣).
(٢) «شعب الإيمان» (١/١٢٧).
(٣) «الاعتقاد» (ص٢١٢).
(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطّال (١/٥٦).
(٥) «فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية» (ص٦٣).

الأدلة الدالّة على زيادة الإيمان ونقصانه

أولاً: القرآن الكريم:

١ ـ الآيات الدالة على زيادة الإيمان:

١/١ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

٢/١ ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٣/١ ـ وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٤/١ ـ وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٥/١ ـ وقوله عزّ شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

٦/١ ـ وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ﴾ [المدثر: ٣١].

فهذه المواضع من القرآن الحكيم صرّح فيها ـ سبحانه وتعالى ـ بزيادة الإيمان بوضوح لا يحتمل لَبْساً.

وقد استدل أهل العلم بهذه الآيات على زيادة الإيمان ونقصانه:

١ ـ قيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرأون: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، و﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] في غير موضع؟! قيل: فينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص(١).

٢ ـ وعقد الإمام البخاري في «صحيحه»(٢) باباً في زيادة الإيمان ونقصانه، أورد فيه بعض الآيات.

٣ ـ قال ابن بطال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند شرحها: «مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه: ما أورده البخاري من الآيات ـ أي: المصرحة بزيادة الإيمان ـ. ثم قال: «فإيمان من لم تحصل له زيادة ناقص»(٣).

٤ ـ قال الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند تفسيره لآيات الأنفال ـ: «وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية، وأشباهها على زيادة الإيمان، وتفاضله في القلوب؛ كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة؛ كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بيّنا ذلك مستقصى في أول شرح البخاري»(٤).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]: «وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص؛ كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء»(٥).

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/٦٠٥/٢٤٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١١٤٢)، والخلال في «السنة» (١٠٤٢).
(٢) (١/١٠٣ ـ الفتح).
(٣) «شرح صحيح البخاري» (١/٥٦) لابن بطال.
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٨٥).
(٥) المصدر السابق (٢/٤٠٢).

٦ ـ الإمام الآجري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ حيث عقد باباً خاصاً في ذكر الأدلة الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه، ثم قال: «كل هذه الآثار تدل على زيادة الإيمان ونقصه، وهذا طريق من أراد الله الكريم به خيراً»(١).

٧ ـ ابن بطة العُكْبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ؛ قال: «اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ تفضّل بالإيمان على مَن سبقت له الرحمة في كتابه، ومَن أحبّ أن يسعده، ثم جعل المؤمنين في الإيمان متفاضلين، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ثم جعله فيهم يزيد ويقوى بالمعرفة والطاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية، وبهذا نزل الكتاب، وبه مضت السُّنة، وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة، ولا ينكر ذلك ولا يخالفه إلا مرجئ خبيث؛ قد مرض قلبه، وزاغ بصره، وتلاعبت به إخوانه من الشياطين، فهو من الذين قال الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فيهم: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]»(٢).

ثم ذكر الأدلة من الكتاب، والسنّة، وإجماع العقلاء من أئمة الأئمة.

ثم قال: «ففي بعض هذه الأخبار، والسنن والآثار، وما قد ذكرته في هذا الباب: ما أقنع العقلاء وشفاهم، وأعلمهم أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال الزاكية والأخلاق الفاضلة تزيد فيه وتنمِّيه وتعلِّيه، وأن الأفعال الخبيثة والأخلاق الدنيّة والفواحش تمحقه وتفنيه، وتسلب الإيمان من فاعلها وتعرِّيه.

وهب الله لنا ولكم صواباً ـ بتوفيقه ـ وتسديداً لمرضاته، وعصمة من الضلال، إنه رحيم ودود»(٣).

---

(١) «الشريعة» (٢/٦٠٣).

(٢) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (٢/٨٣٢).

(٣) المصدر السابق (٢/٨٦١).

٨ ـ أبو محمد ـ الحسين بن مسعود ـ الفراء البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قال: «اتفقت الصحابة والتابعون، فمن بعدهم من علماء السُّنة على أن الأعمال من الإيمان؛ لقوله ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ . . . ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣ و٤]، فجعل الأعمال كلها إيماناً.

وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء. واتفقوا على تفاضل أهل الإيمان في الإيمان، وتباينهم في درجاته[(١)].

٩ ـ الإمام البيهقي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ؛ قال: «فثبت بهذه الآيات أن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة، فعدمت الزيادة؛ كان عدمها نقصاناً»[(٢)].

١٠ ـ عبدالقاهر البغدادي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قال: «ففي هذه الآيات الست تصريح بأن الإيمان يزيد، وإذا صحّت الزيادة فيه؛ كان الذي زاد إيمانه قبل الازدياد أنقص إيماناً منه في حال الازدياد»[(٣)].

١١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، قال: «والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وهذه زيادة إذا تليت عليهم الآيات؛ أي: وقت تُليت، ليس هو تصديقهم بها عند النزول، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تُليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن، ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن؛ حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن، فزاد

(١) «شرح السنة» (١/٣٨ ـ ٤٠).
(٢) «شعب الإيمان» (١/١٢٧). وانظر «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (١/٥٥ وما بعدها).
(٣) «أصول الدين» (ص٢٥٣).

علمه بالله ومحبته لطاعته، وهذه زيادة الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو، لم تكن عند آية نزلت، فازدادوا يقيناً، وتوكلاً على الله، وثباتاً على الجهاد، وتوحيداً بألاّ يخافوا المخلوق، بل يخافون الخالق وحده.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤ و١٢٥]، وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها، بل زادتهم إيماناً بحسب مقتضاها: فإن كانت أمراً بالجهاد ـ أو غيره ـ ازدادوا رغبة، وإن كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكرهوه، ولهذا قال: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ والاستبشار غير مجرد التصديق.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]؛ فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان، والسكينة: طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه»(١).

١٢ ـ الألوسي قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: «وهذا أحد أدلة مَن ذهب إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وهو مذهب الجم الغفير من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، وبه أقول؛ لكثرة الظواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسُّنة، من غير معارض لها عقلاً، بل قد احتج عليه بعضهم بالعقل ـ أيضاً ـ؛ وذلك أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان: لكان إيمان آحاد الأمة، بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، واللازم باطل؛ فكذا الملزوم»(٢).

---

(١) «الإيمان» (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(٢) «روح المعاني» (١٦٥/٩).

١٣ ـ الشيخ ابن سعدي حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]: «وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه؛ كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ويدل عليه ـ أيضاً ـ الواقع؛ فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت»[1].

٢ ـ الآيات التي فيها التصريح بزيادة الهدى:

١/٢ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

٢/٢ ـ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

٣/٢ ـ وقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ الكهف: ١٣].

فهذه الآيات فيها تصريح بزيادة الهدى، والهدى هو الإيمان؛ كما دلّ عليه القرآن الكريم في غير ما موضع، منها:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

ولهذا استدل أهل العلم بهذه الآيات على زيادة الإيمان ونقصانه:

١ ـ قال الإمام ابن جرير الطبري عند تفسيره لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]: «يقول تعالى ذكره: ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشد ـ فآمن بربه، وصدق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه ـ هُدًى بما يتجدد له من الإيمان

(١) «تفسير السعدي» (٥/٣٣).

بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقر بلزوم فرضها إياه ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه، وذلك نظير قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾» [التوبة: ١٢٤](١).

٢ ـ وقال الإمام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]: «واستدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة ـ كالبخاري وغيره ـ ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص»(٢).

٣ ـ الآيات الدالة على زيادة الخشوع:

٣/١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]؛ فإخباره تعالى بزيادة الخشوع دليل على زيادة الإيمان، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ و٢].

٣/٢ ـ وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وقد استدل أهل العلم بهذه الآيات على زيادة الإيمان:

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أعمال القلوب ـ مثل محبة الله ورسوله، وخشية الله ـ تعالى ـ، ورجاؤه، ونحو ذلك ـ هي كلها من الإيمان، كما دلّ على ذلك الكتاب، والسنّة، واتفاق السلف، وهذا يتفاضل الناس فيه تفاضلاً عظيماً»(٣).

٢ ـ وقال الإمام ابن كثير: «أي: إيماناً وتسليماً؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾» [محمد: ١٧](٤).

---

(١) «جامع البيان» (٩/١١٩).
(٢) «تفسير القرآن العظيم».
(٣) «الإيمان» (ص٢٢٢).
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٦٨).

٤ ـ إخباره تعالى بتفضيله بعض المؤمنين على بعض:

١/٤ ـ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ و٩٦].

٢/٤ ـ وقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

٣/٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [صٓ: ٢٨].

وقد استدل أهل العلم بهذه الآيات على زيادة الإيمان ونقصانه:

١ ـ قال الإمام ابن بطة العكبري: «فقد علم أهل العلم والعقل أن السابق أفضل من المسبوق، والتابع دون المتبوع، وأن الله ـ عز وجل ـ لم يفضل الناس بعضهم على بعض بوثاقة الأجسام، ولا بصباحة الوجه، ولا بحُسن الزِّي وكثرة الأموال، ولو كانوا كذلك متفاضلين: لما كانوا به عنده ممدوحين؛ لأن ذلك ليس هو بهم، ولا من فعلهم، فعلمنا أن العلو في الدرجات والتفاضل في المنازل: إنما هو بفضل الإيمان، وقوة اليقين، والمسابقة إليه بالأعمال الزاكية والنيات الصادقة من القلوب الطاهرة...».

ثم ذكر بعض الآيات آنفة الذكر، ثم قال:

«فهذا وأشباهه في كتاب الله: يدل العقلاء على زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل المؤمنين بعضهم على بعض، وعلوّهم في الدرجات.

وبمثل ذلك جاءت السُّنة عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، والتابعين، وفقهاء المسلمين.

ولو كان الإيمان كله واحداً ـ لا نقصان له، ولا زيادة ـ؛ لم يكن لأحد على أحد فضل، ولاستوت النعمة فيه ـ ولا تستوي ـ، وبطل العقل الذي فضّل الله به العقلاء، وشرّف به العلماء والحكماء»[1].

٥ ـ إخباره بتفاضل درجات المؤمنين في الجنة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

٦ ـ إخباره بإكمال الدين: قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن بطال: «قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ حجة في زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن هذه الآية نزلت يوم عرفة في حجة الوداع ـ يوم كملت الفرائض والسنن، واستقر الدين ـ.

فدلّت هذه الآية أن كمال الدين إنما حصل بتمام الشريعة، فمَن حافظ على التزامها؛ فإيمانه أكمل من إيمان مَن قصّر في ذلك وضيّع، ولذلك قال البخاري: فإذا ترك شيئاً من الكمال؛ فهو ناقص»[2].

٧ ـ إخباره عن طلب نبيه إبراهيم ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ اطمئنان القلب.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قال الحليمي: «ومعلوم أن طمأنينة القلب بصدق وعد الله ـ أو بقدرته على ما أخبر أنه فاعله ـ إيمان، فإنما يسأل الله ـ تعالى ـ ما يزيده إيماناً

---

(١) «الإبانة» (٢/٨٣٦ ـ ٨٣٧).

(٢) «شرح صحيح البخاري» (١/١٠١ ـ ١٠٢).

على إيمان، فثبت بذلك: أن الإيمان قابل للزيادة»[1].

٨ ـ أمره سبحانه المؤمنين بالإيمان:

١/٨ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

٢/٨ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال الإمام ابن بطة: «فلو لم يكونوا مؤمنين؛ لما قال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وإنما أراد بقوله: دوموا على إيمانكم، وازدادوا إيماناً بالله وطاعة، واستكثروا من الأعمال الصالحة التي تزيد في إيمانكم، وازدادوا يقيناً، وبصيرة، ومعرفة بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر.

وقد يقول الناس بعضهم لبعض: مثل ذلك في كل فعل يمتد ويحتمل الازدياد فيه؛ كقولك للرجل يأكل: كُل؛ تريد: زدْ أكلك، ولرجل يمشي: إمشِ؛ تريد: أسرعْ في مِشيتك، ولرجل يصلي ـ أو يقرأ ـ صلِّ ـ واقرأ ـ؛ تريد: زِد في صلاتك، وفي قراءتك، وفي قراءتك.

ولما كان الإيمان له بداية بغير نهاية، والأعمال الصالحة، والأقوال الخالصة تزيد المؤمن إيماناً؛ جاز أن يقال: يا أيها المؤمن آمن؛ أي: ازدد في إيمانك، ولا يجوز أن يقال ذلك في الأفعال المتناهية: التي لا زيادة على نهايتها؛ كما لا تقول للقائم: قم، ولا لرجل رأيته جالساً: اجلس؛ لأن ذلك فعل قد تناهى، فلا مستزاد فيه.

فهذا يدل على زيادة الإيمان؛ لأنه كلما ازداد بالله علماً، وله طاعة،

---

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» (٧٦/١).

ومنه خوفاً: كان ذلك زائداً في إيمانه»[1].

٩ ـ تقسيمه ـ تعالى ـ المؤمنين إلى ثلاث طبقات:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

فلو كان الإيمان كلاً واحداً ـ لا يتجزأ، ولا يتقسم ـ، لا يزيد ولا ينقص؛ لما كان لتقسيم العباد هذه الأقسام معنًى، فلما بيّن أن مراتبهم متفاوتة، ومنازلهم متباينة، ودرجاتهم مختلفة؛ علم أنهم ليسوا على درجة واحدة من الإيمان، بل إيمانهم متفاوت ـ بعضهم كامل الإيمان، وبعضهم ناقص الإيمان ـ؛ منهم الظالم لنفسه ـ المقصّر[2]، ومنهم المقتصد[3] ـ وهم أعلى درجة ممن قبلهم ـ، ومنهم السابق بالخيرات، وهو كامل الإيمان.

قال شيخ الإسلام: «والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه»[4].

١٠ ـ إثباته سبحانه في القرآن إسلاماً دون إيمان:

قال تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

١١ ـ إخباره سبحانه بأن الذنوب تُذهب الإيمان شيئاً فشيئاً، حتى يطبع على القلب من كثرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

---

(١) «الإبانة» (٢/٨٣٤).

(٢) صاحب المعاصي، المقصر في بعض الواجبات؛ مع بقاء أصل الإيمان معه.

(٣) اقتصر على أداء الواجبات، وترك المحرمات.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٧/١٠).

ثانياً: السنّة النبوية:

١ ـ الأحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه:

١/١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حينَ يَزْنِي وهُوَ مُؤمِنٌ، ولاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِيْنَ يَشْرَبُها وهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حينَ يَسْرِقُ وهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهبة يَرفَعُ الناسُ إليهِ فيها أبصَارهُمْ وَهُوَ مُؤمِنٌ**»[(١)].

فالمراد بهذا الحديث: «أنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله؛ كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة، ومما يدل على هذا: حديث عبادة بن الصامت ـ الصحيح المشهور ـ: أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يعصوا... ثم قال: «**فمن وفّى؛ فأجره على الله، ومَن فعل شيئاً من ذلك؛ فعوقب في الدنيا؛ فهو كفارته، ومَن فعل ولم يُعاقب؛ فهو إلى الله ـ تعالى ـ: إن عفا عنه، وإن شاء عذّبه**»[(٢)] مع قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦]، مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل، وغيرهم من أصحاب الكبائر ـ غير الشرك ـ لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان»[(٣)].

قال ابن عبدالبر بعد أن ذكر هذا الحديث، وبيّن مراد النبي ﷺ بقوله: «**وهو مؤمن**»؛ أي: مستكمل الإيمان ـ؛ قال: «ولم يرد نفي جميع الإيمان من فاعلِ ذلك؛ بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر ـ إذا صلُّوا القبلة ـ، وانتحلوا دعوة الإسلام ـ من قرابتهم للمؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥ و٥٥٧٨ و٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/٤١ ـ ٤٢).

(٤) «التمهيد» (٩/٢٤٣).

وفي إجماعهم على ذلك، مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم: أوضح الدلائل على صحة قولنا: إن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر.

ودلالة الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه ظاهرة: فالمؤمن قد يرتكب هذه المعاصي؛ فينقص إيمانه؛ فيكون مؤمناً ناقص الإيمان، معه مطلق الإيمان، وانتفى عنه الإيمان المطلق، فإذا تاب وعاد زاد إيمانه.

وقد احتج جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه:

١ ـ قال إسحاق بن إبراهيم: سألت أبا عبدالله عن الإيمان ونقصانه؟ قال: «نقصانه: قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن**»»[١].

٢ ـ وقال المَرْوَذيُّ: سمعت أبا عبدالله يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص». وقال: «الزيادة من العمل»، وذكر النقصان إذا زنى وسرق[٢].

٣ ـ وممن احتج به: أبو داود؛ فقد أخرجه في «السنن» (**٤/٢٢١**)، (باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه).

٤ ـ قال ابن قيم الجوزية: «وكل هذه النصوص صحيحة صريحة، لا تحتمل التأويل في أن نفس الإيمان القائم بالقلب يقبل الزيادة والنقصان»[٣].

٥ ـ واحتج به ـ أيضاً ـ: البيهقي؛ فقد أخرجه في «شعب الإيمان» /(١/١٧٩)، (باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان

---

(١) رواه الخلال في «السنّة» برقم (١٠٤٥)، وابن هانىء في «مسائله» (٢/١٦٤).
(٢) رواه الخلال في «السنّة» برقم (١٠٣٥)، وابن بطة في «الإبانة» (١٠٤٥).
(٣) تهذيب السنن (٧/٥٥ ـ ٥٦).

في إيمانهم)، وقال: «وإنما أراد ـ والله تعالى أعلم ـ «وهو مؤمنٌ»: مطلق الإيمان؛ لكنه ناقص الإيمان بما ارتكب من الكبيرة، وترك الانزجار عنها، ولا يوجب ذلك تكفيراً»[1].

١/٢ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو بضع وستون شعبة ـ، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2].

ووجه الدلالة: أن شعب الإيمان المذكورة متفاوتة ـ ليست على درجة واحدة في الفضل ـ، بل بعضها أفضل من بعض؛ كما هو ظاهر لفظ الحديث: «**أعلاها**»، وقوله: «**أدناها**». فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً؛ كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً؛ كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً.

وممن احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه:

١/٢ ـ قال صديق حسن خان: «وفي هذا الحديث دليل على أن الإيمان فيه أعلى وأدنى، وإذا كان كذلك؛ كان قابلاً للزيادة والنقصان»[3].

٢/٢ ـ وقال ابن حبان: «وهذا دليل صحيح على زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن الناس ليسوا كلهم على مرتبة واحدة في الحياء، فلما استحال

---

(١) «شعب الإيمان» (١/١٧٩).
ومن احتج به ـ أيضاً ـ:
١ ـ الخلال في «السنة» (٢/٦٩٣).
٢ ـ الآجري في «الشريعة» (٢/٥٨٧).
٣ ـ ابن بطة في «الإبانة» (٢/٧٠٥ ـ ٧١١).
٤ ـ ابن منده في «الإيمان» (٢/٥٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥): وانظر ـ لزاماً ـ: «السلسلة الصحيحة» (١٧٦٩).
(٣) «فتح البيان» (٤/٦).

استواؤهم على مرتبة واحدة فيه؛ صحّ أن مَن وُجِدَ فيه أكثر: كان إيمانه أزيد، ومَن وجد فيه منه أقل: كان إيمانه أنقص»[1].

٣/٢ ـ حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا إيمَانَ لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**[2].

قال الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: «إذا عرفت أن كلاً من الأعمال الظاهرة والباطنة من مسمى الإيمان شرعاً: فكل ما نقص من الأعمال التي لا يخرج نَقْصُها من الإسلام؛ فهو نقص في كمال الإيمان الواجب، كما في قوله ﷺ: **«لا إيمان لمَن لا أمانة له....»**، فالمنفي في هذا الحديث كمال الإيمان الواجب، فلا يُطلق الإيمان على مثل أهل هذه الأعمال إلا مقيّداً بالمعصية ـ أو بالفسوق ـ، فيقال: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته»[3].

٤/٢ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى ـ أو في فطر ـ إلى المصلّى، فمرّ على النساء، فقال: **«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن»**، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟! قال: **«أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟»**، قلن: بلى، قال: **«فذلك من نقصان دينها»**[4].

٥/٢ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خلقاً»**[5].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١/٣٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٣٥ و١٥٤ و٢١٠ و٢٥١)، وابن أبي شيبة (١١/١١)، وأبو يعلى (٢٨٦٣)، والبزار (١٠٠)، والبغوي (٣٨)، والبيهقي (٦/٢٨٨ و٩/٢٣١) وغيرهم، وصححه بشواهده شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٣٢ ـ «هداية»).

(٣) «الدرر السنية» (١/١٦٢ ـ ١٦٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤ و١٤٦٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، وأحمد (٢/٢٥٠ و٤٧٢)، وصححه بطرقه شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ في «الصحيحين» (٢٨٤).

قال الحليمي: «فدلّ هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض»[1].

٢ ـ وقال ابن عبدالبر: «ومعلوم أنه لا يكون هذا أكمل؛ حتى يكون غيره أنقص»[2].

ثالثاً: إجماع السلف الصالح على أن الإيمان يزيد وينقص:

١ ـ قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على سنتنا في الإيمان، ويقول: الإيمان يزيد وينقص»[3].

٢ ـ وقال عبدالرزاق الصنعاني: «لقيت اثنين وستين شيخاً..» فذكر عدداً منهم، ثم قال: «كلهم يقولون: الإيمان يزيد وينقص»[4].

٣ ـ وقال أبو عبيد ـ القاسم بن سلام ـ الهروي: «هذه تسمية من كان يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص...»، ثم سمّى أكثر من مئة وثلاثين رجلاً من الصحابة وغيرهم، ثم قال: «هؤلاء كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا»[5].

٤ ـ وقال الإمام أحمد: «أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله..»، فذكر أموراً؛ منها: «وأن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[6].

---

(١) «المنهاج» (٦١/١).
(٢) «التمهيد» (٢٤٥/٩).
(٣) أورده ابن هانئ في «مسائل الإمام أحمد» (١٦٢/٢)، ونحوه في «السير» (١٧٩/٩).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧٣٧/٩٥٨/٥).
(٥) «الإبانة» (١١١٧/٨١٤/٢)، وذكره ابن تيمية في «الإيمان» (ص٢٩٣ ـ ٢٩٥).
(٦) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٢٨)، و«طبقات الحنابلة» (١٣٠/١).

٥ ـ وقال البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»[١].

٦ ـ قال يعقوب بن سفيان: «الإيمان عند أهل السنّة: الإخلاص للّه بالقلوب، والألسنة، والجوارح، وهو قول وعمل، يزيد وينقص، على ذلك وجدنا كل مَن أدركنا من عصرنا بمكة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة.

منهم: أبو بكر الحميدي، وعبدالله بن يزيد المقري في نظرائهم بمكة، وإسماعيل بن أبي أويس، وعبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون، ومطرف بن عبدالله اليساري في نظرائهم بالمدينة.

ومحمد بن عبدالله الأنصاري، والضحاك بن مخلد، وسليمان بن حرب، وأبو الوليد الطنافسي، وأبو النعمان، وعبدالله بن مسلمة في نظرائهم بالبصرة.

وعبيدالله بن موسى، وأبو نعيم، وأحمد بن عبدالله بن يونس في نظرائهم كثير بالكوفة.

وعمر بن عون بن أويس، وعاصم بن علي بن عاصم في نظرائهم بواسط.

وعبدالله بن صالح كاتب الليث، وسعيد بن أبي مريم، والنضر بن عبدالجبار، ويحيى بن عبدالله بن بكير، وأحمد بن صالح، وأصبغ بن الفرج في نظرائهم بمصر.

كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، ويطعنون على المرجئة، وينكرون قولهم»[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي (١٥٩٧/٨٨٩/٥) بإسناد صحيح، وانظر: «فتح الباري» (٤٧/١).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنّة» (١٠٣٥/٣ ـ ١٧٥٣).

٧ ـ قال سهل بن المتوكل بن حجر الشيباني يقول: «أدركت ألف [أستاذ] وأكثر، كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وكتبت منهم»(١).

٨ ـ قال ابن عبدالبر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان؛ إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه؛ فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد والمعرفة، قالوا: وهو المعروف من لسان العرب، ومن السنَّة المجتمع عليه، ألا ترى إلى قول الله ـ ﷻ ـ حاكياً عن نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدق لنا، قالوا: وإنما أمر الله نبيه ﷺ حين بعثه إلى الخلق أن يدعوهم إلى الإيمان به. ولهم الجنة على ذلك، فدعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يقولون ذلك ويقرُّون به ويصدقونه فيما جاء به، فكان كل مَن قال ذلك وصدّق به مؤمناً مستكمل الإيمان، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك.

وكل مَن مات من الصحابة قبل نزول الفرائض وقبل عملها، كان مؤمناً ـ لا محالة ـ كامل الإيمان، قالوا: فالطاعات لا تسمى إيماناً، كما أن المعاصي لا تسمى كفراً، وذكر بعضهم حديث النبي ﷺ إذا سئل عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت**»(٢).

٩ ـ قال الطبري: «وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل، وهل يزيد وينقص، أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول مَن قال:

---

(١) المصدر السابق (١٧٥٤/١٣٠٦/٣).

(٢) «التمهيد» (٢٣٨/٩ ـ ٢٣٩).

قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل»(١).

١٠ ـ ذكر قول الإمام مالك الصغير: أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني: فصل فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة: «... وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، نقصاً عن حقائق الكمال لا محبط للإيمان، ولا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنّة، وأن لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيراً، ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨]»(٢).

١١ ـ قال ابن بطال المالكي: «مذهب جماعة أهل السنّة من سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان، وبيان ذلك أنه مَن لم تحصل له بذلك الزيادة، فإيمانه أنقص من إيمان مَن حصلت له...

قال عبدالرزاق: سمعت مَن أدركتُ من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبدالله بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومن غير رواية عبدالرزاق وهو قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي.

وحكى الطبري: أنه قول الحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبدالله بن المبارك»(٣).

---

(١) «صريح السنّة» (ص٢٥).
(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن قيم الجوزية (ص١٥٠ ـ ١٥٢).
(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥٦/١ ـ ٥٧).

وقال أيضاً:

«قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] حجة في أن العمل تُنال به درجات الجنة، وأن الإيمان قول وعمل، ويشهد لذلك قوله ﷺ حين سئل: أي العمل؟ فقال: «**إيمان بالله**» ثم ذكر الأعمال معه في جواب السائل.

فإن قيل: أليس قد تقدم من قولكم أن الإيمان هو التصديق؟ قيل: التصديق هو أول منازل الإيمان، ويوجب للمصدق الدخول فيه، ولا يوجب له استكمال منازله، ولا يقال له: مؤمناً مطلقاً؛ لأن الله ـ عز وجل ـ فرض على عباده فرائض وشرع شرائع، لا يُقبل تصديق مَن جحدها، ولم يرضَ من عباده المؤمنين بالتصديق والإقرار دون العمل لما تقدم بيانه في غير موضع من هذا الكتاب.

هذا مذهب جماعة أهل السنّة، أن الإيمان قول وعمل.

قال أبو عبيد: وهو قول مالك، والثوري، والأوزاعي، ومَن بعدهم من أرباب العلم والسنّة الذين كانوا مصابيح الهدى، وأئمة الدين من أهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم.

وهذا المعنى أراد البخاري ـ رحمه الله ـ إثباته في كتاب الإيمان، وعليه بوّب أبوابه كلها، فقال: باب: أمور الإيمان، وباب: المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، وباب: إطعام الطعام من الإيمان، وباب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وباب: حب الرسول من الإيمان، وباب: الصلاة من الإيمان، وباب: الزكاة من الإيمان، وباب: الجهاد من الإيمان، وسائر أبوابه.

وإنما أراد الرد على المرجئة؛ لقولهم: إن الإيمان قول بلا عمل، وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنّة ومذاهب الأئمة»[1].

---

(١) المصدر السابق (١/٧٨ ـ ٧٩).

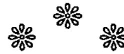
١٢ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال النبي ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**، وقال لوفد ابن عبد القيس: **«آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم»**.

وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك: أن قول القلب، وعمل القلب، ثم قول اللسان، وعمل الجوارح.

فأما قول القلب؛ فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ...»[1].

١٣ ـ قال ابن قيم الجوزية: «وهذا من ألطف المشاهد، وأخصها بأهل المعرفة، ولعل سامعه يبادر إلى إنكاره، ويقول: كيف يشهد زيادة الإيمان من الذنوب والمعاصي؟ لا سيما ذنوب العبد ومعاصيه. وهل ذلك إلا منقص الإيمان، فإنه بإجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[2].

١٤ ـ وقال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به، ولا جهل به، لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان، كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي ﷺ وإن كنا جميعاً مؤدين للواجب علينا»[3].



---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٦٧٢).
(٢) «مدارج السالكين» (١/٤٢١).
(٣) «رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب» (ص١٥٥).

ذكر سبب نشوء الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه

لم يكن بين الصحابة ـ ﷺ ـ أي خلاف في هذا الأمر؛ بل ولا في غيره من مسائل أصول الدين وأساسياته، وإنما الخلاف في ذلك نجم بعدهم، وذَرَّ قرنه في أواخر زمانهم؛ كما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «والصحابة ـ ﷺ ـ كانوا أقل فتناً من سائر من بعدهم؛ فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف، ولهذا لم تحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس؛ حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج المكفرين لعلي، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته ـ أو نبوته، أو إلاهيته ـ.

ثم لما كان في آخر عصر الصحابة ـ في إمارة ابن الزبير وعبدالملك ـ؛ حدثت بدعة المرجئة والقدرية، ثم لما كان في أول عصر التابعين ـ في أواخر الخلافة الأموية ـ؛ حدثت بدعة الجهمية المعطلة، والمشبهة الممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك»[١].

وهكذا بدأت الفتن تتتابع، ونار الأهواء تضطرم وتتفاقم، فكثرت البدع في الأمة وفشت، وتزايدت الفرق وكثرت؛ حتى تحقق في الأمة قول الصادق المصدوق ﷺ: «**وسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمّة على ثَلاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَة، كُلُّها فِي النَارِ إلا وَاحِدَة**»[٢].

ولا شك أن وراء تلك الفتن أُناساً حاقدين على الإسلام وأهله، يسوؤهم انتشار هذا الدين، ويغيظهم كثرة أهله؛ فجهدوا في إضرام تلك النار، وتفانوا في إشعالها؛ أمثال: عبدالله بن سبأ اليهودي، والجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وغيرهم من رؤوس الضلال.

---

(١) «منهاج السنة» (٦/٢٣١).

(٢) صحيح لغيره؛ كما بينته في تعليقي على «السُّنة» للمروزي (٣٨ ـ ٤٧)، وانظر كتابي: «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة».

فهذا سبب نشوء البدع بعموم.

أما بدعة القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه بخاصة؛ فسبب نشأتها يرجع إلى بدعة الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، والحكم بخلوده يوم القيامة في نار جهنم، فإن هذه البدعة جَرَّتْ وراءها بدعاً، وبيان ذلك: أن الخوارج لما قالوا ببدعتهم احتجوا لها بنصوص الوعيد والتهديد، وأهملوا ما يقابلها من نصوص الرجاء والثواب والمغفرة، فقابلتهم المرجئة ببدعة أخرى، فقالت: إن المعاصي ليس لها تأثير في الإيمان، فالإيمان لا يضر معه ذنب؛ كما أن الكفر لا ينفع معه طاعة، واحتجوا لقولهم هذا بنصوص الوعد والرجاء، وأهملوا نصوص الوعيد كلها، فقابلوا بدعة الخوارج ببدعة مثلها.

فجاءت المعتزلة وتوسطوا في الأمر حسب ظنهم، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان؛ لكنه لا يدخل في الكفر، بل يكون في منزلة بين المنزلتين؛ أي: بين منزلة الكفر ومنزلة الإيمان في الدنيا، فأحدثوا بذلك بدعة ثالثة، مع موافقتهم للخوارج في الحكم عليه بالخلود في النار.

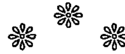
فالمرجئة جعلوه في منزلة الإيمان الكامل، والخوارج جعلوه في منزلة الكفر الكامل، والمعتزلة لم يجعلوه لا في الكفر ولا في الإيمان، فهذه ثلاث بدع.

والحقيقة: أن هذه البدع الثلاث عائدة إلى اعتقاد الجميع ـ أي: الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة ـ أنه لا يجتمع مع الإيمان شيء من شعب الكفر ـ أو شعب النفاق ـ فإن وجد شيء من ذلك؛ انتفى الإيمان كله عند الجميع!!

قال شيخ الإسلام ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والأصل الذي منه نشأ النزاع: اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمناً لم يكن معه شيء من الكفر والنفاق، وظن بعضهم أن هذا إجماع، كما ذكر الأشعري أن هذا إجماع؛ فهذا كان أصل الإرجاء... فلما كان هذا أصلهم صاروا حزبين: قالت الخوارج والمعتزلة: قد علمنا يقيناً أن الأعمال من الإيمان، فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان،

وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار؛ إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء..».

إلى أن قال: «فقالت الجهمية والمرجئة: قد علمنا أنه ليس يخلد في النار ـ أي: مرتكب الكبيرة ـ، وأنه ليس كافراً مرتداً، بل هو من المسلمين، وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمناً تام الإيمان، ليس معه بعض الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم لا يتبعض، فاحتاجوا أن يجعلوا الإيمان شيئاً واحداً يشترك فيه جميع أهل القبلة»[1].



(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/٤٨ ـ ٥٠).

هل الخلاف في هذه المسألة عائد إلى الخلاف في تعريف الإيمان أم لا؟

ذهب جماعة من المتكلمين ـ منهم: الرازي، والجويني، وغيرهما ـ إلى أن الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه عائد إلى الخلاف في تعريف الإيمان:

فمن قال: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ فالإيمان عنده يزيد وينقص باعتبار زيادة الأعمال ونقصانها.

ومن أخرج العمل من مسمى الإيمان: فالإيمان عنده لا يزيد ولا ينقص؛ لعدم إمكان حصول الزيادة والنقصان في التصديق، لما يقتضيه في رأيهم من الشك والريب[1].

قال الجويني: «فمن أطلق اسم الإيمان على الطاعات كلها؛ يقول على مساق أصله: يزيد الإيمان بزيادة الطاعات وينقص بنقصها. ومن قال: الإيمان هو التصديق، فمن علم وعرف حقاً؛ فلا يتفاوت التصديق بالأعمال، زادت أو نقصت»[2].

وقال البيهقي في «شعب الإيمان»، في باب «القول في زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم»: «وهذا يتفرع على قولنا في الطاعات: إنها إيمان، وهو أنها إذا كانت إيماناً؛ كان تكاملها تكامل الإيمان، وتناقصها تناقص الإيمان، وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم كما هم يتفاضلون في أعمالهم»[3].

---

(١) انظر: «العقيدة النظامية» للجويني (ص٣٨٨)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (١/١٥٩)، و«المواقف» للإيجي (ص٣٨٨)، و«شرح العقائد النسفية» للتفتازاني (ص١٢٥)، و«النبراس شرح العقائد» للفرهاري (ص٤٠٥)، و«روح المعاني» للألوسي (٩/١١٦)، و«عمدة القاري» للعيني (١٠٧١)، و«فيض الباري» للكشميري (١/٦٢)، و«الإيمان» لمحمد نعيم ياسين (ص١٥١).

(٢) «العقيدة النظامية» للجويني (ص٩٠).

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي (١/١٢٧).

وقال الإيجي: «قال الإمام الرازي وكثير من المتكلمين: هو فرع تفسير الإيمان، فإن قلنا: هو التصديق؛ فلا يقبلهما لأن الواجب هو اليقين، وأنه لا يقبل التفاوت؛ لأن التفاوت إنما هو لاحتمال النقيض، وهو ـ ولو بأبعد وجه ـ ينافي اليقين. وإن قلنا: هو الأعمال؛ فيقبلهما، وهو ظاهر»[1].

وجميع هؤلاء بنوا قولهم المذكور على أصل فاسد عندهم؛ وهو: أن التصديق لا يقبل الزيادة أو النقصان.

إن القول بأن الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه عائد إلى تعريف الإيمان متعقب من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن السلف ـ وقد قالوا بدخول العمل في مسمى الإيمان ـ لا يرون أن الزيادة والنقصان فيه متعلقة بالأعمال فقط، وإنما هو يزيد وينقص عندهم باعتبارات متعددة، وبأوجه مختلفة.

فعلى هذا؛ فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه عند السلف ليس مبنياً على إدخال الأعمال في مسمى الإيمان.

الوجه الثاني: أن بعض من اعتبر أن الإيمان هو التصديق فقط والعمل خارج من مسماه، يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه؛ لكونهم يرون أن التصديق يزيد وينقص، وقد سبقت الإشارة إلى بعضهم.

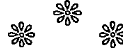
وعليه أيضاً؛ فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه لا تعلق له عندهم في دخول العمل في مسمى الإيمان.

الوجه الثالث: أن الخوارج والمعتزلة ـ وقد قالوا بدخول العمل في مسمى الإيمان ـ يرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، مع أن الأعمال داخلة فيه! فلا تأثير إذاً لدخول الأعمال في مسمى الإيمان عندهم على زيادة الإيمان ونقصانه.

---

(١) «المواقف» للإيجي (ص٣٨٨).

بقي أن يقال: إن المرجئة القائلين بأن الإيمان هو التصديق وحده ـ أو هو التصديق والقول ـ، والعمل خارج من مسماه، والقائلين بأن التصديق لا يقبل الزيادة والنقصان مطلقاً؛ قد رأوا أن الأعمال تزيد وتنقص وتتفاضل، لكنها خارجة من مسماه عندهم، فتوهموا أن من أدخل العمل في مسماه قال بزيادة الإيمان ونقصانه لذلك، وأن من أخرج العمل من مسماه قال بأنه لا يزيد ولا ينقص، وعليه: رأوا أن الخلاف في المسألة يرجع إلى الخلاف في تعريف الإيمان، ومن ثم ـ أيضاً ـ رأوا أن الخلاف في المسألة لفظي، فكل ذلك نتج بسبب ذاك التوهم؛ ولقد انطبق عليهم في هذا قول القائل: «أناس مضوا تحت التوهُّم، ظنوا أن الحق معهم، وكان الحق وراءهم»[1].



(١) كما في «سير أعلام النبلاء» (١٢١/١٧) من كلام أبي حيان التوحيدي.
فعلّق الذهبي قائلاً:
«أنت حامل لوائهم».

الخلاف في هذه المسألة؛ هل هو لفظي أم حقيقي؟

قال الكستلي: «ولهذا ذهب الإمام الرازي وكثير من المتكلمين إلى أن هذا النزاع لفظي، راجع إلى تفسير الإيمان، وهو التحقيق الذي يجب أن يُعَوَّلَ عليه»(١).

وقال الفرهاري: «وملخص كلامهم: أن النزاع لفظي؛ لأنه فرع تفسير الإيمان، فإن قلنا: الإيمان هو التصديق؛ فلا يقبل التفاوت، إنما هو في الظن، وإن قلنا: الأعمال داخلة فيه؛ فهو يقبله»(٢).

وقال كمال بن أبي شريف: «فلا خلاف في المعنى بين القائلين بقبوله الزيادة والنقصان والنافين لذلك»(٣).

وقال الزَّبيدي: «وجدت بخط بعض المحصلين ما نصه: قال الإمام: البحث في زيادة الإيمان ونقصانه لفظي؛ لأنه إن كان المراد بالإيمان: التصديق؛ فلا يقبلهما، وإن كان الطاعات فيقبلهما، فالطاعات مكملة للتصديق، فكل ما قام من الدليل على أن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان(٤)؛ كان مصروفاً إلى أصل الإيمان، الذي هو التصديق. وكل ما دلّ على كون الإيمان يقبل الزيادة والنقصان؛ فهو مصروف إلى الكامل، وهو المقرون بالعمل»(٥).

فهكذا يزعم جميع هؤلاء وغيرهم: أن الخلاف في المسألة لفظي!!

---

(١) «حاشية الكستلي على النسفية» (ص١٥٨).

(٢) «النبراس» (ص٤٠٥).

(٣) «المسامرة شرح المسايرة» (ص٣٧٣).

(٤) لم يقم أي دليل البتة على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لا شرعاً، ولا عقلاً، ولا عرفاً، خلا تلك الأحاديث الموضوعة، ولعلها المقصودة هنا!!

(٥) «إتحاف السادة المتقين» (٢/٢٦١).

وإنني لأتساءل: كيف يكون لفظياً وهو يناقض القرآن والسنة، ويخالفهما تماماً، وهو على الضد تماماً لما جاء فيهما؛ حتى أوقع أهله في مصادمات صريحة، ومعارضات واضحة لنصوص الوحي المصرحة بزيادة الإيمان ونقصانه، مما أداهم إلى التكلف في تأويلها، وصرفها عن ظاهرها، وعدم التسليم لها؟! فلو كان كما يقولون: إنه لفظي؛ فما الداعي إلى تلك التأويلات المتكلفة والتعسفات الواضحة في حمل النصوص على غير ظواهرها؟ أفلا أراحوا المسلمين من ذاك الغثاء إن كان الخلاف لفظياً؟!

بل كيف يكون لفظياً، والقولان متضادان تماماً ومتغايران: أحدهما ينفي، والآخر يثبت في شيء واحد؟! فهل مِنْ جَمْع بين ضدَّين، أو تأليفٍ بين نقيضين؟! فلو قال أحد ـ على سبيل المِثال ـ عن شيء: هو موجود، وقال غيره: هو غير موجود؛ هل يمكن أن يقال: إن خلافهما لفظي؟! إلا بتفلسفات متعسفة، أو منطقيات متكلفة، ما أنزل الله بها من سلطان!

وكيف يكون الخلاف لفظياً وقولهم هذا يؤدي إلى إضعاف الإيمان، وعدم الاكتراث بأموره، والتهوين من شأن زيادته وقوته؟! فإن العلماء إذا قالوا للناس: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأهله متساوون فيه، وإيمان جبريل والأنبياء وإيمان أفجر الناس واحد، ولا تفاضل بين الناس في الإيمان؛ فهل ينتظر بعد ذلك من الناس الإقبال على أمور الإيمان ومتطلباته علماً وعملاً؟!! لا إخال ذلك يحصل البتة!

ولهذا يقول المُعَلِّمِيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ في رده على الكوثري:

«وهذا القول ـ أي: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والأعمال ليست من الإيمان ـ قد كان أبو حنيفة يقوله؛ لكن يقول الكوثري: إنه مع ذلك مخالف للمرجئة في أصل قولهم، وهو أنه لا يضر مع الإيمان عمل، ولا غرض في النظر في هذا وتتبع الروايات!

بل أقول: تلك الموافقة التي يعترف بها تكفي لتبرير إنكار الأئمة، أما

من لم يعرف منهم أن أبا حنيفة ـ وإن وافق المرجئة في ذاك القول ـ؛ فهو مخالف لهم في أصل قولهم، فعذره في إنكاره واضح. وأما من عرف؛ فيكفي لإنكار القول أنه مخالف للأدلة، وأنه قد يسمعه من يقتدي بأبي حنيفة ولا يعلم قوله: إن أهل المعاصي يعذبون فيغترُّ بذلك. وقد يبلغ بعضَهم قولاه معاً؛ فلا يلتفتون إلى الثاني، بل يقولون: رأس الأمر الإيمان، فإذا كان إيمان الفجار مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة؛ ففيم العذاب، وقد دلت النصوص على أن المؤمنين لا يعذبون؟! ويحملهم ذلك على التهاون بالعمل؛ يقول أحدهم: لِمَ أعذب نفسي في الدنيا بما لا يزيد في إيماني شيئاً؟! حسبي أن إيماني مساوٍ لإيمان جبريل ومحمد ـ عليهما السلام ـ! ويحملهم ذلك على احتقار الملائكة، والأنبياء، والصديقين، قائلين: أعظم ما عندهم الإيمان، وأفجر الفجار مساوٍ لهم فيه!

وإذا كان أبو حنيفة ـ كما يقول الكوثري ـ يرى أن الإيمان هو الاعتقاد القلبي الجازم، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فقد يبلغ هذا بعض الناس فيقول: إذا كنت لا أصير مؤمناً إلا بأن يكون يقيني مساوياً ليقين جبريل، ومحمد ـ عليهما السلام ـ؛ فهذا ما لا يكون، ففيم إذاً أعذب نفسي بالأعمال؛ فأجمع عليها عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة؟!

وبَعْدُ: فيكفي مبرراً لإنكار ذاك القول مخالفته للنصوص الشرعية»[١].

قلت: وليتأمل كلامه ـ رحمه الله ـ فهو يدل على علم جمٍّ، وفهم ثاقب، ومعالجات حكيمة، أسكن الله قائله فراديس جناته.

ولهذا صرّح بعض محققي هؤلاء بأن الخلاف في المسألة جوهري وليس لفظياً؛ مثل: النووي، والألوسي وغيرهما، حتى إن الألوسي ـ رحمه الله ـ قال:

«والحق: أن الخلاف حقيقي، وأن التصديق يقبل التفاوت... وما عليَّ إذا خالفت في بعض المسائل مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة

---

(١) «التنكيل» (٢/٣٦٥).

ـ رضي الله تعالى عنه ـ، للأدلة التي لا تكاد تحصى، فالحق أحق بالاتباع، والتقليد في مثل هذه المسائل من سنن العوام»[1].

وتأكيداً لما أقرره هنا من أن الخلاف في المسألة جوهري حقيقي وليس لفظياً صورياً: أذكر نقلين مهمين عن عالمين جليلين، من فحول علماء عصرنا؛ هما: سماحة شيخنا عبدالعزيز بن باز، وفضيلة شيخنا محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمهما الله تعالى: ـ

قال شيخنا عبدالعزيز بن باز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ معلقاً على قول الطحاوي: «والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان!»:

«هذا التعريف فيه نظر وقصور، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وقد ذكر الشارح ابن أبي العز جملة منها، فراجعها إن شئت. وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة، وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظياً، بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة، يعلمها من تدبر كلام أهل السنة وكلام المرجئة، والله المستعان»[2].

وقال شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ معلقاً على قول الطحاوي نفسه:

«قلت: هذا مذهب الحنفية والماتريدية، خلافاً للسلف وجماهير الأئمة؛ كمالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، وغيرهم، فإن هؤلاء زادوا على الإقرار والتصديق: العمل بالإركان، وليس الخلاف بين المذهبين اختلافاً صورياً كما ذهب إليه الشارح ـ رحمه الله تعالى ـ، بحجة أنهم جميعاً اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان، وأنه في مشيئة الله ـ إن شاء عذّبه، وإن شاء عفا عنه ـ؛ فإن هذا الاتفاق ـ وإن كان صحيحاً ـ فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقية في إنكارهم أن العمل من الإيمان؛ لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص،

---

(١) «روح المعاني» (٩/١٦٧).

(٢) انظر: «تعليقاته على الطحاوية» (١/٢٦٥) من مجموع فتاواه ومؤلفاته.

وأن زيادته بالطاعة، ونقصه بالمعصية، مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك، وقد ذكر الشارح طائفة طيبة منها؛ ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان، وتكلفوا في تأويلها تكلفاً ظاهراً، بل باطلاً، ذكر الشارح نموذجاً منها.

بل حكى عن أبي المعين النسفي، أنه طعن في صحة حديث: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة»**... مع احتجاج كل أئمة الحديث به، ومنهم: البخاري ومسلم في «صحيحيهما»! وهو مخرج في «الصحيحة» **(١٧٦٩)!** وما ذلك إلا لأنه صريح في مخالفة مذهبهم!

ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صورياً، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق! بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل ـ عليهم السلام ـ؟! كيف وهم ـ بناءً على مذهبهم هذا ـ لا يجيزون لأحدهم ـ مهما كان فاسقاً فاجراً ـ أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، بل يقول: أنا مؤمن حقاً! والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]؟! ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. وبناءً على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم؛ فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر! وفرّعوا عليه: أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالمرأة الشافعية! وتسامح بعضهم ـ زعموا ـ فأجاز ذلك دون العكس، وعلل ذلك بقوله: تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب! وأعرف شخصاً من شيوخ الحنفية خطب ابنته رجل من شيوخ الشافعية، فأبى قائلاً: لولا أنك شافعي! فهل بعد هذا مجال للشك في أن الخلاف حقيقي؟»[1].



---

(١) «العقيدة الطحاوية» (ص٤٢ ـ ٤٣).

مذاهب الفرق
في زيادة الإيمان ونقصانه

لقد صار إيمان المرجئة مثلاً لما لا يزيد ولا ينقص، كما قال الثعالبي: «إيمان المرجىء: يضرب به المثل بما لا يزيد ولا ينقص؛ لأن المرجئة يقولون: إن الإيمان قول فرد، لا يزيد ولا ينقص، فيشبه بإيمانهم ما يكون بهذه الصفة»[(١)].

أولاً: أبو حنيفة وأصحابه:

نسبة هذا القول إليه تثبته الأمور التالية:

١ ـ أن عامة كتب الفرق والمقالات تنسب هذا القول إليه؛ كـ«المقالات»، و«الفرق بين الفرق».

قال الشهرستاني: «وعدّه كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه كان يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان»[(٢)].

ومع ذلك لم نقف على أحد حاول تبرئة أبي حنيفة من هذا القول، أو نفاه عنه.

٢ ـ الكتب المؤلفة في العقيدة والمنسوبة لأبي حنيفة تذكر هذا القول؛ كـ«الفقه الأكبر»، و«العالم والمتعلم»، و«الوسيطين: الصغير والكبير»، و«الوصية»، و«رسالته إلى البتّي».

قال: «وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد»[(٣)]!

---

(١) «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» (ص١٧٣).
(٢) «الملل والنحل» (١/١٤١).
(٣) «الفقه الأكبر» (ص١٤٩ ـ ١٥٠ ـ بشرح الماتريدي).

٣ ـ عامة كتب الحنفية المؤلفة في العقيدة تذكر هذا القول، وتنسبه إلى أبي حنيفة.

قال ابن الهمام: «قال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد الإيمان ولا ينقص»[١].

وقال الزبيدي: «وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد ولا ينقص»[٢].

٤ ـ ورد في بعض الكتب المسندة روايات يصرح فيها أهل السنة أن أبا حنيفة يقول بذلك: أخرج الخطيب البغدادي: «... وزعم أبو حنيفة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص»[٣].

وقد خالف بعض المحققين من الحنفية أبا حنيفة في هذه المسألة؛ منهم:

١ ـ أحمد بن عمران الإستراباذي ـ المتوفى سنة (٣٣١هـ) ـ، يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[٤].

قال السمعاني: «وكان على اعتقاد أهل السنة، مجانباً لأهل البدع»[٥].

٢ ـ القاضي علي بن علي ـ المشهور بابن أبي العز الحنفي، المتوفى سنة (٧٩٢هـ) ـ: «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه في الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً... وفي هذا المقدار كفاية، وبالله التوفيق»[٦].

٣ ـ أبو الثناء ـ محمود بن عبدالله ـ الحسيني الألوسي الكبير، صاحب «التفسير» ـ المتوفى سنة (١٢٧٠هـ) ـ.

---

(١) «المسايرة» (ص٣٦٧ ـ بشرح المسامرة).
(٢) «إتحاف السادة المتقين» (٢/٢٥٦).
(٣) «تاريخ بغداد» (١٣/٣٧٢).
وانظر: «السنة» لعبدالله بن أحمد (١/٢١٩)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١٨٣٢).
(٤) «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/٢٢٥).
(٥) «الأنساب» (٥/١٥٣).
(٦) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٧).

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]: «وهذا أحد أدلة من ذهب إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وهو مذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، وبه أقول؛ لكثرة الظواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسنة، من غير معارض لها عقلاً، بل قد احتج بعضهم بالعقل - أيضاً -؛ وذلك أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان؛ لكان إيمان آحاد الأمة - بل المنهمكين في الفسق والمعاصي - مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة - عليهم الصلاة والسلام - واللازم باطل؛ فكذا الملزوم»(١).

ثانياً: الجهمية:

هم أهل هذه البدعة، ومبدأ حدوثها، فقد أخذ الجهم عقيدته عن الجعد بن درهم، وأخذها الجعد عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم - الذي سحر النبي ﷺ -؛ فأصل عقيدة الجهمية مرتبط باليهود(٢).

وكان علماء الإسلام لا يعدونهم من أهل القبلة:

قال أبو سعيد الدارمي: «ناظرني رجل ببغداد منافحاً عن هؤلاء الجهمية، فقال: بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية، وقد نهي عن إكفار أهل القبلة؟! بكتاب ناطق تكفرونهم، أم بأثر، أم بإجماع؟! فقلت: ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور، وأثر مأثور، وكفر مشهور»(٣).

وكان ابن المبارك لا يعدهم من أمة محمد(٤)، ويرى كلامهم أشرَّ من

---

(١) «تفسيره» (١٦٥/٩).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/٥)، و«البداية والنهاية» (٣٥٠/٩)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢٣/١).
(٣) «الرد على الجهمية» (ص١٧١).
(٤) «الإبانة» (٣٨٠/١).

كلام اليهود والنصارى؛ قال: «لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إليَّ من أن أحكي كلام الجهمية»[1].

قال الدارمي: «وصدق ابن المبارك: إن من كلامهم... ما هو أدهش من كلام اليهود والنصارى»[2].

وقال الإمام البخاري مبيناً كفرهم وخبث مقالتهم: «نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت في كفره أضل منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم؛ إلا من لا يعرف كفرهم»[3].

ومن هذه المقالات: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

قال أبو الحسن الأشعري: «وزعمت الجهمية... أن الإيمان لا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه»[4].

وقال الشهرستاني: «قال (أي: الجهم): والإيمان لا يتبعض؛ أي: لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل. قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد؛ إذ المعارف لا تتفاضل!»[5].

قال ابن القيم[6]:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاَّقُهم هو منتهى الإيمانِ
والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشطِ عند تماثل الأسنانِ

ثالثاً: الخوارج، والمعتزلة:

ذهبت الخوارج والمعتزلة إلى القول: إن الإيمان شامل للاعتقادات

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص١٥).
(٢) «الرد على الجهمية» (ص٥).
(٣) «خلق أفعال العباد» (ص١٩).
(٤) «المقالات» (ص١٣٢).
(٥) «الملل والنحل» (١/٨٨).
(٦) «النونية» (ص١٣).

والأقوال والأعمال؛ إلا أنهم فارقوا أهل السنة بقولهم: إن الإيمان كُلٌّ واحدٌ لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، وإنه لا يقبل التبعض.

ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان بالكلية، على خلاف بينهم في تسمية مرتكبها: فقالت الخوارج بكفره، وقالت المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين؛ أي: بين الكفر والإيمان. وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلَّد في نار جهنم.

قال شيخ الإسلام: «قالت الخوارج والمعتزلة: قد علمنا يقيناً أن الأعمال من الإيمان، فمَن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار؛ إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء»[1].

وأصل غلطهم كما بيّنه شيخ الإسلام: «أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: الإيمان هو الطاعة، فيزول بزوال بعض الطاعة، ثم تنازعوا: هل يخلفه كفر ـ على القولين ـ؟ ووافقتهم المرجئة والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل، فلا يزيد ولا ينقص، وقالوا: إن إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين»[2].

وقال: «وجماع شبهتهم في ذلك: أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها؛ كالعشرة، فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة... قالوا: فإذا كان الإيمان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة؛ لزم زواله بزوال بعضها»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/١٣).
(٢) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص١٣٧ و١٣٨).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/٥١١).

رابعاً: الأشاعرة، والماتريدية:

ذهب جمهور الأشاعرة وجميع الماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

قال الزبيدي: «وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد الإيمان ولا ينقص، واختاره أبو منصور الماتريدي، ومن الأشاعرة: إمام الحرمين، وجمع كثير»[1].

وقال ابن أبي شريف الحنفي: «وهذا القول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص اختاره من الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير، وذهب عامتهم ـ أي: أكثر الأشاعرة ـ إلى زيادته ونقصانه»[2].

فالماتريدية لهم قول واحد؛ وهو: أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان.

وأما الأشاعرة؛ فلهم في المسألة قولان: فجمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصان، وذهب بعضهم إلى أنه يقبلها.

وقد علمت أن الأشاعرة يعرِّفون الإيمان بأنه التصديق وحده، فلا يدخل فيه القول والعمل، فبحثهم هنا هو التصديق هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

فالذين قالوا: لا يزيد ولا ينقص؛ فبناءً على أن الإيمان هو التصديق اليقيني، وهو غير قابل للتفاوت، فإن نقص فنقصه شك وكفر.

ومَن قال: يزيد وينقص؛ فللقطع بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي ﷺ.



(١) «إتحاف السادة المتقين» (٢/٢٥٦).

(٢) «المسامرة» (ص٣٦٧).

الروض الريان

شرح

كتاب الإيمان

من صحيح الإمام مسلم

شرحه
فضيلة الشيخ المحدث الدكتور
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
السلفي الأثري

١ ـ باب بيان الإيمان، والإسلام، والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وبيان الدليل على التبرِّي ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه[١]:

١ ـ (٨) قال أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ـ رحمه الله ـ: بعون الله نبتدىء، وإياه نستكفي، وما توفيقنا إلا بالله ـ جل جلاله ـ:

حَدَّثني أبُو خَيْثَمَةَ[٢] ـ زُهيْرُ بْنُ حَرْب ـ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ كَهْمَسٍ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ.

(ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُالله بْنُ معاذ الْعَنْبَرِيُّ ـ وهذَا حَدِيثُهُ ـ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا كَهْمَسُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ[٣]؛ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ في الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ ـ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ ـ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَسَألْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هؤُلاَءِ في الْقَدَرِ! فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي؛ أَحَدُنَا: عَنْ يَمِينِهِ، وَالآخَرُ: عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلاَمَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِالرَّحْمٰنِ! إنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَأونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ ـ وَذَكَر من شَأْنِهِمْ ـ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ: أنْ لاَ قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ؟! قَالَ: فَإذَا لَقِيتَ أُولئِكَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ بِأنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرآءُ مِنِّي، والَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ؛ مَا

---

(١) اعلم أن تراجم الأبواب ليست من صنيع الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ؛ ولكنها من صنيع الشرّاح، وأحسن التراجم التي لهذا الكتاب: هي تراجم النووي ـ رحمه الله ـ.

(٢) بفتح المعجمة، وإسكان المثناة تحت، وبعدها مثلثة.

(٣) بفتح التحتانية، وسكون المهملة، بعدها ميم مفتوحة ـ وبعضهم يضمها ـ، آخره راء.

قَبِلَ اللّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي - عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يوم؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بياضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعر، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أثَر السَّفَر، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْه إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الإِسْلاَمُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأن مُحَمَّداً رَسُولُ الله ﷺ، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤمِنَ باللّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْم الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَن الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَن السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ العُرَاةَ الْعَالَةَ** - رِعاءَ الشَّاءَ - **يَتَطَاولُونَ فِي الْبُنْيَان**». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ. فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

✹ راوي الحديث:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: من زهّاد الصحابة وأوعية العلم، أسلم صغيراً بمكة، وهاجر إلى المدينة، أول مشاهده الخندق، توفي بمكة سنة (٧٣هـ)، ودُفن رضي الله عنه بذي طوى.

- عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة، قُتل شهيداً - رضي الله عنه - في مسجد رسول الله ﷺ سنة (٢٣هـ).

➢ فوائد الإسناد:

قال الإمام النووي: «اعلم أن مسلماً ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ سلك في هذا الكتاب طريقة في الإتقان والاحتياط والتدقيق والتحقيق، مع الاختصار البليغ والإيجاز التام، في نهاية من الحُسن؛ مصرحة بغزارة علومه، ودقة نظره، وحذقه، وذلك يظهر في الإسناد تارة، وفي المتن تارة، وفيهما تارة، فينبغي للناظر في كتابه أن يتنبه لما ذكرته؛ فإنه يجد عجائب من النفائس والدقائق تقر بآحاد أفرادها عينه، وينشرح لها صدره، وتنشطه للاشتغال بهذا العلم، واعلم أنه لا يعرف أحد شارك مسلماً في هذه النفائس التي يشير إليها من دقائق علم الإسناد، وكتاب البخاري وإن كان أصح وأجل، وأكثر فوائد في الأحكام والمعاني؛ فكتاب مسلم يمتاز بزوائد من صنعة الإسناد»[1].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: **ومن هذه الدقائق والنفائس التي أشار إليها:**

١ ـ أنّ مسلماً يُفرق بين (حدثني) و(حدثنا)، وكذا (أخبرني) و(أخبرنا):

وذلك أنه قال أولاً: (حدثني أبو خيثمة ـ زهير بن حرب ـ)، ثم قال في الطريق الأخرى: (وحدثنا عبيدالله بن معاذ العنبري)، ففرّق ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بين (حدثني) و(حدثنا)، وهذا تنبيه على القاعدة المعروفة عند أهل العلم بالحديث؛ وهي أنه يقول فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ: (حدثني)، وفيما سمعه مع غيره: (حدثنا)، وفيما قرأه وحده على الشيخ: (أخبرني)، وفيما قُرِىء بحضرته في جماعة: (أخبرنا)، وهذا اصطلاح معروف عندهم.

٢ ـ أنه يختصر الأسانيد بحيث لا يحصل خلل، ولا يفوت به مقصود؛ حيث قال في الطريق الأولى: (... وكيع، عن كَهْمس، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يَعْمَر)، وقال في الطريق الثانية: (... معاذ بن معاذ العنبري: حدثنا كَهْمس، ابن بريدة، عن يحيى بن يعمر)، فكان ينبغي له أن يقف على وكيع ويجتمع معاذ ووكيع في الرواية عن كهمس؛ خشية التطويل، وهذا لا يليق بإتقان مسلم واختصاره!

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١/١٥١).

قال الإمام النووي: «وهذا الاعتراض فاسد، لا يصدر إلا من شديد الجهالة بهذا الفن؛ فإن مسلماً ـ رحمه الله ـ يسلك الاختصار، لكن بحيث لا يحصل فيه خلل، ولا يفوت به مقصود، وهذا الموضع يحصل في الاختصار فيه خلل، ويفوت به مقصوده؛ وذلك لأن وكيعاً قال: (عن كهمس)، ومعاذاً قال: (حدثنا كهمس)، وقد علم ـ بما قدّمناه في «باب المعنعن» ـ أن العلماء اختلفوا في الاحتجاج بالمعنعن، ولم يختلفوا في المتصل بـ(حدثنا)، فأتى مسلم ـ رحمه الله ـ بالروايتين كما سمعتا؛ ليعرف المتفق عليه من المختلف فيه، وليكون راوياً باللفظ الذي سمعه، ولهذا نظائر في مسلم، وإن كان هذا ظاهراً لمَن له أدنى اعتناء بهذا الفن؛ إلا أني أنبّه عليه لغيرهم ولبعضهم ممن قد يغفل...

وهنا ـ أيضاً ـ مقصود آخر؛ وهو: أن في رواية وكيع قال: (عن عبدالله بن بُريدة)، وفي رواية معاذ قال: (عن ابن بريدة)، فلو أتى بأحد اللفظين حصل خلل؛ فإنه إن قال: (ابن بريدة) لم ندرِ ما اسمه؟ وهل هو عبدالله ـ هذا ـ، أو أخوه سليمان بن بريدة؟ وإن قال: (عبدالله بن بريدة) كان كاذباً على معاذ؛ فإنه ليس في روايته (عبدالله)، والله أعلم.

وأما قوله في الرواية الأولى: (عن يحيى بن يَعْمَر)؛ فلا يظهر لذكره أولاً فائدة، وعادة مسلم في مثل هذا أن لا يذكر (يحيى بن يعمر)؛ لأن الطريقين اجتمعتا في (ابن بريدة)، ولفظهما عنه بصيغة واحدة؟!

قال النووي: إلا أني رأيت في بعض «النسخ» في الطريق الأولى: (عن يحيى) فحسب، وليس فيها (ابن يَعْمَر)، فإن صحَّ هذا؛ فهو مزيل للإنكار الذي ذكرناه، فإنه يكون فيه فائدة».

٣ ـ قوله: (حدثنا عبيدالله بن معاذ، وهذا حديثه) دليل على شدة تحرّي الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ وورعه واحتياطه، ومقصوده: أن الراويين اتفقا في المعنى، واختلفا في بعض الألفاظ، وهذا الذي ذكره هنا هو لفظ عبيدالله بن معاذ، ولفظ أبي خيثمة ـ زهير بن حرب ـ النسائي رواه بمعناه.

وهذه طريقة معروفة للإمام مسلم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ؛ وهي: المحافظة على الألفاظ في الأسانيد والمتون، وذكر الحديث كما هو دون تقطيع ـ أو اختصار ـ، ولهذا ساق حديث جبريل هنا بتمامه، ولم يختصره فيقتصر على ذكر الإيمان بالقدر، قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام مسلم في «تهذيب التهذيب»: «حصل لمسلم في «كتابه» حظٌّ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله، بحيث إنَّ بعضَ الناس كان يفضِّله على «صحيح محمد بن إسماعيل»؛ وذلك لِمَا اختصَّ من جمع الطرق، وجَودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي؛ من غير تقطيع، ولا رواية بمعنى، وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريِّين فلم يبلغوا شأوه، وحفظتُ منهم أكثرَ من عشرين إماماً مِمَّن صنَّف «المستخرج على مسلم»، فسبحان المعطي الوهَّاب!»[1].

٤ ـ أنه يستعمل اصطلاح تحويلة الإسناد (ح)، المعروفة عند العاملين بهذا الفن؛ ليشير إلى بدء سند آخر، فيقرؤها القارىء إذا انتهى إليها كما كتبت، فيقول: (ح)

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «لكنهم يضطرون إلى هذه الرموز؛ لثلاثة أوجه:

الأول: حفاظاً على الوقت.

الثاني: حفاظاً على المداد؛ لأن هذا يوفر المداد.

الثالث: حفاظاً على الأوراق؛ لأن الأوراق والمداد عندهم ليست بالأمر السهل، بل قد يكون الحصول عليها من أصعب الأمور»[2].

٥ ـ أنه يذكر أكثر من إسناد للحديث الواحد؛ ليظفر بفوائد زوائد؛

---

(١) وانظر: «شرح حديث جبريل» لشيخنا عبدالمحسن العباد البدر ـ حفظه الله ـ (ص١٣).
(٢) «التعليق على صحيح مسلم» (٨٦/١).

من تصريح مدلس، أو تسمية مبهم، أو متابعة لراوٍ، وغير ذلك.

٦ ـ هذا الحديث تفرّد به مسلم دون البخاري، وبذلك فقول القرطبي: «هكذا مشهور هذا الحديث في «الصحيحين»[١] من حديث ابن عمر»؛ غير صحيح، فإن البخاري لم يروه في «صحيحه»، قال الحافظ في «الفتح»: «إنما لم يخرجه؛ للاختلاف فيه على بعض رواته»، ولكن الشيخين اتفقا على إخراجه من حديث أبي هريرة.

أخرجه النسائي (١٠١/٨) من حديث أبي هريرة وأبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ مقرونين، وإسناده صحيح.

وروي من حديث أنس بن مالك، وأبي عامر ـ أو أبي مالك ـ الأشعري، وابن عباس، وابن عمر، وجرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنهم ـ، وأسانيدها لا تخلو من مقال.

٧ ـ أن في إسناد الحديث ثلاثةً من التابعين على نسق واحد، يروي بعضهم عن بعض: (كهمس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر).

٨ ـ أن فيه رواية صحابي عن صحابي، والابن عن أبيه: (عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه).

٩ ـ أن جملة من اسمه (كَهْمَس) في الكتب السِّتة اثنان فقط: راوي حديثنا هذا؛ وهو من رجال الجماعة، وكهمس بن المنهال السدوسي اللؤلؤي؛ وهو من رجال البخاري.

١٠ ـ أنه من خماسيات الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ.

١١ ـ أنه مسلسل بثقات الرواة.

---

(١) «المفهم» (١٣٨/١).

٭ غريب الحديث:

قوله: **(كان أول من قال في القدر)** ـ وفي بعض النسخ: بالقدر ـ ماذا قال؟ بينته الرواية نفسها، وهو قوله: **(أن لا قدر، وأن الأمر أنف)**؛ أي: أول مَن قال بنفي القدر؛ فابتدع وخالف الحق الذي عليه أهل السُّنة والجماعة، ومذهبهم هو: أنّ الله ـ تعالى ـ لم يكن عالماً بشيء من أفعال الكائنات قبل وقوعها، وإنما علمها بعد وقوعها؛ لأنه لا فائدة لعلمه بها قبل وقوعها، ولا حكمة من إرسال الرسل إن كان يعلم، وهو عبث في حق الله ـ تعالى ـ! وهؤلاء هم غلاة القدرية.

وهذا المذهب قد ترك وباد ـ والحمد لله ـ، وانقرض القائلون به حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن منكر العلم اليوم قليل»[1]. وصار أمر القدرية إلى القول: إن أفعال العباد واقعة بقدرتهم ومشيئتهم على جهة الاستقلال، وأنها ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له! وهو مذهب باطل.

والقدر: مصدر، تقول: قدرت الشيء ـ بتخفيف الدال وفتحها ـ، أقدره ـ بالكسر والفتح ـ، قَدْراً وقَدَراً؛ إذا أحطت بمقداره.

والمراد بالقدر شرعاً: أن الله ـ تعالى ـ علم مقادير الأشياء وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجدها، وسبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته.

هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة ـ ﷺ ـ وخيار التابعين، إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة.

قوله: **(بالبصرة)** هما بصرتان: العظمىٰ بالعراق، والصغرىٰ بالمغرب. ومعناها: الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب. والبصرة مثلثة الباء، والمشهور الفتح. والنسب إليها: بصري ـ بفتح الباء

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص٧٠).

وكسرها، وجهان مشهوران ـ، ويقال لها: تدمر، وقبة الإسلام، وخزانة العرب، والبصيرة ـ بالتصغير ـ، والمؤتفكة؛ لأنها ائتفكت بأهلها في أول الدهر. بناها عتبة بن غزوان ـ ﷺ ـ سنة سبع عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب، وسكنها الناس سنة ثماني عشرة. وهي داخلة في سواد العراق، وليس لها حكمه، ويقال: لم يعبد صنم قط على أرضها.

قوله: **(مَعْبد)** ـ بفتح الميم، وسكون العين المهملة؛ بعدها موحدة مفتوحة دال مهملة ـ **(الجهني)** ـ بضم الجيم ـ نسبة إلى جهينة، قبيلة من قضاعة، واسمه: زيد بن ليث، وقيل: معبد بن عبدالله بن عويمر، وقيل غير ذلك، والصحيح: أن لا ينسب، وكان يجالس الحسن البصري، وهو أول مَن تكلم في البصرة بالقدر؛ فتبعه أهل البصرة لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله، قتله الحجاج بن يوسف صبراً.

قوله: **(فانطلقت)**؛ أي: ذهبت **(أنا وحميد بن عبدالرحمٰن)** التابعي البصري، وهو ثقة معروف؛ لكن لا رواية له هنا، وإنما له ذكر فقط **(الحِميري)** ـ بكسر الحاء المهملة، وسكون الميم ـ: نسبة إلى حِمْير، القبيلة المعروفة في اليمن **(حاجِّين ـ أو معتمرين ـ)**: الرواية الصحيحة المشهورة بـ(أو)؛ على الشك، فكأنه عرض للراوي شك في حالهما؛ هل كانا حاجَّين، أم معتمرين؟ وهذا من دقة الرواة وصدقهم.

وقد ثبت أنهما كانا حاجِّين، وليسا معتمرين، فعند ابن منده في «الإيمان» **(١/١٤٣ ـ ١٤٧/ ١١ ـ ١٣)** وغيره بسند صحيح من طريق المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، عن أبيه، عن يحيى بن يعمر؛ قال: كان رجل من جهينة فيه زهو، وكان يتوثّب على جيرانه، ثم إنه قرأ القرآن، وفرض الفرائض، وقصّ على الناس، ثم إنه صار من أمره أنه زعم: أن العلم أُنُفٌ؛ مَن شاء عمل خيراً، ومَن شاء عمل شراً! قال: فلقيت أبا الأسود الديليَّ، فذكرت ذلك له، فقال: كذب؛ ما رأينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا يثبت القدر، ثم إني حججت أنا وحميد بن عبدالرحمٰن الحميري. . . الحديث.

فهذا صريح أنهما كانا حاجَّين، ولم يكونا معتمرين.

وأغرب بعضهم؛ فزعم أنهما كانا قارنين؛ بدليل ما وقع في بعض «نسخ صحيح مسلم»: «حاجين ومعتمرين» ـ بالواو التي للجمع ـ! وهو قول بعيد عن الصواب؛ بدلالة رواية المعتمر بن سليمان، ثم لِمَ خصص القائل بهذا القول (القِران) دون (التمتع) ـ مع أن العمرة داخلة فيه وهي منه ـ؟! فلعل ميله الفقهي ـ أعني: اختياره (القِران) دون سائر أنواع الحج ـ حمله على هذا الزعم، والله أعلم.

قوله: **(لو)** بمعنى «ليت»؛ كما في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، **(لقينا)** ـ بكسر القاف ـ، من اللقاء والمقابلة والاجتماع.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة المهمة، وهذا الفهم السليم السديد وهو الرجوع إلى فهم أصحابه عند ظهور الفتن؛ كما في حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ الصحيح جداً ـ: «**فإنه مَن يعشْ منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**».

فعمل التابعون بوصية النبي ﷺ؛ فهداهم الله صراطه المستقيم، وجنّبهم اتباع سبيل أهل الجحيم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قوله: **(فوفق لنا)** ـ هو بضم الواو، وكسر الفاء المشددة ـ؛ ومعناه: جُعِل وَفْقاً لنا، وهو من الموافقة التي هي كالالتحام، وهذه لفظة تدل على صدق الاجتماع والالتئام، ووقع عند أبي يعلى في «مسنده»: «فوافق لنا» ـ بزيادة ألف ـ، والموافقة: المصادفة.

قوله: **(داخلاً المسجد)**؛ أي: المسجد النبوي، ففي رواية المعتمر بن سليمان ـ المتقدمة ـ: فلما قضينا حجَّنا؛ قلنا: نأتي المدينة، فنلقى أصحاب رسول الله ﷺ فنسألهم عن القدر، قال: فلما أتينا المدينة...

قوله: **(فاكتنفته أنا وصاحبي)**؛ أي: صرنا بجانبيه وناحيتيه كجناحي طائر، وفسره بقوله: **(أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله)**، وإنما كانا كذلك؛ لئلا يفوتهما شيء من كلامه، وقد فعلا ذلك - أيضاً - تأدُّباً واحتراماً، إذ لو قاما أمامه لمنعاه المشي، ولو صارا له من جانب واحد لكلّفاه المَيْل إليهما، ولذلك كانت هذه الهيئة أحسن ما أمكنهما.

قوله: **(فظننت أن صاحبي)**؛ يعني: حميد بن عبدالرحمٰن الحِميري **(سيكل الكلام إليَّ)**؛ يعني: أنه سيسكت ويفوّض الكلام إليّ؛ لجرأتي، وقوّة بياني، وبساطة لساني - كما في رواية لابن منده -.

قال القرطبي: «وإنما قال هذا اعتذاراً عن توهم اعتراض ينسب إليه فيه قلة المبالاة بصاحبه، واستئثاره عليه بالمسابقة إلى الكلام؛ فبيّن اعتذاره عن ذلك، وذلك أنه علم من صاحبه أنه يكل الكلام إليه؛ فإما لكونه أحسن منه سؤالاً، وأبلغ بياناً، وإما لحياء يلحق صاحبه يمنعه من السؤال...»[(١)].

قوله: **(يا أبا عبدالرحمٰن!)**: دليل على ما كانوا عليه من الاقتصار في الكلام وترك الإطراء ولو كان حقاً.

قوله: **(قد ظهر قِبَلَنا ناس)**: فشا مذهبهم وانتشر.

قوله: **(ويتقفّرون العلم)** - بتقديم القاف على الفاء -، والمعنى: أنهم يطلبونه ويتتبعونه. وروي بتقديم الفاء على القاف (يتفقّرون)؛ وهو صحيح، ومعناه: يبحثون عن غامضه، ويستخرجون خفيه، ويفتحون مغلقه، فلما كانت القدرية بهذه الصفة من البحث والتتبع لاستخراج المعاني الغامضة بدقائق التأويلات؛ وصفهم بذلك.

وفي غير «صحيح مسلم»: «يتقفّوْن» - بتقديم القاف، وحذف الراء، وهو من القفاء، ومعناه: التتبع. وفي رواية: «يتفقهون» بزيادة الهاء، وفي

---

(١) «المفهم» (١/١٣٤).

بعض الروايات: «يتقعرون»، وفسرت بأنهم يطلبون قعره؛ أي: غامضه وخفيه وغريبه، ومنه: تقعر في كلامه؛ إذا جاء بالغريب منه[1].

وكل هذه الألفاظ تدل على أن هؤلاء يتكلفون في البحث عن غوامض المسائل وغرائبها من غير دراية ورعاية لها، فوقعوا في الغلو في الدين، والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم.

وفائدة وصفهم بالاجتهاد في العلم والتوسع فيه: استدعاء ابن عمر - رضي الله عنهما - لاستفراغ الوسع في النظر فيما يزعمون؛ لأن أقوال الأغبياء قد لا يهتبل العلماء بشأنها، ويكتفون في ردها بأدنى نظر، فجواب ابن عمر بعد تلك الأوصاف من أثبت شيء وأحقه، وأدقه.

قوله: **(وذكر من شأنهم)**: هذا كلام أحد الرواة عن يحيى بن يعمر، والظاهر أنه ابن بريدة. ومعناه: عظّم أمرهم في الذّكاء، ووصفهم بالاجتهاد في العلم وتحصيله، والاعتناء به، والجد في طلبه. وإنما ذكر له ذلك عنهم؛ تنبيهاً له على الاعتناء بمقالتهم والبحث عنها؛ ليوضح أمرها، فإن كلامهم قد وقع في القلوب بالموقع الذي لا يزيله إلا إيضاح بالغ وبرهان واضح.

قوله: **(وأنهم يزعمون)**؛ أي: يدّعون ادعاءً باطلاً، ورأياً عاطلاً، وأكثر ما يطلق الزعم على الباطل، أو على ما فيه ارتياب **(أن)** مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه **(لا قَدَرَ)** - بفتح الدال، وسكونها - **(وأن الأمر أُنف)** - بضم الهمزة والنون -؛ أي: مستأنف، لم يسبق به قدر ولا علم من الله - تعالى -، وإنما يعلمه بعد وقوعه!

وأنف كل شيء أوله، ومنه أنف الوجه؛ لأنه أول الأعضاء في الشخوص، وأنف السيل: أوله، وروض أنف: لم يُرْعَ من قبل. وهذا هو

---

(١) وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/١٥٥ - ١٥٦)، و«المفهم» (١/١٣٥)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/٤٦٤).

مذهب غلاة القدرية؛ وقد كذبوا، وضلوا باعتقادهم هذا.

قوله: **(قال)**؛ أي: ابن عمر - رضي الله عنهما -: **(فإذا لقيت أولئك)** الذين ذكرت أوصافهم؛ **(فأخبرهم: أني بريء منهم)**؛ أي: من عقيدتهم الخبيثة **(وأنهم بُرآء مني)**؛ قاله تبرؤاً من أهل البدع والزندقة، كما أمر الله - تعالى - نبيه ﷺ بذلك: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وهذا من أنفع وأبلغ أساليب التنفير والتقبيح لهؤلاء، ومن اعتقد اعتقادهم.

قوله: **(والذي يحلف به عبدالله بن عمر)**؛ أي: أقسم بالله الذي لا أحلف بغيره، وإنما لم يذكر لفظ الجلالة؛ لمعرفة المحلوف به، أو إجلالاً أن يذكر عند أمر باطلٍ، أو لكي لا يتخذ عرضة لكثرة الأيمان؛ وهو أبعدها.

قوله: **(لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)**: هذا تصريح بكفر هؤلاء، وأنهم لو جاؤوا بأثقل المحسوسات وأغلاها ثمناً؛ فأنفقوها في وجوه البر؛ لما قبل الله منهم.

وهذا من المبالغة في تكذيبهم وبيان عظم كفرهم، وأن فعلهم هذا قد أحبط ما لهم عند الله من الصالحات.

ولا شك في تكفير مَن يذهب إلى هذا المذهب المبتدع الضال؛ فإنه جحد معلوماً من الشرع ضرورة، ولذلك تبرأ منهم ابن عمر، وأفتى بأنهم لا تُقبل منهم أعمالهم ولا نفقاتهم، وأنهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

قوله: **(بينما)** ظرف زمان، زيدت عليها **(ما)**؛ لتكفها عن عملها، وهو الخفض، فمعناه: وقت جلوسنا وحضورنا في مجلس عند رسول الله ﷺ.

قوله: **(إذ طلع علينا)** إذ وإذا للمفاجأة، وهذا يدل على أنهم تفاجأوا بدخوله عليهم بهيئته المهيبة. ولم يقل: (دخل)؛ إشعاراً بعظم الرجل.

قوله: **(رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد)**: تعجبوا من صورة إتيانه وكيفية مجيئه، ووقع في خاطرهم أنه إما ملك ـ أو جني ـ، ولكن لم يجزموا؛ لأنه لو كان بشراً: لكان إما من المدينة النبوية، أو غريباً، والأول منتفٍ؛ إذ لم يعرفه منهم أحد، والثاني كذلك؛ إذ ليس عليه أثر السفر ونحوه، وجاء ماشياً ليس معه دابة يركب عليها، ووقع عند ابن حبان في «صحيحه» وغيره بسند صحيح: «بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ في أناس؛ إذ جاء رجل ليس عليه سحناء السفر، وليس من أهل البلد...».

فإن قيل: كيف عرف عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه لم يعرفه أحد منهم؟ قيل: يحتمل أن يكون استند في ذلك إلى ظنه، أو إلى صريح قول الحاضرين، ولعل هذا الأخير أرجح؛ ففي رواية عثمان بن غياث عن عبدالله بن بريدة ـ عند أحمد في «مسنده» ـ: فنظر القوم بعضهم إلى بعض، فقالوا: ما نعرف هذا.

قوله: **(حتى جلس)**؛ متعلق بمحذوف، تقديره: استأذن وأتى حتى جلس (إلى النبي ﷺ) ولم يقل: جلس بين يديه؛ إذ لم يأتِ متعلماً، وإنما أتى معلماً.

قوله: **(فأسند ركبتيه)**؛ أي: اتكأ واعتمد على فخذيه، وأوصل ركبتيه برسول الله ﷺ، فعند ابن حبان: «فتخطى حتى ورك بين يدي رسول الله ﷺ كما يجلس الرجل في الصلاة».

وإنما جلس هكذا؛ ليتعلم الحاضرون جلوس السائل عند المسؤول؛ لأن هذه الجلسة أقرب إلى التواضع والأدب.

واتصال ركبة السائل بركبة المسؤول يكون أبلغ في استماع كل واحد منهما كلام صاحبه، وأبلغ في حضور القلب وصفاء الذهن، وألزم للجواب؛ لأن الجلوس على هذه الهيئة دليل على شدة حاجة السائل إلى السؤال وتعلق قلبه، واهتمامه إلى استماع الجواب. فإذا وجد المسؤول هذا الحرص والاحتياج؛ فإنه يلزم نفسه جوابه، ويبالغ في تفهيمه الجواب أكثر وأتم مما سأل.

قوله: **(إلى ركبتيه)**؛ أي: ركبتَيْ النبي ﷺ.

قوله: **(ووضع كفيه على فخذيه)**: قال النووي: «معناه: أن الرجل الداخل وضع كفَّيه على فخذي نفسه، وجلس على هيئة المتعلم»[1].

قلت: والصحيح: أن جبريل - عليه السلام - وضع كفَّيه على فخذَيْ النبي ﷺ، وليس على فخذي نفسه؛ فعند ابن حبان في «صحيحه»، وابن منده في «الإيمان»: «ثم وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد! . . .».

وعند النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر - رضي الله عنهما -؛ قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا لرسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكاناً؟؟ من طين كان يجلس عليه، وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه؛ إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً، وأطيب الناس ريحاً، كأن ثيابه لم يمسها دنس، حتى سلم في طرف البساط، فقال: السلام عليك يا محمد! فردّ عليه السلامَ. قال: أدنو يا محمد؟! قال: «**ادنه**»، فما زال يقول: أدنو؟ (مراراً) ويقول له: «**ادنه**»، حتى وضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ.

قال الحافظ: «فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله: «على فخذيه» يعود على النبي ﷺ، وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي - لهذه الرواية -، ورجحه الطيبي بحثاً؛ لأنه نسق الكلام، خلافاً لما جزم به النووي ووافقه

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٥٧/١).

التوربشتي؛ لأنه حمله على أنه جلس كهيئة المتعلم بين يدَي مَن يتكلم منه، وهذا وإن كان ظاهراً من السياق؛ لكن وضعه يديه على فخذ النبي ﷺ منبّه للإصغاء إليه»[1].

وبهذا يتبين فائدة جمع روايات الحديث، فقد تبيّن منها: أن جبريل وضع يديه على فخذي رسول الله ﷺ؛ فارتفع الاحتمال الذي في «صحيح مسلم» فإنه قال فيه: «فوضع كفَّيه على فخذيه»، وهذا اللفظ محتمل.

وإنما فعل جبريل ذلك ـ والله أعلم ـ؛ تنبيهاً على ما ينبغي للسائل من قوة النفس عند السؤال، وعدم المبالاة بما يقطع عليه خاطره، وإن كان المسؤول ممن يُحترم ويُهاب، وعلى ما ينبغي للمسؤول من التواضع والصفح عن السائل، وإن تعدى على ما ينبغي من الاحترام والأدب. ونداء جبريل للنبي ﷺ كما يناديه الأعراب: يا محمد! مبالغة في تعمية أمره؛ ليقوى الظن بأنه من جفاة الأعراب، ولذلك تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ.

قوله: **(وقال: يا محمد)**: عند النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنهما ـ: .... حتى سلّم في طرف البساط، فقال: السلام عليك يا محمد! فردّ عليه السلام...

وهذه الرواية الصريحة في تسليم جبريل ـ عليه السلام ـ قبل سؤاله ترفع ذاك الإشكال الذي أورده بعضهم: كيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟

فنقول: هو سلّم يقيناً؛ بدلالة حديث أبي هريرة وأبي ذر، فمَن ذكره قدّم على مَن سكت عنه، وهذا يزيل الاحتمالات التي أجيبت عن السؤال آنف الذِّكْر، فإنها بعيدة وليست في محلها.

قوله: **(أخبرني عن الإسلام)**: أعلمني عن فرائض الإسلام؛ ما هي؟ والإسلام: هو الاستسلام والانقياد والخضوع لله بالأفعال الشرعية الظاهرة.

قوله: **(الإسلام: أن تشهد أن لا إلـٰه إلا الله)**؛ أي: أنه لا معبود بحق إلا الله ـ تعالى ـ.

---

(١) «فتح الباري» (١/١١٦).

وأعاد ﷺ ذكر الإسلام، ووضعه موضع المضير؛ زيادة في التوضيح.

قوله: **(وأن محمداً رسول الله)**؛ أي: أن محمداً ﷺ هو الرسول المتبوع بحق الذي أرسله الله للناس هادياً وداعياً.

وأن يحب ﷺ فوق محبة كل محبوب من الخلق، وأن يطاع في كل ما يأمر به، ويُنتهى عن كل ما نهى عنه، وأن تصدق أخباره كلها ـ سواء كانت ماضية، أم موجودة، أم مستقبلة ـ، وأن يعبد الله طبقاً لما جاء به ﷺ من الحق والهدى، فكما أفردت الله ـ تعالى ـ وحده بالعبودية؛ فكذلك أفرد النبي ﷺ وحده بالاتباع.

قوله: **(وتقيم الصلاة)** زاد في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الآتي بعده مباشرة: «المكتوبة».

والصلاة في اللغة: الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفي الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة، بشروط مخصوصة، في أوقات مخصوصة.

ومعنى **(إقامة الصلاة)**: الإتيان بأركانها وواجباتها وسننها على أكمل وجه، وإدامتها والمحافظة عليها، وعدم الإخلال بها.

وقوله: **(وتؤتي)**؛ أي: تعطي، وعبّر بالإيتاء إشارة إلى أنه لا بُدّ من التمليك **(الزكاة)** زاد في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: **«المفروضة»**.

والزكاة لغة: هي النماء والزيادة، يقال: زكا الزرع والمال؛ إذا نما، وفي الشرع: دفع جزء مقدّر من المال، في وقت محدد، وإلى جهة حددها الشرع.

قوله: **(وتصوم رمضان)** والصيام لغة: هو الإمساك مطلقاً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]؛ أي: إمساكاً عن الكلام.

وفي الشرع: هو الإمساك عن أشياء مخصوصة، بشرائط مخصوصة، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع النية.

قوله: **(وتحج البيت)**؛ يعني: البيت الحرام؛ وهو الكعبة.

والحج لغة: هو القصد المتكرر.

وفي الشرع: قصد بيت الله الحرام، في وقت مخصوص، لفعل عبادة مخصوصة..

قوله: **(إن استطعت إليه)**؛ أي: إلى البيت الحرام، أو إلى الحج، والمعنى: إن أمكن لك الوصول إليه، والاستطاعة: هي القوة على الشيء والتمكُّن منه. **(سبيلاً)**؛ أي: بلاغاً يبلغ به الحج، وهو الزاد والراحلة.

فإن قيل: لِمَ خصّ الحجّ بقيد الاستطاعة دون سائرها؛ مع أن الاستطاعة التي يتمكن بها المكلف من فعل الطاعة مشروطة في الكل؟!

قيل: بأن المعني بالاستطاعة هنا: الزاد والراحلة، وكانت طائفة من الناس لا يعدونهما له، فيكونون عالة على غيرهم، وقد أخرج البخاري في «صحيحه» **(١٥٢٣)** من حديث عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ؛ قال: كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزوّدون، ويقولون: نحن المتوكّلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس؛ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي إيراد النبي ﷺ أركان الإسلام بصيغة المضارع: (تشهد، تقيم، تؤتي، تصوم، تحج) تنبيه على استمرارها وديمومتها، وتذكير بتجدُّدها وتكرارها في اليوم والليلة، أو على مدار العام.

قوله: **(قال)**؛ أي: السائل **(صدقت)**؛ أي: إن ما تقوله هو الصواب والصدق.

قوله: **(قال)**؛ أي: عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ **(فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه)**: إنما عجبوا من ذلك؛ لأن التصديق بهذه الأشياء يقتضي العلم

بها، وهي لا تعلم إلا من قِبَل النبي ﷺ، ولا تعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عرف بلقاء النبي ﷺ ولا بالسماع منه، ولأن هذا خلاف عادة السائل الجاهل، وإنما هذا كلام خبير بالمسؤول عنه، فهو يسأل سؤال عارف محقق مصدق؛ فلهذا تعجبوا.

قوله: (**فأخبرني عن الإيمان**)؛ أي: بيّن لي معنى الإيمان. وقد مضى بيان معنى الإيمان لغةً وشرعاً.

قوله: (**أن تؤمن بالله**): الإيمان بوجوده، وألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

قوله: (**وملائكته**): أن تؤمن بوجودهم، وصفاتهم التي أخبر الله عنها في كتابه، أو صحّت عن رسول الله ﷺ.

وقدّم النبي ﷺ الإيمان بالملائكة على الإيمان بالكتب والرسل؛ لأنهم الواسطة بين الله ورسله، فهم سفراء الله بينه وبين رسله، ولأن ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول.

قوله: (**وكتبه**): بأنها كلام الله ـ تعالى ـ منزلة من عنده. والمذكور منها: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، صحف إبراهيم وموسى.

قوله: (**ورسله**): بأنهم أرسلوا من عند الله ـ تعالى ـ كما أرسل نبينا محمد ﷺ، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله ـ تعالى ـ، وأن الله أيدهم بما تقوم به الحجة على أقوامهم، وأنهم بلّغوا رسالات ربهم كاملة، وبيّنوا للمكلفين ما أمرهم الله ـ تعالى ـ ببيانه، وأنه يجب احترامهم وتبجيلهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم، وأن أول الأنبياء آدم، وأول الرسل إلى أهل الأرض نوح، وآخر النبيين والمرسلين محمد ﷺ.

قوله: (**واليوم الآخر**): بوقوعه لا محالة ولا شك في ذلك، وما اشتمل عليه من البعث، والنشر، والحشر، والعرض، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار... إلى غير ذلك مما صحّ نصه، وثبت نقله.

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الآتي بعد هذا مباشرة: «**وتؤمن بالبعث الآخر**». وسمي: آخِراً؛ لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة.

قوله: (**وتؤمن بالقدر خيره وشره**): الإيمان بعلم الله الكامل لمقادير الأشياء، وأحوالها، وأزمانها قبل إيجادها، وبما قَدَّر من وقوعه في الماضي والحاضر والمستقبل؛ من خير وشر. وأكد هذا النوع بإعادة كلمة: «تؤمن» عندها.

وهذا هو الشاهد من ذكر الحديث في الاستدلال على بطلان مذهب القدرية الردية، من حديث خير البرية.

قوله: (**فأخبرني عن الإحسان**) الإحسان في اللغة: مصدر أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه وبغيره، تقول: أحسنت كذا؛ إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان؛ إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد بالحديث؛ لأن المقصود إتقان العبادة.

وإحسان العبادة: الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبُّس بها، ومراقبة المعبود ـ جل جلاله ـ.

ومقام الإحسان على حالين:

أحدهما: شهود الحق؛ فكأنه يراه، وهو المراد في الحديث.

ثانيهما: استحضار الحق، وأنه مطلع عليه مشاهد له، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: **٢١٨** و**٢١٩**].

قال النووي: «هذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم».

قلت: لأن مَن علم أن له حافظاً رقيباً عليه، شاهداً بحركاته وسكناته،

مطلعاً على سره وعلانيته ـ لا سيما ربُّه ومولاه ـ، فإنه لا يسيئ الأدب معه طرفة عين، ولا فلتة خاطر، استحياءً منه واحتراماً.

قوله: **(فأخبرني عن الساعة)**؛ أي: متى تقوم الساعة؟ والمراد: يوم القيامة.

والساعة في أصل الوضع: مقدار من الزمن غير محدود ولا معين، وفي عرف المشتغلين بالحساب وتقدير الزمن: جزء من أربعة وعشرين جزءاً من أجزاء اليوم.

قوله: **(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)**: **(ما)** نافية؛ أي: لست أنا ـ محمد ﷺ ـ أعلم منك يا جبريل بعلم القيامة، والضمير في **(عنها)** راجع إلى الساعة، والمراد: متى وقتها؟ وهذا مُشْعِر بالتساوي والاشتراك في العلم؛ وهو عدم علم وقتها، وفيه إشارة إلى أن الله استأثر بعلمها، ولا يجلِّيها لوقتها إلا هو سبحانه.

وعدل ﷺ عن قول: **(لست بأعلم بها منك)** إلى لفظ يُشعِر بالتعميم، فقال: **(مَن السائل)**؛ تعريضاً للسامعين؛ أي: أن كل مسؤول وكل سائل كذلك.

قوله: **(فأخبرني عن أماراتها)**: جمع أمارة، أو أمار ـ بإثبات الهاء وحذفها ـ؛ وهي العلامة، يعني: علاماتها الدالة على قربها؛ وهي: أشراطها.

قوله: **(أن تلد الأمة ربتها)**: الأمة: هي الجارية المستولدة، وهنَّ السراري، و«**ربتها**»: تأنيث رب؛ وهو: المالك والسيد والمُدبر والمربي والقيّم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ـ تعالى ـ، وإذا أطلق على غيره أضيف، وفي رواية: «**ربها**»، وفي أخرى: «**بعلها**»[1]، والمراد ببعلها: مالكها وسيدها.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٠٣/١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل=

واختلف في قوله ﷺ هذا على أقوال:

أحدها: أن يستولي المسلمون على بلاد الكفار، والنعمة تظهر في الناس؛ فيكثر التسري، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه.

ثانيها: أن يبيع السادة أمهات أولادهم، ويكثر ذلك؛ فتتداول الأمهات المستولدة، فربما يشتريها ولدها - أو بنتها - ولا يشعر بذلك، فيصير ولدها ربها.

ثالثها: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أُمَّه معاملة السيد أَمَته من الإهانة، والسب، والضرب، والاستخدام.

وهذا أوجه الأوجه وأرجحها عندي؛ لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد: حالة تكون - مع كونها تدل على فساد الأحوال - مستغربة، ويشهد لذلك أمور:

الأول: قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**المرأة**» مكان «**الأمة**».

الثاني: دلّت أحاديث أُخَر ترقى بمجموعها إلى درجة الاحتجاج بأن من أشراط الساعة أن يكون الولد عنيفاً عنيداً.

الثالث: وهو أصرحها؛ فقد أخرج الطبراني في «الدعاء» **(٣/١٤٢٥/١٣٣٩)** من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: كان من دعائه ﷺ: «**اللَّهم! إني أعوذ بك من جار السوء، ومن زوج تشيبني قبل المشيب، ومن ولد يكون علي ربًّا، ومن مال يكون عليّ عذاباً، ومن خليل ماكر عينه تراني، وقلبه يرعاني؛ إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها**».

قوله: **(وأن ترى الحفاة العراة العالة** - رعاء الشاء - **يتطاولون في البنيان)**:

الحفاة: جمع حافٍ؛ وهو: الذي لا يلبس في رجله شيئاً.

= السنَّة والجماعة» (١/٥٥، ٨٨) بإسناد صحيح، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٤١).

والعراة: جمع عارٍ؛ وهو: الذي لا يلبس على جسده ثوباً.

والعالة ـ بتخفيف اللام ـ: جمع عائل؛ وهو: الفقير.

ورعاء الشاء ـ بكسر الراء، آخره همزة ـ: جمع راع؛ وهم: الرُّعاة ـ بضم الراء ـ، وأصل الرعي: الحفظ، والشاء: جمع شاة، وخصّ رعاء الشاء بالذكر؛ لأنهم أضعف أهل البادية.

قوله: **(يتطاولون في البنيان)**؛ أي: يتنافسون ويتفاخرون في ارتفاعه وطوله وكثرته، ويتباهون في حسنه وزينته، من تَطَاوَل الرجل؛ إذا تكبّر، والمعنى: من علامات قرب يوم القيامة: أن ترى أهل البادية ممن ليس لهم لباس ولا نعل، بل كانوا رعاء الإبل والشاء يتوطّنون البلاد، ويتخذون العقار، ويبنون الدور والقصور المرتفعة، وهذا يدل على تغيير الحال، وفساد الزمان.

قال علي القاري: «معناه: أن أهل البادية ـ وأشباههم من أهل الفاقة ـ تبسط لهم الدنيا مِلْكاً ـ أو مُلْكاً ـ، فيتوطنون البلاد، ويبنون القصور المرتفعة ويتباهون فيها؛ فهو إشارة إلى تغلُّب الأراذل، وتذلُّل الأشراف، وتولي الرئاسة مَن لا يستحقها، وتعاطي السياسة مَن لا يحسنها...»(١).

وحاصل الكلام: أن انقلاب الدنيا من النظام يؤذن بأن لا يتناسب فيها المقام، فلا عيش إلا عيش الآخرة عند العقلاء الكرام، فهنيئاً لمَن جعل الدنيا كساعة واشتغل فيها بالطاعة قياماً بأمر الحبيب؛ فإن كل ما هو آت قريب، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ١، ٢].

قوله: **(فلبثت ملياً)**: مكثت وانتظرت وقتاً طويلاً بعد انصرافه، وفي رواية: «فلبثت ثلاثاً»، وعلى هذه الرواية يكون عمر هو الذي أخبر بذلك

---

(١) «المرقاة» (١/١٣٠).

عن نفسه، وفي رواية: «فلبث ملياً» يعني النبي ﷺ، وكلاهما صحيح المعنى.

ظاهر قول عمر - رضي الله عنه - هذا مخالف لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الآتي بعده مباشرة، وفيه: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ردُّوا عليَّ الرجل**»، فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال النبي ﷺ: «**هذا جبريل**».

فيحتمل الجمع بينهما: أن عمر - رضي الله عنه - لم يحضر قولَ النبي ﷺ لهم في الحال، بل كان قد قام من المجلس؛ إما مع الذين تواجهوا في طلب الرجل، أو لشغل آخر، ولم يرجع مع مَن رجع لعارض عرض له، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال، وأخبر عمرَ - رضي الله عنه - بعد ثلاث؛ إذ لم يكن حاضراً وقت إخبار الباقين، ويدل عليه: قوله: «**فلقيني**»، وقوله: «**فقال لي: يا عمر!**» فوجّه الخطاب له وحده، بخلاف إخباره الأول[1].

فقه الحديث

• (من المقدمة):

١ - أن المعيار في فهم الكتاب والسنة: هو فهم السلف الصالح من الصحابة - رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فلذلك هُرِعَ التابعون عند ظهور هذه البدعة الطارئة عليهم في الدين إلى أصحاب النبي ﷺ؛ لأنهم الذين أمرنا بالاقتداء بهم، ولما عندهم في ذلك عن النبي ﷺ من علم وخبر، وقد قال الله - تعالى -: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

والشاهد على ذلك:

قوله: (**لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ**)؛ فهذا فيه دليل على

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/١٦٠)، و«الفتح» (١/١٧٠).

حجيَّة المنهج السلفي، وأنه الفصل والحكم في أمور الدين كلها، وأن الرجوع إليه لا بد منه لفهم الدين الفهمَ الصحيح، وأنه الميزان عند الاختلاف؛ ألا ترى أن يحيى بن يعمر وحميداً الحميري خصّا أصحاب رسول الله ﷺ من بين سائر أهل العلم دونهم، مع كثرتهم وانتشارهم؛ بل إنهما سافرا السفر البعيد لأجله، ويؤيده: أن أبا الأسود الديلي لما كذب مقالة القدرية احتج عليهم بعمل الصحابة ومنهجهم، فقال: ما رأينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا يُثبت القدر.

وأنا أعتقد أن هذا الفهم هو الثمرة الطبيعية للتربية الربانية الصحيحة التي تلقاها هؤلاء التابعون من صحابة رسول الله ﷺ.

٢ ـ أن العلم ـ والاجتهاد فيه والبحث عن خفاياه ـ إن لم يكن على سنة؛ لم يوفق صاحبه للخير، كمثل (معبد) وأصحابه، و(الخوارج) وأفراخهم.

ولذلك صح عن جماعة من السلف الصالح قولهم: «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة».

٣ ـ أن سبب ضلال الفرق ليس هو عدم الإخلاص عندهم؛ بل لعدم موافقتهم للسنة، وإن كانوا ـ فيما يظهر لنا ـ مخلصين، وقد يكون للأمرين معاً.

٤ ـ جواز مذاكرة العلم في الطريق ـ وإن كرهه بعض العلماء ـ؛ لفعل عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ومن معه.

وفي «صحيح البخاري»، في (كتاب العلم): (باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها)، و(باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار).

٥ ـ أن القول في القدر بدعة محدثة.

٦ ـ إنكار السلف الصالح لهذه المحدثة أول ظهورها.

٧ ـ معرفة السلف مناهج المبتدعة وشبهاتهم سهّل عليهم تفنيدها وردَّها.

٨ ـ كان الذي تولى كبر هذه البدعة المنكرة معبد الجهني البصري:

قال أبو حاتم الرازي: «كان أول مَن تكلم في القدر بالبصرة، كان رأساً في القدر، قدم المدينة؛ فأفسد فيها ناساً»[(١)].

وكان معبد يجالس الحسن البصري في أول أمره، فلما قال بالقدر ودعا إلى بدعته حذّر منه الحسن البصري وسائر التابعين وتبرؤوا منه.

قال الحسن: «لا تجالسوا معبداً؛ فإنه ضال مُضِل»[(٢)].

وقال طاوس: «احذروا معبد الجهني؛ فإنه كان قدرياً»[(٣)].

وقيل: أن معبد تلقف هذا الإفك المبين من رجل نصراني يقال له: (سوسن) كان أسلم ثم تنصّر.

قال الأوزاعي: «أول مَن نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن) وكان نصرانياً، فأسلم، ثم تنصّر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد»[(٤)].

وهناك محاولة سابقة تدل على أن أصل هذه البدعة الخبيثة من النصارى، فقد أخرج أبو داود في «كتاب القدر» كما في «شفاء العليل» (ص٨٤)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (**٢٥٧**)، وعبدالله بن أحمد في «السنّة» (**٩٢٩**)، والفريابي في «القدر» (**٥٤** و**٥٥**)، والآجري في «الشريعة» (**٤١٧**)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة» (**١١٩٧**، **١١٩٩**)، والأصبهاني في «الحجة» (**٢/٦١**) بإسناد حسن إن شاء الله عن عبدالله بن الحارث قال: خطب عمر بن الخطاب بالجابية، فحمد الله وأثنى

---

(١) «الجرح والتعديل» (١٢٨/٨).
(٢) «تهذيب الكمال» (٢٤٦/٢٨).
(٣) المصدر السابق (٢٤٧/٢٨).
(٤) المصدر نفسه (٢٤٥/٢٨ ـ ٢٤٦).

عليه، وعنده جاثليق[1] يترجم له ما يقول، فقال: مَن يهده الله؛ فلا مُضِل له، ومَن يُضلل؛ فلا هادي له، فنفض جبينه كالمنكر لما يقول، قال عمر: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، يزعم أن الله لا يُضل أحداً، قال عمر: كذبت أي عدو الله، بل الله ـ ﷻ ـ خلقك وقد أضلّك، ثم يُدخلك النار، أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك، إن الله ـ ﷻ ـ خلق أهل الجنة، وما هم عاملون، وخلق أهل النار، وما هم عاملون، فقال: هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه، قال: فتفرّق الناس وما يختلفون في القدر».

٩ ـ رد المناهج المنحرفة، والشبهات الغوية يكون بالكتاب والسنة وفهم السلف، وليس بالمعارضة العقلية بادىء بدء، وإنما يكون العقل في موضع الشاهد والمدد لا العكس.

١٠ ـ حامل العلم لا يكون متهماً، ولا مغموزاً إذا كان على الأثر؛ فإن معبداً وأصحابه وصفوا بالعلم، ولكنهم على سوء في الاعتقاد؛ فلهذا اتهموا وطعن بهم وهجروا. فالعلم الممدوح: هو ما كان صاحبه على الأثر.

لذا؛ فإن الإنسان قد يقرأ القرآن، ويحرص على طلب العلم، ويجتهد في ذلك؛ لكنه يضل ويزيغ ـ والعياذ بالله ـ، كهذا الرجل: معبد الجهني وزمرته، فإنهم كانوا يقرأون القرآن ويحرصون على العلم؛ ولكن ضلُّوا هذا الضلال المبين.

فلا بد من عاصم لهذا الفهم، وحافظ لهذا العلم؛ ألا وهو اتباع فهم الصحابة للقرآن والسنّة، والتمسُّك بهديهم ودلِّهم وغرزهم؛ فهم أعلم هذه الأمة بعد نبيهم، وأبرّهم قلوباً، وأعمقهم فهماً، وأقلهم تكلّفاً.

وحال هؤلاء القوم كحال الخوارج ـ تماماً ـ، فقد كانوا عباداً، زهّاداً، حفّاظاً للقرآن، وكانوا رهباناً بالليل وصوّاماً بالنهار، ومع ذلك ما أغنت عنهم عباداتهم من الله شيئاً، وضلُّوا ضلالاً مبيناً، وكان شرهم على المسلمين أعظم بكثير من شر اليهود والنصارى!

---

(١) رئيس النصارى في بلاد الإسلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية، ثم المطران، ثم الأسقف.

وفي هذا عبرة بالغة لكل مسلم عاقل: أن قوام الأمر كله وملاكه بالاتباع، وليس الابتداع، قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «اتبعوا، ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم»(١).

لذا؛ يجب على الإنسان أن يسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ دائماً الثبات على الحق، والوصول إلى الصواب.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

١١ ـ أنَّ للشيطان في إضلال الناس وإغوائهم طريقين:

فمَن كان منهم عنده تقصير وإعراض عن الطاعة؛ حسَّن له الشهوات، وقد قال ﷺ: «**حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات**»(٢)، ويقال لهذا: مرض الشهوة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وأمَّا مَن كان من أهل الطاعة والعبادة؛ أتاه الشيطان عن طريق الغلوِّ فيها وإلقاء الشبهات عليه، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ تلا هذه الآية، فقال: «**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذروهم**»(٣)، ويقال لهذا: مرض الشبهة، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]،

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (١٣٥)، ومن طريقه أحمد في «الزهد» (ص٢٠٢)، والدارمي في «مقدمة سننه» (٦٩/١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤/٩)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (٢٠٤)، واللالكائي (١٠٤)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٠) من طرق عنه هو بها صحيح.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، مسلم (٢٦٦٥).

وهؤلاء الذين سُئل عنهم ابن عمر وصفهم يحيى بن يعمر بأنَّهم أهل عبادة، فقال: «إنَّه ظهر قِبَلنا ناسٌ يقرؤون القرآن ويتقفَّرون العلم، وذكر من شأنهم»، وهؤلاء وأمثالهم من أهل البدع يأتيهم الشيطان لإغوائهم وإضلالهم عن طريق الشبهات.

١٢ ـ جَمْعُ المفتي بين ذكر الحكم ودليله؛ فإنَّ عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ذكر رأيه في هؤلاء وبراءته منهم، ثم ساق مستدلًّا على ذلك حديث جبريل، المشتمل على أنَّ من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر.

١٣ ـ أنَّه يُستحبُّ للحُجَّاج والمعتمرين: أن يستغلُّوا مناسبة ذهابهم إلى الحرمين للتفقُّه في الدِّين، والرجوع إلى أهل العلم في معرفة ما يُشكل عليهم من أحكام دينهم؛ كما حصل من يحيى بن يَعْمَر وحُميد بن عبدالرحمٰن الحميري في هذه القصة، ومن النتائج الطيِّبة التي يظفر بها مَن وفَّقه الله: تفقهُه في الدِّين، والسلامةُ من الوقوع في الشرِّ؛ كما في حديث يزيد الفقير؛ قال: كنتُ قد شَغَفَنِي رأيٌ من رأي الخوارج، فخرجنا في عِصابةٍ ذوي عدد نريد أن نحجَّ، ثمَّ نخرجَ على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبدالله يُحدِّث القومَ ـ جالسٌ إلى ساريةٍ ـ عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنَّميِّين، قال: فقلتُ له: يا صاحب رسول الله! ما هذا الذي تُحدِّثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فما هذا الذي تقولون؟! قال: فقال: أتقرأُ القرآنَ؟ قلت: نعم! قال: فهل سمعت بمقام محمد ـ عليه السلام ـ؛ يعني الذي يبعثه فيه؟ قلت: نعم! قال: فإنَّه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به مَن يخرج. قال: ثمَّ نعت وضعَ الصِّراط ومرَّ الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك. قال: غير أنَّه قد زعم أنَّ قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني: فيخرجون كأنَّهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنَّة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنَّهم القراطيس.

فرجعنا، قلنا: وَيْحَكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟! فرجعنا، فلا ـ والله! ـ ما خرج منَّا غير رجل واحد[1].

فهذه العصابة جاؤوا إلى الحجِّ وقد ابتُلوا بفهم فاسد ورأي كاسد؛ وهو: أنَّ أصحابَ الكبائر لا يخرجون من النار! وحملوا الآيات التي وردت في الكفَّار على المسلمين ـ أيضاً ـ! وهذا من عقيدة الخوارج، وقد أرادت هذه العصابة أن تظهر على الناس بهذه العقيدة الباطلة بعد الحج، لكن في هذه الرحلة الميمونة وفَّقهم الله للالتقاء بجابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ، فأوضح لهم فساد فهمهم وخطأ رأيهم، فعدلوا عمَّا كانوا عزموا عليه، ولم يخرج منهم بهذا الباطل إلَّا واحد منهم.

١٤ ـ بيان أدب الجماعة في مشيهم مع فاضلهم وعالمهم؛ وهو: الاكتناف له، والاحتفاف به، وفي ذلك قرب كل واحد منهما منه؛ للتمكن من وعي ما يقوله ـ رضي الله عنه ـ، لا المشي أمامه ولا خلفه؛ لذم السلف الأمرين.

١٥ ـ ترك الإطراء والمبالغة في المدح للعلماء في حضرتهم.

١٦ ـ استحباب مخاطبة العالم ـ أو الفاضل ـ بكنيته، وهو من حسن الأدب في الخطاب.

١٧ ـ مراعاة حق الصاحب، وعدم سبقه إلى الحديث؛ إلا إذا فهم منه ما يشعر رضاه بذلك.

١٨ ـ أن التكذيب بالقدر محبط للأعمال يكفر فاعله؛ لأنه جحد ما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة.

وليس كل إحباط يكفر به المسلم.

١٩ ـ وجوب البراءة من أهل البدع والأهواء.

٢٠ ـ حسن الاعتذار عما يوهم التقصير.

٢١ ـ أن العمل الصالح له شرطان: **الأول**: الإخلاص، **والثاني**: المتابعة للرسول فيما جاء به.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١).

● **(ومن الحديث)**

١ ـ استحباب حضور مجالس العلم.

٢ ـ استحباب تحسين الثياب والهيئة لحضور مجالس العلم ولقاء العلماء؛ فإن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء معلماً للناس بحاله ومقاله:

٣ ـ ابتداء الداخل بالسلام على جميع مَن دخل عليه، وإقباله على رأس القوم؛ فإنه قال: السلام عليكم، فَعَمَّ، ثم قال: يا محمد! فخصَّ.

٤ ـ الاستئذان في القرب من الإمام مراراً، فإنه قال: أدنو يا محمد! مراراً.

٥ ـ استحباب جلسة التشهد التي فعلها جبريل في حق العالم والمتعلم، فإنها أقرب إلى التواضع، وأبلغ في الاستماع، وألزم للجواب.

ومن هذه الحالة استنبط العلماء المربون مقولتهم الذهبية: الأدب قبل الطلب.

٦ ـ الرفق بالسائل، وذلك بفسح المجال له ليجلس قريباً من المفتي، وتزول الرهبة منه والحياء.

٧ ـ جواز قول العالم للناس: سلوني؛ إن رأى أنهم يحتاجون ولا يسألون.

٨ ـ استحباب التصديق للعالم والمدرس بقوله: صدقت.

٩ ـ الاستسلام لحكم العالم والانقياد له، دون الاعتراض بالرأي والعقل.

١٠ ـ يستحب للطالب في حضرة العالم أن يكثر السؤال عمّا يحتاجه الناس مما لا يسألون عنه.

١١ ـ في قوله ﷺ: «**يعلمكم دينكم**»؛ دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً وتعليماً؛ لأن جبريل ـ عليه السلام ـ لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سمّاه النبي ﷺ: معلماً، ولذلك قيل: حسن السؤال نصف العلم.

١٢ ـ أن الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ ثلاث مراتب: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان.

١٣ ـ أن أعلى هذه المراتب وأغلاها: الإحسان.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وأما الإحسان؛ ففسره بنفوذ البصائر في الملكوت حتى يصير الخبر للبصيرة كالعيان، فهذه أعلى درجات الإيمان ومراتبه، ويتفاوت المؤمنون والمحسنون في تحقيق هذا المقام تفاوتاً كثيراً؛ بحسب تفاوتهم في قوة الإيمان والإحسان، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قيل: المراد: أن نهاية مقام الإحسان أن يعبد المؤمن ربه كأنه يراه بقلبه، فيكون مستحضراً ببصيرته وفكرته لهذا المقام، فإن عجز عنه وشقّ عليه؛ انتقل إلى مقام آخر: وهو أن يعبد الله على أن الله يراه ويطّلع على سرِّه وعلانيته، ولا يخفى عليه شيء من أمره...

فهذان مقامان؛ [**الأول**]: مقام المراقبة؛ وهو أن يستحضر العبد قرب الله منه واطّلاعه عليه، فيتخايل أنه لا يزال بين يدَي الله ـ تعالى ـ فيراقبه في حركاته وسكناته، وسرِّه وعلانيته؛ فهذا مقام المراقبين المخلصين، وهو أدنى مقام الإحسان.

[**والآخر**]: أن يشهد العبد بقلبه ذلك شهادة؛ فيصير كأنه يرى الله ويشاهده، وهذا نهاية مقام الإحسان، وهو مقام العارفين، ومَن وصل إلى هذا المقام؛ فقد وصل إلى نهاية الإحسان، وصار الإيمان لقلبه بمنزلة العيان؛ فعرف ربه، وأَنِس به في خلوته، وتنعّم بذكره ومناجاته ودعائه، حتى ربما استوحش من خلقه...

وقوله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**»: إشارة إلى أن العابد يتخيّل ذلك في عبادته؛ لا أنه يراه حقيقة ببصره، ولا بقلبه. وأما مَن زعم: أن القلوب تصل في الدنيا إلى رؤية الله عياناً كما تراه الأبصار في الآخرة ـ كما يزعم ذلك مَن يزعمه من الصوفية ـ؛ فهو زعم باطل.

وهؤلاء الصوفية يزعمون: أن رؤية القلب تصير حالاً ومقاماً دائماً ـ أو غالباً لهم ـ!! ومن هنا ينشأ تفضيل الأولياء على الأنبياء، ويتفرع على ذلك أنواع الضلالات والمحالات والجهالات، والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.

فهذه المقامات الثلاث ـ الإسلام، الإيمان، الإحسان ـ يشملها اسم الدِّين، فمَن استقام على الإسلام إلى موته؛ عصمه الإسلام من الخلود في النار، وإن دخلها بذنوبه، ومَن استقام على الإحسان إلى الموت؛ وصل إلى الله، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦](١).

١٤ ـ الإيمان والإسلام حقيقتان متباينتان لغةً وشرعاً، وهذا هو الأصل في الأسماء المختلفة، غير أنه قد توسّع الشرع فيهما، فأطلق اسم الإيمان على حقيقة الإسلام؛ كما في حديث وفد عبدالقيس، وحديث شعب الإيمان، وكذلك أطلق الإسلام على الإيمان والإسلام بمعنى التداخل؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذه الإطلاقات من باب التجوُّز والتوسُّع على عادة العرب في ذلك، وهذا إذا حُقِّق يريح من كثير من الإشكال الناشىء من ذلك الاستعمال..

١٥ ـ جواز قول: رمضان من غير إضافة اسم (شهر) إليه، وذلك من قوله ﷺ: «**وتصوم رمضان**»، وهذا هو الصحيح، ومَن كره ذلك ـ أو منعه ـ؛ لم يصب.

١٦ ـ استحباب قول العالم للمتعلم: صدقت وأصبت، وما في معناه من الثناء إذا أجاب بالحق.

١٧ ـ أن رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا ممتنعة، وذلك لقوله: «**كأنك تراه**».

١٨ ـ على العالم والمفتي إذا سئل عن شيء لا يعلمه أن يصرح ويقول: لا أعلم.

١٩ ـ أن قول: لا أعلم ليس منقصة من مرتبة العالِم، بل دليل على ورعه وتقواه؛ ونصف العلم لا أدري.

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١/٢١١ وما بعدها) مختصراً.

٢٠ ـ أن النبي ﷺ لا يعلم متى الساعة؛ فهو لا يعلم الغيب.

٢١ ـ أن القيامة لا تقوم إلا بمقدمات تدلّ عليها.

٢٢ ـ كراهة ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء وتشييده، وقد دلّ عليه قوله ﷺ عند البخاري: «**إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه؛ إلا في شيء يجعله في هذا التراب**»(١).

٢٣ ـ أن قيام الدين بالعلم؛ تعلماً، وعملاً، وتعليماً.

٢٤ ـ جواز اختبار العالم لبعض تلاميذه، وتنبيههم على ما لا يدركه إلا النبيه.

٢٥ ـ أن الملائكة قد تُرى في غير صورتها الحقيقية، مثل صورة الإنسان، وكذلك تسمع أصواتها، فقد مكّن الله ـ تعالى ـ الملائكة ـ عليهم السلام ـ من أن يتمثلوا فيما شاءوا من صور بني آدم؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]؛ على أحد القولين في تفسير هذه الآية.

٢٦ ـ أن النبي ﷺ كان أحياناً ـ أو نادراً ـ ما يخفى عليه جبريل عند التصور، فلا يعرفه.

٢٧ ـ قال القاضي: «وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه، على هذا الحديث وأقسامه الثلاث ألّفنا كتابنا الذي سميناه بـ«المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان»؛ إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاث»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٢) من حديث خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «إكمال المعلم» (١/٢٠٤ ـ ٢٠٥).

٢٨ ـ قال القرطبي: «هذا الحديث يصلح أن يقال له: أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة».

وقال الطيبي: «لهذه النكتة استفتح به البغوي كتابيه: «المصابيح» و«شرح السنة»؛ اقتداءً بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة؛ لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالاً».

وقال النووي: «وهذا الحديث يجمع أنواعاً من العلوم والمعارف والآداب واللطائف بل هو أصل الإسلام».

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: «وهو حديث عظيم جداً، يشمل على شرح الدين كله، ولهذا قال ﷺ في آخره: **«هذا جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم»** بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله ديناً».

● تعقبات واستدراكات:

١ ـ ذهب كثير من شرّاح «الصحيح» إلى القول بأن الإيمان هو التصديق!!

قال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني في كتابه «التحرير في شرح صحيح مسلم»؛ كما في «شرح صحيح مسلم» للنووي **(١/١٤٥ ـ ١٤٦)**، ونقله عنه صديق حسن خان في «السراج الوهّاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج» **(١/٣١ ـ ٣٢)**: «إن عني بالإيمان: التصديق؛ فلا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى».

وقد بيّنت خطأ ذلك في المقدمات.

٢ ـ ذهب الإمام النووي إلى أن الرجل الداخل وضع كفَّيه على فخذي نفسه.

قلت: فاته حديث أبي ذر وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عند النسائي، وفيه التصريح بأنه وضع كفَّيه على فخذي النبي ﷺ.

➤ فوائد زوائد:

١ ـ قال القاضي عياض: «ذكر أصحاب المقالات: أن ما حكي في الحديث هو مذهب القدرية... وهم القدرية المحض... وقد انقرضوا ولم يبقَ أحد منهم يُذكر.. وهو قول قوم من الرافضة والجهمية وحجتهم: أنه تعالى لو كان عالماً بتكذيبهم؛ لكان في إرسال الرسل إليهم عابثاً ـ تعالى الله عن قولهم.

فهذا هو أصل القدرية كما ذكر في الحديث... وهذا كله يبين أنه كان مذهبهم قديماً، وهكذا القدرية اليوم والمعتزلة تأبى هذا، وتنكره من مذهبهم، ولا شك أنه كان أصل مذهبهم كما ذكروا، وأخذوه من الفلاسفة الذين بنوا أكثر مذهبهم على منازعتهم في الإلهيات ومأخذهم، ولم يقل به المعتزلة، إذا عرفت عظم ما فيه، إذ كانت القدرية أولاً غير المعتزلة، وكان القدر هوى بذاته، والاعتزال هوى بذاته، وفي أصلين مفترقين، ثم قالت المعتزلة بعد ذلك بالقدر، ورجعت إليه وأطبقت طوائفها ـ على اختلافها ـ على القول به مع الاعتزال الذي أصله المنزلة بين المنزلتين، وسمُّوا هذا بالعدل، ثم أخذوا مذهب الفلاسفة في نفي الصفات، وأطبقوا على نفيها، فسمُّوا هذا ـ أيضاً ـ بالتوحيد؛ ليزيلوا عنهم اسم البدعة والشرك والمجوسية التي وسمهم بها صاحب الشريعة نبينا محمد ـ عليه السلام ـ وزعموا أن القدر المذموم هو ذلك، وبالحقيقة، فالقدرية التي وسمهم ـ عليه السلام ـ بما وسمهم، وأنهم مجوس هذه الأمة، هم معتزلة هذا الوقت وقدريته؛ لأنهم جعلوا أفعال العباد بين فاعِلَين، وأن الخير من الله، والشر من عبيده، فأدخلوا مع الله شركاء في قدرته، وضاهوا المجوس والثنوية في كفرهم، والقدرية الأولى داخلون في هذه الرذيلة، زائدون عليهم بتلك الأشنوعة»[(١)].

٢ ـ قال القرطبي: «مذهب السلف وأئمة الفتوى من الخلف: أن مَن صدّق بهذه الأمور تصديقاً جزماً لا ريب فيه، ولا تردد، ولا توقف، كان مؤمناً حقيقة، وسواء كان ذلك عن براهين ناصعة، أم عن اعتقادات جازمة.

(١) «إكمال المعلم» (١/١٩٩ ـ ٢٠١).

على هذا؛ انقرضت الأعصار الكريمة، وبهذا صرّحت فتاوى أئمة الهدى المستقيمة، حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة، فقالوا: إنه لا يصح الإيمان الشرعي إلا بعد الإحاطة بالبراهين العقلية والسمعية، وحصول العلم بنتائجها ومطالبها، ومَن لم يحصل إيمانه كذلك فليس بمؤمن، ولا يجزىء إيمانه بغير ذلك، وتبعهم على ذلك جماعة من متكلمي أصحابنا كالقاضي أبي بكر، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي المعالي في أول قولَيْه.

والأول هو الصحيح؛ إذ المطلوب من المكلفين ما يقال عليه: إيمان؛ كقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: ١٣] فمَن صدّق بذلك كله، ولم يجوِّز نقيض شيء من ذلك، فقد عمل بمقتضى ما أمره الله به على نحو ما أمره الله تعالى، ومَن كان كذلك فقد تفصّى عن عهدة الخطاب، إذ قد عمل بمقتضى السنّة والكتاب، ولأن رسول الله ﷺ وأصحابه حكموا بصحة إيمان كل مَن آمن وصدّق بما ذكرناه، ولم يفرقوا بين مَن آمن عن برهان أو عن غيره، ولأنهم لم يأمروا أجلاف العرب بترديد النظر، ولا سألوهم عن أدلة تصديقهم، ولا أرجؤوا إيمانهم حتى ينظروا، وتحاشوا إطلاق الكفر على أحد منهم، بل سمّوهم مؤمنين، والمسلمين، وأجروا عليهم أحكام الإيمان والإسلام، ولأن البراهين التي حرّرها المتكلمون، ورتّبها الجدليون، إنما أحدثها المتأخرون، ولم يخض في شيء من تلك الأساليب السلف الماضون، فمن المحال والهذيان أن يشترط في صحة الإيمان ما لم يكن معروفاً، ولا معمولاً به، لأهل ذلك الزمان، وهم مَن هم فهماً عن الله، وأخذاً عن رسول الله ﷺ وتبليغاً لشريعته، وبياناً لسنّته وطريقته»(١).

٣ ـ إن قال قائل: كيف نقول: الإيمان بالقدر خيره وشره، والقدر من الله، وقد قال النبي ﷺ: **«والشر ليس إليك»**؛ يعني: لا يضاف إليك ولا يُنسب إليك؟!

والجواب: أن الله ـ ﷻ ـ خالق الخير والشر جميعاً، لا يكون شيء

---

(١) «المفهم» (١/١٤٥ ـ ١٦٦).

منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه سبحانه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً، فالشر ليس في قضاء الله وقدره ـ الذي هو فعله ـ، ولكنه في مفعولاته، والمفعولات مخلوقات بائنة منفصلة عن الله.

وأيضاً: هذه المفعولات التي فيها الشر ليست شراً محضاً، وليست شراً عاماً؛ بل هي ـ بالنسبة لمَن أصيب بها ـ خير من وجه، وشر من وجه آخر، وبالنسبة لعامة الناس تكون خاصّة.

وتأمّل قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]؛ هذا عام، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ليذيقهم جزاء بعض الذي عملوا؛ لعلهم يرجعون، فرجوعهم إلى الله خير من الدنيا كلها، فصار في قضاء الله ـ تعالى ـ هذا في الفساد خير.

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «أما وصف القدر بالخير؛ فالأمر فيه ظاهر، وأما وصف القدر بالشر؛ فالمراد به: شر المقدور، لا شر القدر الذي هو فعل الله؛ فإن فعل الله ـ عز وجل ـ ليس فيه شر، كل أفعاله خير وحكمة؛ لكن الشر في مفعولاته ومقدوراته، فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل؛ فلا، ولهذا قال ﷺ: «**والشر ليس إليك**»[(١)].

وقال: «الشر في القدر ليس باعتبار تقدير الله له؛ لكنه باعتبار المقدور له؛ لأن لدينا قدراً ـ هو التقدير ـ ومقدوراً، كما أن هناك خلقاً ومخلوقاً، وإرادة ومراداً؛ فباعتبار تقدير الله له ليس بِشر، بل هو خير، حتى وإن كان لا يلائم الإنسان ويؤذيه ويضره، لكن باعتبار المقدور فنقول: المقدور إما خير وإما شر، فالقدر خيره وشره يراد به: المقدور خيره وشره»[(٢)].

٤ ـ قال الخطابي: «وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر: إجبار الله ـ سبحانه وتعالى ـ العبد وقهره على ما قدّره وقضاه!! وليس الأمر كما يتوهّمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدُّم علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما يكون من اكتساب العبد، وصدورها عن تقدير منه، وخَلْقٍ لها ـ خيرها وشرها ـ.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/٧٠).
(٢) المرجع السابق (٢/١٩١).

قال: والقدَر: اسم لما صدر مقدّراً عن فعل القادر. يقال: قدَرت الشيء، وقدّرته ـ بالتخفيف، والتثقيل ـ بمعنًى واحد، والقضاء في هذا معناه: الخلق؛ كقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]؛ أي: خلقهن»[١].

٥ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في «العقيدة الواسطية» (١٨٧/٢ ـ ٢٢٢): «وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السُّنَّة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: أن الله ـ تعالى ـ عليمٌ بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟! قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جَفّت الأقلام، وطويت الصحف؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا التقدير التابع لعلمه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ يكون في مواضع جملةً وتفصيلاً؛ فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات؛ فيقال له: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ونحو ذلك. فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة؛ وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماء وما

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠٣/١ ـ ١٠٤).

في الأرض ـ من حركة، ولا سكون ـ إلا بمشيئة الله ـ ﷻ ـ لا يكون في مُلكه ما لا يريد، وأنه ـ ﷻ ـ على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه؛ لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك: فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو ـ ﷻ ـ يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد: هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي، والصائم.

وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وقدرتهم، وإرادتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ و٢٩].

وهذه الدرجة من القدر يكذّب بها عامة القدرية، الذين سمّاهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها»(١).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «والإيمان بالقدر على درجتين:

إحداهما: الإيمانُ بأنَّ الله ـ تعالى ـ سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومَن هو منهم من أهل الجنَّة، ومن أهل النار، وأعدَّ لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنَّه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأنَّ أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

والدرجة الثانية: أنَّ الله ـ تعالى ـ خلق أفعال عباده كلَّها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وشاءها منهم، فهذه الدرجة يثبتها أهل السنَّة

---

(١) «العقيدة الواسطية» (٢/١٨٧ ـ ٢٢٢).

والجماعة، وينكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثيرٌ من القدرية، ونفاها غلاتهم؛ كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره.

وقد قال كثيرٌ من أئمَّة السلف: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقرّوا به خصموا، وإن جحدوه؛ فقد كفروا.

يريدون: أنَّ مَن أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأنَّ الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقيٍّ وسعيد، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ؛ فقد كذَّب بالقرآن؛ فيكفر بذلك، وإن أقرّوا بذلك، وأنكروا أنَّ الله خلق أفعال عباده وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية؛ فقد خصموا؛ لأنَّ ما أقرُّوا به حجَّة عليهم فيما أنكروه.

وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء، وأمَّا من أنكر العلم القديم؛ فنصَّ الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمَّة الإسلام»[1].

٦ ـ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

«فإنْ قيل: فقدْ فرّق النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث بين الإسلام والإيمانِ، وجعل الأعمالَ كلَّها من الإسلام لا من الإيمان، والمشهورُ عن السَّلف وأهل الحديث: أنَّ الإيمان قول وعمل ونيَّة، وأنَّ الأعمالَ كلَّها داخلة في مسمَّى الإيمانِ، وحكى الشَّافعيُّ على ذلك إجماعَ الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم ممَّن أدركهم.

وأنكر السَّلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممَّن أنكر ذلك على قائله وجعله قوْلاً محدثاً: سعيد بن جبيرٍ، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيُّوب السَّختيانيُّ، وإبراهيم النَّخعيُّ، والزُّهريُّ، ويحيى بن أبي كثيرٍ، وغيرهم.

وقال الثَّوريُّ: هو رأيٌ محدث، أدركنا النَّاس على غيره.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/١٠٣ ـ ١٠٤).

وقال الأوزاعيّ: كان من مضى ممّن سلف لا يفرّقون بين الإيمان والعمل.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أهل الأمصار: أمّا بعد؛ فإنّ للإيمان فرائض، وشرائع، [وحدوداً، وسنناً]، فمن استكملها؛ استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها؛ لم يستكمل الإيمان.

ذكره البخاري في «صحيحه».

قيل: الأمر على ما ذكرت، وقد دلّ على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وفي «الصّحيحين» عن ابن عبّاسٍ: أنّ النّبيّ ﷺ قال لوفد عبد القيس: **«آمركم بأربعٍ: الإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلّا الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس»**.

وفي «الصّحيحين» عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ؛ قال: «**الإيمان بضع وسبعون** ـ أو بضعٌ وستّون شعبة ـ، **فأفضلها: قول: لا إله إلّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطّريق، والحياء شعبة من الإيمان**» ـ ولفظه لمسلم ـ.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ؛ قال: «**لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السّارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**».

فلولا أنّ ترك هذه الكبائر من مسمّى الإيمان؛ لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيءٍ منها؛ لأنّ الاسم لا ينتفي إلاّ بانتفاء بعض أركان المسمّى، أو واجباته.

وأما وجه الجمع بين هذه النّصوص، وبين حديث سؤال جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإسلام والإيمان، وتفريق النّبيّ ﷺ بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمّى

الإسلام دون مسمّى الإيمان؛ فإنّه يتّضحُ بتقرير أصلٍ، وهو: أنّ من الأسماء ما يكونُ شاملاً لمسمّياتٍ متعدّدةٍ عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره؛ صار دالاًّ على بعض تلك المسمّيات، والاسم المقرون به دالٌّ على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما؛ دخل فيه كلّ من هو محتاجٌ، فإذا قرن أحدهما بالآخر؛ دلّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما؛ دخل فيه الآخر، ودلّ بانفراده على ما يدلّ عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما؛ دلّ أحدهما على بعض ما يدلّ عليه بانفراده، ودلّ الآخر على الباقي.

وقد صرّح بهذا المعنى جماعةٌ من الأئمة:

قال أبو بكر الإسماعيليّ في «رسالته إلى أهل الجبل»: قال كثيرٌ من أهل السّنّة والجماعة: إن الإيمان قولٌ وعملٌ، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كلّ اسم على حدته مضموماً إلى الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردَين، أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإذا ذكر أحد الإسمين؛ شمل الكلّ وعمّهم.

وقد ذكر هذا المعنى ـ أيضاً ـ الخطابيّ في كتابه «معالم السنن»، وتبعه عليه جماعةٌ من العلماء من بعده.

ويدلّ على صحّة ذلك: أنّ النّبيّ ﷺ فسّر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبدالقيس بما فسّر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسّر في حديثٍ آخر الإسلام بما فسّر به الإيمان؛ كما في «مسند الإمام أحمد» عن عمرو بن عبسة، قال: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: «**أن تسلم قلبك للّه، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**»، قال: فأيّ الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**»، قال: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت**»، قال: فأيّ الإيمان أفضل؟ قال: «**الهجرة**»، قال: فما الهجرة؟ قال: «**أن تهجر السّوء**»، قال: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: «**الجهاد**».

فجعل النّبيّ ﷺ الإيمان أفضل الإسلام، وأدخل فيه الأعمال.

وبهذا التّفصيل يظهر تحقيق القول في مسألة الإيمان والإسلام: هل هما واحدٌ، أو هما مختلفان؟

فإنّ أهل السّنّة والحديث مختلفون في ذلك، وصنّفوا في ذلك تصانيف متعدّدةً؛ فمنهم من يدّعي أنّ جمهور أهل السّنّة على أنّهما شيءٌ واحدٌ؛ منهم: محمّد بن نصرٍ المروزيّ، وابن عبدالبرّ.

ومنهم: من يحكي عن أهل السّنّة التّفريق بينهما؛ كأبي بكر بن السّمعانيّ وغيره، وقد نقل التفريق بينهما عن كثيرٍ من السّلف، منهم: قتادة، وداود بن أبي هند، وأبو جعفر الباقر، والزّهريّ، وحماد بن زيد، وابن مهديٍّ، وشريكٌ، وابن أبي ذئب، وأحمد بن حنبل، وأبو خيثمة، ويحيى بن معينٍ، وغيرهم، على اختلافٍ بينهم في صفة التّفريق بينهما.

وكان الحسن وابن سيرين يقولان: «مسلمٌ» ويهابان «مؤمنٌ».

وبهذا التّفصيل الّذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال: إذا أفرد كلٌّ من الإسلام والإيمان بالذّكر؛ فلا فرق بينهما حينئذٍ، وإن قرن بين الاسمين؛ كان بينهما فرقٌ.

والتّحقيق في الفرق بينهما: أنّ الإيمان هو تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته.

والإسلام: هو استسلام العبد للّه، وخضوعه، وانقياده له، وذلك يكون بالعمل، وهو الدّين؛ كما سمّى الله في كتابه الإسلام ديناً، وفي حديث جبريل سمّى النّبيّ ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان ديناً، وهذا ـ أيضاً ـ ممّا يدلّ على أنّ أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر، وإنّما يفرّق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر، فيكون حينئذٍ المراد بالإيمان: جنس تصديق القلب، وبالإسلام: جنس العمل[1].



(١) «جامع العلوم والحكم» (١/٧٧ ـ ٨١).

٢ ـ (...) حدّثني مُحَمَّدُ بنُ عُبَيد الغُبَرِيُّ، وَأَبُو كَامِلٍ الجَحدَرِيُّ، وَأحمَدُ بنُ عَبْدَةَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيى بنِ يَعْمَرَ؛ قَالَ:

لَمَّا تَكَلّمَ مَعْبَدٌ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ فِي شَأْنِ الْقَدَرِ أَنْكَرْنَا ذَلِكَ. قَالَ: فَحَجَجْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الْحِمْيَرِيُّ حَجَّةً... وَسَاقُوا الْحَدِيثَ، بِمَعْنَى حَدِيث كَهْمَسٍ وَإِسْنَادِهِ، وَفِيهِ بَعْضُ زِيَادَةٍ، وَنُقْصَانُ أَحْرُفٍ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ اختصار مسلم للأسانيد.

٢ ـ تنبيهه على الزيادة والنقص في الروايات.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(وساقوا الحديث)**: الضمير لشيوخه الثلاثة: محمد بن عبيد، وأبي كامل، وأحمد بن عبدة.

قوله: **(بمعنى حديث كهمس)**: أي: حديثهم موافق لمعنى حديثه، لا للفظه، فإن فيه مخالفة كما في قوله: «وفيه بعض الزيادة».

قوله: **(وإسناده)**: أي: إسناد كهمس، وهو عن ابن بريدة.

قوله: **(وفيه بعض الزيادة)**: أي: في حديثهم زيادة على حديث كهمس.

قوله: **(ونقصان أحرف)**: أي: فيه إسقاط بعض جمل من حديث كهمس.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ جزم الرواة بأن يحيى وحميد بن عبدالرحمٰن قد حجّا، دون شك؛ كما في الرواية السابقة.

وهو ما قررناه سابقاً، وتدل عليه وتوضحه رواية ابن منده:

● **تنبيه لكل نبيه:**

ذكر ابن منده ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كتاب «الإيمان» (**١٤٣/١ ـ ١٤٤**) ما قاله الإمام مسلم، ولفظه: وروى هذا الحديث مطر الوراق، عن عبدالله بن بريدة، فزاد فيه وقدّم، وأخّر بعض الحديث، ثم أخرجه من طريق سليمان بن حرب، ومسدد عن حماد بن زيد، عن مطر الورّاق، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، قال: لما تكلّم معبد الجهني بما تكلّم فيه بالبصرة من القدر، حججت أنا وحميد بن عبدالرحمٰن، فلما قضينا حجَّنا قلت: لو ملنا إلى المدينة، فلقينا مَن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناهم عما جاء به معبد الجهني، فذهبنا ونحن نؤم عبدالله بن عمر، وأبا سعيد الخدري، فلما دخلنا إذا نحن بابن عمر قاعد، فاكتنفناه، فقدّمني حميد للمنطق، وكنت أجرأ على المنطق منه، فقلت: يا أبا عبدالرحمٰن إن قوماً نشؤوا قبلنا بالعراق، قرأوا القرآن، وتفقهوا في الإسلام، يقولون: لا قدر، قال: فأبلغهم أن عبدالله بن عمر بريء منهم، وأنهم منهم براء، والله لو أن لأحدهم جبال الأرض ذهباً، فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

أخبرني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن آدم وموسى ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ اختصما إلى الله في ذلك؛ فقال له موسى: أنت آدم الذي أشقيت الناس، وأخرجتهم من الجنة، فقال له: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليك التوراة، فهل وجدته قدّره عليّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، قال: فحجّ آدم موسى.

قال: وحدثني عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ دخل عليه رجل، هيأته هيئة مسافر، وثيابه ثياب مقيم، أو ثيابه ثياب مقيم، وهيأته هيئة مسافر، فقال: يا رسول الله، أدنو منك؟ فقال: «**نعم**»، فأقبل حتى وضع يديه على ركبتيه، فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**تسلم وجهك** ـ يعني للّه ـ **وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان**» وذكر عرى الإسلام، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟

قال: «**نعم**» قال: صدقت، قال: قلنا: انظروا كيف يسأله؟ وانظروا كيف يصدقه؟ قال: يا رسول الله فما الإحسان؟ قال: «**أن تخشى الله كأنك تراه، فإلا تكن تراه؛ فإنه يراك**»، قال: صدقت، قلنا: انظروا كيف يسأله؟ وكيف يصدقه؟ قال: يا رسول الله فما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته، ورسله، وبالبعث بعد الموت، وبالقدر كله**»، قال: صدقت، قلنا: انظروا كيف يسأله؟ وانظروا كيف يصدقه؟

قال: وحدثني شهر بن حوشب عن أبي هريرة؛ أنه قال: يا رسول الله، فمتى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: صدقت صدقت صدقت، ثم ذهب، فقال رسول الله ﷺ: «**عليّ بالرجل**» فنُظِر، فلم يوجد، فقال رسول الله ﷺ: «**جبريل جاء يعلّم الناس دينهم**».

قال ابن منده: أخرجه مسلم بن الحجاج، عن أبي كامل الجحدري، ثنا محمد بن محمد بن يوسف، ثنا محمد بن نصر، ثنا أبو كامل، وقال نحو حديث كهمس، وألفاظها متقاربة، وهذا خلاف حديث كهمس، واختلف أصحاب حماد عليه في اللفظ، وجعل آخر الحديث عن شهر بن حوشب، وتَرْكُه أولى، وإن كان مطر محله الصدق.

قلت: يشير الإمام ابن منده إلى شذوذ رواية مطر؛ لمخالفته رواية كهمس؛ لأن كهمس أوثق وأتقن منه، ولذلك تقدم روايته.

وهذا ما أشار إليه الإمام مسلم حيث ساق إسناد مطر متابعة في أصل الرواية، وأشار إلى الخلاف المذكور، ورجّح رواية كهمس.

ويكون معنى قول الإمام مسلم: «وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف» أن مطراً غير مصيب في الزيادة والنقص، وأن ذلك يوجب ضعف روايته، والله أعلم.



٣ ـ (...) وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطّانُ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ غِيَاثٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ؛ قَالاَ:

لَقِينَا عَبْدَالله بْنَ عُمَرَ، فَذَكَرْنَا الْقَدَرَ وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ... فَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِهِمْ عَنْ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ زِيَادَةٍ، وَقَدْ نَقَصَ مِنْهُ شَيْئاً.

❊ غريب الحديث:

قوله: **(عن يحيى بن يعمر، وحميد بن عبدالرحمٰن)**؛ دلّ على أن عبدالله بن بريدة يروي عن يحيى وحميد كليهما.

قال الحافظ: «وحميد له في الرواية المشهورة ذكر لا رواية»(١).

قوله: **(فذكرنا القدر)**؛ أي: ذكرت أنا وحميد لابن عمر القدر، وسألناه عن حكم الإيمان به.

قوله: **(وما يقولون فيه)**؛ أي: ذكرنا مقالة معبد وأصحابه من القدرية من نفي علم الله تعالى.

قوله: **(فاقتص الحديث)** وهذا قول الإمام مسلم، والضمير راجع لشيخه محمد بن حاتم؛ أي: رواه على وجهه.

قوله: **(كنحو حديثهم)**؛ أي: كحديث مشايخه الخمسة المتقدمين، وهم: أبو خيثمة زهير بن حرب، وعبيدالله بن معاذ العنبري، ومحمد بن عبيد الغبري، وأبو كامل الجحدري، وأحمد بن عبده.

قوله: **(عن عمر)**؛ أي: عن مسند عمر بن الخطاب لا عن مسند ابنه عبدالله.

قوله: **(وفيه شيء من زيادة، وقد نقص منه شيئاً)**؛ أشار إلى أن رواية

---

(١) «فتح الباري» (١٤٢/١).

شيخه محمد بن حاتم وإن وافقت رواية المشايخ في المعنى؛ إلا أن فيها زيادة في اللفظ، وينقص بعضاً.

وهذه الرواية أخرجها ابن منده في «الإيمان» **(١٣٨/١ ـ ١٣٩)** من طريق مسدد بن سرهد، ثنا يحيى بن القطان، ثنا عثمان بن غياث، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، وحميد بن عبدالرحمٰن قال: لقينا عبدالله بن عمر، فذكرنا له شأن القدر، وما يقولون فيه، فقال: إذا رجعتم إليهم، فقولوا لهم: إن ابن عمر منكم بريء، وأنتم منه براء، ثلاث مرات، ثم قال: أخبرني عمر بن الخطاب: أنهم بينما هم جلوس عند النبي ﷺ جاء رجل حسن الوجه، حسن الشعر، عليه ثياب بيض، فنظر القوم بعضهم إلى بعض، فقالوا: ما نعرف هذا، ما هذا صاحب سفر، ثم قال: يا رسول الله أسألك؟ قال: «**نعم**»، قال: فوضع ركبتيه عند ركبتيه، ويديه على فخذيه، فقال: ما الإسلام؟ فقال: «**الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**»، قال: فما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته، والجنة والنار، والبعث بعد الموت، والقدر كله**»، قال: فما الإحسان؟ قال: «**تعمل للّه كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فمتى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فما أشراطها؟ قال: «**إذا العراة الحفاة العالة يتطاولون في البنيان، وولدت الإماء أربابها**»، ثم قال: «**عليّ بالرجل**» فطلبوه، فلم يروا شيئاً، فلبثت يوماً أو ثلاثاً، ثم قال: «**يا ابن الخطاب أتدري مَن السائل عن كذا وكذا؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذاك جبريل جاء يعلّمكم دينكم**».

قال: وسأله رجل من جهينة، أو مزينة، فقال: يا رسول الله فيمَ العمل؟ في أمر قد خلا، أو مضى، أو شيء مستأنف؟ قال: «**في شيء قد خلا أو مضى**»، فقال رجل، أو بعض القوم: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: «**إن أهل الجنة ميسّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسّرون لعمل أهل النار**».



٤ ـ (...) وحدّثني حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَن أَبِيهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ، عَن النَّبِيِّ ﷺ... بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

➢فوائد الإسناد:

ـ فرّق أهل الصناعة الحديثية بين قول المحدّث عند الإحالة إلى المتون: «نحوه» أو «مثله» أو «بنحوه» أو «بمثله».

فالغالب عند قولهم: «مثله» أو «بمثله» إذا اتفقا في اللفظ، و«نحوه» و«بنحوه» إذا كان بمعناه.

واعلم أن هذا التفريق ليس بمضطرد، ولكنه على الغالب، والله أعلم.

ـ وهذه الرواية أخرجها ابن منده في كتاب «الإيمان» **(١/١٤٣ ـ ١٤٤)** ولفظه من طريق يونس بن محمد المؤدب، عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن يحيى بن يعمر قال:

كان رجل من جهينة فيه زهو، وكان يتوثب على جيرانه، ثم إنه قرأ القرآن، وفرض الفرائض، وقصّ على الناس، ثم إنه صار من أمره أنه زعم: أن العمل أنف، من شاء عمل خيراً، ومن شاء عمل شرًّا، قال: فلقيت أبا الأسود الديلي، فذكرت ذلك له، فقال: كذب ما رأينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا يثبت القدر، ثم إني حججت أنا وحميد بن عبدالرحمٰن الحميري، فلما قضينا حجَّنا، قال: قلنا: نأتي المدينة فنلقى أصحاب رسول الله ﷺ فنسألهم عن القدر، قال: فلما أتيت المدينة لقينا إنساناً من الأنصار فلم نسأله، قلنا: حتى نلقى ابن عمر وأبا سعيد الخدري، قال: فلقينا ابن عمر كفه عن كفه، قال: فقمت عن يمينه وقام عن شماله، قال: قلت: تسأله أم أسأله؟ قال: لا بل تسأله، لأني كنت أبسط لساناً منه، قال: قلنا: يا أبا عبدالرحمٰن إن ناساً عندنا بالعراق قد قرؤوا القرآن، وفرضوا الفرائض، وقصُّوا على الناس؛ يزعمون: أن العمل أنف، من شاء عمل خيراً، ومن شاء عمل شرًّا، قال: فإذا لقيتم أولئك، فقولوا: يقول ابن

عمر: هو منكم بريء، وأنتم منه براء، ابن عمر منكم بريء وأنتم منه براء، فوالله لو جاء أحدهم من العمل مثل أحد ما تقبل منه حتى يؤمن بالقدر، ولقد حدثني عمر عن رسول الله ﷺ: أن موسى لقي آدم عليه السلام، فقال: «**يا آدم أنت خلقك الله بيده، وأسجد لك الملائكة، وأسكنك الجنة، فوالله لولا ما فعلت ما دخل أحد من ذريتك النار**، قال: فقال: **يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومني فيما قد كان كُتب عليّ قبل أن أُخلق**، فاحتجّا إلى الله - عز وجل - فحجّ آدم موسى عليه السلام، فاحتجّا إلى الله - عز وجل - فحجّ آدم موسى عليه السلام».

لقد حدثني عُمَرُ: أن رجلاً في آخر عُمْرِ رسول الله ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أدنو منك؟ قال: «**نعم**» قال: فجاء حتى وضع يده على ركبته، فقال: ما الإسلام؟ قال: «**تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: «**نعم**» قال: صدقت، قال: فجعل الناس يتعجبون منه ويقولون: انظروا يسأله ثم يصدقه، قال: فما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه؛ فإنه يراك**»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت؟ قال: «**نعم**»، قال: صدقت، قال: فجعل الناس يتعجبون ويقولون: انظروا إليه يسأله ويصدقه، قال: فما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والنبيين، والكتاب، والجنة والنار، والبعث بعد الموت، والقدر كله**»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «**نعم**»، قال: صدقت، قال: فجعل القوم يتعجبون يقولون: انظروا كيف يسأله ثم يصدقه، قال: فمتى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول أعلم بها من السائل**»، قال: فما أعلامها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة الصم البكم ملوكاً يتطاولون في البنيان**»، ثم انصرف فلقي رسول الله ﷺ عمر بعد ذلك، فقال: «**أتدري مَن الرجل الذي أتاكم؟**»، قال: «**فإنه جبريل - عليه السلام - أتاكم يعلّمكم دينكم**».

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» **(٣٩٩/١)** وابن منده - أيضاً - واللفظ له من طريق آخر عن يونس بن محمد، عن المعتمر، عن

يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر: إن أقواماً يزعمون أن ليس قدر، قال: هل عندنا منهم أحد؟ قلت: لا، قال: فأبلغهم عني إذا لقيتهم: إن ابن عمر يبرأ إلى الله منكم، وأنتم براء منه، حدثنا عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ في أناس، إذ جاء رجل ليس عليه سحناء سفر، وليس من أهل البلد، فتخطى حتى وَرَكَ بين يدَي رسول الله ﷺ؛ كما يجلس الرجل في الصلاة، ثم وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج، وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وتُتِم الوضوء، وتصوم رمضان**»، قال: فإن فعلت هذا فأنا مسلم؟ قال: «**نعم**»، قال: صدقت، قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال: «**نعم**»، قال: صدقت، قال: يا محمد ما الإحسان؟ قال: «**أن تعمل لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: فإذا فعلت هذا فأنا محسن؟ قال: «**نعم**»، قال: صدقت، قال: فمتى الساعة؟ قال: «**سبحان الله ما المسؤول بأعلم من السائل**»، قال: «**إن شئت أنبأتك بأشراطها**» قال: أجل، قال: «**إذا رأيت العالة الحفاة العراة يتطاولون في البناء، وكانوا ملوكاً**» قالوا: ما العالة الحفاة العراة؟ قال: «**العُرَيْب**» «**وإذا رأيت الأمة تلد ربتها، فذلك من أشراط الساعة**» قال: صدقت.

ثم نهض فولّى، قال رسول الله ﷺ: «**عليّ بالرجل**» فطلبناه، فلم نقدر عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون مَن هذا؟ هذا جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم فخذوا عنه، فوالذي نفسي بيده ما شبه عليّ منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتى ولّى**».

قال ابن حبان: تفرد سليمان بقوله: «**خذوا عنه**» وبقوله: «**تعتمر، وتغتسل، وتتم الوضوء**».

وقال ابن منده: هكذا حدّث به يونس بن محمد المؤدب بلفظين مختلفين، وفي كل واحد من الخبرين ألفاظ ليست في الآخر من الزيادات، وعلى هذا روى عنه حجاج الشاعر، كما رواه ابن المنادي، فأما الخبر الأول فوافقه محمد بن أبي يعقوب الكرماني، وهو أحد الثقات، ممن روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في «الجامع» واعتمده ووثقه، وأما الخبر الثاني فرواه يوسف بن واضح الهاشمي البصري وغيره، عن المعتمر بن سليمان، من نحو رواية يونس بن محمد، وذكر فيه الزيادات التي ذكرها يونس في الخبر الأخير».



٥ ـ (٩) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ؛ جَمِيعاً عَنِ ابْنِ عُلَيَّةِ[١] ـ قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ـ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ[٢]، عَنْ أَبِي زُرعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْماً بَارِزاً لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا الإِيْمَانُ؟ قَالَ: **«أَنْ تُؤمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»**. قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: **«الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ الله وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»**. قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِلاّ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**. قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **«مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ! وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُؤوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا**

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن علية الأسدي مولاهم، منسوب لأمه، وكان يكره النسبة إليها؛ إلا أنه لاشتهاره يذكرونه بها.

(٢) بمهملة وتحتانية، يحيى بن سعيد بن حيان التيمي، من تيم الرباب.

تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللّهُ»، ثُمَّ تَلاَ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ؛ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً. فَقَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ، جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ».

* راوي الحديث:

اختلف في اسمه في الإسلام على نحو ثلاثين قولاً، أصحها: عبدالله ـ أو عبدالرحمن ـ بن صخر، وهو دوسي أزدي يماني، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزم رسول الله ﷺ؛ حتى صار حافظ الصحابة وراوية الإسلام، وتوفي سنة (٥٩هـ) على أصح الأقوال.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا حديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠ و٤٧٧٧)، وهذا الحديث من (مسند أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ)؛ خلافاً للطرق الأولى؛ فإنها من (مسند عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ).

٢ ـ أنه من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ فيه بيان الاختلاف الواقع بين شيخيه: أبي بكر وزهير بن حرب في روايتهما عن ابن علية، فأبو بكر ابن شيبة لم يصرّح بالتحديث ولم يسمِّه باسمه، وإنما ذكره بكنيته، وأما زهير فقد صرّح بالتحديث، وسمّاه باسم أبيه، وهذا من احتياط المصنف، حيث يراعي ألفاظ شيوخه في صيغ الأداء ونحوها، وهذا مما امتاز به في صحيحه عن غيره.

* غريب الحديث:

قوله: (**كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً**)؛ أي: ظاهراً للناس، غير

محتجب عنهم، ولا ملتبس بغيره، وقد جاء ذلك في حديث أبي هريرة وأبي ذر معاً، وبدايته: «كان رسول الله ﷺ يجلس بين يدَيْ أصحابه، فيجيء الغريب، فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكاناً من طين، كان يجلس عليه».

قوله: **(فأتاه رجل)**: هو الملك جبريل ـ عليه السلام ـ في صورة رجل.

قوله: **(ولقائه)**: أي لقاء الله، ويحصل بالانتقال من دار الدنيا إلى دار الجزاء.

قوله: **(الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً)**: هذه الرواية تفسر معنى: لا إله إلا الله؛ أنه المعبود بحق لا شريك له ـ سبحانه ـ.

قوله: **(وتقيم الصلاة المكتوبة)**؛ أي: المفروضة، وإنما ذكر هنا المكتوبة للإشارة أن الصلاة المفروضة هي ركن الإسلام، والنافلة ليست منها.

قوله: **(وتؤدي الزكاة المفروضة)**؛ أي: الواجبة؛ ليخرج بذلك الزكاة غير الواجبة؛ وهي: الصدقة.

قوله: **(ولكن سأحدثك)**، وفي رواية عمر: **(فأخبرني عن أماراتها)**. في هذه الرواية الرسول المخبر، وفي رواية عمر جبريل هو المخبر، والتوفيق: أن الرسول قال له: «**سأخبرك**»، فقال له السائل: فأخبرني. دلت على ذلك رواية عند البخاري بلفظ: «**ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها**»، قال: أجل، ونحوه من حديث ابن عباس، وزاد: «**فحدثني**».

قوله: **(وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس...)**؛ أي: ملوكهم وأمراءهم وأسيادهم، وذلك لتغلُّبهم على الناس، وقهرهم لهم.

قوله: **(وإذا تطاول رعاء البهم)**؛ البهم: ـ بفتح الباء وإسكان الهاء ـ، وهي: الصغار من الضأن والمعز.

(في البنيان)؛ أي: في تطويله؛ كما هو مشاهد اليوم من بناء الأبراج وناطحات السحاب!

قوله: **(في خمس لا يعلمهن إلا الله)**؛ أي: أن علم الساعة داخل في جملة الخمس التي هي من الغيب، وهي: مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ.

قوله: **(ثم أدبر الرجل)**؛ أي: ذهب.

قوله: **(فقال رسول الله ﷺ: «ردُّوا عليّ الرجل»)**؛ أي: ائتوني به.

قوله: **(فأخذوا)**؛ أي شرعوا.

قوله: **(هذا جبريل جاء ليعلّم الناس دينهم)**: وإسناد التعليم إلى جبريل؛ لأنه كان السبب في الجواب.

فقه الحديث:

١ ـ جواز اختصاص العالم بالموضع المرتفع في المسجد إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٢ ـ أن لقاء الله ـ تعالى ـ من الإيمان الصريح والمعتقد الصحيح.

٣ ـ أن المفروض من الصلاة هي المكتوبة، وهنَّ الخمس.

٤ ـ أن الزكاة الواجبة هي المكتوبة والمفروضة.

٥ ـ أن سيادة الجهلة وتوليهم شؤون العباد والبلاد من علامات قرب الساعة، وقد وقع ما أخبر به رسول الله ﷺ؛ فهو من علامات نبوته.

٦ ـ أن جملة الغيب خمس، استأثر الله بها نفسه.

٧ ـ بيان مجمل الإيمان الواجب اعتقاده على كل مسلم.

٨ ـ جواز رواية الحديث بالمعنى إذا جزم الراوي بأنه أدّى المعنى، وهذا الذي تقتضيه أحوال الصحابة فمَن بعدهم ـ رضي الله عنهم ـ في روايتهم القضية الواحدة بألفاظ مختلفة.



٦ - (...) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التيْمِيُّ... بِهذَا الإِسْنَادِ[1] مِثْلَهُ[2]؛ غَيْرَ أَنَّ فِي رِوَايَتِهِ: «**إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ بَعْلَهَا**»؛ يَعْنِي: السَّرَارِيَّ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان الفروق بين ألفاظ الروايات بدقة.

٢ ـ البعد عن التكرار الداعي للملل والسآمة.

❋ غريب الحديث:

السراري: بتشديد الياء، ويجوز تخفيفها، لغتان معروفتان. الواحدة سُرِّيَّة بالتشديد. والسريّة: الجارية المتخذة للوطء، مأخوذة من السر؛ وهو: النكاح.

قوله: **(غير أنّ في روايته)**؛ أي: أن رواية محمد بن عبدالله بن نمير، قوله: «**إذا ولدت الأمة بعلها**» بدل رواية أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بلفظ: «**إذا ولدت الأمة ربها**».

وهذه الرواية ساقها ابن خزيمة في «صحيحه» **(٤/٥)**، من طريق محمد بن بشر، حدثني أبو حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: بينما رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر**»، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**أن تعبد الله، لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: يا رسول الله! متى

---

(١) إشارة إلى إسناد أبي بكر ابن أبي شيبة، وزهير عن ابن علية، عن أبي حيان، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة.

(٢) مثل المتن السابق.

الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربها** - يعني: السراري - فقال: **فذلك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان، فذلك من أشراطها، وإذا صار العراة الحفاة رؤوس الناس، فذلك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله**»، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة [لقمان: ٣٤]، ثم أدبر الرجل، فقال النبي ﷺ: «**هذا جبريل يعلّم الناس دينهم**».



٧ - (١٠) حدّثني زُهَيْرُ بنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا جَرِير، عَنْ عُمَارَةَ - وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ -، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَلُونِي**»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! ما الإِسْلامُ؟ قَالَ: «**لاَ تُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ باللّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكِتَابِه، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْث، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَخْشَى الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِلا تَكُنْ تَراهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَتى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِن السَّائِل! وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا؛ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأَرْضِ؛ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ؛ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]. قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رُدُّوهُ عَلَيَّ**»، فَالتُمِسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعلَّموا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أمانة مسلم في بيان كلامه من كلام شيوخه.

٢ ـ زاد الإمام مسلم قوله: «وهو»، ولم يقل: عمارة بن القعقاع؛ لأن شيخه زهيراً لم ينسبه لأبيه، فأراد أن يبينه بذكر أبيه، فزاد «وهو»؛ لئلا يلتبس كلامه بكلام شيخه.

* غريب الحديث:

قوله: **(وتؤمن بالبعث)**: وهو أن الله سيبعث من في القبور إلى العرض والحساب.

قوله: **(الصمّ البكم)**: وذلك لغلبة الجهل عليهم، وعدم انتفاعهم بطرق العلم الموصلة إليه.

قوله: **(وتؤمن بالقدر)**؛ أعاد لفظ «**وتؤمن**» للإشارة إلى ما يقع فيه من الاختلاف، فحصل الاهتمام بشأنه بإعادة «**تؤمن**» ثم أكّده بقوله: «**كله**» وفي رواية: «**خيره وشره وحلوه ومرُّه**» ثم زاده تأكيداً بقوله: «**من الله**».

فقه الحديث:

١ ـ جواز قول العالم للناس: سلوني؛ إذا كان متأهلاً للفتوى.

وهذا ليس بمخالف للنهي عن سؤاله كما في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ [المائدة: ١٠١] فإن المأمور به هو فيما يحتاج إليه، فهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].

٢ ـ يستحب للعالم إذا لم يحسن الناس السؤال أن يبدأهم بالتعليم من قبل نفسه؛ كما فعل جبريل ـ عليه السلام ـ أو يجعل من يسأل، فيجيب بما يلزمهم علمه.

٣ ـ شدة محبة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ، وعظم مكانته في نفوسهم، حيث هابوا أن يسألوه.

٤ ـ إخبار الرسول ﷺ بتبدُّل الأحوال حيث يستولي أهل البادية الأعراب على الأمر، ويتملكون البلاد بالقهر.

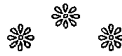
وقد كان ما أخبر به رسول الله ﷺ، ووقع حذو القذة بالقذة، **وإليك البيان**:

أ ـ أخبر رسول الله ﷺ أن الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان، وقد كان.

ب ـ وأخبر أنهم يستولون على الحكم بالقهر والغلبة، وقد وقع.

ت ـ وأخبر أنهم كانوا من الجياع وأنهم من العرب، كما في حديث ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «. . . **ورأيت أصحاب الشاء يتطاولون بالبنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس؛ فذلك من معالم الساعة وأشراطها**»، قال: يا رسول الله! ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: «**العرب**» أخرجه أحمد (**٣١٨/١ ـ ٣١٩**)، والبزار (**٢٤** ـ كشف الأستار) من طريقين عنه، وهو صحيح بهما.

وهكذا كان هؤلاء (العُرَيْب) نهبوا ثروات الأمة، ووضعوها في ملذاتهم وصرفوها في شهواتهم، فأضاعوا أنفسهم، وضيعوا أمتهم، فالله المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



٢ ـ باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام

٨ ـ (١١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد بْنِ جَمِيل بْنِ طَرِيف بْنِ عَبْدِالله الثَّقَفِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنْسٍ ـ فِيمَا قُرِئ عَلَيْهِ ـ، عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِالله يَقُولُ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «**لا، إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: «**لا، إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ**». وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ**». قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللّهِ، لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**».

❋ راوي الحديث:

طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي، أبو محمد المدني، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ سوى بدر، ومع ذلك ضرب له الرسول ﷺ بسهمه وأمره، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، والستة الذين هم أصحاب الشورى، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة، استشهد يوم الجمل سنة (٣٦هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٦ و١٨١٩ و٢٦٧٨ و٦٩٥٦).

٢ ـ أن هذا الإسناد مسلسل بالأقارب وبالبلد؛ باستثناء شيخ المصنف.

٣ ـ أنه مسلسل بثقات المدنيين.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(من أهل نجد)**؛ النجد: هو المرتفع من الأرض، والغور: هو المنخفض منها، وبحكم العرف جهتان مخصوصتان. ونجد: هو اسم الأرض المرتفعة التي أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام.

قوله: **(ثائر الرأس)**؛ أي: إن شعره منتفش ومنتشر من ترك الرفاهية؛ ففيه إشارة إلى قرب عهده بالوفادة، وهذه صفة البدو غالباً.

قوله: **(نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول)**؛ والدوي: هو الصوت المرتفع المتكرر الذي لا يفهم، وذلك لأنه كان بعيداً.

قوله: **(حتى دنا)**: إلى أن اقترب منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

قوله: **(فإذا هو يسأل عن الإسلام)**؛ أي: عن شرائع الإسلام، وليس عن حقيقته، إذ لو كان كذلك لأجابه بما أجاب جبريل، ولذلك لم يذكر له الشهادة والحج وغيرها.

ظاهر الأمر أن هناك فارقاً بين مقصد السؤال وبين الإجابة، ولهذا قيل: إن الرجل كان يشهد ألاّ إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه إنما كان يسأل عن شرائع الإسلام وتعاليمه، ولذا أجابه الرسول ﷺ على النحو الذي تقدم. والله تعالى أعلم.

قوله: **(خمس صلوات في اليوم والليلة)**: دليل على أن الواجب من الصلوات في اليوم والليلة الفروض الخمس، وليس من النوافل اليومية شيء واجباً.

قوله: **(لا؛ إلا أن تطوع)**: بتشديد الطاء والواو، ومعناه: لكن يُستحب لك أن تطوع؛ على الاستثناء المنقطع؛ أي: لا يجب عليك شيء إلا ما قلته لك، ويستحب لك التطوع، أما إذا حملنا الاستثناء على أنه متصل فيكون المعنى: لا يجب عليك شيء غير ما قلت لك إلا الذي بدأت به من التطوع؛ فإنه يجب عليك إتمامه وإكماله، وفي المسألة خلاف، والراجح عندي، والذي تطمئن إليه النفس أنه لا يجب إتمام التطوع، وأن الاستثناء هنا منقطع، والله تعالى أعلم.

قال القرطبي: «نفى الحديث وجوب شيء آخر إلا ما تطوع به، والاستثناء من النفي إثبات، ولا قائل بوجوب التطوع، فيتعين أن يكون المراد: إلا أن تشرع في تطوع؛ فيلزمك إتمامه؛ ورد عليهم بأن الاستثناء هنا من غير الجنس بقرينة أن التطوع لا يقال فيه: عليك، وقد علم أن التطوع ليس بواجب...

وفي البخاري أنه ﷺ أمر جويرية بنت الحارث أن تفطر يوم الجمعة بعد أن شرعت فيه، فدلّ على أن الشروع في العبادة لا يستلزم الإتمام إذا كانت نافلة؛ بهذا النص في الصوم والقياس في الباقي.

ومن جملة ما ردّ على القائلين بوجوب إتمام التطوع وهم: الحنفية والمالكية: أن الاستثناء من النفي عندهم ليس للإثبات بل مسكوت عنه، وقوله: «**إلا أن تطوع**» استثناء من قوله: «**لا**» أي: لا فرض عليك غيرها.

كما أنهم لا يقولون بفريضة الإتمام؛ بل بوجوبه، واستثناء الواجب من الفرض منقطع لتباينهما».

قوله: **(فأدبر الرجل وهو يقول: والله؛ لا أزيد على هذا، ولا أُنقص منه)**؛ أي: أقسم على أن لا أزيد في الفريضة شيئاً ولا أنقص منها، وليس القسم على النوافل.

قوله: **(أفلح إن صدق)**؛ الفلاح: كلمة جامعة للخير، تدل على الظفر والفوز بالمطلوب، وذلك أن المؤدي للفرائض ـ دون زيادة ولا نقصان فيها ـ يدرك المطلوب.

فقه الحديث:

١ ـ جواز وصف الراوي صاحب القصة بما ظاهره الذم والعيب والغيبة إذا دعت المصلحة، أو كان لا يعرف إلا بهذه الصفات.

٢ ـ أن أهل البادية أهل جفاء وجهل؛ لبُعدهم عن العلم والعلماء.

٣ ـ ذم صاحب الهيئة الرثة.

٤ ـ من آداب السؤال: أن يقترب السائل من العالم أو المفتي، ويسأل بصوت بيّن واضح هادئ يفهمه السامع.

٥ ـ أن المفروض على العباد من الصلوات اليومية خمس؛ هنَّ الفرائض.

٦ ـ لا يجب على المسلم أن يصلي أي نافلة في يومه وليلته؛ حتى الوتر والقيام.

٧ ـ وجوب صلاة الليل منسوخ في حق الأمة، وهذا مجمع عليه، وأما في حق الرسول ﷺ؛ فمختلف فيه.

٨ ـ صلاة الوتر ليست بواجبة.

٩ ـ استحباب السفر والرحلة من بلد إلى آخر طلباً للعلم ولقاء أهله.

١٠ ـ أن العبد يحل له أن يتطوع بما شاء من النوافل مما أُذن فيه، من صيام، وصلاة، وصدقة.

١١ ـ أن الزيادة في العبادة ـ وكذلك النقص منها ـ مذموم.

١٢ ـ أن من أتى بالفرائض مفلح عند الله ـ تعالى ـ، وكلما ازداد تطوعاً ازداد قرباً وفلاحاً.

١٣ ـ أن الإخلاص في العبادة من أسرار الفلاح والتوفيق.

١٤ ـ جواز الحلف من غير استحلاف.

١٥ ـ فيه الرد على المرجئة ـ تلك الفرقة الضالة التي زعمت: أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ـ؛ فإن النبي ﷺ علق الفلاح بفعل الفرائض.

١٦ ـ **فائدة زائدة؛** وهي سؤال يحتاج إلى جواب؟

لماذا لم يذكر الحج في هذه الرواية لهذا الرجل الذي سأل عن الإسلام؟

هنا أجوبة:

١ ـ أنه من تفاوت الرواة في الحفظ والضبط، وأن كل راو يذكر الذي سمعه، فهذا سمع في حديث ذكر الزكاة، وذاك لم يسمع، ومثله في الحج وغيره. وهذا قول قوي معتبر.

٢ ـ أن هذا اللقاء (أعني: لقاء الرجل بالنبي) كان قبل أن يفرض الحج.

٣ ـ أن الحج واجب على التراخي.

٤ ـ أن الرجل غير مستطيع.

٥ ـ أن المقام لا يتسع لذكر جميع الشرائع.



٩ ـ (...) حدّثني يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبي سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِالله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ... بِهَذَا الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِك[1]؛ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«أَفْلَحَ ـ وَأَبِيهِ ـ إِنْ صَدَقَ» أَوْ: **«دَخَلَ الْجَنَّةَ ـ وَأَبِيهِ ـ إِنْ صَدَقَ»**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ دقة مسلم في بيان ألفاظ الشيوخ وتمييزها.

٢ ـ أخرج ابن منده في كتاب «الإيمان» **(١/٢٨٠/١٣٥)** من طرق عن إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن طلحة بن عبيدالله: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: **«الصلوات الخمس، إلا أن تطوّع شيئاً»**، فقال: أخبرني ما فرض الله عليّ من الصيام؟ قال: **«صيام شهر رمضان، إلا أن تطوّع»**، فقال: أخبرني ما فرض الله عليّ من الزكاة؟ قال: فأخبره بشرائع الإسلام، فقال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: **«أفلح وأبيه، إن كان صدق»**، أو: **«دخل الجنة وأبيه، إن كان صدق»**.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ قوله: (أفلح ـ وأبيه ـ إن صدق، أو: دخل الجنة ـ وأبيه ـ إن صدق) للعلماء أقوالٌ في توجيه هذه اللفظة:

أ ـ أن هذا مما جرت به عادة العرب في كلامهم، غير قاصدين بها الحلف.

---

(١) أي: حدث إسماعيل بن جعفر بحديث طلحة المذكور نحو حديث مالك بن أنس المتقدم قبله.

ب ـ أن هذا كان قبل النهي عن الحلف بغير الله.

ت ـ أن النهي لمن قصد الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به.

ث ـ أن تصحيفاً وقع في اللفظة، والصحيح: «والله» بدل: «وأبيه» وإنما قصرت اللامان، فوقع التصحيف فيها.

وهذا لا يلتفت إليه؛ إذ فيه توهيم الرواة الأثبات بغير دليل.

ج ـ أن فيه إضماراً لاسم الرب، وكأنه قال: ورب أبيه.

ح ـ أنه خاص بالنبي ﷺ؛ وليس عليه دليل.

خ ـ أنها لفظة شاذة لا تصح(١).

وأرضى هذه الأقوال وأسعدها بالقبول: أن هذا كان قبل النهي، وأنه يجري على ألسنتهم دون قصد(٢).

٢ ـ أن وصف الراوي صاحب القصة بما ظاهره غير محبوب ليس من قبيل الغيبة ما دام على غير وجه التنقيص، فقد وصفه الراوي بثائر الرأس للتوثيق بالرواية.

٣ ـ جواز الحلف بغير استحلاف ولا ضرورة، وإقرار النبي ﷺ الرجل على حلفه مع أنه حلف على أن لا يزيد في الخير؛ لأنه جارٍ على الأصل من أنه لا إثم على مَن ترك عملاً غير مفروض.

٤ ـ وفيه ردٌّ على المرجئة الردية؛ لأن قوله: «**أفلح... إن صدق**»، قد علّق الفلاح على صدقه في التزام العمل وعدم النقص، ومفهومه أنه قصّر لم يُفلح.



(١) انظر: «مختصر مسلم» (ص٢١/ح٦١)، و«السلسلة الضعيفة» (٤٩٩٢).

(٢) وانظر ـ لزوماً ـ كتابي: «موسوعة المناهي الشرعية» (١/٦٣ ـ ٦٥).

٣ ـ (باب السؤال عن أركان الإسلام)

١٠ ـ (١٢) حدّثني عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُكَيْرٍ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ شَيْءٍ. فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَتَانَا رَسُولُكَ، فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللّهَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**اللّهُ**». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ قَالَ: «**اللّهُ**». قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «**اللّهُ**». قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا. قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا. قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَم رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا. قَالَ: «**صَدَقَ**». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: «**صَدَقَ**» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ**».

❋ راوي الحديث:

هو أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، المشهور بخدمة رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين من قدومه إلى المدينة حتى وفاته ﷺ، وهو من الصحابة السبعة المكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ، سكن البصرة زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وفيها توفي سنة (٩٢ أو ٩٣هـ)، وهو من المعمرين، فقد

جاوز عمره مائة سنة، وهو من آخر الصحابة موتاً، والله أعلم.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث متفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري (٦٣).

٢ ـ أنه من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٣ ـ أنه مسلسل بالثقات.

٤ ـ أن ثابت البناني من أثبت الناس في أنس، وقد لازمه أربعين سنة.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء**) هذا النهي من الله ـ تعالى ـ وهو في كتابه قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

ودلّ على ذلك ـ أيضاً ـ قول أنس في الرواية التالية: «كنا نهينا في القرآن. . .».

وهذا النهي يحمل على السؤال الذي فيه التعنُّت، وعما لا ضرورة له، وأما حيث الحاجة؛ فقد أمر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بالسؤال؛ فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وسبب النهي ما أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»، قال: فغطّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين، فقال رجل: مَن أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

قوله: (**فكان يعجبنا أن يجيء الرّجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع**)، وهذا الإعجاب؛ لأن أهل البادية يعذرون؛ لغلبة الجهل عليهم، وكونه عاقلاً؛ ليكون في سؤاله الفائدة.

قوله: **(فجاء رجل من أهل البادية)**: البادية: ضد الحاضرة والعمران، والنسبة إليها بدوي؛ لأنه سكن البادية، والبداوة: الإقامة بالبادية، وهي بكسر الباء عند الجمهور، وقيل: بفتح الباء وهو ضعيف.

قوله: **(فزعم أنك تزعم)**: الزعم: يراد به القول الكذب المشكوك فيه، ويراد به القول الصدق المحقق به، وهذا من الثاني.

قوله: **(فمن خلق السماء...)**: هذا الكلام من الرجل ليس استفهاماً؛ بل تقريراً؛ ليرتب عليه ما ذكر، وهذا من عقل الرجل؛ فإنه قرر وجود الصانع أولاً، ثم أقسم به هل أرسله، ثم لما وقف على رسالته، وعلمها أقسم عليه بحق مرسله، وهذا ترتيب عميق يفتقر إلى عقل رصين دقيق.

قوله: **(فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟)**: وهذا القسم ليس اتهاماً؛ بل تأكيد لما وصل إليه من طريق الدعاة الذين أرسلهم نبينا له ولقومه.

قوله: **(ثم ولّى)**؛ أي: أدبر الرجل السائل، وذهب بعد أن قضى عرضه الذي جاء من أجله؛ وهو: السؤال عن أمور دينه.

قوله: **(والذي بعثك بالحق)**؛ أي: أقسم بالذي أرسلك بالدين الحق.

قوله: **(لا أزيد عليهن)**؛ أي: لا أزيد على هذه الأمور التي سألتك عنها، وأجبتني بصدقها.

قوله ﷺ: **(«لئن صدق ليدخلن الجنة»)**؛ أي: إذا صدق في دعواه: أنه يحافظ على هذه الأمور استحق دخول الجنة، بمقتضى الوعد الصادق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠ و٣١].

فقه الحديث:

١ ـ قال العلماء: هذا من حسن سؤال هذا الرجل، وملاحة سياقته وترتيبه؛ فإنه سأل أولاً عن صانع المخلوقات مَن هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً للصانع، ثم لما وقف على رسالته وعلمها، أقسم عليه بحق مرسله، وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين.

٢ ـ بيان كمال إيمان الصحابة ـ ﷺ ـ؛ حيث كانوا وقّافين عند حدود الله لا يتجاوزونها، ولو كان لهم رغبة في أمر نهوا عنه؛ لتركوه.

٣ ـ أن الجاهل يعذر ويرفق به ما لا يعذر ويرفق بالعالم.

٤ ـ أن العلم يكون بالحوار والسؤال، ويكون كذلك بالسماع.

٥ ـ إجابة السائل بما ينفعه، ويحتاجه من أمور دينه.

٦ ـ أن الأعراب فيهم الغلظة، والجفاء، والبعد عن الحكمة.

٧ ـ وجود الخيرات والثروات في الجبال.

٨ ـ أن الواجب من الصلاة على المكلف خمس في اليوم والليلة.

٩ ـ فرضية الزكاة في المال.

١٠ ـ أن الواجب من الصيام على المكلف في السنة شهر رمضان.

١١ ـ فرضية الحج على المكلف إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

١٢ ـ جواز الحلف من غير استحلاف؛ بل لتأكيد الأمر المحلوف عليه.

١٣ ـ جواز الاقتصار على الفرائض دون النوافل.

١٤ ـ قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: «وفيه دلالة لصحة ما ذهب إليه أئمة العلماء من أنّ العوام المقلدين مؤمنون، وأنه يكتفى منهم بمجرد اعتقاد الحق جزماً من غير شك وتزلزل، خلافاً لمن أنكر ذلك من المعتزلة،

وذلك أنه ﷺ قرر ضماماً على ما اعتمد عليه في تعرف رسالته وصدقه، ومجرد إخباره إياه بذلك، ولم ينكر عليه ذلك، ولا قال: يجب عليك معرفة ذلك بالنظر في معجزاتي، والاستدلال بالأدلة القطعية».

١٥ ـ بيان كمال عقل السائل ووفوره وذكائه من خلال أسئلته.

١٦ ـ الرحلة في طلب علو الإسناد، فإن الرجل السائل مع إسلامه وإيمانه وتصديقه لأمر الرسول جاء؛ ليسمع منه شخصياً.

١٧ ـ جواز القراءة على العالم والعرض عليه.

١٨ ـ أن سماع العلم من الشيخ أقوى من سماعه عنه بواسطة، مع أن الكل صحيح مقبول.

١٩ ـ دليل على قبول خبر الواحد، وأنه حجة في الأحكام والعقائد، وأنه يفيد العلم بلا مثنوية.

٢٠ ـ جواز الحلف بهذه الصفة والصيغة.

٢١ ـ قال القاضي عياض: «ردّ على المرجئة، إذ فيه فلاحه بشرط صدقه في ألا ينقص مما ألزمه من الأعمال والفرائض».

٢٢ ـ من الأدب الشرعي: أن ينادى رسولنا ﷺ بالنبوة أو الرسالة، ويعذر ـ رضي الله عنه ـ لأنه باقٍ على صفة أهل البادية والأعراب، إذ لم يتأدّب بعد بشيء من آداب الشرع، ولا علم ما يجب عليه من تعزير النبي ﷺ وتوقيره؛ فإن الله ـ تعالى ـ قد نهى أن ينادى النبي ﷺ: يا محمد، حيث قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

٢٣ ـ تقديم الإنسان بين يدي حديثه مقدمة يعتذر فيها؛ ليحسن موقع حديثه عند المحدِّث، وهو من حسن التوصل، فقد قال السائل كما في رواية البخاري: «إني سائلك، فمشدّد عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك».



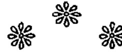
١١ ـ (. . .) حدّثَني عَبْدُالله بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا[1] بَهْزٌ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ؛ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُهِينَا فِي الْقُرْآنِ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ شَيْءٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ ساق بهز بن أسد العمي الحديث بمثل ما ساقه هاشم بن القاسم، وروايته أخرجها الإمام أحمد (**١٩٣/٣**) مقروناً مع عفان.

فقه الحديث:

١ ـ أن النهي عن السؤال في الحديث السابق كان في القرآن، وقد تقدم تفصيل ذلك.



(١) في نسخة: أخبرنا.

٤ ـ باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن مَن تمسك بما أمر به دخل الجنة

١٢ ـ (١٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ؛ أَنَّ أَعْرَابِياً[(١)] عَرَضَ لِرَسُول الله ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ ـ أَوْ بِزِمَامِهَا ـ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَوْ يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»**، قَالَ: **«كَيْفَ قُلْتَ؟»**، قَالَ: فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«تَعْبُدُ اللّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ»**.

✸ راوي الحديث:

أبو أيوب الأنصاري؛ هو: خالد بن زيد بن كليب الأنصاري الخزرجي النجاري، حضر العقبة وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وفي

---

(١) سُمي هذا الأعرابي كما عند البغوي، وابن السكن، والطبراني في «الكبير»، وأبو مسلم الكجي في «السنن» بابن المنتفق.
انظر: «فتح الباري» (٣/٣١٠)، ووقع في رواية البخاري في «الزكاة» في حديث أبي أيوب هذا بلفظ: «أن رجلاً» بدل «أن أعرابياً».
قال الحافظ هذا الرجل حكى ابن قتيبة في «غريب الحديث» له: أنه أبو أيوب الراوي، وغلطه بعضهم في ذلك، فقال: إنما هو راوي الحديث، وفي التغليظ نظر؛ إذ لا مانع أن يبهم الراوي نفسه؛ لغرض له، ولا يقال: يبعد لوصفه في رواية أبي هريرة التي بعد هذه بكونه أعرابياً لأنا نقول: لا مانع من تعدد القصة، فيكون السائل في حديث أبي أيوب هو نفسه، لقوله: «إن رجلاً»، والسائل في حديث أبي هريرة أعرابي آخر.
قلت: وهذا الجواب فيه تكلف، فرواية مسلم تبطله، فإنها بلفظ: «أن أعرابياً»، ويستحيل أن أبا أيوب يخبر عن نفسه بأنه أعرابي، أو أن أبا هريرة يريد أبا أيوب ـ رضي الله عنه ـ.

بيته نزل رسول الله ﷺ عند مجيئه المدينة النبوية في هجرته من مكة المكرمة حتى بنى المسجد، وقاتل الخوارج مع علي - رضي الله عنه - مات غازياً الروم سنة (٥٠هـ) وقبره في القسطنطينية.

➢ فوائد الإسناد:

١ - هذا الحديث متفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري (**١٣٩٦ و٥٩٨٢ و٥٩٨٣**).

٢ - من خماسيات المصنف.

٣ - مسلسل بالتحديث من أوله إلى آخره.

٤ - صحابيه اشتهر بكنيته.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**عرض لرسول الله ﷺ**)؛ ظهر عليه، وبدا له.

قوله: (**وهو في سفر**)؛ الجملة حال من (رسول الله)، وقد بيّن السفر في بعض الروايات بأنه كان سفر حج، وأنّ تعرُّض الأعرابي كان في عرفات.

قوله: (**فأخذ بخطام ناقته - أو بزمامها -**): الخطام: ما يخطم به البعير، وهو: أن تجعل حلقة في طرف حبل، ثم يسلك فيها الطرف الآخر وحتى يصير كالحلقة، ثم يقلد البعير، ثم يثنى على مخطمه.

وأما (الزمام): فهو ما يجعل في الأنف دقيقاً.

وإنما أخذ بالزمام؛ ليتمكن من سؤاله.

قوله: (**فكف النبي**)؛ أي: توقف عن المشي؛ لأخذ الأعرابي بخطام ناقته - عليه الصلاة والسلام -، وقيل: كف عن الكلام، فلم يسرع بالجواب؛ ليلفت نظر الصحابة، ويجذب انتباههم اهتماماً بالسؤال وجوابه.

قوله: (**ثم نظر في أصحابه**)، وذلك ليتأهبوا، ويقبلوا بعقولهم، وقلوبهم وصدورهم؛ إليه ليسمعوا ما يقول لهم.

قوله: **(لقد وفق أو لقد هدي)**؛ التوفيق: إصابة الحق والهدى والرشاد.

قوله: **(وتصل الرحم)**؛ أي: تحسن إلى أرحامك؛ وهم: الأقارب من جهة الوالدين، وصلتهم تكون بكل معروف قولي أو فعلي.

قوله: **(دع الناقة)**؛ لما انتهى من جوابه على سؤاله أمر بترك الخطام، أو الزمام؛ ليواصل المسير.

فقه الحديث:

١ ـ سيما الموفقين: السؤال عن الأمور المهمة ومعاليها.

٢ ـ من علامات الهدى والتوفيق سؤال الله ـ تعالى ـ الجنان، والبعد عن النيران.

٣ ـ تواضع النبي ﷺ، وحلمه، وصبره على الجاهل، وتعليمه.

٤ ـ ينبغي للعلماء وطلاب العلم الاقتداء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٥ ـ استحباب سلوك طريق معلم الناس الخير في لفت أنظار وعقول الطلاب للعلم عند إلقائه من العلماء.

٦ ـ جواز طلب المفتي من السائل إعادة السؤال مرة وأكثر إن دعت الحاجة.

٧ ـ أن التوحيد هو أول واجب، وأوكده على العباد، وهو أساس الأعمال كلها.

٨ ـ أن عبادة الله وتوحيده لا تتم إلا بالكفر بما يعبد من دون الله.

٩ ـ أن العبادات أسباب للرحمة، ومنها: الجنة.

١٠ ـ بيان أهمية صلة الرحم، وفضلها؛ حيث ذكرت مع أركان الإسلام، وأنها من جملة الأسباب الموجبة للجنة.

١١ ـ أن مدار العبودية على الرغبة والرهبة.

١٢ ـ وفي ضمنه الرد على المتصوفة، ومَن وافقهم في زعمهم: أن طلب الجنة والاستعاذة من النار هي عبادة التجار.

١٣ ـ جواز سؤال الله ـ تعالى ـ الجنة والبُعد عن النار.

١٤ ـ من اقتصر على فعل ما وجب عليه، وانتهى عما حُرِّم عليه دخل الجنة.

١٥ ـ بيان ما يقرب من الجنة ويباعد من النار.

١٦ ـ دليل على وجوب الزكاة.

١٧ ـ بيان ما كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من شدة الحرص والرغبة إلى الجنة، والبحث عن الأعمال الموجبة لدخولها.

١٨ ـ بيان كمال خلق النبي ﷺ حيث وقف للأعرابي، واستمع له، وأثنى على سؤاله.

١٩ ـ ينبغي للعالم أن يشجع الطالب المتميز عن أقرانه؛ ليزداد نشاطاً، وتتكامل رغبته، ويكون قدوة لغيره، فإن رسول الله ﷺ لما استحسن سؤال الأعرابي نظر في وجه أصحابه، تعجيباً لهم، ولما قالوا ـ كما في رواية البخاري ـ: «ما له ما له؟» استغراباً لسؤاله، أجابهم ﷺ بقوله: «**أرب ما له**» فبيّن أن له حاجة ورغبة.

٢٠ ـ جواز الإفتاء على الدابة، ولذلك عقد البخاري باباً في كتاب العلم من صحيحه فقال: «باب الفتيا، وهو واقف على الدابة وغيرها» وأورد فيه حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه.



١٣ ـ (...) وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَعَبْدُالرَّحمٰنِ بْنُ بِشْرٍ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا بَهْز، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ مَوْهَبٍ، وَأَبُوهُ عُثْمَانُ؛ أَنَّهُمَا سَمِعَا مُوسَى بْنَ طَلْحَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ حدث محمد بن حاتم، وعبدالرحمٰن بن بشر من طريق شعبة بمثل حديث محمد بن عبدالله بن نمير عن أبيه.

ورواية شعبة أخرجها البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه» (٥٥٢٤).

٢ ـ وقع وهم في رواية شعبة فقال: حدثنا محمد بن عثمان، والصواب عمرو بن عثمان؛ كما في الطريق الأول.

وكذا وقع عند البخاري في «كتاب الزكاة» **(٣/٣٦١)** من طريق شعبة، حدثنا محمد بن عثمان، وأبو عثمان: أنهما سمعا...

قال أبو عبدالله في «شرحه» (١/١٧٢): «أخشى أن يكون محمد غير محفوظ، إنما هو عمرو، وبه جزم النووي؛ فقال: «هكذا في جميع الأصول في الطريق الأول: (عمرو بن عثمان)، وفي الثاني: (محمد بن عثمان). واتفقوا على أن الثاني وَهْمٌ وغلط من شعبة، وأن صوابه: عمرو بن عثمان، كما في الطريق الأول.

قال الكلاباذي وجماعات لا يحصون من أهل هذا الشأن: هذا وهم من شعبة؛ فإنه كان يسميه محمداً، وإنما هو عمرو، وكذا وقع الوهم من رواية شعبة في «كتاب الزكاة» من البخاري. والله أعلم».

قال الحافظ في الفتح **(٣/٢٦٥)** معلقاً على قول البخاري: «أخشىٰ أن يكون محمد غير محفوظ...».

وجزم في «التاريخ» بذلك، وكذا مسلم في «شيوخ شعبة»، والدارقطني في «العلل»، وآخرون: «المحفوظ: عمرو بن عثمان».

وقال النووي: «اتفقوا على أنه وهم من شعبة، وأن الصواب: عمرو والله أعلم».



١٤ ـ (. . .) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الأَحْوَصِ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ؛ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «**تَعْبُدُ اللّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ**». فَلَمَّا أَدْبَرَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: «**إِنْ تَمَسَّكَ بِهِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان دقة مسلم في توضيح ألفاظ شيوخه عند جمع الأسانيد للحديث الواحد.

❋ غريب الحديث:

قوله ﷺ: «**ذا رحمك**»؛ أي: صاحب قرابتك.



١٥ ـ (١٤) وحدّثني أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَن أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ أَعْرَابِياً جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «**تَعْبُدُ اللّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**». قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا

شَيْئاً أَبَداً، وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ. فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»**.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة - رضي الله عنه - في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ - هذا الحديث متفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري (١٣٩٧).

❋ غريب الحديث:

قوله: **(أن أعرابياً)**؛ أي: بدوياً منسوباً إلى الأعراب، وهم سكان البادية.

قوله: **(دلني)**؛ أرشدني.

قوله: **(على عمل)**؛ صفته أنه **(إذا عملته دخلت الجنة)** دخولاً غير مسبوق بعذاب.

قوله ﷺ: **(«تعبد الله»)**؛ خبر بمعنى الأمر، والعبادة اسم جامع لما يحبه الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، ورأس الأمر فيها: التوحيد.

قوله: **(لا أزيد على هذا)**؛ أي: لا أزيد على الذي ذكره شيئاً من عندي.

قوله: **(فلما ولّى)**؛ فلما أدبر الأعرابي، وذهب من المجلس.

☜ فقه الحديث:

١ - إطلاع الله - تعالى - نبيه على جزاء هذا الرجل وصدقه، والظاهر أن رسول الله ﷺ علم بالوحي أن هذا الأعرابي سيوفي بما التزم، وأنه يداوم على ذلك حتى الممات؛ فيدخل الجنة.

٢ ـ أن المبشرين بالجنة أكثر من عشر أنفس، ولا تعارض في ذلك؛ لأن التنصيص في العدد لا ينافي الزيادة، وذلك لأن المقصود بالعشرة المبشَّرين بالجنة أنهم بُشِّروا دفعة واحدة، فلا ينافي المتفرق.

٣ ـ قال القرطبي: «في هذا الحديث، وكذا في حديث طلحة في قصة الأعرابي وغيرهما دلالة على جواز ترك التطوعات، لكن مَن داوم ترك السنن كان نقصاً في دينه، فإن تركها تهاوناً بها ورغبة عنها كان ذلك فسقاً، يعني لورود الوعيد عليه، حيث قال ﷺ: «**مَن رغب عن سنّتي؛ فليس مني**»، وقد كان صدر الصحابة ـ ﷺ ـ ومن تبعهم، يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرّقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج الفقهاء إلى التفرقة؛ لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، ووجوب العقاب على الترك ونفيه، ولعل أصحاب هذه القصص كانوا حديثي عهد بالإسلام، فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال؛ لئلا يثقل ذلك عليهم، فيملُّوا، حتى انشرحت صدورهم للفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب المندوبات سهلت عليهم».



١٦ ـ (١٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ـ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ؛ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَةَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ، أأدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ**».

❋ راوي الحديث:

جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، يكنى: أبا عبدالله، من مشاهير الصحابة، شهد جميع المشاهد بعد أُحد؛ لأنه منعه أبوه من بدر وأُحد، وشهد صفين، وكان من المكثرين الحفّاظ، كُفَّ بصره في آخر عمره، توفي (٧٣هـ) وهو من آخر من مات من الصحابة ﷺ بالمدينة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث من أفراد مسلم.

٢ ـ أن رواته كلهم كوفيون إلا جابر؛ فهو مدني، وأما أبو سفيان؛ فهو واسطي، وقيل: مكي.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي سفيان، وهو راويته.

٤ ـ في هذا الإسناد عنعنة الأعمش، وهو مدلّس، وقد أجيب عن ذلك بوجوه:

أ ـ ما قاله النووي: بأن ما كان في الصحيحين عن المدلس بـ«عن» محمول على ثبوت سماعهم من جهة أخرى.

ب ـ ما قاله الذهبي: «وهو يدلّس، وربّما دلّس عن ضعيف، ولا يدري به، فمتى قال: حدثنا، فلا كلام، ومتى قال: «عن»، تطرق إليه التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم؛ كإبراهيم، وأبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال»(١).

❋ غريب الحديث:

قوله: **(أرأيت)**: أخبرني.

قوله: **(وحرّمت الحرام)**: اجتنبت الحرام؛ معتقداً حرمته.

قوله: **(وأحللت الحلال)**: اعتقدت حلَّه.

قال ابن الصلاح: «أما تحريم الحرام؛ فالظاهر أنه أراد به أمرين: أن يعتقده حراماً، وأن لا يفعله، بخلاف تحليل الحلال، فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده»(٢).

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٢/٢٢٢٤).

(٢) «صيانة مسلم» (ص١٤٤).

قوله: **(أأدخل الجنة)**: دخولاً بغير تقدم عذاب.

فقه الحديث:

١ ـ كل من دان بدين الإسلام؛ فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه قولاً وعملاً؛ كان جزاؤه الجنة في الآخرة إن مات على ذلك.

٢ ـ جواز الاكتفاء في الفتوى بـ«نعم» إذا كان السؤال واضحاً والجواب يفيد المقصود.



١٧ ـ (...) وحدّثني حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، قَالا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُالله بْنُ مُوسَى، عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، وَأَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ؛ قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ! بِمِثْلِهِ... وَزَادَا فِيهِ: وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً.

فوائد الإسناد:

١ ـ روى عبيدالله بن موسى عن الأعمش بمثل رواية أبي معاوية، غير أنه زاد قوله: «ولم أزد...».

٢ ـ رواية عبيدالله بن موسى أخرجها ابن منده في «كتاب الإيمان» (١٣٨/٢٨٥/١): أنبأ أبو عمرو عثمان بن أحمد، ثنا الحسن بن سلام السوّاق، ثنا عبيدالله بن موسى، عن شيبان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، وأبي صالح، عن جابر بن عبدالله، الانصاري، قال: قال النعمان بن قوقل: يا رسول الله أرأيت إن صليت المكتوبات، وأحللت الحلال، وحرّمت الحرام، ولم أزد على ذلك، أأدخل الجنة؟ قال: «نعم».

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



١٨ ـ (. . .) وحدّثني سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ ـ وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِالله ـ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ؛ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: وَاللّهِ! لا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فصل الإمام مسلم بين كلامه وكلام شيوخه، فقوله: «وهو ابن عبيدالله» فائدته بيان أنه لم يقع في الرواية لفظة «ابن عبيدالله» فأراد إيضاحه، بحيث لا يزيد في الرواية على شيخه، فأتى بما يفصل بين لفظ شيخه وبين ما زاده للإيضاح.

٢ ـ أبو الزبير مدلس، ولا يقبل منه ما عنعنه عن جابر إلا ما كان من رواية الليث بن سعد؛ لكنه هنا متابع كما في السند الماضي.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أرأيت إذا. . . وأحللتُ الحلال، وحرَّمت الحرام**)؛ يعني: أخبرني إذا اكتسبت الحلال، وامتنعت من كسب الحرام، هذا عرف الحلال والحرام في الشرع، وأما في أصل الوضع؛ فيصلح أن يطلق الحلال: على كل ما للإنسان أن يفعله شرعاً، ولا يمتنع منه، والحرام: على ما منع الإنسان من فعله مطلقاً.

وقوله: (**ولم أزد على ذلك شيئاً**): يصلح أن يحمل على ما ذكرناه آنفاً، ويحتمل أن يكون قال ذلك؛ لأنه لم يتفرَّغ لفعل شيء من النوافل في تلك الحال، إما لشغله بالجهاد، أو لغيره من أعمال الدين، والله تعالى أعلم.

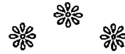
وقال بعض العلماء: «قوله: ولم أزد» يحتمل أن يكون قد اكتفى منه بذلك لقرب عهده بالإسلام حتى يأنس، ويحرص على الخير، وتسهل عليه

الفرائض، ويحتمل أنه قال ذلك؛ لأنه لم يتفرغ لشغله بالجهاد أو غيره من أعمال البر.

✍ فقه الحديث:

١ ـ عدم ذكر الحج، فلم يكن شرع قولاً واحداً؛ لأنه فرض سنة ست أو تسع، وكان استشهاد النعمان يوم أُحد.

٢ ـ ولم ترد الزكاة إما لأنها لم تكن شُرعت بعد، وإما لأنه كان لا يملك النصاب، على أنه يمكن إدخالها في عموم تحليل الحلال، وتحريم الحرام.



٥ ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام

١٩ ـ (١٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ الهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ ـ يَعْنِي: سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ الأَحْمَرَ ـ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالحَجِّ**». فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَجِّ وَصِيَامِ رَمَضَانَ؟ قَالَ: لا، صِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ، هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ ﵄ ـ في الحديث (١/٨).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث متفق عليه، فقد أخرجه البخاري (٨ و٤٥١٤).

٢ ـ من خماسيات المصنف.

٣ ـ رجال إسناده كلهم كوفيون، إلا ابن عمر؛ فإنه مكي ثم مدني.

٤ ـ فيه رواية التابعي عن التابعي: أبي مالك عن سعد بن عبيدة.

❃ غريب الحديث:

قوله: (**بني الإسلام على خمسة**): خمسة أركان وأشياء ونحو ذلك.

والمراد: أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان، ودعائم البنيان هذه الخمس؛ فلا يثبت البنيان دونها.

قوله: (**على أن يوحد الله**): بيّن في الرواية الثانية أن المراد بالتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله.

✍ فقه الحديث:

١ ـ أن مباني الإسلام خمسة لا سادس لها، فلا يزاد عليها، ولا ينقص منها.

٢ ـ الأصل في الراوي أن يؤدي الحديث، كما سمعه دون زيادة أو نقصان، ولا تقديم ولا تأخير.

٣ ـ على العالم والمربي تصحيح الأخطاء التي تقع للمتعلم أمامه.

٤ ـ حرص الصحابة على حفظ ألفاظ الأحاديث وأدائها، كما سمعوها من دون تخليط، أو تقديم وتأخير.

٥ ـ قال القرطبي في «المفهم»: «وقد وقع في بعض الروايات في الأصل تقديم الحج على الصوم، وهي وهم والله أعلم؛ لأن ابن عمر لما سمع المستعيد يقدِّم الحج على الصوم زجره ونهاه عن ذلك، وقدّم الصوم على الحج، وقال: هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

ولا شك في أن نقل اللفظ كما سمع هو الأوْلى، والأسلم، والأعظم للأجر، لقوله ـ ﷺ ـ: **«نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها كما سمعها؛ فرُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه»**.

ويحتمل أن يكون محافظة على ترتيب هذه القواعد؛ لأنها نزلت كذلك: الصلاة أولاً، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج، ويحتمل ذلك أن يكون لإفادة الأوكد فالأوكد؛ فقد يستنبط الناظر في ذلك الترتيب تقديم الأوكد على ما هو دونه إذا تعذّر الجمع بينهما، كمَن ضاق عليه وقت الصلاة، أو كما إذا ضاق وقت الصلاة على الحاج؛ فيتذكر العشاء الآخرة؛ وقد بقي عليه من وقت صلاة العشاء الآخرة ما لو فعله فاته الوقوف بعرفة، فقد قال بعض العلماء: إنه يبدأ بالصلاة وإن فاته الوقوف نظراً إلى ما ذكرناه».



٢٠ ـ (. . .) وحَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ العَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ السُّلَمِيُّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يَعْبُدَ اللّهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

❁ غريب الحديث:

قوله: (**بني الإسلام على خمس**)؛ أي: خمس دعائم، وقواعد ونحو ذلك.

فقه الحديث:

١ ـ فيه أن التوحيد لا يتم إلا بمعرفة الشرك وتركه والحذر منه.

٢ ـ التوحيد الذي عليه مدار النجاة هو إفراد الله بالعبودية.



٢١ ـ (. . .) حَدَّثَنَا عُبَيْدُالله بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ ـ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ ـ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: قَالَ عَبْدُالله: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».



٢٢ ـ (. . .) وحدّثني ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ يُحَدِّثُ طَاوُساً؛ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعَبْدِالله بْنِ عُمَرَ: أَلا تَغْزُو؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الإِسْلامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: **(أن رجلاً)**؛ هو يزيد بن بشير السكسكي؛ كما بينه الخطيب البغدادي في «مبهماته».

قوله: **(ألا تغزو)**؛ أي: ألا تنطلق لقتال العدو.

فقه الحديث:

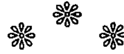
١ ـ أن العالم والمفتي دائماً يحتج بالنصوص من الكتاب والسنّة قبل أن يقدم نقول العلماء، وقواعد الحكماء.

٢ ـ بيانٌ من ابن عمر: أن الجهاد والغزو ليس بفرض عين على كل مكلف؛ إذ لم يذكره الرسول من الأركان المفروضة على الأعيان.

٣ ـ قال النووي: «إنّ هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدِّين، وعليه اعتماده، وقد جمع أركانه».

● **فائدة زائدة:**

اقتصر الراوي على إحدى الشهادتين؛ لأنه اكتفى بأحد القرينتين ودلالته على الآخر المحذوف، والله أعلم.



٦ ـ باب الأمر بالإيمان باللّه ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه مَن لم يبلغه

٢٣ ـ (١٧) حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ؛ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! إِنَّا هَذَا الحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا. قَالَ: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللّهِ** ـ ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ فَقَالَ ـ: **شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالمُقَيَّرِ**». زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ: «**شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللّهُ**» وَعَقَدَ وَاحِدَةً.

❋ راوي الحديث:

عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة وبحرها وترجمان القرآن، من مشاهير وعلماء الصحابة، وإمامته في العلم ببركة الدعوة النبوية معروفة؛ حيث دعا له بالحكمة والفقه والتأويل، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة (٦٧هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث متفق عليه، وقد أخرجه البخاري في أكثر من موضع (**٥٣ و٨٧ و٥٢٣ و١٣٩٨ و٣٠٩٥ و٣٥١٠ و٤٣٦٨ و٤٣٦٩ و٦١٧٦ و٧٥٥٦**).

قال النووي: «قد ذكر البخاري هذا الحديث في مواضع كثيرة من

صحيحه، وأورده في باب إجازة خبر الواحد، وفي ذكر الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ، وفي أول كتاب الزكاة، وفي باب حديث وفد عبد القيس».

٢ ـ هذا الحديث إسناده رباعي، وهو أعلى الأسانيد عند الإمام مسلم.

٣ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخيه.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه.

٥ ـ استعمال حرف الحاء: «ح»، للإشارة لتحويل الإسناد.

٦ ـ دقة مسلم في بيان ألفاظ مشايخه.

٧ ـ قال النووي: «إن قوله في الرواية الثانية أخبرنا عباد بن عباد عن أبي جمرة عن ابن عباس: قد يتوهم من لا يعاني هذا الفن، أنّ هذا تطويل لا حاجة إليه، وأنه خلاف عادته وعادة الحفاظ، فإن عادتهم في مثل هذا أن يقولوا: «عن حماد، وعباد عن أبي جمرة عن ابن عباس».

وهذا التوهم يدل على شدة غباوة صاحبه، وعدم مؤانسته بشيء من هذا الفن؛ فإن ذلك إنما يفعلونه فيما استوى فيه لفظ الرواة، وهنا اختلف لفظهم، ففي رواية حماد: عن أبي جمرة، سمعت ابن عباس، وفي رواية عباد: عن أبي جمرة عن ابن عباس. وهذا التنبيه الذي ذكرته ينبغي أن يتفطن لمثله، وقد نبهت على مثله بأبسط من هذه العبارة في الحديث الأول من كتاب الإيمان. . .

والمقصود: أن تعرف هذه الدقيقة، ويتيقظ الطالب لما جاء منها، فيعرفه، وإن لم أنص عليه اتكالاً على فهمه بما تكرر التنبيه به.

وليستدل ـ أيضاً ـ بذلك على عظم إتقان مسلم ـ رحمه الله ـ، وجلالته، وورعه، ودقة نظره، وحذقه، والله أعلم»[1].

٧ ـ حرصه على بيان صحة الإسناد المعنن بإيراد طرق أخرى فيها التصريح بالسماع.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١/١٨٠).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**قدم وفد عبد القيس**)؛ الوفد: الجماعة المختارة من القوم؛ ليتقدموهم في لقي العظماء والمصير إليهم في المهمات، واحد وافد. وعبد القيس: هو اسم قبيلة. وعبد القيس: هو ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، كانوا ينزلون البحرين، وحوالي القطيف والإحساء، وما بين هجر إلى الديار المصرية.

قوله: (**إنا هذا الحي من ربيعة**)؛ والحي: هو اسم لمنزل القبيلة، ثم سميت القبيلة به؛ لأن بعضهم يحيا ببعض، ونسبوا إلى جدهم تشرفاً به.

قوله: (**وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر**)؛ أي: أن كفار مضر القبيلة المعروفة كانوا يمنعوننا من الوصول إليك؛ لأنهم بيننا وبينك.

قوله: (**فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام**)؛ أي: لا نستطيع الوصول إليك بسلام إلا في شهر حرام؛ لأنه لا قتال فيه.

قوله: (**فمُرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه مَنْ وَرَاءَنَا**)؛ أي: فإذا تبين لك عذرنا في عدم التردد إليك كثيراً؛ لما ذكرنا، فنطلب منك أمرك لنا لنعمل به وندعو إليه.

قوله: (**آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع**)؛ أي: أربع خصال أو جُمَل.

قوله: (**وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**): الغنائم جمع غنيمة، والمغانم جمع مغنم؛ وهو: ما أصيب من أموال أهل الحرب، وأوجف عليه المسلمون بالخيل والرّكاب.

قوله: (**وأنهاكم عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمقير**):

(الدباء): هو القرع، والمنهي عنه هو: اتخاذ الوعاء من القرع اليابس.

و(الحنتم): جرار خضر كانوا ينتبذون بها.

و(النقير): أصل النخلة ينقر وسطه فيتخذ منه وعاء.

و(المقير): هو المطلي بالقار، وهو: الزفت.

فقه الحديث:

١ ـ حرص النبي ﷺ على دعوة الناس، واغتنام كل مناسبة وفرصة لنشر دين الله ـ تعالى ـ، وهكذا فليكن الدعاة إلى الله.

٢ ـ معرفة رسول الله ﷺ لأحوال الناس، وأنسابهم، وعاداتهم.

٣ ـ مراعاة الداعي إلى الله لأحوال الناس، وحسن مخاطبتهم، وتنبيههم على أخطائهم بألطف إشارة، وأخفّ عبارة.

٤ ـ استحباب وفادة الرؤساء والأشراف على العلماء للإفادة منهم.

٥ ـ أن وفد عبد القيس كانوا مسلمين قبل قدومهم إلى رسول الله ﷺ.

٦ ـ جواز الانتساب إلى الآباء والأجداد الذين عرفوا بصفة مشرِّفة.

٧ ـ استحباب التعريف بالرفيق والصاحب لمن وفد عليه من العلماء، والأمراء، والأصحاب الذين لا يعرفونهم.

٨ ـ استحباب إبداء العذر عند العجز أو التأخر ونحوهما.

٩ ـ بيان تعظيم أهل الجاهلية للأشهر الحرم.

١٠ ـ أن الداعي إلى الله والعالم يبدأ بالأهم فالأهم.

١١ ـ وجوب أداء خمس المغنم.

١٢ ـ أن أداء الخمس من الإيمان.

١٣ ـ النهي عن الانتباذ بهذه الأشياء، وهذا قد نسخ.

قال الإمام النووي: «أما معنى النهي عن الانتباذ في هذه الأربع، فهو أنه نهي عن الانتباذ فيها، وهو أن يجعل في الماء حبّات من تمر، أو زبيب، أو نحوهما؛ ليحلو، ويشرب، وإنما خصّت هذه بالنهي؛ لأنه يسرع إليه الإسكار فيها، فيصير حراماً، وتبطل ماليته، فنهى عنه؛ لما فيه من إتلاف المال، ولأنه ربما شربه بعد إسكاره مَن لم يطلع عليه، ولم ينهَ عن

الانتباذ في أسقية الأدم، بل أذن فيها، لأنها لرقتها لا يخفى فيها السكر بل إذا صار مُسكراً شقّها غالباً.

ثم إن هذا النهي كان في أول الأمر، ثم نسخ بحديث بريدة ـ ﷺ ـ أن النبي ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن الانتباذ إلا في الأسقية، فانتبذوا في كل وعاء، ولا تشربوا مسكراً**».

.... هذا الذي ذكرناه من كونه منسوخاً هو مذهبنا، ومذهب جماهير العلماء. قال الخطابي: القول بالنسخ هو أصح الأقاويل»[1].

١٤ ـ منقبة لوفد عبد القيس إذ كانوا حريصين على تحصيل العلم.

١٥ ـ الرحلة في طلب العلم.

١٦ ـ جواز إلقاء الفتوى دون ذكر الدليل إذا عُلِمَ السبب.

١٧ ـ بيان مهمات الإسلام وأركانه.

١٨ ـ نقل النووي عن أبي عمرو ابن الصلاح قوله: «إن ترك الصوم في بعض الروايات إغفال من الراوي، وكذا قاله القاضي عياض وغيره، وهو ظاهر لا شك فيه».

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «وكانت وفادة عبد القيس عام الفتح قبل خروج النبي ﷺ إلى مكة ونزلت فريضة الحج سنة تسع بعدها على الأشهر، والله أعلم»[2].



٢٤ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ـ وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ. وَقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جعْفرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ يَدَي ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبَيْنَ النَّاسِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِ. فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١/١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢) «إكمال المعلم» (١/٢٢٩).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ الْوَفْدُ؟ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ؟**»، قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «**مَرْحَباً بِالْقَوْمِ**، أَوْ **بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلا النَّدَامَى**». قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَإِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ. قَالَ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ. قَالَ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ. وَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللّهِ؟**»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُساً مِنَ الْمَغْنَمِ**». وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ. قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ: النَّقِيرِ. قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ. وَقَالَ: «**احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ**». وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ: «**مَنْ وَرَاءَكُمْ**» وَلَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ الْمُقَيَّرِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف.

٢ ـ مسلسل بثقات البصريين.

٣ ـ احتياط الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ؛ حيث قال: «قال أبو بكر: حدثنا غندر، عن شعبة...» ووجه ذلك أن أبا بكر ابن أبي شيبة ذكر شيخه غندراً بلقبه، فقال: حدثنا غندر عن شعبة، وأما محمد بن المثنى ومحمد بن بشار فقالا: ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، فذكراه باسمه ونسبه وأنه صرّح بتحديث شعبة له، فحصلت المخالفة من وجهين.

٤ ـ غُنْدُر لقب محمد بن جعفر؛ حيث لُقِّب به؛ لأنه أكثر من السؤال في مجلس ابن جريج؛ فقال: ما تريد يا غندر؟ فلزمه.

٥ ـ فيه بيان سبب ذكر ابن عباس لهذا الحديث.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(كنت أُترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس)**؛ أصل الترجمة: التعبير بلغة عن لغة أخرى لمن لا يفهم.

والمراد: أن أبا جمرة كان يترجم؛ أي: يبلغ كلام ابن عباس لمن لا يفهمه سواءً أكان هذا ـ الذي لم يفهمه ـ عربياً أم فارسياً. وينقل كلام الناس لابن عباس بلغة يفهمها.

قوله: **(فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر)**؛ أي: عن حكمه في الشرع، وقد تقدم بيانه. والجَرّ ـ بفتح الجيم ـ: اسم جمع، الواحدة جرّة، ويُجمع على جرار، وهو الفخّار المعروف، ويقال: إنها مطلية بالزجاج.

قوله: **(مرحباً بالوفد غير خزايا ولا الندامىٰ)**؛ الرحب: الشيء الواسع، ومعناه: صادفت رُحباً؛ أي: سعة، ويضيفون معها أهلاً؛ أي: وجدت أهلاً؛ فاستأنس.

و**(الخزايا)**: جمع خزيان، وهو: الذليل المهان.

و**(الندامى)**: جمع نادم أو ندمان.

والمراد: أن وفد عبد القيس قدم مختاراً مبادراً دون حرب توجب ذلهم أو استحياءهم.

قوله: **(إنا نأتيك من شقة بعيدة)**؛ أي: نأتيك من مسافة بعيدة صعبة.

قوله: **(فمرنا بأمر فصل)**؛ وهو: البيّن الواضح الذي ينفصل به المراد، ولا يشكل.

قوله: **(احفظوه وأخبروا به من ورائكم)**: يشمل من جاؤوا من عندهم، وهذا باعتبار المكان، ويشمل من يحدث لهم من الأولاد وغيرهم، وهذا باعتبار الزمان.

فقه الحديث:

١ ـ دليل على جواز الاكتفاء بمترجم واحد عند الحاجة.

٢ ـ جواز خروج المرأة للمفتي وسؤاله، وأن صوتها ليس بعورة.

٣ ـ يجوز للمفتي أن يذكر الدليل مستغنياً به عن التنصيص على جواب الفتيا، إذا كان السائل بصيراً بموضع الحجة.

٤ ـ فيه دليل على أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لم يبلغه نسخ تحريم الانتباذ في الجرار، وهو ثابت من حديث بريدة بن الحصيب ـ رضي الله عنه ـ عند مسلم.

٥ ـ استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي ﷺ كثيراً.

٦ ـ أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة بفضل الله ـ تعالى ـ.

٧ ـ دليل على جواز الاعتماد على خبر الواحد الثقة.

٨ ـ جواز الاستعانة بالإخوة، والأصحاب في تبليغ العلم.

٩ ـ جواز؛ بل استحباب قول مرحباً بعد رد السلام أو طرحه.

١٠ ـ الرد على المرجئة؛ حيث زعموا: أن المصدق مؤمن لا يجب عليه فعل آخر غير ذلك.



٢٥ ـ (...) وحدّثني عُبَيْدُالله بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي. (ح) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالا جَمِيعاً: حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ، نَحو حَدِيثِ شُعْبَةَ، وَقَالَ: «**أَنْهَاكُمْ عَمَّا يُنْبَذُ فِي الدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْحَنْتَم وَالْمُزَفَّتِ**»، وَزَادَ ابْنُ مُعَاذٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلأَشَجِّ، أَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: **(قالا جميعاً)** حدثا مجتمعين في وقت واحد أو وقتين.

٢ ـ مسلسل بثقات البصريين.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(للأشج)**؛ هو: المنذر بن عائذ العصري.

قوله: **(إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)**:

(الحلم): العقل.

و**(الأناة)**: التثبت وترك العجلة. وكان ذلك لفعله الدال على وجود هاتين الصفتين.

وسببه قول النبي ﷺ ذلك له ما جاء في حديث الوفد عند أبي داود (٥٢٢٥) بإسناد حسن من حديث أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع، وكان في وفد عبد القيس، قال: لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبّل يد النبي ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته، فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «**إن فيك خلّتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»، قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك عليهما**»، قال: الحمد للّه الذي جبلني على خلّتين يحبهما الله ورسوله.

فقه الحديث:

١ ـ جواز مدح الرجل في وجهه بما فيه إذا أمنت الفتنة.

٢ ـ استحباب التخلُّق بهذا الخلق الكريم.

٣ ـ الأخلاق منها ما هو جِبِلّي ومنها ما هو كسبي.



٣٦ ـ (١٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ لَقِيَ الْوَفْدَ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ. قَالَ سَعِيدٌ: وَذَكَرَ قَتَادَةُ أَبَا نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ فِي حَدِيثِهِ هَذَا؛ أَنَّ أُنَاساً مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ الله! إِنَّا حَيٌّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلاَ نَقْدِرُ عَلَيْكَ إِلاَّ فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، إِذَا نَحْنُ أَخَذْنَا بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: اعْبُدُوا اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا الْخُمُسَ مِن الغَنَائِمِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الدُّبَّاءِ، والحَنْتَمِ، وَالمُزَفَّتِ، وَالنَّقِيرِ**». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللّهِ، مَا عِلْمُكَ بِالنَّقِيرِ؟ قَالَ: «**بَلَى، جِذْعٌ تَنْقُرُونَهُ، فَتَقْذِفُونَ فِيهِ مِنْ الْقُطَيْعَاءِ**» ـ قَالَ سَعِيدٌ: أَوْ قَالَ: «**مِنْ التَّمْرِ ـ ثُمَّ تَصُبُّونَ فِيهِ مِنْ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا سَكَنَ غَلَيَانُهُ**

شَرِبْتُمُوهُ، **حَتَّى إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوْ إِنْ أَحَدَهُمْ - لَيَضْرِبُ ابْنَ عَمِّهِ بِالسَّيْفِ**». قَالَ: وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ كَذَلِكَ. قَالَ: وَكُنْتُ أَخْبَؤُهَا حَيَاءً مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. فَقُلْتُ: فَفِيمَ نَشْرَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**فِي أَسْقِيَةِ الأَدَمِ، الَّتِي يُلاثُ عَلَى أَفْوَاهِهَا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَرْضَنَا كَثِيرَةُ الْجِرْذَانِ، وَلا تَبْقَى بِهَا أَسْقِيَةُ الأَدَمِ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ**»، قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ؛ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**».

✸ راوي الحديث:

أبو سعيد الخدري؛ هو: سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، من علماء الصحابة، فهو صحابي وأبوه صحابي، أكثر من رواية الحديث، فقد روى (١١٧٠) حديثاً، وأفتى مدة، مات في أول سنة (٧٤هـ) وله (٨٦) سنة.

➢ فوائد الإسناد:

١ - هذا الحديث من أفراد مسلم.

٢ - من سداسيات المصنف - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

٣ - رجاله رجال الستة؛ غير شيخ المصنف فقد تفرد به هو وأبو داود.

٤ - فيه رواية تابعي - قتادة - عن تابعي - أبي نضرة -.

٥ - مسلسل بثقات البصريين غير شيخه؛ فبغدادي.

✵ غريب الحديث:

(لقي): استقبل، أو صادف.

(الوفد): الجماعة المختارة من القوم؛ ليتقدموا في لقاء العظماء في الأمور المهمة.

(حيّ): قبيلة، سمُّوا بذلك؛ لأن بعضهم يحيا ببعض.

(ولا نقدر عليك): لا نقوى، ولا نتمكن من الوصول إليك؛ خوفاً من الكفار.

قوله: **(ما علمك بالنقير)**؛ هو سؤال استبعاد، إذ لم يكن بأرضه ﷺ.

(جذع): ساق النخلة.

(تنقرونه): تحفرون وسطه.

قوله: **(فتقذفون فيه من القطيعاء)**؛ أي: تلقون فيه التمر الصغير المسمى بالقطيعاء؛ وهو: التمر الصغار المسمى بالشهريز.

(ثم تصبون فيه): في ذلك الجذع الذي ألقيتم فيه من التمر الصغار.

(إذا سكن غليانه): اضطرابه.

(حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف): حتى إذا أكثرتم شربه، وسكرتم لم يبقَ له عقل، وهاج به الشر، فيضرب ابن عمه الذي هو عنده من أَحَب أحبابه.

(وفي القوم رجلٌ أصابته جراحة كذلك): هذا الرجل جهم بن قثم، وكانت الجراحة في ساقه.

قوله: **(وكنت أخبؤها حياءً من رسول الله)**؛ أي: أخفيها استحياءً من رسول الله.

قوله: **(في أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها)** الأسقية: جمع سقاء. والأدم: جمع أديم، وهو الجلد الذي تمّ دباغته. ويلاث؛ أي: يربط.

قوله: **(إن أرضنا كثيرة الجرذان)**: جمع جرذ ـ بضم الجيم وفتح الراء ـ: نوع من الفأر الكبير.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب بيان الحكم الشرعي مع الدليل، وذلك أفضل في حقّ المفتي.

٢ ـ استحباب بيان الحِكمة الشرعية في التحريم إن كانت معلومة بينة.

٣ ـ بيان حرمة شرب الخمر من أي نوع كان، وبأي طريقة صنع.

٤ ـ بيان خطورة شرب المسكرات، وأسوأ منه تعاطي المخدرات: الشيء الذي يؤدي إلى قتل الأبرياء، وانتهاك الأعراض.

٥ ـ جواز تكرار الإجابة ثلاثاً، أو أكثر إن دعت الحاجة لذلك.

٦ ـ إثبات صفة المحبة لله ـ تعالى ـ.

٧ ـ فضل من اتصف بهذه الصفات.

٨ ـ بيان علم من أعلام النبوة، وهو ذكر الرسول ﷺ ما يفعل الخمر، وكان في القوم رجل وقع له مثل ما أخبر الرسول ﷺ.

٩ ـ لا عيب على المستفتي إذا طلب التوضيح والتقريب من المفتي.

١٠ ـ جواز مراجعة العالم على سبيل الاسترشاد.

١١ ـ من حكمة الداعي إلى الله أن لا يواجه الناس بأخطائهم، بل بحسن معاشرة.



٢٧ ـ حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِي، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ لَقِيَ ذَاكَ الْوَفْدَ. وَذَكَرَ أَبَا نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ، غَيْرَ أَنَّ فِيهِ: «**وَتَذِيفُونَ فِيهِ مِنَ الْقُطَيْعَاءِ، أَوِ التَّمْرِ، وَالمَاءِ**». وَلَمْ يَقُلْ: قَالَ سَعِيدٌ، أَوْ قَالَ: مِنَ التَّمْرِ.

❋ غريب الحديث:

(تذيفون): تخلطون.

فقه الحديث:

تقدم الكلام عليه في الحديث السابق.



٢٨ ـ (...) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ. (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو قَزْعَةَ؛ أَنَّ أَبَا نَضْرَةَ أَخْبَرَهُ، وَحَسَناً أَخْبَرَهُمَا؛ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا نَبِيَّ الله ﷺ قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله! جَعَلَنَا اللّهُ فِدَاءَكَ، مَاذَا يَصْلُحُ لَنَا مِنَ الأَشْرِبَةِ؟ فَقَالَ: «**لا تَشْرَبُوا فِي النَّقِيرِ**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله! جَعَلَنَا اللّهُ فِدَاءَكَ، أَوَ تَدْرِي مَا النَّقِيرُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ. الْجِذْعُ يُنْقَرُ وَسَطُهُ، وَلا فِي الدُّبَّاءِ وَلا فِي الْحَنْتَمَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمُوكَى**».

◄ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الإسناد يعد من المشكلات، وألف فيه أبو موسى الأصبهاني جزءاً مفرداً، ولخصه أبو عمرو بن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم» (ص١٥٨ ـ ١٦١).

٢ ـ وأورده على الجادة الإمام أحمد في «كتاب الأشربة» (٨٦)..

* غريب الحديث:

قوله: (**وحسناً**)؛ هو الحسن بن مسلم بن ينّاق، وهذا القول معطوف على الضمير المنصوب في «أخبره» الواقع خبراً لـ«أن» من قوله: «أن أبا نضرة أخبره»، وقوله: «أخبرهما» تأكيد لقوله: «أخبره وحسناً».

قوله: (**وجعلنا الله فداءك**)؛ أي: وقاك الله المكاره.

قوله: (**وعليكم بالموكى**)؛ من الوكاء، وهو: الخيط الذي يربط على أفواه القرب والأوعية.

ومعناه: انبذوا في السقاء الدقيق الذي يوكىٰ.

فقه الحديث:

١ ـ من ذكاء الفقيه والمفتي أنه إذا سدّ باباً فتح آخر أمام السائل؛ ليعينه على ترك المحرم.

٢ ـ جواز قول الإنسان المسلم: جعلني الله فداءك، وقد عقد الإمام البخاري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في صحيحه باباً فقال «باب قول الرجل: «جعلني الله فداءك».

وعليه فيجوز أن يقوله المرء لولي أمره، ولكبيره، ولذوي العلم والفضل، ولمَن أحبّ من إخوانه المسلمين من غير محظور عليه ذلك بل يثاب عليه إذا قصد توقير الكبراء والعلماء.

● **فائدة:**

قال الرسول ﷺ: «**آمركم بأربع**»، والمذكور في أكثر الروايات خمس، وللعلماء أقوال في ذلك، أظهرها ما قاله ابن بطال: وأمرهم بالأربع التي وعدهم بها، ثم زادهم خامسة ـ يعني: أداء الخمس ـ لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر، فكانوا أهل جهاد وغنائم.

وقال بعضهم: إن الأربع المأمور بها؛ أولها: إقام الصلاة، وإنما ذكر الشهادتين تبرُّكاً بهما؛ لأن القوم كانوا مؤمنين مقرِّين بكلمتَيْ الشهادة، ويستأنس لهذا برواية البخاري في الأدب بدون الشهادتين، ويضعفه ما جاء هنا في زيادة الرواية الأولى: «شهادة أن لا إله إلا الله وعقد واحدة».

ولم يذكر الحج في هذا الحديث؛ لأنه لم يكن فرض بعد، فإن قدوم وفد عبدالقيس كان عام الفتح قبل خروج النبي ﷺ إلى مكة، ونزلت فريضة الحج سنة تسع على الأشهر.

وقيل: ترك ذكره؛ لأنهم لم يكن لهم إليه سبيل من أجل كفار مضر، ويرد هذا القول أنه لا يلزم من عدم الاستطاعة في الحال ترك الإخبار به ليعمل به عند الإمكان كما في الآية.

ثم إن دعوى أنهم كانوا لا سبيل لهم إلى الحج ممنوعة من أساسها؛ لأن الحج يقع في الأشهر الحرم، وهم يأمنون فيها.

● **فائدة أخرى:**

قال الإمام النووي بعد بيان ما يتعلق بالحديث سنداً ومتناً: فهذه أطراف مما يتعلق بهذا الحديث، وهي وإن كانت طويلة، فهي مختصرة بالنسبة لطالبي التحقيق.



٧ ـ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام

٢٩ ـ (١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعاً عَنْ وَكِيعٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ زَكَرِيَّاءَ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: رُبَّمَا قَالَ وَكِيعٌ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ مُعَاذاً قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ**».

✹ راوي الحديث:

معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالرحمٰن المدني، من فضلاء الصحابة ونبلائهم وفقهائهم، وإمام العلماء يوم القيامة وأمامهم، شهد العقبة وبدراً وغيرها من المشاهد، استعمله النبي ﷺ على اليمن، واستعمله عمر على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح، توفي في طاعون عمواس سنة (١٧هـ)، وقيل: (١٨هـ)، وله **٣٨** سنة.

وأما ابن عباس؛ فهو الحبر البحر ترجمان القرآن، تقدمت ترجمته في (١٧/٢٣).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية صحابي عن صحابي، وهي: رواية الأقران.

٢ ـ دقق مسلم في إسناد هذا الحديث حيث قال مرة: «عن معاذ»، وأخرى: «أن معاذاً»؛ ليبين أنه لا فرق بين: عن، وأن عنده.

ولهذا قال النووي: «هذا الذي فعله مسلم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ نهاية التحقيق، والاحتياط والتدقيق».

٣ ـ أنه مرسل صحابي بصيغة «أن»، ومرسل الصحابي حجة.

٤ ـ حديث معاذ بن جبل متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (١٣٩٥ و٧٣٧٢).

* غريب الحديث:

قوله: (**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب**)؛ أي: اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، وإنما نبهه على ذلك؛ ليتهيأ لهم ويستعد لمناظرتهم، فإنهم أهل الكتاب، ولكونهم على علم في الجملة؛ فتكون العناية في مخاطبتهم آكد وأقوى من العناية من مخاطبة الجهّال؛ لأن جهّال المشركين، وعبَدَة الأوثان ليس عندهم علم سابق، وهذا يجعله يستجمع همته لوصية الرسول ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ له.

قوله: (**فادعهم**)؛ أي: ادعُ أهل اليمن أولاً إلى شيئين:

أحدهما: شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: شهادة أن محمداً رسول الله.

وفي رواية البخاري: «**فإذا جئتهم فادعهم**»: عبّر بلفظ: «إذا» تفاؤلاً بحصول المقصود، وبتحقق الوصول إليهم.

قوله: (**إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**): هذه رواية الأكثرين، وفي رواية: «**فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله**»، وفي أخرى: «**إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك**».

ويجمع بينهما: أن المراد بعبادة الله توحيده، وبتوحيده الشهادة له بالعبودية، ولنبيِّه بالرسالة.

قوله: **(فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة)**: طاعتهم بالصلاة تكون على وجهين:

أحدهما: إقرارهم بوجوبها وفرضيتها عليهم، والتزامهم لها.

والآخر: طاعة الفعل وأداء الصلاة، وعدم تركها على وجه من الوجوه.

قوله: **(فإن هم أطاعوا لذلك)**؛ أي: اعترفوا، وشهدوا، وانقادوا لما فرض عليهم قولاً وعملاً واعتقاداً.

قوله: **(فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة)**؛ أي: زكاة، وأطلق لفظ الصدقة على الزكاة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠].

قوله: **(فإياك وكرائم أموالهم)**: الكرائم: جمع كريمة؛ وهي: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها، ويختمها له لما فيها من صفات جامعة للكمال الممكن في حقها مثل: غزارة لبن، وجمال صورة، وكثرة لحم، أو صوف، وغيرها.

قوله: **(واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)**؛ أي: احذر ظلم العباد؛ حتى لا تصيبك دعوة مظلوم منهم، ومن ذلك: أخذ نفائس أموال العباد؛ فإن دعوة المظلوم مستجابة لا تُرد، ولو من كافر، أو فاسق لا يحجبها شيء عن الله ـ تعالى ـ.

فقه الحديث:

١ ـ قبول خبر الواحد في باب الأحكام الشرعية والعقائد، ووجوب العمل به مطلقاً دون تقييد، وهذا موضع إجماع بين أهل السنّة والجماعة، وإنما خالف أهل الأهواء والبدع.

ومنه: ما ظهر بالدليل الصريح أن: خبر الواحد الصحيح يفيد العلم لا الظن.

٢ ـ اختيار العلماء وطلاب العلم النبهاء للقيام بوظيفة الرسل، وهي الدعوة إلى الله وتعلُّم دينه، وذلك لأن معاذاً كان أعلم أُمة النبي ﷺ بالحلال والحرام.

وهذا بخلاف ما تقوم به بعض الحركات التبليغية من استثارة العوام للقيام بالدعوة إلى الإسلام؛ فكان ضررهم أكبر من نفعهم.

ومنه تعلم يقيناً: أن العلماء هم الدعاة إلى الله، وأن التفريق بين العلماء والدعاة من كيس أهل البدع والمنحرفين عن منهج السلف الصالح.

٣ ـ بيان أصل من أصول الدعوة، وشرط من شروطها؛ وهو: معرفة أحوال المخاطبين؛ لإقامة الحجة عليهم، وإفحامهم بالآيات البيِّنات، والأدلة النيِّرات.

٤ ـ أن الإمام ينبغي له أن يعظ ولاته، ويأمرهم بتقوى الله، ويبالغ في نهيهم عن الظلم، ويعرفهم قبح عاقبته.

٥ ـ البدء بالدعوة قبل القتال.

٦ ـ البدء بالأهم؛ فالأهم في الدعوة إلى الله: التوحيد، ثم ما بعده.

٧ ـ أول واجب على الكفار النطق بالشهادتين.

٨ ـ لا يحكم بإسلام أحد إلا إذا نطق بالشهادتين؛ وهذا مذهب أهل السنّة والجماعة؛ لأن ذلك أصل الدين الذي لا يصح شيء من فروعه إلا بتحققه.

٩ ـ لا يطالب أحد بالصلاة أو الزكاة حتى يأتي بالأساس، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، ولهذا قال العلماء: إن كل عبادة من شرطها الإسلام؛ وهو: الشهادتان.

١٠ ـ أنه يجوز الأمر بالمجمل، حيث لم يبين مقدار الصدقة، ولا أنصبتها، ولم يبين من أصنافها إلا واحداً؛ وهم: الفقراء.

١١ ـ دليل على أن أهل الكتاب اليوم ليسوا من أهل التوحيد، ولذلك فالدعوة إلى وحدة الأديان ضرب من الهذيان، ومن خلط أهل النفاق، وخطط أهل الطغيان.

١٢ ـ التدرج في بيان أحكام الشريعة، ونشرها مرحلة مرحلة، وخطوة خطوة.

١٣ ـ أن الواجب من الصلوات في اليوم والليلة خمس صلوات لا غير، وعليه؛ فالوتر ليس بواجب، لأن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن قبل وفاته بقليل بعد الأمر بالوتر، والعمل به.

١٤ ـ جواز إطلاق لفظ الصدقة وإرادة الزكاة.

١٥ ـ دليل على فرضية الزكاة في الأموال كلها.

١٦ ـ جواز بعث الإمام السعاة؛ لأخذ الزكاة.

١٧ ـ أن الأغنياء لا يستحقون الزكاة؛ بل تؤخذ منهم.

١٨ ـ أن الزكاة تؤخذ، وتعطى إلى مصارفها من المسلمين ـ فقط ـ.

١٩ ـ أن الزكاة واجبة في مال كل غني، سواء كان صغيراً أو كبيراً، يتيماً أو مجنوناً.

٢٠ ـ أن الزكاة لا تؤخذ من الفقراء.

٢١ ـ أن المال الذي يؤخذ من أغنياء بلدة يرد إلى فقرائها على أرجح القولين عندي، ومعلوم أن هذا لا إشكال فيه فيما إذا تساوى أهل البلد ومَن كان بعيداً منه في الحاجة والأجر والثواب، وأما إذا تميز غيرهم بميزة؛ كشدة الحاجة، أو كونهم أرحاماً، فإنه يكون على أقل الأحوال جائزاً، لأن هذا فضل متعلق بذات العبادة، والأولى بمكانها.

٢٢ ـ الزكاة لا تدفع إلى كافر، ولا إلى غني، أو قوي ذي مرة سوي، ولذلك مَن ملك النصاب لا يعطى من الزكاة.

٢٣ ـ التحذير من الظلم بكل أنواعه، وبيان خطورته.

٢٤ ـ النهي عن أخذ خيار المال؛ بل من أوسطه، فمواساة الفقراء لا تكون على حساب الإجحاف بحق الأغنياء. فسامح الشرع أصحاب الأموال بما يصنعون به، ونهى المصّدِّقين عن أخذه، كما نهاهم عن أخذ شر المال ورديئه، فلا يؤخذ من الغني خيار ماله، ولا يعطى الفقير شرار ماله، بل الوسط، وهكذا جرت حكمته تعالى بالرفق بالعباد في كل أمر من الأمور.

٢٥ ـ أن دعوة المظلوم لا تُرد، وإن كان فاجراً؛ بل وكافراً، وفيه الوعد الحق بأن الله تعالى يستجيب للمظلوم، غير أنه قد تعجل الإجابة فيه، وقد تؤخر؛ إملاء للظالم، كما في حديث أبي موسى الأشعري الصحيح قال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وكما في حديث أبي هريرة الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يرفع دعوة المظلوم على الغمام، ويقول لها: لأنصرنك ولو بعد حين**».

٢٦ ـ تخويف الظالم بعاقبة أمره.

٢٧ ـ إباحة الدعاء على المظلوم.

٢٨ ـ أن الذي يجمع مال الزكاة يذهب إلى بيت ومرعى الذي وجبت عليه.

٢٩ ـ أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، على أرجح أقوال المحققين وأكثرهم.

٣٠ ـ لم يذكر في هذا الحديث الصوم ولا الحج، ومن الأجوبة على ذلك: أن الرسول بعث معاذاً وكان قبل الصوم بشهور، فاختار الرسول ﷺ ألَّا يبين فرض الصوم حتى يقرب وقته، ويكون الإيمان قد رسخ في قلوبهم، والتزموا أحكام الإسلام التزاماً كاملاً.

وأما الحج؛ فقيل: إنه لم يأتِ وقته بعد، فلذلك لم يذكره الرسول ﷺ.

وأقرب الأجوبة على ذلك: أن الرسول ﷺ ذكر الصلاة وهي عبادة بدنية، والصوم كذلك فيدخل في معناها، وذكر الزكاة وهي عبادة مالية، والحج عبادة بدنية ومالية، فيدخل في ذلك، والله أعلم.



٣٠ ـ (. . .) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَاقَ. (ح) وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمَ، عَنْ زَكَرِيَّاءَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ. فَقَالَ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْماً**» بِمِثْلِ حَدِيثِ وَكِيع.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ ليس في الكتب الستة من يسمى «عبد» بغير إضافة إلا عبد بن حميد بن نصر الكسّيّ.

٢ ـ رواية بشر وعاصم أخرجهما أبو نعيم في «مستخرجه» (١/١١٤).

فقال: حدثناه أبو حامد، ثنا أبو بكر بن خزيمة، ثنا بُندار، ثنا أبو عاصم، ثنا زكريّا بن إسحاق. . . الحديث.

وأما حديث بشر بن السريّ، فحدثناه محمد بن إبراهيم بن عليّ، ثنا إسحاق بن أحمد الخُزَاعيّ القارئ، ثنا محمد بن أبي عمر، ثنا بشر بن السريّ، ثنا زكريًّا بن إسحاق، عن يحيى بن عبدالله بن صيفيّ، عن أبي معبد، عن ابن عبّاس: أن النبيّ ﷺ بَعَثَ معاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: «**إنك ستأتي قوماً أهل الكتاب، فإذا لقيتهم، فادعهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن عليهم خمسَ صلوات في يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، وتُردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**».

❁ غريب الحديث:

قوله: (**عن ابن عباس أن النبي ﷺ بعث معاذاً**): هذا اللفظ يقتضي أن الحديث في مسند ابن عباس، وكذلك الرواية التي بعده، وأما الرواية الأولى فمن مسند معاذ، والظاهر أن ابن عباس سمعه من معاذ، فرواه تارة عنه متصلاً، وتارة أرسله، وكلاهما صحيح، لأن مرسل الصحابي حجة.

ويحتمل أن ابن عباس حضر القضية، فتارة رواها بلا واسطة؛ لحضوره إياها، وتارة رواها عن معاذ إما لنسيانه وإما لمعنى آخر، والله تعالى أعلم.

قوله: (**بمثل حديث وكيع**)؛ أي: أن حديث بشر بن السريّ وأبي عاصم عن زكريا بن إسحاق بمثل ألفاظ حديث وكيع عنه.

• تنبيه:

رواية بشر وأبي عاصم أخرجهما أبو نعيم في «مستخرجه» (١١٤/١) فقال: حدثنا أبو حامد، ثنا أبو بكر ابن خزيمة، ثنا بندار، ثنا أبو عاصم، ثنا زكريا بن إسحاق... الحديث.

وأما حديث بشر بن السري، فحدثناه محمد بن إبراهيم بن علي، ثنا إسحاق بن أحمد الخزاعي القارىء، ثنا يحيى بن عبدالله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس: أن النبي ﷺ بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا لقيتهم فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات في يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتُرد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**».



٣١ ـ (...) حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ ـ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ ـ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللّهِ ـ ﷻ ـ فَإِذَا عَرَفُوا اللّهَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ؛ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**إنك تقدم على قوم أهل كتاب**)؛ أي: اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، أو أغلب.

قوله: (**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ـ ﷻ ـ**)؛ العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. والمراد بالعبادة هنا: النطق بالشهادتين.

قوله: (**فإذا عرفوا الله**)؛ أي: أطاعوا بالنطق بكلمتَيْ التوحيد.

قوله: (**وتوقَّ كرائم أموالهم**)؛ أي: احذر من أخذ خيار أموالهم ونفائسها.

✧ فقه الحديث:

١ ـ أن الإنسان ينبغي له إذا أراد القدوم إلى قوم أن يتعرّف على أحوالهم، ليستعد بما يليق بهم، ويخاطبهم بما يدركون من الكلام، وهذا هو فقه الواقع الصحيح.

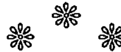
٢ ـ دليل على أن مشركي أهل الكتاب لا يعرفون الله ـ تعالى ـ وإن كانوا يعبدونه، ويظهرون معرفته، لدلالة السمع عندهم على هذا، وإن كان الفعل لا يمنع أن يعرف الله مَن كذّب رسولاً.

لكن ما عرف الله تعالى حق معرفته من شبَّهه، وجسّمه، أو أجاز عليه البداء، أو أضاف إليه الولد، وأجاز الحلول عليه والانتقال والامتزاج، فمعبودهم الذي عبدوه، ليس هو الله، وإن سمُّوه به.

ولذلك؛ فإن معرفة الله تعالى كما يحب ويرضى لا تكون صحيحة إلا بمتابعة رسوله محمد ﷺ.

٣ ـ ليس في حديث معاذ حجة لمَن تمسك به من المتكلمين على أن أول واجب على المكلّف معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان، بل هو حجة لمَن قال: إن أول الواجبات هو التلفظ بشهادة التوحيد، مصدقاً بها.

والذي عليه المحققون: أن أول واجب على المكلّف هو التصديق الجازم بالله، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وملائكته، والقدر خيره وشره وحلوه ومُرّه على ما تقرر في حديث جبريل كيفما حصل ذلك الإيمان، وبأي طريق إليه توصل، والنطق باللسان، وذلك أن الإيمان معرفة وانقياد على ما فصّلناه في المقدمات.



٨ ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبيّ ﷺ. وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله ـ تعالى ـ وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام

٣٢ ـ (٢٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُالله بْنُ عَبدِالله بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلهَ إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِله إِلَّا الله؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ**»؟! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللّهِ، لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكاة؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ. وَاللّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ؛ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ؛ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَوَاللّهِ، مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللّهَ ـ عز وجل ـ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨/١).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه رواية صحابي عن الشيخين: أبي بكر وعمر.
٢ ـ رجاله كلهم رجال الجماعة.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ ﵁ ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (١٣٩٩ و١٤٥١ و٦٩٢٤ و٨٢٨٤ و٨٢٨٥).

* غريب الحديث:

قوله: **(عن أبي هريرة؛ قال)**: هذه رواية الأكثر عن الزهري؛ على أنه من رواية أبي هريرة عن أبي بكر وعمر.

وفي رواية الزهري عن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس**» فساقه على أنه من مسند أبي هريرة ولم يذكر أبا بكر ولا عمر، وهذا يدل على أن أبا هريرة ـ ﵁ ـ سمع أصل الحديث من النبي ﷺ، ثم حضر مناظرة أبي بكر وعمر، فرواها كما هي.

قوله: **(لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ـ ﵁ ـ بعده)**: كان أبو بكر ـ ﵁ ـ هو الخليفة الذي نصّ على توليه رسول الله ﷺ بصريح الإشارة، وصحيح العبارة، واجتمعت كلمة المسلمين على ذلك من الصحابة الأبرار والقرابة الأطهار رضي الله عنهم جميعاً خلافاً لمن أنكر ذلك من أهل البدع والأهواء.

قوله: **(وكفر من كفر من العرب)**؛ وذلك أن الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ انقسموا إلى طوائف عدة، لكل واحدة منها رأي جديد؛ إلا مَن بقي على الجادة، وهذه الأصناف التي ضلّت هي:

١ ـ صنف ارتدوا عن الدين، وعادوا لجاهليتهم، واتبع مسيلمة، وسجاح، والعنسي، وصَدَّق بهم، وتركوا الصلاة، وأنكروا الشرائع، وغيرها من أمور الدين.

٢ ـ وصنف فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأنكروا الزكاة؛ وجوبها وأداءها إلى الإمام وهو الخليفة، وأن وجوب أدائها كان في زمانه ﷺ فقط.

٣ ـ وصنف اعترف بوجوبها، ولكن امتنع عن دفعها للإمام، وقال: إنما كان النبي ﷺ يقبضها؛ فهي تدفع له خاصة، ولا تدفع لغيره؛ بل يُفَرِّقُها صاحبها.

قال القرطبي: «وهذا الصنف الثالث هم الذين أشكل أمرهم على عمر - رضي الله عنه - فباحث أبا بكر - رضي الله عنه - حتى ظهر له الحق الذي كان ظاهراً لأبي بكر - رضي الله عنه - فوافقه على ذلك، ولذلك قال: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال؛ فعرفت أنه الحق»؛ أي: ظهر له من الدليل، وحصل له من ثلج الصدر وانشراحه لذلك مثل الذي حصل لأبي بكر - رضي الله عنه -، لا أنه قلّده، واتبعه بعد ظهور الدليل؛ لأن التقليد لا ينشرح به الصدر، ولا يُعرف به الحق، ولأنه لا يجوز لمجتهد أن يقلّد مجتهداً عند تمكّنه من الاجتهاد.

ثم إن أبا بكر - رضي الله عنه - قاتل جميع المرتدين الثلاثة الأصناف، وسبى ذراريهم. قال القاضي: وحكم فيهم بحكم الناقضين للعهد، فلما توفي أبو بكر ووُلِّي عمر ردّ عليهم سبيهم، وحكم عليهم بحكم المرتدين. وكان أبو بكر يرى سبي أولاد المرتدين... وكان عمر يرى أنهم لا يسبون، ولذلك ردّ سبيهم، وبهذا قال جمهور العلماء، وأئمة الفتوى»[1].

وقال الخطابي: «مما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردّة كانوا صنفين: صنف ارتدوا عن الدين، ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر، وهم الذين عناهم أبو هريرة - رضي الله عنه - بقوله: «وكفر مَن كفر من العرب»، وهذه الفرقة طائفتان:

إحداهما: أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدّقوه على دعواه في النبوة، وأصحاب الأسود العنسي ومَن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم، وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مدّعية النبوة لغيره، فقاتلهم أبو بكر - رضي الله عنه - حتى قتل الله مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء، وانفضّت جموعهم، وهلك أكثرهم.

والطائفة الأخرى: ارتدوا عن الدين، وأنكروا الشرائع، وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية، فلم

---

(١) «المفهم» (١/١٨٥ - ١٨٦).

يكن يسجد لله تعالى في بسيط الأرض إلا في ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد عبدالقيس في البحرين...

والصنف الآخر: هم الذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة، وأنكروا فرض الزكاة، ووجوب أدائها إلى الإمام، وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي، وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمان خصوصاً؛ لدخولهم في غمار أهل الردة، فأضيف الاسم في الجملة إلى الردة؛ إذ كانت أعظم الأمرين وأهمها...

وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف، ووقعت الشبهة لعمر، فراجع أبا بكر وناظره، واحتج عليه بقول النبي ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمَن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم نفسه وماله**»، وكان هذا من عمر تعلُّقاً بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره، ويتأمل شرائعه، فقال له أبو بكر: إن الزكاة حق المال؛ يريد أن القضية التي قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإيفاء شرائطها، والحكم المعلّق بشرطين لا يحصل بأحدهما، والآخر معدوم، ثم قايسه بالصلاة، ورد الزكاة إليها، فكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع عن الصلاة كان إجماعاً من الصحابة، لذلك ردّ المختلف فيه إلى المتفق عليه، فاجتمع في هذه القضية الاجتماع في عمر ـ رضي الله عنه ـ بالعموم، ومن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بالقياس، ودلّ ذلك على أن العموم يخصّ بالقياس، وأن جميع ما تضمنه الخطاب الوارد في الحكم الواحد من شرط واستثناء مراعى فيه، ومعتبر صحته به، فلما استقر عند عمر صحة رأي أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وبان له صوابه، تابعه على قتال القوم، وهو معنى قوله: «فلما رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، عرفت أنه الحق» يشير إلى انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها، والبرهان الذي أقامه نصاً ودلالة»[1].

قوله: (**كيف تقاتل الناس...**) استفهام استنكاري، والمعنى: أن من أتى بالتوحيد فقد عصم ماله ودمه وأنت تقاتلهم، وهذا يدل على أن

---

(١) «معالم السنن» (٢/١٦٣ ـ ١٦٨ باختصار).

عمر - رضي الله عنه - لم يستحضر بقية الحديث وقت مناظرة أبي بكر، ولذا لم يتأمل شرائطه.

قوله: **(أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)**؛ أي: أن الله أمرني بقتال من لم يؤمن من الناس حتى يقر بالتوحيد، وينقاد للوازمه وواجباته وشرائطه. وإنما لم يذكر الشهادة بالرسالة والصلاة والزكاة؛ لأنه لم يستحضرها أيضاً؛ فاحتج بهذا اللفظ.

قوله: **(فمن قال: لا إله إلاّ الله؛ فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)**: أن العصمة متحققة فيمن جاء بالتوحيد، ولم ينقض أصلاً من أصوله، أو يخالف شرطاً من شروطه، ومن لم يقع في حدٍّ من الحدود الموجبة للقتل أو القتال، مثل: الردة، وقتل النفس، والزنى بعد الإحصان.

وأن الحكم على الناس هو بحسب ما يظهر من أعمالهم، ولو كانت سرائرهم مطوية على الكفر والنفاق والتكذيب.

قوله: **(والله لأُقاتلنَّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال)**: يقسم لتأكيد ما يفعله من قتال من جحد الزكاة أو امتنع من أدائها.

فإن الزكاة حق المال والصلاة حق النفس؛ فمَن صلّى عصم نفسه، ومن زكّى عصم ماله؛ فمَن لم يُصَلِّ قوتل على ترك الصلاة، ومَن لم يُزَكِّ قوتل على ترك الزكاة إن نصب الحرب لذلك، وإلا أخذن منه قهراً وشطر ماله.

قوله: **(والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه)**: العقال؛ هو: الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة؛ لأن على صاحبها التسليم، وإنما يقع القبض بالرباط.

والمعنىٰ: أنهم لو امتنعوا من أداء ما وجب أداؤه، ولو كان حقيراً قليلاً صغيراً؛ لقاتلتهم عليه سواء كانوا جاحدين أم مانعين أداءه.

وقع في بعض الروايات عند البخاري (عناقاً)، وأشار البخاري أنها

أصح، وجمع النووي بين الروايتين فقال: «هكذا في مسلم عقالاً» وكذا في بعض روايات البخاري، وفي بعضها «عناقاً» بفتح العين، وبالنون، وهي الأنثى من ولد المعز، وكلاهما صحيح، وهو محمول على أنه كرر الكلام مرتين، فقال في مرة: «عقالاً»، وقال في الأخرى: «عناقاً»؛ فروي عنه اللفظان».

واعترض الحافظ ابن حجر على النووي، وقال: «وهو بعيد، مع اتحاد المخرج والقصة، والذي يظهر أن ما قاله النووي ليس ببعيد ولا غريب وبخاصة أن الروايتين صحيحتان؛ فالجمع والإعمال أوْلى من الترجيح والإهمال؛ لأنه يمكن أن يكرر أبو بكر الكلام في المجلس الواحد تأكيداً وتشديداً، فيذكر اللفظتين، وبخاصة إذا علمت أنه أراد بالعقال الذي يعقل به البعير، ولم يرد عينه، وإنما قدر قيمته، ولهذا قال في الرواية الأخرى «عناقاً»، إذن المراد المبالغة لا قيمة، والله أعلم».

قوله: **(فوالله ما هو إلا أن رأيت الله - ﷻ - قد شرح صدر أبي بكر للقتال؛ فعرفت أنه الحق)**:

(رأيت): علمت وأيقنت.

و**(شرح)**: فتح ووسَّع وليَّن.

والمعنىٰ: أني علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله - سبحانه - في قلبه من الطمأنينة لذلك، واستصوابه ذلك. وعلمت أنه الحق بما أظهر من الدليل وإقامة الحجة؛ فانقدت إليه، لا عن طريق التقليد من غير برهان.

وقد زعمت الروافض: أن عمر - رضي الله عنه - وافق أبا بكر - رضي الله عنه - تقليداً، وبنوه على مذهبهم الفاسد ورأيهم الكاسد في وجوب عصمة الأئمة، وهذه جهالة مرذولة، ومقالة غير مقبولة.

فقه الحديث:

١ - أن أبا بكر هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ بالنص والإجماع، فقد اتفق الصحابة - رضي الله عنهم - على ذلك، وثبت النص في ذلك.

٢ ـ عظم الفتن التي حصلت بعد وفاة رسول الله ﷺ.

٣ ـ الأصل أن دماء المسلمين معصومة.

٤ ـ للإمام أخذ مال الزكاة بالقوة إن امتنع صاحب المال من أدائه.

٥ ـ مشروعية قتال مانعي الزكاة إن أصروا وقاتلوا.

٦ ـ كفر من جحد فريضة الزكاة، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

٧ ـ تحريم الخروج عن الجماعة.

٨ ـ كفر من اعتقد حِلَّ ما حرّم الله ـ تعالى ـ، والعكس كذلك.

٩ ـ لا يحكم بالإسلام لأحد حتى ينطق بكلمة التوحيد.

١٠ ـ مَنْعُ قَتْلِ مَنْ قال: لا إله إلا الله؛ حتى يختبر.

١١ ـ أن المجتهد العدل إذا أمر بأمر، أو حكم بحكم، وجبت موافقته على الجميع، وإن كان فيهم من يرى خلاف رأيه.

١٢ ـ جواز إطلاق لفظ الكفر على من لم يكفر.

١٣ ـ جواز مناظرة الأكابر لإظهار الحق.

١٤ ـ الأدب في المناظرة واستعمال اللطف في التخطئة.

١٥ ـ أن السنة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة، ويطلع عليها آحادهم، ولهذا لا يلتفت إلى الآراء، ولو قويت مع وجود سنة تخالفها، ولا يقال: كيف خفي الأمر على فلان.

١٦ ـ اجتهاد الأئمة في النوازل وردها إلى الأصول، والمناظرة فيها.

١٧ ـ رجوع مَن ظهر له الحق وتركه رأيه الأول؛ كما فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ فقد رجع إلى قول أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد أن استبانت له الحجة، ووضحت له المحجة، وظهر له الحق، واستبان الدليل.

١٨ ـ ترك تخطئة المناظرين المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم

لبعض، أو الإنكار بعضهم لبعض ذلك، إذ كل واحد منهم مجتهد، فإن عمر لم يخطِّىء أولاً أبا بكر، وإنما احتج عليه، ثم إن أبا بكر لم يخطِّىء عمر، ولا أنكر خلافه، لكنه احتج عليه حتى بان له الحق، ورجع إلى قوله.

١٩ ـ دليل على قتل الممتنع عن أداء الصلاة بلا خلاف بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٢٠ ـ حرمة التفريق بين ما جمع الله بينهما من المسائل والأحكام.

٢١ ـ الأصل إعمال العموم والاحتجاج به.

٢٢ ـ إعمال القياس، وأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قالوا به، وعملوا به.

٢٣ ـ وجوب القتال لنشر الدعوة.

٢٤ ـ أن المرتد لا تسقط عنه فرضية الزكاة وأداؤها.

٢٥ ـ جواز الحلف على الشيء؛ لتأكيده.

٢٦ ـ من واجب العالم كشف كل شبهة، وإزالة كل فهم خاطىء غالط وقع فيه الطالب والمتعلم.

٢٧ ـ قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر، لا على السرائر التي لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ.

٢٨ ـ دليل على قوة أبي بكر وشجاعته، وتقدمه على غيره ودقيق نظره، ورصانة فكره في استنباط الأحكام الشرعية(١).

---

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في «الفروسية» (ص٥٠٠): «وكان الصديق ـ رضي الله عنه ـ أشجع الأمة بعد رسول الله ﷺ، وكان عمر وغيره أقوى منه، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابت القلب، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم ويشجعهم، ولو لم يكن له إلا ثبات قلبه يوم الغار وليلته، وثبات قلبه يوم بدر، وهو يقول للنبي ﷺ: «**يا رسول الله! كفاك بعض مناشدتك ربك؛ فإنه منجز لك ما وعدك**»».
أخرجه البخاري (**٣٩٥٣**) مختصراً، ومسلم (**١٧٦٣**)، وهذا لفظه.

٢٩ ـ الرد على المرجئة تلك الفرقة الضالة التي زعمت: أن الإيمان لا تضره المعاصي.

ولذلك؛ فإن من شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما، واعتقاد صحة جميع ما أتى به الرسول ﷺ، وقد جمع ذلك رسول الله ﷺ كما في رواية لمسلم: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويؤمنوا بما جئت به**».

٣٠ ـ البدء باستتابة المرتدين قبل قتالهم.

٣١ ـ الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

● **فائدة:**

زعم بعض الروافض: أن قتال مانعي الزكاة كان عسفاً وظلماً؛ لأنهم كانوا متأولين في منع الصدقة، ومثل هذه الشبهة تعذرهم وترفع عنهم السيف، واتهموا أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ بأنه أول مَن سبى المسلمين.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ: «هؤلاء الروافض قوم لا خلاق لهم في الدين، وإنما رأس مالهم البهت والتكذيب والوقيعة في السلف، وقد بيَّنَّا أن أهل الردة كانوا أصنافاً، منهم مَن ارتد عن الملّة، ودعا إلى نبوة مسيلمة وغيره، ومنهم مَن ترك الصلاة والزكاة وأنكر الشرائع كلها، وهؤلاء هم الذين سمّاهم الصحابة: كفاراً، ولذلك رأى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ سبيَ ذراريهم، وساعده على ذلك أكثر الصحابة، واستولد علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ جارية من سبي بني حنيفة، فولدت له محمداً الذي يدعى ابن الحنفية، ثم لم ينقضِ عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يسبى».

ويؤخذ من قول الخطابي، أن أبا بكر لم يسبِ ذراري مانعي الزكاة وقد صرّح بهذا في موضع آخر؛ فقال: «واتفقوا على أن أبا بكر لم يسبِ ذراري مانعي الزكاة إلا في شيء روي عن بعض الروافض، ولا يعتد بخلافهم».



٣٣ ـ (٢١) وحَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحيى، وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنا، وَقَالَ الآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِله إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلَّا الله عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ راوية في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي هريرة هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٢٩٤٦).

قال شيخنا الألباني ـ رحمه الله ـ: هو حديث متواتر؛ كما قال السيوطي في «الجامع الصغير»؛ فقد ورد عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة (ثم ذكرها)[١].

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أمرت**): بالبناء الذي لم يسمَّ فاعله؛ أي: أمرني ربي، وحذف الفاعل لتعيُّنه؛ لأن رسول الله ﷺ إذا قال: «أمرت» عُلِم أن الآمر هو الله.

قوله: (**أن أقاتل الناس**): أُمرت بمقاتلة الناس.

قوله: (**حتى يقولوا: لا إله إلا الله**)؛ أي: يقروا بها، ويحققوا معناها، وهو: لا معبود بحق إلا الله، ويوفوا بشروطها، ويتجنبوا نواقضها.

وذكر شهادة أن لا إله إلا الله يراد معه: وأن محمداً رسول الله؛

(١) «الصحيحة» (٤٠٧).

لتلازم الشهادتين وعدم قبول إحداهما بدون الأخرى. وقد جاء التصريح بشهادة أن محمداً رسول الله في رواية أخرى.

قوله: **(فمَن قال: لا إله إلا الله)**؛ أي: أقروا بها، وحققوا معناها، وقاموا بشروطها وواجباتها، وتركوا نواقضها.

قوله: **(عصم مني ماله ونفسه)**؛ أي: حقنوا دماءهم، وحفظوا أموالهم.

قوله: **(إلا بحقه)**؛ أي: بحق الإسلام، وفي هذا إشارة إلى النواقض التي تبيح المال والنفس.

قوله: **(وحسابه على الله)**؛ فيما يشترون به ويخفونه، دون ما يخلون في الظاهر من الواجبات أو فعل المحرمات.

فقه الحديث:

١ ـ بيان أهمية التوحيد، وأنه رأس الأمر، وأن الله بعث به جميع المرسلين ومنهم خاتمهم محمد ﷺ.

٢ ـ مشروعية الجهاد لتحقيق التوحيد، وحفظ جنابه، وحراسته.

٣ ـ عموم رسالة نبينا محمد ﷺ، وأنه مرسل للناس كافة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤ ـ مَن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله عصم ماله ودمه وعرضه، وعليه القيام بحقوقها، والوفاء بشروطها، وتحقيق واجباتها، وتجنُّب نواقضها.

٥ ـ حكم النبي ﷺ والأئمة من بعده إنما كان على الظاهر، وأما سائر الخلق فأمرهم إلى الله؛ لأنه وحده المطّلع على السرائر.



٣٤ ـ (...) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ ـ يَعْنِي: الدَّرَاوَرْدِيَّ ـ عَنِ الْعَلاَءِ. (ح) وَحَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ عَنِ الْعلاَءِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّهِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بهذا السياق، من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**حتى يشهدوا**): حتى يقوموا بحقها وهم يعلمون؛ لأن الشهادة لا تُقبل إلا بقول الحق عن علم؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قوله: (**ويؤمنوا بي وبما جئت به**): فيه بيان ما اختصر في الروايات الأُخر، ووجوب الإيمان بدين الإسلام بشموله وكماله.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ فيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف: أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلُّم أدلة المتكلمين ومعرفة الله بها؛ خلافاً لمَن أوجب ذلك، وجعله شرطاً في كونه من أهل القبلة، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به، وهذا المذهب هو قول جمهور المعتزلة والأشاعرة، وهو خطأ محض؛

لأن الرسول ﷺ اكتفى بالإقرار بما جاء به، ولم يشترط المعرفة بالدليل، وقد تظاهرت بهذا أحاديث صحيحة يحصل بمجموعها التواتر بأصلها، والعلم القطعي.



٣٥ ـ (...) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ**» بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. (ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَة، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمٰنِ؛ ـ يَعْنِي: ابْنَ مَهْدِيٍّ ـ قَالاَ جَمِيعاً: حَدَّثَنَا سُفْيانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، فإِذَا قَالُوا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

◄ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (بمثل حديث ابن المسيب عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ)؛ أي: أن حديث أبي سفيان عن جابر، وأبي صالح عن أبي هريرة بمثل سياق حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة المتقدم قبل حديث.

٢ ـ حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ من أفراد مسلم.

٣ ـ حديث أبي سفيان الذي أحاله المصنف ساقه أبو نعيم في «المستخرج» (١١٦/١): حدثنا عبدالله بن يحيى الطاحي، ثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، ثنا حفص، وحدثنا محمد بن

علي بن حبيش، ثنا القاسم بن زكريا، ثنا أبو كريب، حدثنا حفص بن غياث، وأبو معاوية، وحدثنا جعفر بن محمد بن عمرو، ثنا أبو حصين الوادعي، ثنا يحيى الحماني، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ لفظ القاسم ـ وقال حفص عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**».

وأخرجه ـ أيضاً ـ ابن منده في «كتاب الإيمان» (١٦٨/١): أنبأنا محمد بن عمرو البحتري الرزاز، ثنا عباس بن محمد الدوري، ثنا يعلى بن عبيد، أنبأنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، وعن أبي صالح عن أبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**».

* غريب الحديث:

قوله: (**ثم قرأ...**): إنما ساق الآية؛ ليؤكد أن الناس إنما يحاسبون على ما ظهر منهم، وتوكل سرائرهم إلى الله ـ تعالى ـ.

وظاهر الحديث: أن القارىء هو النبي ﷺ؛ فهو من جملة المرفوع.

فقه الحديث:

بدأ رسول الله ﷺ دعوته بالوعظ والتذكير ثم أمر بالقتال والجهاد.



٣٦ ـ (**٢٢**) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ المِسْمَعِيُّ ـ مَالِكُ بْنُ عَبْدِالْوَاحِدِ ـ حَدَّثَنَا عَبْدُالْمَلِكِ ابْنُ الصَّبَّاحِ، عَن شُعْبَةَ، عَنْ وَاقِدِ بن مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيه، عَن عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَيُقيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّهِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (٨/١).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ من سداسيات الإمام مسلم.

٢ ـ فيه رواية واقد بن محمد عن أبيه عن جد أبيه.

٣ ـ حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٢٥).

٤ ـ حديث ابن عمر غريب الإسناد.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أُمرت أن أقاتل الناس**)؛ أي: بأن أقاتل الناس.

قوله: (**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**)؛ أي: جعلت غاية المقاتلة وجود التوحيد المنافي للشرك، المتضمن الإيمان بما جاء به محمد رسول الله ﷺ.

قوله: **(ويقيموا الصلاة)**: المراد: الصلاة المفروضة؛ بأن يداوموا على الإيتاء بشروطها وأركانها وواجباتها.

قوله: **(ويؤتوا الزكاة)**: المراد: الزكاة الواجبة، بأن يعطوها لمستحقيها.

قوله: **(فإذا فعلوا)**: وفي رواية البخاري زيادة (ذلك)؛ أي: فعلوا ما ذكر من الإقرار بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

قوله: **(عصموا مني دماءهم وأموالهم)**؛ أي: حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم.

قوله: **(إلا بحقها)** ـ وفي رواية البخاري **(إلا بحق الإسلام)** ـ وهما في المعنى سواء، والمراد: حق الأموال والدماء، والاستثناء مفرغ؛ أي: لا يجوز هدر دمائهم وأخذ أموالهم بسبب من الأسباب إلا بحقها.

قوله: **(وحسابهم على الله)**؛ أي: أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة موجب لعصمة دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي بما يبيع دمه وماله، وأما في الآخرة؛ فحسابه على الله، إن كان صادقاً؛ فله الجنة، وإن كان كاذباً؛ فهو من جملة المنافقين.

فقه الحديث:

١ ـ ثبوت هذه الزيادة يقرر: أن الصحابة يختلفون، أو يتفاوتون في مقدار الحفظ.

٢ ـ هذه الزيادة تدل على: أن المقاتلة تكون ـ أيضاً ـ على ترك الصلاة والزكاة.

٣ ـ فيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة، والحكم بما يقتضيه الظاهر، والاكتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الصحيح الجازم.

٤ ـ فيه ترك تكفير أهل البدع والأهواء المقرّين بالتوحيد الملتزمين للشرائع.

٥ ـ فيه بيان أن الإيمان أجزاء وشُعَب تتباين أحوال المخاطبين فيها.

٦ ـ في الحديث أن مَن ترك الصلاة عمداً يُقتل؛ على الخلاف المشهور في كفره وردته.

٧ ـ السنّة قد تخفى على أكابر الصحابة ـ ﷺ ـ ويطلع عليها آحادهم، ولهذا لا يلتفت إلى الآراء والاجتهادات مع وجود سنّة تخالفها.

● تنبيه:

استبعد بعضهم صحة هذا الحديث بدعوى ألّو كان عند ابن عمر ـ ﷺ ـ لما ترك أباه ينازع أبا بكر ـ ﷺ ـ في قتال مانعي الزكاة.

وقالوا: لو كانوا يعرفون هذا الحديث، لما كان أبو بكر يقر عمر على الاستدلال بقوله: «**أُمرت أن أقاتل الناس**...» وينتقل عن الاستدلال بهذا النص إلى القياس.

والجواب من وجوه:

الأول: لا يلزم كون الحديث من رواية ابن عمر أن يكون مستحضراً له في تلك الحالة.

الثاني: ولو كان مستحضراً له، فقد يحتمل أن لا يكون حضر المناظرة بين أبيه وأبي بكر.

الثالث: أن أبا بكر ـ ﷺ ـ لم يستدل بالقياس فقط، وإنما أخذه من قوله ﷺ: «**إلا بحق الإسلام**» فقال أبو بكر: «والزكاة حق الإسلام».

الرابع: أن ابن عمر ـ ﷺ ـ لم ينفرد بالحديث المذكور، بل رواه جمع من الصحابة عن رسول الله ﷺ.



٣٧ ـ {٢٣} وحَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ ـ يَعْنِيَانِ: الْفَزَارِيَّ ـ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله**».

* راوي الحديث:

هو طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي، سكن الكوفة، صحابي، له أحاديث، روى عن النبي ﷺ، وعن الخلفاء الأربعة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث طارق بن أشيم ـ رضي الله عنه ـ من رباعيات المصنف، وهو من أعلى ما وقع له من أعلى الأسانيد.

٢ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء.

٣ ـ طارق بن أشيم من المقلِّين في الرواية.

٤ ـ حديث طارق بن أشيم من أفراد مسلم عن بقية الستة.

* غريب الحديث:

قوله: (**وكفر بما يعبد من دون الله**)؛ أي: كفر بالطاغوت التي تُعبد من دون الله، والأنداد التي يحبونها كحب الله.

فقه الحديث:

١ ـ من اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه؛ فهو من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين، ومعرفة الله بها، وقد

جعلت المعتزلة وكثير من الأشاعرة ذلك شرطاً؛ وهو باطل رجح النووي خلافه.

٢ ـ من قال كلمة التوحيد: يجب الكف عنه؛ حتى يتبين صدقه من عدمه، وذلك باستجابته للتكليف أولاً.

٣ ـ شرط التوحيد الصحيح البراءة من المعبودات الباطلة والكفر بالطاغوت.

وهذا ما ورد نصًا صريحاً في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي ذلك فائدة منهجية عزيزة: أن التوحيد لا يعرف حقاً إلا بالكفر بالطاغوت وترك الشرك بالله ظاهراً وباطناً، والسنّة لا تُعرف إلا بالبدعة بتركها والتحذير منها ومجانبة دعاتها، والمعروف لا يتم الأمر به إلا بالنهي عن المنكر، وسبيل المؤمنين لا تُعرف إلا بمجانبة سبيل المجرمين؛ فبضدها تتميز الأشياء!



٣٨ ـ (...) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْنُ أبي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ. (ح) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هارُونَ، كِلاَهُمَا، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مِنْ وَحَّدَ الله**»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية أبي خالد الأحمر: أخرجها ابن حبان (١٧١)، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر عن أبي مالك الأشجعي قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن وحّد الله، وكفر بما يُعبَد من دونه، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**».

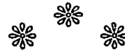
٢ ـ رواية يزيد بن هارون: أخرجها الإمام أحمد **(٤٧٢/٣)** قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا أبو مالك الأشجعي عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لقوم: «**مَن وحّد الله تعالى، وكفى بما يعبد من دونه، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**».

ثم قال الإمام أحمد: حدثنا به يزيد بواسط، وبغداد، قال: سمع النبي ﷺ.

* غريب الحديث:

قوله: **(مَن وحَّد الله)**؛ أي: قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قوله: **(ثم ذكر بمثله)**؛ أي: ساق الحديث بمثل الحديث السابق.



٩ ـ باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع، وهو: الغرغرة. ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أن من مات على الشرك؛ فهو في أصحاب الجحيم، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل

٣٩ ـ (٢٤) وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُالله بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَالله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عَمِّ! قُلْ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله**»؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُالله بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ؛ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا والله، لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ في أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

❋ راوي الحديث:

هو المسيِّب بن حزن القرشي المخزومي، والد سيد التابعين: سعيد، له ولأبيه حَزْن صحبة، شهد فتوح الشام، وهو من المقلِّين من الرواية.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ لم يرو هذا الحديث عن المسيب؛ إلا ابنه سعيد.

٢ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء.

٣ ـ أنه من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٤ ـ حديث المسيِّب بن حزن ـ رضي الله عنهما ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**١٣٦٠** و**٣٨٨٤** و**٤٦٧٥** و**٤٧٧٢** و**٦٦٨١**).

❋ **غريب الحديث:**

قوله: (**لما حضرت أبا طالب الوفاة**)؛ أي: لما قربت وفاته، وظهرت دلائلها، وإلا فلو كان انتهى إلى المعاينة، لم ينفعه الإيمان لو آمن.

قوله: (**جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة**): يحتمل أن المسيب حضر هذه القصة، وبخاصة أن المذكورين جميعهم من بني مخزوم وهو كذلك.

وذهب بعض الشرّاح إلى أن الحديث من مراسيل الصحابة، وأن المسيب لم يشهد وفاة أبي طالب؛ لأن المسيب تأخر إسلامه.

وهذا قول مردود؛ لأنه لا يلزم من كون المسيب تأخر إسلامه أن لا يشهد وفاة أبي طالب؛ كما شهدها عبدالله بن أبي أمية، وهو يومئذ كافر، ثم أسلم بعد ذلك.

قوله: (**فقال رسول الله ﷺ: يا عم**): هو عبد مناف بن عبدالمطلب، والد عليّ بن أبي طالب، وأبو طالب كنيته، وكان والد النبي ﷺ قد توفي ورسول الله ﷺ حمل في بطن أمه، فولد رسول الله ﷺ يتيماً، فكفله جده عبدالمطلب إلى وفاته، ثم عمه أبو طالب، ولم يزل يحبه ويحوطه ويحفظه إلى أن بعث الله محمداً ﷺ، فنصره أبو طالب، وأعانه، وأجاره، وعادى قريشاً من أجله، ولم يسلّمه لهم حين طلبوا منه ذلك، وكان مع النبي ﷺ

في شعب بني هاشم عندما قاطعتهم وحاصرتهم قريش لمدة ثلاث سنين إلى أن نقض الله أمر الصحيفة وأظهر نبيه ﷺ.

وكان أبو طالب يعرف صدق النبي ﷺ، ويصرّح بذلك، غير أنه لم يدخل في الإسلام، ولم يتلفظ بكلمة التوحيد، ولم يزل كذلك حتى حضرته الوفاة، فدخل عليه رسول الله ﷺ طامعاً في إسلامه، حريصاً على إيمانه، باذلاً في ذلك قصارى جهده، مستفرغاً طاقته ووسعه، ولكن سوء الخاتمة أدرك أبا طالب، وعاقت عن ذلك عوائق الأقدار التي لا ينفع معها حرص ولا اقتدار، وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبيل الهجرة.

قوله: (**كلمة أشهد لك بها عند الله**): كل ذلك ترغيب، وتذكير لأبي طالب وحرص على نجاته، ويأبى الله إلا ما يريد.

قوله: (**أترغب عن ملة عبدالمطلب**): استفهام إنكاري؛ أي: أتعرض عنها وتتركها، يحذرونه بأسلوب فيه الإنكار والتوبيخ من مخالفة دين عبدالمطلب الذي عليه عاش ومات آباؤك.

قوله: (**فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه**)؛ أي: لم يزل يرغِّب أبا طالب في كلمة التوحيد، ويحسِّنها له.

قوله: (**ويعيد له تلك المقالة**)؛ أي: يكررها عليه.

قوله: (**حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب**)؛ أي: آخر تكليمه إياهم أنه على ملّة أبيه عبدالمطلب وليس على ملّة محمد ﷺ.

قوله: (**وأبى أن يقول: لا إله إلا الله**)؛ أي: امتنع عن النطق بكلمة التوحيد.

قوله: (**أما والله، لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**): يقسم رسول الله ﷺ بالله على أنه سيطلب من ربه المغفرة لعمه إلا إن نهي عن ذلك.

قوله: (**فأنزل الله ـ عز وجل ـ . . .**): خبر بمعنى النهي وهو من أشده، فيه تحريم الاستغفار للمشركين ولو كانوا من أقرب الناس وأحب الناس

للعبد، وذلك بعد ثبوت تحقق العذاب له، ويستوي فيه النبي وغيره من سائر الأمة.

قوله: (**فقال لرسول الله** ﷺ...)؛ أي: إنك يا محمد! لا تقدر على توفيق من أراد الله خذلانه، ولكن عليك البيان؛ فإن الله هو العالم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية.

فقه الحديث:

١ ـ دليل على شدة حرص رسول الله ﷺ على إيمان العباد؛ لينقلهم من الضلالة إلى الهدى، ومن النار إلى الجنة.

٢ ـ من ختم له بلا إله إلا الله ـ كما تواتر بذلك الأحاديث ـ فإنه يرجى أن يكون من أهل الجنة.

٣ ـ صحة إسلام من حضره الموت قبل وقت الشدة والنزع؛ وهو: الغرغرة.

٤ ـ شدة مكر المشركين في مواجهة الدعوة إلى الله.

٥ ـ الهادي والصارف عن الهدى هو الله وحده.

٦ ـ أن الرسل إنما عليهم البلاغ، والله يهدي من يشاء.

٧ ـ أن كفار مكة لم يكونوا من أهل الفترة.

٨ ـ العاقبة السيئة لجلساء السوء؛ فإن أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية صدّا أبا طالب عن الإسلام.

٩ ـ أن الذي ينفع الإنسان عمله، لا نسبه، فإذا مات على الكفر، فلا تنفعه شفاعة الشافعين.

١٠ ـ المحبة النافعة هي المحبة الإيمانية، لا المحبة الفطرية، فإن أبا طالب لا شك كان يحب النبي ﷺ حبًّا جمًّا، ويقدِّمه على نفسه وعلى أولاده، ولكنها محبة طبيعية، فلم تنفعه ولم تدفع عنه خاتمة السوء.

١١ ـ الشرك مُحبِط للأعمال، فكم قدّم أبو طالب من أعمال جليلة لرسول الله ﷺ من رعايته والدفاع عنه ونصرته، إلا أن ذلك حبط بشركه وعدم طاعته لرسول الله ﷺ وانقياده بالتوحيد: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

١٢ ـ إن تقليد الآباء والأجداد من موانع قبول الحق ورفضه.

١٣ ـ استعمال الرفق في الدعوة إلى الله؛ هو الأصل؛ إلا إن كانت المصلحة بخلافه.

١٤ ـ من أخلاق الدعاة إلى الله الصبر، والحلم، وعدم اليأس، والقنوط من الناس.

١٥ ـ من أنواع الكفر الكثيرة: كفر الإباء خلافاً للجهمية الذين حصروه في كفر الجحود والتكذيب!

١٦ ـ جواز الحلف من غير استحلاف.

١٧ ـ نسخ جواز الاستغفار للمشركين والقطع بالتحريم.

١٨ ـ نزول آية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ...﴾ في أبي طالب، والحكم عام؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٩ ـ كل مَن مات على غير التوحيد، فهو من أهل النار، ولا ينفعه شيء.

٢٠ ـ تحريم موالاة الكفار حيِّهم وميِّتهم، ولو كانوا من أقرب وأحب الناس.

٢١ ـ الآية والأحاديث قاطعة بموت أبي طالب على الكفر والشرك خلافاً لمذهب بعض المتصوفة والروافض ومن شاكلهم.

وهذا ما عليه جمهور العلماء، والرأي المعتمد عند المحققين أن أبا طالب مات مشركاً، وهذا الحديث نص في ذلك، وتؤيده الآية الكريمة،

ولا يلتفت إلى القول بأنه مات مؤمناً اعتماداً على ما روي أن العباس قال: «والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرت بها يا رسول الله»؛ لأن النبي ﷺ قال له: «**لم أسمعها**» على أن العباس قال ذلك قبل أن يُسْلِم. ولو أدّاها بعد الإسلام لقُبلت منه. كما أنه لا يلتفت إلى قول القرطبي: «وقد سمعت أن الله - تعالى - أحيا عمه أبا طالب فآمن به».

● **فائدة:**

أشكل على بعض العلماء قوله: فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، فقال: وهذا بعيد؛ لأن السورة من آخر ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان الإسلام والنبي ﷺ بمكة.

بل ذهب ابن عاشور في «تفسيره: التحرير والتنوير» **(١١/٤٤)** إلى أبعد من ذلك فقال: «وأما ما روي في أسباب النزول: أن هذه الآية نزلت في استغفار النبي ﷺ لأبي طالب أو أنها نزلت في سؤاله ربه أن يستغفر لأمه حين زار قبرها بالأبواء، فهما خبران واهيان لأن السورة نزلت بعد ذلك بزمن طويل».

والجواب من وجوه:

١ - أن حديث المسيب بن حزن - رضي الله عنهما - صحيح صريح في أن وفاة أبي طالب سبب نزول هذه الآية، فلا يعدل عن الصريح إلى الاحتمالات أو التأويلات، فأسعد الناس بذلك هم جمهور العلماء الذين صرّحوا بذلك بلا مثنوية.

٢ - ربط نزول الآية بطلب الرسول ﷺ من ربه أن يستغفر لأمه لا يصح فيه حديث بل كله ضعيف أو دون ذلك؛ كما بيّنته في كتابي «الاستيعاب في بيان الأسباب».

وأما الصحيح في الباب فما أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**».

وفي لفظ: قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى مَن حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها؛ فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكّر الموت**».

فهذا الحديث صريح أو كالصريح في أمرين:

الأول: ليس فيه ذكر نزول الآية، فكيف يترك حديث المسيب في قصة مرض أبي طالب ووفاته.

الآخر: قوله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي**» كالصريح في أن هذا الاستئذان تقدمه نهي، وهو نزول هذه الآية في وفاة أبي طالب، ولعل استئذان النبي في ذلك؛ لأنه لم ينهَ عن ذلك على التأبيد، ويؤيده: ما ورد في شأن المنافقين، فلما أعلم الله رسوله ﷺ أنه لن يغفر للمشركين والمنافقين سواء استغفر لهم الرسول أم لم يستغفر، توقف رسول الله ﷺ، أو أن النبي ﷺ طلب الإذن في استغفاره لأمه بعد نزول الآية في أبي طالب؛ لظنه أن الآية نزلت فيمن مات على الكفر، وقد أدرك الدعوة والرسالة كعمِّه أبي طالب، فهو لم يؤمن بخلاف أمه التي ماتت قبل الدعوة والرسالة وله ﷺ ست سنين. فظنّ رسول الله ﷺ أن هذا الفرق مؤثر، فاستأذن ربه في الاستغفار لها، فنهاه الله عن ذلك بدون قرآن.

٣ ـ يحتمل تأخر نزول الآية وإن كان سببها تقدم، وهذا له نظائر. وهذا وإن كان بعيداً؛ لأن فيه تأخر طويل؛ لأن براءة من آخر القرآن نزولاً فهو أوْلى من رد الحديث ابتداء، أو فصل الآية عن سبب نزولها، والله أعلم.



٤٠ ـ (. . .) وحَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالاَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مُعْمَرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. قَالاَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ـ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي[1] عَنْ صَالِحٍ[2]، كِلاَهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهذَا الإِسْنَادِ. . . مِثْلَهُ.

غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ صَالِحٍ انْتَهَى عِنْدَ قَوْلِهِ: فَأَنْزَلَ اللّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِيهِ. وَلَمْ يَذْكُرِ الآيَتَيْنِ. وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: وَيَعُودَانِ فِي تِلْكَ الْمَقَالَةِ، وَفِي حَدِيثِ مَعْمَرٍ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: فَلَمْ يَزَالاَ بِهِ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: صالح، عن الزهري، عن ابن المسيب.

٢ ـ رواية الأكابر عن الأصاغر؛ فإن صالحاً أكبر من الزهري.

٣ ـ دقة مسلم في تحرير وتبيين ألفاظ الرواة.

٤ ـ رواية معمر التي أحالها الإمام مسلم هنا ساقها البخاري، ولفظه: حدثنا محمود، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبيه: أن أبا طالب؛ لما حضرته الوفاة؛ دخل عليه النبي ﷺ، وعنده أبو جهل، فقال: «**أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملّة عبدالمطلب؟ فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملّة عبدالمطلب، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنه**»، فنزلت: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ**

---

(١) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري، أبو إسحاق المدني، نزيل بغداد، تكلم فيه بلا قادح.

(٢) هو صالح بن كيسان المدني، مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز.

﴿مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وأما رواية صالح، فقد ساقها البخاري ـ أيضاً ـ وهذا لفظه: حدثنا إسحاق، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبيه: أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوَجَدَ عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملّة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملّة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**»، فأنزل الله ـ تعالى ـ فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية [التوبة: ١١٣].

* غريب الحديث:

قوله: (**غير أن حديث صالح انتهى**): استثناء من كون روايتهما مثل رواية يونس؛ أي: أن رواية صالح انتهت عند قوله: فأنزل الله ﷺ فيه، ولم يذكر تمام الآيتين.

ورواية صالح عند البخاري انتهت عند قوله: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية؛ فإما يكون الإمام مسلم وقع له بدون ذكره، أو أن في روايته وهم، والله أعلم.

قوله: (**يعودان في تلك المقالة**)؛ أي: أن هذا لفظ صالح مكان قول يونس: (ويعيدان له تلك المقالة)، وعند البخاري (بتلك المقالة).

قوله: (**وفي حديث معمر مكان هذه الكلمة: فلم يزالا به**)؛ أي: وقع في رواية معمر: (فلم يزالا به) بدل قول صالح: (ويعودان في تلك المقالة) ولفظ البخاري: (فلم يزالا يكلمانه).

٤١ ـ (٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ[1]، قَالاَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ[2]، عَنْ يَزِيدَ ـ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ ـ عَنْ أَبِي حَازِمٍ[3]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ المَوْتِ: «**قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» فَأَبى، فَأَنْزَلَ اللّهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ . . .﴾ الآية [فصلت: ٥٦].

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي هريرة هذا من أفراد مسلم.

٢ ـ من خماسيات الإمام مسلم.

٣ ـ قد يقع اللبس بين أبي حازم الأشجعي وبين أبي حازم الأعرج، ويفرق بينهما بأمور:

أولها: أن الأشجعي روى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وغيره من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بينما الأعرج لم يروِ إلا عن سهل بن سعد.

ثانيها: أن الأشجعي كوفي، والأعرج مدني.

ثالثها: اختلاف الطبقة؛ فالأشجعي من الثالثة، والأعرج من الخامسة.

٤ ـ أن حديث أبي هريرة من مراسيل الصحابة، فأبو هريرة لم يشهد قطعاً وفاة أبي طالب؛ لأن إسلامه بعد الهجرة بسنين.

---

(١) هو محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، نزيل مكة.

(٢) هو مروان بن معاوية بن الحارث، نزيل مكة، ثم دمشق.

(٣) هو سلمان الأشجعي، من جلساء أبي هريرة، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز.

* غريب الحديث:

قوله: (**قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت**)؛ أي: عند قرب موته، وظهور دلائله.

فقه الحديث:

تقدم الكلام على فقراته وشرح معانيه في حديث المسيب.



٤٣ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الأَشْجَعِي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ: «**قُلْ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ، عَلَى ذَلِكَ الجزَعُ، لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فصلت: ٥٦].

* غريب الحديث:

قوله: (**لولا أن تعيِّرني قريش**)؛ أي: تسبُّني، وتقبِّح عليَّ.

قوله: (**يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع**)؛ أي: أخشى أن تنسبني قريش للذل والفعل القبيح الذي يبقى عاراً عليّ؛ والجزع: الخوف من الموت.

قوله: (**لأقررت بها عينك**)؛ أي: لبلَّغتك أُمنيتك، وأريتك الذي تحب.

فقه الحديث:

١ ـ أن كفر أبي طالب، وعدم إسلامه كان طاعة لقومه، وخوفاً من العار الذي ينسبوه له.

٢ ـ شدة عصبية أهل الجاهلية وسوئها؛ حيث قال أبو طالب: لولا أن تعيِّرني قريش، يقولون: إنما حمله على هذا الجزع؛ لأقررت بها عينك.

● **تنبيه:**

وقد أخبر النبي ﷺ أنه شفع لعمه عند الله، وقُبلت شفاعته في تخفيف العذاب عنه، وليس في إخراجه من النار، فصار أبو طالب في ضحضاح من النار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه.

وإنما أذن الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ أن يشفع في عمِّه مع كفره؛ لأن عمه دافع عنه مدافعة عظيمة وناضل عن دينه؛ لكن أدركه سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله ـ.

ومن قوله عن الرسول ﷺ:

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

وقال عن الإسلام:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبّة ... لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

فتخفيف العذاب عنه من عدل الله ـ عز وجل ـ وحكمته، وهو لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.



١٠ ـ باب الدليل على أن مَن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً

٤٣ ـ (٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، كِلاَهُمَا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيم، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ خَالِدٍ[(١)]، قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم، عَنْ حُمْرَانَ[(٢)]، عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

✹ راوي الحديث:

عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، ومن المبشَّرين بالجنة، أسلم قديماً، تزوج رقية وبعدها أم كلثوم بنتَيْ النبي ﷺ فسمِّي ذا النورين، قُتل شهيداً مظلوماً في داره يوم الجمعة سنة **٣٥** للهجرة في ذي الحجة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث عثمان من أفراد الإمام مسلم.

٢ ـ وهو من سداسيات الإمام مسلم.

٣ ـ لا يوجد في الرواة مَن يسمى خالد بن مِهران غير المذكور في هذا الإسناد.

٤ ـ شدة حرص الإمام مسلم واحتياطه، ويدل على ذلك قوله: «قال أبو بكر: حدثنا ابن علية» حيث يراعي اختلاف ألفاظ الشيوخ، ويؤديها كما سمعها وحفظها.

٥ ـ ربما اشتبه الوليد بن مسلم بن شهاب العنبري ـ المذكور في هذا الإسناد ـ على الحديثي بالوليد بن مسلم الأموي، صاحب الأوزاعي، ويفرق

---

(١) هو خالد بن مهران، أبو المنازل الحذاء، مولى قريش.

(٢) هو حمران بن أبان مولى عثمان؛ أعتقه.

بينهما بالنسب والبلدة والكنية والطبقة؛ فإن العنبري من طبقة كبار شيوخ الثاني، ويفترقان في العلم والجلالة؛ فإن الثاني انتهى إليه علم الشام؛ إلا أنه كان يدلّس شديداً.

٦ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: خالد عن الوليد عن حمران.

* غريب الحديث:

قوله: (**مَن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**): العلم؛ هو: وضوح الأمر واكتشافه، بحيث لا يبقى له بعد ذلك غاية في الوضوح، ومن كان علمه بالله كذلك؛ فهو بفضل الله ورحمته في أعلى درجات الجنة. ولا يلزم من لم يكن كذلك ألا يدخل الجنة، فمن اعتقد الحق وصدق به دخل الجنة، ولكن لا ريب أن هناك فرقاً بين الدرجتين؛ كما بين الحالين: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقوله ﷺ: (**وهو يعلم**): إشارة إلى الرد على من قال من غلاة المرجئة: أن مُظهر الشهادتين يدخل الجنة، وإن لم يعتقد ذلك بقلبه.

وهي جملة حالية؛ تدل على لزوم العلم من النطق، ووجوب العمل بموجبه.

فقه الحديث:

١ ـ شروط (لا إله إلا الله) وردت في أحاديث متفرقة، وليست اجتهادية، وفي هذا الحديث بَيّن رسول الله ﷺ شرطاً من شروط لا إله إلا الله؛ وهو: العلم.

٢ ـ أن كل موحِّد سيدخل الجنة، ولو بعد حين.

٣ ـ أن الجنة لا يدخلها إلا من علم التوحيد.

٤ ـ أن أصحاب الكبائر والصغائر لا يخلدون في النار، وهم من أهل الجنة أصابهم ما أصابهم قبل ذلك.

٥ ـ أنّ الحكم الشرعي، لا يؤخذ من نص واحد، بل من مجموع النصوص الواردة في المسألة، وهذا منها، حيث جاءت نصوص تؤكد وجوب العمل المقترن والملازم للعمل خلافاً لما يزعمه أهل الضلال.



(...) حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أبي بَكْر المُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بنُ المُفَضَّل، حَدَّثَنَا خَالِدُ الحَذّاءُ عَنْ الوَلِيدِ أَبِي بِشْرٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ حُمْرَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقِولُ: **«مِثْلَهُ سَوَاء»**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ الحديثان متساويان في اللفظ والمعنى، وإنما الاختلاف في صيغ الأداء؛ فابن علية رواه بصيغة (عن) في كل من الوليد وحُمران، وفي عثمان قال: قال رسول الله ﷺ.

وأما بشر فرواه بتصريحهما بالسماع، وبقول عثمان: سمعت رسول الله ﷺ.

٢ ـ رواية بشر هذه ساقها الحافظ ابن منده في «كتاب الإيمان» (**١/١٧٤/٣٣**): أنبأ علي بن الحسين بن علي، ثنا أبو حاتم الرازي، ثنا مُسَدَّدٌ. (ح) وأنبأ يحيى بن عبدالله بن الحارث، ثنا أحمد بن علي بن سعيد، ثنا القواريري، قال: ثنا بشر بن المفضل عن خالد الحذاء، عن الوليد بن أبي بشر، قال: سمعت حُمران يقول: سمعت عثمان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»**.



٤٤ ـ (٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُالله الأَشْجَعِيُّ[1]، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مسِيرٍ. قَالَ: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ. قَالَ: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حمَائِلِهِمْ[2]. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللّهَ عَلَيْهَا. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَجاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ. قَالَ ـ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَذُو النَّوَاةِ بِنَواهُ ـ؛ قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ. قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا، حَتَّى مَلأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: **«أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ، لاَ يَلْقَى اللّهَ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**.

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ ضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث مما استدرك الدارقطني على مسلم في إسناده، وعلّله بأن أبا أسامة وغيره خالفوا عبيدالله الأشجعي؛ فرووه عن مالك بن مِغْوَل عن طلحة عن أبي صالح مرسلاً.

---

(١) هو عبيدالله بن عبيدالرحمٰن، أبو عبدالرحمٰن الكوفي، من أثبت الناس كتاباً في الثوري.
قلت: هو مصغر الاسمين، وقد وقع في بعض نسخ «التقريب» مكبر الاسم الثاني، وهذا خطأ محض كما بينته في كتابي المستطاب: «طرح التثريب عن «تقريب التهذيب» وإصلاحه من السقط والخطأ والعيب».

(٢) في بعض أصول مسلم المعتمدة (جمائلهم) بالجيم: جمع الجمالة؛ وهي: ذكور الإبل، وهي التي لا إناث لها.
قال ابن الصلاح في «صيانة مسلم» (ص١٧٨ ـ ١٧٩): «وكلاهما له وجه صحيح».

قال ابن الصلاح: «هذان الاستدراكان من الدارقطني مع أكثر استدراكاته على البخاري. ومسلم قدح في أسانيدهما غير مخرج لمتون الأحاديث من حيز الصحة، وقد ذكر الحديث أبو مسعود إبراهيم بن محمد الدمشقي الحافظ، فيما أجاب الدارقطني عن استدراكاته على مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ أن الأشجعي ثقة مجوّد، فإذا جوَّد ما قصَّر فيه غيره حكم له به، ومع ذلك؛ فالحديث له أصل ثابت عن رسول الله ﷺ برواية الأعمش له مُسنَداً، وبرواية يزيد بن أبي عبيد وإياس بن سلمة بن الأكوع عن سلمة ـ رضي الله عنه ـ.

قال الشيخ: رواه البخاري عن سلمة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ»[1].

٢ ـ هذا الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ من أفراد الإمام مسلم.

٣ ـ مالك بن مِغْوَل لا مشارك له في هذا الاسم، وكذلك طلحة بن مُصَرِّف.

٤ ـ فيه رواية الراوي عن جدّه أبو بكر عن أبي النضر، وتابعي عن تابعي طلحة عن أبي صالح.

* غريب الحديث:

قوله: **(كنا مع النبي ﷺ في مسير)**؛ المسير: هو السير، وفي هذا الموطن سير في السفر، وبينت الرواية الثانية أنه في غزوة تبوك.

قوله: **(فنفدت أزواد القوم)** نفد: فرغ وفني. ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: **١٠٩**]، وأزواد: جمع زاد، وهو طعام المسافر المُعَد لسفره، والمعنى: أن طعام الجيش فني وانقطع، ولم يبقَ منه إلا القليل حتى وقع في الناس الجوع وحصلت المجاعة؛ كما في الرواية الثانية.

(١) «صيانة صحيح مسلم» (ص١٧٦ ـ ١٧٧).

قوله: **(حتى همّ بنحر بعض حمائلهم)**، الحمائل: جمع حَمولة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]؛ وهي: الإبل التي تحمل عليها الأثقال، وتسمى: رواحل؛ لأنها يرحل عليها، وتسمى: نواضح إذا استسقي عليها.

والمعنى: أنهم عزموا على نحر الإبل التي يحملون أمتعتهم عليها، وذلك بعد أن استشاروا النبي ﷺ؛ كما في الرواية الثانية.

قوله: **(فقال عمر)**؛ أي: بعد أن أذن لهم النبي ﷺ في أن ينحروا بعض جِمالهم.

قوله: **(يا رسول الله لو جمعت)**: لو هنا للعرض، ويحتمل أن تكون للتمني، ويحتمل أن تكون للشرط، ويقدر جوابها: (لكان خيراً).

قوله: **(من أزواد القوم)**: بيان لما بقي.

قوله: **(فدعوت الله عليها)**؛ أي: على الأزواد.

قوله: **(ففعل)**؛ أي: وافق رسول الله ﷺ ما أشار إليه عمر ـ رضي الله عنه ـ فجمع ما بقي من الأزواد.

قوله: **(وما كانوا يصنعون بالنوى؟)**؛ أي: أيّ شيء يستفيدون بإحضارهم النوى.

قوله: **(كانوا يمصُّونه، ويشربون عليه الماء)**؛ أي: أنهم، وإن لم ينتفعوا بأكله، إلا أنه إذا مصَّ جلب العطش، فشربوا الماء، وتقووا بذلك.

قوله: **(فدعا عليها)**؛ أي: دعا رسول الله ﷺ على ما أتوا به من بقية الأزواد.

قوله: **(حتى ملأ القوم أزودتهم)**، الأزودة: جمع زاد، والمراد هنا: حتى ملأ أوعية الزاد التي معهم.

كذا في الرواية (أزودتهم) في جميع أصول صحيح مسلم. قال القرطبي: «وصوابه: (مزاودهم)؛ فإنها هي التي تملأ»[1]، ونحوه القاضي عياض[2].

قال ابن الصلاح: «الأزودة: جمع زاد، وهي لا تُملأ، إنما تُملأ بها أوعيتها. ووجهه عندي: أن يكون المراد: حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهل القرية[3].

قلت: والرواية الأخرى صريحة في أنهم ملأوا أوعيتهم.

وقال بعض الشرَّاح:

ويحتمل أنه سمّى الأوعية: أزواداً على سبيل المجاز المرسل من إطلاق الحال وإرادة المحل، أو مجاز المجاورة؛ كتسمية النساء ظعائن، وإنما الظعائن الهوادج التي تحملهن.

فقه الحديث:

١ ـ يستحب للإمام أن يصحب جيشه في المعارك؛ ليكون عوناً لهم على الثبات فيها، وهكذا كان حاله ﷺ.

٢ ـ لا يجوز للجيش أن يتصرفوا في دوابهم وأدواتهم وغيرها؛ إلا بإذن الإمام.

٣ ـ استعمال الأدب في خطاب الكبار وسؤالهم.

٤ ـ بيان أدب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع رسول الله ﷺ حيث كانوا يستأذنونه في كل أمر.

٥ ـ جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة؛ لينظر الفاضل فيه، فإن ظهرت له مصلحة فعله.

---

(١) «المفهم» (١٩٨/١).
(٢) «إكمال المعلم» (٢٢٩/١ ـ ٢٣٠).
(٣) «صيانة صحيح مسلم» (ص١٨٠ ـ ١٨١).

٦ ـ دليل على العمل بالصالح، وعلى سماع رأي أهل العقل والتجارب.

٧ ـ سداد رأي عمر ـ رضي الله عنه ـ، وحُسْنُ تدبيره، ورسوخ قدمه.

٨ ـ قد يخفى على الأكابر ما لا يخفى على مَن دونهم.

٩ ـ حياة السلف الصالح كانت على التشاور والتحاور؛ فلهذا هداهم ربهم إلى أرشد أمرهم.

١٠ ـ الالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ عند الشدة؛ كما هو في الرخاء.

١١ ـ بيان عظم التوكل على الله ـ تعالى ـ في كل الشؤون.

١٢ ـ أن الأمير لا يأذن للجيش بأي تصرف؛ إلا إن وجد المصلحة فيه.

١٣ ـ هذا الحديث أصل للقاعدة الشرعية المرعية: وهي مراعاة المصالح، وتقديم الأهم، فالأهم، وارتكاب أخف الضررين؛ لدفع أضرهما وأعظمهما.

١٤ ـ ثبوت معجزة للرسول ﷺ، وعلم من أعلام النبوة الظاهرة.

١٥ ـ تواضع الرسول ﷺ؛ حيث استمع إلى رأي عمر ـ رضي الله عنه ـ.

١٦ ـ يجوز للإمام أن يجمع أزواد المسلمين، وأن يقسمها بينهم؛ وإن أكل بعضهم أكثر من بعض.

١٧ ـ بيان شرط من شروط كلمة التوحيد؛ وهو: اليقين المنافي للشك.

١٨ ـ فضل كلمة التوحيد، وأن مَن مات عليها دخل الجنة قطعاً.

١٩ ـ فضل بركة النبي ﷺ.

٢٠ ـ أن الشهادتين هما مفتاح الجنة.

٢١ ـ فيه معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وهذان من أهم ركائز دعائم المنهج السلفي في التغيير والإصلاح.

٢٢ ـ وفيه أن النبي ﷺ مُرْسَلٌ إلى نفسه؛ كما هو مُرْسَلٌ إلى غيره؛ ولذلك شهد أنه رسول الله.

قال مقيده أبو أسامه الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وأنا أشهد أنه رسول الله ﷺ غير شاك ولا مُتَرَيِّب، جاءنا بالهدى ودين الحق من عند ربنا ـ ﷻ ـ، وأنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأقام الحجة، وتركنا على بيضاء نقية ليس فيها عوج ولا لبس ولا تقية.



٤٥ ـ (...) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ، ـ جَمِيعاً ـ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ـ شَكَّ الأَعْمَشُ ـ قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَوْ أَذِنْتَ لَنَا؛ فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا؛ فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**افْعَلُوا**». قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ. قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ. قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ. قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيء يَسِيرٌ. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ**»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إلا ملأُوهُ. قَالَ: فأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضِلَتْ فَضْلَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلّاَ اللّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ، لاَ يَلْقَى اللّهَ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاك، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجنةِ**».

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ هذا الحديث مما انتقد الدارقطني إسناده.

قال ابن الصلاح: «وأما شك الأعمش؛ فهو غير قادح في متن الحديث، فإنه شك في عين الصحابي الراوي له، وذلك غير قادح؛ لأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم عدول»[1].

٢ ـ أن فيه قوله: (قال أبو كريب: حدثنا...)؛ أي: أن أبا كريب صرّح بتحديث أبي معاوية له مع الجماعة، بخلاف سهل، فلم يصرّح به، وهذا من احتياط المصنف، ورعايته على ألفاظ الشيوخ.

* غريب الحديث:

قوله: **(عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد ـ شكّ الأعمش)**؛ أي: أن الأعمش شكّ في كون الحديث من مسند أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ، وقد تقدم أن هذا الشك لا يضر.

قوله: **(لما كان غزوة تبوك)**؛ أي: وقت وقوع غزوة تبوك، وتبوك هي طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة نحو أربع عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة.

وكانت غزوة النبي ﷺ تبوك سنة تسع من الهجرة، ومنها راسل عظماء الروم، وجاء إليه ﷺ مَن جاء، وهي آخر غزواته بنفسه.

قوله: **(أصاب الناس مجاعة)**؛ أي: أصاب الجيش الذي خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة العسرة جوع شديد، وذلك لقلة الطعام.

قوله: **(قالوا)**؛ أي: قال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين معه في الغزو: **(يا رسول الله لو أذنت لنا)**.

قوله: **(فنحرنا نواضحنا)** النواضح؛ هي: الإبل التي يُستقى عليها. للذكر الواحد: ناضح، والمؤنث: ناضحة.

قوله: **(فأكلنا)** من لحومها.

---

(١) «صيانة صحيح مسلم» (١٧٨).

قوله: **(وادهنا)**: اتخذنا دهناً من شحومها.

قوله: **(فقال رسول الله ﷺ: افعلوا)**؛ أي: انحروا نواضحكم، فكلوا، وادّهنوا.

قوله: **(قلّ الظهر)**؛ أي: الرِّكاب التي يركبونها، والرواحل يحملون عليها؛ وسميت: ظهراً؛ لكونها يُركب على ظهورها.

قوله: **(ولكن ادعهم بفضل أزوادهم)**؛ أي: مرهم بأن يأتوا بما فضل من أقواتهم.

قوله: **(ثم ادعُ الله لهم عليها بالبركة)**؛ أي: ادعُ الله أن يُكثرها وينمِّيها ويزيدها.

قوله: **(فدعا بنطع فبسطه)** والنطع مفرد، جمعه: أنطاع، ونطوع، وأنطع؛ وهو: بساط من جلد.

قوله: **(فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذرة)**؛ أي: شرع الرجل منهم يأتي بمقدار ما يملأ كفه من الذرة، وهي حَبّ معروف.

قوله: **(ويجيء الآخر بكسرة)**: هي القطعة من الخبز.

قوله: **(حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير)**؛ أي: قليل.

قوله: **(فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة)**؛ أي: بأن يزداد حتى يكفي جميع الناس الذين معه.

قوله: **(ثم قال: خذوا في أوعيتكم)**؛ أي: أوعية طعامكم.

قوله: **(فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه)**؛ أي: استوعبوا أوعية الجيش كله.

قوله: **(فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة)**؛ أي: زادت كمية من الطعام بعد أن أكلوا وشبعوا.

قوله: **(فقال رسول الله)** اعترافاً بفضل الله ـ تعالى ـ، وبياناً للناس أن هذه البركة بفضل الله وحده.

قوله: **(أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله)**؛ أي: أعلم وأقر بأني رسول الله الذي لا إله إلا هو مبعوث إلى نفسي وإلى الناس.

قوله: **(لا يلقى الله بهما)**؛ أي: بهاتين الشهادتين مجتمعتين **(عبد)** حال كونه **(غير شاك)** في مدلولهما.

قوله: **(فيحجب عن الجنة)**؛ أي: يمنع من دخول الجنة إما ابتداءً وإما انتهاءً.

فقه الحديث:

١ ـ تذكير الطالب معلمه وأستاذه بما نسيه، أو غاب عن ذهنه، مما يهمه في شأن الفتوى، والحكم وغيرهما.

٢ ـ أن الشك بالتوحيد يقدح في صحته؛ بل ويبطله؛ فيحرمه الجنة.

٣ ـ أن الجنة تحجب عن طائفة من الناس؛ لعدم إيمانه؛ أو شكه في الإسلام.

٤ ـ أخذ بعضهم من الحديث وقوع النسخ قبل الفعل؛ لأن إذنه لهم أن يذبحوا نواضحهم إباحة، والإباحة حكم شرعي، فرفعها نسخ.



٤٦ ـ (٢٨) حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ ـ يَعْنِي: ابْنَ مُسْلِم ـ عَنِ ابْنِ جَابِرٍ[١]، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِىءٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، حَدَّثَنَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُاللّهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاء**».

---

(١) هو عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر الأزدي.

✹ راوي الحديث:

عبادة بن الصامت: من نقباء الأنصار، شهد العقبة الأولى والثانية وبدراً والمشاهد كلها، وجّهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها في الرملة، وقيل: في بيت المقدس سنة (٣٤هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٤٣٥).

٢ ـ أن رواة هذا الحديث كلهم شاميون إلا داود بن رشيد؛ فإنه خوارزمي سكن بغداد.

٣ ـ أنه من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

✹ غريب الحديث:

قوله: (**مَن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله**)؛ أي: مَن تكلم بها عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها ظاهراً وباطناً، قائماً بشروطها.

قوله: (**وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه**): تنبيه على ما وقع للنصارى من الغلط في عيسى وأمه ـ عليهما السلام ـ، والتحذير من ذلك بأن عيسى عبد الله؛ لا إله، ولا ولد لله، وأُمه أَمة الله ـ تعالى ـ ومملوكة له لا زوجة، تعالى الله عما يقول الكافرون الجاهلون علواً كبيراً.

وقيل له: «**كلمة الله**»؛ لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أبٍ؛ بخلاف غيره من بني آدم.

و«**روح منه**»؛ أي: رحمة منه، وقيل: لأن الروح نفخ في أُمه.

وهنا الإضافة إضافة تشريف؛ كبيت الله، وناقة الله، وإلا؛ فالعالم بمن فيه له سبحانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

قوله: **(وأن الجنة حق)**؛ أي: جنة الخلد التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أنه أعدّها للمؤمنين ثابتة لا شك فيها.

قوله: **(وأن النار حق)**؛ أي: نار جهنم ـ عياذاً بالله منها ـ التي أُعدت للكافرين كذلك ثابتة.

ولعله ﷺ إنما ذكر الجنة والنار، وأخبر بوجودهما وثبوتهما تعريضاً بالزنادقة الذين ينكرون دار الثواب والعقاب.

قوله: **(أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء)**؛ أي: أن الله يوفقه للدخول من أي باب شاء وأعدّه الله لأهل الطاعات كما في حديث أبي هريرة في «الصحيح»: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمَن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومَن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومَن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة؛ ومَن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريّان**» قال أبو بكر الصدِّيق: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**».

فقه الحديث:

١ ـ حديث عظيم الموقع؛ جمع رسول الله ﷺ فيه جملاً من أصول الشريعة، ومسائل الاعتقاد، وما يخرج عن جميع ملل الكفر، على اختلاف عقائدهم، وتباعدها.

٢ ـ أنّ القول من أركان الإيمان الصحيح.

٣ ـ أنّ من اعتقد الإيمان الصحيح، ولم ينطق بالشهادتين أبداً لغير عذر، لا ينفعه إيمانه ألبتة.

٤ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ واحد في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، لا شريك له في شيء.

٥ ـ ذكر النبي محمد ﷺ ووصفه بالعبودية، هذا من أشرف الأوصاف، ولهذا جاء ذكره به في نصوص القرآن والسنّة كثيراً. ومثله عيسى ـ عليه السلام ـ.

٦ ـ أنّ عيسى ـ عليه السلام ـ نسب إلى أُمه؛ لأنه جاء من غير أبٍ، بل بأمر الله، وغيره من الناس يجوز على تفصيل، ليس هذا موطنه.

٧ ـ إثبات صفة الكلام لله ـ تعالى ـ.

٨ ـ أنّ عيسى عبد مخلوق، وليس هو برب معبود، ولا إله مع الله، ولا ولد زانية ـ عياذاً بالله من ذلك ـ؛ كما يزعم اليهود ـ لعنهم الله ـ.

٩ ـ بيان وسطية أهل الإسلام في مسائل الاعتقاد، في الأنبياء: النصارى قالوا: هو ابن الله، ومنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو إله ثالث. وفي الضد اليهود؛ حيث زعموا: أنه ولد زانية. بينما أهل الإسلام وسط يعتقدون أنه عبد لله أكرمه وشرّفه بالرسالة، وبرأه مما قال فيه المشركون: مدحاً وذمًّا، مما يخالف الحق والصواب.

١٠ ـ أنّ نسبة الكلمة لله، هي نسبة تشريف؛ كما يقال: بيت الله، وناقة الله.

١١ ـ وجوب الإيمان بالجنة؛ وأنها مخلوقة، وباقية لا تفنىٰ، أعدّها الله لعباده الصالحين الموحدين دون المشركين.

١٢ ـ أنّ النار مخلوقة باقية لا تفنى أعدها الله لعصاته المشركين.

١٣ ـ أنّ الجنة لها أبواب ثمانية، يدخل منها أهل الإسلام.

وقد استنبط بعض الأذكياء من كون الجنة لها ثمانية أبواب بينما النار لها سبعة أبواب: أن رحمة الله سبقت غضبه، وأن الله خلق الخلق ليدخلهم الجنة؛ إلا من أبى، وشرد شرود البعير الضال!

١٤ ـ إبطال ما يدّعيه اليهود والنصارى من العقائد الباطلة.

١٥ ـ أنّ عيسى ـ عليه السلام ـ يُلقب بكلمة الله، وروح الله.

١٦ ـ أنّ أول ما يلقن للنصارى عند إسلامهم هذه الكلمات.

١٧ ـ الرد على الزنادقة نُفاة المعاد.

١٨ ـ بيان عظيم قدر رحمة الله بعباده، الذي وصفها؛ فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

١٩ ـ رد على العقلانيين الذين ردُّوا الأحاديث التي فيها أجور عظيمة على أعمالٍ يسيرة؛ كمثل حديث السوق، حيث زعموا: أن الحديث يرد دراية؛ لأن معناه لا يستقيم عقلاً. وانظر ـ تفضلاً ـ كتابي: «القول الموثوق في تصحيح حديث السوق».



(...) وحدّثني أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِىءٍ، فِي هذَا الإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**أَدْخَلَهُ اللّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ**»، وَلَمْ يَذْكُرْ: «**مِنْ أي أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ**».

◄ فوائد الإسناد:

١ ـ لفظ الأوزاعي ساقه أبو نعيم في «مستخرجه» (**١/١٢٢/١٢٣**):
حدثنا أبو بكر ابن خلاد، ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا يعلى بن الوليد بن عبدالعزيز العنسي، ثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن الأوزاعي، عن عمير بن هانىء، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**».

* **غريب الحديث:**

قوله: **(في هذا الإسناد)**: إشارة إلى الإسناد الماضي.

قوله: **(بمثله)**؛ أي: بمثل الإسناد الماضي، وهو عن عمير بن هانىء، عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: **(غير أنه قال...)**؛ أي: أن شيخه قال في آخر الحديث: «على ما كان من عمل» بدل قوله: **«من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»**.

قوله: **(أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)**؛ أي: يدخله الجنة، ولا بد سواء كان عمله صالحاً أو سيئاً؛ فينمي الصالح ويغفر المسيء، وكل ذلك يحصل لمَن مات على التوحيد الخالص؛ إما مع السلامة المطلقة، وإما بعد المؤاخذة بالكبائر.

فقه الحديث:

١ ـ فيه الرد على الفرق الضالة التي تدّعي أن مجرد التلفظ بكلمة التوحيد ينفع صاحبه؛ بل وينجيه من العذاب مع قدرته على العمل: الجهمية، وغلاة المرجئة من جهة، والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى؛ فأهل الإسلام وسط في الأمم، وأهل السنة وسط في المذاهب والطوائف الإسلامية.

٢ ـ بيان ركن من أركان الإيمان، وهو: العمل.

٣ ـ دليل على أن (لا إله إلا الله) لها شروط وأركان؛ فمَن أتى بها نجى، ومَن لم يأتِ بها؛ فلا تنفعه، وإن كان يرددها.

٤ ـ الحديث فيه رد على المعتزلة وإبطال لمذهبهم الفاسد من وجهين:

الأول: أن العصاة من أهل القبلة لا يخلدون في النار؛ لعموم قوله ﷺ: «مَن قال: **أشهد أن لا إله إلا الله**».

الآخر: أن الله ـ تعالى ـ يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة؛ لأن قوله: **«على ما كان من عمل»** حال من قوله: **«أدخله الله الجنة»**.

٤٧ ـ (**٢٩**) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ[(١)]، عَنِ ابْنِ عَجْلاَنَ[(٢)]، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ[(٣)]، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ[(٤)]، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ؛ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ؛ فَبَكَيْتُ. فَقَالَ: مَهْلاً، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللّهِ، لَئِن اسْتُشْهِدْتُ لأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللّهِ، مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلاَّ حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلاَّ حَدِيثاً وَاحِداً، وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْم، وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ، في الحديث (٢٨/٤٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث عبادة بن الصامت هذا من أفراد الإمام مسلم، فلم يخرجه البخاري.

٢ ـ فيه أربعة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: ابن عجلان، وابن حبان، وابن محيريز، والصنابحي.

---

(١) هو الليث بن سعد الفهري، أبو الحارث المصري، إمام مشهور.

(٢) هو محمد بن عجلان القرشي.

(٣) هو عبدالله بن محيريز.

(٤) هو عبدالرحمٰن بن عسيلة المرادي، أبو عبدالله الصنابحي، من كبار التابعين، رحل إلى النبي ﷺ، فوجده قد مات، وهو في الطريق، وهو بالجحفة، فسمع من الصديق وخلائق من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

* غريب الحديث:

قوله: **(عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت أنه قال: دخلت عليه)**: تقديره، عن الصنابحي: أنه حدّث عن عبادة بحديث قال فيه: «دخلت عليه».

قوله: **(وهو في الموت)**؛ أي: في مقدمات الموت، وقد ظهرت علاماته.

قوله: **(فبكيت)**: يحتمل أن يكون بكاؤه لمَّا رأى به من كرب الموت، أو لأنه لفقد الانتفاع به، أو لذكره القدوم على الله ـ تعالى ـ، وقد تجتمع كلها.

قوله: **(مهلاً)**؛ أي: أنظرني.

قوله: **(لم تبكي)**: استفهام إنكاري؛ أي: لا تبكي لما ترى.

قوله: **(فوالله، لئن استشهدت)**؛ أي: طلب مني أن أشهد.

قوله: **(لأشهدن لك)**؛ أي: بكونك من أهل الخير والصلاح.

قوله: **(ولئن شفعت)**؛ أي: قبلت شفاعتي.

قوله: **(ولئن استطعت)**؛ أي: النفع لك، لأنفعنَّك.

قوله: **(والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه)**؛ أي: كل ما فيه خير لكم حدثتكم به، وأخبرتكم عنه.

قوله: **(إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم)**؛ أي: لم أخبركم بحديث واحد وسوف أحدثكم به اليوم تأثُّماً.

قوله: **(وقد أحيط بنفسي)**: أصل الكلمة في الرجل الذي يجتمع عليه أعداؤه؛ فيقصدونه؛ فيأخذون عليه جميع الجوانب بحيث لا يبقىٰ له في الخلاص مطمع.

والمعنى: قربت من الموت، وأيست من الحياة والنجاة.

قوله: (**سمعت رسول الله يقول: مَن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ حرَّم الله عليه النار**)؛ أي: مَن قال كلمة التوحيد كانت حاجزاً له من النار، ومنعته من دخولها.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب زيارة المرضى، لا سيما أهل العلم منهم.

٢ ـ استحباب حضور من اقترب أجله، وذلك للاتعاظ، وتذكير المحتضر بالشهادتين، وحسن الظن بالله ـ تعالى ـ.

٣ ـ جواز البكاء عند رؤية ما يذكِّر بالآخرة.

٤ ـ إرشاد العالِمْ الطالبَ للأَوْلى والأهم.

٥ ـ جواز الحلف من غير استحلاف.

٦ ـ أنّ الناس يشهدون على بعضهم بعضاً يوم القيامة، وهذا ثابت بالكتاب والسنّة.

٧ ـ إثبات الشفاعة؛ ومنها: شفاعة أهل العلم والصلاح لإخوانهم المسلمين.

٨ ـ الحرص على نفع الإخوة بأي نوع من أنواع المنفعة كانت.

٩ ـ قد يفهم أنه حفظ من أحاديث الفتن ولم يحدث بها.

١٠ ـ جواز كتمان شيءٍ من العلم للمصلحة الشرعية؛ ففي الحديث دليل أن عبادة ـ رضي الله عنه ـ كتم ما خشي عليهم المضرة فيه والفتنة، مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل، وليس فيه حدّ من حدود الشريعة.

١١ ـ أنّ النار محرمة على الموحدين.



٤٨ ـ (٣٠) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ؛ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُول اللّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذ بْنَ جَبَلٍ!**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُول اللّهِ وَسَعْدَيْك، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!**»، قُلْتُ: لَبَّيْك رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْك، ثُمَّ سَارَ سَاعَة، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْك، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟**». قَالَ: قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُول اللّهِ وَسَعْدَيْك. قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبادِ عَلَى اللّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟**». قَالَ: قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: «**ألا يُعَذبَهُمْ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة معاذ بن جبل الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٩/٢٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه رواية صحابي عن صحابي، وهذا ما يصطلح عليه بـ: «رواية الأقران».

٢ ـ حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ من خماسيات الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ ظاهر الإسناد أن الحديث من مسند معاذ ـ رضي الله عنه ـ؛ أخذه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وفي بعض الروايات: (عن أنس أن النبي ﷺ قال ـ ومعاذ رديفه على الرحل ـ: «**يا معاذ**»)، والمعتمد أن الحديث من مسند معاذ، ففي رواية سليمان التيمي ـ عند البخاري ـ عن أنس، قال: ذكر لي أن النبي ﷺ

قال لمعاذ؛ فدلّ على أن الحديث لم يسمعه أنس من رسول الله ﷺ.

٤ ـ حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (**٥٩٦٧ و٦٥٠٠، و٦٢٦٧**).

٥ ـ هذا الحديث مما اتفق فيه الشيخان على إخراجه عن شيخ واحد، وهو هدّاب بن خالد، وذكره البخاري بهدبة بن خالد، وهما اسمان له، أحدهما: اسم، والآخر: لقب.

* غريب الحديث:

قوله: (**كنت ردف النبي ﷺ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل**): الردف ويُروى رديف، وكلاهما صحيح لغة ومعنى، وهما اسمان للراكب خلف الراكب، وردف كل شيء مؤخره، وأصله الركوب على الردف وهو العجز.

ومؤخرة: اسم مفعول؛ لأنها تؤخر، وهي العود الذي خلف الراكب، وتقابله قادمته، ويقال: آخرة الرحل.

والرحل: ـ بسكون الحاء ـ وهو للبعير كالسرج للفرس.

ومراده شدة قربه؛ ليكون أوقع في نفس سامعه؛ لكونه أضبط.

• تنبيهان:

١ ـ من عجيب ما قرأت في شرح هذا الحديث:

«كثيراً ما خرج المسلمون للجهاد مشاة ليس معهم ما يكفيهم من الإبل أو الحمير، وكثيراً ما كان الحمار يحمل اثنين؛ وكذلك البعير، وكثيراً ما كان الجمع منهم يتعاقب الركوب على دابة واحدة، لا تكاد تميز بين صاحبها ومرافقيه.

(**اشتراكية**) فريدة لا نراها في أرقى الأمم على مر العصور، وتكافل إسلامي لا عهد له في أي دستور أو تشريع، و(**ديمقراطية**) عالية لا تكاد

تميز بين القائد والجنود»[1].

قلت: وهذه الكلمات من الشطحات حيث أقحمت الاشتراكية البغيضة التي تنافي شرع الله جملةً وتفصيلاً، وجعلها أرقى ما كان عليه رسول الله ﷺ، وما ذاك إلا من تأثُّر الدعاة الإسلاميين بالحداثيين والعصرانيين.

ومن بالغ تناقضه: أن أردف وصفه بوصف قبيح؛ فوصفه بالديمقراطية العالية.

وإنما نبهت على ذلك صيانة لكتب السنّة النبوية ـ وبخاصة الكتب الستة ـ عن هذه المصطلحات التي لا تدل على المنهج الإسلامي وليس لها صلة به ألبتة.

٢ ـ أفرد الحافظ ابن منده ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ أسماء مَن أردفه النبي ﷺ خلفه؛ فبلغوا ثلاثين نفساً.

قوله: (**لبيك رسول الله وسعديك**)؛ معناه: إجابة لك بعد إجابة؛ للتأكيد؛ أو معناه: قرباً منك وطاعة لك. ومعنى سعديك؛ أي: ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة.

قوله: (**هل تدري ما حق الله على العباد**)؛ معناه: ما هو الأمر المتحقق الذي أمرهم به وألزمهم إياه بخطابه.

۞ فقه الحديث:

١ ـ جواز ركوب الاثنين على دابة واحدة إذا كانت تحتمل هذا الأمر، والحمار منها.

٢ ـ قرب مكانة معاذ ـ رضي الله عنه ـ من رسول الله ﷺ وشدة حبه له.

٣ ـ تواضع النبي ﷺ حيث ركب الحمار، وأردف خلفه غلاماً.

٤ ـ بيان حسن أدب معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ في الخطاب والجواب.

---

(١) «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (١٠٩/١).

٥ ـ استعمال الطرق الناجعة الناجحة لتنبيه السامع، والمسؤول إلى عظم ما يسمع.

ولذلك ينبغي للملقي على غيره علماً أن يسلك الطرق التي تُشَوِّق المخاطب إلى العلم، فقد كان رسول الله ﷺ يقول: **«يا معاذ!»** ثم يسكت، من أجل التشويق والاستعداد التام، فيكون معاذ في أشد الشوق إلى ما عند النبي ﷺ.

وهذا من أساليب تنبيه الناس، فينبغي للمتكلم في العلم أن يتنبه لها.

٦ ـ تكرار الكلام؛ ليحفظ ويفهم من المعلم.

٧ ـ استفسار الشيخ والمعلم تلميذه عن الحكم؛ ليختبر ما عنده، ويبين له ما يشكل عليه.

٨ ـ أن لله على عباده حق لازم، وهو حتم واجب، وهو عبادته لا شريك له.

٩ ـ أن لكل عبد لم يشرك بالله شيئاً حق عليه سبحانه؛ أوجبه على نفسه تفضلاً على عباده به؛ وهو: أن لا يعذبهم، وهذا استحقاق إنعام وفضل، ليس استحقاق مقابلة.

١٠ ـ رد العلم إلى أهله، وعدم القول فيه بغير حق وصدق.

١١ ـ مشروعية الإجابة بلبيك وسعديك.

● **فائدة:**

تمسك المعتزلة بظاهر الحديث، واستدلوا به على عقيدتهم وقولهم بالواجب على الله، وقالوا: أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، ولا حجة لهم فيه؛ لأن هذا حقّ واجب بكلمات الله التامة، ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً، كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله ـ تعالى ـ هو

المنعم على العباد بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، ولقد صدق مَن قال:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلاّ ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعَدْلِه أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم السامع

فهذا الحق أوجبه الله على نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].



٤٩ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ سَلاَّمُ بْنُ سُلَيْم، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ[1]، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ؛ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقالُ لَهُ: عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ! تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبادِ عَلَى الله؟**»، قَالَ: قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهَ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبادِ عَلَى اللّهِ ـ عز وجل ـ أَلَّا يُعَذّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلُوا**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات الإمام مسلم.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي.

٣ ـ حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٢٨٥٦).

---

(١) هو عمرو بن عبدالله السبيعي.

٤ ـ أبو الأحوص في الإسناد هو سلاّم بن سليم؛ كما صرّح الإمام مسلم. ورواه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم، عن يحيى بن آدم، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن معاذ بن جبل، فأبو الأحوص في إسناد البخاري هو عمار بن رزيق بدلالة رواية النسائي. قاله الحافظ[1].

❃ غريب الحديث:

قوله: **(على حمار يقال له: عفير)**: أفادت هذه الراوية بيان نوع الدابة التي ركبها النبي ـ عليه السلام ـ وأردف عليها معاذ، وأن اسمها «عفير».

قوله: **(أفلا أبشر الناس)**: التبشير هو الإخبار بخبر يظهر أثره على البشرة ـ خيراً كان أو شرًّا ـ ثم شاع في خبر الخير.

قوله: **(لا تبشرهم؛ فيتكلوا)**؛ أي: يعتمدوا على ظاهر هذه الأحاديث، ويغلطوا في فهمها، ويتركوا العمل اعتماداً على الشهادتين.

فقه الحديث:

١ ـ جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

٢ ـ الحرص على نشر الخير وتبشير الناس به.

٣ ـ استئذان الطالب معلمه في نشر علمه.

٤ ـ هذا الحديث أصل للقاعدة الشرعية، وهي: سد الذرائع ودرء المفاسد.

٥ ـ بشارة عظيمة للموحدين.

٦ ـ بيان عظم فضل الله، ورحمته بعباده.

٧ ـ يؤخذ من منع معاذ ـ رضي الله عنه ـ من تبشير الناس؛ لئلا يتكلوا: أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس؛ لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها.



---

(١) «فتح الباري» (٦/٧٠).

٥٠ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحمدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ[(١)]، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، والأَشْعَثِ بْن سُلَيْم؛ أَنَّهُمَا سَمِعَا الأَسْوَدَ بْنَ هِلاَلٍ يُحَدِّثُ عَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟**». قَالَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَنْ يُعْبَدَ اللّهُ وَلاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ**». قَالَ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذلِكَ؟**». فَقَالَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَلا يُعَذِّبَهُمْ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات الإمام مسلم.

٢ ـ فيه مقارنة بين راويين في موضعين، في أول الإسناد بين شيخيه، وفي وسطه بين أبي حصين والأشعث.

٣ ـ حديث معاذ من رواية الأسود متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٨٣٧٣).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أتدري ما حقهم عليه**)؛ أي: حق العباد على الله ـ تعالى ـ حقاً أوجبه على نفسه فضلاً منه ومنّة، لا إيجاباً منهم عليه.

قوله: (**إذا فعلوا ذلك**): إشارة إلى ما ذكر من عبادته، وعدم الإشراك به.



---

(١) هو محمد بن بشار المعروف بـ«بندار».

٥١ ـ (...) حَدَّثَنَا القَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ[١]، عَنْ زَائِدَةَ[٢]، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ هِلالٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ مُعاذاً يَقُولُ: دَعَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَأَجَبْتُهُ؛ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى النَّاسِ**» نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية القاسم التي ذكرها الإمام مسلم: أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» (١/١٢٤/١٤٠) حدثنا أبو محمد بن حيّان، ثنا محمد بن عبدالرحمٰن بن الحجاج بن جمرة، ثنا جدّي، ثنا حسين الجعفي، ثنا زائدة عن أبي حصين عن الأسود بن هلال سمعت معاذاً بن جبل يقول: دعاني رسول الله ﷺ فأجبته، فقال: «**هل تدري ما حق الله على الناس؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن يعبدوه، لا يشركوا به شيئاً**»، ثم دعاني فأجبته، فقال: «**هل تدري ما حق الناس على الله، إذا فعلوا ذلك؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن لا يعذِّبهم، وأن لا يُدخلهم النار**».

❃ غريب الحديث:

قوله: (**نحو حديثهم**)؛ أي: أن القاسم بن زكرياء شيخ مسلم في هذه الرواية رواه نحو رواية شيوخه المتقدمين، وهم: هدّاب، وأبو بكر ابن أبي شيبة، ومحمد بن المثنى، وابن بشار.



(١) هو حسين بن علي بن الوليد.
(٢) هو زائدة بن قدامة الثقفي، صاحب سنّة.

٥٢ ـ (٣١) حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ[1]، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: كُنَّا قُعُوداً حَوْلَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا؛ فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقتطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا، فَقُمنا؛ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ؛ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطاً لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَاباً، فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ ـ وَالرَّبِيعُ: الْجَدْوَلُ ـ فَاحْتَفَزْتُ؛ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ؛ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَ: «**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**». فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**». قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا؛ فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ؛ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهؤلاَءِ النَّاسُ وَرائِي. فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ!**» ـ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ ـ قَالَ: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ؛ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلا رَسُولِ اللّهِ ﷺ، بَعَثَنِي بِهِمَا، مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلا اللّهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَخَرَرْتُ لإِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**». قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً، خَرَرْتُ لإِسْتِي. قَالَ: ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عُمَرُ! مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ،

(١) هو يزيد بن عبدالرحمٰن الضرير.

بَشَرهُ بِالجَنَّة؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشى أَنْ يَتكِلَ النَّاسُ عَلَيْها، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالتحديث.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**كنا قعوداً حول رسول الله**)؛ أي: نحفُّه عن جانبَيْه، وربما من أمامه؛ كالحلقة.

قوله: (**معنا أبو بكر وعمر**): إنما ذكرا؛ لأنهما أشرف الموجودين في المجلس من بين سائر الناس. والجملة حال؛ لكنها حُذفت منها الواو؛ لأنه يجوز حذفها من الجملة الإسمية.

قوله: (**في نفر**): الجماعة من الرجال دون العشرة، ولا يقال: نفر فيما زاد عن العشرة.

وهذا من فصيح الكلام، وحسن الإخبار، فإنهم إن أرادوا الإخبار عن جماعة، فاستكثروا أن يذكروا جميعهم بأسمائهم ذكروا أشرافهم أو بعض أشرافهم، ثم قالوا: وغيرهم.

قوله: (**فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا**) يقال: نحن بين أظهركم، وظهريكم، وظهرانيكم، وكلها صحيحة فصيحة، ومعناه: بينكم.

قوله: (**فأبطأ علينا**)؛ أي: تأخر وطال انتظاره.

قوله: **(وخشينا أن يقتطع دوننا)**؛ أي: يحال بيننا وبينه، وذلك بأن يصاب بمكروه من عدوه؛ كالأسر، أو القتل، أو بغيرهما.

قوله: **(وفزعنا)**؛ أي: أصابنا الروع؛ فهببنا مسرعين نغيث رسول الله مما حجزه عنا.

قوله: **(فقمنا)**؛ أي: تركنا ما كنا فيه، وخرجنا لطلبه، والبحث عنه.

قوله: **(فكنت أول مَن فزع)**؛ أي: أسبق مَن خاف عليه وقام لإعانته وإغاثته.

قوله: **(فخرجت أبتغي)**؛ أي: أطلب.

قوله: **(حتى أتيت حائطاً)**؛ أي: بستاناً.

قوله: **(فدرت به)**؛ أي: التففت حوله؛ لأجد منفذاً لأدخل.

قوله: **(فإذا ربيع)**: إذا هي الفجائية؛ أي: ففاجأني وجود ربيع، والربيع؛ هو: النهر الصغير.

قوله: **(يدخل في جوف حائط)**؛ أي: يجري داخل بستان.

قوله: **(من بئر خارجة)** صفة للبئر؛ أي: أن البئر ليست من داخل البستان، وإنما هي من خارجه.

قوله: **(فاحتفزت كما يحتفز الثعلب)**: تضاممت؛ ليسعني المدخل.

قوله: **(ما شأنك؟)**؛ أي: ما حالك في دخولك عليّ هذا المحل؟

قوله: **(وهؤلاء الناس من ورائي)**؛ أي: النفر الذين كانوا مع النبي ﷺ فقام عنهم، وأخذوا في طلبه.

قوله: **(وأعطاني نعلَيه)**؛ لتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم، يعرفون بها صدقه، وأنه لقي النبي ﷺ، فيكون أوقع في نفوسهم؛ لما يخبرهم به عنه ﷺ، ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيداً، وإن كان خبره مقبولاً.

قوله: **(اذهب بنعلي هاتين)**؛ أي: ارجع ومعك نعلاي.

قوله: **(فمَن لقيت وراء هذا الحائط)**؛ أي: مَن وجدت بعد هذا البستان، وقد اختلف شرّاح الحديث هل المراد: النفر الذين كانوا مع النبي ﷺ وخرجوا في طلبه، أو كل مَن شاركهم في قول الشهادتين واستيقان القلب بهما. والراجح الثاني؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولا شك في أن أولئك النفر من أهل الجنة.

قوله: **(مستيقناً بها قلبه)** تأكيد لشرط من شروط كلمة التوحيد، ومعناه: عالماً بمعنى هذه الكلمة.

قوله: **(فبشره بالجنة)**؛ أي: مَن كانت هذه صفته؛ فهو من أهل الجنة.

قوله: **(فكان أول مَن لقيت عمر)**؛ أي: أول مَن قابلني خارج البستان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

قوله: **(فضرب عمر بيده)**؛ أي: ليرجع عما هو عازم عليه من تبشير الناس بما أُرسل به، لا بقصد سقوطه وإيذائه.

قوله: **(بين ثديي)**: مثنى ثدي، وقد اختلفوا في اختصاصه بالمرأة أو أنه يكون للرجل والمرأة، وقد كثر إطلاقه في الأحاديث للرجل، ولذلك؛ فالقول بالعموم أظهر، والمراد: صدري.

قوله: **(فخررت لإستي)**: الإست: اسم من أسماء الدبر، والمعنى: أني سقطت من ضربة عمر لي على أليتي جالساً.

قوله: **(فأجهشت بكاءً)**: الإجهاش: هو أن يفزع الإنسان إلى غيره، وهو متغير الوجه متهيىء للبكاء ولم يبكِ بعد.

قوله: **(وركبني عمر)**؛ أي: تبعني ومشى خلفي يلحقني إلى الرسول ﷺ.

قوله: **(فإذا هو على أثري)**: إذا هي الفجائية؛ أي: ففاجأني وجود عمر ورائي.

قوله: (**فقال لي رسول الله ﷺ: ما لك يا أبا هريرة؟**)؛ أي: أي شيء غير حالك من الحال التي خرجت من عندي وأنت عليها من السرور والبهجة بعد وصولك إليّ، ومشاهدتك لي، وأنا سالم من كل مكروه، وحملك البشرى إلى هذه الأمة؟.

قوله: (**قلت: لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به**)؛ أي: بالبشرى التي أرسلتني لأخبر الناس بها.

قوله: (**فضرب بين ثدييَّ ضربة، خررت لإستي**)؛ أي: سقطت على عجزي من شدة ضربة عمر - رضي الله عنه -.

قوله: (**فقال له رسول الله: ما حملك على ما فعلت؟**)؛ أي: أيّ شيء يا عمر دفعك، وجعلك تمنع أبا هريرة من التبليغ، حتى أدى ذلك إلى ضربه؟

قوله: (**قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي**)؛ أي: قال عمر: يا رسول الله أنت مَفديّ بأبي وأمي.

قوله: (**أبعثت أبا هريرة بنعليك؟**)؛ أي: هل بعثت يا رسول الله أبا هريرة، وجعلت نعليك علامة على صدقه؟

قوله: (**قال: نعم**)؛ أي: بعثته بذلك.

قوله: (**قال: فلا تفعل**)؛ أي: قال عمر لرسول الله ﷺ: لا تفعل ذلك يا رسول الله.

قوله: (**فإني أخشى أن يتكل الناس عليها**): الفاء للتعليل؛ أي: إنما أطلب ذلك منك يا رسول الله؛ لأني أخاف أن يعتمد الناس على الشهادتين، ويتركوا العمل.

قوله: (**فخلِّهم يعملون**)؛ أي: اتركهم يعملون سائر الأعمال الصالحة.

قوله: (**فخلِّهم**)؛ أي: قال رسول الله: إذا كان يترتب على التبشير اتكالهم عليها؛ فاتركهم ولا تبشرهم؛ لكي يستكثروا من الأعمال الصالحة

التي تتفاوت بها درجات الجنة؛ لأنهم يرثون الجنة بأعمالهم، وإن كان ابتداء دخولها برحمة الله لأهل التوحيد الخالص.

فقه الحديث:

١ ـ أن رسول الله ﷺ أحسن الناس عشرة مع أصحابه: يجلس معهم، ويتحدث إليهم، ويأكل معهم، لا يتخذ دونهم بوّابين، فقد كان خلقه ﷺ القرآن.

٢ ـ شدة محبة الصحابة للرسول ـ عليه السلام ـ وللعلم، إذ كانوا ملازمين له في حلِّه وترحاله.

٣ ـ جلوس العالم والمفتي لأصحابه والناس؛ يعلمهم.

٤ ـ اهتمام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالشيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

٥ ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ البالغ، وشدة خوفهم على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يصيبه أي أذىً كان.

٦ ـ اهتمام الأتباع بحقوق متبوعهم الشرعية، والاعتناء بمصالحه، ودفع المفاسد عنه.

٧ ـ جواز تشبيه الإنسان نفسه بفعل الحيوان، إذا كان المراد بذلك إظهار الصورة لا التطبُّع بهذا الطبع، ولذلك قال أبو هريرة: «فاحتفزت كما يحتفز الثعلب».

٨ ـ إعطاء النعلين فيه: جواز عضد خبر المخبر الواحد بالقرائن، تقوية لخبره وإن كان لا يُتهم.

٩ ـ بيان شرط من شروط كلمة التوحيد؛ وهو: «اليقين المنافي للشك».

١٠ ـ أن التلفظ بكلمة التوحيد دون القيام بمدلولاتها، وأحكامها لا تنفع صاحبها، كالمفتاح بلا أسنان.

١١ ـ العمل بالقرائن، والعلامات لمعرفة الحق، والعمل على ما تقتضيه من الأحكام.

١٢ ـ استحباب الكناية في الأسماء القبيحة، واستعمال الألفاظ الشرعية التي يحصل المقصود بها دون استحياء.

١٣ ـ جواز قول الرجل للعالم والفاضل: بأبي أنت وأمي؛ أي: أفديك بهما.

١٤ ـ بيان أثر البطانة الصالحة العالمة بالأحكام الشرعية في توجيه الإمام وصلاحه.

١٥ ـ أن الصاحب، والتابع، والطالب، والوزير، ومن شاكلهم عليهم أن يبدوا كل ما يرونه صواباً، وفيه نفع عام للأُمة للامام.

١٦ ـ أن الإيمان المنجي؛ هو: ما وافق قوله اعتقاده.

١٧ ـ إمساك عن نشر بعض المسائل العلمية عن العامة مخافة المفسدة والاتكال.

١٨ ـ حرص الشارع على أداء المكلفين الواجبات والمندوبات.

١٩ ـ رجحان رأي عمر، وكمال عقله، وتوقد ذهنه، وموافقته للحق.

٢٠ ـ رجوع الإمام والمفتي عما رأى المصلحة في تركه وفعل غيره.

٢١ ـ تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وترك المفضول إلى الفاضل. وهو أصل في القول بسد الذريعة.

٢٢ ـ وفيه: اجتهاد النبي ﷺ في الأمور، وجواز الرجوع منه عن اجتهاده.

٢٣ ـ جواز دخول بستان، وملك الغير لحاجة دونما أي إفساد، ولو بغير استئذان أو علم أن صاحبه يرضىٰ، ولذلك دخل أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ مع هذا الجدول.

٢٤ ـ الرد على من زعم: أن تارك الأعمال الظاهرة ـ إلا الشهادتين ـ كافر بالله ـ تعالى ـ.

٢٥ ـ أن الإنسان إذا فعل الشيء غيرة؛ فإنه لا يقتص منه، ودليل ذلك: أن النبي ﷺ لم يوبخ عمر ـ رضي الله عنه ـ، وأن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ لم يقتص منه.

٢٦ ـ صبر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعضهم على بعض، وباحتمال الأذى ولو كان ضرباً.

٢٧ ـ بيان رقة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وأنه نظيف السريرة كسائر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

٢٨ ـ وفيه: أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ له كرامة دعاء النبي ﷺ بأن يحبُّه جميع المسلمين، فمَن أبغض أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ ففيه شعبة من النفاق.

٢٩ ـ البكاء قد يقع من الكبير، ولذلك قال أبو هريرة: «فأجهشت بكاءً».

● فائدة:

ربما يُشكل على بعض أهل العلم إخبار أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بذلك ورسول الله ﷺ وافق عمر على رأيه وقال: «**خلِّهم**».

والجواب:

١ ـ أن الصحابة أخبروا بهذه الأحاديث وأشباهها تأثّماً، وهذا كان بعد رسول الله ﷺ؛ حيث اكتملت الشريعة، وزالت خشية الناس على هذه الأحاديث، وعلموا: أن العمل ركن في الإيمان بالله تعالى.

٢ ـ أنه لا بدّ من البيان، وكون الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يحدثون بها، ويبينون للناس معناها أحسن من أن يحدثهم إنسان فيما بعد، ولا يبين لهم.

٣ ـ أن الصحابة خشوا أن لا يبلغوا الشريعة إلى الأمة، فحدّثوا بهذه الأحاديث، وكان ذلك كرامة لهم ـ رضي الله عنهم ـ؛ ففي ذلك رد على الروافض الذين زعموا: أن الصحابة كتموا شيئاً من القرآن، فإنهم إذا كانوا لا يكتمون مثل هذه الأحاديث، فكيف يكتمون شيئاً من القرآن؟!

٥٣ ـ (٣٢) حَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ مَنْصُورٍ: أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي[1]، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللّهِ ﷺ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ!**»، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «**يَا مُعَاذُ!**»، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»! قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ ـ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إلا اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللّهُ عَلَى النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «**إِذاً يَتَّكِلُوا**»، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، تَأَثُّماً.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات الإمام مسلم.

٢ ـ أنّ رواته كلهم بصريون؛ إلا شيخ مسلم: إسحاق بن منصور؛ فإنه نيسابوري، لكنه دخل البصرة؛ للأخذ عن أهلها.

٣ ـ فيه رواية الابن عن أبيه.

٤ ـ حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه الإمام البخاري ـ أيضاً ـ (١٢٨).

٥ ـ هذا الحديث من مراسيل أنس ـ رضي الله عنه ـ، ومراسيل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حجة.

---

(١) هو هشام بن سنبر، أبو بكر البصري.

❁ غريب الحديث:

قوله: **(ومعاذ بن جبل رديفه)**؛ أي: راكب خلف رسول الله ﷺ على الدابة.

قوله: **(على الرحل)**؛ أي: مركب البعير، وهو أصغر من القتب، وهو من مراكب الرجال، دون النساء.

قوله: **(فأُخبر بها معاذ عند موته تأثماً)**؛ أي: أن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حفظ هذا الحديث وأمثاله، وخشي أن يكون لها أثراً في ترك الناس للأعمال، وإنما أخبر بها عند موته؛ حتى لا يكتم شيئاً مما أُمر بتبليغه.

فقه الحديث:

١ ـ جواز كتم شيئاً من العلم مخافة أن يفتتن بها الناس من فقه العالم.

٢ ـ بيان أمانة معاذ ـ رضي الله عنه ـ؛ حيث أخبر بهذا الحديث، وخوفه من العذاب إن قصر في تبليغه.

٣ ـ بيان سعة علم معاذ ـ رضي الله عنه ـ، وقد ثبت أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام.

٤ ـ زاد البخاري: «صدقاً من قلبه»، وهي زيادة حسنة تتفق مع جملة أحاديث الباب، وتبين فساد مذهب المرجئة الردي.

٥ ـ بيان فضل الاستقامة على التوحيد؛ لأن الصدق يعبر به قولاً عن مطابقة القول المُخْبَر عنه، ويعبر به فعلاً من تحري الأخلاق الرضية؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣].

٦ ـ فيه بشارة للموحدين؛ فإن النار محرمة عليهم ابتداءً، أو انتهاءً؛ فلا يخلد في النار أحد من الموحدين.

٧ ـ في قوله: «إذاً يتكلوا»؛ دليل على أن للعبد اختياراً، وفعلاً ومشيئة، لكن ذلك إنما يقع بعد مشيئة الله ـ تعالى ـ، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٨ و٢٩].

٨ ـ يدل الحديث على فهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ورسوخهم في العلم: فإن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ لما خاف الموت، ورأى أن أجله قد اقترب، أخبر بالحديث؛ لأنه يعلم أن ما بلّغه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ فهو من شريعته التي ينبغي أن تُبلَّغ، فخاف أن يكتم هذا الحديث فيقع في الإثم.

٩ ـ فيه إثبات وصفين عظيمين للرسول ﷺ، وهما: عبده ورسوله، وفي ذلك رد على طائفتين منحرفتين في رسول الله ﷺ: غلاة، وهم المتصوفة الذين ألّهوه وجعلوه ربًّا يدعونه ويستغيثون به أكثر مما يستغيثون بالله ـ عز وجل ـ، وجفاة، وهم الكفار كذّبوه، وقالوا: إنه ليس برسول بل شاعر، وساحر، وكذّاب ـ حاشاه ﷺ ـ.

١٠ ـ التحريم نوعان: كوني وشرعي؛ فقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ [الأنعام: ١٤٦] من التحريم الشرعي، وقوله ﷺ: «**إلا حرّمه الله على النار**» كوني، لقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢].



٥٤ ـ **(٣٣)** حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ـ يَعْنِي: ابْنَ الْمُغِيرَةِ ـ قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ[1]، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ. قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّي فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى. قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي،

(١) هو ثابت بن أسلم البناني.

وأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذلكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دخْشُم. قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ، فَقَضى رَسولُ اللّهِ ﷺ الصَّلاةَ وَقَالَ: «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلَّا اللّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ؟**». قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ. قَالَ: «**لاَ يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لاَ إِلهَ إِلَّا اللّهَ، وَأَنِّي رَسُولُ الله؛ فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ**». قَالَ أَنسٌ: فَأَعْجَبَنِي هذَا الْحَدِيثُ، فَقُلْتُ لابني: اكْتُبْهُ. فَكَتَبَهُ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات الإمام مسلم.

٢ ـ فيه ثلاثة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يروي بعضهم عن بعض؛ وهم: أنس، عن محمود، عن عتبان ـ رضي الله عنهم ـ.

٣ ـ رواية الأكابر عن الأصاغر؛ فإن أنس بن مالك أكبر من محمود بن الربيع.

٤ ـ قوله: (حدثني ثابت، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ)؛ قال: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك، قال: قدمت المدينة، فلقيت عتبان، فقلت: حديث بلغني عنك... هذا يفيد أن أنساً سمعه أولاً من محمود بن الربيع عن عتبان. ثم اجتمع أنس بعتبان فسمعه منه.

٥ ـ حديث عتبان بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٤٢٤ و٦٦٧).

✸ غريب الحديث:

قوله: (**قدمت المدينة**)؛ أي: قال محمود بن الربيع: أتيت المدينة النبوية راجعاً من غزوة الروم، كما في رواية النسائي المطولة في «السنن الكبرى» (٦/٢٧٢).

قوله: **(فلقيت عتبان)**؛ هو: ابن مالك - رضي الله عنه -.

قوله: **(فقلت: حديث)**؛ أي: حديث عظيم النفع، جليل القدر.

قوله: **(بلغني عنك)**؛ أي: فحدّثني به.

قوله: **(أصابني في بصري بعض الشيء)**؛ هو: العمىٰ، كما في الرواية الثانية.

قوله: **(فأتى النبي ﷺ ومَن شاء من أصحابه)**؛ أي: جاء معه ﷺ جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم -؛ فيهم أبو بكر وعمر؛ كما في بعض الروايات.

قوله: **(فدخل وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم)**؛ أي: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - دخل بيت عتبان، وأخذ يصلي في مكان منه، وأخذ أصحابه يتحدثون بكلام يسمعه النبي ﷺ.

قوله: **(ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلى مالك بن دخشم)**؛ أي: ذكروا شأن المنافقين، وأفعالهم القبيحة، وما يلقون منهم من الأذى، ثم نسبوا ذلك إلى مالك بن دخشم.

قوله: **(ودوا أنه دعا عليه؛ فهلك، وودّوا أنه أصابه شر)**؛ أي: تمنوا هلاك مالك بدعوة من النبي، أو بغير ذلك؛ لأنهم يرونه السبب في كل ما يلقونه من أذى المنافقين.

قوله: **(إنه يقول ذلك، وما هو في قلبه)**؛ أي: إنه منافق يقول كلمة التوحيد، ولكنه لا يعتقدها، ولا يؤمن بها.

فقه الحديث:

١ - حرص الصحابة - رضي الله عنهم - على تتبع الأحاديث، والالتقاء براويها لسماعها منه.

٢ - جواز إخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة، ولا يكون من الشكوى.

٣ ـ دعوة العلماء والفضلاء للزيارة والضيافة والتعليم.

٤ ـ إجابة الفاضل دعوة المفضول.

٥ ـ الوفاء بالوعد.

٦ ـ تواضع النبي ﷺ.

٧ ـ جواز استصحاب الزائر بعض أصحابه إذا علم أنّ المستدعي لا يكره ذلك.

٨ ـ الاستئذان للدخول وإن كان صاحب البيت هو الذي طلب الزائر.

٩ ـ جواز صلاة النافلة جماعة من غير تواطؤ.

١٠ ـ جواز إمامة الزائر المزور برضاه، أو إذا طلب منه ذلك.

١١ ـ وفيه البداءة بالأهم فالأهم بحسب الحال والمناسبة.

١٢ ـ جواز إمامة الأعمى.

١٣ ـ جواز ترك الجماعة لعذر، من مرض، أو عمى، أو ما شابه ذلك.

١٤ ـ افتقاد من غاب عن حضور الجماعة.

١٥ ـ استحباب جعل صلاة النافلة ركعتين ركعتين.

١٦ ـ مشروعية إكرام الضيوف لا سيما أهل العلم منهم.

١٧ ـ مشروعية اجتماع أهل المحلة على الإمام، أو العالم إذا ورد بعضهم، ليستفيدوا منه.

١٨ ـ زيارة العلماء، والفضلاء أتباعهم، وتعليمهم ما يحتاجون.

١٩ ـ استحباب اتخاذ مصلى في البيت يصلي فيه أهله.

٢٠ ـ جواز التبرك بآثار النبي ﷺ في حياته، وبعد مماته.

٢١ ـ جواز الحديث في المسجد، والمصلَّى، وغيرهما مع وجود من يصلي شريطة أن لا يشوش عليه.

٢٢ ـ فيه دليل على أنه لا يلام أحد إذا أحبّ أن يتحدث ـ ولو كان عنده مَن يصلي ـ فلا يقال له: لماذا ما صليت كذا كما صلّى فلان؟ فنقول: الأمر واسع؛ إلا في الواجب.

٢٣ ـ فيه دليل على سماع الرجل لحديث القوم ـ وهو في صلاته ـ لا ينافي الخشوع.

٢٤ ـ الحكم على الشخص بتهمة، أو بدعة بالنظر إلى أصحابه، ورفاقه، وجلسائه، وزوّاره، ولذلك قال السلف: «مَن خفيت علينا بدعته لم تخفَ علينا ألفته وصحبته».

٢٥ ـ جواز تمني هلاك أهل النفاق، والشقاق، ووقوع المكروه بهم.

٢٦ ـ التنبيه على من يظن به الفساد في الدِّين عند الإمام على جهة النصيحة، ولا يُعد ذلك غيبة.

٢٧ ـ أنّ العالم والحاكم عليه: أن يتثبت فيما يقال، وينقل إليه عن أتباعه، ويعذر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢٨ ـ أنّ من نسب مسلماً إلى النفاق والكفر؛ لقرينة عنده، أو متأولاً لا يكفر، ولا يفسق.

٢٩ ـ الذب عمن ظاهره الإسلام.

٣٠ ـ بيان أنه كان في المدينة النبوية مساجد للجماعة، سوى المسجد النبوي.

٣١ ـ النهي عن التعجل في الحكم على الآخرين، لا سيما الحكم على القلوب.

٣٢ ـ الحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر.

٣٣ ـ فضل الشهادتين، وبيان أهمية وعظمة التوحيد.

٣٤ ـ جواز كتابة الحديث، وأنّ النهي كان أول الأمر.

٣٥ ـ أنّ كتابة الحديث كانت موجودة معروفة في العصر الأول.

٣٦ ـ من حفظ الله في الصغر؛ حفظه الله في الكبر.



٥٥ ـ (...) حدّثني أَبُو بَكْرِ ابْنُ نَافِعٍ الْعَبدِيُّ: حَدَّثَنَا بهزٌ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ عَمِيَ؛ فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: تَعَالَ فَخُطَّ لي مَسْجِداً فَجَاءَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، وَجَاءَ قَوْمُهُ. وَنُعِتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُم، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية أبي بكر ابن نافع ساقها الإمام النسائي في «عمل اليوم والليلة» (**١١٠٥/٥٩٣/١**): أخبرنا أبو بكر ابن نافع، قال: حدثنا بهز، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت عن أنس، قال: حدثني عتبان بن مالك: أنه عمي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**تعال**»، فخطّ لي مسجداً، فجاء رسول الله ﷺ، وجاء قومه، وتغيّب رجل منهم يقال له: مالك بن الدخشم، قالوا: يا رسول الله إنه وإنه، يقعون فيه، فقال

رسول الله ﷺ: «**أليس يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**»، قالوا: إنما يقولها متعوذاً، قال: «**والذي نفسي بيده، لا يقولها أحد صادقاً، إلا حُرِّمت عليه النار**».

٢ ـ قوله: (حدثني عتبان بن مالك) فيه أن أنساً ـ رضي الله عنه ـ سمعه من عتبان نفسه بعدما سمعه عنه بواسطة محمود بن الربيع.

✵ غريب الحديث:

قوله: (**فخطّ لي مسجداً**)؛ أي: أعلم لي على موضع؛ لأتخذه مسجداً أصلي فيه متبركاً بآثارك.

قوله: (**وجاء قومه**)؛ أي: جاء قوم عتبان، والمراد: أهل قريته الذين يسكنون حول بيته.

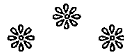
قوله: (**ونعت رجل**)؛ أي: وصف.

قوله: (**ثم ذكر نحو حديث سليمان**)؛ أي: أن أبا بكر بن نافع ذكر متن الحديث نحو حديث سليمان بن المغيرة في المعنى لا في اللفظ.

➢ فوائد الحديث:

١ ـ فيه اجتماع أهل المحلّة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم؛ ليستفيدوا منه؛ فقد اجتمع أهل محلّة عتبان لما سمعوا بمجيء رسول الله ﷺ إلى بيته.

٢ ـ اتخاذ موضع معين في الدار للصلاة، ولا يعد من الاستيطان المنهي عنه.



١١ ـ باب الدليل على أن مَن رضي باللّه ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً؛ فهو مؤمن؛ وإن ارتكب المعاصي والكبائر

٥٦ ـ (٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، وَبِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ ـ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ ـ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ رَضِيَ بِاللّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**».

❋ راوي الحديث:

العباس بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ، يكنى أبا الفضل، كان يناط إليه سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، حضر بيعة العقبة؛ ليتأكد من وفاء الأنصار، ولم يكن إذ ذاك مُسلماً، أُسر مع المشركين في بدر، وأسلم قبل غزوة الفتح بقليل؛ فشهدها، وثبت يوم حنين، مات في رجب أو رمضان سنة (٣٢هـ)، ودُفن بالبقيع.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عامر.

٢ ـ أنه من خماسيات الإمام مسلم.

٣ ـ أنه من أفراد الإمام مسلم عن البخاري.

* غريب الحديث:

قوله: **(ذاق طعم الإيمان)**؛ الذوق: مبدأ إدراك الطعم، وقد شبّه الإيمان بالثمرة أو بمطعوم حلو، ثم أثبت للمشبه لازم المشبه به، وهو الطعم على سبيل الاستعارة التخييلية، والذوق كناية عن الإدراك.

و(الطعم): ما يُشتهى من الطعام.

والمراد: وجد حلاوته؛ وهي: ما يجده المؤمن من انشراح صدره، وتنويره بمعرفة الله ـ تعالى ـ، ومعرفة رسوله ﷺ، ومعرفة منّة الله ـ تعالى ـ عليه بنِعَمِه المتوالية التي لا تحصى.

قوله: **(من رضي بالله رباً)**: الرضا بالشيء قد يكون بمعنىٰ القناعة به، وقد يكون بمعنىٰ الإيثار له، وتفضيله عما عداه.

والرضى نوعان: رضى بالله، ورضى عن الله.

الرضى بالله رباً: يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله، حيث لا يتخذ العبد رباً غير الله يسكن إلى تدبيره، وينزل عند تقديره؛ لأنه رب كل شيء: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]؛ يعني: معبوداً وناصراً ومعيناً وملجأً، وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة.

وأما الرضى عن الله: فإن من رضي بالله ربًّا؛ فإن الله يرضى عنه، فيرضى هو عن ربه، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

قوله: **(بالإسلام ديناً)** من رضي بالله ربًّا؛ فإنه يرضى بما رضي الله، ويختار ما يرضي الله، والإسلام هو الذي ارتضاه الله لعباده، وأمرهم

باتباعه، ولن يقبل منهم صرفاً، ولا عدلاً إلا على منهاجه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قوله: **(وبمحمد رسولاً)**: الرضى به رسولاً يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله بكمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، حتى يكون أولى به من نفسه التي بين جنبيه، فلا يتلق الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يتحاكم إلا إليه، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة.

فقه الحديث:

١ ـ أن الإيمان له طعم ولذة يدركها، ويشعر بها من دخل به.

٢ ـ من علامات الإيمان الرضى بهذه الأصول الثلاثة.

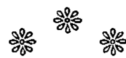
٣ ـ من ثبت عليها في حياته صدقاً، قولاً وفعلاً؛ ثبّته الله، ووفقه لقولها في القبر عند السؤال.

٤ ـ وجود الإيمان في قلب العبد لا ينفي عنه وقوعه في الكبائر والصغائر.

٥ ـ أنه قد يجتمع بالعبد الإيمان والشرك والمعصية.

٦ ـ بيان تفاوت أهل الإيمان فيه، فمنهم مَن وصل غايته، ووجد حلاوته، ونسي كدر الدنيا، واطمأن قلبه بذكر الله.

٧ ـ فيه دلالة على زيادة الإيمان، فالتعبير بالذوق دون الشبع، يدل على أن هذا القدر ليس غاية المقصود الذي يجب أن يقف عنده، بل عليه الازدياد من الطاعة والإقبال على الله، فيزداد إيمانه.



١٢ ـ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها. وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان

٥٧ ـ (٣٥) حَدَّثَنَا عُبَيْدُالله بْنُ سَعِيدٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ العَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي، وهي من رواية الأقران، فإن عبدالله بن دينار وأبا صالح تابعيان.

وقد ثبتت رواية أبي صالح عن عبدالله بن دينار؛ فصار مدبجاً.

٢ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٩).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**الإيمان بضع وسبعون شعبة**): المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل الذي يرفع صاحبه أعلى الدرجات.

والبضع: هو عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع.

والشعبة: القطعة من الشيء والفرقة منه، والمراد هنا: الخصلة.

قوله: **(والحياء شعبة من الإيمان)**: الحياء بالمد، وهو في اللغة: تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

وفي الشرع؛ هو: خُلُق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

والمعنى: أن الحياء خُلُق جميل محبوب عند الله، وعند الخَلْق، دالٌّ على كمال إيمان صاحبه أو صحته؛ فحثّ الشارع على التخلُّق به لعظم أثره، وحاجة الناس إليه.

فقه الحديث:

١ ـ أن الإيمان أبعاض وأجزاء؛ وهو: حقيقة مركبة من أصل وفروع.

٢ ـ أن شعب الإيمان كثيرة وفيرة وشهيرة.

٣ ـ أن الحياء من الإيمان.

٤ ـ حث على التخلُّق بصفة الحياء.

٥ ـ وفيه الرد على الخوارج؛ حيث زعموا: أن الإيمان كتلة لا يتجزأ؛ إن ذهب بعضه كفر العبد، وإن كاملاً وجد؛ فهو المؤمن الحق، فإيمان العبد عندهم لا يكون صحيحاً إلا إذا كان كاملاً، ولا يكون كاملاً إلا إذا كان صحيحاً.

وكذلك فيه رد على المرجئة الذين أخرجوا الأعمال الصالحة من حد الإيمان.

٦ ـ أن الإيمان درجات، ومراتب، وشعب، يزداد وينقص.



٥٨ ـ (...) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«الإِيـمَـانُ بِـضْـعٌ وَسَـبْـعُـونَ ـ أَوْ بِـضْـعٌ وَسِـتُّـونَ شُـعْـبَـةً ـ فَـأَفْـضَـلُـهَـا قَـوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أنّ جميع رواته بصريون.

٢ ـ فيه تابعي يروي عن تابعي.

٣ ـ اختلف في ترجيح (بضع وسبعون) أو (بضع وستون)، والصواب الراجح رواية الإمام مسلم (بضع وسبعون)، كما بيَّنه شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في «الصحيحة» (١٧٦٩).

❋ غريب الحديث:

قوله: **(فأفضلها)** أفضل تلك الشعب قدراً، وأعلاها درجة عند الله.

قوله: **(قول لا إله إلا الله)**؛ أي: كلمة التوحيد أفضل أنواع الإيمان، كما أن الإيمان أفضل أنواع العمل.

قوله: **(وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)**؛ أي: أقل مراتب الإيمان في المؤمن: أن يزيل الأذى من طريق المسلمين حرصاً على سلامتهم.

⮱ فقه الحديث:

١ ـ أن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد؛ لأن الحديث ذكر الاعتقاد، والقول، والعمل.

٢ ـ أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأنه حقيقة مركبة من شعب.

٣ ـ يتكون الإيمان من أصل وكمال، وينقسم الكمال إلى: كمال واجب، وكمال مستحب.

٤ ـ فضل كلمة التوحيد، فهي أفضل الكلام، وأعلى درجات الإيمان.

٥ ـ فضل إماطة الأذى عن طريق المسلمين.

٦ ـ مراتب الإيمان متفاوتة، ودرجاته متباينة.

٧ ـ تكلُّف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، ولكن لم يتفق مَن عدّ هذه الشعب على نمط واحد، وقد صنّف الحليمي والبيهقي فيها مصنفات.

قال القاضي عياض: «تكلّف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان» ا.هـ.

قال الحافظ ابن حجر: «ولم يتفق مَن عدّ الشعب على نمط واحد. ثم لخّص ما أوردوه فقال: إن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان، وأعمال البدن» ا.هـ.



٥٩ ـ (٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَمْرو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيينة، عَنِ الزُّهْرِي، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيه؛ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ: «**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ**».

✹ راوي الحديث:

عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، تقدمت ترجمته في الحديث (٨/١).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية الأبناء عن الآباء؛ فإن سالماً روى عن أبيه عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ هذا، متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٢٥).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء**)؛ أي: ينصحه ويذكره بالحياء، أو يعتب عليه؛ لتضييع حقوقه بسبب الحياء.

فقه الحديث:

١ ـ بيان فضل الحياء، والحث عليه.

٢ ـ بيان كون الحياء شعبة من شعب الإيمان.

٣ ـ قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١/١٠٢ ـ ١٠٤): «والحياء نوعان: غريزيّ، وهو خُلُقٌ يمنحه الله ـ تعالى ـ العبد، ويَجْبُلُهُ عليه، فيكُفُّه عن ارتكاب القبائح، والرذائل، ويحثُّه على فعل الجميل، وهو من أعلى مواهب الله ـ تعالى ـ للعبد، فهذا من الإيمان باعتبار أنه يؤثّر ما يؤثّره الإيمان من فعل الجميل، والكفّ عن القبيح، وربما ارتقى صاحبه بعده إلى درجة الإيمان، فهو وسيلة إليه، كما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: «مَن استحيا اختفَى، ومَن اختفى اتّقَى، ومَن اتّقَى وُقي»، وقال بعض التابعين: «تركت الذنوب حياءً أربعين سنةً، ثم أدركني الورع»، وقال ابن سَمْعُون: «رأيت المعاصي نَذَالةً، فتركتها مروءةً، فاستحالت ديانةً».

أن يكون مُكتسباً، إما من مقام الإيمان؛ كحياء العبد من مقامه بين يدَي الله ـ تعالى ـ يوم القيامة، فيوجب له ذلك الاستعداد للقائه، أو من مقام الإحسان؛ كحياء العبد من اطّلاع الله ـ تعالى ـ عليه، وقربه منه، فهذا من أعلى خصال الإيمان.

وسُئل النبي ﷺ عن كشف العورة خالياً؟ فقال: «**الله أحقّ أن يُستحيا منه من الناس**».

وفي حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ المرفوع: «**الاستحياء من الله: أن تحفظ الرأس وما وعَى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبِلى، ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمَن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء**».

وأخرج البخاريّ في «التفسير» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ﴾ الآية [هود: ٥] أنها نزلت في قوم كانوا يُجامعون نساءهم، ويتخلّون، فيستحيون من الله، فنزلت الآية.

وكان الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ يقول: استحيوا من الله، فإني أذهب إلى الغائط، فأظلّ متقنّعاً بثوبي حياءً من ربِّي ـ عز وجل ـ.

وكان موسى ـ عليه السلام ـ إذا اغتسل في بيت مظلم لا يُقيم صلبه حياءً من الله ـ عز وجل ـ.

قال بعض السلف: خَفِ الله على قدر قدرته عليك، واستحِ منه على قدر قُربه منك.

وقد يتولّد الحياء من الله من مطالعة النِّعَم، فيستحيي العبد من الله أن يستعين بنعمته على معاصيه، فهذا كله من أعلى خصال الإيمان» اهـ.



(...) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيّ، بِهذَا الإِسْنَادِ. وَقَالَ: مَرَّ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يَعِظُ أَخَاهُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (بهذا الإسناد)؛ أي: بإسناد الزهري عن سالم عن أبيه.

٢ ـ قوله: (وقال)؛ أي: شيخه عبد بن حميد.

٣ ـ رواية عبد بن حميد أخرجها في «مسنده» (٧/٢ ـ المنتخب): أخبرنا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر أن

رسول الله ﷺ مرّ برجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: **«دعه؛ فإن الحياء من الإيمان»**.

وأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» **(١٤٩/١٢٨/١)** حدّثناه أبو أحمد الغطريفي، ثنا عبدالله بن شيرويه، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ مرّ برجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: **«دعه؛ فإن الحياء من الإيمان»**.



٦٠ ـ **(٣٧)** حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الْمُثَنَّى، ومُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ـ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى ـ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا السَّوَّارِ[1] يُحَدِّثُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ»**، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَاراً وَمِنْهُ سَكِينَةً؛ فَقَالَ عِمْرَانُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ.

❋ راوي الحديث:

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ـ رضي الله عنهما ـ، أبو نجيد، أسلم عام خيبر، هو وأبوه صحابيان، مات سنة **(٥٢هـ)**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أن جميع رواته بصريون كالذي يليه، وهذا من نفائس صحيح مسلم.

٢ ـ أنه من سداسيات الإمام مسلم.

---

(١) هو أبو السوار العدوي البصري، مختلف في اسمه، وليس له في «الصحيحين» إلا هذا الحديث.

٣ ـ حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ هذا، متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٦١١٧).

* غريب الحديث:

قوله: (**الحياء لا يأتي إلا بخير**)؛ أي: كله خير، والخير لا يأتي إلا بالخير.

قوله: (**إن منه وقاراً ومنه سكينة**)؛ يعني: ليس كل الحياء خير، بل جزء منه.

فقه الحديث:

١ ـ أن الحياء الشرعي ليس فيه شر أو عيب.

٢ ـ الرد على من خالف السنة برأيه.

٣ ـ أن كل ما يمنع من حق شرعي؛ فليس هو من الحياء، وليس هو بممدوح.



٦١ ـ (...) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ ـ وَهُوَ ابْنُ سُوَيْدٍ ـ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ؛ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا، وَفِينَا بشَيرُ بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**». قَالَ: أَوْ قَالَ: «**الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**»، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوِ الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَاراً لله، وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ: أَلا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُعَارِضُ فِيهِ؟ قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ. قَالَ: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ. قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ، إِنَّهُ لاَ بَأس بِهِ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات الإمام مسلم؛ فهو أعلى من السند الماضي.

٢ ـ مسلسل بالبصريين.

٣ ـ قوله: (وهو ابن سويد)؛ إشارة إلى أن شيخه لم ينسب إسحاق إلى أبيه، بل ذكره باسمه، فلما أراد الإمام مسلم أن يبيِّنه نسبه إلى أبيه، ففصل كلامه عن كلام شيخه بكلمة (وهو) لئلا يقول على شيخه ما لم يقله.

قال السيوطي في ألفيته:

ولا تزد في نسب أو وصف مَن ... فوق الشيوخ عنهم ما لم يُبن
بنحو يعني أو بأن أو بهو ... أما إذا أتمّه أوّله
أجزه في الباقي لدى الجمهور ... والفصل أول قاصر المذكور

❋ **غريب الحديث:**

قوله: **(كنا عند عمران بن حصين في رهط)**؛ أي: جماعة من الرجال دون العشرة.

قوله: **(منا)**؛ أي: من عشيرتنا.

قوله: **(الحياء كله خير)**؛ أي: الحياء الشرعي كله خير لا يستثنى منه شيء، وما ذكره يُشير نقلاً عن بعض الكتب، فإنما ينطبق على الحياء اللغوي.

قوله: **(إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة)**؛ أي: الكتب السابقة التي تعتني بالحكم.

قوله: **(إن منه سكينة)**؛ أي: بعض الحياء وقار ومهابة ورزانة.

قوله: **(ومنه ضعف)**؛ أي: بعض أنواعه فيه ضعف، وهو: ما يمنع من الحق.

قوله: **(فغضب عمران)**؛ بسبب أن بشيراً ساق الكلام في معرض مَن يعارض السنّة بكلام البشر.

قوله: **(حتى احمرتا عيناه)**؛ أي: من شدة الغضب.

قوله: **(ألا أراني)**؛ أي: أرى نفسي.

قوله: **(وتعارض فيه)**؛ أي: تقابله، وتأتي بما يناقضه.

قوله: **(فأعاد عمران الحديث)**؛ أي: تأكيداً له.

قوله: **(فأعاد بشير)**؛ أي: كلامه السابق.

قوله: **(فما زلنا نقول فيه)**؛ أي: في شأن بشير.

قوله: **(أنه منا)**؛ أي: من جماعتنا.

قوله: **(يا أبا نجيد)** كنية عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ.

قوله: **(إنه لا بأس به)**؛ أي: ليس ممن يُتهم بنفاق، أو زندقة، أو بدعة مما يخالف به أهل الحق.

والمراد: يا أبا نجيد حسبك ما صدر منك من الغضب، والإنكار على بشير؛ فإنه منا، لا بأس به، ما سكت، ولا تزدد غضباً.

فقه الحديث:

١ ـ من واجب الصاحب تهدئة الغضب والثائر خشية خروجه عن المشروع.

٢ ـ تكرير الزجر على المعترض على السنة المصر على ذلك.

٣ ـ سلوك طريق الأدب في مخاطبة الآخرين ومناداتهم، ومن ذلك المخاطبة بالكنية دون الاسم المجرد.



(. . .) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ[1]، حَدَّثَنَا أَبُو نَعَامَةَ العدوِي[2]، قَالَ: سَمِعْتُ حُجَيْر بْنُ الرَّبِيعِ العدوِي يَقُولُ: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ النَبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ حَمّادِ بْنِ زَيْدٍ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ هذا الحديث من أفراد مسلم.

٢ ـ رواية النضر أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» (١٢٨/١): حدثنا أبو أحمد الغطريفي، ثنا عبدالله بن شيرويه، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا النضر بن شميل، قالا: ثنا أبو نعامة العدوي، سمعت حجير بن الربيع العدوي أبا السَّوّار العدوي يحدّث عن عمران بن حصين، سمعت النبي ﷺ يقول: «**الحياء خير لله**».



(١) هو النضر بن شميل.

(٢) هو عمرو بن عيسى بن سويد.

١٣ ـ باب جامع أوصاف الإسلام

٦٢ ـ (٣٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالا: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعاً عَنْ جَرِيرٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِاللهِ الثَّقَفِيِّ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَولاً، لاَ أَسأَلُ عَنْهُ أَحَداً بعْدَكَ ـ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: غَيْرَكَ ـ قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**».

❋ راوي الحديث:

سفيان بن عبدالله بن ربيعة بن الحارث الثقفي ـ ﵁ ـ، له صحبة، وكان عامل عمر بن الخطاب على الطائف.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أن مسلماً لم يروِ لسفيان بن عبدالله الثقفي ـ ﵁ ـ غير هذا الحديث في «صحيحه».

٢ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء.

٣ ـ أنه من خماسيات الإمام مسلم.

٤ ـ حديث سفيان بن عبدالله ـ ﵁ ـ من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**قل لي في الإسلام...**)؛ أي: علِّمني قولاً جامعاً لمعاني الإسلام، واضحاً في نفسه؛ بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك أعمل به وأكتفي به.

قوله: **(قل آمنت بالله، ثم استقم)**؛ أمره بالإيمان بالله، بوجوده، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وقضائه، وقدره، وأحكامه، وبالالتزام بها إلى الممات، وهذا معنى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾ الآية [فصلت: ٣٠]. وهذا من جوامع كلمه ﷺ.

فقه الحديث:

١ ـ الاهتمام بمعالي الأمور، وترك سفاسف المسائل التي لا تنفع صاحبها أو سائلها.

٢ ـ الانتفاع من العالم حال وجوده، وعند ملاقاته بالسؤال والاستفادة.

٣ ـ حسن السؤال نصف العلم.

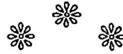
٤ ـ بيان جوامع الكلم التي أُعطيها رسول الله ﷺ.

٥ ـ الأمر بالإيمان بالله ولزوم الاستقامة.

٦ ـ الحث على الاستقامة وبيان عظمها؛ وأنها من أسباب النجاة.

٧ ـ فضل حفظ اللسان عما لا ينفع والحث عليه.

٨ ـ حفظ اللسان من شعب الإيمان وكذلك الاستقامة.



١٤ ـ باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل

٦٣ ـ (٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**».

* راوي الحديث:

عبدالله بن عمرو بن العاص: قرشي سهمي، هاجر هو وأبوه قبل الفتح، وكان قد أسلم قبل أبيه.

كان ـ رضي الله عنه ـ مجتهداً في العلم والعبادة، وهو أكثر الصحابة حملاً عن رسول الله ﷺ؛ ولكن أبا هريرة أكثر رواية منه؛ لأن أبا هريرة تصدى للرواية، وعبد الله غلبت عليه العبادة، توفي ليالي الحرة آخر ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات الإمام مسلم.

٢ ـ أن رواته كلهم مصريون، من محمد بن رمح إلى الصحابي.

٣ ـ مسلسل بالفقهاء.

٤ ـ حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (١٢).

* غريب الحديث:

قوله: **(أن رجلاً)** قيل: هو أبو ذر، وقيل: هانىء بن يزيد والد شريح سأل عن معنى ذلك، فأجيب بنحو ذلك.

قوله: **(أي الإسلام خير)**؛ أي: أعلمني عن خصال الإسلام الفاضلة.

قوله: **(تطعم الطعام)**؛ أي: أن تطعم الطعام من ضيافة وإغاثة ملهوف وغيرهما.

قوله: **(وتقرأ السلام على مَن عرفت ومَن لم تعرف)**: وأن تقرأ السلام على كل من تلقاه.

وإنما خصّ هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد، ومصلحة التأليف.

فقه الحديث:

١ ـ بيان محاسن هذا الإسلام من خلال الأخلاق الكريمة التي يدعو لها.

٢ ـ تفاضل الإسلام في خصاله.

٣ ـ الترغيب في إطعام الطعام، والجود.

٤ ـ الترغيب في طرح السلام على كل الناس من المسلمين.

٥ ـ الدعوة لما فيه أُلفة القلوب، وزيادة المحبة بين المسلمين.

٦ ـ بيان فضيلة نفع الآخرين.

٧ ـ حث على الإخلاص في العمل.

٨ ـ إطعام الطعام وإفشاء السلام من شُعَبِ الإيمان.

٩ ـ قوله: (على مَن عرفت ومَن لم تعرف) هذا الإطلاق مقيّد بنصوص أخرى، فمثلاً اليهود والنصارى لا نبدأهم بالسلام ولو عرفناهم؛ لقوله ﷺ في صحيح مسلم (٢١٦٧): **«لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام»**.

وكذلك المجاهر بالمعاصي لا نسلّم عليه إذا كان في هجره خير وتأديب له.

١٠ ـ خصّ الرسول ﷺ هاتين الخصلتين في هذا الحديث؛ لأن المكارم نوعان: مالية، وإليها أشار بقوله: «**تطعم الطعام**» وبدنية، وإليها أشار بقوله: «**وتقرأ السلام**».

١١ ـ إذا كانت التحية للمعرفة، فهذا من أشراط الساعة، ففي حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عند الإمام أحمد (٣٨٧/١ و٤٠٥ ـ ٤٠٦) بإسناد حسن لغيره عن النبي ﷺ: «**إن من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة**».

وفي رواية عند أحمد (٤٠٧/١ ـ ٤٠٨) بإسناد صحيح: «**إن بين يدَيْ الساعة تسليم الخاصة**».



٦٤ ـ (٤٠) وحَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ: أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِالله بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ الْمِصْرِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَالله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعاصِ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (**٣٩/٦٣**).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أن رواته كلهم مصريون أعلام.

٢ ـ هذا الحديث من أفراد مسلم دون البخاري.

٭ غريب الحديث:

قوله: **(أي المسلمين خير)**؛ أي: المسلمين أحق باسم الخيرية، والأفضلية.

قوله: **(من سلم المسلمون من لسانه ويده)**؛ أي: من كفّ الأذى عن المسلمين الواقع باللسان ـ سواء كان قولياً، أو فعلياً بالإشارة به ـ، وكذلك الواقع باليد حسياً، ومعنوياً؛ فهو من خيار المسلمين.

وليس المقصود نفي الأذى بهاتين الجارحتين ـ فقط ـ وما سواهما جائز؛ بل؛ لأن معظم أذى الخلق يكون بهما.

فقه الحديث:

١ ـ أن المسلمين ليسوا في المكانة عند الله سواء، بل هم متفاوتون على قدر ما فيهم من إيمان وإحسان.

٢ ـ أن هذه الكلمات من الرسول ﷺ فيها جملاً عظيمة من الحكم والأحكام، وهي من جوامع كلمه ـ عليه السلام ـ.

٣ ـ الحث على كف الأذى عن المسلمين.

٤ ـ أن الأذى يكون بقول أو فعل، بمباشرة أو سبب.

٥ ـ ذم من يؤذي المسلمين.

٦ ـ بيان خطورة اللسان واليد.

٧ ـ قال بعض أهل العلم: قدم ذكر اللسان على اليد؛ لأنه يطول أبعد الناس، وأقربهم في آن واحد، والميت والحي كذلك.

٨ ـ الرد على مذهب المرجئة الخبيث القائل: لا يضر مع الإيمان ذنب.

٩ ـ كف الأذى عن المسلمين من شعب الإيمان.



٦٥ ـ (٤١) حَدَّثَنَا حَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، جَمِيعاً عَنْ أَبِي عَاصِمٍ، قَالَ عَبْدٌ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِراً يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٥/١٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ من أفراد مسلم دون البخاري.

٣ ـ فيه تصريح أبي الزبير بالسماع من جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**)؛ أي: المسلم الكامل في إسلامه، وهو المتقي الفاضل، الذي تمكن خوف عقاب الله من قلبه ورجاء ثوابه، الوَرِع الذي حفظ جوارحه.

❖ فقه الحديث:

١ ـ دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، فالذي يكمل: ينقص، والذي يزيد: يقل.

٢ ـ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، لا قولاً فحسب؛ كما يزعم المبتدعة.



٦٦ ـ (٤٢) وحدّثني سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْن سَعِيدٍ الأَمَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِالله بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْن أَبِي مُوسى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسى، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَيُّ الإِسلامِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

❋ راوي الحديث:

هو عبدالله بن قيس الأشعري، من خيار الصحابة، هاجر إلى الحبشة، ثم قدم المدينة النبوية عام خيبر، عمل على زبيد وعدن، ووليَ البصرة والكوفة لعمر، وفتح الله على يديه تستر وعدة أمصار، توفي سنة (٤٢هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن رواته كلهم كوفيون.

٣ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء.

٤ ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (١١).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أي الإسلام أفضل**)؛ أي: ذوي الإسلام، كما يدل عليه الجواب، وفي رواية: «أي المسلمين أفضل».

⮰ فقه الحديث:

١ ـ حيازة أعمال الخير هي مرقاة الفضل، وسبب كمال العبد عند ربه.



(. . .) وَحَدَّثَنِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بِهذَا الإِسْنَادِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية أبي أسامة عن بريد بن عبدالله أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» (١٢٨/١٣١/١)، وأدخل عليها رواية يحيى بن سعيد.

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، ثنا محمد بن يحيى بن منده، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا أبو أسامة، ثنا يزيد بن عبدالله.

وحدثنا أبو عمرو ومحمد بن أحمد بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا سعيد بن يحيى الأموي، ثنا أبي قالا: حدثنا أبو بردة بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: سئل النبي ﷺ: أي المسلمين أفضل؟ قال: «**مَن سلم المسلمون من لسانه ويده**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**بهذا الإسناد**): إشارة إلى إسناد أبي بردة بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (**سئل رسول الله**)؛ السائل هو: أبو موسى الأشعري.

قوله: (**فذكر مثله**): الضمير يعود على إبراهيم بن سعيد؛ أي: ذكر إبراهيم الحديث، وساقه مثل حديث سعيد بن يحيى.



١٥ ـ باب بيان خصال مَن اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان

٦٧ ـ (٤٣) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعاً عَنِ الثَّقَفِيِّ[(١)]. قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ[(٢)]: حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَهَّابِ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ؛ مَنْ كَانَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ للّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري (١٦).

٢ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ أن رواته كلهم بصريون غير شيخيه، فالأول: مروزي، والثاني: عدني نزل مكة.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: أيوب عن أبي قلابة.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان)**؛ أي: ثلاث

---

(١) هو عبدالوهاب بن عبدالمجيد بن الصلت الثقفي، أبو محمد.

(٢) هو محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، نزيل مكة، لازم سفيان بن عيينة.

خصال، من وُجِدْنَ عنده خَصَلْنَ فيه أحسّ؛ شعر بحلاوة الإيمان؛ وهي: لذته وطعمه.

قوله: **(من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما)**: أما محبة الله - تعالى - فتكون بالاستجابة لأوامره، واجتناب نواهيه، وأن لا يقدم محبة أحد من الخلق على محبته، وأن يعلق قلبه بربه محبةً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً.

وأما محبة رسوله ﷺ فلا تكون إلا بتوحيد الاقتداء به، في كل الأمور الدينية والدنيوية، ظاهراً وباطناً، في قليل الأمر وكثيره، عظيمه وحقيره.

وأن تكون محبته في نفوس المؤمنين فوق محبة الوالد والولد وجميع الناس.

قوله: **(وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)**: أن تكون محبة الناس ليست لدنيا، ولكن لله - تعالى - فقط، يحبه في الله لما فيه من خصال الخير والبركة والعلم والتقوى، وذلك لمحبة الله له.

قوله: **(وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يقذف في النار)**: القذف: هو الرمي، يُقذف؛ أي: يُرمى. والمعنى: أن قبح وشناعة ما كان عليه في كفره، مع ما استقر في قلبه من محبة الله، ورسوله، وأهل الإيمان؛ أوجد في نفسه كراهية عظيمة للرجوع إلى الكفر بعد هذا الفضل والخير العظيم العميم، وصار هذا الرجوع في ذهنه، ونفسه مشابهاً لمن يرمى في النار التي هي علامة للشقاء الدائم السرمدي الذي ليس بعده شقاء.

قال بعض العلماء: جعلت هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمّل أن المنعم بالذات هو الله - تعالى -، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب مَن يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد

وأوعد حق يقيناً، ويخيّل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العَوْد إلى الكفر إلقاء في النار.

فقه الحديث:

١ ـ هذا حديث من أصول الدين؛ لأن فيه محبة الله ورسوله، وهي أصل الإسلام.

٢ ـ أن للإيمان حلاوة ولذة وطعم يدركه أهله وخاصته، ويجدونها في حياتهم حقيقة.

٣ ـ أن الحصول على لذة وطعم، وحلاوة الإيمان يحتاج إلى نية وعلم وعمل.

٤ ـ أن لحلاوة الإيمان علامات تتحقق بها، وتحصل عندها.

٥ ـ أن محبة الله لا بد أن تكون فوق كل موجود في هذا الوجود.

٦ ـ أن محبة الرسول ﷺ لا بد أن تكون مقدمة على محبة جميع الخلق.

٧ ـ أن محبة العباد وكرههم لا بد أن تكون على وفق ما أراد الشارع، لا على الأهواء.

٨ ـ من علامات صدق التوبة، وقبولها: أن يكره العبد ما كان يفعله، ويعتقده من الكفر والمعاصي.

٩ ـ أن الإيمان والكفران لا يجتمعان في قلب الموحد المحب لله.

١٠ ـ أن الكفر سبب للقذف في النار.

١١ ـ جواز إضافة المحبة لله ـ تعالى ـ، وإطلاقها عليه.

١٢ ـ التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

١٣ ـ أن الخصال المذكورات في الحديث من شعب الإيمان.

١٤ ـ لا تعارض بين قوله ﷺ: «**مما سواهما**» ونهيه الخطيب القائل: «ومَن يعصهما».

وقد أجاب العلماء بأجوبة أكثرها فيه تكلُّف وتحكُّم، ومن أحسنها: أن تثنية الضمير هنا للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها لا نية، إذ لم ترتبط بالأخرى، فمَن يدّعي حب الله ـ تعالى ـ مثلاً، ولا يحب الرسول ﷺ لا ينفعه ذلك، وهذا دليله قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].



٦٨ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ؛ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْنُ جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَة قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الإِيمَان؛ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلا للّهِ، وَمَنْ كَانَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنْه**».

* غريب الحديث:

قوله: **(طعم الإيمان)**؛ بمعنى: «حلاوة الإيمان» أو مقدمتها وبدايتها؛ وهو ما يؤديه ذوق الشيء من حلاوة ومرارة، وله حاصل ومنفعة.



(...) حَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَنبأَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، أَنْبَأَنَا حَمَّادٌ، عَن ثَابِت، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**مِنْ أَنْ يَرْجِعَ يَهُودِياً أَوْ نَصْرَانِياً**».

* غريب الحديث:

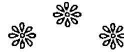
قوله: (**غير أنه قال**...)؛ أي: إسحاق قال: «من أن يرجع يهودياً أو نصرانياً» بدل قول الآخرين: «من أن يرجع في الكفر».

فقه الحديث:

١ ـ قبح ما عليه اليهود والنصارى من العقائد، والعوائد، والبدع، والعبادات، إلى درجة أن يقدم دخول النار على أن يكون منهم أو يرجع إليهم.

٢ ـ أن اليهودي والنصراني الذي لم يؤمن بمحمد ﷺ من أهل النار؛ لأن محمداً رسول الله للعالمين، وهو خاتم النبيين، ودينه ناسخ للأديان السابقة، ومهيمن عليها.

٣ ـ وهذا الحديث من الأدلة الكثيرة على بطلان الدعوة إلى وحدة الأديان.



١٦ ـ باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة

٦٩ ـ (٤٤) وحَدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ، كِلاَهُمَا عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ** ـ وَفِي حَدِيثِ عَبْدِالْوَارِثِ: **الرَّجُلُ ـ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أنس هذا متفق عليه؛ أخرجه البخاري (١٥).

٢ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ أن رواته كلهم بصريون غير شيخه زهير؛ فإنه نسائي.

٤ ـ قوله في السند الأول: حدثني زهير، وفي الثاني: حدثنا شيبان؛ إشارة إلى أنه سمعه من شيخه زهير وحده، ومن شيخه شيبان مع غيره: كما قال السيوطي في «الألفية»:

واستحسنوا لمفرد حدثني ... وقارىء بنفسه أخبرني
وإن يحدث جملة حدثنا ... وإن سمعت قارئاً أخبرنا

٥ ـ إسماعيل ابن علية منسوب إلى أمه، ولذا تُكتب همزة الوصل في (ابن) لعدم توفر شروط حذفها.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(لا يؤمن عبد)**: النفي في سياق النفي تعم، فالعبد هنا ومثله الرجل يراد به: كل العبيد، وكل الرجال.

والمعنى: أن جميع المكلفين من ذكر وأنثى، وإنس وجنٍّ لا يبلغ كمال الإيمان الواجب؛ حتى يحقق شرط هذا الحديث.

قوله: **(حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)**: الأهل يعم؛ فيراد الزوجة والوالدين والأبناء، والمال يراد به النقد، والذهب، والفضة، والدواب، والعقار، وكل ما يملكه الإنسان، وإطلاق الناس هو من باب العام بعد الخاص.

والمعنى: أن المكلف لن يبلغ كمال الإيمان الواجب؛ حتى تبلغ محبة النبي الكريم ﷺ في قلبه أعلى مقام في أعمق مكان من كل إنس وجان، ومن كل الأثمان.

ولا يكون ذلك إلا بالعلم بمكانة الرسول ﷺ وعظمته، والعلم الشرعي.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ وجوب تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة سائر الخلق، حتى على نفس العبد.

٢ ـ أن الإيمان يزيد وينقص: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. ومن علامات كماله حب رسول الله ﷺ، ولذلك؛ فإن النفي في الحديث نفي كمال، لا نفي صحة.

٣ ـ أن ذكر الرجل في النصوص الشرعية لا يفهم منه الحصر، بل النساء شقائق الرجال في كل حكم شرعي؛ حتى يرد دليل يفرق بينهما.

٤ ـ بيان عظم مكانة الرسول ﷺ، وتعظيم قدره ﷺ.

٥ ـ أن العبرة في النصوص الشرعية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذلك أن الخطاب للصحابة حالاً، وللأمة جميعها حكماً ومآلاً.

٧ ـ أن النفس البشرية مجبولة على محبة الأهل والمال والآخرين والأنس بهم.

٨ ـ أن المحبة الممدوحة هي المحبة الشرعية التي تفوق العادات والهوى.

٩ ـ الحث على التواضع والتفكر.

١٠ ـ السعي وراء أسباب المحبة بين الناس.

١١ ـ البُعد عن الأثرة وحب النفس.

١٢ ـ الزجر عن الحقد والغش والحسد ونحوها من الصفات الذميمة التي تورث التباغض والتدابر بين الناس.

١٣ ـ محبة النبي ﷺ من أصول الإيمان وهي مقارنة لمحبة الله ـ تعالى ـ حيث قرنهما الله في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

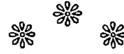


٧٠ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

* **غريب الحديث:**

قوله: **(من ولده ووالده)**: هذا الحديث على إيجازه يتضمن ذكر أصناف المحبة، فإنها ثلاثة: محبة إجلال وإعظام؛ كمحبة الوالد والعلماء والفضلاء، ومحبة رحمة وإشفاق؛ كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان، كمحبة غير من ذكرنا، وأن محبة رسول الله ﷺ لا بُدَّ أن تكون راجحة على ذلك كله.

وتقدمت فوائده الفقهية.



١٧ ـ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير

٧١ ـ (٤٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ** ـ أَوْ قَالَ: **لِجَارِهِ ـ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ في رواية النسائي: «قال: سمعت أنساً» فقد صرّح قتادة بالسماع.

٢ ـ هذا حديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري (١٣).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ما يحب لنفسه**)؛ أي: من الخير، وذلك أن المسلم الكامل الإيمان هو الذي ينصح إخوانه لكل ما فيه سعادتهم من إرشادٍ للعلم، والرزق، والراحة، والكرامة، وخصال الخير، وبغض وكره كل ما يكرهه من الذل، والجهل، والفقر، والشرك، والخصال القبيحة.

وقد ثبت ذكر زيادة «**من الخير**» عند النسائي وأحمد وأبي عوانة وأبي يعلى وابن حبان[١].

---

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة» (٧٣).

⮱ فقه الحديث:

١ ـ وجوب محبة الخير للمسلمين؛ لأن النبي نفى الإيمان عمّن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

٢ ـ وجوب الإحسان للجار.

٣ ـ بيان عظم حق الجار.

٤ ـ أن من لم يحب الخير للمسلمين، ولا يحسن لجاره: ناقص الإيمان.

٥ ـ الحث على التواضع.

٦ ـ أن السعي لتحقيق وحدة المسلمين والمساواة بينهم من الإيمان.

٧ ـ النهي عن الحقد، والحسد، والعداوة، والتنافس على الدنيا بين المسلمين مقصد شرعي.

٨ ـ أن كل فرد من المسلمين له وعليه حقوق تجاه إخوانه المسلمين؛ حسية كانت أو معنوية.

٩ ـ أن الإيمان شعب ومراتب، ومن شعبه الإحسان للجار.

١٠ ـ وجوب كره وقوع السوء بالمسلمين؛ كما يكره المرء لنفسه.

١١ ـ وجوب التحلي بالأخلاق الحميدة المليحة.

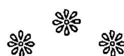


٧٢ ـ (...) وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ** ـ أَوْ قَالَ: **لأَخِيهِ** ـ **مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

⮱ فقه الحديث:

١ ـ جواز الحلف من غير استحلاف.

٢ ـ مشروعية تأكيد الخبر أو الحكم بالقسم.



١٨ ـ باب بيان تحريم إيذاء الجار

٧٣ ـ (٤٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جميعاً عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلاءُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

✹ غريب الحديث:

قوله: **(من لا يأمن جاره بوائقه)**: البائقة: مفرد، جمعها: بوائق وهي: الداهية التي تهلك صاحبها.

والمعنى: أنه لا يكمل إيمان عبد مسلم؛ حتى يأمن جارُه شرّه، ويسلم منه، ومن مضرته.

وأما عدم دخوله الجنة يكون بحسب إيمان هذا المؤذي، فإن كان مستحلاً لأذية جاره؛ فهو كافر تحرم عليه الجنة.

وإن كان مؤمناً؛ فهو لا يدخل الجنة؛ حتى يطهر من ذنبه، أو يعفو الله عنه.

◄ فقه الحديث:

١ ـ أن المستحل المحرم المعلوم من الدين ضرورة؛ كافر لا يدخل الجنة.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «في معنى «لا يدخل الجنة» جوابان يجريان في كل ما أشبه هنا:

أحدهما: أنه محمول على مَن يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه، فهذا كافر لا يدخلها أصلاً.

والثاني: معناه: جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم، بل يؤخر، ثم قد يجازى، وقد يعفى عنه فيدخلها.

وإنما تأوّلنا هذين التأويلين؛ لأنّا قدّمنا أن مذهب أهل الحق أن مَن مات على التوحيد مصرًّا على الكبائر؛ فهو إلى الله ـ تعالى ـ: إن شاء عفا عنه؛ فأدخله الجنة أولاً، وإن شاء عاقبه، ثم أدخله الجنة».

٢ ـ أن مرتكب الكبيرة الذي لم يتب منها لا يدخل الجنة؛ حتى يطهر من ذنبه بتعذيبه في النار، أو بنوع آخر من العقوبة، أو يعفو الله عنه؛ فهو تحت المشيئة.

٣ ـ أن أذية الجار من الكبائر.

٤ ـ تعظيم حق الجار في الإسلام.

٥ ـ أن الجار حرام أذيته سواء كان مسلماً أو كافراً.

٦ ـ أن المعاصي بريد الكفر.

٧ ـ مَن يكرم جاره، ويقوم بمصالحه، مع مراعاة الحقوق الواجبة من المؤمنين الكمَّل.



١٩ ـ باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان

٧٤ ـ (٤٧) حدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَنْبَأَنا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرَ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٦٠١).

✵ غريب الحديث:

قوله: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليصمت**): اليوم الآخر: البعث وما بعده.

والصمت: السكت، يقال: اصمت؛ بمعنى اسكت.

والمعنى العام: أن كل من وُصِفَ بالإيمان ـ الصحيح والصحيح الكامل ـ وجب عليه أن يحفظ لسانه من الكلام المحرّم، والذي لا فائدة فيه. وأن لا يتكلم إلا بما فيه مصلحة وأجر.

قوله: **(ومن كان... فليكرم جاره، ومن كان... فليكرم ضيفه)**:
الجار يطلق، ويراد به: الداخل في الجوار، ويطلق، ويراد به: المجاور في الدار؛ وهو الأغلب.

واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب داراً والأبعد.

والمعنى كما تقدم: أن كل من وُصف بالإيمان وجب عليه إكرام كلٍّ من الجار والضيف.

فقه الحديث:

١ ـ الحث على حفظ اللسان عما لا فائدة منه، ولزوم الصمت إلا عن الخير.

٢ ـ الحث على إكرام الجار والضيف.

٣ ـ بيان عظم حق الجار والضيف.

٤ ـ دليل صريح فصيح صحيح على أن الأعمال الصالحة الظاهرة من الإيمان؛ وأنها تزيده، وبتركها تُنقصه.

٥ ـ بيان بعض شعب الإيمان.

٦ ـ هذا الحديث من جوامع الكلم، فالكلام إما خير وإما شر، فيدخل في الخير كل مأمور به من الأقوال وجوباً أو استحباباً، ويدخل في الشر كل ما نهي عنه تحريماً أو كراهة.

٧ ـ السكوت في وقته صفة الرجال، والنطق في موضعه من أشرف الخصال.



٧٥ ـ (. . .) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَن أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أن رواته كلهم كوفيون، غير الصحابي؛ فمدني.

٢ ـ مسلسل بذوي الكنى، وهذا من غرائب الأسانيد.

٣ ـ أبو حَصين مكبر ليس له مشارك في كنيته في «الصحيحين».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**فلا يؤذي جاره**)؛ قال النووي: كذا وقع في الأصول: «يؤذي» بالياء، وفي غير مسلم: «فلا يؤذِ» بحذفها، وهما صحيحان، فحذفها للنهي، وأثبتها على أنها خبر يراد به النهي، فيكون أبلغ.

وعليه؛ فإن (لا) في رواية مسلم نافية، وفي رواية غيره ناهية.

ولذلك فرواية مسلم أبلغ في المعنى؛ لأن إعلام الشيء في أصله أبلغ من إعلام حكمه مع وجوده.



٧٦ ـ (. . .) وحَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عِيسى بْنُ يُونُسَ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي حَصِينٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ دقة مسلم في بيان ألفاظ الشيوخ.

٢ ـ مهارته في سوقها مع الاختصار.

٣ ـ حديث الأعمش ساقه أبو نعيم في «المسند المستخرج» (١٧٢/١٣٥/٢): حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريفي، ثنا عبدالله بن محمد بن شيرويه، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ عيسى بن يونس. (ح) وحدثنا سليمان بن أحمد، ثنا حمد بن إسحاق بن راهويه، ثنا أبي، ثنا عيسى بن يونس. (ح) وحدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا قاسم بن زكريا، ثنا يوسف القطان، ثنا جرير، قالا: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليُكرم ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**».

وقال عيسى بن يونس: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُحسن إلى جاره**».



٧٧ ـ (٤٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، ومُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله بْنِ نُمَيْر، جَمِيعاً عَن ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو؛ أَنَّهُ سَمِعَ نَافِعَ بْن جُبَيْرٍ يُخْبِرُ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ؛ أَنَّ النَبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَاره، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ**».

❋ راوي الحديث:

هو: أبو شريح الخزاعي؛ عمر بن خويلد الكعبي الخزاعي العدوي، أسلم قبل فتح مكة، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، توفي سنة (٦٨هـ) بالمدينة النبوية.

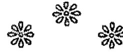
➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات المصنّف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ صحابيه ممن اشتهر بكنيته، وهو من المقلِّين في الرواية.

٣ ـ حديث أبي شريح ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٨/١٣).

وأما شرحه وفقهه فقد تقدم.



٢٠ ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان

٧٨ ـ (٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيانَ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جعْفر، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كِلاهُمَا عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِم، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهابٍ ـ وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ ـ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ، يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاةِ مَرْوَانُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنالِكَ.

فَقالَ أَبُو سَعِيد: أَمَّا هذَا فَقَدْ قَضى مَا عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**».

✸ راوي الحديث:

أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ تقدمت ترجمته في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ قوله: «وهذا حديث أبي بكر» إشارة إلى أن شيخيه لم يتفقا على لفظ الحديث، وإنما اتفقا على المعنى، والذي ساقه هنا لفظ شيخه أبي بكر ابن أبي شيبة، وأما شيخه محمد بن المثنى فرواه بمعناه.

٣ ـ طارق بن شهاب ـ رضي الله عنه ـ رأى النبي ﷺ، وروى عنه مرسلاً؛ فروايته مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح.

٤ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✸ غريب الحديث:

قوله: (**أول من بدأ. . . مروان**)، هو: مروان بن الحكم، وهو أمير

على المدينة النبوية من قبل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -، ولا تثبت له صحبة.

قوله: **(فقام إليه رجل)**: لم يعرف اسم هذا الرجل[1].

قوله: **(الصلاة قبل الخطبة)**؛ أي: إن الصلاة قبل الخطبة هي سنّة الرسول، والخلفاء الراشدين المهديين الذين حق على من بعدهم أن يقتدوا بهم.

قوله: **(قد ترك ما هنالك)**، والمعنى: أن تقديم الصلاة على الخطبة أمر قد تُرِك العمل به، ونحن مع ترك ذلك.

قوله: **(فقال أبو سعيد)**، هو: الخدري صاحب رسول الله ﷺ.

قوله: **(أما هذا فقد قضى ما عليه)**؛ وذلك الذي عليه هو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر الذي رآه من فعل مروان، وتقدم ذكره.

قوله: **(من رأى منكراً؛ فليغيره بيده)** من تحقق من وقوع منكرٍ بطريقة تفيد اليقين؛ ومنها الرؤية البصرية، وجب عليه أن يغيره بيده إنْ كان عالماً بالحكم الشرعي قادراً على تغييره بيده بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

قوله: **(فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع؛ فبقلبه)**؛ أي: من لم يقدر على إزالة المنكر بيده، وجب عليه أن يزيله بلسانه؛ وذلك بالبيان للحكم الشرعي، وإبلاغ ولاة الأمور بالمنكر ليُزال.

وإن لم يستطع على ذلك؛ بأن يترتب على ذلك مفسدة أكبر من المصلحة المرجو زوالها؛ وجب عليه بغض ذلك بقلبه، وإنكار من نفسه لهذا الفعل.

قوله: **(وذلك أضعف الإيمان)**؛ أي: من عجز عن إزالة المنكر باليد، واللسان؛ فلا يعجز عن إنكاره بقلبه بكرهه، وبغضه، وعدم رضاه عن الفعل والفاعل له.

وهذا أقل ثمرة وأثراً.

---

(١) «تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم» (ص٥٧).

فقه الحديث:

١ ـ أن السنة يوم العيد البدء بالصلاة قبل الخطبة.

٢ ـ أن تقديم الخطبة على الصلاة أمر محدث مخالف لما كان عليه الرسول والخلفاء من بعده.

٣ ـ أن مروان بن الحكم هو أول من قام بتغيير هذه السنة النبوية.

٤ ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل من علم وقدر.

٥ ـ أن إزالة المنكر يكون بحسب استطاعة المكلف وبالتدرج به.

٦ ـ لا يعذر أحد على تركه الإنكار بالكلية؛ فإن أقله بالقلب.

٧ ـ جواز إنكار المنكر من الطالب مع وجود العالم في المجلس، ولا يُعدُّ من سوء الأدب.

٨ ـ الاحتجاج بالسنة على المخالف لها الخارج عنها.

٩ ـ جواز ثناء العالم على الطالب الشجاع، والحريص على السنة أمامه.

١٠ ـ قال العلماء:

«لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، متمثلاً لما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه؛ فإنه يجب على المسلم شيئان:

١ ـ أن يأمر نفسه وينهاها؛ أي: يمتثل حكم الشرع.

٢ ـ وأن يأمر غيره وينهاه، فإذا أخلّ بأحدهما؛ فإنه لا يباح له الإخلال بالآخر، وأما قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ فهو توبيخ على نسيان النفس، لا على الأمر بالبر، وقوله

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الصف: ٢ و٣]؛ فهو في قوم قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فالتوبيخ مداره في الحقيقة عدم فعلهم، لا قولهم، فالمعنى: لمَ لا تفعلون؟ وليس في الآيتين ما يمنع الأمر بالمعروف للمخل به.

ولا يتعارض وجوب الأمر بالمعروف مع قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ إذ الاهتداء لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن تركه مع القدرة عليه ضلال، فالمعنى: إذا استقمتم في أنفسكم وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا يضركم ضلال مَن يضل، فهو قريب من قوله تعالى: «﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [فاطر: ١٨]».

١١ ـ أن الإيمان يقوى، ويضعف في قلوب الناس.

١٢ ـ أن الإمام أو نائبه هو الذي يخطب بالناس ويؤمهم.

١٣ ـ الواجب على الحاكم، ومَن يرأس الناس أن يكون فقيهاً.

١٤ ـ بيان أن الإيمان يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فهو اعتقاد، وقول، وعمل.

١٥ ـ الحديث صريح في أن الإيمان يزيد وينقص؛ فالمنكر بقلبه أضعف من المنكر بلسانه ويده.

١٦ ـ مَن خاف على نفسه القتل أو السجن أو الضرب سقط عنه تغيير المنكر، ويكون قد أدى ما عليه.

١٧ ـ عدم التعنيف في إنكار المنكر؛ لأن إنكار المنكر من المعروف؛ فينبغي أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولذلك لم يعنِّف الرجل في الرد على مروان؛ بل قال له: «**الصلاة قبل الخطبة**».

- **تكميل لكل نبيل:**

١ ـ لخّص الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» **(٢/٢١ ـ ٢٦)** كلام العلماء حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبيِّناً حكمه، وضوابطه، وقواعده، وما يخل به، فقال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«وأما قوله ﷺ: «**فليغيره**» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تَطَابق على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الكتاب، والسنّة، وإجماع الأمة، وهو ـ أيضاً ـ من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يُعتَدّ بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي ـ إمام الحرمين ـ: لا يُكتَرث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء.

ووجوبه بالشرع، لا بالعقل، خلافاً للمعتزلة، وأما قول الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية [المائدة: ١٠٥]، فليس مخالفاً لما ذكرناه؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: إنكم إذا فعلتم ما كُلِّفتم به، فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، وإذا كان كذلك، فمما كُلِّف به الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا فعله، ولم يمتثل المخاطَب، فلا عَتْبَ بعد ذلك على الفاعل؛ لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي، لا القبول، والله أعلم.

ثم إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس، سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل مَن تمكن منه، بلا عذر، ولا خوف.

ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يَعْلَم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمَن يَرَى زوجته، أو ولده، أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف.

قال العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ: ولا يسقط عن المكلّف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله؛ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقد قدّمنا أن الذي عليه

الأمر والنهي، لا القبول، وكما قال الله ـ عَجَلَّ ـ: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [العنكبوت: ١٨]، ومَثَّل العلماء هذا بمَن يرى إنساناً في الحمّام، أو غيره، مكشوف بعض العورة، ونحو ذلك، والله أعلم.

قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كاملَ الحال، ممتثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر، وإن كان مُخِلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخلّ بأحدهما، كيف يباح له الإخلال بالآخر؟

قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين، قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول، والعصر الذي يليه، كانوا يأمرون الولاة بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، مع تقدير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من غير ولاية، والله أعلم.

ثم إنه إنما يأمر وينهى، مَن كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرمات المشهورة، كالصلاة، والصيام، والزنا، والخمر، ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال، والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء إنما ينكرون ما أُجمع عليه، أما المختلف فيه، فلا إنكار فيه؛ لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين، أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد، والمخطىء غير متعين لنا، والإثم مرفوع عنه[1]، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف، فهو حسن محبوب، مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون

(١) الصواب في هذه المسألة هو أن المصيب واحد، ولكن كلاهما مأجور، وقد بيَّنت ذلك بتفصيل حسن في «بغية المرتاد في مقاصد حديث الاجتهاد».

على الحث على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنّة، أو وقوع في خلاف آخر.

وذكر أقضى القضاة، أبو الحسن الماورديّ البصري الشافعيّ في كتابه «الأحكام السلطانية» خلافاً بين العلماء في أن مَن قلّده السلطان الْحِسْبة، هل له أن يَحمِل الناس على مذهبه، فيما اختَلَف فيه الفقهاء، إذا كان المحتسِب من أهل الاجتهاد، أم لا يغيّر ما كان على مذهب غيره؟ والأصح أنه لا يغير لما ذكرناه، ولم يزل الخلاف في الفروع، بين الصحابة والتابعين، فمَن بعدهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، ولا ينكر محتسِب، ولا غيره على غيره، وكذلك قالوا: ليس للمفتي، ولا للقاضي أن يعترض على مَن خالفه، إذا لم يخالف نصًّا، أو إجماعاً، أو قياساً جليًّا، والله أعلم.

(واعلم): أن هذا الباب ـ أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ قد ضُيِّع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبقَ منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم، به قوام الأمر ومِلاكه، وإذا كثر الخبث عَمّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم، أوشك أن يعمَّهم الله ـ تعالى ـ بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا الله ـ عز وجل ـ، أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويُخلِص نيته، ولا يهابَنّ مَن ينكر عليه؛ لارتفاع مرتبته، فإن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]؛ وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

(واعلم): أن الأجر على قدر النَّصَب، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودّته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته، توجب له حرمةً وحقاً، ومن حقه أن ينصحه، ويَهديه إلى مصالح

آخرته، وينقذه من مضارِّها، وصديق الإنسان ومحبُّه هو مَن سعى في عمارة آخرته، وإن أدّى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدُوُّه مَن يسعى في ذهابِ، أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين؛ لسعيهم في مصالح آخرتهم، وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا، وأحبابنا، وسائر المسلمين لمرضاته، وأن يعمَّنا بجوده ورحمته، والله أعلم.

وينبغي للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يَرفُقَ؛ ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعيّ ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن وعظ أخاه سرًّا؛ فقد نصحه وزانه، ومَن وعظه علانية؛ فقد فضحه وشانه.

ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب: ما إذا رأى إنساناً يبيع متاعاً معيباً، أو نحوه، فإنهم لا ينكرون ذلك، ولا يُعَرِّفون المشتري بعيبه، وهذا خطأ ظاهر، وقد نصّ العلماء على أنه يجب على مَن عَلِم ذلك، أن ينكر على البائع، وأن يُعلِم المشتري به، والله أعلم. وأما صفة النهي، ومراتبه، فقد قال النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «**فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»، فقوله ﷺ: «**فبقلبه**» معناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة، وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه، وقوله ﷺ: «**وذلك أضعف الإيمان**»؛ معناه ـ والله أعلم ـ: أقله ثمرة.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا الحديث أصلٌ في صفة التغيير، فَحَقُّ المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به، قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويُريق المسكر بنفسه، أو يأمر مَن يفعله، ويَنزع الغُصوب، ويَرُدُّها إلى أصحابها بنفسه، أو يأمر بذلك إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذي العزة الظالم الْمَخُوف شرّه؛ إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل؛ لهذا المعنى، ويُغلظ على المتمادي في غيِّه، والمسرف في بطالته، إذا أمن أن يؤثّر إغلاظُهُ منكراً أشدَّ مما غَيَّرَهُ؛ لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده، يسبب منكراً أشد منه، من قتله، أو قتل

غيره، بسببه، كَفَّ يده، واقتصر على القول باللسان، والوعظ، والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك، غَيَّر بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد بالحديث ـ إن شاء الله تعالى ـ وإن وَجَد مَن يستعين به على ذلك، استعان ما لم يؤدِّ ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، ولْيَرْفع ذلك إلى مَن له الأمر، إن كان المُنْكَر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة، وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين، خلافاً لمَن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال، وإن قُتل ونِيل منه كل أذًى. هذا آخر كلام القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ.

قال إمام الحرمين ـ رحمه الله تعالى ـ: ويسوغ لآحاد الرعية، أن يَصُدَّ مرتكب الكبيرة، إن لم يندفع عنها بقوله، ما لم ينتهِ الأمر إلى نصب قتال، وشَهْر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك، ربط الأمر بالسلطان، قال: وإذا جار والي الوقت، وظهر ظلمه وغشمه، ولم ينزجر حين زُجر عن سوء صنيعه بالقول، فلأهل الحلّ والعقد التواطؤ على خلعه، ولو بشهر الأسلحة، ونصب الحروب، هذا كلام إمام الحرمين.

وهذا الذي ذكره من خلعه غريب(١)، ومع هذا؛ فهو محمول على ما إذا لم يُخَف منه إثارة مفسدة أعظم منه.

قال: وليس للآمر بالمعروف البحث، والتنقير، والتجسس، واقتحام الدُّور بالظنون، بل إن عَثَرَ على منكر غَيّره جهده. هذا كلام إمام الحرمين.

وقال أقضى القضاة الماوردي: ليس للمحتسِب أن يبحث عما لم يَظْهَر من المحرَّمات، فإن غلب على الظن استسرار قوم بها؛ لأَمَارَة، وآثار ظهرت، فذلك ضربان:

[أحدهما]: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة، يفوت استدراكها، مثل

---

(١) بل هو شاذ؛ لأنه مخالف لإجماع السلف الصالح في عدم الخروج على ولاة الأمر وأئمة الجور؛ كما بينته في: «قرة العيون في تصحيح تفسير عبدالله بن عباس لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (ص**٢٣٩ ـ ٢٤٤**).

أن يُخبره مَن يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسَّس، ويُقدِم على الكشف، والبحث حَذَراً من فوات ما لا يُستدْرَكُ، وكذا لو عَرَف ذلك غير المحتسِب من المتطوعة، جاز لهم الإقدام على الكشف، والإنكار.

[**الضرب الثاني**]: ما قَصُر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه، ولا كشف الأستار عنه، فإن سَمِع أصوات الملاهي المنكرة من دار، أنكرها خارج الدار، لم يَهجُم عليها بالدخول؛ لأن المنكر ظاهر، وليس عليه أن يكشف عن الباطن.

وقد ذكر الماوردي في آخر «الأحكام السلطانية» باباً حسناً في الحسبة، مشتملاً على جُمَل من قواعد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد أشرنا هنا إلى مقاصده، وبسطت الكلام في هذا الباب؛ لعظم فائدته، وكثرة الحاجة إليه، وكونه من أعظم قواعد الإسلام، والله تعالى أعلم».

٢ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:

«وقوله: (**ترك ما هنالك**)؛ يقال له: ما الذي أوجب الترك؟ أأنتم تشرعون؟ يقول: إن الذي أوجب الترك، أن الناس كانوا إذا سلَّم الإمام من صلاة العيد انصرفوا، فلم يستمعوا إلى الخطبة، فرأى أن يقدِّمها على الصلاة، من أجل أن ينتفع الناس بها، وهنا نقول: هذا رأي في مقابلة النص، والرأي في مقابلة النص مُطرحٌ، ولا يجوز العمل به، حتى وإن كان الناس ينفرون من الخطبة بعد الصلاة، فمَن أراد أن يستمع فليستمع، ومَن أراد أن ينصرف فلينصرف.

فإذا قال قائل: هل يجوز للإنسان أن يبقى عند أصحاب المنكر ويقول: إنه منكر بقلبه؟

فالجواب: لا؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال في الكتاب: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]؛ اللهم إلا أن يُكْرَه على

الجلوس معهم، مثل أن يحبسوه بإغلاق الأبواب، أو بتقييد الجوارح، أو يخشى على نفسه إذا خرج أن يؤذى بالحبس، أو بالضرب، أو ما شابه ذلك.

واعلم أن المقصود من إنكار المنكر تخفيفه، أو إزالته، فإذا كان الإنكار لا يخففه؛ فأنت مخيَّر، وإن كان يزيده؛ فأنت منهي عن الإنكار، فالأحوال إذاً أربع:

الحال الأول: أن يزول المنكر بالكلية.

الحال الثانية: أن يخفف المنكر، وفي هاتين الحالتين ـ الأولى والثانية ـ يجب الإنكار.

الحال الثالثة: أن يرى المنْكِرُ أن إنكاره لا يزيد من المنكَر ولا يُنقصه، فهو في هذه الحال مخيَّر، والإنكار أوْلى.

الحال الرابعة: أن يكون إنكاره سبباً في زيادة المنكر، ففي هذه الحال يحرم الإنكار»[1].



٧٩ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَعَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فِي قِصَّةِ مَرْوَانَ، وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ وَسُفْيَانَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه رواية الأقران؛ فإن طارق بن شهاب، وأبا سعيد الخدري صحابيان.

٢ ـ قوله: «وعن قيس بن مسلم» معطوف على «عن إسماعيل».

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (ص٢٢٣ ـ ٢٢٤ و٢٢٥ ـ ٢٢٦).

٣ ـ قوله: «في قصة مروان وحديث ابن سعد» متعلق بـ«حدثنا» و«في» بمعنى الباء؛ أي: رواية الأعمش بالطريقين المذكورين مشتملة على قصة مروان، وعلى حديث أبي سعيد الخدري المرفوع، ولم تقتصر على أحدهما، كما اشتملت عليها رواية شعبة وسفيان.

٤ ـ رواية الأعمش بالطريقين أخرجها أبو داود (١١٤٠) وابن ماجه (١٢٧٥) بإسناد المصنف ـ رحمه الله ـ.

قال أبو داود:

حدثنا محمد بن العلاء، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري. (ح) وعن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن أبي سعيد الخدري، قال: أخرج مروان المنبر في عيد، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل، فقال: يا مروان، خالفت السنّة، أخرجت المنبر في يوم عيد، ولم يكن يُخْرَج فيه، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، فقال أبو سعيد الخدريّ: مَن هذا؟ قالوا: فلان ابن فلان، فقال: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن رأى منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» انتهى.

وقال ابن ماجه:

حدثنا أبو كريب، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد، وعن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن أبي سعيد، قال: أخرج مروان المنبر يوم العيد، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل، فقال: يا مروان خالفت السنّة، أخرجت المنبر يوم عيد، ولم يكن يُخرج به، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، ولم يكن يُبدأ بها، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن رأى منكراً، فاستطاع أن يغيره بيده؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع بلسانه؛ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».



٨٠ ـ (**٥٠**) حَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَأَبُو بَكْرِ بن النّضْرِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ـ وَاللَّفْظُ لِعَبْدٍ ـ قَالُوا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَكَمِ؛ عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ الْمِسْوَرِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي؛ إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَحَدَّثْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ؛ فَأَنْكَرَهُ عَلَيَّ. فَقَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَنَزَلَ بِقَنَاةٍ؛ فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَيْهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ يَعُودُهُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثَنِيهِ؛ كَمَا حَدَّثْتُهُ ابْنَ عُمَرَ.

قَالَ صَالِحٌ: وَقَدْ تُحُدِّثَ بِنَحْوِ ذٰلِكَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ.

✹ راوي الحديث:

عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أحد السابقين الأولين، ومن نبهاء فقهاء الصحابة وكبار البدريين، خادم رسول الله ﷺ، له مناقب جمّة وفضائل وافرة، من أعلم الصحابة بالقرآن الكريم، توفي بالمدينة النبوية سنة (**٣٢**هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من تساعيات المصنف ـ رحمه الله ـ وهذا الإسناد من أنزل أسانيده.

٢ ـ فيه رواية صحابي عن صحابي: أبي رافع عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

٣ ـ فيه أربعة تابعين يروي بعضهم عن بعض، وهم: صالح، والحارث، وجعفر، وعبدالرحمٰن.

٤ ـ هذا الحديث تكلم فيه الإمام أحمد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، فقال: هذا الحديث غير محفوظ، وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود، وابن مسعود يقول: «**اصبروا حتى تلقوني**».

قال ابن الصلاح: «هذا الحديث مما انفرد به مسلم عن البخاري، وقد أنكره أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ، فيما بلغنا عن أبي داود السجستاني في «مسائله عن أحمد»؛ قال: الحارث بن فضيل ليس بمحفوظ الحديث، وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود. وذكر أحمد قوله ﷺ: «**اصبروا حتى تلقوني**».

وقد روى عن الحارث هذا جماعة من الثقات، ولم نجد له ذكراً في كتب الضعفاء، وفي كتاب ابن أبي حاتم عن يحيى بن معين أنه ثقة، ثم إن الحارث لم ينفرد به، بل توبع عليه على ما أشعر به كلام صالح بن كيسان المذكور.

وذكر الإمام الدارقطني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في «كتاب العلل» أن هذا الحديث قد روي من وجوه أُخَر؛ منها: عن أبي واقد الليثي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ.

وأما قوله: «**اصبروا حتى تلقوني**»؛ فذلك حيث يلزم من ذلك سفك الدماء أو إثارة الفتن، ونحو ذلك.

وما ورد في هذا الحديث من الحث على جهاد المبطلين باليد واللسان، فذلك حيث لا يلزم منه إثارة فتنة، على أن لفظ هذا الحديث مسوق فيمن سبق من الأمم، وليس في لفظه ذكر لهذه الأمة»(١).

وأقره النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وهذا ظاهر كما قال، وقدّم الإمام أحمد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في هذا عجب، والله أعلم»(٢).

---

(١) «صيانة مسلم» (ص٢١٠ ـ ٢١١).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/٢٨).

وبالجملة، فكلام العلماء النقاد يرد اعتراض الإمام أحمد.

وكذلك صححه جمهور العلماء: الإمام مسلم، وابن حبان، وأبو عوانة، وأبو نعيم، وابن منده في كتاب «الإيمان».

وكذلك الحديث مروي عن ابن مسعود بطرق: أخرجه مسلم من طريق عبدالرحمٰن بن المسور عنه، وأخرجه ابن حبان **(٤٠٣/١)** من طريق عطاء بن يسار عنه.

٥ ـ هذا الحديث من أفراد مسلم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

* غريب الحديث:

قوله: **(إلا كان له من أُمته حواريون وأصحاب)**؛ الحواريون: جمع حواري، وهم خلصان الأنبياء، وهم المختصّون المفضّلون، الذين أخلصوا في حب أنبيائهم، وخلصوا من كل عيب.

وحُوّاري الدقيق: هو الدقيق الذي نخل، سُمّي خبز الحُواري؛ لأنه أشرف الخبز.

والأصحاب: جمع صاحب، وقيل: صَحب، والصحبة: الخلطة والملابسة على جهة المحبة.

قوله: **(يأخذون بسنته ويقتدون بأمره)**؛ أي: ينقادون لحكمه، ويقتفون طريقته وسمته.

قوله: **(ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف)**؛ الخلوف ـ بضم الخاء ـ جمع خَلْف ـ بفتح الخاء وسكون اللام ـ، وهو القرن بعد القرن، واللاحق بعد السابق. ويغلب إطلاقه على الرديء السيىء، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ**﴾ [الأعراف: ١٦٩] وأما الخلف ـ بفتح الخاء واللام ـ فجمعه: أخلاف، وهو الصالح، ومنه قوله ﷺ الحسن لغيره: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله**»؛ وهذا هو الأشهر عند علماء اللغة.

والمعنى: أنه يعقب أصحاب الأنبياء جيل، وقرن يخالفون ما كان عليه نبيهم وأتباعه.

قوله: (**يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون**)؛ هذا يدل على تبديلهم ومخالفتهم؛ وفي ضمنه ذم لهؤلاء ولمن كان على شاكلتهم من كل أُمة.

قوله: (**فمن جاهدهم...**)؛ أي: قام على نصحهم، وإرشادهم، وبيان مخالفتهم للحق بحسب طاقته، والمصلحة، فهو المؤمن.

قوله: (**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**)؛ الخردل: نبات معروف له حب صغير، يضرب به المثل لصغر حبه.

والمعنى: أن أقل الإيمان يدفع صاحبه لكره المعصية، فمَن لم يكره، وينكر بقلبه؛ فليس فيه إيمان، ولا حتى قدر حبة الخردل.

قوله: (**فأنكره عليّ**)؛ يحتمل لخطورة ما دلّ عليه، ويحتمل؛ لأنه قد يكون دافعاً للخروج على ولاة الأمور.

قوله: (**فنزل بقناة؛ فاستتبعني إليه**)؛ أي: نزل بواد من أودية المدينة؛ ليقيم بمسكنه هناك، فطلب مني ابن عمر أن ألحقه إلى مكان ابن مسعود أسأله بحضرته؛ ليتأكد من صحة ما سمع.

فقه الحديث:

١ ـ أن الأنبياء يُبعثون، كما يُبعث الرسل ـ عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ـ.

٢ ـ أن لكل نبي ورسول أصحاب، وأنصار يحملون دينه ودعوته وينصرونها.

٣ ـ أن أفضل قرون كل أُمة قرن النبي، ومن بعده الأقرب فالأقرب.

٤ ـ أن طول المدى، وبُعد العهد بين النبي وقومه: سبب لضعف

الدعوة، والشريعة، وانتشار البدع، والمنكرات، والردةِ عن الدين.

٥ ـ ذم لمن يخالف فعله قوله، والعكس كذلك.

٦ ـ وجوب جهاد أهل الزيغ، والبدع، والمنكرات.

٧ ـ أن المؤمن ينصح، ويدعو، ولا يهاب أحداً على قدر استطاعته.

٨ ـ أن الإيمان يزيد حتى يكمل، وينقص حتى يذهب بالكلية.

٩ ـ حسن التمثيل، والتشبه بالأمور المألوفة المعروفة؛ وذلك لتقريب المعاني.

١٠ ـ حرص الصحابة ـ ﷺ ـ في التثبت في أحاديث الرسول ﷺ.

١١ ـ بيان فرط ذكاء ابن عمر؛ حيث أنكر المعاني، ولم ينكر على الراوي، وتريُّثه في التثبُّت من أوثق مصدر، وهو الراوي الذي تلقاه من فِيّ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

١٢ ـ مَن أنكر الحديث؛ لاستغرابه؛ فإنه لا يُعد رادًّا لما جاء به رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يرد ما حدّث به من أجل هوى في نفسه، أو من أجل الحديث، وإنما من أجل الشك في ثبوته.

١٣ ـ استحباب زيارة القادم من سفر في مقره وبيته.

قال شيخنا العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«**فإن قال قائل**: النبي ﷺ رتّب تغيير المنكر أو إنكاره، باليد أولاً، ثم اللسان، فهل هذا يتعارض مع ما قاله العلماء: من أن الجاهل يعلَّم أولاً، ثم يُنكر عليه بعد ذلك؟

فالجواب: لا يعارضه؛ لأن الجاهل يُعلَّم أولاً ثم يُنكر عليه، أو يقال: إن الإنكار لا يعني بذلك التوبيخ، بل الإنكار: أن يقول له: هذا لا يجوز، فليس الإنكار معناه التوبيخ، أو التأديب، أو التعزير.

وهاهنا مسألة، يسأل عنها بعض الطلاب في المدارس، أو الجامعات، وهو أنه أحياناً يقع من المدرّس منكر في الفصل، أو من الطالب، فهل نحن ننكر عليه، أو إذا خرج ننكر عليه؟

والجواب: من الأدب أنه إذا أخطأ المدرّس ألاّ ترد عليه الخطأ أمام الطلبة، لكن إذا خرج؛ فبيّن له الخطأ، فإن رجع؛ فهذا هو المطلوب، وإن لم يرجع؛ ففي الدرس القادم تُبيِّن الخطأ، ولا بُدّ»[1].



(...) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرِ ابْنُ إِسْحاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ[2]، حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ الْفُضَيْلِ الْخَطْمِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِالله بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ**» مِثْلَ حَدِيثِ صَالِحٍ.

وَلَمْ يَذْكُرْ قُدُومَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَاجْتِمَاعَ ابْنِ عُمَرَ مَعَهُ.

➢ فوائد الإسناد:

رواية عبدالعزيز هذه أخرجها أبو عوانة في «مسنده المستخرج» (٤٣/١)، عن شيخ المصنّف، فقال:

حدثنا الصاغانيّ، قال: أنبأ ابن أبي مريم، قال: ثنا عبدالعزيز بن محمد، قال: ثنا الحارث بن فُضيل الخَطْمِيّ، عن جعفر بن عبدالله بن الحكم، عن عبدالرحمٰن بن مِسْوَر بن مَخْرَمة، عن أبي رافع، مولى النبيّ ﷺ، عن عبدالله بن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «**ما كان من نبيّ إلا**

(١) «شرح صحيح مسلم» (ص٢٢٩ ـ ٢٣٠).
(٢) هو سعيد بن الحكم، أبو محمد المصري.

وله حَوَارِيُّون، يَهْدُون بِهَدْيه، ويستنُّون بسنّته، ثم يكون من بعدهم خُلُوف، يقولون ما لا يفعلون، ويعملون ما ينكرون، فمَن جاهدهم بيده؛ فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه؛ فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه؛ فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل».

✻ غريب الحديث:

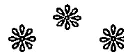
قوله: **(يهتدون بهديه)**؛ أي: بطريقته وسمته.

قوله: **(مثل حديث صالح...)**؛ أي: حديث عبدالعزيز بن الحارث بن الفضيل مثل حديث صالح بن كيسان إلا في عدم ذكر قدوم ابن مسعود واجتماع ابن عمر معه.

قوله: **(ولم يذكر قدوم ابن مسعود، واجتماع ابن عمر معه)**: أنكره الحريري؛ فقال: «لا يقال اجتمع فلان مع فلان، وإنما فلان وفلان»[(1)].

وقد خالفه جماهير أهل اللغة؛ كالجوهري[(2)]، والفيروزآبادي[(3)]، وابن منظور[(4)].

وعليه؛ فعبارة الإمام مسلم صحيحة لا غبار عليها، والله أعلم.



(١) «درّة الغواص في أوهام الخواص» (ص٣٤٣).
(٢) «الصحاح» (٩٩٩/٣).
(٣) «القاموس المحيط» (ص٦٤٠).
(٤) «لسان العرب» (٥٧/٨).

٢١ ـ باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه

٨١ ـ {٥١} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الحَارِثِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ إِسْماعِيلَ، قَالَ: سَمِعْتُ قَيْساً يَرْوِي عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ؛ قَالَ: أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «**أَلا إِنَّ الإِيمَانَ هاهُنا، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطانِ، فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**».

✵ راوي الحديث:

أبو مسعود البدري؛ هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري؛ شهد بدراً؛ فنسب إليها، وقد عدّه البخاري من البدريين، توفي سنة (**٤٠هـ**).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ أن رواته كلهم كوفيون إلا يحيى بن حبيب ومعتمراً؛ فإنهما بصريان.

٣ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء.

٤ ـ فيه قيس بن أبي حازم تفرّد بالرواية عن العشرة المبشَّرين بالجنة.

قال السيوطي في «الألفية»:

وذاك قيس ما له نظير وعُدّ عند الحاكم كثير

٥ ـ حديث أبي مسعود البدري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (**٣٣٠٩**).

* **غريب الحديث:**

قوله: (**أشار النبي بيده نحو اليمن**)؛ أي: إلى جهة اليمن، وهذا يرد زعم مَن قال: إن المراد بقوله ﷺ: «**يمان**» الأنصار؛ لكون أصلهم من اليمن؛ لأن الإشارة إلى جهة اليمن يدل على أن مراده ﷺ أهلها حينئذ، لا الذين كان أصلهم منها.

قوله: (**وإنّ القسوة وغلظ القلوب في الفدّادين**): القسوة وغلظ القلوب اسمان لمسمًّى واحد، وهو نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، والبث؛ هو: الحزن.

ويُحتمل أن القسوة يراد بها: أن تلك القلوب لا تلين لموعظة، ولا تخشع لتذكار، وغِلظها ألَّا تفهم ولا تعقل، وهذا أولى من الأول؛ قاله القرطبي.

والفدّادين: جمع فدّان، وهو: مَن يعلو صوته في إبله، وخيله، وحرثه، ونحو ذلك.

والفديد: هو الصوت الشديد.

والمراد: الجمَّالون، والبقَّارون، والحمَّارون، والرعيان، وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم.

قوله: (**عند أُصول أذناب الإبل**)؛ أي: الذين لهم جلبة، وصياح عند سوقهم لها.

قوله: (**حيث يطلع قرنا الشيطان، في ربيعة ومضر**)؛ أي: مكانهم في هذه الجهة، وهي جهة المشرق.

واختلف في قرني الشيطان، فقيل: هما ناصيتا رأسه العليا، وهذا أصل هذا اللفظ وظاهره، فإن قرن الشيء أعلاه.

فيكون المعنى على هذا: أن الشيطان ينتصب قائماً مع طلوع الشمس

لمن يسجد للشمس؛ ليسجد له، ويُعبد بعبادتها، ويفعل هذا في الوقت الذي يسجد لها الكفار.

وقيل: القرن الأُمة العظيمة، والمقصود: أن أمتين عظيمتين تعبدان غير الله ـ تعالى ـ وهما: ربيعة ومضر.

وقيل: أشار الحديث إلى ما ظهر في العراق من الفتن المتتابعة إلى يوم الناس هذا.

فقه الحديث:

١ ـ بيان تفاضل أهل الإيمان فيه.

٢ ـ بيان فضل أهل اليَمَن؛ لرجحانهم في قوة الإيمان.

٣ ـ أن قسوة القلوب، وغلظها، من ضعف الإيمان، كما أن رقتها ولينها من قوة الإيمان.

٤ ـ أن المرء يكتسب طباع الحيوان الذي يعيش معه وقتاً طويلاً، ولهذا حرِّمت الحيوانات التي لها ناب من السباع، أو مخلب من الطير، أو تورث الدياثة كالخنزير!

٥ ـ أن الشيطان له قرنان اثنان.

٦ ـ أن أهل البادية؛ لبُعدهم عن العلم؛ أهله ومجالسه، وملازمتهم للبادية التي فيها الغفلة والجهل؛ لزمتهم هذه الخصال السيئة، وأورثتهم قسوة القلوب، وقلة الفهم.

٧ ـ وفيه تنفير عن ملازمة البادية، والانشغال بالدنيا عن الدِّين، فمن بدا جفا.

٨ ـ بيان أثر الصحبة الصالحة من السيئة.

٩ ـ أن عادة الشرع في النُّصُوص الحكم في الغالب والأكثرية، ولا يلزم من هذا النص أن جميع أهل اليمن قد كمل إيمانهم؛ لا، بل فيهم ـ قديماً وحديثاً ـ الكافر، والملحد، والمبتدع، والفاسق. وهذا في كل زمان.

١٠ ـ بيان ما كانت عليه مضر وربيعة من شدة الكفر والعناد والعداوة للرسول ﷺ والمسلمين.



٨٢ ـ (٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، أَنْبَأَنا حَمَّادُ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإِيمانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمانِيةٌ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: أيوب السختياني عن محمد بن سيرين.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٣٣٠١).

✸ غريب الحديث:

قوله ﷺ: «**جاء أهل اليمن**»: حرَّف بعض علماء الغريب هذا اللفظ من ظاهره، وزعموا: أن المراد مكة؛ لأنها من تهامة، وتهامة من أرض اليمن، أو: المدينة؛ لأن الأنصار أصلهم من اليمن.

وهذا قول مردود؛ لأن قوله: «**جاء أهل اليمن**» يخبر أن مَن جاء حينئذ غير الأنصار، ثم وصفهم بما يقضي بكمال إيمانهم ورتب عليه: «**الإيمان يمان**» فهذا نسبة إلى مَن جاءه من أهل اليمن.

والأصل إجراء الكلام على ظاهره، وهذا ما رجحه الطحاوي؛ حيث قال: «وما في هذا الباب من الآثار فكثير، اكتفينا منها بما جئنا به منها في

هذا الباب، مما قد وضح به ما قد ذكرنا من حقيقة أهل اليمن المرادين بما فيها، وأنهم ليسوا أهل تهامة»[1].

قوله: (**هم أرق أفئدة**)؛ الأفئدة: القلوب، مفردها فؤاد.

وقيل: الفؤاد غير القلب، وهو عين القلب.

وقيل: باطن القلب، وقيل: غشاء القلب.

وأما وصفها باللين، والرقة والضعف، فمعناه: أنها ذات خشية، واستكانة سريعة الاستجابة، والتأثر بقوارع التذكير، سالمة من الغلظ والشدة، والقسوة التي وصف بها قلوب الآخرين؛ قاله النووي.

قوله ﷺ: «**الإيمان يمان**»؛ أي: معظم أهله يمانون، والفاتحون به يمانون، وكذلك الناصرون له، ولذلك؛ فأهل اليمن من أكمل الناس إيماناً، بشرط التوحيد الصحيح والسنّة.

قوله: (**والفقه يمان**)؛ الفقه: الفهم، والمراد به هنا: الفهم في الدِّين. وفي اصطلاح العلماء: إدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها.

قوله: (**والحكمة يمانية**) الحكمة عند العرب: ما منع من الجهل والجفاء.

والحكيم: من منعه عقله وحلمه من الجهل، وهو مأخوذ من حَكَمة الدابة، وهي الحديدة التي في اللجام؛ سُمِّيت بذلك؛ لأنها تمنعها.

والمراد بالحكمة: العلم المشتمل على المعرفة بالله.

فقه الحديث:

١ ـ بيان بعض الأوصاف التي من أجلها أثنى رسول الله ﷺ على أهل اليمن.

---

(١) «شرح مشكل الآثار» (٢/٢٦٨ ـ ٢٧٨).

٢ ـ فضل الفقه والحكمة.

٣ ـ أن رقة القلب تكون من الإيمان الذي فيه غالباً.

٤ ـ بيان أن حُسن الخلق والسمت الصالح من الإيمان والتوحيد.



٨٣ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِي. (ح) وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الأَزْرَقُ، كِلاهُما عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِهِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث ابن عون: أخرجه أحمد (٢/٢٣٥): حدثنا محمد بن أبي عدي، عن ابن عون، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفقه يمان**».

وأخرجه ـ أيضاً ـ أبو نعيم في «المستخرج» (١٨٠) عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي به.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**بمثله**)؛ أي: أن محمد بن المثنى وعمراً الناقد حدثاني بمثل حديث أبي الربيع الزهراني، ويحتمل أن يكون المراد حديث ابن عون؛ يعني حديث ابن عون بمثل حديث أيوب.

وانظر: الحديث السابق.



٨٤ ـ (...) وحدّثني عَمْروٌ النَّاقِدُ وَحَسَنٌ الْحُلْوَانِيُّ، قالا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيم بْنِ سَعْدٍ ـ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ، عَنِ الأَعْرَجِ،

قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَضْعَفُ قُلُوباً وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْفِقْهُ يمانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»**.

تقدم الكلام عليه في الحديث السابق.



٨٥ ـ (...) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزنادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ، الْفَدَّادِينَ، أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ»**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين، غير شيخه، فنيسابوري.

٣ ـ مسلسل بالفقهاء.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: أبو الزناد عبدالله بن ذكوان القرشي عن الأعرج عبدالرحمٰن بن هرمز.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(رأس الكفر نحو المشرق)**؛ أي: شدة الكفر، وصلابته، وأعلاه في أهل المشرق، وهم العراق، وخراسان وجهتهما، فإن فارساً، وقبيلة مضر كانوا على صلابة في الكفر، والفتن التي وقعت في العراق في زمن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وبعدهم، وخروج الدجال، وأتباعه في آخر الزمان كل ذلك من المشرق.

قوله: **(والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل...)**؛ والفخر: يعني

التفاخر بالآباء والأشراف، وكثرة الأموال، والخدم، والجاه، وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا.

والخيلاء: التعاظم، والتكبر، واحتقار الناس.

والمعنى: أن كثرة المال، وعظم الجاه سبب لضعف الإيمان الداعي للافتخار، والتعاظم والتكبر على الآخرين.

وأكثر هذا الصنف هم أهل البادية لبُعدهم عن العلم وأهله؛ كما تقدم معنا.

قوله: **(والسكينة في أهل الغنم)**؛ السكينة: هي الطمأنينة، والسكون، والوقار، والرحمة، والتواضع، أو هي من السكون؛ وهو لازم للصفات المذكورة، مخالف للفخر، والكبر، والقسوة، والغلظة، والجفوة.

والمعنى: أن صفات رعاة الغنم تختلف عن صفات رعاة الإبل؛ بل على عكس صفات أولئك.

فقه الحديث:

١ ـ بيان علم من أعلام نبوته ﷺ، حيث وقع ما أخبر به من الفتن التي جاءت من قبل المشرق؛ كرؤوس المبتدعة وغيرهم.

٢ ـ بيان ما جبلت عليه نفوس الرعاة من غلظة وقسوة، وسكينة ورحمة من جانب آخر.

٣ ـ ترغيب في تقديم رعاية الغنم والعمل بها على الإبل، ولهذا كان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يرعون الغنم؛ كما صحّ عن النبي ﷺ.

٤ ـ فضل السكينة وأهلها، وفي ضمنه حث عليها.

٥ ـ خبرة النبي ﷺ بأمور البادية وأحوال أهلها.



٨٦ ـ (...) وحدّثني يَحيَى بْنُ أَيُّوب، وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْماعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلاءُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**الإِيمَانُ يمانٍ، وَالْكُفْرُ قَبلَ الْمَشْرِقِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالفَخْرُ وَالرِّياءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْوَبَر**».

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ قوله: «قال ابن أيوب: حدثنا إسماعيل»؛ إشارة إلى اختلاف شيوخ المصنف في صيغ الأداء، فصرّح يحيى بن أيوب بالتحديث.

٢ ـ فيه رواية الابن عن أبيه.

٣ ـ رواية تابعي عن تابعي: العلاء بن عبدالرحمٰن الجهني عن أبيه.

تقدم شرحه.



٨٧ ـ (...) وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحيَى، أَخْبَرَنا ابْنُ وَهْبٍ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهاب؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الْفَخْرُ وَالْخُيَلاَءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ**».

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ نصفه مسلسل بالمصريين، والآخر مسلسل بالمدنيين.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة.

تقدم شرحه.



٨٨ ـ (...) وحَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الدَّارِميُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيّ، بِهذَا الإِسْنادِ، مِثْلَهُ.

وَزَادَ: **«الإِيمان يَمانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمانِيةٌ»**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ لفظ شعيب ساقه البخاري في «صحيحه» **(٣٤٩٩)**: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمٰن: أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الفخر والخيلاء في الفَدَّادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان، والحكمة يمانية»**.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(بهذا الإسناد)** إشارة إلى الإسناد الذي قبله، وهو إسناد يونس عن ابن شهاب؛ أي: أن سند شعيب بن أبي حمزة هو إسناد يونس عن ابن شهاب، فالزهري يرويه عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: **(مثله، وزاد...)**؛ يعني: لفظ شعيب مثل لفظ يونس، غير أنه زاد في الحديث قوله: **«الإيمان يمان، والحكمة يمانية»**.

تقدم شرحه، وبيان فوائده.



٨٩ ـ (...) حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ عَنْ شُعَيْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَضْعَفُ قُلُوباً، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيةٌ، السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، قِبَلَ مَطلِع الشَّمْسِ»**.

❃ غريب الحديث:

قوله: **(السكينة في أهل الغنم)**؛ أي: السكون، والوقار، والتواضع.

قوله: **(والفخر)**؛ أي: الفخر بالأحساب، والتباهي بالأنساب، وكثرة الأموال والجاه.

قوله: **(والخيلاء)**؛ أي: التكبُّر، والتعاظم.

قوله: **(الفدادين)**؛ أي: الصيّاحين.

قوله: **(أهل الوبر)**؛ أي: رعاة الإبل.

قوله: **(قبل مطلع الشمس)**؛ أي: من جهة طلوع الشمس، وهي بمعنى الروايات الأخرى: «**الكفر قبل المشرق**» و«**نحو المشرق**» و«**حيث يطلع قرنا الشيطان**»، فكل الروايات متفقة على جهة خروج الكفر والفتن.



٩٠ ـ (. . .) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْب، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلوباً، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإِيمَانُ يمانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ**».

(. . .) وحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ بِهذَا الإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث جرير: أخرجه ابن منده في «الإيمان» **(١/٢٢٨/٤٣٩)**: أنبأنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن العباس، ثنا أحمد بن المثنى، ثنا

زهير بن حرب. (ح) وأنبأنا حسان، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا قتيبة قال: ثنا جرير بن عبدالحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان يمان، والحكمة يمانية، أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوباً**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ أي: إسناد أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

قوله: (**ولم يذكر**) يعني: جريراً وإن كان حديثه مثل حديث أبي معاوية إلا أنه نقص منه قوله: «**رأس الكفر قِبَل المشرق**».



٩١ ـ (...) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِي. ح وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ جَعْفَرٍ ـ قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ بِهذَا الإِسْنادِ، مِثْلَ حَدِيثِ جَرِيرٍ، وَزَادَ: «**وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَصْحَابِ الشَّاءِ**».

➢ فوائد الإسناد:

حديث شعبة: ساقه أبو نعيم في «المسند المستخرج» (١/١٢٠/١٨٦)، حدثنا أبو علي بن الصوّاف، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي. (ح) وحدثنا أبو أحمد، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا محمد بن بشار، ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، سمعت ذكوان، يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أهل اليمن أرق أفئدة وألْيَن قلوباً، والفقه يمان، والإيمان يمان، والخيلاء والكبر في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أصحاب الشاء**».

* غريب الحديث:

قوله: (**بهذا الإسناد**) إشارة إلى إسناد جرير بن عبدالحميد الضبي؛ أي: أن إسناد شعبة كإسناد جرير: رواه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

قوله: (**مثل حديث جرير...**)؛ أي: أن لفظ حديث شعبة مثل لفظ حديث جرير، غير أن شعبة زاد في حديثه قوله: «**والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أصحاب الشاء**».



٩٢ ـ (٥٣) وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنا عَبْدُالله بْنُ الْحَارِثِ الْمَخْزُومِيُّ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جابِرَ بْنَ عَبْدِالله يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**غِلَظُ الْقُلُوبِ، وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالإِيمانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ**».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٥/١٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمكيين، وشيخه دخل مكة، وجابر بن عبدالله سكن مكة مدة.

٣ ـ صرّح أبو الزبير بسماعه من جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

٤ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

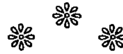
قوله: **(والإيمان في أهل الحجاز)**؛ أي: مكة والمدينة.

۞ فقه الحديث:

بيان فضل أهل الحجاز، وقد ثبت في فضل المدينة النبوية جملة أحاديث، منها:

ففي «صحيح مسلم» قوله ﷺ: «**إن الله سمّى المدينة طابة**».

وفي الحديث المتفق عليه: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**».



٢٢ ـ باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها

٩٣ ـ (٥٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؛ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا؛ حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ مسلسل بثقات الكوفيين إلى الأعمش.

٢ ـ فيه أبو معاوية أحفظ مَن روى عن الأعمش، وكذلك الأعمش أحفظ مَن روى عن أبي صالح السمّان.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي صالح.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

✹ غريب الحديث:

قوله: (**لا تدخلون الجنة؛ حتى تؤمنوا**)؛ أي: أن الجنة لا يدخلها غير المؤمنين، وهي محرمة على المشركين والكافرين، بل هي لمن أقرّ بالإسلام، وانقاد له.

قوله: (**ولا تؤمنوا؛ حتى تحابوا**) أي: لا يكمل إيمانكم حتى تحصل المحبة، وتدوم فيكم.

قوله: **(أفشوا السلام بينكم)**؛ أي: انشروا السلام بينكم، وذلك بطرحه على كل صغير وكبير، يعرف أو لا يعرف.

فقه الحديث:

١ ـ أن دخول الجنة موقوف على الإيمان الواجب الصحيح.

٢ ـ أن الجنة دار كرامة المؤمنين.

٣ ـ أن الإيمان بالله هو الغاية المحبوبة لله.

٤ ـ جمع هذا الحديث بين أصل الإيمان، وكماله.

٥ ـ أن التحاب في الله من لوازم الإيمان، وواجباته.

٦ ـ الحب والبغض في الله من كمال الإيمان.

٧ ـ حرص رسول الله ﷺ على إرشاد أُمته للخير.

٨ ـ أن الإيمان يزداد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

٩ ـ الحث على إفشاء السلام؛ لما فيه من إعظام حرمات الله، ولزوم التواضع، ورياضة النفس.

١٠ ـ أن السلام أول أسباب التآلف، وأهمها.

١١ ـ الحث على التواضع.

١٢ ـ حرص الشرع على أسباب القوة والاجتماع والوحدة.

١٣ ـ أن السلام لا بد أن يكون جهراً لا سرًّا.

١٤ ـ وبمفهومه النهي عن التقاطع والتدابر والحسد والحقد وغيرها من أسباب اختلاف القلوب، وضعف المحبة، أو ذهابها، وفُرقة الصف الواحد.



٩٤ ـ (...) وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، أَنْبَأنا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا**» بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**والذي نفسي بيده**): هذا قسَم من النبي ﷺ.

قوله: (**بمثل حديث أبي معاوية ووكيع**)؛ أي: حديث جرير عن الأعمش مثل حديثهما عنه.

فقه الحديث:

١ ـ جواز القسم من غير طلب؛ وإنما لتأكيد المُقسم عليه.

٢ ـ إثبات صفة اليد للّه تعالى على ما يليق بجلاله وكماله.



٢٣ ـ باب بيان أن الدين النصيحة

٩٥ ـ (٥٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: إِنَّ عَمْراً حَدَّثَنَا عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِيكَ، قَالَ: وَرَجَوْتُ أَنْ يُسْقِطَ عَنِّي رَجُلاً، قَالَ: فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْهُ أَبِي، كَانَ صَدِيقاً لَهُ بِالشَّامِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفْيان عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**».

❋ راوي الحديث:

هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري، الصحابي المشهور، أسلم سنة تسع، وسكن بيت المقدس بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ، روى عنه النبي ﷺ خبر الجساسة، قال ابن سيرين: جمع القرآن، وكان يختم في ليلة، وقال أبو نعيم: أول مَن سرج في المساجد تميم، توفي سنة (٤٠هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن سفيان بن عيينة علا على شيخه عمرو بن دينار في هذا الحديث بعدما سمعه من سهيل، وهذا من مُلَح العلو.

٣ ـ دليل على حب الأئمة العلو في الإسناد، واختصار الطريق؛ كما وقع في قصة سفيان مع سهيل.

٤ ـ ليس لتميم الداري في صحيح مسلم غير هذا الحديث، وليس له عند البخاري شيء.

٥ ـ هذا الحديث من أفراد مسلم على البخاري.

* غريب الحديث:

قوله: **(الدِّين النصيحة)**؛ النصيحة: هي مصدر: نصح ينصح نصيحة ونصحاً ـ بضم النون ـ؛ وهي: الإخلاص؛ من قولهم: نصحت العسل؛ إذا صفّيته.

يقال: نصح له الشيء؛ إذا خلص، ونصح له القول: أخلصه له.

وقيل: هي مأخوذة من النَّصح بالفتح، وهي الخياطة، والإبرة: المنصحة، والنّصاح: الخيط، والناصح: الخياط، فكأن الناصحَ لأخيه يلمّ شعثه ويضمّه، كما تضمُّ الإبرةُ خرقَ الثوب؛ قاله القرطبي.

والمعنى: أن النصيحة تشمل خصال الإسلام، والإيمان، والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل، فإن رسول الله ﷺ سماها ديناً، وجعل الدين النصيحة؛ فتبين: أن النصيحة تشمل ذلك كله.

والنصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الخير للمنصوح له، فهي من وجيز الكلام، بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن هذه الكلمة.

وهي محصلة لغرض الدين حيث تبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة ذات الكيان الخاص، والرابطة المميزة، والوجهة الموحدة، الأمة التي تشعر بوجودها؛ كما تشعر بواجبها، وتعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه في السير بالبشرية إلى طريق الإيمان، والعمل الصالح.

فلفظ النصيحة يتضمن كلمة التواصي، ومعناها، وطبيعتها، وحقيقتها حيث يبرز الأمة المتضامنة، المتضامة، الخيرة، الواعية، القيمة في الأرض على الحق، والعدل، والخير.

وهي أنصع، وأرفع صورة للأمة المختارة التي أرادها الله أن تكون قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالخير والصبر في مودة، وتعاون، وتآخ تنصح بها كلمة التواص.

إن التواصي بالحق ضرورة للنهوض بالحق؛ لأنه تذكير وتشجيع، وإصلاح، وإشعار بالقربى في الهدف والغاية، والأخوة في العبء، والأمانة.

والتواصي بالصبر ضرورة لتتضاعف المقدرة على الثبات على الحق بما

يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المسار، وتعاضد الجميع فهو معيار تماسك الأمة.

والتواصي بالمرحمة ضرورة لإشاعة الشعور بواجب التراحم والتعاطف، والتوادد في الصفوف المؤمنة؛ ليزداد البنيان تماسكاً حيث يكون التحاض على المرحمة، واجباً فردياً جماعياً في الوقت نفسه يتعارف عليه الجميع، ويتعاون عليه الجميع، ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر].

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

النصيحة للّه:

قال ابن الصلاح: «فالنصيحة لله ـ تبارك وتعالى ـ: توحيده، ووصفه بصفات الكمال، والجلال»، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه، والقيام بطاعته ومحابّه بوصف الإخلاص، والحب فيه، والبغض فيه وجهاد من كفر به ـ تعالى ـ وما ضاهى ذلك، والدعاء إلى ذلك، والحث عليه».

وقال ابن نصر:

«قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح له مَنْ كان، وهي على وجهين؛ أحدهما: فرض، والآخر: نافلة.

فالنصيحة المفترضة للّه؛ هي: شدّةُ العنايةُ من الناصح، باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرّم.

وأما النصيحة التي هي نافلة؛ فهي: إيثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض أمران؛ أحدهما: لنفسه، والآخر: لربه؛ فيبدأ بما كان لربه، ويؤخر ما كان لنفسه، فهذه جملة تفسير النصيحة له، الفرض منه، والنافلة.

وكذلك تفسير سنذكر بعضه ليفهم بالتفسير مَن لا يفهم الجملة، فالفرض منها مجانبةُ نهيه، وإقامةُ فرضه بجميع جوارحه، ما كان مطيعاً له، فإن عَجِزَ عن القيام بفرضه لآفةٍ حلَّتْ به من مرضٍ، أو حبسٍ، أو غير ذلك، عزم على أداءَ ما افترض عليه، متى زالت عنه العلة المانعة له،

قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ﴾ [التوبة: ٩١]؛ فسمّاهم: محسنين نصيحتهم لله بقلوبهم، لما منعوا من الجهاد بأنفسهم، وقد يرفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات، ولا يرفع عنهم النصح لله لو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل بشيء من جوارحه بلسانٍ ولا غيره، غير أن عقله ثابتٌ لم يسقط عنه النصحُ لله بقلبه، وهو أن يَنْدَمَ على ذنوبه، وينوي إنْ يصحَّ أن يقوم بما افترض الله عليه، ويتجنب ما نهاه عنه، وإلا كان غيرَ ناصحٍ لله بقلبِه، وكذلك النصحُ لله، ولرسوله فيما أوجبه على الناس على أمر ربه.

ومن النصح الواجب لله: أن لا يرضى بمعصيةِ العاصي، ويحب طاعةَ مَنْ أطاع الله ورسوله.

وأما النصيحة التي هي نافلةٌ لا فرض: فبذل المحمود بإيثار الله على كل محبوبٍ بالقلب، وسائرِ الجوارح حتى لا يكون في الناصح فضل عن غيره، لأن الناصحَ إذا اجتهدَ لِمَنْ ينصحه لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكلِّ ما كان في القيام به سرورُهُ، ومحبتهُ، فكذلك الناصح لربه، وَمَنْ تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله، غير مُحِق للنصح بالكمال»[1].

وقال ابن حجر: «فالنصيحة لله: وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهراً، وباطناً، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في رد العاصين إليه»[2].

فقه الحديث:

١ - أن النصيحة تسمى: ديناً.

٢ - أن الدين يقع على العمل؛ لكونه سمّى النصيحة ديناً، كما يقع على القول.

---

(١) «تعظيم قدر الصلاة» (٢/٦٩١ - ٦٩٢).

(٢) «فتح الباري» (١/١٣٨).

٣ ـ أن النصيحة فرض عين.

٤ ـ أن النصيحة حق لكل المسلمين على اختلاف مراتبهم ومكانتهم.

٥ ـ لا بد من مراعاة شروط النصيحة عند تقديمها لمستحقها.

٦ ـ البدء بالأهم في النصح، ثم من دونهم وهكذا.

٧ ـ يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب؛ لأن الرسول ﷺ لم يبين المنصوح له حتى سئل «لِمَن»؟

٨ ـ أن النصيحة لأئمة المسلمين أهم وآكد من النصيحة لعامتهم، إذ ذكرهم أولاً، وبرشدهم يستقيم كثير من الرعية، وبضلالهم يضل الكثير؛ فالرعية تبع لهم، والناس في الغالب على دين ملوكهم.

٩ ـ الدين النصيحة، وهذا يشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل، وسمّى ذلك كله ديناً.

١٠ ـ ومن أعظم أنواع النصح للّه ـ تعالى ـ وكتابه ورسوله ما يقوم به العلماء الربانيون من الردّ على أهل الأهواء المضلّة والبدع المخلّة بالكتاب والسنّة وآثار الصحابة، وكذلك رد الأقوال الضعيفة من زلاّت العلماء وشذوذات الفقهاء.

١١ ـ ومن ذلك النصح لمَن استشارك في أمره؛ كما في قوله ﷺ: «**وإذا استنصح أحدكم أخاه؛ فلينصح له**».

١٢ ـ الضابط للنصيحة: أن تحب لأئمة المسلمين وعامتهم ما تحب لنفسك؛ لأن هذا هو تمام الإخلاص والمحبة.



٩٦ ـ (...) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ سفيان هنا هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، بخلافه في السند الماضي؛ فإنه ابن عيينة، وصرّح بذلك أبو نعيم في «المستخرج» (**١/١٤٢/١٩٣**) حيث قال: «عن سفيان بن سعيد...»، وكذلك صرّح به الحافظ المزي في «تحفة الأشراف» (**١/١٣٩**).

٢ ـ لفظ سفيان الثوري ساقه أبو نعيم في «السند المستخرج» (**١/١٤٢/١٩٣**)، حدثنا أحمد بن يوسف، ثنا عبدالرحمٰن بن مهدي عن سفيان بن سعيد عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري، عن النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» قالها ثلاثاً.

❋ **غريب الحديث:**

قوله: (**بمثله**)؛ أي: حديث سفيان الثوري مثل حديث سفيان بن عيينة.



(...) وحدّثني أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطام، حَدَّثَنا يَزِيدُ ـ يَعْنِي: ابْن زُرَيْعٍ ـ حَدَّثَنا رَوْحٌ ـ وَهْوَ ابْنُ الْقَاسِمِ ـ، حَدَّثَنا سُهَيْلٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، سَمِعَهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَبَا صَالِحٍ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بِمِثْلِهِ.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ لفظ حديث روح هذا ساقه أبو نعيم في «المستخرج الصحيح» (**١/١٤٣/١٩٧**): حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي، ثنا أمية بن بسطام، ثنا يزيد بن زريع، ثنا روح بن القاسم. (ح) وحدثنا محمد بن أبي إسحاق، ثنا الحسين بن محمد الحراني، ثنا الحسن بن يحيى الرازي، حدثنا أمية بن بسطام، ثنا يزيد بن زريع، ثنا روح بن القاسم، ثنا سهيل، عن عطاء بن يزيد سمعه، وهو يحدّث أبا صالح، عن تميم الداري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدين النصيحة، الدين**

النصيحة»، قالوا: لمَن يا رسول الله؟ قال: **«للّه، ولكتابه، ولأئمة المسلمين** ـ أو المؤمنين ـ، **ولعامتهم»**.

* غريب الحديث:

قوله: **(بمثله)**؛ أي: حديث روح بمثل حديث سفيان.



٩٧ ـ (٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ؛ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

* راوي الحديث:

هو: أبو عمرو جرير بن عبدالله بن جابر البجلي ـ بفتح الباء وسكون الجيم ـ أسلم سنة ست عشرة، وبسط له النبي ﷺ ثوباً، ووجهه إلى ذي الخلصة فهدمها، وعمل على اليمن في أيامه ﷺ، قال: ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ابتسم، وكانت نعله ذراعاً، شهد فتح المدائن، وكان على الميمنة يوم القادسية، يلقب بيوسف هذه الأمة؛ لجماله. مات ـ رضي الله عنه ـ سنة **(٥٢هـ)** أو **(٥٤هـ)**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن رواته كلهم كوفيون.

٣ ـ هذا أول محل ذكر فيه جرير بن عبدالله في صحيح مسلم.

٤ ـ حديث جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري **(٥٧ و٥٨)**.

* غريب الحديث:

قوله: **(بايعت رسول الله ﷺ)**؛ المبايعة: مفاعلة من البيع، وكانوا إذا بايعوا الإمام قبضوا على يديه توكيداً للأمر، فأشبه ذلك فعل البائع المشتري، وأما البيعة؛ فهي عرفاً معاهدة الإمام على تسليم النظر في كل الأمور إليه على وجه لا ينازع فيه.

والمعنى: أن جريراً أخبر أنه عاهد رسول الله، وعاقده على الالتزام، والقيام بشرائع هذا الدين والدعوة إليه.

وذكر منها أهمها؛ وهي: الصلاة، والزكاة، والنصيحة لكل مسلم.

وقد تقدم الكلام على النصيحة في الحديث السابق.

فقه الحديث:

١ ـ مشروعية مبايعة الأمير، والحاكم، والرئيس على إقامة الإسلام.

٢ ـ بيان أهمية النصيحة حيث ذكرت مع المبايعة، وقرنت مع الصلاة والزكاة.

٣ ـ أن البيعة المفروضة هي لولي الأمر العام، خاصة دون غيره من رؤساء الطرق والأحزاب والمناهج الهدّامة، والتي في ظاهر أمرها تخدم الدِّين، وترشد المسلمين.

٤ ـ أن لكل مسلم على أخيه المسلم واجبات، تجمعها النصيحة.

٥ ـ بيان منقبة جرير بن عبدالله؛ وهي: مبايعته رسول الله ﷺ.

٦ ـ أن النصيحة عنوان الحرص والمحبة للآخرين، وهي للمسلمين والمشركين؛ ولكنها آكد وأوجب في حق المسلمين.

٧ ـ تحريم الغش والخديعة، بل يجب على المسلم أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله.

ومن ذلك ما قاله النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ومما يتعلق بحديث جرير منقبةٌ ومكرمةٌ لجرير ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده، اختصارها: أن جريراً ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أمر مولاه أن يشتري له فرساً، فاشترى بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه؛ لينقده الثمنَ، فقال جرير ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ لصاحب الفرس: فرسك خيرٌ من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبدالله، فقال: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يَرْضَى، وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها، فقيل له في ذلك، فقال: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم»[1].



٩٨ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيان عَنْ زِيادِ بْنِ عِلاقَةَ، سَمِعَ جَرِيرَ بْنِ عَبْدِاللهِ يقُولُ: بايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ سفيان هنا هو ابن عيينة؛ لأن جميع الرواة عنه كلهم من الطبقة العاشرة.

وأما إذا كان الراوي من الطبقة التاسعة، وأطلق سفيان؛ فالمراد الثوري؛ لأن هؤلاء من كبار أصحابه، فإذا رووا عن ابن عيينة بيَّنوه، وإنما يبهمون الثوري لشهرتهم بالرواية عنه.

٢ ـ هذا الإسناد من رباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهي ستة.

تقدم شرحه في الحديث الذي قبله.



(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/٤٠).

٩٩ ـ (. . .) حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، قَالا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ سَيَّار، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَرِيرٍ؛ قَالَ: بايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي: «**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**» وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. قَالَ يَعْقُوبُ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ أن مسلماً قال: حدثنا سيّار؛ لأن هشيماً: مدلسٌ، وقد بيّن بهذه الإشارة اللطيفة ـ التي تبين جلالته في هذا الفن ودقته في تحمُّل ألفاظ المشايخ وحفظها وروايتها كما سمعها دون خلط ـ؛ أنّ السند سلم من عنعنة المدلس بتصريح يعقوب أن هشيماً قال: حدثنا.

٢ ـ هذا الإسناد من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**على السمع والطاعة**)؛ أي: عاهدته على الانقياد لكل ما يأمرني به دون عصيانٍ مما أوحاه الله إليه، وأمرنا القيام به.

قوله: (**فلقنني: فيما استطعت**)؛ أي: أمرني أن أقول عند مبايعتي: فيما أستطيع فعله، وذلك، لأن الإنسان قد يعجز في بعض الأحيان عن فعل بعض المأمور به، وهذا موافق لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، منبهة على أن اللازم من الأمور المبايع عليها هو ما يطاق ويستطاع، وهو المشترط في أصل التكليف. فيفهم منه العفو عن السقطة، والهفوة، والغفلة، والخطأ، ونحوها.

وقوله: (**فيما استطعت**): قد تكون بالفتح أو بالضم؛ فإذا كانت بالفتح، فالمعنى: قال لي إن السمع والطاعة فيما تستطيع. وأما الضم فالمعنى: لقنني فيما استطعت؛ أي: قل فيما استطعت.

وكلاهما صحيح ومتجه.

فقه الحديث:

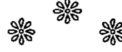
١ ـ بيان كمال حرص النبي ﷺ، وشفقته على أُمته.

٢ ـ أن التكليف في الشرع بالمستطاع لا غير.

٣ ـ على العالم والمعلم تصحيح أخطاء المتعلم، وتقويم لسانه، أو مقاله.

٤ ـ ومنه تعلم خطأ من يقول: الواجبات أكثر من الأوقات؟!

٥ ـ أن الحرج والخطأ معفو عنه في الإسلام.



٢٤ ـ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية؛ على إرادة نفي كماله

١٠٠ ـ (٥٧) حدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بِنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيُّ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولانِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

قالَ ابْنُ شِهَاب: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ؛ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُحَدِّثُهُمْ هَؤُلاءِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُلْحِقُ مَعَهُنَّ: «**وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةَ ذَاتَ شَرَفٍ، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، حِينَ يَنْتَهِبُهَا، وَهُو مُؤْمِنٌ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ بالنسبة للسند الأول، وأما الثاني فسباعي.

٢ ـ نصفه الأول مسلسل بالمصريين، ونصفه الثاني بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٢٤٧٥).

❃ غريب الحديث:

قوله: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**؛ الزنى: هو وطء وقع على غير نكاح صحيح، ولا شبهة نكاح، ولا ملك يمين، أو إيلاج فرج محرّم في فرج محرّم شرعاً، مشتهًى طبعاً، من حيث هو كذلك.

والمعنى: أن المؤمن إذا وقع في الزنا، فإن الإيمان يرفع عنه حال فعله القبيح، وينتفي عنه اسم الإيمان الكامل بسبب المعصية، ولا يرجع إليه إلاّ بعد التوبة الصادقة.

قوله: **(ولا يسرق...)**؛ والسرقة: هي أخذ مال الغير خفية دون إذنه. ويُقال في تفسير هذه الجملة والتي تليها ما قيل في الأولى.

قوله: **(ولا يشرب الخمر...)**؛ والخمر: كل ما خامر العقل، وأصله التغطية، فكأن الذي يشربها قد غُطِّي على عقله من أثرها.

قوله: **(ولا ينتهب نهبة ذات شرف، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم...)**؛ النهبة: هو المال المنهوب، والمنهوب: المأخوذ من غير قسمة ولا تقدير، جهراً وقهراً.

قوله: **(ذات شرف)**: لها قدر عظيم رفيع.

والمعنى: أن المؤمن إذا انتهب مالاً رفع الإيمان منه، وهو الإيمان الفعلي؛ لا القولي ولا الاعتقادي، وبهذا ينتفي عنه اسم الإيمان الكامل حال فعلته هذه.

وذكر المنهوب، ووصفه بالشرف، ونظر الناس إليه، يدل على مزيد الجرأة والقوة، وفي المقابل عدم قدرة الناس على رده، ودحره، وإيقافه عند حدّه.

⟡ فقه الحديث:

١ ـ بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، وأنها تنفي الاتصاف به على وجه الكمال.

٢ ـ بيان تغليظ تحريم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنها من الكبائر الموجبة للحد.

٣ ـ أن الزاني داخل في هذا الوعيد سواءً كان بكراً أم محصناً، ذكراً أم أنثى، أجنبية المزني بها أم محرمة عليه.

٤ ـ أن ما أطلق عليه الشرع اسم الزنا لا يدخل في هذا الوعيد إن لم يكن فيه الوطء؛ كزنا العينين، واليدين، وغيرها.

٥ ـ أن السارق المنتهب داخل في هذا الوعيد؛ إن كان المسروق والمنتهب بلغ نصاب القطع عند العلماء؛ وتكون كبيرة.

٦ ـ أن شارب الخمر داخل في الوعيد، سواء كان المشروب منه كثيراً أم قليلاً.

٧ ـ الرد على الخوارج والمعتزلة في تكفيرهم مرتكب الكبيرة، وإن اختلفوا في تسميته.

قال ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ:

«إذ لو كان كفراً ينقل عن الملّة؛ لكان مرتدًّا يُقتل على كلِّ حال، ولا تجرى الحدود في الزنى والسرقة وشرب الخمر، وهذا معلوم بطلانه وفساده من دين الإسلام... ونصوص الكتاب والسنّة والإجماع تدل على أنَّ الزاني والسارق والقاذف لا يُقتل بل يقام عليه الحد، فدلَّ على أنه ليس بمرتد»[١].

وقال أبو عبيد ـ رحمه الله ـ في ردِّه على مكفِّري المسلم بالمعصية:

«ثمَّ قد وجدنا الله تبارك وتعالى يكذِّب مقالتهم، وذلك أنَّه حكم في السارق بقطع اليد، وفي الزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يَكفُرُ صاحِبُهُ ما كان الحكم على هؤلاء إلا القتل، لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن بدّل دِينَهُ فاقْتُلُوهُ**».

أفلا ترى أنَّهم لو كانوا كفاراً لما كانت عقوباتهم القطع والجلد؟

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٢١ ـ ٣٢٢).

وكذلك قول الله فيمن قتل مظلوماً: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ الآية [الإسراء: ٣٣]، فلو كان القتل كفراً ما كان للولي عفو ولا أخذ دية ولزمه القتل»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:

«وكذلك كل مسلم يعلم أنَّ شارب الخمر والزاني والقاذف والسارق لم يكن النبي ﷺ يجعلهم مرتدِّين يجب قتلهم، بل القرآن والنقل المتواتر يبيِّن أنَّ لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام، كما ذكر الله في القرآن جلد القاذف والزاني، وقطع السارق، وهذا متواتر عن النبي ﷺ، ولو كانوا مرتدِّين لقتلهم، فكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسول ﷺ»[2].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: فإذا كانت المعاصي لا تزيل إيماناً، ولا توجب كفراً مُخرجاً من الملَّة؛ فالمراد بنفي الإيمان الوارد في هذه الأحاديث؛ هو: نفي كمال الإيمان لا أصل الإيمان، يدلك على ذلك دليل وشاهد:

أمَّا الدليل؛ فهو حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عند أبي داود بإسناد صحيح، قال ﷺ: **«إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان كالظلَّة فإذا انقلع منه رجع إليه الإيمان»**.

وأمَّا الشاهد؛ فهو مناظرة جرت بيني وبين أحد رؤوس التكفير ـ قبل ثلاثين سنة ـ حول هذه الأحاديث حيث استدل بها على تكفير الزاني وشارب الخمر والسارق... إلخ.

فانتصرت لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة باللُّغة؛ فقلت له: هذه الأحاديث لا تدلُّ على مرادك من الناحية اللُّغويَّة؛ فضلاً عن الآثار السَّلفيَّة الواردة عن الصحابة والتابعين.

فقال: كيف ذلك؟

قلت: لأنَّ الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال.

---

(١) «الإيمان» (ص٨٨ ـ ٨٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/٢٨٧ ـ ٢٨٨).

فهذه الجملة بيّنت حال الزاني والسارق وشارب الخمر وهو يقارف الإثم والفحشاء، فإذا انخلع من معصيته عاد إليه إيمانه؛ فبُهت ولم يحر جواباً.

قال أبو عبيد ـ رحمه الله ـ:

«فإن قال [قائل]: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه؟

قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنَّهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئاً ولا عملت عملاً، وإنَّما وقع معناهم هاهنا [على] نفي التجويد، لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عاملٌ بالاسم، وغير عامل في الإتقان، حتى تكلَّموا به فيما هو أكثر من هذا، وذلك كرجل يَعُقُّ أباه ويبلغ منه الأذى فيقال: ما هو بولده، وهم يعلمون أنَّه ابن صلبه، ثمَّ يقال مثله في الأخ والزوجة والمملوك، وإنَّما مذهبهم في هذه المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبِرّ.

وأمَّا النكاح والرق والأنساب، فعلى ما كانت عليه أماكنها وأسماؤها، فكذلك هذه الذنوب التي ينفى بها الإيمان، إنَّما أحبطت الحقائق منه الشر التي هي من صفاته، فأمَّا الأسماء فعلى ما كانت قبل ذلك ولا يقال لهم مؤمنين وبه الحكم عليهم.

وقد وجدنا مع هذا شواهد لقولنا من التنزيل والسنّة»[1].

٨ ـ الرد على المرجئة المبتدعة في دعواهم أن المعصية لا تضر الإيمان، ولا تنقصه.

٩ ـ التحذير من أعظم أصول المفاسد؛ وهي: استباحة الفروج المحرمة، والأموال المحرمة، وما يؤدي إلى الإخلال بالعقول.

١٠ ـ زوال اسم الإيمان بترك الواجبات لا يقتضي كفره بل ما زال مسلماً:

ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن قول النبي ﷺ: «**لا يزني**

(١) «الإيمان» (ص٩٠ ـ ٩٢).

الزاني حين يزني وهو مؤمن»: «وهذا هو الإيمان الذي ينزع منه لم ينزع منه نفس التصديق، ولهذا قيل: هو مسلم وليس بمؤمن؛ فإن المسلم المستحق للثواب لا بدّ أن يكون مصدقاً، وإلا كان منافقاً؛ لكن ليس كل مَن صدق قام بقلبه من الأحوال الإيمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله، ومثل خشية الله والإخلاص له في الأعمال والتوكُّل عليه»[(١)].

ـ وقال: «الذين قالوا من السلف: إنهم خرجوا من الإيمان إلى الإسلام، لم يقولوا: إنه لم يبقَ معهم من الإيمان شيء، بل هذا قول الخوارج، والمعتزلة»[(٢)].

ـ وقال: «مَن قال فيه النبي ﷺ: «**إنه ليس بمؤمن**» أنه يقال لهم: مسلمون لا مؤمنون؛ واستدل السلف بالقرآن والسنة على نفي اسم الإيمان مع إثبات اسم الإسلام، وبأن الرجل قد يكون مسلماً ومعه كفر لا ينقل عن الملة، بل كفر دون كفر، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ قالوا: كفر لا ينقل عن الملة، وكفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم. وهذا ـ أيضاً ـ مما استشهد به البخاري في صحيحه»[(٣)].

ـ وقال مقرراً كلام محمد بن نصر المروزي: «ثم أوجب الله النار على الكبائر، فدلّ بذلك على أن اسم الإيمان زائل عمّن أتى كبيرة. قالوا: ولم نجده أوجب الجنة باسم الإسلام، فثبت أن اسم الإسلام له ثابت على حاله، واسم الإيمان زائل عنه. فإن قيل لهم في قولهم هذا: أليس الإيمان ضد الكفر؟ قالوا: الكفر ضد لأصل الإيمان، لأن للإيمان أصلاً وفروعاً فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر، فإن قيل لهم: فالذين زعمتم أن النبي ﷺ أزال عنهم اسم الإيمان هل فيهم من الإيمان شيء؟ قالوا: نعم أصله ثابت، ولولا ذلك لكفروا»[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٠٦/٧).
(٢) المصدر السابق (٢٤٠/٧).
(٣) المصدر نفسه (٣٥٠/٧ ـ ٣٥١).
(٤) المصدر نفسه (٣٢٠/٧).

وقال ـ أيضاً ـ:

«وذكر الشالنجي: أنه سأل أحمد بن حنبل عن المُصِر على الكبائر يطلبها بجهده؛ أي: يطلب الذنب بجهده، إلا أنه لم يترك الصلاة، والزكاة، والصوم؛ هل يكون مصرًّا مَن كانت هذه حاله؟ قال: هو مصر مثل قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» يخرج من الإيمان، ويقع في الإسلام، ومن نحو قوله: «**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**» ومن نحو قول ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ فقلت له: ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض؛ **فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه**. وقال ابن أبي شيبة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»: لا يكون مستكمل الإيمان، يكون ناقصاً من إيمانه»(١).

ـ وقال: «وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دلّ على: عدمه أو ضعفه»(٢).

١١ ـ مَن ترك عمل الأركان الواجب لا يخلد في النار:

ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرِّين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول ﷺ، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم مَن أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدِّين مباحي الدماء، ولكن «الأقوال المنحرفة» قول مَن يقول بتخليدهم في النار، كالخوارج، والمعتزلة. وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أن أحداً منهم يدخل النار؛ بل نقف في هذا كله»(٣).

١٢ ـ الذي ينفي أصل الإيمان عن صاحب المعصية هم الخوارج والمعتزلة:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٢٥٣ ـ ٢٥٤).
(٢) المصدر السابق (٧/٦٤٤).
(٣) المصدر السابق (٧/٢٩٧).

ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما «الخوارج»، و«المعتزلة» فيخرجونهم من اسم الإيمان والإسلام؛ فإن الإيمان والإسلام عندهم واحد؛ فإذا خرجوا عندهم من الإيمان خرجوا من الإسلام؛ لكن الخوارج تقول: هم كفار؛ والمعتزلة تقول: لا مسلمون ولا كفار؛ يُنزلونهم منزلة بين المنزلتين»[1].

ـ وقال: «فأحمد بن حنبل لم يرد قط أنه سلب جميع الإيمان فلم يبقَ معه منه شيء، كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فإنه قد صرّح في غير موضع: بأن أهل الكبائر معهم إيمان يخرجون به من النار، واحتج بقول النبي ﷺ: **«أخرجوا من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**، وليس هذا قوله ولا قول أحد من أئمة أهل السنّة، بل كلهم متفقون على أن الفسّاق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين، لكن إذا كان معه بعض الإيمان لم يلزم أن يدخل في الاسم المطلق الممدوح، وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هؤلاء فقال: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**؛ وقال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه»**؛ وقال: **«لا يؤمن مَن لا يأمن جاره بوائقه»**، وأقسم على ذلك مرات وقال: **«المؤمن مَن أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»**.

و«المعتزلة» ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية، واسم الإسلام أيضاً، ويقولون: ليس معه شيء من الإيمان والإسلام، ويقولون: نزله منزلة بين منزلتين، فهم يقولون: إنه يخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعة»[2].

ـ وقال: «ثم قالت «الخوارج والمعتزلة»: الطاعات كلها من الإيمان؛ فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان»[3].

١٣ ـ الجهمية والمرجئة هم الذين يقولون أن صاحب المعصية كامل الإيمان:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٢٤٢).

(٢) المصدر السابق (٧/٢٥٧).

(٣) المصدر السابق (٧/٥١٠).

ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وقالت «المرجئة، والجهمية»: ليس الإيمان إلا شيئاً واحداً لا يتبعض، إما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة، قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءاً منه، فإذا ذهبت ذهب بعضه، فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان، وهو قول المعتزلة والخوارج»[(١)].

ـ قال شيخ الإسلام ـ عندما تكلم على أهل المعاصي ـ:

«وكل أهل السنّة متفقون على أنه قد سلب كمال الإيمان الواجب؛ فزال بعض إيمانه الواجب لكنه من أهل الوعيد، وإنما ينازع في ذلك من يقول: الإيمان لا يتبعض من الجهمية والمرجئة فيقولون: إنه كامل الإيمان»[(٢)].

١٤ ـ الوعد بالجنة معلّق باسم الإيمان لا باسم الإسلام:

ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«والوعد الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلّق باسم الإيمان، وأما اسم الإسلام مجرداً فما علق به في القرآن دخول الجنة، لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يُقبل من أحد سواه»[(٣)].

ـ وقال: «فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة، وبالسلامة من العذاب، علق باسم الإيمان المطلق، والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك»[(٤)].

١٥ ـ قبل دخول الجنة يُنَقَّى المسلم العاصي بأسباب المغفرة، فلا يدخل الجنة إلا وهو مؤمن:

ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:

أحدها: التوبة، وهذا متفق عليه بين المسلمين، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٥١٠).
(٢) المصدر السابق (٧/٢٥٨).
(٣) المصدر السابق (٧/٢٦٠).
(٤) المصدر السابق (٧/٣٤٨).

السبب الثاني: الاستغفار، كما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم**». فإن لم يكن مع التوبة فيكون في حق بعض المستغفرين، الذين قد يحصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب، كما في حديث البطاقة بأن قول: لا إله إلا الله ثقلت بتلك السيئات؛ لما قالها بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات؛ وكما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل أي قلبها إذ ذاك من الإيمان، وأمثال ذلك كثير.

السبب الثالث: الحسنات الماحية، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤].

وقال ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر**»، وقال: «**مَن حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**».

السبب الرابع: الدافع للعقاب: دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلهم يشفعون، إلا شفعوا فيه**» رواه مسلم.

هذا دعاء له بعد الموت. فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن التقي الذي اجتنب الكبائر، وكفرت عنه الصغائر وحده، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين. فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت.

السبب الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر: كالصدقة ونحوها، فإن هذا ينتفع به بنصوص السنّة الصحيحة الصريحة، واتفاق الأئمة، بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**مَن مات وعليه صيام صام عنه وليُّه**».

السبب السادس: شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة: كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

السبب السابع: المصائب التي يكفِّر الله بها الخطايا في الدنيا كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب؛ ولا نصب؛ ولا هم؛ ولا حزن؛ ولا غم؛ ولا أذى ـ حتى الشوكة يشاكها ـ إلا كفّر الله بها من خطاياه**».

السبب الثامن: ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

السبب التاسع: أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

السبب العاشر: رحمة الله، وعفوه، ومغفرته بلا سبب من العباد»[1].

● **تكميل:**

أورد شيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً نفيساً؛ سئل ـ رحمه الله تعالى ـ عن معنى حديث النبي ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان فوق رأسه كالظلة، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان**» رواه الترمذيّ، وأبو داود، وهل يكون الزاني في حالة الزنا مؤمناً أو غير مؤمن؟ وهل حَمَلَ الحديث على ظاهره أحد من الأئمة، أو أجمعوا على تأويله؟

فأجاب: الحمد للّه، الناس في الفاسق من أهل الملّة؛ مثل: الزاني والسارق والشارب ونحوهم ثلاثة أقسام: طرفان ووسط:

[**أحد الطرفين**]: أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه، ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان، ثم من هؤلاء مَن يقول: هو كافر كاليهوديّ والنصرانيّ وهو قول الخوارج، ومنهم مَن يقول: نُنَزِّله منزلةً بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر، وهم المعتزلة، وهؤلاء يقولون: إن أهل الكبائر يُخَلَّدون في النار، وأن أحداً منهم لا يخرج منها، وهذا من مقالات أهل البدع التي دلّ الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على خلافها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٤٨٨ ـ ٤٩٠).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فسمّاهم مؤمنين، وجعلهم إخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض، وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] ولو أعتق مذنباً أجزأ عتقه بإجماع العلماء.

ولهذا يقول علماء السلف في المقدمات الاعتقادية: لا نُكَفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نُخرجه من الإسلام بعمل، وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي ﷺ، ولم يحكم فيهم حُكْمَ مَن كفر، ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، بل جَلَد هذا، وقطع هذا، وهو في ذلك يستغفر لهم، ويقول: «**لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم**»، وأحكام الإسلام كلها مرتّبة على هذا الأصل.

[**الطرف الثاني**]: قول مَنْ يقول: إيمانهم باق كما كان لم ينقص؛ بناءً على أن الإيمان هو مجرد التصديق، والاعتقاد الجازم، وهو لم يتغير، وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة والجهمية ومَن سلك سبيلهم، وهو أيضاً قول مخالف للكتاب والسنّة وإجماع السابقين، والتابعين لهم بإحسان، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، وقال: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»، وقال لوفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم**».

وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك: أنه قول القلب، وعمل القلب، ثم قول اللسان، وعمل الجوارح.

فأما قول القلب: فهو التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ.

ثم الناس في هذا على أقسام: منهم مَن صدَّق به جملةً، ولم يَعْرِف التفصيل، ومنهم مَن صَدَّق جملةً وتفصيلاً، ثم منهم مَن يدوم استحضاره وذكره لهذا التصديق، ومنهم مَن يَغْفُل عنه ويَذْهَل، ومنهم مَن استبصر فيه بما قذف الله في قلبه من النور والإيمان، ومنهم مَن جزم به لدليلٍ، قد تعترض فيه شبهة، أو تقليدٍ جازمٍ، وهذا التصديق يتبعه عمل القلب، وهو حب الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، وتعظيم الله ورسوله ﷺ، وتعزير الرسول وتوقيره، وخشية الله، والإنابة إليه، والإخلاص له، والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلُّها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجابَ العلة المعلولَ، ويتبع الاعتقادَ قولُ اللسان، ويتبع عملَ القلب الجوارحُ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك.

وعند هذا؛ فالقول الوسط الذي هو قول أهل السنّة والجماعة: أنهم لا يسلَبُون الاسم على الإطلاق، ولا يُعطونه على الإطلاق، فنقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، ويقال: ليس بمؤمن حقاً، أو ليس بصادق الإيمان.

وكل كلام أُطلق في الكتاب والسنّة، فلا بد أن يقترن به ما يبيّن المراد منه، والأحكامُ منها ما يترتب على أصل الإيمان فقط، كجواز العتق في الكفارة، وكالموالاة والموارثة ونحو ذلك، ومنها ما يترتب على أصله وفرعه، كاستحقاق الحمد والثواب، وغفران السيئات، ونحو ذلك.

إذا عرفت هذه القاعدة، فالذي في «الصحيح» قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهْبة ذات شرف يَرفَع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن**»، والزيادة التي رواها أبو داود والترمذي صحيحة، وهي مفسرة للرواية المشهورة.

فقول السائل: هل حَمَلَ الحديث على ظاهره أحدٌ من الأئمة؟ لفظ مشترك، فإن عَنَى بذلك أن ظاهره أن الزاني يصير كافراً، وأنه يُسْلَب الإيمان بالكلية، فلم يَحمِل الحديث على هذا أحدٌ من الأئمة، ولا هو أيضاً ظاهرُ الحديث؛ لأن قوله: «**خرج منه الإيمان، فكان فوق رأسه كالظُّلَّة**» دليل على أن الإيمان لا يفارقه بالكلية، فأن الظُّلَّة تُظَلِّل صاحبها، وهي متعلقة، ومرتبطة به نوعَ ارتباط.

وأما إن عَنَى بظاهره ما هو المفهوم منه، كما سنفسره ـ إن شاء الله ـ فنعم، فإن عامة علماء السلف يُقِرُّون هذه الأحاديث، ويُمِرُّونها كما جاءت، ويَكرهون أن تُتَأوّل تأويلات تُخرجها عن مقصود رسول الله ﷺ، وقد نُقِل كراهة تأويل أحاديث الوعيد عن سفيان، وأحمد بن حنبل، وجماعة كثيرة من العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ، ونَصَّ أحمد على أن مثل هذا الحديث لا يُأوَّل تأويلاً يُخرجه عن ظاهره المقصود به، وقد تأوله الخطابيّ وغيره تأويلات مستكرهة، مثل قولهم: لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي، أي: ينبغي للمؤمن أن لا يفعل ذلك، وقولِهم: المقصود به الوعيد والزجر دون حقيقة النفي، وإنما ساغ ذلك لِمَا بين حاله وحال مَن عُدِم الإيمان من المشابهة والمقاربة، وقولِهم: إنما عُدِم كمال الإيمان وتمامه، أو شرائعه وثمراته، ونحو ذلك، وكل هذه التأويلات لا يَخفى حالها على مَن أمعن النظر.

فالحق أن يقال: نفس التصديق المفرِّق بينه وبين الكافر لم يَعْدَمه، لكن هذا التصديق لو بقي على حاله لكان صاحبه مصدقاً بأن الله حَرَّم هذه الكبيرة، وأنه توعد عليها بالعقوبة العظيمة، وأنه يَرَى الفاعلَ ويشاهده وهو ﷻ مع عظمته وجلاله وعلوه وكبريائه يمقت هذا الفاعلَ، فلو تصور هذا حقَّ التصور لامتنع صدور الفعل منه، ومتى فعل هذه الخطيئة فلا بد من أحد ثلاثة أشياء: إما اضطراب العقيدة بأن يعتقد بأن الوعيد ليس ظاهره كباطنه، وإنما مقصوده الزجر، كما تقوله المرجئة، أو أن هذا إنما يحرم على العامّة دون الخاصّة، كما يقوله الإباحية، أو نحو ذلك من العقائد التي تُخرج عن الملة، وإما الغفلة والذهول عن التحريم، وعظمةِ الربّ، وشدة

بأسه، وإما فرط الشهوة، بحيث يقهر مقتضى الإيمان، ويمنعه موجبه، بحيث يصير الاعتقاد مغموراً مقهوراً، كالعقل في النائم والسكران، وكالروح في النائم.

ومعلوم أن الإيمان الذي هو الإيمان ليس باقياً كما كان؛ إذ ليس مستقرًّا ظاهراً في القلب، واسم المؤمن عند الإطلاق إنما ينصرف إلى مَن يكون إيمانه باقياً على حاله عاملاً عمله، وهو يُشبه من بعض الوجوه روح النائم، فإنه ﷺ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فالنائم ميت من وجه حيّ من وجه، وكذلك السكران والمُغْمَى عليه عاقل من وجه وليس بعاقل من وجه.

فإذا قال قائل: السكران ليس بعاقل، فإذا صحا عاد عقله إليه كان صادقاً، مع العلم بأنه ليس بمنزلة البهيمة؛ إذ عقله مستور، وعقل البهيمة معدوم، بل الغضبان ينتهي به الغضب إلى حال يَعْزُب فيها عقله ورأيه، وفي الأثر: إذا أراد الله نفاذَ قضائه وقدره، سَلَب ذوي العقول عقولهم، فإذا أنفذ قضاءه وقدره، رَدَّ عليهم عقولهم ليعتبروا، فالعقل الذي به يكون التكليف لم يُسْلَب، وإنما سُلب العقل الذي به يكون صلاح الأمور في الدنيا والآخرة.

كذلك الزاني والسارق والشارب والمنتهب لم يَعْدَم الإيمانَ الذي به يستحق أن لا يُخَلَّد في النار، وبه تُرجى له الشفاعة والمغفرة، وبه يَستحِقُّ المناكحة والموارثة، لكن عَدِمَ الإيمانَ الذي به يَستحق النجاة من العذاب، ويَستحق به تكفير السيئات، وقبول الطاعات، وكرامة الله ومثوبته، وبه يَستحق أن يكون محموداً مرضيًّا.

وهذا يُبيِّن أن الحديث على ظاهره الذي يليق به، والله تعالى أعلم»[1] ا.هـ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٦٧٠).

١٠١ ـ (...) وحدّثني عَبْدُالمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ. قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهاب: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي**»، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ. يَذْكُرُ مَعَ ذِكْرِ النُّهْبَةِ. وَلَمْ يَذْكُرْ: ذَاتَ شَرَفٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ هٰذَا، إلا النُّهْبَةَ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ لفظ حديث عقيل: ساقه البخاري في «صحيحه» (**٢٤٧٥**): حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي بكر ابن عبدالرحمٰن، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».

٢ ـ قوله: «قال ابن شهاب»: هذا موصول بالإسناد الذي قبله، وهو إسناد عبدالملك، وليس معلّقاً.

✲ غريب الحديث:

قوله: (**يذكر مع ذكر النهبة**) من غير هاء الضمير؛ حذفها لكونها فضلة.

قوله: (**ولم يذكر: ذات شرف**)؛ أي: أن عقيلاً ذكر النهبة ولم يذكر قوله: «**ذات شرف**».

قوله: (**بمثل حديث أبي بكر هذا، إلا النهبة**)؛ أي: أن سعيد بن

المسيب وأبا سلمة حدّثا ابن شهاب بمثل حديث أبي بكر ابن عبدالرحمٰن غير أنهما ليس في حديثهما ذكر النهبة.

وقد تقدم لفظهما في أول أحاديث الباب من طريق يونس عن ابن شهاب عنهما.



١٠٢ ـ (...) وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عِيسى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي بَكْرِ ابْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ ابْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَذَكَرَ النُّهْبَةَ، وَلَمْ يَقُلْ: «**ذَاتَ شَرَفٍ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قول المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ولم يقل: «**ذات شرف**»؛ أي: أن رواية الأوزاعي ليس فيها «**ذات شرف**» وهذه الرواية لم نقف عليها.

وطريق الأوزاعي: أخرجه أبو نعيم في «مستخرجه» **(١/١٤٥/٢٠١)**، وأبو عوانة في «مسنده» **(١/٢٩/٣٧)**، وابن حبان في «صحيحه» **(١/٤١٤)**، وابن منده في «الإيمان» **(٢/٥٩٥)** من طرق عن الأوزاعي، وفيه ذكر: «**ذات شرف**».

❃ غريب الحديث:

قوله: (**بمثل حديث عقيل...**)؛ أي: لفظ حديث الأوزاعي مثل لفظ حديث عقيل.

قوله: (**وذكر النهبة**)؛ أي: ذكر الأوزاعي قوله: «**ولا ينتهب نهبة...**».

قوله: **(ولم يقل: ذات شرف)**؛ أي: أنها غير مذكورة في رواية الأوزاعي.

تقدم شرحه.



١٠٣ ـ (...) حدّثني حَسَنُ بْنُ عَليٍّ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْم، عَنْ عَطاءِ بْنِ يَسَارٍ، مَوْلَى مَيْمُونَةَ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

● **فوائد الإسناد:**

١ ـ لم يذكر الإمام مسلم من هذا السند، وإنما أحاله على حديث الزهري؛ كما سيأتي.

٢ ـ هذا الحديث ساقه أبو نعيم (٢٠٢/٢٠٢/١): حدثنا أبو إسحاق محمد بن سليمان بن إبراهيم الهاشمي، ثنا أبو بكر أحمد بن عمرو البزاز، ثنا محمد بن عبدالرحيم، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا عبدالعزيز بن المطلب عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار وحميد بن عبدالرحمٰن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف حين ينتهبها وهو مؤمن**».



(...) (ح)، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ...

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ لم يسق الإمام مسلم المتن، بل أحاله في كلامه الآتي على حديث الزهري.

٢ ـ وساق المتن أبو نعيم في «مستخرجه» **(١/١٤٦/٢٠٤)**.

حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة، ثنا محمد بن أبي السّريّ. (ح) وحدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا محمد بن سهل، ثنا سلمة بن شبيب، قالا: ثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسرق السارق وهو حين يسرق مؤمن، ولا يزني زان وهو حين يزني مؤمن، ولا يشرب الخدود** ـ يعني: الخمر ـ **وهو حين يشربها مؤمن، والذي نفس محمد بيده، لا ينتهب أحدكم نُهبةً ذاتَ شَرَف يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها وهو حينئذ مؤمن، ولا يَغُلُّ أحدكم حين يَغُلّ وهو مؤمن، فإياكم وإياكم**»، لفظهما واحد.

وساقه ابن منده ـ أيضاً ـ في «الإيمان» **(٢/٥٩٧/٥١٣)**:

أنبأنا محمد بن الحسين، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن همام، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني أحدكم وهو حين يزني مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبة يرفع المسلمون إليه أعينهم وهو مؤمن، ولا يَغُلُّ أحدكم وهو حين يَغُلُّ مؤمن، فإياكم إياكم**».

تقدم شرحه.



(. . .) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ ـ يَعْنِي: الدَّراوَرْدِيَّ ـ عَنِ الْعَلاءِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّ

هؤُلاءِ بِمِثْلِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ. غَيْرَ أَنَّ الْعَلاَ، وَصَفْوَانَ بْنَ سُلَيْم لَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا: «**يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ**»، وَفِي حَدِيثِ هَمَّام: «**يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنَهُمْ فِيهَا، وَهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ**»، وَزَادَ: «**وَلا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغُلُّ وَهُو مُؤْمِنٌ، فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ لفظ صفوان سبق من رواية أبي نعيم.

٢ ـ لفظ العلاء: أخرجه ابن منده في «الإيمان» (**٥١٦/٥٩٨/٢**):

أنبأ محمد بن إبراهيم بن الفضل، وأحمد بن إسحاق، قالا: ثنا أحمد بن سلمة، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا إسماعيل بن جعفر. (ح) وأنبأ محمد بن عبيدالله بن أبي رجاء، ثنا موسى بن هارون، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الدراوردي عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة حين ينتهبها وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**».

٣ ـ حديث همام سبق في رواية أبي نعيم وابن منده.

❃ غريب الحديث:

قوله: (**ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن**)؛ يُقال: غلَّ في المغنم، يغلّ غلولاً؛ فهو غالٌ.

والغلول: الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل قسمتها، وكل من خان في شيء خفية؛ فقد غلّ، وسميت: غلولاً؛ لأن الأيدي فيها مغلولة؛ أي: مجعول فيها غلٌّ؛ وهو: الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، كما في «النهاية».

والمعنى: أن الغالّ من المؤمنين ينزل من كمال الإيمان إلى أصله، وينفى عنه كمال الإيمان حال فعله.

قوله: «**فإياكم إياكم**»: هذا التركيب يسمى عند النحاة: التحذير؛ أي: احذروا هذه الأفعال القبيحة المشينة؛ التي تُنقص الإيمان، وتبعد صاحبها أو فاعلها من رحمة الرحيم الرحمٰن ـ سبحانه ـ.

فقه الحديث:

١ ـ تحريم الغلول، والتحذير منه.

٢ ـ وقوع الوعيد على مرتكب الغلول.

٣ ـ المبالغة في التحذير من كل ما يغضب الرحمٰن ويرضي الشيطان.

٤ ـ التنبيه على جماع أبواب المعاصي والتحذير منها، فنبّه بالزنا على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا، والحرص على الحرام، وبشرب الخمر على جميع ما يصد عن الله، ويوجب الغفلة عن حقوقه، وبالانتهاب الموصوف على الاستخفاف بعباد الله ـ تعالى ـ، وترك توقيرهم والحياء منهم، وجمع الدنيا من غير وجهها.



١٠٤ ـ (...) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍ عن شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمانَ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**».

غريب الحديث:

قوله: (**والتوبة معروضة بعد**)؛ أي: أن التوبة من الكبائر والصغائر؛ بل ومن الكفر مقبولة بشروطها، مفتوح بابها لمن أقبل على ربه وأناب وتاب. ودلائل هذا الأمر من الكتاب والسنّة أكثر من أن تحصر.

فقه الحديث:

١ ـ بيان سعة رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده، وعظم فضله عليهم.

٢ ـ منهج القرآن والسنة هو شفع الرهبة بالرغبة، فإن الشارع لما رهّبهُ من فعل المعصية؛ رغّبه في التوبة، وفسح له في إصلاح ما أفسد.

٣ ـ دعوة العصاة إلى التوبة، فإن الذنب مهما كبر وعظم؛ فإن رحمة الله أعظم وأكبر.

٤ ـ مَن تاب من ذنب وهو متلبس بآخر صحّت توبته خلافاً للمعتزلة.



١٠٥ ـ (...) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنا سُفْيانُ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَفَعَهُ؛ قَالَ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي**»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ.

فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (رفعه)؛ أي: رفع أبو هريرة ـ ﷺ ـ الحديث إلى النبي ﷺ.

٢ ـ قوله: (ثم ذكر بمثل حديث شعبة): فاعل ذكر هو سفيان؛ أي: أن سفيان الثوري ذكر الحديث بمثل ما ذكره شعبة.

٣ ـ رواية سفيان: ساقها الإمام أحمد في «السند» (٨٥٤٠) حدثنا عبدالرزاق قال: أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة رفعه، قال: «**لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد**».



٢٥ ـ باب بيان خصال المنافق

١٠٦ ـ (٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ نُمَيْرٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْر، حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ. (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَش، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَبْدِالله بْنِ عَمْرِو قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كَانَ مُنافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفاقٍ حَتَّى يَدَعَها: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيانَ: «**وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلة مِنَ النِّفَاقِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (٦٣/٣٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ بالنسبة لطريق عبدالله بن نمير، ومن سباعياته بالنسبة لطريق سفيان، فطريق سفيان نازل.

٢ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق.

٣ ـ قوله: (غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ) استثناء من سياق الحديث؛ فإنه رواه من طريقين: طريق عبدالله بن نمير، وطريق سفيان الثوريّ، كلاهما عن الأعمش، فأشار إلى أنهما اتّفقا في سياق اللفظ إلا أن سفيان رواه بلفظ: «**وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»، بدل رواية ابن نمير بلفظ: «**وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ...**» إلخ.

٤ ـ رواية سفيان أخرجها البخاري في «صحيحه» فقال:

حدثنا قبيصة بن عقبة، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرّة، عن مسروق، عن عبدالله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: **«أربع مَن كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كَذَب، وإذا عاهد غَدَر، وإذا خاصم فَجَر»**.

٥ ـ حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٥٤).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أربع من كن فيه**)؛ أربع: أي: خلال أو خصال، وليس المراد بالعدد الحصر في الغالب.

قوله: (**كان منافقاً خالصاً**)؛ النفاق: هو مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في الاعتقاد؛ فهو: نفاق كفر؛ وإلا؛ فهو: نفاق العمل.

والمعنى: أن هذه الخصال المذمومة إن صدرت ممن يبطن الكفر ويظهر الإسلام؛ فهو: المنافق الذي ليس بعد نفاقه نفاق.

وإن صدرت من مسلم؛ فهو كامل النفاق العملي الذي لا يخرجه عن دائرة الإسلام؛ بل يخرجه من كمال الإيمان الواجب، وكل من الأول والثاني قد استكمل صفات المنافقين الذين توعدهم رب العالمين بالعذاب المهين.

قوله: (**ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها**)؛ الخلة: هي الخصلة، وجمعها خلال كخصال وزناً ومعنًى.

والمعنى: أن من وقع وتلبّس بخصلة من هذه الخصال التي يأتي ذكرها؛ فقد شابه المنافقين في إحدى صفاتهم، إلاّ إن تركها.

قوله: **(إذا حدّث كذب)**؛ والكذب هو: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع.

والمعنى: أن حديثه على الدوام؛ غير صحيح، ولا موافق للواقع.

قوله: **(وإذا عاهد غدر)**؛ والعهد: الأمان والذمة والحفاظ ورعاية الحرمة.

والغدر: نقض العهد وترك الوفاء به، وهو عكس العهد.

والمعنى: أن من صفات المنافق نقض العهد، وترك الوفاء.

قوله: **(وإذا وعد أخلف)**؛ وهي كالتي قبلها، الإعراض عن الوفاء.

قوله: **(وإذا خاصم فجر)**؛ أي: إذا جادل غيره خرج عن الحق والعدل، وانبعث في المعاصي غير مكترث.

فقه الحديث:

١ ـ كما أن الإيمان درجات، كذلك الكفر دركات.

٢ ـ كما أن الإيمان له شعب، كذلك الكفر له شعب وخصال.

٣ ـ بيان بعض علامات النفاق.

٤ ـ التحذير من النفاق.

٥ ـ أن العبد قد يجتمع فيه إسلام وكفر، وإيمان ونفاق.

● تكميل لكل نبيل:

قال شيخنا فقيه الزمان ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«هذه الخصال الأربع، هل هي علامات أو علل؟

نقول: إن كلام النبي ﷺ يفسر بعضه بعضاً، ففي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: **«آية المنافق»** وقال: **«من علامات النفاق»** فتكون هذه الخصال الأربع علامات لا عللاً.

والفرق بين هذا وهذا، أننا إذا جعلناها عللاً؛ صار المتصف بها منافقاً، وإذا جعلناها علامات؛ صار المتصف بها يدل على أنه منافق، ولكن لا يلزم من ذلك النفاق، إذا اتصف بها مَن ليس بمنافق، ولكن تكون فيه خصلة من خصال النفاق، فإذا رأيت الإنسان كلما حدّث كذب، وكلما وعد أخلف، وكلما عاهد غدر، وكلما خاصم فجر؛ فاتهمه بالنفاق العقدي، لماذا؟ لأن هذه من علامات المنافقين، والأصل أن وجود العلامة دليل على وجود ما هي علامة عليه، هذا هو الأصل.

فإذا كان هذا الرجل، كلما حدث كذب، وكلما وعد أخلف، وكلما عاهد غدر، وكلما خاصم فجر؛ فهذا دليل على أنه منافق، لكن لا يلزم أن يكون منافقاً، إذ قد تقع من غير المنافقين، وفي هذا دليل على ما يلي:

١ ـ تحريم الكذب؛ لأنه من خصال المنافقين، ومَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم.

٢ ـ تحريم الغدر، وقد وردت نصوص أخرى تدل على ذلك، وأنه من كبائر الذنوب.

٣ ـ تحريم إخلاف الوعد، وهذا فيه خلاف بين العلماء، فمنهم مَن قال: إن الوفاء بالوعد ليس بواجب، ولكنه سنّة، وهذا هو المشهور عند فقهاء الحنابلة، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن الوفاء بالوعد واجب، وأن إخلافه محرّم إلا لعذر، وهذا القول هو الصحيح، وأنك إذا وعدت أحداً ـ ولو على فنجان قهوة ـ فيجب عليك أن تفي له بالوعد، إلا إذا كان له عذر، ثم إذا كان العذر طارئاً وأمكنك أن تعتذر منه قبل أن يتأهب لك؛ وجب عليك أن تخبره وإلا إن كان طارئاً ـ في حال لا يمكنك أن تعتذر منه ـ فأنت معذور، هذا هو القول الراجح لأربعة أسباب:

الأول: لأن الرسول ﷺ جعله مع الغدر بالعهد، ومع الكذب في الحديث، ومع الفجور في الخصومة، فما الذي يخرج هذا عن نظائره؟ لا شيء.

الثاني: أنه قد يترتب على إخلاف الوعد من الضرر على الموعود، ما يجعل هذا الشيء محرّماً لا شك فيه.

الثالث: أنه خصلة نفاق، ومَن تشبَّه بقوم؛ فهو منهم.

الرابع: أنه يؤدي إلى ألاّ يوثق بالأمة الإسلامية إذا كان هذا ديدن أهلها: يعدون ولا يفون.

فالصواب، أن الوفاء بالوعد واجب، وأن إخلاف الوعد محرّم، إلا للضرورة، فللضرورة أحكام تناط بها.

فإن قيل: هل يدخل في خلف الوعد مَن يؤخره مثلاً، بحيث يعدك ويؤخرك؟

فالجواب: أن التأخير المعتاد لا يُعد إخلافاً، لو وعده الثانية عشرة وأتى في الساعة الثانية عشرة وربع، لا يعد هذا إخلافاً، لكن لو وعده الساعة الثانية عشرة وأتى الساعة الخامسة، فهذا إخلاف، اللهم إلا أن يكون وعده لعمل يشمل جميع النهار، وأنه لا فرق بين أن يأتي في أول النهار، أو في آخره، فهذا شيء آخر»(١).



١٠٧ ـ **(٥٩)** حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَاللَّفْظ لِيَحْيَى. قالا: حَدَّثَنَا إِسْماعِيلُ بْنُ جَعْفرٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) التعليق على «كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٢٥٢ ـ ٢٥٤).

٢ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: أبو سهيل عن أبيه.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٣).

* غريب الحديث:

قوله: **(آية المنافق ثلاث)**؛ الآية: العلامة، وتقدم أن العدد ليس له مفهوم الحصر.

قوله: **(إذا حدّث)**: عبّر في الجمل الثلاث (إذا) الدالة على تحقق الوقوع تنبيهاً على أن هذه عادة المنافق، وأن الفعل يتكرر منه.

قوله: **(وإذا اؤتمن خان)**: الخيانة ضد الأمانة.

فقه الحديث:

١ ـ أن العدد لا يفيد الحصر في الغالب.

٢ ـ أن الخيانة من صفات المنافقين.

● تكميل:

تكلم العلماء على أوجه الجمع بين حديث ابن عمرو وحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ من حيث عدد خصال النفاق، ولهم في ذلك أوجه كثيرة، منها:

١ ـ يحتمل أنه ﷺ استجد له من العلم بحالهم ما لم يكن عنده، فإما بالوحي، وإما بالمشاهدة لواقعهم.

٢ ـ ليس بين الحديثين تعارض، لأن العدد لا يلزم منه الحصر، ويدل على ذلك أنه حصل في مجموع الحديثين خمس خصال للمنافقين.

٣ ـ أنه نبّه بالعلامات الثلاث على ما عداها؛ إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية.

فنبّه على فساد القول بالكذب، ونبّه على فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، لأن خلف الوعد لا يقدم إلا إذا انعقدت النية عليه مع الوعد، أما إذا عرض له مانع، أو بدا له رأي؛ فهذا ليس من صفات المنافقين.



١٠٨ ـ (. . .) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ إِسْحاقَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَم، أَخْبَرَنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلاَءُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ يَعْقُوبَ، مَوْلَى الْحُرَقَةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مِنْ عَلاماتِ الْمُنافِقِ ثَلاَثَةٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤتُمِنَ خَانَ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: **(مولى الحرقة)**: بطن من جهينة.

قوله: **(من علامات المنافق)**؛ أي: من الخصال التي يتصف بها.

فقه الحديث:

١ ـ قوله ﷺ: «**من علامات المنافق**»؛ دليل على أن العدد ليس للحصر بل له علامات أخرى، ولكن هذه المذكورات أبرزها، وأشدها ضرراً.



١٠٩ ـ (. . .) حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَم الْعَمِّيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ أَبُو زُكَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلاَءَ بْنَ عَبْدِالرَّحْمٰنِ يُحَدثُ بِهذَا الإِسْنادِ، وقَالَ: «**آيَةُ الْمُنافِقِ ثَلاثٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أبو زكير لقب، وكنيته: أبو محمد.

٢ ـ قوله: (يحدث بهذا الإسناد)؛ إشارة إلى السند المتقدم: عن أبيه عن أبي هريرة.

٣ ـ قوله: (وقال: آية المنافق...)؛ أن محمد بن يحيى قال في روايته عن العلاء: قال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث، وإن صام وصلّى، وزعم أنه مسلم**» بدل: «**من علامات المنافق ثلاثة**...».

❃ غريب الحديث:

قوله: (**وزعم أنه مسلم**): وإن ادّعى تمسُّكه بأمور الإسلام؛ لأن فعله يشهد بخلاف زعمه، وباطنه يكذّب ظاهره.

فقه الحديث:

١ ـ أن المراد بهذه النصوص المسلم، وليس الكافر الزنديق.

٢ ـ أن المصلي، ومثله الصائم يقع في خصال من النفاق أحياناً.

٣ ـ أن المنافق نفاقاً اعتقادياً كافر مرتد؛ وإن زعم: أنه مسلم يصلي، ويصوم.



١١٠ ـ (...) وحدّثني أَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ، وَعَبْدُالأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، قَالا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْعَلاءِ. ذَكَرَ فِيهِ: «**وَإِنْ صَامَ، وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

➢ فوائد الإسناد:

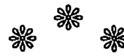
١ ـ (بمثل حديث يحيى بن محمد عن العلاء)؛ أي: لفظ حديث أبي نصر التمّار، وعبدالأعلى بن حماد مثل حديث شيخه يحيى بن محمد بن قيس عن العلاء عن أبيه.

٢ ـ رواية أبي نصر التمّار هذه أخرجها ابن حبّان في «صحيحه» (١/٤٩٠/٢٥٧):

أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار، حدثنا أبو نصر التمّار، حدثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، وحبيب عن الحسن؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ مَن كُنّ فيه؛ فهو منافق، وإن صام، وصلّى، وزعم أنه مسلم: مَن إذا حدّث كذب، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا ائتُمِن خان»**.

وأما روايةُ عبدالأعلى بن حمّاد؛ فقد أخرجها الحافظ ابن منده في «الإيمان» (٢/٦٠٦/٥٣٠):

أنبأ خيثمة بن سليمان، ثنا أبو قلابة، عبدالملك بن محمد الرقاشيّ، وأنبأ محمد بن سعد، وأحمد بن إسحاق؛ قالا: ثنا محمد بن أيوب، ثنا أبو سلمة، وعلي بن عثمان. (ح) وأنبأ أحمد بن عبيد الحمصي، ثنا أحمد بن علي بن سعيد، ثنا عبدالأعلى بن حمّاد، قالوا: ثنا حمّاد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثٌ مَن كُنّ فيه؛ فهو منافق، وإن صام، وصلّى، وزعم أنه مؤمن: إذا حَدَّث كذب، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا اؤتُمِن خان»**.



٣٦ ـ باب بيان حال إيمان مَن قال لأخيه المسلم: يا كافر

١١١ ـ {٦٠} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ وَعَبْدُاللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، قَالا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (٨/١).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالفقهاء: عبيدالله عن نافع عن ابن عمر.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عبيدالله عن نافع.

٤ ـ حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦١٠٤).

✵ غريب الحديث:

قوله: (**إذا كفّر الرجل أخاه؛ فقد باء بها أحدهما**): كفّر: ـ بالتشديد ـ ومعناه: نسبه إلى الكفر.

وأصل الكفر: التغطية والستر، ومنه سُمي الزارع: كافراً.

وفي الشرع: جحد المعلوم من دين الإسلام ضرورة، وهذا هو الذي جرى عليه عرف الشرع، وهو أنواع كثيرة؛ منها: الجحود، والتكذيب، والإعراض، والشك، والإباء، وقد شرحتها وبينتها في كتابي: «منهج السلف في التكفير».

والمقصود بالأخ هنا؛ أُخوة الدين لا النسب.

وباء؛ أي: رجع ولزم.

والمعنى: أن المسلم الذي يتسرع؛ فيطلق على أخيه المسلم الحكم بالكفر، دون بينةٍ نيرة، وبرهان صحيح صريح؛ فهذا الوصف والحكم أولى أن يرجع إلى قائله؛ إن لم يكن كذلك.

فكأنه يقول: احذر أن تتكلم بهذا الكلام دون ضوابط؛ فتحكم بغير علم؛ فيرجع عليك وبال قولك.

فقه الحديث:

١ ـ البعد كل البعد عن التكفير، وما دونه من التبديع، والتفسيق بلا برهان شرعي يسوغ ذلك.

٢ ـ بيان شدة خطورة اللسان.

٣ ـ وجوب صون المنطق عمّا لا يحل.

٤ ـ الأصل في أعراض المسلمين الحفظ، والاحترام.

٥ ـ أن الأحكام التي لا تصيب موطناً ترجع إلى صاحبها.

٦ ـ رمي المسلمين بالكفر من كبائر الذنوب التي يجب المسارعة إلى التوبة منها بتكذيب نفسه، وطلب المسامحة له من أخيه في ذلك.



(...) وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيميُّ، وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعاً عَنْ إِسْماعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنا إِسْماعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِالله بْنِ دِينارٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَيُّمَا امْرِىءٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كافِرُ! فَقَدْ باءَ بِها أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»**.

➢ **فوائد الإسناد:**

من رباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

❃ **غريب الحديث:**

قوله: **(أيما امرىء)**؛ امرىء: يقال للمفرد المذكر، ويُثنّى ولا يُجمع، وأما الأنثى فيقال لها: امرأة؛ وتُثنّى ولا تجمع أيضاً.

وإذا تمعن القارىءُ في الألفاظ يجد أن الحكم عام في كل أحدٍ يقول هذا القول دون تفصيل بين جاهل وعالم، متأول وغير متأول؛ لأن النكرة في سياق النفي والنهي تعم.

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث:

فقال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذا الحديث إشكال من حيث إن المسلم المُصَدّق لا يَكْفُر عند أهل الحقّ بهذا وأمثاله؛ فمِن أهل العلم: مَن حمله على المستحلّ لذلك، ومنهم مَن قال: معناه رَجَعَت عليه نقيصته لأخيه، إذا لم يكن كما قال بكذبه عليه.

وهذان الوجهان مباعدان لظاهر الحديث.

ومنهم: مَن حمله على الخوارج المكفِّرين للمؤمنين.

وهذا يأباه كون الصحيح أن الخوارج لا يُكَفَّرون، وإن كُفِّرُوا؛ فلا فرق في تكفيرهم بين أن يكون المقول له ذلك كافراً، أو لا يكون.

فأقول ـ والله أعلم ـ: إن لم يكن أخوه كافراً كما قال رجع عليه تكفيره، فليس الراجع إليه هو الكفر، بل التكفير، وذلك لأن أخاه إذا كان مؤمناً، وقد جعله هو كافراً، مع أن المؤمن ليس بكافر، إلا عند مَن هو كافر من يهودي أو نصراني أو غيرهما، فقد لَزِمَ من ذلك كونه مُكَفِّراً لنفسه؛ ضرورةً لتكفيره مَن لا يُكَفِّره إلا كافر، ويكون الضمير في قوله: «**فقد باء بها**» بوَصْمَة التكفير، ومَعَرَّته؛ أي: إنها لاصقة بأَوْلاهما بها، وهو المقول له إن كان كما قيل، وإلا فالقائل.

وهذا معنى صحيح غير مباعد لظاهر الحديث، فإن يكن قد قاله أحد سَبَقَ؛ فأحرى له، وإلا؛ فهو مما تركه الأول للآخر ـ ولله الحمد كله، وهو أعلم.

ثم أقول: يتجه فيه معنى آخر مُطَّرِد في سائر الأحاديث القاضية بالكفر فيما ليس في نفسه كفراً، وهو أن ذلك يؤول به إلى الكفر، إذا لم يتب توبة ماحية لِجُرْمه ذلك؛ إذ المعصية إذا فَحُشَت جَرَّت بشؤمها إلى الكفر، ولذلك شواهد، ووصفُ الشيء بما يؤول إليه سائغ شائع، من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، والله أعلم.

وقد رَوَينا في بعض روايات هذا الحديث في مُستخرَج أبي عوانة الإسفراييني الحافظ على كتاب مسلم: «**فإن كان كما قال، وإلا فقد باء بالكفر**»، وفي رواية أخرى: «**أنه إذا قال لأخيه: يا كافر، وجب الكفر على أحدهما**».

فهذا إن لم يكن من عبارة بعض الرواة روايةً منه بالمعنى على ما فهمه، مع أنه ليس الأمر على ما فهمه، كما وقع في كثير من رواياتهم، فالوجه الأخير حينئذ هو الراجح المختار، والله أعلم»[1].

وقال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«قوله ﷺ: «**إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**».

هذا الحديث مما عَدّه بعض العلماء من المشكلات، من حيث إن ظاهره غير مراد، وذلك أن مذهب أهل الحقّ أنه لا يَكْفر المسلم بالمعاصي؛ كالقتل؛ والزنا، وكذا قول لأخيه: كافر اعتقاد من غير بطلان دين الإسلام، وإذا عُرِف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه:

[أحدها]: أنه محمول على المستحلّ لذلك، وهذا يَكْفُر، فعلى هذا معنى «**باء بها**»؛ أي: بكلمة الكفر، وكذا «**حار عليه**»، وهو معنى «رَجَعت عليه»؛ أي: رجع عليه الكفر، فباء، وحار، ورجع بمعنى واحد.

---

(١) «صيانة صحيح مسلم» (ص٢٣٧ ـ ٢٣٨).

[والوجه الثاني]: معناه: رَجعت عليه نقيصته لأخيه، ومعصية تكفيره.

[والثالث]: أنه محمول على الخوارج المكفِّرين للمؤمنين، وهذا الوجه نقله القاضي عياض ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، عن الإمام مالك بن أنس، وهو ضعيف؛ لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون، أن الخوارج لا يُكَفَّرون، كسائر أهل البدع.

[والوجه الرابع]: معناه: أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي كما قالوا: بريد الكفر، ويُخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر، ويؤيد هذا الوجه، ما جاء في رواية لأبي عوانة الإسفراييني في كتابه الْمُخَرَّج على «صحيح مسلم»: «**فإن كان كما قال، وإلا فقد باء بالكفر**»، وفي رواية: «**إذا قال لأخيه: يا كافر، وجب الكفر على أحدهما**».

[والوجه الخامس]: معناه: فقد رَجَع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير؛ لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفَّر نفسه، إما لأنه كَفَّر مَن هو مثله، وإما لأنه كَفَّر مَن لا يُكَفِّره إلا كافر، يعتقد بطلان دين الإسلام[1]. انتهى كلام النوويّ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قال النووي: اختُلِف في تأويل هذا الرجوع، فقيل: رجع عليه الكفر، إن كان مستحلاً، وهذا بعيد من سياق الخبر، وقيل: محمول على الخوارج؛ لأنهم يُكَفِّرون المؤمنين، هكذا نقله عياض عن مالك، وهو ضعيف؛ لأن الصحيح عند الأكثرين أن الخوارج لا يُكَفَّرون ببدعتهم.

ولما قاله مالك وجه؛ وهو: أن منهم مَن يُكَفِّر كثيراً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ممن شَهِدَ له رسول الله ﷺ بالجنة، وبالإيمان، فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة، لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل.

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/٤٩ ـ ٥٠).

والتحقيق: أن الحديث سِيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وذلك قبل وجود فِرْقة الخوارج وغيرهم.

وقيل: معناه: رجعت عليه نقيصته لأخيه، ومعصية تكفيره، وهذا لا بأس به.

وقيل: يُخشى عليه أن يؤول به ذلك إلى الكفر، كما قيل: المعاصي بريد الكفر، فيخاف على مَن أدامها، وأصرّ عليها سوء الخاتمة.

وأرجحُ من الجميع أن مَن قال ذلك لمَن يَعْرِف منه الإسلام، ولم يَقُم له شبهة في زعمه أنه كافر؛ فإنه يَكْفُر بذلك، كما سيأتي تقريره، فمعنى الحديث: فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير، لا الكفر، فكأنه كَفَّر نفسه؛ لكونه كَفَّرَ مَن هو مثله، ومَن لا يُكَفِّره إلا كافر، يعتقد بُطلان دين الإسلام، ويؤيده أن في بعض طرقه: «**وَجَبَ الكفر على أحدهما**».

وقال القرطبيّ: حيث جاء الكفر في لسان الشرع، فهو جَحْد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعية، وقد وَرَد الكفر في الشرع بمعنى جحد النعم، وترك شكر المنعم، والقيام بحقه، ومنه قوله ﷺ: «**يكفِّرن الإحسان، ويكفِّرن العشير**» متفقٌ عليه، قال: وقوله: «**باء بها أحدهما**»؛ أي: رجع بإثمها، ولازم ذلك، وأصل الْبَوْء اللزوم، ومنه: «**أبوء بنعمتك**»؛ أي: أُلْزمها نفسي، وأُقرّ بها، قال: والهاء في قوله: «**بها**» راجع إلى التكفيرة الواحدة التي هي أقل ما يدل عليها لفظ كافر، ويحتمل أن يعود إلى الكلمة.

والحاصل: أن المقول له إن كان كافراً كفراً شرعياً، فقد صَدَق القائل، وذهب بها المقول له، وإن لم يكن، رجعت للقائل مَعَرَّة ذلك القول وإثمه.

قال الحافظ: كذا اقتصر على هذا التأويل في «رَجَعَ»، وهو من أعدل الأجوبة، وقد أخرج أبو داود من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - بسند جيّد رفعه: «**إن العبد إذا لَعَنَ شيئاً، صَعِدت اللعنة إلى السماء، فتُغلَق أبواب السماء دونها، ثم تَهْبط إلى الأرض، فتأخذ يمنةً ويسرة، فإن لم تَجِد مَسَاغاً**

رجعت إلى الذي لُعِنَ، فإن كان أهلاً، وإلا رَجَعت إلى قائلها»، وله شاهد عند أحمد، من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بسند حسن[1].

والصحيح من أقوال العلماء في هذا الحديث وأمثاله مما سيأتي أن يقال: إنه يحمل على الكفر الحقيقي في حق المستحل لذلك القول، وأما غير المستحل، فيقال: إنه محمول على كفران النِّعم والحقوق؛ فإنه قابل الإحسان بالإساءة، وهذا يصدق عليه اسم الكافر، وعلى فعله؛ أنه كفر ـ لغةً وشرعاً ـ ويراد به الكفر الأصغر كفر دون كفر، ويُقال ـ أيضاً ـ: إن فاعله تشبّه بأفعال أهل الكفر ـ من الجاهليين ـ، وأيضاً: يقال: إن الحديث إنما ورد على سبيل التغليظ، والزجر لفاعل ذلك.

فقه الحديث:

١ ـ التنفير والترهيب من هذا الفعل الشنيع.

٢ ـ النهي عن التشبُّه بالكافرين والجاهليين في عاداتهم وعباداتهم.



---

(١) «فتح الباري» (١٠/٤٨١).

٣٧ ـ باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم

١١٢ ـ (٦١) وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ بْنُ عَبْدِالْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُعَلِّمُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمرَ؛ أَنَّ أَبا الأَسْوَدِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُل ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ؛ إِلا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ الله، وَلَيْس كَذَلِكَ إلا حَارَ عَلَيْهِ**».

❋ راوي الحديث:

أبو ذر الغفاري هو: جندب بن جنادة، من أعيان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وزهّادهم، أسلم قديماً بمكة، ثم انصرف إلى قومه، قدم المدينة على النبي ﷺ، سكن الربذة، وتوفي بها سنة (٣٢هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من ثمانيات المصنف ـ رحمه الله ـ؛ فهو سند نازل.

٢ ـ أن ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض؛ وهم: عبدالله بن بريدة، ويحيى بن يعمر، وأبو الأسود. ورواية الأولين من رواية الأقران؛ فإنهما من طبقة واحدة.

٣ ـ حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٣٥٠٨).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه؛ إلا كفر**): أن كل من انتسب إلى غير أبيه نسبة مزعومة لا صلة له بها لا من قريب، ولا من بعيد؛ فهو من فعل أهل الجاهلية الكفرة والمشركين.

وهذا الفعل إنما يفعله أهل الجفاء، والجهل والكبر؛ لخسّة منصب الأب ودناءته، فيرى الانتساب إليه عاراً، ونقصاً في حقه، ولا شك أن هذا الفعل من الفظاعة، والشناعة بمكان.

قوله: **(ومن ادّعى ما ليس له فليس منّا؛ وليتبوأ مقعده من النار)**: كل من ادّعى حاجة، أو نسباً، أو علماً، وهو كاذب في دعواه هذه، ليس له حق فيها؛ ليس على نهج رسول الله، وسنّته، وهديه، وطريقته، في الدين. وليُعد لنفسه مكاناً في نار الله التي أعدّها للعصاة. والدافع لهذا الفعل الشنيع؛ هو الكبر والحسد وعدم محبة الخير للآخرين، وهذه الأخلاق من المهلكات.

قوله: **(ومن دعا رجلاً بالكفر...)**: تقدم الكلام عليه في الحديث السابق.

فقه الحديث:

١ ـ أن الانتساب إلى غير الأب والأجداد من الكبائر.

٢ ـ أنّ هذا الحكم إنما هو مقيد بعلم فاعله إثباتاً ونفياً.

٣ ـ أن ادّعاء المال، أو النسب، أو العلم وغيرها كذباً ـ أيضاً ـ من المحرمات الكبائر.

٤ ـ رجوع الحكم، والدّعاء الظالم على الآخرين على صاحبه.

٥ ـ إبطال التبني الذي كان مشروعاً موجوداً أول الأمر.

٦ ـ جواز إطلاق الكفر على المعاصي التي لا تخرج صاحبها، أو فاعلها من دائرة الإسلام.

٧ ـ إبطال الدعاوى التي لم تقم البينة عى صحتها.

٨ ـ لا تدخل جنة الله بالنسب، فلا يفيد الشريف النسب ـ إن لم يكن من أهل التقوى ـ كما لم يفد أبا لهب.

٩ ـ الأخذ بالاحتياط؛ لأن من لا يستحق ذلك رجع على القائل.

١٠ ـ دليل على أن حكم الحاكم لا يُحِل حراماً؛ خلافاً للحنفية.

١١ ـ خطورة التكفير بغير بيِّنة، وهي ورطة عظيمة، وقع فيها كثير من العباد وبخاصة لما اختلفوا في العقائد والمناهج.

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«هذان الحديثان: عن ابن عمر، وأبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يدلان على مسألة خطيرة وهي وصف الغير بالكفر، فإذا دعا أحدٌ من الناس رجلاً بالكفر، فقال له: يا كافر! أو: يا عدو الله! فإما أن يكون المخاطب كافراً عدوًّا لله، فهذا وصف استحقه، وإما أن لا يكون كذلك، فإنها ترجع إلى القائل.

وفي هذا نص صريح على أنه يجب علينا أن نتريث في الحكم على الغير بالكفر، وأن لا نجعل الكفر من الأحكام التي تصدر عنا، دون الرجوع إلى كلام الله، وكلام رسوله ﷺ.

ولا شك أن الأمر خطير، وأنه يوجد الآن قوم يتسرعون في هذا الأمر، فيحكمون على الشخص بالكفر إذا قال كلمة تحتمل الكفر وعدمه، فضلاً عن النظر في حاله: هل هو عالم، أو جاهل؟

والكفر لا يحكم به إلا إذا علمنا أن هذه الكلمة كفرٌ، أو هذا الفعل كفرٌ، وأن الفاعل أو القائل غير معذور بما قال، أو بما فعل، سواء كان عذره بجهل، أو عذره بتسرُّع، أو عذره بغفلة، أو عذره بإكراه، المهم أن نعلم أن القائل أو الفاعل ليس معذوراً، فصار لا بد من أمرين:

الأول: تحقق أن هذا كفر، ومن أين نأخذ هذا التحقق؟ نأخذه من الكتاب والسنّة.

الثاني: تحقق أن الذي صدر منه هذا ـ الذي دلّ الدليل على أنه كفر ـ غير معذور بجهل، أو بغفلة، أو فرح شديد، أو بغضب شديد، أو غير ذلك، المهم العذر.

ومن الأعذار: أن يكون متأولاً تأويلاً سائغاً، أو تأويلاً غير سائغ، لكن لم يجد مَن ينبهه عليه.

وإذا كنا لا نتجرأ على أن نقول: هذا حرام، أو هذا واجب إلا بدليل من الشرع، فعدم تجرؤنا بأن هذا كفر من باب أوْلى؛ لأن فاعل المحرم غاية ما يكون أن يكون عاصياً، فاسقاً، لكن الكافر إذا حكمنا أنه كافر؛ فقد أخرجناه من الملة»[1].



١١٣ ـ (٦٢) حدّثني هارُونُ بْنُ سَعِيد الأيْلي، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ؛ فَهُوَ كُفْرٌ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: جعفر عن عراك.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ قد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٦٧٦٨).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**لا ترغبوا عن آبائكم**...)؛ الرغبة: من رَغِبَ، يقال: رَغِبَ بالشيء إذا أحبه، وطلبه وطمع فيه وحرص عليه، ورَغِبَ عن الشيء إذا كرهه، وزهد فيه وتركه.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان في صحيح مسلم» (ص٢٥٦ ـ ٢٥٧).

والمعنى: لا تكرهوا النسبة إلى آبائكم وأجدادكم؛ لتترفعوا عن هذا النسب؛ لدناءته، فهذا فعل أهل الجاهلية.

١ ـ تغليظ تحريم الانتساب إلى غير الأب الحقيقي، والنسب الواضح.

٢ ـ المعاصي من فروع الكفر العملي الأصغر؛ أي: من باب كفر دون كفر.

٣ ـ تحريم العقوق والقذف.

٤ ـ الوعيد يشمل مَن انتسب لغير أبيه عالماً عامداً مختاراً.



١١٤ ـ (٦٣) حدّثني عَمْرٌو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ، أَخْبَرَنا خَالِدٌ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: لَمَّا ادُّعِيَ زِيَادٌ، لَقِيتُ أَبَا بَكْرَةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ؟ إِنِّي سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: سَمِعَ أُذُنايَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَى أَباً فِي الإِسْلام غَيْرَ أَبِيهِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ؛ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: وَأَنا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ.

❋ راوي الحديث:

أبو بكرة: هو نفيع بن الحارث بن كَلَدَة الثقفي، نزل عن حصن الطائف متدلياً ببكرة في جماعة من الغلمان، وأسلم، فأعتقه النبي ﷺ، كان من فضلاء الصحابة، توفي بالبصرة سنة (٥١هـ) أو (٥٢هـ).

سعد بن أبي وقاص: زهري قرشي يكنى أبا إسحاق، واسم أبيه مالك، خامس الإسلام أو سابعهم، وأحد العشرة المبشَّرين، أول مَن رمى بسهم في سبيل الله، شهد المشاهد كلها، وفتح العراق، كان مجاب الدعوة، قصيراً غليظاً، آدم، أشعر، توفي بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحُمل على رقاب الناس إلى المدينة، ودُفن في البقيع سنة (٥٥هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي.

٣ ـ أبو بكرة لقب بصورة الكنية.

٤ ـ هذا الحديث من مسند أبي بكرة وسعد بن أبي وقاص ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ.

٥ ـ هذا الحديث متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ **(٤٣٢٦)**.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(لمّا ادُّعي زيادٌ)**: الذي ادّعاه هو معاوية بن أبي سفيان ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ ادّعى أنه أخٌ له من أبيه، فلحقه وكان من أصحابه.

قوله: **(لقيت أبا بكرة، فقلت له: ما هذا الذي صنعتم؟)**: القائل؛ هو: أبو عثمان، قال هذا ظناً منه أن أبا بكرة وافق زياداً في الانتساب إلى أبي سفيان.

وأبو بكرة يكون أخاً لزياد من أمه، فما كان من أبي بكرة إلاّ أن احتج لتبرئة نفسه من هذا الظن الخاطىء بحديث النبي ﷺ الذي فيه حرمة الانتساب إلى غير الأب، وبيان عقوبة من فعل هذا.

وذكروا أن أبا بكرة قد هجر زياداً، ولم يكلمه ألبتة.

وزياد هذا يعرف بـ«زياد بن أبي سفيان»، و«زياد ابن أبيه»، و«زياد ابن أُمه»، و«زياد بن عبيد الثقفي»، وهو من شر الرعاء.

وفيه التغليظ في حق من فعل هذا الفعل، وشدة عقوبته حيث لا يدخل الجنة إن كان مستحلاً، وتقدم التوجيه في ما مضى.

فقه الحديث:

١ ـ وجوب إنكار المنكر، ولو على الفضلاء، والكبراء.

٢ ـ إبطال التبني، ووجوب نسبة الأبناء لآبائهم.

٣ ـ الاحتجاج بحديث النبي ﷺ على المخالف.

- **تنبيه لكل نبيه:**

استلحاق معاوية بن أبي سفيان لزياد؛ فهي مسألة اجتهاد، ومعاوية ـ رضي الله عنه ـ سمع ذلك من أبيه.

ولقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الموضوع، فقال:

«وكذلك استلحاق معاوية ـ رضي الله عنه ـ زياد ابن أبيه المولود على فراش الحارث بن كَلَدَة؛ لكون أبي سفيان كان يقول: إنه من نطفته، مع أنه ﷺ قد قال: «**مَن ادَّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام**»، وقال: «**مَن ادَّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**» حديث صحيح، وقضى أن الولد للفراش، وهو من الأحكام المجمع عليها، فنحن نعلم أن مَن انتسب إلى غير الأب الذي هو صاحب الفراش، فهو داخل في كلام الرسول ﷺ، مع أنه لا يجوز أن يُعَيَّن أحد دون الصحابة فضلاً عن الصحابة، فيقال: إن هذا الوعيد لاحق به؛ لأمكان أنه لم يبلغهم قضاء رسول الله ﷺ بأن الولد للفراش، واعتقدوا أن الولد لمَن أحبل أمه، واعتقدوا أن أبا سفيان هو الْمُحْبِل لسُمَيّة: أم زياد، فإن الحكم قد يَخْفَى على كثير من الناس، لا سيما قبل انتشار السنة، مع أن العادة في الجاهلية كانت هكذا، أو لغير ذلك من الموانع المانعة هذا المقتضى للوعيد، أن يَعْمَل عمله من حسنات تمحو السيئات، وغير ذلك.

وهذا باب واسع، فإنه يدخل فيه جميع الأمور المحرّمة بكتاب أو

سنّة، إذا كان بعض الأمة لم يبلغه أدلة التحريم، فاستحلُّوها، أو عارض تلك الأدلة عندهم أدلة أخرى، رأوا رجحانها عليها، مجتهدين في ذلك الترجيح، بحسب عقلهم وعلمهم، فإن التحريم له أحكام من التأثيم والذم والعقوبة والفسق، وغير ذلك، لكن لها شروط وموانع، فقد يكون التحريم ثابتاً، وهذه الأحكام منتفية؛ لفوات شرطها، أو وجود مانع، أو يكون التحريم منتفياً في حقّ ذلك الشخص، مع ثبوته في حق غيره.

وإنما ردّدنا الكلام؛ لأن للناس في هذه المسألة قولين:

[أحدهما]: وهو قول عامّة السلف، والفقهاء أن حكم الله واحد، وأن مَن خالفه باجتهاد سائغ مخطىءٌ معذورٌ مأجورٌ، فعلى هذا يكون ذلك الفعل الذي فعله المتأول بعينه حراماً، لكن لا يترتب أثر التحريم عليه؛ لعفو الله ـ تعالى ـ عنه، فإنه لا يُكَلِّف نفساً إلا وسعها.

[والثاني]: في حقه ليس بحرام؛ لعدم بلوغ دليل التحريم له، وإن كان حراماً في حقّ غيره، فتكون نفس حركة ذلك الشخص، ليست حراماً، والخلاف متقارب، وهو شبيه بالاختلاف في العبارة.

فهذا هو الذي يمكن أن يقال في أحاديث الوعيد، إذا صادفت محل خلاف؛ إذ العلماء مُجْمِعُون على الاحتجاج في تحريم الفعل المتوَعَّد عليه، سواء كان محلَّ وفاق، أو خلاف، بل أكثر ما يحتاجون إليه الاستدلال بها في موارد الخلاف، لكن اختلفوا في الاستدلال بها على الوعيد، إذا لم تكن قطيعة على ما ذكرناه. انتهى كلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو شافٍ كافٍ في إزالة مشكلة حديث الباب لمَن تأمّله بإنصاف ذوي الألباب».

وقد ضرب على هذا أمثلة كثيرة قبل هذا يوضّح المسألة، حيث قال في معرض البحث عن نصوص الوعيد:

«وهذه القاعدة تظهر بأمثلة؛ منها:

أنه قد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَعَنَ الله آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه**»، وصحّ عنه من غير وجه أنه قال لمَن باع صاعين بصاع

يداً بيد: «**أَوَّهْ عينُ الربا**»، كما قال: «**البر بالبر رباً؛ إلا هاءَ وهاءَ...**» الحديث، وهذا يوجب دخول نوعَيْ الربا: ربا الفضل، وربا النسأ في الحديث.

ثم إن الذين بلغهم قولُ النبي ﷺ: «**إنما الربا في النسيئة**»؛ فاستحَلُّوا بيع الصاعين بالصاع يداً بيد، مثل ابن عباس - رضي الله عنهما -، وأصحابه: أبي الشَّعْثاء، وعطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وغيرهم، من أعيان المكيين الذين هم من صفوة الأمة، علماً وعملاً، لا يحل لمسلم أن يعتقد أن أحداً منهم بعينه، أو مَن قلَّده بحيث يجوز تقليده تبلغهم لعنة آكل الربا؛ لأنهم فعلوا ذلك متأولين تأويلاً سائغاً في الجملة.

وكذلك ما نُقِل عن طائفة من فُضلاء المدنيين، من إتيان الْمَحَاش مع ما رواه أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أتى امرأة في دبرها، فهو كافر بما أُنزل على محمد** ﷺ»، أفيستحلُّ مسلم أن يقول: إن فلاناً وفلاناً كانا كافرين بما أُنزل على محمد ﷺ؟

وكذلك قد ثبت عنه ﷺ أنه لَعَن في الخمر عشرةً: عاصرَ الخمر، ومعتصرها، وشاربها، وثبت عنه من وجوه أنه قال: «**كلُّ شراب أسكر؛ فهو خمر**»، وقال: «**كل مسكر خمر**»، وخطب عمر - رضي الله عنه - على منبره، فقال بين المهاجرين والأنصار: «**الخمر ما خامر العقل**»، وأنزل الله تحريم الخمر، وكان سبب نزولها ما كانوا يشربونه في المدينة، ولم يكن لهم شراب إلا الفَضِيخ، لم يكن لهم من خمر الأعناب شيء.

وقد كان رجال من أفاضل الأمة علماً وعملاً، من الكوفيين يعتقدون أن لا خمر إلا من العنب، وأن ما سوى العنب والتمر لا يحرم من نبيذه إلا مقدار ما يُسْكِر، ويشربون ما يعتقدون حِلَّه، فلا يجوز أن يقال: إن هؤلاء مندرجون تحت الوعيد؛ لما كان لهم من العذر الذي تأوّلُوا به، أو لموانع أُخَر، فلا يجوز أن يقال: إن الشراب الذي شربوه ليس من الخمر الملعون شاربها، فإن سبب القول العامّ لا بد أن يكون داخلاً فيه، ولم يكن بالمدينة خمر من العنب.

ثم إن النبي ﷺ قد لَعَنَ البائع للخمر، وقد باع بعض الصحابة خمراً، حتى بَلَغَ عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: قاتل الله فلاناً، ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله اليهود، حُرِّمت عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا أثمانها**»؟ ولم يكن يَعْلَم أن بيعها مُحَرَّمٌ، ولم يمنع عمر ـ رضي الله عنه ـ علمه بعدم علمه أن يُبَيِّن جزاء هذا الذنب؛ ليتناهى هو وغيره عنه بعد بلوغ العلم به، وقد لَعَنَ العاصر والمعتصر، وكثير من الفقهاء يُجَوِّزون للرجل أن يَعْصِر لغيره عِنَباً، وإن عَلِم أن من نيته أن يتخذه خمراً، فهذا نصٌّ في لعن العاصر، مع العلم بأن المعذور تَخَلَّف الحكمُ عنه لمانع.

وكذلك لَعَنَ الواصلة والموصولة في عِدّة أحاديث صحاح، ثم من الفقهاء مَن يَكْرَهه فقط.

وقال النبي ﷺ: «**إن الذي يَشْرَب في آنية الفضة، إنما يُجَرجِر في بطنه نار جهنم**»، ومن الفقهاء مَن يَكْرَهه كراهة تنزيه.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، يجب العمل به في تحريم قتال المؤمنين بغير حقّ، ثم إنا نَعلم أن أهل الْجَمَل وصِفِّين ليسوا في النار؛ لأن لهما عُذْراً، وتأويلاً في القتال، وحسناتٍ مَنَعَتْ الْمُقْتَضَى أن يَعْمَلَ عَمَله.

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**ثلاثة لا يُكَلِّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم: رجلٌ على فضل ماء، يمنعه ابنَ السبيل، فيقول الله له: اليومَ أمنعُك فضلي، كما مَنَعتَ فضل ما لم تَعْمَل يداك، ورجل بايع إماماً، لا يبايعه إلا لدنيا، إن أعطاه رضي، وإن لم يُعطه سَخِطَ، ورجل حَلَفَ على سِلعة بعد العصر كاذباً، لقد أَعْطَى بها أكثر مما أَعطَى**».

فهذا وعيدٌ عظيمٌ لمَن منع فضل مائه، مع أن طائفة من العلماء يُجَوِّزونه للرجل أن يمنع فضل مائه، فلا يمنعنا هذا الخلافُ أن نعتقد تحريمَ هذا، محتجين بالحديث، ولا يمنعنا مجيء الحديث، أن نعتقد أن المتأوِّل معذورٌ في ذلك، لا يَلْحقه هذا الوعيد.

وقال ﷺ: «**لَعَنَ الله المحلِّل، والمحلَّل له**»؛ وهو حديث صحيح، قد رُوي عنه من غير وجه، وعن أصحابه، مع أن طائفة من العلماء، صحَّحوا نكاح المحلِّل مطلقاً، ومنهم مَن صححه إذا لم يُشْتَرط في العقد، ولهم في ذلك أعذار معروفة، فإن قياس الأصول عند الأول: أن النكاح لا يَبْطُل بالشروط، كما لا يبطل بجهالة أحد العوضين، وقياس الأصول عند الثاني: أن العقود المجرَّدة عن شرط مُقتَرِن لا تغير أحكام العقود، ولم يبلغ هذا الحديث مَن قال هذا القول، هذا هو الظاهر، فإن كتبهم المتقدمة لم تتضمنه، ولو بلغهم لذكروه، آخذين به، أو مجيبين عنه، أو بلغهم وتأوَّلوه، أو اعتقدوا نسخه، أو كان عندهم ما يُعارضه، فنحن نَعلم أن مثل هؤلاء لا يصيبه هذا الوعيد، لو أنه فَعَل التحليل مُعتقداً حِلَّه على هذا الوجه، ولا يمنعنا ذلك أن نَعلم أن التحليل سبب لهذا الوعيد، وإن تخلّف في حق الأشخاص؛ لفوات شرط، أو وجود مانع»(١) ا.هـ.



١١٥ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَعْدٍ وَأَبِي بَكْرَةَ، كِلاهُمَا يَقُولُ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مُحَمَّداً ﷺ، يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**».

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية عاصم: أخرجها البخاري في قصته، فقال (**٤٣٢٦**): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا عثمان، قال: سمعت سعداً ـ وهو أول مَن رمى بسهم في سبيل الله ـ وأبا بكرة، وكان تسوَّر حصن الطائف في أناس، فجاء إلى النبي ﷺ، فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: «**مَن ادّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام**».

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/٢٦٣ ـ ٢٦٩).

(٤٣٢٧): وقال هشام: وأخبرنا معمر، عن عاصم، عن أبي العالية أو أبي عثمان النهدي، قال: سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبي ﷺ.

قال عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال: أجل، أما أحدهما: فأول مَن رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر: فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف.

* غريب الحديث:

قوله: **(وعاه قلبي)**؛ أي: حفظه.

فقه الحديث:

١ ـ تأكيد سماع الحديث من النبي، وتثبيته بذكر مثل هذه الكلمات.

٢ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ في «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص**٢٥٩ ـ ٢٦٠**):

قوله: «**فالجنة عليه حرام**»؛ يرد مثل هذا كثيراً في أحاديث الوعيد؛ لأجل التنفير مما توعد عليه، وهو يحتمل معنيين:

المعنى الأول: أن هذا الذنب قد يحيط به، حتى يصل إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ وتكون الجنة عليه حراماً تحريماً مطلقاً.

المعنى الثاني: أن نقول: إن دخول الجنة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دخول مطلق، لا يسبقه عذاب.

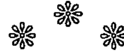
القسم الثاني: مطلق دخول ـ يعني يُسبق بعذاب ـ.

فإذا جاءت كلمة «**الجنة عليه حرام**»؛ فهي من الأول، التحريم المطلق، بمعنى: أنه لا يمكن أن يدخلها أبداً، والثاني: التحريم، أي: مطلق التحريم، فإذا جاء النص بقوله: «**الجنة عليه حرام**»، وهذا الفعل لا يخرج من الإسلام، صار المراد به الثاني، يعني: مطلق التحريم، فلا تحرم

عليه أبداً، ولكن يعذَّب بقدر عمله، ثم في النهاية يدخل الجنة.

وكذلك إذا جاء: «**لا يدخل الجنة نمّام**» أو «**لا يدخل الجنة قتّات**»؛ يعني: نمّام، نقول: الدخول قسمان: دخول مطلق، ومطلق دخول.

فقوله: «**لا يدخل الجنة نمّام**» يعني بذلك الدخول المطلق ـ الذي لم يُسبَق بعذاب ـ لا مطلق الدخول؛ لأن النميمة لا تخرج من الإسلام، فلا توجب أن يُحرم الإنسان من دخول الجنة مطلقاً»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠).

٢٨ ـ باب بيان قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر

١١٦ ـ (٦٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ الريَّانِ، وَعَوْنُ بْنُ سَلام، قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ (ح)، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كُلُّهُمْ عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عبدالله بْنِ مَسْعُود؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»**.

قَالَ زُبَيْدٌ: فَقُلْتُ لأَبِي وَائِلٍ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِالله يَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ قَوْلُ زُبَيْد لأَبِي وَائِلٍ.

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ السند الأول: من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ، والثاني: من سداسياته.

٢ ـ للمصنف فيه ثلاثة أسانيد كلها تلتقي عند زبيد.

٣ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٤٨).

٤ ـ رواه جماعة عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كما في «الإيمان» لابن منده (٦٧٢/٢).

وورد عن جماعة من الصحابة: سعد، والنعمان بن مقرن، وأبي هريرة، وعبدالله بن مغفل، وعقبة بن عامر.

فانتفى بذلك زعم مَن قال: إن أبا وائل تفرد به.

٥ ـ سبب ورود هذا الحديث كما عند البغوي والطبري من طريق عمرو بن النعمان بن مقرن المزني، قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى مجلس من مجالس الأنصار ـ ورجل من الأنصار كان عُرف بالبذاء ومشاتمة الناس ـ فقال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»؛ زاد البغوي: فقال ذلك الرجل: والله لا أسابّ رجلاً.

٦ ـ ذكر البخاري من طريق محمد بن عرعرة عن شعبة عن زبيد، قال: سألت أبا وائل عن المرجئة؟ فقال: حدثني عبدالله أن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».

٧ ـ أخرج النسائي من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة قال: قلت لحماد: سمعت منصوراً وسليمان وزُبيداً يحدّثون عن أبي وائل عن عبدالله: أن رسول الله ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» مَن تتهم؟ أتتهم منصوراً؟ أتتهم زبيداً؟ أتتهم سليمان؟ قال: لا، ولكني أتهم أبا وائل.

أ ـ حماد هو ابن أبي سليمان، وهو شيخ لشعبة، وكان مرجئاً؛ فاتهم أبا وائل؛ لأنه كان يرد بهذا الحديث على رأي المرجئة الباطل؛ كما سبق في رواية البخاري.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «فظهر من هذا أن سؤاله كان عن معتقدهم، وأن ذلك كان حين ظهورهم، وكانت وفاة أبي وائل سنة **(٩٩)**، وقيل: سنة **(٨٢)**، ففي ذلك دليل على أن بدعة الإرجاء قديمة»[١].

ب ـ اتهام حماد لأبي وائل باطل، فأبو وائل مجمع على أنه ثقة، كما قال ابن عبدالبر.

ت ـ أبو وائل لم ينفرد بهذه الرواية عن ابن مسعود بل تابعه: أبو

---

(١) «فتح الباري» (١/١٥٤).

الأحوص، وعبدالرحمٰن بن عبدالله بن مسعود، وأبو عمرو الشيباني، والأسود، وهبيرة بن يريم، ومسروق، ستتهم عن ابن مسعود.

ث ـ وكذلك ورد عن جمع من الصحابة سبق ذكرهم.

وقال الحافظ ابن رجب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقد اتّهَم بعض فقهاء المرجئة أبا وائل في رواية هذا الحديث، أما أبو وائل فليس بمتّهم، بل هو الثقة العدل المأمون، وقد رواه معه عن ابن مسعود أيضاً أبو عمرو الشيباني، وأبو الأحوص، وعبدالرحمٰن بن عبدالله بن مسعود، لكن فيهم مَن وَقَفَه، ورواه أيضاً عن النبي ﷺ سعد بن أبي وقّاص وغيره»(١).

* غريب الحديث:

قوله: **(سِباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)**؛ السِّبَابُ: مصدر، يقال: سبَّ يسب وسباباً؛ وهو الشتم، وقيل: أشد الشتم.

والفسوق: هو الخروج والميل عن الطريق، وفي الشرع: الخروج عن الطاعة.

والمعنى: أن شتم المسلم لا يجوز، وهو معصية يفسق فاعله.

قوله: **(وليس في حديث شعبة قول زبيد لأبي وائل)**؛ أي: أن شعبة رواه عن زبيد بدون قوله: «فقلت لأبي وائل».

قوله: **(وقتاله كفر)**؛ أي: من خصال الكفر، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩ و١٠].

ولذلك إذا كان قتاله مستحلاً له؛ يكفر فاعله، وإلا كان من الكفر العملي الأصغر أو كفر دون كفر، وقد شابه الكافرين في صنيعهم.

وكل هذه الأحاديث ـ السابقة واللاحقة ـ؛ إنما ساقها المؤلف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ

(١) «فتح الباري» لابن رجب (١/٢٠١).

لتقرير عقيدة أهل السنّة والجماعة، أهل الحديث، أتباع السلف الصالح؛ وهي أن الإيمان يزيد حتى يكمل في أعلى درجاته، وينقص حتى يصل لأقل درجاته أو يذهب بالكلية، والرد على المرجئة تلك الفرقة الضالة، التي زعمت: أنّ الأعمال الصالحة لا تزيد الإيمان، والمعاصي لا تضره، ولا تنقصه.

ومثلها الخوارج؛ إذ زعموا كفر من فعل كبيرة من الكبائر.

وكل منهما ضلّ الحق، وانحرف عن الجادة التي كان عليها الرسول ﷺ، وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ، والسلف الصالح ـ رحمهم الله ـ.

فقه الحديث:

١ ـ تعظيم حق المسلم ووجوب إكرامه.

٢ ـ تحريم شتم المسلمين، وهو: السَّبُّ.

٣ ـ تحريم قتال المسلمين واقتتالهم.

٤ ـ الرد على المرجئة والخوارج.

٥ ـ أن الإيمان يزيد وينقص.

٦ ـ ليس كل نص ذَكَرَ وَوَصَمَ فاعل أمرٍ ما بالكفر؛ يكون كافراً يخرج به من الملة.

٧ ـ أن الكفر كفران: كفر أكبر اعتقادي وعملي يخرج من الملة، وكفر أصغر لا يخرج من الملة.

٨ ـ أن الواجب على المسلم تجاه أخيه المسلم أن يعينه، وينصره، ويدفع عنه الأذى، ويرده.

٩ ـ وجوب صون المنطق وحفظ اللسان.



١١٧ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ الْمُثَنَّى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ، كِلاَهُمَا عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: «بمثله»؛ أي: بمثل حديث زيد عن أبي وائل.

٢ ـ رواية منصور والأعمش عن أبي وائل ذكرها أبو عوانة في «مسنده» (٥٩/٣٣/١): حدثنا يونس بن حبيب، قال: ثنا أبو داود. (ح) وحدثنا يحيى بن عياش، قال: ثنا بشر بن عمر، قال: أنبأ شعبة، قال: أخبرني الأعمش ومنصور، عن أبي وائل، عن عبدالله، عن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**».

فقه الحديث:

تقدم الكلام عليه في الذي قبله.



٢٩ ـ باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»

١١٨ ـ (٦٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، جَمِيعاً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُالله بْنُ مُعَاذٍ ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، سَمِعَ أَبَا زُرْعَةَ يُحَدِّثُ عَنْ جَدِّهِ جَرِيرٍ؛ قَالَ: قالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**» ثُمَّ قَالَ: «**لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩٧/٥٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ للمصنف إسنادان يلتقيان عند شعبة.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: علي بن مدرك عن أبي زرعة، ورواية الأبناء عن الآباء: عبيدالله بن معاذ عن أبيه، ورواية الأحفاد عن الأجداد: أبو زرعة عن جرير.

٤ ـ حديث جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (١٢١).

❁ غريب الحديث:

قوله: (**قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع**): سُميت بذلك؛ لأن النبي ﷺ ودّع الناس بها، وقال: لَعَلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، وعرف

الصحابة - ﷺ - أنه يودعهم بالوصية التي أوصاهم بها، وأكد التوديع بإشهاد الله عليهم بأنهم شهدوا أنه قد بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة - صلى الله عليه أبداً - إلى يوم الدين.

قوله: **(استنصت الناس)**؛ أي: مرهم بالإنصات؛ ليسمعوا ما أقوله من القواعد، والفوائد التي يحتاجونها في دينهم ودنياهم.

قوله: **(لا ترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)**؛ أي: لا ترتدوا، وترجعوا إلى الكفر بعدي، أو لا تقتتلوا ويكون حالكم كالجاهلية الأولى، وذلك بقتل بعضكم بعضاً، وإنما يكون كافراً إذا استحلّ القتل والقتال.

فقه الحديث:

١ - الإنصات للعالم وتوقيره لازم للمتعلم، وهو سبب لفتح باب العلم.

٢ - جواز طلب العالم من الطالب استنصات الطلاب، والعامة عند إرادة التحديث.

٣ - علم النبي ﷺ ما يكون بعده في أُمته من الفتن.

٤ - التحذير من الردّة عن الدِّين، وعن كل وسيلة تؤدي لذلك.

٥ - حرمة اقتتال المسلمين.

٦ - علم الرسول ﷺ بما علّمه الله بالفتن التي ستقع بعده بين أمته، وقرب وقوعها لأنه خاطب أصحابه بذلك.

٧ - خطورة الحروب الأهلية والفتن الداخلية بين المسلمين، وأنها أشد من غزو الكفار لهم.

٨ - ليس في الحديث دليل على اجتماع الأمة على الكفر، فهو ممتنع من جهة خبر الصادق المصدوق؛ ففي حديث كعب بن عاصم الأشعري الصحيح أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة**».



١١٩ ـ (٦٦) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُاللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨/١).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: «بمثله»؛ أي: بمثل حديث جرير ـ رضي الله عنه ـ، يعني: حديث شعبة عن واقد بن محمد مثل حديثه عن علي بن مدرك.

٢ ـ رواية شعبة عن واقد بن محمد: ساقها الإمام أحمد في «المسند» (٥٣٤٧/٨٧/٢): حدثنا عبدالرحمٰن، حدثنا شعبة عن واقد بن محمد عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض**».

٣ ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٦١٦٦).



١٢٠ ـ (...) وحدّثني أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خَلادٍ الباهِلِيُّ؛ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يُحَدِّثُ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ـ: «**وَيْحَكُمْ** ـ أو قَالَ: **وَيْلَكُمْ ـ لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

✸ غريب الحديث:

قوله: (**ويحكم ـ أو قال: ويلكم**...): هما كلمتان استعملتهما

العرب في خطابها للتعجُّب والتوجُّع؛ قال سيبويه: «ويل» كلمة لمن وقع في هلكة، و«ويح» ترحم.

وقال الهروي: «ويح» لمن وقع في هلكة لا يستحقها، فيترحم عليه، ويرثى له، و«ويل» الذي يستحقها ولا يترحم عليه.

وهذا مناسب؛ فإن النبي ﷺ قالها زجراً لأُمته، وإشفاقاً عليها لإشرافها؛ على الهلكة، ومقاتلة بعضها بعضاً.

فقه الحديث:

١ ـ بيان كمال شفقة النبي ﷺ ورحمته بالأمة.

٢ ـ أن هذا الحديث من آخر وصاياه ﷺ قبل وفاته.

٣ ـ هذا الحديث من معاني قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

٤ ـ جواز قول: «ويل» لمن وقع في هلكة.

٥ ـ جواز قول: «ويح» لمن أشرف على هلكة.



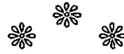
(...) حدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُالله بْنُ وَهْب، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنْ وَاقِدٍ.

فوائد الإسناد:

١ ـ رواية عبدالله بن وهب عن عمر بن محمد التي أحالها الإمام مسلم: ساقها بلفظها أبو نعيم في «المستخرج» (١/١٥٢/٢٢٤): حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو يعلى، ثنا أحمد بن عيسى المصري، ثنا ابن وهب، أخبرني محمد بن زيد: أن أباه حدّثه عن عبدالله بن عمر عن

النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «**ويحكم لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض**».

٢ ـ قوله: «بمثل حديث شعبة عن واقد»؛ أي: إن حديث عبدالله بن وهب عن عمر بن محمد مثل حديث شعبة عن أخيه واقد بن محمد.



٣٠ ـ باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة

١٢١ ـ (٦٧) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْد، كُلُّهُمْ عَنِ الأَعْمَش، عَن أَبِي صَالِح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اثْنَتانِ فِي النَّاسِ هُما بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي صالح.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا تفرد به المصنف ـ رحمه الله ـ.

✹ غريب الحديث:

قوله: (**اثنتان في الناس هما بهم كفر**)؛ أي: أنّ الخصلتين من فعل أهل الجاهلية الكفرة، أو تؤدي إلى الكفر، أو أن ذلك في المستحل.

قوله: (**الطعن في النسب**)؛ وذلك بأن يُنسب إلى غير أبيه وأمه، وذلك من فساد الدِّين والدنيا، وزرع الشكوك والاتهام في حياة الأُمة، وضياع الحقوق.

قوله: **(والنياحة على الميت)**؛ النياحة: هي رفع الصوت بالبكاء على الأموات، وكانت عادة النساء في الجاهلية إذا مات الرجل يرفعن أصواتهن بالبكاء، وتعديد محاسن الميت، ويندبن بالويل والثبور، وهذا فيه من الاعتراض على أقدار الله ـ تعالى ـ ومخالفة حكمته في قضائه، فمن فعل هذا فهو وافق وشابه الكافرين في عاداتهم، ووقع في الحرام.

وإنما يأمر الإسلام المنتسبين إليه بالصبر والرضى، واستقبال المصائب بنفس مطمئنة تعلم أن أمر الله نافذ، وأن الاحتساب هو الواجب عليهم؛ لينالوا أجر هذه المصائب، ولا ينافي هذا إظهار الحزن مع البكاء دون التكلم بما يسخط الربّ ـ تعالى ـ.

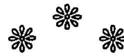
فقه الحديث:

١ ـ جواز إطلاق الكفر على فاعل المعصية، والمراد: كفر دون كفر.

٢ ـ تحريم الطعن في النسب، والنياحة على الميت.

٣ ـ النهي عن التشبُّه بالمشركين، والكافرين من الجاهليين وغيرهم.

٤ ـ أن الإيمان ينقص؛ حتى يصل إلى أضعف درجاته أو يذهب بالكلية.



٣١ ـ باب تسمية العبد الآبق كافراً

١٣٢ ـ (٦٨) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ـ يَعْنِي: ابْنَ عُلَيَّةَ ـ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَرِيرٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «**أَيُّما عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ**».

قَالَ مَنْصُورٌ: قَدْ وَاللّهِ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُرْوَى عَنِّي هاهُنا بِالْبَصْرَةِ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩٧/٥٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ عناية المصنف ـ رحمه الله ـ حيث أن شيخه لم ينسب إسماعيل، فلما أراد المصنف أن ينسبه أتى بـ«يعني» فصلاً بين ما زاده وبين كلام شيخه.

٣ ـ منصور بن عبدالرحمٰن الغُدَاني ليس له رواية في صحيح مسلم إلا هذا الحديث.

٤ ـ حديث جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا تفرد به الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أيما عبد أبق من مواليه؛ فقد كفر حتى يرجع إليهم**)؛ العبد: هو الرقيق.

وَأَبَق: يُقال: أبَقَ العبد يأبَقُ ـ بالفتح والكسر ـ إباقاً: إذا هرب، وتأبّق: إذا استتر، وقيل: احتبس.

والموالي: جمع مولى، وهو: المالك.

والمعنى: أن العبد الذي يهرب من سيده ومواليه؛ قد كفر نعمته وإحسانه.

قوله: **(قال منصور: قد والله روي عن النبي ﷺ، ولكني أكره أن يروى عني هاهنا بالبصرة)**؛ أي: أنه روى هذا الحديث عن الشعبي عن جرير موقوفاً عليه، ثم أقسم أنه مرفوع إلى النبي ﷺ.

وإنما حدّث به موقوفاً في البصرة التي ملئت بالخوارج والمعتزلة خشية أن يستدلوا به على تكفير أهل المعاصي، وتخليدهم في النار.

ثم إنه أعلم خاصته، أن الحديث مرفوع إلى النبي ﷺ لتبرأ ذمته.

فقه الحديث:

١ ـ حرمة هروب العبد من ملك سيده ومولاه، وأن ذلك من كبائر الذنوب.

٢ ـ أن رجوعه بعد الهروب يرفع عنه إثم فعلته.

٣ ـ التحذير من الكفر، ومما يؤدي إليه.

٤ ـ خشية السلف الصالح من أن يتعلق أهل البدع بالنصوص التي يروونها فيما تؤيد بدعهم.

٥ ـ وجوب مخاطبة الناس على قدر عقولهم.

٦ ـ يجوز للعالم أن يخص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.



١٢٣ ـ (٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِياث، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَرِيرٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيُّما عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في حديث (٩٧/٥٦).

✹ غريب الحديث:

قوله: (**فقد برئت منه الذِّمة**)؛ الذمة: ذمة الإيمان وعهده، وذمة الإيمان وعهده هو: حفظه ورعايته، وحماية حقوقه من الأذية والضياع.

والمعنى: أنه إذا فعل ذلك ـ وهو الهروب ـ كان عهد الإيمان ساقطاً عنه، لا حفظ له، ولا حق، ولا رعاية؛ بل مهدور عقوبة له على فعله المحرم، المخالف للإيمان الصحيح، أو الكامل على اختلاف النية والحال.

فقه الحديث:

١ ـ سقوط حقوق العبد المؤمن، أو المسلم بهروبه من سيده.

٢ ـ ولازم ذلك أن حقوقه من الاحترام، وعدم الاحتقار، والامتهان، والإطعام، والكسوة وغيرها؛ واجبة له لإيمانه وخدمته لسيده.

٣ ـ الترهيب من فعل ما يوجب الذلّ والقتل.



١٢٤ ـ (٧٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ؛ قَالَ: كَانَ جَرِير بْنُ عَبْدِالله يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ**».

* **راوي الحديث:**

تقدمته ترجمة جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٦/٩٧).

* **غريب الحديث:**

قوله: **(لم تُقبل له صلاة)**: هذا نوع من أنواع العقوبة؛ وهو حرمان أجر الصلاة؛ وإن كان واجباً عليه أن يؤديها بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها في أوقاتها، ولهذا نظائر كثيرة في الشرع المطَهر؛ فصلاة الآبق صحيحة غير مقبولة، فعدم قبولها لهذا الحديث؛ لاقترانها بمعصية، وأما صحتها فلوجود شروطها وأركانها المستلزمة صحتها، ولا تناقض في ذلك، ويظهر عدم القبول في سقوط الثواب، وأثر الصحة في عدم المطالبة بالإعادة، فلا يعاقب عقوبة تارك الصلاة. قاله ابن الصلاح واستحسنه النووي.

فقه الحديث:

١ ـ المبالغة في التحذير من هذا الفعل.

٢ ـ حرمان الخير، والبركة، والأجر سببه المعصية.

٣ ـ بيان شؤم المعصية.

٤ ـ بيان أهمية الصلاة حيث ذكرت في هذا الموطن.

٥ ـ عدم القبول نوعان:

الأول: عدم قبول العمل دون الأجر، وهذا يكون لمعصية اقترفها دَلّ نص على ذلك.

الثاني: عدم قبول الفعل بالكلية الملازم لعدم الأجر والإثابة عليه، وهذا يكون بسبب الكفر والردّة.



٣٢ ـ باب بيان كفر مَن قال: مُطرنا بالنوء

١٢٥ ـ (٧١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِاللهِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِي قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرنَا بِنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

✸ راوي الحديث:

زيد بن خالد الجهني، كنيته أبو عبدالرحمٰن أو أبو طلحة، مدني، من مشاهير الصحابة، كان صاحب لواء جهينة يوم الفتح، نزل الكوفة، وتوفي بها سنة (٦٨هـ)، أو (٧٨هـ)، وهو ابن (٨٥) سنة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

٢ ـ مسلسل بالفقهاء المدنيين، وشيخه نيسابوري دخل المدينة للأخذ عن مالك.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: صالح عن عبيدالله.

٤ ـ قال الجياني: «هكذا إسناد هذا الحديث، وفي نسخة أبي العلاء بن ماهان: «مالك عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيدالله عن ابن عباس» وإدخال الزهري في هذا الإسناد خطأ بيِّن، وصالح بن كيسان

يرويه عن عبيدالله بن عبدالله دون واسطة، وصالح أسنّ الزهري»[1].

٥ ـ حديث زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (**٨٤٦**).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل**)؛ الحديبية: تخفف ياؤها وتثقل، والتشديد مذهب جماهير المحدثين.

والحدب: يقال حدب الرجل: إذا خرج ظهره ودخل صدره وبطنه، والأحدب من الأرض الغليظ المرتفع، والحديبية مكان أو قرية صغيرة سميت باسم بئر أو شجرة هناك حدباء، وهي على تسعة أميال من مكة.

وإثر: بكسر الهمزة وسكون الثاء، وهو ما يعقب الشيء.

وسماء: أي: مطر، وإنما أطلق عليه سماء؛ لكونه ينزل من جهة السماء.

والمعنى: أن النبي كعادته يجتمع بأصحابه في الصلوات ـ ومنها: صلاة الصبح ـ، ويحدثهم ما يهمهم وينفعهم في دينهم ودنياهم، وكانت الأمطار في تلك الليلة قد نزلت.

قوله: (**فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم..**)؛ أي: فلما انتهى من صلاته تحرك، وتوجه إلى أصحابه يحدثهم بأسلوب مفيد، بصورة السؤال.

قوله: (**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**)؛ المراد بالعباد هنا عموم العباد من سائر الخلق، وليس العباد بالمعنى الخاص؛ أي: المنقادين المطيعين العابدين.

---

(١) «تقييد المهمل وتمييز المشكل» (٣/٧٧٩ ـ ٧٨٠).

قوله: (**فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب...**)؛ أي: أن المطر الذي نزل هو رزق من الله ـ تعالى ـ تفضل به على عبادة رحمة بهم، فهذا كلام المؤمن بربه.

قوله: (**مطرنا بنوء كذا**)؛ النوء: ليس أصل النجم والكوكب، وإنما مصدر ناء ينوء إذا سقط وغاب، وقيل: نهض وطلع.

والمعنى: أن من نسب نزول المطر بسبب ظهور الكوكب دون إرادة الله لهذا وقدرته وتفضله؛ فهو كافر بالله ـ تعالى ـ كفراً أكبر أو أصغر على التفصيل الذي قدمناه مراراً.

وكانت عادة العرب قديماً، إذا طلع نجم من المشرق، وسقط آخر من المغرب؛ فحدث عند ذلك مطر أو ريح نسبوه إلى الطالع أو الساقط الذاهب نسبة إيجاد واختراع؛ فلهذا نُهيَ المسلمون عن ذلك القول، ولو لم يعتقدوا اعتقاد أولئك.

فقه الحديث:

١ ـ أن المستحب في حق الإمام أن يتولى بنفسه إمامة الصلاة والسفر في الحروب دون إنابة لغيره.

٢ ـ أن الإمام عليه أن يستقبل الناس إذا انتهى من صلاته.

٣ ـ أن المستحب لمن أراد تحديث الناس أن يستقبلهم.

٤ ـ اختيار الطرق النافعة في عرض العلم على المتعلمين.

٥ ـ الأدب مع العالم، والمعلم.

٦ ـ جواز قول: الله ورسوله أعلم، في حياته ﷺ دون مماته.

٧ ـ أن الناس صنفان: مؤمن وكافر، لا ثالث لهما.

٨ ـ أن صفة أهل الإيمان، الاعتراف بنعم الله ـ تعالى ـ وشكرها.

٩ ـ أن صفة أهل الجاهلية، والشرك جحد نعمة الله ـ تعالى ـ وكفرها.

١٠ ـ أن من اعتقد أن الكوكب هو الذي ينزل المطر من السماء ويرسل الرياح، فقد كفر بالله، وخرج من الإسلام.

١١ ـ أن من اعتقد أن المطر ينزل عند ظهور، أو غياب النجم؛ فذلك مرتكب الإثم، وليس بكافر.

١٢ ـ إثبات كلام الله ـ تعالى ـ، وأنه بصوت وحرف على الحقيقة لا على المجاز.

١٣ ـ أنه من الأحاديث القدسية أو الإلهية؛ لأنه نسب الكلام إلى الله ـ تعالى ـ.

١٤ ـ طرح الإمام والعالم المسألة على أصحابه، وإن كانت لا تدرك إلا بدقة نظر.



١٣٦ ـ (٧٢) حدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى وَعَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ الْعَامِرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، قالَ الْمُرَادِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُس، وَقَالَ الآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُالله بْنُ عَبْدِالله بْنِ عُتْبَةَ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مَنْ نِعْمَةٍ إِلا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ. يَقُولُونَ: الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**يقولون: الكواكب وبالكواكب**)؛ أي: الكواكب أمطرت علينا، وبالكواكب نزلت الأمطار.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ في قوله: «قال المرادي: حدثنا عبدالله بن وهب، وقال الآخران: أخبرنا ابن وهب...» احتياطاً وتدقيقاً في صيغ الأداء التي اختلف فيها شيوخه، وإن كان لا يختلف المعنى.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب عن عبيدالله.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

● **تنبيه:**

ذكر الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أنه يستنبط من هذا الحديث أن للولي المتمكن من النظر في الإشارة أن يأخذ منها عبارات؛ ينسبها إلى الله ـ تعالى ـ».

ثم قال: «كذا قرأت بخط بعض شيوخنا، وكأنه أخذه من استنطاق النبي ﷺ أصحابه عما قال ربهم، وحمل الاستفهام فيه على الحقيقة، لكنهم ـ رضي الله عنهم ـ فهموا خلاف ذلك، ولهذا لم يجيبوا إلا بتفويض الأمر إلى الله ورسوله»(١).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ:

هذا استنباط متهافت، وسكوت الحافظ عليه يثير العجب والاستغراب، وذلك من وجوه:

١ ـ اعتراف من الحافظ أن الصحابة فهموا خلاف هذا الاستنباط، فالواجب تقديم فهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهم المخاطبون بذلك، وهم أعلم بالله وأتقى للّه ممن جاء بعدهم.

٢ ـ أن نسبة المعاني والإشارات التي تقوم في نفس الولي المتمكن إلى الله ـ تعالى ـ خطأ، وقول على الله بغير علم.

---

(١) «فتح الباري» (٢/٥٤٢).

٣ ـ أن الذي نسب القول إلى الله هو الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهل الولي المتمكن له منزلة رسول الله ﷺ؟

٤ ـ لا يكون الولي متمكناً إلا إذا كان متبعاً لا مبتدعاً، ومقتدياً لا مبتدياً، وإذا كان كذلك؛ فلن يتعدى ثوابت الشرع المبين.

٥ ـ قال شيخنا ابن باز ـ رحمه الله ـ: «هذا خطأ بيِّن، وقولٌ على الله بغير علم، فلا يجوز لمسلم أن يتعاطى ذلك، بل عليه أن يقول إذا سئل عما لا يعلمه: الله أعلم، كما فعل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والله أعلم».

وأما شرحه وفقهه فقد تقدم الكلام عليه.



(. . .) وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ. (ح) وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ، أَخْبَرَنا عَبْدُالله بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ؛ أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**مَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إلا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللّهُ الْغَيْثَ، فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا**»، وَفِي حَدِيثِ الْمُرَادِيِّ: «**بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ إسناد عمرو بن سواد رواته كلهم بصريون إلا أبا هريرة؛ فهو مدني.

٢ ـ ذكر المصنف عبدالله بن وهب وعمرو بن الحارث أولاً، ثم أعادهما ثانياً، ولم يكتفِ بقوله: وحدثني محمد بن سلمة وعمرو بن سواد؛ لاختلاف ألفاظ الروايات.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ما أنزل الله من بركة**)؛ المراد بالبركة هنا: المطر، وأصل

البركة: النماء، والزيادة، والثبات، ويراد بالبركة - أيضاً - مطلق الخير.

قوله: (**ينزل الله الغيث**)؛ الغيث: المطر، وهذا بيان وتوضيح لمعنى البركة.

قوله: (**بكوكب كذا وكذا**)؛ أي: الكوكب أنزل المطر.

فقه الحديث:

١ - أن البركة من الله - تعالى -.



١٢٧ - (٧٣) وحدّثني عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِالْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ - وَهُوَ ابْنُ عَمَّار - حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْل[1]، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاس قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقالَ النَّبِي ﷺ: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢].

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - في الحديث (**١٧/٢٣**).

فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - مسلسل بالتحديث من أوله إلى آخره؛ لكن في أوله: «حدثني» وفيما بعده «حدثنا» إشارة منه أنه سمع الحديث من شيخه وحده، وأما الباقون فسمعوه من شيوخهم مع غيرهم.

---

(١) هو سماك بن الوليد الحنفي اليمامي.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عكرمة عن أبي زميل.

٤ ـ حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم دون البخاري.

* غريب الحديث:

قوله: (**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**)؛ الشكر: مقابلة النعمة بالقول، والفعل، والنية، فيثني على المنعم بلسانه، ويذيب نفسه في طاعته، ويعتقد أنه موليها.

والكفر تقدم معناه.

والمعنى: فمن نسب المطر إلى الله ـ تعالى ـ وعرف منّته فيه؛ فقد شكر الله ـ تعالى ـ، ومن نسبه إلى غيره؛ فقد جحد نعمة الله ـ تعالى ـ في ذلك، وظلم بنسبتها لغير المنعم بها.

قوله: (**فنزلت هذه الآية**: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ **حتى بلغ**: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾): ذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى «لا» للتنبيه، وفائدتها توكيد القسم وإثباته لا نفيه.

فالمراد: فأقسم بمواقع النجوم، وهذا يدل على عظمة المقسم به.

قوله تعالى: (﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾)؛ أي؛ تجعلون شكر رزقكم (﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾) بنعمة الله؛ فتضعون التكذيب موضع الشكر، وهذا من كفر النعمة، وجحد فضل المنعم، وهذا من أسباب حرمان النعم وانقطاعها.

فقه الحديث:

١ ـ أن الناس أحد فريقين: إما شاكر، وإما كافر.

٢ ـ شكر النعم يكون بفعل أشياء؛ منها: شكر المنعم المتفضل بها على عباده.

٣ ـ شكر النعم دليل على إيمان العبد.

٤ ـ وفي ضمنه الدعوى إلى دوام شكر المنعم على نعمه؛ وهذا من أسباب وأسرار دوامها.

٥ ـ وكفرها دليل على عدم الإيمان أو ضعفه.

٦ ـ بيان سبب نزول هذه الآيات.

٧ ـ الرد على الجاهليين القدماء والعقلانيين الجُدد في زعمهم: أن الكواكب هي تسيِّر أمر الخلق.

٨ ـ كفر من اعتقد تأثير الكواكب في أمور الخلق.

٩ ـ أن الله هو الخالق الرازق المدبر.

١٠ ـ يحق لله ما لا يحق لعباده من الحلف بالمخلوقات؛ ومنها: النجوم ومواقعها.

١١ ـ دليل على عظم المقسم عليه من جهة الشارع.

١٢ ـ إبطال كل العقائد التي تخالف أصول الإسلام ومعتقداته.

١٣ ـ سد ذرائع الشرك؛ وذلك ببيان حكم هذا القول الباطل.

وفي هذا حماية للتوحيد؛ لأن كثيراً من الناس يتساهلون؛ فيقعون فيما ألفوه عن آبائهم أو تربُّوا عليه من عاداتهم وأعرافهم؛ ومن ذلك ما يقع لبعض الناس من الاعتقاد في الأولياء والصالحين؛ فينسبون ما يحصل من الخيرات إليهم، ويطلبون منهم المدد والغوث، فالله المستعان.



٣٣ ـ باب الدليل على أن حبّ الأنصار وعلي ـ رضي الله عنهم ـ من الإيمان ومن علاماته، وبغضهم من علامات النفاق

١٢٨ ـ (٧٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ مَهْدِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ جَبْر، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَساً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ، وآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصَارِ**».

● راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن رجاله كلهم بصريون إلاّ ابن جبر؛ فإنه أنصاري مدني.

٣ ـ فيه راو وافق اسمه اسم أبيه؛ وهو عبدالله بن عبدالله بن جبر.

٤ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (١٧ و٣٧٨٤).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حبُّ الأنصار**): تقدم الكلام على معنى الآية، والمنافق، والمؤمن.

وأمّا البغض؛ فهو كره الشيء وقته.

والأنصار: جمع ناصر؛ كأصحاب وصاحب، أو جمع نصير؛ كأشراف وشريف، واللام فيه للعهد؛ أي: أنصار رسول الله ﷺ؛ لأنهم نصروه وآووه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وكان هذا ديدنهم في جميع الحالات والأحيان: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

﴿وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، والمراد: الأوس والخزرج، وكانوا قبل ذلك يعرفون بابني قيلة ـ بقاف مفتوحة وياء تحتانية ساكنة ـ، وهي الأم التي تجمع القبيلتين، فسماهم رسول الله ﷺ: «الأنصار»؛ فصار ذلك علماً عليهم، وأُطلق ـ أيضاً ـ على أولادهم، وحلفائهم ومواليهم؛ قاله الحافظ.

والمعنى: أن الأنصار فضلهم الله ـ تعالى ـ على سائر الناس في عهد رسول الله ﷺ؛ لسبقهم ونصرتهم للإسلام، وتقديم كل غالٍ ونفيس ـ من الأموال، والأرواح، والزوجات، والأبناء، ومخالفة الآباء ـ دفاعاً عن دين الله ورسوله وأصحابه؛ فمن كرههم ومقتهم لهذه الأعمال؛ فإنه منافق مارق لا حظ له في الإسلام، ومن حسدهم لهذا المكان العالي؛ فهو عنده من خصال النفاق المنافية لكمال الإيمان، وهذه علامته.

وكذلك علامة المؤمن الكامل في إيمانه حبه للأنصار لعظيم فضلهم، وكريم فعلهم.

والمراد بالأنصار الذين هذه صفتهم وهذا فضلهم الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وليس المراد المعنى العام؛ لأن كل مَن نصر الله ورسوله؛ فهو أنصاري.

فقه الحديث:

١ ـ أن النفاق له علامات كثيرة لا تحصر بثلاث أو أربع.

٢ ـ التحذير من بغض الأنصار.

٣ ـ بيان عظم مكانة الأنصار في الإسلام.

٤ ـ وجوب محبة الأنصار، وحرمة بغضهم.

٥ ـ أن من علامات الإيمان حب الأنصار؛ لأن من أحب المرء لدينه ولله؛ فهو من علامات الإيمان.

٦ ـ عادة الشرع في الترغيب، والترهيب من خلال أحكامه.

٧ ـ دليل على زيادة الإيمان ونقصه، وأنه شعب، وأبعاض.

٨ ـ أن الإيمان يزداد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

٩ ـ بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ بعامة.

١٠ ـ الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان.



(. . .) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبِ الْحَارِثِي، حَدَّثَنَا خَالِدٌ ـ يَعْنِي: ابْنِ الْحَارِثِ ـ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِالله بْنِ عَبْدِالله، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**حُبُّ الأَنْصَارِ آيَةُ الإِيمانِ، وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ**».

فوائد الإسناد:

١ ـ أن رواته كلهم بصريون إلاّ ابن جبر؛ فإنه أنصاري مدني.

٢ ـ قوله: (يعني: ابن الحارث)، وذلك أن شيخه يحيى بن حبيب لم ينسب شيخه؛ فأراد المصنف إيضاحه بنسبه، فزاد لفظة (يعني) فصلاً بين ما رواه وما زاده من عنده، وهذا من شدة احتياطه.

وتقدم الكلام عليه.



١٢٩ ـ {٧٥} وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْب، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ مُعَاذِ. (ح) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُالله بْنُ مُعَاذٍ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الأَنْصَارِ: «**لاَ يُحِبُّهُمْ إِلا مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضُهُمْ إِلا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللّهُ**».

قَالَ شُعْبَةُ: قُلْتُ لِعَدِيٍّ: سَمِعْتَهُ مِنَ الْبَرَاءِ؟ قَالَ: إِيَّايَ حَدَّثَ.

✸ راوي الحديث:

هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس، أبو عمارة الأنصاري، صحابي ابن صحابي - رضي الله عنهما -، استصغر يوم بدر، أول مشاهده أحد أو الخندق، افتتح الري سنة (٢٤هـ)، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي، مات بالكوفة سنة (٧٢هـ).

روى له الجماعة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين غير زهير؛ ثم بغدادي.

٣ ـ للمصنف إسنادان يلتقيان في معاذ بن معاذ.

٤ ـ قوله: «واللفظ له»؛ أي: لعبيد بن معاذ، وهذا يعني: أن شيخيه لم يتفقا في اللفظ حيث رواه زهير بمعناه.

٥ ـ حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (٣٧٨٣).

✵ غريب الحديث:

قوله: (**قال في الأنصار**): أي: قال هذا الكلام في بيان شأن الأنصار وفضلهم.

قوله: (**مَن أحبهم**)؛ من شرطية موصولة وهي مبتدأ، وخبرها (أحبه الله).

والمراد بمحبتهم جميعاً لنصرة دين الله.

قوله: (**ومَن أبغضهم**): جرى هذا على المقابلة، اللفظ باللفظ، والمراد بغضهم جميعاً؛ لأن بغضهم بغض للشرع الذي نصروه وللرسول الذي آووه.

قوله: **(قال شعبة: قلت لعدي: سمعته من البراء؟ قال: إياي حدّث)**: هذا تأكيد من شعبة - رحمه الله تعالى - واستيثاق، لا شك في صدق عدي.

⮰ فقه الحديث:

١ - إثبات صفة المحبة لله - تعالى -.

٢ - بيان سبب من أسباب حصول محبة الله - تعالى - وهي: حبُّ الأنصار.

٣ - إثبات صفة البغض لله - تعالى -.

٤ - الجزاء من جنس العمل؛ فالأنصار أحبُّوا الله ورسوله، فجعل رسول الله حبهم من الإيمان، وبغضهم من النفاق.



١٣٠ - (٧٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ - يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الْقَارِيَّ - عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة - رضي الله عنه - في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ - حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - هذا من أفراد مسلم.

٢ - مسلسل بالمدنيين غير شيخ المصنف فبغلاني.

٣ - فيه رواية الابن عن أبيه.

⮰ فقه الحديث:

١ - من علامات الإيمان بالله، واليوم الآخر: حبُّ الأنصار.

٢ ـ ومن علامات ضعف أو عدم الإيمان بالله واليوم الآخر: بغض الأنصار.



(٧٧) وحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ من أفراد مسلم.

٢ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ مسلسل بثقات الكوفيين غير أبي صالح وأبي سعيد فمدنيان.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي.

وأما شرحه؛ فتقدم.



١٣١ ـ (٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ. (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زِرٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَلا يُحِبَّنِي إِلا مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضُنِي إِلا مُنَافِقٌ**».

* راوي الحديث:

علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، ابن عم رسول الله ﷺ، وصهره: زوج ابنته فاطمة، وأبو الحسنين، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة، وأمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، شهد المشاهد كلها إلا تبوك؛ استخلف فيها على المدينة، ضربه الشقي عبدالرحمٰن بن ملجم ثلاث ضربات؛ فقُتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة من شهر رمضان سنة (٤٠هـ) بالكوفة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ فيه ثلاثة من التابعين الثقات يروي بعضهم عن بعض: الأعمش عن عدي عن زر.

* غريب الحديث:

قوله: **(والذي فلق الحبة وبرأ النسمة)**: هو قسم بالله ـ تعالى ـ الذي شقّ الحبة، والحبة: اسم لما يزرع ويستنبت، وهي بفتح الحاء.

وبرأ النسمة؛ أي: خلق النفس أو الإنسان.

قوله: **(لعهد النبي الأمي ﷺ)**؛ والعهد: الميثاق.

والأُمي: الذي لا يكتب ولا يحسب، وقيل: الذي لا يقرأ، ولا يكتب.

قوله: **(لا يحبني إلا مؤمن)**:

لا يحبني: لا نافية.

إلا مؤمن: خالص الإيمان من النفاق.

والمعنى: والله الذي شقّ الحبة، وأخرج منها الزرع، وخلق النفوس: أن رسول الله ﷺ وهو الأمي الذي لا يكتب، أخذ الميثاق على الناس أجمعين في زمانه وإلى آخر الزمان؛ أن لا يحبه إلاّ المؤمن الصادق في إيمانه؛ وأن لا يكرهه إلاّ منافق معلوم النفاق.

والمراد بحبه الحب اللائق به؛ لأن الخروج عن الحد المطلوب ليس من علامات الإيمان؛ بل أدّى عند أقوام إلى الغلو والطغيان؛ حيث جعلوه إلٰهاً، أو معصوماً، أو أنه أحق بالخلافة من الشيخين، أو بالنبوة من رسول الله ﷺ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

قوله: **(ولا يبغضني)**؛ أي: لا يكرهني إلا منافق يُظهر الإسلام، ويبطن النفاق.

والمراد: البغض لأجل مزاياه الدينية.

وإنما أقسم بهذه الصفة؛ ليدل على جواز ذلك وأمثاله، ولبيان عظم المقسم عليه.

وكذلك وصف الرسول بالأمية؛ لأن هذا من معجزاته ومناقبه ـ عليه السلام ـ، فإنه في حقه كمالاً وفي حقنا نقصاً، فسبحان الذي صيّر نقصنا في حقه كمالاً، وزاده تشريفاً وجلالاً.

فقه الحديث:

١ ـ جواز هذا القسم وأمثاله.

٢ ـ أن الله ـ تعالى ـ هو خالق الخلق، ورازقهم.

٣ ـ بيان وصية من وصايا رسول الله ﷺ.

٤ ـ بيان لأميَّة النبي ـ عليه السلام ـ؛ وأنها من معجزاته التي تحدَّى بها الناس أجمعين.

٥ ـ حبُّ علي ـ رضي الله عنه ـ من علامات الإيمان، وبغضه من علامات النفاق والكفران.

٦ ـ منقبة ظاهرة لعلي ـ رضي الله عنه ـ.

٧ ـ الولاء والبراء لله ورسوله والذين آمنوا؛ هي عقيدة أهل الإيمان والإحسان.



٣٤ ـ باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله؛ ككفر النعمة والحقوق

١٣٢ ـ (٧٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ الْمِصْرِيُّ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ(١)، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ. فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ، جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟! قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ**». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ؛ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ؛ فَهذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ. وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ؛ فَهذَا نُقْصَانُ الدِّينِ**».

وَحَدَّثَنِيه أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ مُضَرَ، عَنِ ابْنِ الْهادِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (٨/١).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا من أفراد الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ.

---

(١) هو يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد الليثي، وعلى ترجمته تنبيهات:
١ ـ أنه منسوب إلى جد أبيه.
٢ ـ أن الهاد هو والد أسامة، وليس هو أسامة؛ كما قال النووي.
٣ ـ سمي بالهاد؛ لأنه كان يوقد ناراً؛ ليهتدي بها الأضياف، وسالكي الطريق.

٢ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ مسلسل بالمدنيين الثقات غير شيخه والليث؛ فمصريان.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن الهاد عن عبدالله بن دينار.

٥ ـ قوله في حديث أبي الطاهر: (بهذا الإسناد)؛ أي: بالإسناد الماضي عن ابن الهاد.

٦ ـ قوله: (مثله)؛ أي: مثل المتن السابق.

٧ ـ رواية بكر بن مضر ساقها مختصرة أبو داود (**٤٦٧٩**) بإسناد المصنف؛ فقال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أغلب لذي لُبّ منكن**» قالت: وما نقصان العقل والدين؟ قال: «**أما نقصان العقل؛ فشهادة امرأتين شهادة رجل، وأما نقصان الدين؛ فإن إحداكن تفطر رمضان، وتقيم أياماً لا تصلي**»[1].

✵ غريب الحديث:

قوله: (**يا معشر النساء! تصدقن وأكثرن الاستغفار**)؛ المعشر: كل جماعة أمرهم واحد، لهم صفة واحدة مشتركة بينهم تجمعهم، فالإنس معشر، والجن معشر؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ الآية [الرحمٰن: ٣٣]، وهو مفرد، جمعه: معاشر.

وفيه خطاب للنساء بالصدقة؛ وهي ما يعطى للفقراء في ذات الله تعالى، وبالاستغفار؛ وهو: طلب غفران الذنوب وستر العيوب.

قوله: (**فإني رأيتكن أكثر أهل النار**)؛ الفاء للتعليل، ورأيتكن؛ أي: اطلعت على النار عند عروجي إلى السماوات العلى أو في صلاة الكسوف، ورأيت أكثر من فيها من النساء، فالمراد جنس النساء لا المخاطبات؛ كما

(١) انظر: «المسند» للإمام أحمد (٢/٦٦ ـ ٦٧).

دلّت عليه الرواية المتفق عليها: «**اطلعت على النار؛ فرأيت أكثر أهلها النساء**»؛ فلهذا أكثرن من العمل الصالح؛ ليكون سبباً للنجاة منها.

قوله: (**جزلة**)؛ أي: محكمة الخَلْق تامته ذات رأي جيد قويّ.

ومن حسن رأيها وتدبيرها: أنها بادرت لتسأل عن سبب ذلك؛ لأنها علمت أن ذلك لن يكون إلا بذنب تُحدثه النساء.

قوله: (**تكثرن اللّعن، وتكفرن العشير**)؛ اللعن: الطرد والإبعاد.

وفي الشرع: الطرد من رحمة الله ـ تعالى ـ.

والعشير: هو المعاشر، والمراد به هنا: الزوج.

والمعنى: أن سبب دخول النساء النار؛ هو: إكثار اللعن بغير حق لمن يستحق، ومن لا يستحق، وجحد حق الزوج وإحسانه لهن.

قال ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ: «وهذا قاضٍ بأن نفس إكثار اللعن، ونفس كفرهن إحسان الأزواج من الكبائر:

أما اللعن فمن أعظم الجنايات القولية، وقد ثبت عنه ﷺ أن لعن المؤمن كقتله. متفق عليه.

وأما كفرانهن إحسان الزوج، فقد كان يمكن أن يقال: ليس هو نفسه السبب في ذلك، بل ما يستصحبه من معصية الزوج ونحو ذلك، لولا تفسيره ﷺ ذلك في الحديث الآخر بقوله: «**لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً؛ قالت: ما رأيت منك خيراً قط**» متفق عليه»[1].

قوله: (**وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لُبٍّ منكن**): اللب؛ هو: العقل، وقيل: أخص من العقل، وهو مفرد، والجمع: ألباب؛ سمي بذلك؛ لأنه خلاصة الإنسان ولبّه ولبابه.

والمعنى: أنكن مع ما خلقتن عليه من الضعف في التفكير والتدبير؛ أشد غلبة لذوي العقول الكاملة.

---

(١) «صيانة صحيح مسلم» (ص٢٥٨ ـ ٢٥٩).

ففي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عند البخاري: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُب الرجل الحازم من إحداكن**».

ولذلك كان معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - يقول: يَغْلِبن الكرام، ويَغْلِبُهُنّ اللئام.

قوله: (**وما نقصان العقل والدين؟**)؛ قال الحافظ: «ويظهر لي أن ذلك من جملة أسباب كونهن أكثر أهل النار؛ لأنهن إذا كنّ سبباً لإذهاب عقل الرجل الحازم؛ حتى يفعل أو يقول ما لا ينبغي؛ فقد شاركنه في الإثم وزدن عليه».

قال العلماء: وسؤالهن هذا دال على النقصان؛ لأنهن اعترفن بما نُسب إليهن من: إكثار اللعن، وكفران العشير، وإذهاب لب الرجل الحكيم، ومع ذلك استشكلن كونهن ناقصات؛ فهذا الاستشكال يدل على أنهن ناقصات العقل!

قوله: (**أما نقصان العقل؛ فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل**): فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلة ضبطها، ومُشعِر بنقص عقلها.

قال العلماء: وجواب رسول الله ﷺ لهن فيه كمال اللطف بهن حيث لا لوم، ولا تعنيف بل إرشاد، وتوجيه باللين والرحمة؛ لأنه ﷺ جُبل على ذلك: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله: (**وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان؛ فهذا نقصان الدين**): وإنما تترك الصلاة بسبب حيضتها، وكذا الصيام.

فقه الحديث:

١ - مشروعية وعظ الإمام رعاياه.

٢ - مشروعية اختصاص النساء بموعظة أو خطبة خاصة.

٣ ـ الحث على فعل أعمال البر، ومنها: الصدقة، وكثرة الاستغفار.

٤ ـ أن الحسنات يذهبن السيئات.

٥ ـ وأن الصدقة تدفع العذاب.

٦ ـ أن أكثر أهل النار النساء.

٧ ـ جواز مراجعة العالم إذا لم يفهم مَنْ خاطبه.

٨ ـ سلوك الترغيب والترهيب في المواعظ والخطب.

٩ ـ أن كفران العشير من الكبائر.

١٠ ـ أن الكفر أنواع؛ منها كفران العشير.

١١ ـ حرمة اللعن، وأنه من أسباب العذاب.

١٢ ـ أن المرأة أقل من الرجل تدبيراً وتفكيراً.

١٣ ـ جواز إطلاق الكفر على من لم يكفر الكفر الأكبر.

١٤ ـ أن الإيمان يزيد وينقص.

١٥ ـ أن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين.

١٦ ـ أن الحائض لا تصلي ولا تصوم.

١٧ ـ جواز قول رمضان دون شهر.

١٨ ـ أن العبادة تسمى: ديناً.

١٩ ـ أن المرأة لا تأثم بتركها الصلاة، والصوم أيام حيضها.

٢٠ ـ على الواعظ والخطيب الحكيم أن يتبع هدي الرسول الكريم ﷺ في بيان الأخطاء، والعيوب والتعميم دون مواجهة أحد بها.

٢١ ـ جواز خروج النساء للمساجد؛ لحضور الدرس، وذلك إذا أَمِنَ الفتن.

٢٢ ـ جواز صدقة المرأة بغير إذن مسبق من زوجها إذا علمت رضاه عن ذلك.

٢٣ ـ بيان معجزة من معجزاته ـ ﷺ ـ وهي رؤيته أهل النار.

٢٤ ـ بيان فضل كامل العقل على ناقصه.

٢٥ ـ أن المرأة لا تعاب على النقص العقلي الذي فيها؛ فإنه من خلقة الله، وهو مخصوص في موضوع الشهادة.

٢٦ ـ أن النساء لا لوم عليهن في نقصان الدين عندهن؛ لأنه من مستلزمات أنوثتهن، فقد كتب الله الحيض على بنات حواء.

٢٧ ـ التحذير من الافتتان بالنساء.

٢٨ ـ بيان ما كان عليه الرسول ﷺ من معالي الأخلاق.

٢٩ ـ نقص الطاعة تسمى نقصاً ـ نقص الدين ـ، وعليه؛ فمَن كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومَن نقصت عبادته وطاعته نقص دينه.

٣٠ ـ نقص الدين قد يكون على وجه لا إثم فيه ولا لوم عليه، كمَن ترك العبادات الواجبة بعذر شرعي.

٣١ ـ جواز الإغلاظ في النصح بقصد إزالة الصفة الذميمة؛ فإن استتباع طلب الصدقة والاستغفار بهذه الأوصاف تغليظ شديد وتحذير أكيد.

٣٢ ـ الشخص المعين إذا عمل صفة يعاب عليها لا يواجه شخصياً؛ لأن في التعميم تسهيلاً على السامع، ولذلك كان رسول الله ﷺ يُكثر من قول: «**ما بال أقوام**»، وكذلك ساق رسول الله ﷺ النصح للنسوة بالأسلوب العام ستراً لهن وإكراماً منه ﷺ.



(٨٠) وحدّثني الْحَسَنُ بْنُ عَلِيّ الْحُلْوَانِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحاقَ، قالا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِالله، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ - من سداسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - أن رواته من محمد بن جعفر فما فوقه مدنيون.

٣ - وفيه رواية الأقران تابعي عن تابعي، وهو زيد بن أسلم عن عياض بن عبدالله.

٤ - حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - هذا - من المتفق عليه، فقد أخرجه - أيضاً - البخاري (٣٠٥).

٥ - لم يسق المصنف - رحمه الله - متن حديث أبي سعيد ولا أحال كعادته، وقد ساقه الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٠٤): حدثنا سعيد بن أبي مريم: قال: أخبرنا محمد بن جعفر، قال: أخبرني زيد - هو ابن أسلم - عن عياض بن عبدالله، عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمرّ على النساء، فقال: «**يا معشر النساء تصدّقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**»، فقلنَ: وبمَ يا رسول الله؟ قال: «**تُكثرن اللعن وتكفّرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**»، قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟**»، قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**».

◄ فوائد الحديث:

إضافة إلى ما تقدم في حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ؛ نذكر بعض الفوائد المتعلقة بصلاة العيد:

١ ـ صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنّة؛ فقد ذكر أبو سعيد ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ خرج لصلاة الأضحى أو الفطر إلى المصلى.

وهذه عادة رسول الله ﷺ؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ المتفق عليه؛ قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه، أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف.

قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك..».

وفي الباب عن عبدالله بن عمر في «الصحيحين»، وحديث البراء بن عازب عند البخاري، وحديث عبدالله بن عباس في «الصحيحين».

٢ ـ من السنّة خروج النساء إلى صلاة العيد حتى الحيض يشهدهن الخير ودعوة المسلمين.

ويدل على ذلك حديث أم عطية ـ رضي الله عنها ـ في «الصحيحين»، وفيه: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين».

وصحّ عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عند ابن أبي شيبة؛ أنه قال: «حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين».

لكن ينبغي التقيد بالجلباب الشرعي، وأن يتجنبن الاختلاط بالرجال، ومزاحمتهم في الطرقات.

وقد صرّح بوجوب خروج النساء إلى صلاة العيد في المصلّى ابن تيمية، وابن حزم، والصنعاني، والشوكاني، وصديق حسن خان، وهو اختيار شيخنا الإمام الألباني ـ رحمهم الله تعالى ـ.

٣ ـ صلاة العيدين في المساجد من غير حاجة أو عذر من البدع المحدثة؛ كما قرر ذلك الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ حيث نقل أقوال العلماء في ذلك، ثم قال: «كل أولئك يدل على أن صلاة العيدين الآن في المساجد بدعة»(١).

٤ ـ قال شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مبيّناً حكمة صلاة العيدين في المصلّى:

«ثم إن هذه السنّة ـ سنّة الصلاة في الصحراء ـ لها حكمةٌ عظيمةٌ بالغةٌ: أن يكون للمسلمين يومان في السنة، يجتمعَ فيهما أهلُ كل بلدةٍ، رجالاً ونساءً وصبياناً. يتوجهون إلى الله بقلوبهم، تجمعهم كلمةٌ واحدةٌ، ويُصَلُّون خلفَ إمام واحدٍ، يُكَبِّرون ويُهَلِّلون، وَيَدْعونَ الله مُخلصين، كأنّهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فرِحين مُسْتبشرين بنعمة الله عليهم، فيكونُ العيدُ عندهم عيداً.

وقد أمر رسول الله ﷺ بخروجِ النساءِ لصلاة العيد مع الناس، ولم يَسْتَثْنِ منهنّ واحدةً حتى إنه لم يُرَخِّص لمَن لم يكن عندها ما تلبسُ في خروجها، بل أمر أن تستعير ثوباً من غيرها، وحتى إنه أمرَ مَن كان عندهنّ عذرٌ يمنعهنّ الصلاةَ بالخروج إلى المُصَلّى «لِيَشْهَدْنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين» كما تقدم.

وقد كان النبيُّ ﷺ ثم خلفاؤه من بعده، والأمراءُ النائبون عنهم في البلاد، يُصَلُّون بالناس العيدَ ثم يخطبونهم بما يعظونهم به، ويُعَلِّمونهم ممّا ينفعُهم في دينهم ودنياهم، ويأمرونَهم بالصدقة في ذلك الجَمْعِ، فيعطِفُ الغنيُّ على الفقير، ويفرحُ الفقيرُ بما يؤتيه الله من فضله في هذا الحفلِ المباركِ، الذي تتنزَّل عليه الرحمة والرضوان.

---

(١) «سنن الترمذي بتعليق أحمد شاكر» (٢/٤٢١ ـ ٤٢٤).

فعسى أن يستجيبَ المسلمون لاتِّباع سُنَّةِ نبيهم ﷺ ولإحياء شعائر دينهم، الذي هو مَعْقِدُ عزهم وفلاحِهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»(١).



(...) (ح) وحدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة، وابن حجر؛ قالوا: حدّثنا إسماعيل، وهو ابن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بمثل معنى حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ.

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم؛ لم يخرجه البخاري.

٢ ـ اختلف في المراد بـ«المقبري» في هذا الإسناد: هل هو أبو سعيد المقبري على الأصل أو ابنه سعيد، والصواب ما رجحه الإمام ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ تبعاً للإمام الدارقطني: أنه سعيد بن أبي سعيد المقبري لا أبوه كيسان(٢).

٣ ـ قوله: «بمثل معنى حديث ابن عمر عن النبي ﷺ» يقصد: المعنى واحد واللفظ مختلف.

وحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أخرجه الإمام أحمد في «المسند» **(٢/٣٧٣ ـ ٣٧٤)** حدثنا سليمان، أخبرنا إسماعيل، أخبرني عمرو ـ يعني: ابن أبي عمرو ـ عن سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ انصرف من الصبح يوماً، فأتى النساء في المسجد، فوَقَفَ عليهنّ، فقال: «**يا معشر**

---

(١) «صلاة العيدين في المصلّى هي السنّة» (ص٣٣ ـ ٣٧).
(٢) «صيانة صحيح مسلم» (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠).

النساء، ما رأيت من نواقص عقول ودين أذهب بقلوب ذوي الألباب منكنّ، وإني قد أريت أنكن أكثر أهل النار يوم القيامة، فتقرّبن إلى الله ما استطعتنّ».

وكان في النساء امرأة عبدالله بن مسعود، فأتت إلى عبدالله بن مسعود، فأخبرته بما سمعت من رسول الله ﷺ، وأخذت حليًّا لها، فقال ابن مسعود: فأين تذهبين بهذا الحليّ؟ فقالت: أتقرب به إلى الله - عز وجل - ورسوله، لعلّ الله أن لا يجعلني من أهل النار، فقال: ويلك هَلُمِّي، فتصدقي به علي وعلى وَلَدِي، فإنا له موضع، فقالت: لا والله حتى أذهب به إلى النبي ﷺ، فذهبت تستأذن على النبي ﷺ، فقالوا للنبيّ ﷺ: هذه زينب، تستأذن يا رسول الله، فقال: «**أَيُّ الزيانب هي؟**»، فقالوا: امرأة عبدالله بن مسعود، فقال: «**ائذنوا لها**»، فدخلت على النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني سمعت منك مقالةً، فرجعت إلى ابن مسعود، فحدّثته، وأخذت حليًّا أتقرب به إلى الله وإليك، رجاء أن لا يجعلني الله من أهل النار، فقال لي ابن مسعود: تصدّقي به عليّ وعلى وَلَدي، فإنا له موضع، فقلت: حتى أستأذن النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**تصدّقي به عليه وعلى بنيه، فإنهم له موضع**».

ثم قالت: يا رسول الله، أرأيتَ ما سمعتُ منك حين وقفتَ علينا: «**ما رأيتُ من نواقص عقول قط ولا دين أذهب بقلوب ذوي الألباب منكنّ؟**»، قالت: يا رسول الله، فما نقصان ديننا وعقولنا؟ فقال: «**أما ما ذكرتُ من نقصان دينكنّ، فالحيضة التي تصيبكنّ تمكث إحداكن ما شاء الله أن تمكث لا تصلي ولا تصوم، فذلك من نقصان دينكنّ، وأما ما ذكرت من نقصان عقولكن: فشهادتكن، إنما شهادة المرأة نصف شهادة**».

➢ فوائد الحديث:

بالإضافة إلى ما تقدم من فوائد في حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - نذكر ما يأتي:

١ ـ استحباب إخراج المرأة الغنية زكاة مالها أو صدقتها على زوجها وبنيها، وهذا يدل على أمور:

أ ـ أن المرأة لها حق التملُّك، وأما التصرف في مالها؛ فلا يجوزِ إلا بإذن زوجها.

ب ـ أن نفقة الأولاد واجبة على الأب، وليس كذلك على الأم.

٢ ـ حرص الصحابة ـ ﷺ ـ على تطبيق إرشادات الرسول ﷺ، والتزام بتوجيهاته.

٣ ـ خوف الصحابة ـ ﷺ ـ من النار، والفرار منها، وأنهم كانوا يحرصون على اتقائها بالعمل الصالح ولو بشِق تمرة.

٤ ـ جواز معرفة المرأة باسمها وأنها زوجة فلان، وأن ذلك لا يعيبها؛ فالصحابة قالوا للنبي: هذه زينب تستأذن يا رسول الله، فعرفوها باسمها، ثم لما قال الرسول: «**أي الزيانب؟**»، قالوا: امرأة عبدالله بن مسعود، فعرّفوها أنها زوجة عبدالله بن مسعود ـ ﷺ ـ.

٥ ـ جواز خروج المرأة؛ لتستفتي العالم عن أمور دينها.

٦ ـ حصر نقصان العقل في موضوع الشهادة، ولذلك لا يجوز أن يعدل إلى غيره إلا بدليل صريح، ولعل هذا المعنى غاب عن كثير ممن طعن في الحديث وزعم: أنه يحقر النساء، وأنه لا يجوز مشاورة النساء، ولا اعتبار عقولهن، وغير ذلك مما لُبِّس عليهم بسبب جهلهم والشيطان.



٣٥ ـ باب إطلاق اسم الكفر على مَن ترك الصلاة

١٣٣ ـ (٨١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَان يَبْكِي. يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ** ـ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: **يا وَيْلِي ـ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ، فَسَجَدَ؛ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسَّجُودِ، فَأَبَيْتُ؛ فَلِيَ النَّارُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (**٥/٩**).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكنى، والأعمش لقب اشتهر به سليمان بن مهران.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي صالح.

٤ ـ قوله: (وفي رواية أبي كريب): أراد بيان الخلاف بين شيخيه، فأما أبو بكر فقال في روايته: «**يا ويله**» بضمير الغائب، وأما أبو كريب، فقال في روايته: «**يا ويلي**» بضمير المتكلم.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد**)؛ السجدة: المراد بها آية السجدة، أو الآية التي بها السجدة.

و«**فسجد**» أصل السجود في اللغة: الميل والخضوع، وقيل: إدامة النظر مع إطراقه إلى الأرض، وقيل: الميل وطأطأة الرأس وكلها صحيحة.

وفي الشرع: وضع الجبهة والأنف على الأرض عبادة لله تعالى.

قوله: **(اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله...)**؛ اعتزل: بَعُدَ وتنحىٰ. والشيطان: هو المتمرد من الجن، والمراد به هنا؛ إبليس.

وتقدم الكلام على الويل؛ وأنه توعد بالهلاك.

وأبيت: أي: امتنعت.

والمعنى: أن العبد من بني آدم الطائع لربه، والمعظم المنقاد لأمره؛ إذا قرأ شيئاً من القرآن فيه الأمر بالسجود فسجد طائعاً راغباً راهباً لربه سبحانه، ابتعد إبليس عن ذلك المكان الذي فيه العابد، وأخذ يبكي ويتولول ويتذكر جزاءه عند الله من العذاب والهلاك بسبب استكباره عن السجود والخضوع لربه. وهو يعلم أن الساجد العابد له الجنة، والرافض المعاند له النار، ومع ذلك؛ فهو مُصِر على عصيانه ـ قبّحه الله ـ.

فقه الحديث:

١ ـ مشروعية السجود عند قراءة آية فيها سجدة.

٢ ـ أن إبليس أو الشيطان رفض، وامتنع، وأبى أن يسجد لله ربّ العالمين.

٣ ـ أن السجود من أعظم العبادات وأجلّها، وبها يظهر عجز العبد وافتقاره لربه سبحانه.

٤ ـ أن الساجد العابد له الجنة.

٥ ـ وأن الجاحد المعاند له النار.

٦ ـ دليل على كفر من امتنع من السجود والصلاة مع قدرته على فعلها، وعلمه بحكمها.

٧ ـ خطورة الكبر، فإنه سبب لحرمان الجنة، ودخول النار.

وقد أخرج المصنف من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ؛ قال: «**لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبر**»، قال

رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**».

٨ ـ الحديث تفسير نبوي لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٩ ـ قال النووي: مقصود مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ بذكر هذين الحديثين هنا أن من الأفعال ما تركه يوجب الكفر، إما حقيقة وإما تسمية.

وهذا يدل على أن الكفر الأكبر يكون بالاعتقادات، والأعمال، والأقوال.

١٠ ـ اختلف أهل السنّة والجماعة في حكم تارك الصلاة، فمنهم مَن كفّره بإطلاق، ومنهم مَن فصّل فقال: مَن تركها إنكاراً وجحوداً؛ فهو كافر مشرك، ومَن تركها تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها؛ فهو غير كافر بل مرتكب لذنب من أكبر الكبائر.

١١ ـ اختلف العلماء في سجود التلاوة؛ فالحنفية احتجُّوا بقوله: «**أمر ابن آدم بالسجود**» على وجوب سجود التلاوة.

وأما الجمهور فيقولون: سنة، وقالوا: المراد المشاركة في السجود لا في الوجوب، والله أعلم.



(...) حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الأعمشُ، بِهذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**».

● **فوائد الإسناد:**

١ ـ قوله: (بهذا الإسناد) إشارة إلى الإسناد الذي قبله، وهو: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ قوله: (مثله)؛ أي: رواية زهير بن حرب مثل رواية أبي بكر ابن أبي شيبة وأبي كريب.

٣ ـ قوله: (غير أنه قال) إلا زهيراً قال في روايته: «فعصيت فلي النار»، ولم يقل: «فأبيت فلي النار».

٤ ـ هذا الحديث أخرجه بتمامه الإمام أحمد (٢/٤٤٣):

حدّثنا وكيع ويعلى ومحمد ـ يعني: ابنا محمد ـ قالوا: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أُمر بالسجود فسجد؛ فله الجنة، وأُمرت بالسجود فعصيت؛ فلي النار**».



١٣٤ ـ (٨٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، كِلاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيانَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِراً يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٦/١٥).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ في قوله: «قال يحيى: أخبرنا جرير» تصريحه بالإخبار، وأن تحمُّله كان بالقراءة.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي سفيان.

٤ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)؛ أي: بين المسلم والكافر فعل الصلاة، فمن فعلها دلّ على إسلامه، وإن تركها دلّ على كفره على التفصيل والتأصيل الذي تقدّم.

فقه الحديث:

١ ـ أن العلامة الظاهرة التي يفرّق بها بين المسلم والكافر فعل الصلاة.

٢ ـ أن المسلم لازمه فعل الصلاة؛ كما أن الكافر لازمه ترك الصلاة.

٣ ـ بيان حكم تارك الصلاة وهو الكفر على تفصيل.

٤ ـ دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.

٥ ـ وأن زيادته بالطاعة، ونقصانه بالمعصية.

٦ ـ أن الكفر يأتي بمعنى الشرك، والعكس أيضاً.

٧ ـ تعظيم قدر الصلاة، وبيان منزلتها في الإسلام.

* * *

(...) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلاةِ**».

تقدم الكلام عليه في الحديث السابق.

* * *

٣٦ ـ باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال

١٣٥ ـ (٨٣) وَحَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِم، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ. (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ. أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ ـ يَعْنِي: ابْنَ سَعْدٍ ـ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمانٌ بِاللّهِ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**».

وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ**».

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين سوى شيخيه؛ فبغداديان.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب الزهري عن ابن المسيب.

٤ ـ طوّل المصنّف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الإسناد، ولم يختصره بقوله: «حدثنا منصور بن أبي مُزاحِم، ومحمد بن جعفر بن زياد، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد» إشارةً إلى صناعة حديثيّة تميّز بها هو عن غيره من مَهَرَة الحديث، فقد اشتمل صنيعه هذا على ثلاثة أمور:

أحدها: أن شيخه منصوراً حدّثه مع غيره، ولذا قال: «وحدثنا منصور. . . إلخ»، وأما شيخه محمد بن جعفر، فحدّثه وحده، ولذا قال: «حدّثني محمد بن جعفر. . .» إلخ.

ثانيها: أن منصوراً أخذه عن شيخه بالسماع، ولذا قال: «حدّثنا إبراهيم»، وأما محمد بن جعفر، فأخذه بالقراءة، ولذا قال: «أخبرنا إبراهيم».

ثالثها: أن منصوراً نسب شيخه إلى أبيه، فقال: «حدّثنا إبراهيم بن سعد»، وأما محمد بن جعفر، فلم ينسبه، بل قال: «أخبرنا إبراهيم»، ولذا احتاج المصنّف إلى زيادة «يعني»، فقال: «يعني ابن سعد».

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ **(٢٦ و١٥١٩)**.

*** غريب الحديث:**

قوله: **(إيمان بالله)**: وهذا يشمل الإيمان بوجوده، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبما جعله جزءاً من الإيمان أو ركناً؛ كالأركان الستة المعلومة.

قوله: **(الجهاد في سبيل الله)**؛ والجهاد لغةً: هو المبالغة، واستفراغ ما في الوسع والطّاقة من قول أو فعل. يقال: جهد الرجل في الشيء؛ أي: جدّ فيه وبالغ.

وفي الشرع هو أنواع؛ أعظمها بذل الطاقة، والقوى كلها في محاربة العدو.

قوله: **(حج مبرور)**؛ الحج في اللغة: قصد الشيء، أو إلى شيء، وقيل: كثرة القصد إلى معظم.

وفي الشرع: قصد البيت الحرام في زمن مخصوص لأعمال مخصوصة بشروط مخصوصة.

والمبرور: هو الذي لا يخالطه شيء من المأثم، وقيل: هو المقبول؛ وهو الذي استوفيت شروطه ووقع على أكمل حال وصفة.

فقه الحديث:

١ ـ بيان حرص الصحابة ـ ﷺ ـ على الخير، حيث كانوا يسألون عن أعلى وأغلى العبادات مكانة وأجراً.

٢ ـ أن الأعمال من الإيمان.

٣ ـ أن التوحيد (وهو الإيمان) أهم المهمات، وأوجب الواجبات، وأعظم مسائل الدين.

٤ ـ بيان مكانة الجهاد وفضله.

٥ ـ بيان فضل الحج المبرور.

٦ ـ الحث على هذه الأعمال لأهميتها وعظم فضلها.

٧ ـ أن الإيمان بالله متضمن للإيمان بالرسول وبقية أركانه.

٨ ـ جواز طلب المزيد من الفقه والعلم من العالم لحصول الفائدة.

٩ ـ بيان حلم النبي وتواضعه ورفقه بالسائل.

١٠ ـ بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من شدة اهتمامه بتعليم الناس كل خير وحثِّهم عليه.

(...) وحدثنيه محمد بن رافع وعبد بن حميد عن عبدالرزاق. أخبرنا معمر عن الزهري، بهذا الإسناد مثله.

- **فوائد الإسناد:**

١ ـ قوله: «بهذا الإسناد»؛ أي: الإسناد الذي قبله: عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ قوله: «مثله»؛ أي: مثل الحديث الماضي.

٣ ـ رواية معمر هذه المشار إليها ساقها الإمام النسائي عن شيخ المصنف (٢٦٢٤)؛ فقال: أخبرنا محمد بن رافع، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أنبأنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة؛ قال: سأل رجل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**ثم الحج المبرور**».



١٣٦ ـ (٨٤) حدّثني أَبُو الرَّبِيع الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْد، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْد، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِاللّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَناً**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعاً أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - في الحديث (٦١/١١٢).

• فوائد الإسناد:

١ - من سداسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: هشام عن أبيه عن أبي مراوح.

٣ - فيه رواية الابن عن أبيه: هشام بن عروة عن أبيه.

٤ - أبو مراوح لا يوجد له مشارك في كنيته، ولا اسم له غيرها، وقد يُنسب (الغفاري) أو (الليثي)؛ كما فعل ذلك المزي.

٥ - أبو مراوح اثنان؛ كما صرّح بذلك الحافظ في «فتح الباري» (١٧٧/٥)، و«الإصابة» (٣٠٥/٧)، وأما في «تهذيب التهذيب» (٥٨٤/٤ - ٥٨٥) فجعلهما واحداً فلم يصب، والله أعلم.

٦ - حديث أبي ذر - رضي الله عنه - هذا - متفق عليه، فقد أخرج البخاري (٢٥١٨).

* غريب الحديث:

قوله: **(أيُّ الرقاب أفضل)**؛ الرقاب: جمع رقبة؛ وهي: في الأصل العنق، فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، وهذا من تسمية للشيء ببعضه، فإذا قال: أعتق رقبة، فكأنه قال: أعتق عبداً أو أمة.

والمعنى: أسألك يا رسول الله! أيّ العبيد والإماء أفضل؛ حتى أعتقها قربة لله - تعالى -.

قوله: (**أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً**): أرفعها وأجودها، وأغبطها عند أهلها، وذلك لشدة محبتهم لها.

والمعنى: كلما كانت أغلا وأجود كانت أحب إلى الله ـ تعالى ـ من غيرها.

قوله: (**تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق**)؛ الأخرق: هو الذي لا يحسن العمل، أو لا صنعة له.

والمعنى: إن لم تقدر على فعل ما ذكر؛ فأعن صاحب مهنة في مهنته، أو من لا صنعة له على عمل ما.

قوله: (**أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل**)؛ أي: أخبرني إن عجزت عن عمل ما أشرت إليه ماذا أعمل؟

قوله: (**تكف شرك عن الناس**)؛ أي: تمنع وصول شرك إليهم.

قوله: (**فإنها صدقة منك على نفسك**)؛ أي: فإن كف الشر صدقة تتصدق بها على نفسك، وتحفظها عما يرديها، ويعود وباله عليها.

والمراد: إن عجزت عن النفع المتعدي خيره إلى الناس، فلا تعجز عن نفع نفسك بكفِّها عن شرِّها وغيِّها، والله أعلم.

فقه الحديث:

١ ـ الحرص على حسن السؤال؛ لأنه نصف العلم.

٢ ـ الحث على عتق الرقاب.

٣ ـ أن الأفضل في كل قربان لله ـ تعالى ـ أن يكون أعلا وأغلا، وأجود أنواع جنسه.

٤ ـ حسن المراجعة في السؤال.

٥ ـ صبر المفتي والمعلِّم على من يفتيه، أو يتعلّم منه.

٦ ـ الحث على إعانة الآخرين.

٧ ـ أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع؛ لأن غير الصانع مظنة الإعانة، فكل أحد يعينه غالباً، بخلاف الصانع؛ فإنه لشهرته بصنعته يغفل عن إعانته، فهي من جنس الصدقة على المستور، قاله ابن المنير.

٨ ـ بيان نوع من أنواع الصدقة يغفل عنها جمهور الخلق.

٩ ـ أن الصدقة على النفس جائزة.

١٠ ـ أن الترك يسمى عملاً.

١١ ـ أن المباح يكون مأجوراً عليه العبد إذا أعمل النية.

١٢ ـ الحث على فعل الخير ولو بأدنى ما يملك ويقدر.

١٣ ـ جميع هذه الأعمال من شعب الإيمان.

١٤ ـ بيان أهمية الجهاد في سبيل الله حيث يلي الإيمان بالله.

١٥ ـ الأعمال الصالحة تتفاضل فيما بينها.



(...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْد ـ قَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنا، وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ ـ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ مَوْلَى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي مُرَاوِحٍ،

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**فَتُعِينُ الصَّانِعَ أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ**».

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ فيه أربعة تابعين يروي بعضهم عن بعض، وهم: الزهري، عن حبيب، عن عروة، عن أبي مراوح.

٢ ـ **قوله: (بنحوه)؛ أي: بنحو حديث هشام.**

٣ ـ **قوله: (غير أنه قال)**؛ أي: أن الزهري ذكر (الصانع) معرِّفاً، وهشام ذكره بدون تعريف هكذا (صانع).

٤ ـ رواية الزهري هذه ساقها الإمام أحمد في «المسند» (٥/١٦٣/٢١٤٤٩):

حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزُّهري، عن حبيب مولى عرْوة بن الزُّبير، عن عروة، عن أبي مُرَاوح الغفاري.

عن أبي ذرٍّ قال: جاءَ رجل إلى النبي ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله، أيُّ الأعمالِ أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله وجِهادٌ في سبيل الله**»، فقالَ: أيُّ العتاقة أفضل؟ قال: «**أنفَسها**»، قال: أفرأيت إنْ لم أجِد؟ قال: «**فتعين الصانع، أو تَصْنَعُ لأخْرَقَ**»، قال: أفرأيت إن لم أستطع؟ قال: «**فدَع الناس مِن شَرِّكَ؛ فإنَّها صدقةٌ تصدَّقُ بها عن نفسكَ**».

وكذلك ساقها عبدالرزاق في «المصنف» (**٢٠٢٩٨**)، وأبو عوانة (**١٨٠**)، وابن منده في «الإيمان» (**٢٣٣**)، ووقع عند أبي عوانة: «**فتعين الضائع**» بالضاد المعجمة.



١٣٧ ـ (٨٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الشَّيْبَانِي، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ العَيْزَارِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِيَاسٍ أَبِي عَمْرو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ؛ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ**»، فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلا إِرْعَاءً عَلَيْهِ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٠/٨٠).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بثقات الكوفيين.

٣ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض؛ سليمان الشيباني عن الوليد عن أبي عمرو الشيباني.

٤ ـ رواية سليمان بن أبي سليمان الشيباني عن الوليد رواية أقران، فقد روى كل منهما عن الآخر.

٥ ـ أبو عمرو الشيباني من المخضرمين؛ فقد عاش مائة وعشرين سنة: ستون سنة في الجاهلية وستون سنة في الإسلام.

٦ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٥٢٧ و٢٧٨٢ و٥٩٧٠ و٧٥٣٤**).

✵ غريب الحديث:

قوله: (**الصلاة لوقتها**)؛ وفي الرواية التي بعدها: «**على وقتها**»، والمراد: أن إيقاع الصلاة في أول وقتها هو الأفضل.

قوله: (**برُّ الوالدين**): هو الإحسان إليهما بكل جميل من قول، وعمل

في الحياة، وبعد الممات.

قوله: **(فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه)**؛ إرعاء: هو بكسر وإسكان الراء وبالعين المهملة ممدود، ومعناه: إبقاء عليه ورفقاً به.

والمعنى: أني تركت ذلك خشية أذيته وإتعابه؛ بل أردت الرفق به وإراحته.

فقه الحديث:

١ ـ أن إيقاع الصلاة في أول وقتها هو أفضل عمل يفعله المسلم؛ إلا صلاة العشاء؛ فإنه يستحب تأخيرها.

٢ ـ أن طلب المزيد من البيان والإيضاح والعلم من أهله ليس بممنوع شرعاً.

٣ ـ أن الرفق بالمعلم والمربي بتخفيف الأسئلة والإطالة مستحب مطلوب، وهو أدب رفيع.

٤ ـ بيان عظم برّ الوالدين، وبيان أهميته وفضله.

٥ ـ بيان شدة محبة الصحابة ـ ﷺ ـ وحرصهم على رسول الله ﷺ من الأذى والتعب والملل.

٦ ـ أن الأعمال من الإيمان؛ وأنها متفاوتة في الأجر.

٧ ـ الحث على فعل المذكور في الحديث، والحذر من مخالفته أو التفريط به.

٨ ـ جواز السؤال عن مسائل متعددة مختلفة في وقت واحد ومجلس واحد.

٩ ـ جواز إخبار الإنسان عمّا لم يقع أنه لو كان كذا لوقع كذا.

١٠ ـ أن النبي جمع في هذا الحديث حفظ الحقوق والأصول الكلية؛ وهي: حق الله، وحق الأبوين، والإسلام، والمسلمين:

فحق الله في أداء الصلوات في مواقيتها، وحق الوالدين في الإحسان إليهما بكل جميل، وحق الإسلام بالدفاع عنه والجهاد لنشره، وحق المسلمين بالدفاع عن أموالهم وأعراضهم ودمائهم.

١١ ـ أن من حافظ على هذه العبادات، كان لما سواها أحفظ، ومَن ضيّعها كان لما سواها أضيع.



١٣٨ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الْفَزَارِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو يَعْفُورٍ[1]، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيّ الله! أَيُّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**الصَّلاةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا**»، قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللّهِ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أيّ الأعمال أقرب إلى الجنة**)؛ والمعنى: أنّ عبدالله يسأل: ما هي الأعمال الصالحة التي إذا عملتها دخلت الجنة؟

قوله: (**على مواقيتها**)؛ أي: لمواقيتها، وقيل: أراد الاستعلاء على الوقت، وفائدته: تحقق دخول الوقت؛ ليقع الأداء فيه.

قوله: (**وماذا يا نبي الله**)؛ أي: ما الذي يلي الصلاة في الفضل.

فقه الحديث:

١ ـ دليل على أن الأعمال الصالحة جعلها الله تعالى من أسباب دخول الجنة.

٢ ـ أن روح العبادة؛ هي: الرغبة والرهبة.

٣ ـ جواز سؤال الجنة، وطلب الأسباب الموصلة إليها.

٤ ـ إبطال لمذهب الصوفية الردية المخالفة للسنة النبوية، في

(١) المراد به هنا: أبو يعفور الأصغر، وهو عبدالرحمٰن بن عبيد بن نِسطاس الثعلبي.

دعواهم: أن مَن عَبَدَ الله خوفاً من عذابه؛ فهي: عبادة العبيد، ومَن عَبَدَه طمعاً في جنته؛ فهو: من التجار؛ وهي: عبادة التجار. قالوا: إنما يعبد الله حباً، وسموا ذلك: دين الحب، وهذا هو الذي قادهم إلى القول بالحلول والفناء ووحدة الوجود، وقبول وحدة الأديان الباطلة، والدعوة إليها، وتصحيح أديان الكفار ـ عياذاً بالله ـ.

٥ ـ لم يذكر الإيمان بالله في هذا الحديث على الرغم أنه أصل هذه الأعمال المذكورة؛ لأن المقصود بالأعمال في هذا الحديث هو الأعمال البدنية، وأراد بذلك الاحتراز عن الإيمان بالله؛ لأنه من أعمال القلوب.

٦ ـ قُدِّمت الصلاة على بِر الوالدين؛ لأن الصلاة حق للّه وشكر له، وبِر الوالدين حقٌ للعباد وشكرٌ لهم، وحق الله وشكره مقدَّم على حق الوالدين وشكرهم لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

٧ ـ قُدِّم بِر الوالدين على الجهاد في سبيل الله؛ لأن جهاد التطوع متوقف على إذن الوالدين؛ ففي الحديث الصحيح: أن رجلاً جاء النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أردت الغزو وجئت لأستشيرك، فقال: «**هل لك من أم؟**»، قال: نعم، قال: «**الزمها**». وفي رواية: «**إرجع إلى والديك؛ فأحسِن صحبتهما**». وفي أخرى: «**إرجع فاستأذنهما؛ فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبِرَّهما**».

٨ ـ الحديث فيه حث إلى البدار إلى الصلاة في أول وقتها، والتأكد من دخول الوقت دخولاً شرعياً.

٩ ـ استدل بالحديث على تحريم السفر بغير إذن الوالدين؛ لأن الجهاد إذا منع مع فضيلته فالسفر المباح أوْلى.

١٠ ـ خصّت هذه الأعمال الثلاثة بالذكر؛ لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فمَن حافظ عليها وبذل نفسه في سبيلها؛ فهو لغيرها أطوع وأحفظ، ومَن ضيّعها فهو لغيرها أضْيَع، والله أعلم.



١٣٩ ـ (...) وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُاللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعَيْزَارِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هٰذِهِ الدَّارِ ـ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِاللهِ ـ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ؟ قَالَ: «**الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِها**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ**»، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.

❊ غريب الحديث:

قوله: (**وأشار إلى دار عبدالله**)؛ أي: أشار أبو عمرو الشيباني إلى دار عبدالله بن مسعود، مما يدل على أن الإشارة المفهمة بمنزلة التصريح، وإنما أشار إلى الدار لتأكيد السماع.

قوله: (**حدثني بهن**)؛ أي: بهؤلاء الجمل الثلاث، مما يدل على أن عبدالله بن مسعود باشر السؤال للنبي وسمع الجواب منه.

قوله: (**ولو استزدته لزادني**)؛ أي: لو طلبت منه أن يعلمني زيادة على ما سألته لزادني؛ لسعة صدره، وحُسن خلقه، وكرم عشرته.

فقه الحديث:

١ ـ أن الإشارة تتنزل منزلة التصريح إذا كانت معينة للمشار إليه مميزة له عن غيره.

٢ ـ جواز استعمال لو في مثل هذه الأقوال.

٣ ـ بيان ما عليه رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق التي لا يحيط بها معطيها ـ سبحانه وتعالى ـ.



(...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. وَزَادَ: وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِاللهِ، وَمَا سَمَّاهُ لَنَا.

- **فوائد الإسناد:**

١ ـ **قوله: (بهذا الإسناد)**؛ أي: الإسناد المذكور عن شعبة عن الوليد بن العيزار عن أبي عمرو الشيباني عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ **قوله: (مثله)**؛ أي: مثل الحديث السابق.

٣ ـ **قوله: (وزاد)**؛ أي: زاد شيخه محمد بن بشار في روايته: «وما سمّاه لنا».

٤ ـ رواية شعبة التي أشار إليها المصنف ـ رحمه الله ـ ساقها الإمام أحمد (٤١٨٦/٤٣٩/١):

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبَةُ، وحجَّاج، حدثني شُعْبَةُ، عن الوليد بن العَيْزَار، قال حجَّاج: سمعتُ أبا عمرو الشَّيبَاني، وقال محمد: عن أَبي عمرو الشَّيْباني، قال:

حدثنا صاحبُ هذه الدَّار ـ وأشار بيدِهِ إلى دارِ عبدالله، وما سمَّاه لنا ـ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلى الله عز وجل؟ فقال: «**الصلاةُ على وَقْتِها**» ـ قال الحجَّاجُ: لِوَقْتِها ـ قال: ثم أَيٌّ؟ قال: «**ثم بِرُّ الوَالِدَيْنِ**»، قال: ثم أَيٌّ؟ قال: «**ثم الجهادُ في سبيل الله**»، ولو استزدْتُه لَزَادَنِي.



١٤٠ ـ (...) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِالله، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِالله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ ـ أَوِ الْعَمَلِ ـ الصَّلاَةُ لِوَقْتِها، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ**».

➢ **فوائد متعلقة بأحاديث الباب:**

١ ـ اختلف العلماء في الجمع بين أحاديث أفضل الأعمال إلى أقوال:

أ ـ أن ذلك اختلاف جواب جرى على حسب اختلاف أحوال الأشخاص؛ فذكر لكل شخص ما يناسبه، ولم يرد خبر جميع الأشياء من جميع الوجوه في جميع الأحوال والأشخاص.

ب ـ أن المراد من أفضل الأعمال كذا، أو من خيرها، أو من خيركم مَن فعل كذا.

ت ـ أن (ثم) لا تقتضي ترتيب هذه الأعمال المذكورة في الأهمية وبيان الأفضلية.

قال مقيِّده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه، وبالخير ختم له ـ: أولى هذه الأقوال ـ عندي ـ القول الأول وأبعدها الأخير؛ لأنه شاذ عند أهل العربية والأصول[1].

وهذا هو اختيار شيخنا فقيه الزمان محمد صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ.

قال:

«هذه الأحاديث، فيها بيان أن الأعمال مراتب في الفضل، وكلما كان أفضل؛ فهو أحب إلى الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث: أي العمل أحب إلى الله؟ وفي بعضها: أي العمل أفضل؟

وظاهر هذه الأحاديث، أن بعضها قد يخالف الآخر، فمثلاً: في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: سئل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرور**».

ومعلوم أن الصلاة أفضل من الجهاد، وأفضل من الحج المبرور، كما دلّ عليها حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، فقيل: إن هذا الخلاف باعتبار حال السائل؛ لأن النبي ﷺ يعرف من حال السائل أن الأفضل في حقه كذا دون كذا، ويبقى فضل العمل الآخر المطلق في الأحاديث الأخرى، وهذا أقرب ما يكون.

---

(١) وانظر لمزيد من الفائدة:
١ ـ «المفهم» للقرطبي (١/٢٧٥ ـ ٢٧٦).
٢ ـ «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (٢/١١ ـ ١٥).
٣ ـ «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٢١٠ ـ ٢٢٠).

وقيل: إن **(أفضل)** اسم تفضيل، فإذا قيل عن هذا العمل: أفضل، وعن هذا العمل: أفضل، فلا منافاة لاشتراكهما في الأفضلية، وعلى هذا فيكون الأفضل على تقدير: من، أي: من أفضل الأعمال، ولكن هذا ليس بوجيه حين يوجِّه السؤال إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ويقال: أي العمل أحب إلى الله؟ صحيح أن السائل يريد العمل الأعلى، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الصواب هو الوجه الأول، وهو أن النبي ﷺ يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله»[1]

٢ ـ في أحاديث الباب إثبات صفة المحبة للّه ـ عز وجل ـ، وأن الأعمال تتفاضل عند الله بالمحبة.

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

و«هذه المحبة: هل هي محبة حقيقية؟ أو المراد بها الثواب والأجر؟

فالجواب: أن جادة أهل السنّة والجماعة ـ فيما أضافه الله إلى نفسه ـ أنه على حقيقته، وأن صرفه إلى غير ظاهره تحريف، وعلى هذا فنقول: إن المحبة محبة حقيقية، ثابتة للّه ـ عز وجل ـ على الوجه اللائق به، وليست محبة طلب النفع، أو طلب دفع ضرر، فهي محبة حقيقية؛ لأن المحبوب فعل ما يرضيه ـ عز وجل ـ، فهي محبة كمال، ومحبة إحسان.

وأما مَن أنكر المحبة، وقال: المراد بالمحبة: الثواب، أو إرادة الثواب، فهذا لا شك أنه محرّف.

وتعليل بعضهم: بأن المحبة إنما تكون بين شيئين متجانسين، فهذا تعليل عليل؛ بل باطل؛ لأننا نرى أن المحبة تكون بين شيئين بينهما من التضاد ما هو واضح.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٢٩٥ ـ ٢٩٦).

فالإنسان ـ مثلاً ـ يحب بيته الشرقي دون الغربي، مع أنه كله جماد ليس من جنسه؛ بل من أبعد الأشياء عنه، وقد يحب الساعة الفلانية أكثر من الساعة الفلانية، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**هذا أُحد جبل يحبنا ونحبه**»، فأثبت المحبة بين الإنسان والجماد، فكيف لا تثبت المحبة بين الخالق والمخلوق؟

ثم يقال ـ أيضاً ـ: من الأدلة العقلية على ثبوت المحبة للّه ـ عز وجل ـ: إثابة الطائعين على طاعتهم، تدل على أن الله يحب الطاعة، ويحب المطيع، ولولا المحبة ما أثابه، وهذا دليل عقلي، لا ينكره أحد.

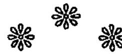
والعجب أن هؤلاء ـ الذين ينكرون المحبة ـ يقولون: إن العقل يمنعها، أو إن العقل لا يدل عليها؛ لأن لهم طريقين في النفي:

فمنهم مَن قال: إذا كان العقل لا يُثبت هذه الصفة، فلا تثبتها.

ومنهم مَن قال: إذا كان العقل ينفي هذه الصفة فلا تُثبتها، وبينهما فرق.

ذاك يقول: إثباتها يتوقف على إثبات العقل لها، فإن لم يثبتها؛ وجب عليكم نفيها.

والثاني يقول: نفيها يتوقف على نفي العقل لها؛ فإن لم ينفها العقل؛ فلا تنفها»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٢٩٧ ـ ٢٩٨).

٣٧ ـ باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده

١٤١ ـ (٨٦) حَدَّثَنَا عُثْمانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِاللهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللّهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن رواته كلهم كوفيون سوى إسحاق بن إبراهيم؛ فمروزي، ثم نيسابوري.

٣ ـ فيه رواية مخضرم عن مخضرم: أبو وائل عن عمرو.

٤ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٤٧٧٧ و٦٠٠١ و٦٨١١ و٦٨٦١ و٧٥٢٠).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**أي الذنب أعظم**)؛ أي: أشد عقوبة.

قوله: (**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**)؛ الند ـ بكسر النون وتشديد

الدال ـ مفرد، وجمعه: أنداد؛ وهو: النظير والمثيل، وقيل: أخص من المثل. فيقال: كل ند مثل، وليس كل مثل نداً.

والمعنى: أن أعظم الذنوب التي عصي بها الله ـ تعالى ـ؛ هو: اتخاذ العبد إلهاً ومعبوداً غير خالقه ـ ﷻ ـ وهو يعلم أن هذا المعبود ليس هو الخالق المعبود بحق.

قوله: **(قلت له: إن ذلك لعظيم)**؛ أي: إن هذا الذنب؛ وهو: الشرك ذنب عظيم لا ذنب فوقه.

قوله: **(ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك)**: وهذا يدل على قسوة القلب، وغلظ الطبع، وغلبة الجهل، وقد حذّر الله منه في كتابه حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، **وقال**: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، فنهى الله ـ تعالى ـ عن فعل أهل الجاهلية الجهلاء الحمقاء، الناشىء عن اعتقاد فاسد وعقل كاسد؛ وهو: سوء الظن، وعدم التوكل على الله ـ تعالى ـ الخالق الرازق سبحانه؛ فنهى عن قتله لمن هو معدم، ولمن هو يخشى الفقر من مشاركة هذا المولود له في رزقه، وهذا من أعظم الذنوب؛ لأنه قتل للنفس بغير حق.

قوله: **(ثم أن تزاني حليلة جارك)** الزنا؛ هو: مجامعة الأنثى من غير عقد شرعي، يقال: زنى بالمرأة، وهو زانٍ، والجمع: زناة. وهي زانية والجمع: زوانٍ.

والحليلة: الزوجة، سميت بذلك؛ لأنها تحل له ومعه.

والمعنى: أن إيقاع الفاحشة بزوجة الجار من أعظم الذنوب وأقبحها، وذلك؛ لأن الواجب حفظ حقوقه وعورته، والغيرة عليه وعلى عرضه، والدفاع عنه، فإذا أوقع الفاحشة في أهله بعد هذه الواجبات دلّ على عظيم خيانته، وقلة ديانته، وفساد وذهاب أمانته، وقد ثبت التغليظ في أذية الجار، وفي الزنى بأهله على وجه التخصيص ما تقشعر له جلود الذين آمنوا، والله المستعان.

فقه الحديث:

١ ـ أن السؤال عن الشر والبلاء من العلم، ويكون ممدوحاً إذا كان عن أمر يكثر وقوعه في حياة الناس؛ فيعلم الحكم، وينشر بين الناس لردعهم عن هذا الفعل.

٢ ـ الذنوب تتفاوت، فمنها الكبير والعظيم، ومنها الصغير دون الأول.

٣ ـ أن أعظم الذنوب؛ هو: الشرك بالله، وأقبحها أن تجعل مع الله خالقاً، أو معبوداً غيره.

٤ ـ كل من جعل ونسب لغير الله فعلاً، وقولاً، ووصفاً لا يكون إلاّ لله؛ فقد أشرك به.

٥ ـ أن قتل الولد من أكبر وأقبح الذنوب.

٦ ـ فظاعة قتل النفس بغير حق.

٧ ـ وبمفهوم هذا النص؛ أن الأرزاق مقسمة من عند الله ـ تعالى ـ لا تزيد ولا تنقص.

٨ ـ أن الزنا بزوجة الجار من أعظم الذنوب، وأقبح الكبائر كذلك.

٩ ـ أن أفعال العباد مخلوقة لله ـ تعالى ـ.

١٠ ـ بيان عظم حق الولد والجار؛ لأنهم خصوا من بين سائر الناس.

١١ ـ كما أن للإيمان شعباً ومراتب؛ فإن للمعاصي شعباً ودركات.



١٤٢ ـ (...) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعاً عَنْ جَرِير، قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُالله: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَيّ الذَّنْبِ أَكْبَر عِنْدَ اللّهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟

قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ**»، فَأَنْزَلَ اللّهُ - عز وجل - تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

➢ فوائد الإسناد:

١ - أن رواته كلهم كوفيون، غير إسحاق بن إبراهيم؛ فمروزي ثم نيسابوري.

٢ - أن الإسنادين هذا والسابق تواليا من بلدة واحدة، وهذه لطيفة.

⮰ فقه الحديث:

١ - أن دعاء غير الله - تعالى - من جعل الند له سبحانه.

٢ - أن الدعاء عبادة، وأي عبادة! بل هو روح العبادة.

٣ - أن الله يؤيد رسوله ﷺ بالكتاب المبين.

٤ - أن الحديث من أنواع تفسير القرآن.

٥ - صور لما اشتملت عليه الآية الكريمة من ذكر المعاصي.

٦ - أن قتل النفس بحق ليس من ذلك.

٧ - النهي الأكيد الشديد عن مشابهة المشركين أهل الجاهلية الأولى ومن شابههم من جاهلية الغرب والشرق الثانية.

٨ - أن الذنب يعظم بعظم أثره ومكانه الذي دلّ عليه الدليل.

٩ - أن الكبائر كثيرة لا تحصر بسبع؛ بل ما دلّ عليه الدليل أنه كبيرة فهو منها.

١٠ ـ أن الكبائر في ذاتها تتفاوت في الجرم والظلم.

١١ ـ اشتمل هذا الحديث على أصول المعاصي كلها ـ كبارها وصغارها ـ؛ وهي كما ذكرها ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية.

وهي: الشرك، والظلم، والفواحش.

فغاية التعلق بغير الله: الشرك، وأن يدعى معه إلٰه آخر.

وغاية طاعة القوة الغضبية: القتل.

وغاية طاعة القوة الشهوانية: الزنى.

ولهذا جمع الله ـ سبحانه ـ بين الثلاثة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]»[١].



(١) «الفوائد» (ص١٣١).

٣٨ ـ باب ذكر الكبائر وبيان أكبرها

١٤٣ ـ (٨٧) حدّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُكَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيّ، حَدَّثَنَا عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟** ـ ثَلاثاً ـ: **الإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ** ـ أَوْ **قَوْلُ الزُّورِ**»، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي بكرة الثقفي ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٦٣/١١٤).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بثقات البصريين، غير شيخه؛ فبغدادي.

٣ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء: عبدالرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: سعيد الجريري عن عبدالرحمٰن بن أبي بكرة.

٥ ـ فيه لقب بصورة الكنية، وهو أبو بكرة ـ رضي الله عنه ـ؛ فإنه لقب، وليس كنية.

٦ ـ حديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٦٥٤ و٥٩٧٦ و٦٢٧٣ و٦٢٧٤ و٦٩١٩**).

* غريب الحديث:

قوله: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ)**: أسلوب علمي عملي مفيد في لفت أسماع وأنظار الحاضرين؛ لإلقاء العلم عليهم، أتريدون أن أخبركم، وأعلمكم ما أكبر الكبائر؟ قالها ثلاث مرات؛ للتأكيد وبيان عظم شأنها.

قوله: **(وعقوق الوالدين)**؛ العقوق ـ بضم العين ـ: مشتق من العق؛ وهو: القطع. يقال: عقّ والده يعُقه ـ بضم العين ـ عقاً وعقوقاً؛ إذا قطعه ولم يصله، والجمع: عاق عققة بفتح الحروف كلها.

وحقيقة العقوق: القطيعة والأذية بالقول والفعل لهما، والتقصير في خدمتهما وغيره الكثير.

قوله: **(وشهادة الزور ـ أو قول الزور ـ)**؛ أصل الزور: تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته؛ حتى يخيل لمن سمعه أنه بخلاف ما هو به. وقيل: هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مالٍ، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، وقيل غير ذلك.

قوله: **(وكان متكئاً فجلس)**: هذا يدل على اهتمامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهذا الأمر؛ لأنه أسهل وقوعاً على الناس، والتهاون به أكثر، والحوامل عليه كثيرة، ومفسدته متعدية.

قوله: **(فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت)**: يكررها للتنبيه على عظم وكبر ضررها، يحذرهم منها.

وإنما قالوا ذلك، وتمنوه؛ إشفاقاً عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما رأوا من انزعاجه وغضبه، وقولهم: إما فيما بينهم، أو في أنفسهم دون نطقٍ.

فقه الحديث:

١ ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على مرافقة رسول الله ﷺ وملازمته في حلِّه وترحاله؛ لينهلوا من معينه العذب الزلال.

٢ ـ بيان حرص الصحابة ـ ﷺ ـ، وفضلهم؛ لنقل الحكم، والأحكام، والدروس النافعة لبني الإنسان إلى آخر الزمان.

٣ ـ استعمال وسلوك أنجع الطرق المفيدة التي توصل العلوم إلى عقول، وقلوب المخاطبين.

٤ ـ أن الذنوب تنقسم إلى كبير وصغير.

٥ ـ أن الكبائر متفاوتة في الكبر والعظم.

٦ ـ استحباب تكرير الكلام؛ للتنبيه على عظم خطره أو مكانته.

٧ ـ أن الشرك أكبر الكبائر.

٨ ـ أن عقوق الوالدين على اختلاف صوره من الكبائر.

٩ ـ أن شهادة الزور وقوله من الكبائر.

١٠ ـ التركيز على شهادة الزور من المذكورات إنما هو؛ لسهولتها، وكثرتها، وعظم ضررها.

١١ ـ جواز التحدث والتحديث بالعلم في حال الاتكاء.

١٢ ـ نظم كل من العقوق وشهادة الزور بالشرك في آيتين:

إحداهما: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ثانيتهما: قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

١٣ ـ حرص الصحابة ـ ﷺ ـ على رسول الله ﷺ، بعدم إتعابه وانزعاجه وغضبه، وتمنِّي راحته.

١٤ ـ أن الذنب يعظم بعظم أثره السيِّىء على العباد.

١٥ ـ وفيه انزعاج الواعظ في وعظه؛ ليكون أبلغ في الوعي عنه، والزجر عن فعل ما ينهى عنه.

١٦ ـ التحريض على مجانبة كبائر الذنوب؛ ليحصل تكفير الصغائر بذلك؛ كما وعد الله ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

١٧ ـ إشفاق التلميذ على شيخه إذا رآه منزعجاً، وتمني عدم غضبه؛ لما يترتب على الغضب من تغير مزاجه.



١٤٤ ـ (٨٨) وحدّثني يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ ـ وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ ـ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُالله بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكَبَائِرِ؛ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَقَوْلُ الزُّورِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن رواته كلهم بصريون.

٣ ـ فيه رواية الأحفاد عن الأجداد: عبيدالله بن أبي بكر عن أنس بن مالك.

فقه الحديث:

١ ـ أن قتل النفس من الكبائر.

(...) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِالْحَمِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُاللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكَبَائِرَ ـ أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ ـ فَقَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**». وَقَالَ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**»، قَالَ: «**قَوْلُ الزُّورِ ـ أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ**»، قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ شَهَادَةُ الزُّورِ.

● فوائد الإسناد:

١ ـ أن رواته كلهم بصريون.

٢ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٦٥٣ و٥٩٧٧ و٦٨٧١**).

فقه الحديث:

١ ـ ظاهر الحديث أنه خصّ أكبر الكبائر بقول الزور، وليس كذلك؛ لأن الشرك أكبر منه بلا مثنوية، وكذلك قتل النفس.

وإنما اهتمّ رسول الله ﷺ بشهادة الزور فوق اهتمامه بالمذكورات؛ لأنها أسهل وقوعاً على الناس، والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أيسر وقوعاً؛ لأن الشرك تنبو عنه الفطرة، والعقوق ينبو عنه الطبع، والقتل تنبو عنه النفس، وأما شهادة الزور فدوافعها كثيرة؛ كالحسد، والعداوة، والبغضاء، ومفسدتها متعدية إلى غير صاحبها؛ فصحّ الاهتمام بها، وتغليظ تحريمها، وكذلك شهادة الزور وسيلة يتوصل بها إلى الشرك والقتل والعقوق.

٢ ـ حمل بعض العلماء شهادة الزور على الكفر بالله، لأن الكافر شاهد بالزور، وعامل به.

وهذا ضعيف؛ لأن الحديث خرج مخرج الزجر عن شهادة الزور في الحقوق.

٣ ـ لا فرق في كون شهادة الزور كبيرة بين أن تكون بحق عظيم أو حقير.

٤ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «واعلم أن الشهادة لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يشهد بما علم أن الواقع بخلافه.

الحالة الثانية: أن يشهد بما لا يعلم أن الواقع بخلافه.

الحالة الثالثة: أن يشهد بما لا يعلم أن الواقع بوفاقه.

فما هي شهادة الحق؟ هي الحالة الأولى.

أن يشهد بما علم، وانتبه لقولنا: بما علم، فإن الشهادة لا تبنى على الظن، بل لا ينفع فيها إلا اليقين، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]. فالظن لا يكفي، وإن أردت أن تقول ـ في شهادتك عند القاضي ـ: رأيت كذا وكذا، وأظنه، فلا بأس؛ لأنك شهدت بما علمت، حيث قلت: أظن، والقاضي يستفيد من قولك: أظن، يستفيد أن تكون هذه قرينة، لكن لا يحكم بها إذ لا يحكم إلا بشهادة صادرة عن علم.

أما الحال الثانية: وهي أن يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافه، فهذا لا شك أنه أعظم ما يكون من شهادة الزور.

وأما الحال الثالثة: وهي أن يشهد بما لا يعلم ثبوته، فهذا ـ أيضاً ـ من شهادة الزور؛ لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]»(١).



١٤٥ ـ ﴿٨٩﴾ حدّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيد الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ؛ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ!

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٠٧ ـ ٣٠٨).

وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيم، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**».

✺ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالرواة المدنيين سوى شيخه؛ فأيلي ثم مصري.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٢٧٦٦ و٥٧٦٤ و٦٨٥٧).

✺ غريب الحديث:

قوله: (**اجتنبوا السبع الموبقات**) الاجتناب؛ هو: الابتعاد.

والسبع: ليس له مفهوم الحصر.

والموبقات: جمع موبقة، يقال: وَبَق، يبِق، ووُبِق، ويوبِق؛ إذا هلك، وأوبق غيره؛ أي: أهلكه.

والمعنى: ابتعدوا، واحذروا هذه السبع التي أذكرها؛ فإنها سبب لهلاك مرتكبها.

قوله: (**السحر**)؛ والسحر لغة: هو ما دق، ولطف، وخفي سببه.

وشرعاً؛ هو: عقد، ورقى، وكلام، يتكلم به، أو يكتبه الساحر، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له.

والمعنى: أن فعل السحر لأذية الناس من كبائر الذنوب المهلكة صاحبها.

قوله: **(وأكل مال اليتيم)**؛ اليتم في الناس: فقد الصبي أباه قبل البلوغ، وفي الدواب: فقد الأم.

وأصل اليتم ـ بالضم والفتح ـ الانفراد، يقال: يتم الصبي ـ بالكسر ـ ييتم؛ فهو يتيم، والأنثى يتيمة، وجمعها: أيتام، ويتامى، وقد يجمع اليتيم على يتامى؛ كأسير وأسارى، وإذا بلغا زال عنهما اسم اليتم حقيقة.

والمعنى: أن آخذ حق اليتيم الذي فقد الأب ـ الذي يقوم على خدمته وحفظه ورعايته ـ ظلماً وزوراً؛ من كبائر الذنوب المهلكة صاحبها، وليس المراد بالأكل مجرد تناوله طعاماً؛ لا، بل هذا للتغليب، وإلاّ فأخذ أرضه، ومنزله، وتركته، وكل متاع، أو مال يملكه داخل في هذا النص.

قوله: **(وأكل الربا)**؛ أصل الربا: الزيادة، يقال: ربا المال يربو ربْواً: إذا زاد وارتفع، والاسم الرّبا ـ مقصور ـ وهو في الشرع: الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع، ويقال: أربى الرجل؛ فهو مُرْبٍ.

وإنما خصّ الآكل بالذكر؛ لأن الذين نزلت فيهم الآيات المذكورة كانت طعمتهم من الربا؛ وإلا فالوعيد حاصل لكل من عمل به؛ سواء أكل منه أم لا.

قوله: **(والتولي يوم الزحف)**؛ التولي: الانصراف والفرار.

ويوم الزحف؛ هو: يوم التقاء الجيشين يزحف بعضهم إلى بعض للقتال.

والتولي الذي يُعد كبيرة إنما هو لمن قصد الفرار بلا عودة، ولا يشمل من انحاز إلى فئة من المقاتلين في جهة من الجهات.

قوله: **(وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)**؛ القذف هاهنا: رمي المرأة بالزنا، أو ما كان معناه، وأصله الرمي، ثم استعمل في هذا المعنى؛ حتى غلب عليه.

يقال: قذف يقذف قذفاً؛ فهو قاذف.

والمحصنات هاهنا؛ تعني: الحرائر العفيفات، وهذا لا يختص بالمتزوجات؛ بل حكم البكر كذلك بالإجماع.

والغافلات؛ يعني: عمّا رمين به من الفاحشة، فهن بريئات من ذلك، لا خبر عندهن منه.

والمعنى: أن اتهام الأنثى ورميها بالزنا ـ سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة ـ وهي حرة عفيفة لا يعرف عنها شيء من هذا ألبتة؛ ولم يأتِ بأربعة شهود؛ فإنه من كبائر الذنوب المهلكة لقائلها.

وكذلك قذف الرجال بالزنى يدخل في هذا الباب؛ بلا مثنوية.

فقه الحديث:

١ ـ بيان كمال شفقة النبي ﷺ، وحرصه على أُمته من الوقوع في المهلكات.

٢ ـ أن الذنوب سبب هلاك الأفراد والجماعات، والحكام والمحكومين، والأمم والشعوب؛ في الدنيا قبل الآخرة.

٣ ـ أن العدد لا يفيد الحصر في كل نص؛ كما في هذا الحديث لثبوت غير المذكورات، وإنما ليسهل حفظها وفهمها لدى السامع.

٤ ـ أن هذه الخصال الذميمة اللعينة سبب لاختلال نظام المجتمع الإسلامي، وسقوط أركانه، وطمس معالمه، وتسلُّط أعدائه عليه.

٥ ـ ليس المراد بترك الذنوب صغيرها وكبيرها؛ بل والبُعد عن كل ما يوصل إليها.

٦ ـ أن هذه السبع المذكورات هن المهلكات لمواقعهن.

٧ ـ أن السحر من أكبر الكبائر.

٨ ـ أن أكل مال اليتيم من أكبر الكبائر.

٩ ـ والتولي يوم الزحف من أكبر الكبائر.

١٠ ـ واتهام أي امرأة بالزنا من غير البيِّنة الشرعية، وهي عن ذلك بعيدة؛ بل أوصاف الإيمان ظاهرة عليها من أكبر الكبائر.

١١ ـ قذف الرجل المحصن الغافل المؤمن من الموبقات السبع، ولكن ذكرت النساء؛ لأن قذفهن كثير بخلاف الرجال.

١٢ ـ لا يجوز تعلّم السحر لمعرفة أنه كفر أو إزالته عمّن وقع فيه، وقول القائل: تعلّموا السحر، ولا تعملوا به باطل وفاسد؛ لأن تعلُّم الكفر وما تفرّع عنه لا يحل أصلاً.

وكذلك حلُّ السحر بالسحر يدخل في هذا الباب على الصحيح الراجح من أقوال أهل العلم.



١٤٦ ـ **(٩٠)** حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ الْهادِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْه**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَهَلَ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْه؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أبا الرَّجُلِ؛ فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ؛ فَيَسُبُّ أَمَّهُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث **(٣٩/٦٣)**.

● فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بثقات المدنيين غير شيخه؛ فبغلاني، والليث؛ فمصري، لكنهما دخلا المدينة، ولقيا مالك بن أَنس وأخذا عنه.

٣ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: ابن الهاد وسعد وحميد.

٤ ـ رواية ابن الهاد عن سعد رواية أقران.

٥ ـ حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٥٩٧٣**).

* غريب الحديث:

قوله: (**من الكبائر شتم الرجل والديه**) الشتم؛ هو: السّبُّ، يقال: سبَّه يسبُّه سبًّا وسِباباً، وهو توجيه كلام بذيء لآخر.

والمعنى: أن أذية الوالد أو الوالدين باللسان، فضلاً عن سائر الأركان من الكبائر؛ بل وأكبرها.

قوله: (**وهل يشتم الرجل والديه؟**): هذا استفهام إنكاري استبعادي.

والمعنى: أنهم أنكروا أن يقع ذلك واستبعدوه؛ لأن الطبع المستقيم يأبىٰ ذلك، وينفر منه.

قوله: (**نعم، يسبُّ أبا الرجل؛ فيسبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ؛ فيسبُّ أُمّه**): فبيّن أن السب غير مباشر، وإنما كان جزاء سبّه لآباء الناس؛ فسبّ الناس أباه، ومثله يقال في الأُم.

فقه الحديث:

١ ـ أن الكبائر لا تنحصر بسبع أو غيره.

٢ ـ أن شتم الوالد أو الوالدين من الكبائر، وكل ما يؤذيهما حرام.

٣ ـ بيان صفاء ونقاء المجتمع الأول؛ إذ هو العصر الأنور الأزهر الذي تربى على يدي رسول الله ﷺ وشرعته.

٤ ـ أن انتشار عقوق الوالدين، ومنه: سبهما؛ دليل على فساد المجتمع، وانغماسه في الرذيلة، وبُعده عن الفضيلة.

٥ ـ هذا الحديث أصل للقاعدة العظيمة: سد الذرائع.

٦ ـ أن المتسبب في الفعل؛ كالمباشر له.

٧ ـ وجوب سد ذرائع الفساد بكل أنواعه.

٨ ـ أن النساء شقائق الرجال في الأحكام إلاّ ما استثناه النص.

٩ ـ جواز مراجعة التلميذ لشيخه فيما يقول ويُشكل عليه.

١٠ ـ بيان عظم حق الوالدين في الإسلام.



(...) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّار، جَمِيعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ. (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، كِلاهُما، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بِهذَا الإِسْنادِ، مِثْلَهُ.

● **فوائد الإسناد:**

١ ـ **قوله: (بهذا الإسناد)**؛ أي: بالإسناد الذي قبله.

٢ ـ **قوله: (مثله)** مثل حديث قتيبة بن سعيد عن الليث عن ابن الهاد عن سعد.

٣ ـ رواية شعبة التي أحال عليها المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أخرجها الإمام أحمد (٢/١٩٥/٦٨٤٠):

حدثنا محمد بن جعفر، وحجاج؛ قالا: حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن حميد، قال حجاج: سمعت حميد بن عبدالرحمٰن، عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**إن من أكبر الذنب، أن يسب الرجل والديه**»، قالوا: وكيف يَسُبّ الرجل والدَيْه؟ قال: «**يَسُبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه**».

وأما رواية سفيان؛ فأخرجها الإمام أحمد **(٢/١٦٤/٦٥٢٩)**:

حدثنا وكيع، حدثنا مسعر، وسفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن حميد بن عبدالرحمٰن بن عوف، عن عبدالله بن عمرو، رفعه سفيان، ووقفه مسعر، قال: «**من الكبائر أن يشتم الرجل والديه**»، قالوا: وكيف يشتم الرجل والديه؟ قال: «**يسب أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمَّه**».



٣٩ ـ باب تحريم الكبر وبيانه

١٤٧ ـ (٩١) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، جَمِيعاً عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٠/٨٠).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من ثمانيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين إلى شعبة، والباقون كوفيون.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: إبراهيم عن علقمة.

٤ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✸ غريب الحديث:

قوله: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر**): الذرة؛ هي: أصغر جزء في أي عنصر يحافظ على صفاته الأصلية، أو أقل مثاقيل الوزن، ويحتمل أن يكون المراد صغار النمل، ويحتمل أن يراد بالذرّة هنا ما يُرى في شعاع الشمس الداخل من نافذة أو ثقب.

والكبر؛ هو: رؤية النفس على الحق والخلق؛ فالمتكبر يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال.

والمعنى؛ أن: المتكبر على الحق والخلق داخل في الوعيد الشديد، فهو إما ألا يدخل الجنة مطلقاً، وإما ألا يدخل؛ حتى يذوق جزاءه من العذاب على ما تقدم من التفصيل والتأصيل لذلك.

قوله: **(إن الله جميل يحب الجمال)**: إن الله ـ تعالى ـ موصوف بصفات الكمال، ومنعوت بنعوت الجمال؛ فهو جميل في ذاته، وأفعاله، وصفاته، وكل ما يصدر منه جميل حسن ليس بقبيح؛ بل حسن تستحسنه العقول السليمة، وتستسيغه النفوس الكريمة.

ويحب الجمال؛ أي: يحب أن يتجمل عباده بحسن الثياب، وسائر اللباس، وفي جميع شؤونهم وذواتهم؛ لأن التجمل يجذب القلوب إلى الإنسان، ويحببه إلى الناس، والعكس بالعكس.

قوله: **(الكبر بطر الحق، وغمط الناس)** البطر؛ هو: الإبطال.

وقيل: التحير عند الحق؛ فلا يراه حقاً.

وقيل: الإنكار.

وغمط الناس؛ هو: احتقارهم.

يقال: غمط، وغمص، والمعنى واحد.

والمعنى: أن لازم الكبر إبطال وإنكار الحق ترفعاً عنه، واحتقار الخلق ترفعاً عنهم.

فقه الحديث:

١ ـ ذمُّ الكبر والمتكبرين.

٢ ـ بيان حكم التكبر؛ وأنه كبيرة من الكبائر، أو كفر وردة على تفصيل.

٣ ـ الوعيد الشديد لمن تكبّر عن الحق، أو على الخلق.

٤ ـ أن أصغر مقدار للكبر في قلب الإنسان سبب لعذابه.

٥ ـ بيان شيء من أثر الكبر.

٦ ـ أن حسن الهيئة في الملبس ليس من الكبر ما لم يدخل العجب نفس العبد؛ فيختال بسبب ذلك.

٧ ـ بيان ما كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من حرص على النظافة والتجمُّل حتى في النعل.

٨ ـ إثبات صفة الجمال لله ـ تعالى ـ.

٩ ـ إثبات صفة المحبة له ـ سبحانه ـ.

١٠ ـ وبمفهومه حث على التواضع الذي هو سيد الأخلاق.

١١ ـ بيان ما كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من الحرص الشديد على حسن اللباس، وجمال الظاهر والباطن ـ رضي الله عنهم ـ.

١٢ ـ الإيمان يزيد وينقص.

١٣ ـ الله ـ عز وجل ـ لا يظلم أحداً، ولو كان عمله كمثقال الذرة، أو حبة من خردل.



١٤٨ ـ (...) حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، كِلاهُما عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ، قَالَ مِنْجابٌ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِياءَ»**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه تابعيون ثلاثة، يروي بعضهم عن بعض؛ وهم: الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة.

٢ ـ أن رواته ـ كلهم ـ كوفيون باستثناء سويد بن سعيد؛ لكن يغني عنه منجاب.

* غريب الحديث:

قوله: **(لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان)**؛ حبة خردل: الواحدة خردلة؛ وهي: نبات عشبي ينبت في الحقول، وأطراف الطرق، يُستخدم بزره في الطب وتوابل الطعام. يُضرب به المثل في الصِّغر.

والمعنى: أن الله ـ تعالى ـ لا يخلّد أحداً من الموحدين في النار؛ ولو كان الإيمان الذي في قلبه قدر حبة الخردلة في الصِّغَرِ.

فقه الحديث:

١ ـ أن الموحدين لا يخلدون في نار جهنم؛ بل يخرجون لوجود أصل الإيمان، وإنما يدخلون النار؛ لتطهيرهم من الذنوب والمعاصي.

٢ ـ أن الإيمان يزيد؛ حتى يكتمل في القلب، وينقص؛ حتى يبقى شيء يسير، أو يذهب بالكلية.

٣ ـ ويُستفاد ـ أيضاً ـ: أن المؤلف بعد أن ذكر جملةً من شعب الإيمان في الأبواب السابقة؛ ليدلل على زيادته بالطاعة؛ فإنه بدأ بذكر الأبواب المحتوية على الأحاديث الدالة على ضعف الإيمان، ونقصانه، وأحياناً ذهابه بالكلية.



١٤٩ ـ (...) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**».

تقدم شرحه في الحديثين السابقين.

٤٠ ـ باب الدليل على مَن مات لا يشرك باللّه شيئاً دخل الجنة، وأن مَن مات مشركاً دخل النار

١٥٠ ـ (٩٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَوَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ ـ قَالَ وَكِيعٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ**»، وَقُلْتُ أَنَا: وَمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن رواته ـ كلهم ـ كوفيون.

٣ ـ قوله: (قال وكيع: قال رسول الله ﷺ، وقال ابن نمير: سمعت رسول الله ﷺ):

قال النووي: «هذا وما أشبهه: من الدقائق التي ينبه عليها مسلم ـ رضي الله عنه ـ، وهي من الدلائل القاطعة على شدة تحرِّيه، وإتقانه، وضبطه، وعرفانه، وغزارة علمه، وحذقه، وبراعته في الغوص على المعاني، ودقائق علم الإسناد، وغير ذلك ـ فرضي الله عنه.

والدقيقة في هذا: أن ابن نمير قال رواية عن ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ، وهذا متصل لا شك فيه، وقال وكيع رواية عنه: قال رسول الله ﷺ، وهذا مما اختلف العلماء فيه؛ هل يحمل على الاتصال أم على الانقطاع؛ فالجمهور أنه على الاتصال؛ كسمعت.

وذهبت طائفة إلى أنه لا يحمل على الاتصال إلا بدليل عليه؛ فإذا قيل بهذا المذهب كان مرسل صحابي، وفي الاحتجاج به خلاف، فالجماهير قالوا: يحتج به، وإن لم يحتج بمرسل غيرهم.

وذهب الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إلى أنه لا يحتج به.

فعلى هذا يكون هذا الحديث قد روي متصلاً ومرسلاً، وفي الاحتجاج بما روي مرسلاً، ومتصلاً خلاف معروف.

قيل: الحكم للمرسل، وقيل: للأحفظ رواية، وقيل: للأكثر.

والصحيح: أنه تُقدّم رواية الوصل؛ فاحتاط مسلم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، وذكر اللفظين لهذه الفائدة، ولئلا يكون رواية بالمعنى، فقد أجمعوا على أن الرواية باللفظ أولى، والله أعلم».

والذي يظهر أن مراد الإمام مسلم بيان ألفاظ الشيوخ في صيغ الأداء لا بيان اختلاف الحكم من حيث الاتصال والانقطاع، والله أعلم.

٤ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري **(١٢٣٨ و٤٤٩٧ و٦٦٨٣)**.

٥ ـ أخرج الإمام أحمد هذا الحديث وفي آخره زيادة: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا أبو بكر، عن عاصم، عن أبي وائل؛ قال: قال عبدالله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن جعل للّه ندًّا جعله الله في النار**»، وقال: وأخرى أقولها، لم أسمعها منه: «**مَن مات لا يجعل للّه ندًّا أدخله الله الجنة، وإن هذه الصلوات كفارات لما بينهن، ما اجتنب القتل**».

❋ غريب الحديث:

قوله: **(لم يشرك شيئاً)**: في اللفظ المرفوع، والموقوف نكرة، والنكرة في سياق الشرط، والنهي، والنفي يعم؛ فالمعنى: أن العبد إذا أشرك بالله، بأي أنواع الشرك كانت؛ كالمحبة، والطاعة، وشرك الأسماء والصفات، وغيرها؛

فهو داخل في هذا الوعيد الشديد على تفصيل في جزائه تقدم تأصيله.

والعكس بالعكس أيضاً؛ أي: إذا لم يشرك بالله شيئاً، فجزاؤه الجنة حالاً، أو مآلاً.

فقه الحديث:

١ ـ بيان عظم مسائل التوحيد؛ وأن مصير العباد يكون بحسب عنايتهم به أو إهماله.

٢ ـ أن الشرك لا يغفره الله ـ تعالى ـ.

٣ ـ أن الشرك يدخل النار، سواء الصغير والكبير.

٤ ـ سلوك طريق الرغبة والرهبة في الدعوة والتعليم.

٥ ـ دليل على نقص الإيمان بالمعصية، ونقضه أحياناً أخرى.

٦ ـ الحديث فيه دلالة على حجيَّة دليل الخطاب.

٧ ـ جواز إطلاق الكلمة على الكلام، ففي رواية قال عبدالله بن مسعود: «كلمتان سمعت؛ إحداهما: من رسول الله ﷺ، والأخرى: أنا أقولها..».

وكذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

٨ ـ إجماع المسلمين على أن مَن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومَن مات يشرك بالله دخل النار.



١٥١ ـ **(٩٣)** وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ**

شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٥/١٦).

• فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين، غير الصحابي؛ فمدني، وأبي سفيان؛ فواسطي ثم مكي.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي سفيان.

٤ ـ حديث جابر هذا من أفراد مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: (**ما الموجبتان؟**) الموجبات؛ هي: الأمور التي أوجب الله على فعلها العذاب أو الرحمة.

والموجبتان؛ هما: الخصلتان اللتان توجبان الجنة والنار؛ كما عند أبي نعيم في «المستخرج» (١٦٨/١).

قال ابن الصلاح: «والوجوب في ذلك واقع بالإضافة إلى العبد، لا بالإضافة إلى الله، تعالى الله عن ذلك»(١).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: لا وجه لهذا الاعتراض أو هذا الاحتراز؛ لأن الوجوب المنسوب إلى الله في هذا الحديث هو نظير الحق المنسوب إلى الله في حديث معاذ في «الصحيحين»: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟**»، قال: الله ورسوله أعلم، قال:

---

(١) «صيانة صحيح مسلم» (ص٢٧٧).

«**أن لا يعذبهم**»، فالواجب هو ما أوجبه الله على نفسه لعباده فضلاً منه وكرماً، لا أنه يوجد أحد يوجب عليه شيئاً.

قوله: (**مَن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومَن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**)؛ أي: مَن مات على التوحيد دخل الجنة، ومَن مات على الشرك دخل النار.

فقه الحديث:

١ ـ وجوب الجنة لمن وحّد الله ـ تعالى ـ ولم يُشرك به شيئاً؛ تفضلاً منه ـ تعالى ـ.

٢ ـ وجوب النار لمن أشرك مع الله ـ تعالى ـ أو به؛ عدلاً منه لا ظلماً.

٣ ـ أن الله ـ تعالى ـ هو الذي أوجب ذلك على نفسه، لا موجب له، ولا رادّ لقضائه.



١٥٢ ـ (...) وحدّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْغَيْلانِيُّ: سُلَيْمانُ بْنُ عَبْدُالله، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالا: حَدَّثَنَا عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ عَمْرو، حَدَّثَنَا قُرَّةُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِالله قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ لَقِيَ اللّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**».

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: عَنْ جَابِر.

فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين إلى أبي الزبير.

٣ ـ أن مسلماً لم يكتفِ بطريق أبي أيوب؛ لأن أبا الزبير مدلس، وقد عَنْعَنَ في الرواية؛ فلا تقبل، فأتى بالطريق الثانية التي فيها التصريح؛ ليقول:

إن هذا السند ثابت متصل؛ لأنه صرّح به من طريق آخر.

فقه الحديث:

١ ـ أن لقاء الله ـ تعالى ـ ثابت لا محالة في ذلك للكافر والمسلم سواء.



(...) وحدّثني إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُور، أَخْبَرَنَا مُعَاذٌ ـ وَهُوَ ابْنُ هِشَام ـ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ بِمِثْلِهِ.

● فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (وهو ابن هشام)** فيه أن شيخه لم ينسب معاذاً، وأن هذه الزيادة من المصنف زيادة في الإيضاح.

٢ ـ **قوله: (بمثله)**؛ أي: بمثل حديث مرّة عن أبي الزبير.

٣ ـ رواية هشام هذه: أخرجها أحمد (١٤٤٨٨): حدثنا أبو عبيدة الحدّاد، حدثنا هشام، عن أبي الزبير عن جابر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومَن مات يشرك به دخل النار»**.

وأخرجها ـ أيضاً ـ أبو عوانة في «المستخرج» (٣٤/٢٨/١): حدثنا الدنداني، واسمه: موسى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هشام الدستوائي، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ؛ قال: **«مَن لقي الله لا يشرك به شيئاً أدخله الجنة، ومَن لقيه يشرك به أدخله النار»**.



١٥٣ ـ (٩٤) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلِ الأَحْدَبِ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ

سُوَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبا ذَرٍّ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ»**.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر - رضي الله عنه - في الحديث (٦١/١١٢).

● فوائد الإسناد:

١ - من سداسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - نصفه الأول مسلسل بالبصريين والآخر مسلسل بالكوفيين.

٣ - حديث أبي ذر - رضي الله عنه - هذا - متفق عليه، فقد أخرجه البخاري (**١٢٣٧** و**١٤٠٨** و**٢٣٨٨** و**٣٢٢٢** و**٥٨٢٧** و**٦٢٦٨** و**٦٤٤٣** و**٦٤٤٤** و**٧٤٨٧**).

✵ غريب الحديث:

قوله: (**من أمتك**)؛ أي: أمة الإجابة.

قوله: (**دخل الجنة**)؛ أي: صار إليها إما ابتداءً أو انتهاءً.

قوله: (**وإن سرق وإن زنى**)؛ أي: أيدخل الجنة وإن زنى وإن سرق؟

✍ فقه الحديث:

١ - أن جبريل - عليه السلام - هو واسطة الوحي بين الرسول وربّه.

٢ - عظم البشرى التي جاء بها جبريل - عليه السلام - من ربّه لهذه الأُمة المرحومة.

٣ - أن ما دون الشرك يغفره الله - تعالى -.

٤ - أن العبد قد يجتمع فيه كفر وإيمان.

٥ - أن الكبائر لا تُخرج فاعلها من الإسلام والإيمان.

٦ ـ الرد على الخوارج والمعتزلة في دعواهم: أن مرتكبَ الكبيرة كافرٌ، أو في منزلة بين المنزلتين.

٧ ـ الذنوب تنقسم إلى قسمين: حقٌ للّه تعالى، وأشار إليه بالزنا، وحقٌ للعباد، وأشار إليه بالسرقة.

٨ ـ شدة اهتمام النبي ﷺ بأمته وحرصه على نجاتهم.

٩ ـ جواز مراجعة العالم للاستيضاح.

• تنبيهات مهمات:

١ ـ القائل في هذا الحديث: «**وإن زنى وإن سرق**» أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ، وفي رواية أن القائل هو النبي ﷺ.

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «ويمكن أن يكون النبي ﷺ قاله مستوضحاً، وأبو ذر قاله مستبعداً، وقد جمع بينهما في «الرقاق» من طريق زيد بن وهب عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ»[(١)].

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: هو عند البخاري في كتاب الرقاق في صحيحه **(٦٤٤٣)**: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن عبدالعزيز بن رفيع، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، قال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يَكْرَه أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني، فقال: «**مَن هذا؟**»، قلت: أبو ذرّ ـ جعلني الله فداءك ـ قال: «**يا أبا ذرّ تعالَ**»، قال: فمشيت معه ساعةً، فقال: «**إن المكثرين هم المقلُّون يوم القيامة، إلا مَن أعطاه الله خيراً، فنَفَحَ فيه يمينَهُ وشمالَهُ، وبين يديه، ووراءه، وعَمِلَ فيه خيراً**»، قال: فمشيت معه ساعةً، فقال لي: «**اجلس هاهنا**»، قال: فأجلسني في قاع حوله حجارةٌ، فقال لي: «**اجلس هاهنا حتى أرجع إليك**»، قال: فانطلق في الحرَّة حتى لا أراه، فَلَبِثَ عني، فأطال

---

(١) «فتح الباري» **(٦٤٤٣)**.

اللَّبْث، ثم إني سمعته، وهو مُقبل، وهو يقول: «**وإن سَرَق، وإن زنى**»، قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبي الله ـ جعلني الله فداءك ـ مَن تُكَلِّم في جانب الحرّة؟ ما سمعت أحداً يَرْجِعُ إليك شيئاً، قال: «**ذلك جبريل ـ عليه السلام ـ عَرَضَ لي في جانب الحرة، قال: بَشِّر أمتك، أنه مَن مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا جبريل، وإن سَرَق، وإن زنى؟ قال: نعم، قال: قلت: وإن سَرَق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شَرِب الخمر**».

٢ ـ قال الزين ابن الْمُنيِّر ـ رحمه الله تعالى ـ: «حديث أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ من أحاديث الرجاء التي أفضى الاتكال عليها ببعض الْجَهَلَة إلى الإقدام على الموبقات، وليس هو على ظاهره، فإن القواعد استقرّت على أن حقوق الآدميين لا تَسقُط بمجرد الموت على الإيمان، ولكن لا يَلزم من عدم سقوطها أن لا يتكفل الله بها عمّن يريد أن يُدخله الجنة، ومن ثَمَّ رَدّ صلى الله عليه وسلم على أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ استبعاده».

قال الطيبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

«قال بعض المحققين: قد يتخذ من أمثال هذه الأحاديث المُبطلة والْمُلاحيّة ذريعةً إلى طرح التكاليف، ودفع الأحكام، وإبطال العمل معتقدين بأنّ الشهادة وعدم الشرك كافٍ، وربّما يتمسّك بها المرجئة، وهذا الاعتقاد يستلزم طَيَّ بساط الشريعة، وإبطال الحدود، والزواجر السمعيّة، ويوجب أن يكون التكليف بالترغيب في الطاعات، والتحذير عن المعاصي والجنايات غير متضمّن طائلاً، وبالأصل باطلاً، بل يقتضي الانخلاع عن رِبْقة الدين والملّة، والانسلال عن قيد الشريعة والسنّة، والخروج عن الضبط، والولوج في الخبط، وترك الناس سُدًى مُهْمَلين، يموج بعضهم في بعض، مُعَطَّلين من غير مانع، ولا دافع، وذلك يُفضي إلى خَرَاب الدنيا، بعد أن أفضَى إلى خراب العُقْبى، والْمُتشَبِّث بهذا الحديث، ونظيره ساقطٌ، وعن معارج القدس إلى حضيض النفس لاقط، مع أن قوله في بعض طرق الحديث: «**أن يعبدوه**» يتضمن جميع أنواع التكاليف الشرعية، وقوله: «**ولا يشركوا به شيئاً**» يَشْمَل كلا قسمَيْ الشرك: الجلي والخفي.

فلا راحة للتمسك به في ترك العمل؛ لأن الأحاديث إذا ثبتت وجب

ضَمُّ بعضها إلى بعض، فإنها في حكم الحديث الواحد، فيُحمَل مطلقها على مقيدها؛ ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها، وبالله التوفيق»[(١)].

٣ ـ حمل بعض أهل العلم هذا الحديث وأمثاله على ما قبل نزول الفرائض، وورود الأوامر والنواهي.

قال الإمام البخاري بعد إخراجه هذا الحديث: هذا عند الموت، أو قبله إذا تاب وندم، وقال: لا إله إلا الله؛ غفر له.



١٥٤ ـ (...) حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ، قَالا: حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ بْنِ عَبْدِالْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ الْمُعَلِّمُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ: أَنَّ يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ؛ أَنَّ أَبا الأَسْوَدِ الدِيليَّ حَدَّثَهُ؛ أَنَّ أَبا ذَرٍّ حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ؛ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لا إلهَ إلا اللّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَق**» ـ ثَلاثاً ـ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»، قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ، وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغْمَ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سباعيات المصنف.

٢ ـ فيه ثلاثة تابعين يروي بعضهم عن بعض، وهم: ابن بريدة، ويحيى بن يعمر، وأبو الأسود.

٣ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء: عبدالصمد بن عبدالوارث عن أبيه.

٤ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخيه؛ فبغداديان، والصحابي مدني.

٥ ـ مسلسل بالتحديث إلا قوله عن ابن بريدة.

(١) «الكاشف عن حقائق السنن» (٢/٤٧٧).

* غريب الحديث:

قوله: (**عن ابن بريدة**)؛ هو: عبدالله، أخو سليمان، وكانا توأمين، ماتا في سنة واحدة.

قوله: (**الديلي**)؛ اختلف في ضبطه؛ فيقال: الديلي بكسر المهملة وسكون التحتانية، ويقال: الدؤلي بالضم بعدها همزة مفتوحة.

وقال النوويّ: وأما «الدِّيليّ» فكذا وقع هنا بكسر الدال، وإسكان الياء، وقد اختُلِف فيه، فذكر القاضي عياض: أن أكثر أهل السنّة يقولون فيه، وفي كُلِّ مَن يُنْسَب إلى هذا البطن الذي في كنانة: دِيلِيّ ـ بكسر الدال، وإسكان الياء ـ كما ذكرنا، وأن أهل العربية يقولون فيه: الدُّؤَلِيّ ـ بضم الدال، وبعدها همزة مفتوحة ـ وبعضهم يكسرها، وأنكرها النحاة، هذا كلام القاضي.

وقد ضَبَطَ الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالى ـ هذا، وما يتعلق به ضبطاً حسناً، وهو معنى ما قاله الإمام أبو عليّ الغسانيّ، قال الشيخ: هو الدِّيليّ، ومنهم مَن يقول: الدُّؤَلِيّ على مثال الْجُهَنِيّ، وهو نسبة إلى الدُّئِل ـ بدال مضمومة، بعدها همزة مكسورة ـ حَيّ من كنانة، وفَتَحُوا الهمزة في النسب، كما قالوا في النسب إلى نَمِر نَمَرِيّ ـ بفتح الميم ـ قال: وهذا قد حكاه السيرافيّ عن أهل البصرة، قال: ووجدت عن أبي عليّ القاليّ ـ وهو بالقاف ـ في «كتاب البارع» أنه حكى ذلك عن الأصمعيّ، وسيبويه، وابن السِّكِّيت، والأخفش، وأبي حاتم، وغيرهم، وأنه حكى عن الأصمعيّ، عن عيسى بن عمر أنه كان يقول فيه: أبو الأسود الدُّئِلِيّ ـ بضم الدال، وكسر الهمزة ـ على الأصل، وحكاه أيضاً عن يونس وغيره عن العرب، قال: يَدْعُونه في النسب على الأصل، وهو شاذّ في القياس، وذكر السيرافيّ عن أهل الكوفة أنهم يقولون: أبو الأسود الدِّيليّ ـ بكسر الدال، وياء ساكنة ـ وهو محكيّ عن الكسائيّ، وأبي عبيد، القاسم بن سلام، وعن صاحب «كتاب العين»، ومحمد بن حَبِيب كانوا يقولون في هذا الحيّ من كنانة: الدِّيل ـ بإسكان الياء، وكسر الدال ـ ويجعلونه مثل الدِّيل الذي هو

حيٌّ من عبدالقيس، وأما الدُّوْلُ ـ بضم الدال، وإسكان الواو ـ فَحَيّ من بني حَنِيفة، والله تعالى أعلم»[1].

قوله: (**عليه ثوب أبيض**)؛ قال: «قال الشارحون: ليس هذا من الزوائد التي لا طائل تحتها، بل قصد الراوي بذلك أن يقرر التثبُّت والإتقان فيما يرويه في آذان السامعين؛ ليتمكن في قلوبهم»[2].

وقال الحافظ: «وفائدة وصفه الثوب وقوله: «أتيته، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ» الإشارة إلى استحضاره القصة بما فيها؛ ليدل ذلك على إتقانه لها»[3].

قوله: (**على رغم أنف أبي ذر**)، و(**إن رغم أنف أبي ذر**) رغم ـ ثلاثي الراء ـ؛ أي: تفتح وتكسر وتضم، والغين فيها تفتح وتكسر، وهو مأخوذ من الرِّغام، وهو التراب، يقال: أرغم الله أنفه؛ أي: ألصقه بالتراب، ورغم أنفي لله؛ أي: خضع وذل.

قوله: (**فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر**) إنما قال ذلك أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ رجوعاً منه عما كان وقع له من الاستبعاد مع سعة فضل الله ـ تعالى ـ ورحمته، وانقياداً للحق لما تبين له[4].

هذا هو الأصل، ثم استُعمل في الذلّ، والعجز عن الانتصاف، والانقياد على كره.

والمعنى: أنّ أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ استعظم فعل السرقة والزنى، وذلك؛ لما علمه من حكم الله فيهما؛ فقال: كيف يغفر لمن سرق وزنى؟ فقال له النبي ﷺ: «**وإن رغم أنفك**»؛ فقال: وإن ذل أنفي للحق؛ حتى أضعه في التراب.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/٩٥ ـ ٩٦).
وانظر ـ أيضاً ـ: «صيانة صحيح مسلم» (ص٢٨١ ـ ٢٨٣).
(٢) «الكاشف» (٢/٤٧٨).
(٣) «فتح الباري» (١٠/٢٩٥).
(٤) «المفهم» (١/٢٩٢).

✍ فقه الحديث:

١ ـ أن النبي ﷺ كان يحب الثوب الأبيض؛ أو اللباس مطلقاً.

٢ ـ أن النبي ﷺ ينام؛ كما ينام سائر الناس.

٣ ـ حرص أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ على التلقي من رسول الله ﷺ وملازمته.

٤ ـ دليل على أنّ من اعتقد اعتقاداً جازماً بتوحيد الله، ونطق بالشهادتين، ومات على ذلك؛ فإن ذلك يدخله الجنة، أصابه ما أصابه قبل ذلك.

٥ ـ جواز إعادة الكلام للتأكيد، وزوال الشبهة.

٦ ـ رد على غلاة المرجئة في دعواهم: أن من نطق بالشهادتين مؤمن كامل الإيمان، وإن لم يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً.

٧ ـ رد على المعتزلة والخوارج ـ صحيح صريح ـ؛ كالصاعقة ينزل على رؤوسهم يبطل فريتهم في تكفير مرتكب الكبيرة.

٨ ـ جواز مراجعة العالم فيما يشكل من مسائل العلم.

٩ ـ جواز زجر المتعلم إن تعنت في السؤال.

١٠ ـ منقبة لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في رجوعه لحكم الشرع، وانقياده للحق لما تبين له.

١١ ـ دليل على قبح الزنا والسرقة؛ لأن الزنا اعتداء على الأعراض، والسرقة اعتداء على الأموال.

١٢ ـ لا يجوز تضييق واسع رحمة الله وتحجير فضله؛ فإن رحمته وسعت كل شيء، وفضله عمَّ كل حي.

تتمات مهمات:

١ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«هذه الأحاديث تدل على فضيلة الإخلاص، والبراءة من الشرك، وأنه سبب لدخول الجنة، وأن الإنسان قد يعطى بإخلاصه التام ما لم يعطَ العابد زمناً طويلاً؛ فيغفر له»[1].

وقال أيضاً:

«وقد تمسك بهذا الحديث وأمثاله المرجئة، الذين قالوا: إنه لا تضر مع الإيمان معصية، فلو زنى الإنسان، أو سرق، أو قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، أو شرب الخمر، كل هذا لا يضر، ولا ينقص إيمانه، ولا يكون به مستوجباً لدخول النار!

فتمسك أهل الإرجاء بأحاديث الوعد، وإن شئت فقل: تمسكوا بنصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد.

وعلى عكسهم الخوارج والمعتزلة، تمسكوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد.

وتوسط أهل السنّة والجماعة ـ بحمد الله وفضله ـ فقالوا: إن أحاديث الوعيد ثابتة، وأحاديث الوعد ثابتة، وكل منها ينزل على القواعد العامة.

فأحاديث الوعيد ينظر: إذا كان الوعيد لا يقتضي شيئاً، لا يستحقه إلا الكافر المحض، فإنه يحمل على معنى أنه من باب التهديد، ومن باب استحقاق هذا الوعيد، لكن لا على وجه الكمال.

وكذلك أحاديث الوعد، يقال فيها: إن العاصي بكبيرة من الكبائر يعذَّب بحسب ذنوبه، إلا أن يغفر الله له»[2].



---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (٣٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص٣٢٦).

٤١ ـ باب تحريم قتل الكافر
بعد أن قال: لا إله إلا اللّه

١٥٥ ـ (٩٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ ـ وَاللَّفْظُ مُتَقَارِبٌ ـ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ عُبَيْدِاللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الخيَارِ، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قال: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَأَيتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ؛ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ؛ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلّهِ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ الله بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟! قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَقْتُلْهُ**». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**».

✹ راوي الحديث:

المقداد بن الأسود نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري؛ لأنه كان قد تبنّاه وحالفه في الجاهلية.

كنيته: أبو الأسود أو أبو عمرو، وكان ـ رضي الله عنه ـ من الفضلاء الأخيار، والنجباء الكبار من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ومن سادات السابقين الأولين؛ فهو سادس مَن أسلم، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وكان فارساً مغواراً يوم بدر، وشهد فتح مصر، توفي سنة (**٣٣هـ**) بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، فحُمل إليها، وصلّى عليه عثمان ـ رضي الله عنه ـ، ودُفن بالبقيع، وعُمِّر (٧٠ سنة).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه ثلاثة تابعيون يروي بعضهم عن بعض؛ وهم: ابن شهاب، وعطاء بن يزيد، وعبيدالله بن عدي.

٣ ـ للمصنف شيخان فرّق بينهما ولم يقرن بينهما؛ لاختلاف صيغة الأداء.

٤ ـ قوله: (اللفظ متقارب)؛ إشارة أن لفظ السياق ليس لواحد منهما، وإنما هو معناه، ولكن لفظهما متقارب.

٥ ـ حديث المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٤٠١٩ و٦٨٦٥).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**يا رسول الله! أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار**): سأل المقداد عن الحكم في ذلك لو وقع، وظاهر السياق أن ذلك وقع.

قوله: (**فضرب إحدى يدَيْ بالسيف فقطعها**): أصاب سيفه إحدى يدَي فقطعت.

قوله: (**ثم لاذ منِّي بشِجرة**)؛ أي: استتر، يقال: لاذ يلوذ لواذاً؛ إذا استتر، والملاذ: كل ما يُستتر به.

قوله: (**أسلمت لله**)؛ أي: دخلت في دين الله ـ تعالى ـ؛ وهو: الإسلام.

قوله: (**لا تقتله؛ فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**):

والمعنى: أن النبي ﷺ نهى عن قتل من أسلم، ولو كان لخوف من القتل؛ بل زاد ترهيباً وتخويفاً في قوله: «**فإن قتلته؛ فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

وقد اختلف في تفسير قوله هذا، ويحتمل أكثر من توجيه؛ وذلك بالنظر لطرق الحديث، وألفاظه التي عند غير المصنف، وبالنظر إلى نية

القاتل هل هو مستحل لذلك أو متأول أو جاهل.

فقه الحديث:

١ ـ دليل على جواز السؤال عن النوازل قبل وقوعها؛ إن كانت مما يقع عادة.

٢ ـ أن النهي عن السؤال يُحمل على المسائل التي لا تقع؛ وهي: الأغلوطات.

٣ ـ سؤال أهل العلم عن مسائله المهمة قبل الإقدام على فعلها.

٤ ـ النهي عن قتال كل من نطق بالشهادتين وقتله.

٥ ـ إظهار الأسباب الدافعة على فعل ما عند استفتاء المفتي، أو العالم.

٦ ـ أن الكافر الحربي مباح الدم بحكم الدين قبل أن يُسلم.

٧ ـ أن الكافر إذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم.

٨ ـ الوعيد الشديد لمن قتل من أظهر إسلامه ولو شكّ في سريرته.

٩ ـ دليل على صحة إسلام من قال: أسلمت لله، أو ما يدلّ على الإسلام إذا تعذّر عليه النطق بالشهادتين، ومَن قتله عالماً بحرمة ذلك لزمه القصاص، ومَن كان جاهلاً أو متأولاً وجبت عليه الدية؛ كما وقع لبعض الصحابة ـ ﷺ ـ أنهم قتلوا بعض الناس بعد أن أظهروا الإسلام، فظنوا أنهم فعلوا ذلك خوفاً من القتل فقتلوهم؛ فودّاهم الرسول ﷺ.

١٠ ـ ولا يدل هذا على الاكتفاء بنطق الشهادتين للحكم على إسلامه؛ بل الكف عنه أولاً، ثم النظر إلى حاله بعد ذلك.

١١ ـ ليس فيه دليل على كفر من فعل ذلك إطلاقاً.

١٢ ـ بيان فضل كلمة التوحيد؛ إذ بها أصبح من كان كافراً معصوم الدم والمال والعرض.

١٣ ـ فضل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حيث كانوا حريصين على التفقه في الدين.

١٤ ـ في الحديث إلماعة إلى وجوب الثبات عند لقاء العدو ولو جرح المقاتل، ألم تر السائل يقول للرسول ﷺ: قطع إحدى يدي؛ ثم قال ذلك بعدما قطعها.

١٥ ـ يجب على المسلم أن يكون هواه تبعاً للشرع، وليس للعصبية والانتقام.

● **متممات مهمات:**

١ ـ اختلف في معنى قوله ﷺ: «**وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

قال النوويّ ـ رحمه الله ـ:

«اختُلِف في معناه، فأحسن ما قيل فيه وأظهره: ما قاله الإمام الشافعي، وابن القصار المالكي، وغيرهما: إن معناه: فإنه معصوم الدم، مُحَرَّمٌ قتله بعد قوله: لا إله إلا الله؛ كما كنت أنت قبل أن تقتله، وإنك بعد قتله غير معصوم الدم، ولا مُحَرَّم القتل؛ كما كان هو قبل قوله: لا إله إلا الله. قال ابن القصّار: يعني: لولا عُذرك بالتأويل المسقِط للقصاص عنك. قال القاضي: وقيل: معناه: أنك مثله في مخالفة الحقّ، وارتكاب الإثم، وإن اختلف أنواع المخالفة والإثم؛ فيسمَّى إثمه: كفراً، وإثمك معصيةً وفسقاً»(١).

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «قال الخطابيّ: معناه: أن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يُسلم، فإذا أسلم صار مُصان الدم كالمسلم، فإن قَتَله المسلم بعد ذلك صار دمه مباحاً بحق القصاص كالكافر بحق الدين، وليس المراد إلحاقه في الكفر؛ كما تقول الخوارج من تكفير المسلم بالكبيرة.

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠٦/٢).

وحاصله: اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ، فالأول: أنه مثلك في صون الدم، والثاني: أنك مثله في الهَدَر»[1].

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: كلام الإمام الشافعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ متين؛ فلا يعدل عنه.

قال الحافظ أبو عوانة في «مسنده» (١/٦٧/١٨٩) بعد إخراجه الحديث:

سمعت الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعيّ يقول: معناه: أن يصير مباح الدم، لا أنه يصير مشركاً، كما كان مباح الدم قبل الإقرار».

٢ ـ أورد الإمام البخاري في «صحيحه» بعد هذا الحديث، ما نصُّه:

وقال حبيب بن أبي عَمْرة، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ للمقداد: «**إذا كان رجلٌ مؤمنٌ، يُخفي إيمانه، مع قوم كفار، فأظهر إيمانه، فقتلته، فكذلك كنت أنت تُخفي إيمانك بمكة من قبل**».

فقال الحافظ: «قوله: وقال حبيب بن أبي عمرة»: هو القَصّاب الكوفيّ، لا يعرف اسم أبيه، وهذا التعليق وصله البزّار، والدارقطني في «الأفراد»، والطبراني في «الكبير» من رواية أبي بكر ابن عليّ بن عطاء بن مُقَدَّم، والد محمد بن أبي بكر الْمُقَدَّميّ، عن حبيب، وفي أوّله: بعث رسول الله ﷺ سَرِيَّةً فيها المقداد، فلما أتَوهم وجدوهم تفرَّقوا، وفيهم رجل له مالٌ كثير، لم يَبْرَح، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله...» الحديث، وفيه: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**يا مقداد، قتلت رجلاً قال: لا إله إلا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله؟**»، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ الآية [النساء: ٩٤]، فقال النبي ﷺ للمقداد: «**كان رجلاً مؤمناً يخفي إيمانه...**» إلخ.

قال الدارقطني: تفرد به حبيب، وتفرد به أبو بكر عنه.

قال الحافظ: قد تابع أبا بكر سفيان الثوري، لكنه أرسله، أخرجه ابن

(١) «فتح الباري» (١٢/١٩٧).

أبي شيبة، عن وكيع، عنه، وأخرجه الطبريّ، من طريق أبي إسحاق الفزاريّ، عن الثوريّ كذلك، ولفظ وكيع بسنده، عن سعيد بن جبير: «خَرَج المقداد بن الأسود في سرية. . .»، فذكر الحديث مختصراً إلى قوله: فنزلت، ولم يذكر الخبر الْمُعَلَّق».

وفسّر الداودي حديث المقداد بحديث ابن عباس هذا، فقال:

«يفسره حديث ابن عباس الذي في آخر الباب، ومعناه: أنه يجوز أن يكون اللائذ بالشجرة القاطعُ لليد مؤمناً يكتم إيمانه، مع قوم كُفّار، غَلَبوه على نفسه، فإن قتلته فأنت شاكّ في قتلك إياه أنّى يُنزله الله من العمد والخطأ، كما كان هو مشكوكاً في إيمانه؛ لجواز أن يكون يَكْتُم إيمانه.

ثم قال: فإن قيل: كيف قَطَع يد المؤمن، وهو ممن يكتم إيمانه؟

فالجواب: أنه دَفَع عن نفسه مَن يريد قتله، فجاز له ذلك، كما جاز للمؤمن أن يدفع عن نفسه مَن يريد قتله، ولو أفضى إلى قتل مَن يريد قتله، فإن دمه يكون هَدَراً، فلذلك لم يُقِد النبي ﷺ من يد المقداد؛ لأنه قَطَعها مُتأوِّلاً.

وتعقّبه الحافظ، فقال: وعليه مؤاخذات:

منها: الجمع بين القصتين بهذا التكلُّف، مع ظهور اختلافهما، وإنما الذي ينطبق على حديث ابن عباس قصة أسامة الآتية بعد هذا، حيث حَمَلَ على رجل أراد قتله، فقال: إني مسلم، فقتله ظنًّا أنه قال ذلك مُتَعَوِّذاً من القتل، وكان الرجل في الأصل مُسلماً، فالذي وقع للمقداد نحو ذلك، كما سأبيِّنه، وأما قصة قطع اليد فإنما قالها مستفتياً على تقدير أن لو وقعت، كما تقدَّم تقريره، وإنما تضمَّن الجواب النهي عن قتله؛ لكونه أظهر الإسلام، فحُقِن دمه، وصار ما وقع منه قبل الإسلام عَفْواً.

ومنها: أن في جوابه عن الاستشكال نظراً؛ لأنه كان يمكنه أن يَدفع بالقول، بأن يقول له عند إرادة المسلم قتله: إني مسلم، فيكُفّ عنه، وليس له أن يبادر لقطع يده مع القدرة على القول المذكور ونحوه»[1].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٢/١٩٨).

٣ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«وهنا مسألة مفروضة ليست في الواقع: هل للمقداد أن يقتص من هذا الكافر، فيطالب بأن تُقطع يده كما قطع يده؟

الجواب: لا؛ لأن فعل الكافر بالمسلمين وأموالهم حال الحرب غير مضمون، كما أن فعلنا معهم ليس بمضمون، فإذا أسلم، أسلم على ما أسلم»(١).



١٥٦ ـ (...) حَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ؛ قَالا: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ مُوسى الأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، جَمِيعاً عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

أَمَّا الأَوْزَاعِيُّ، وَابْنُ جُرَيْجٍ؛ فَفِي حَدِيثِهِمَا قَالَ: أَسْلَمْتُ لِلّهِ... كَمَا قَالَ اللَّيْثُ فِي حَدِيثِهِ.

وأَمَّا مَعْمَرٌ فَفِي حَدِيثِهِ: فَلَمَّا أهوَيْتُ؛ لأَقْتُلَهُ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«واعلم أن في إسناد بعض روايات هذا الحديث ما أنكره الدارقطني وغيره؛ وهو قول مسلم: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وعبد بن حميد قالا: أنبأ عبدالرزاق، أنبأ معمر. (ح) وحدثنا إسحاق بن موسى، حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. (ح) وحدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا ابن جريج جميعاً، عن الزهري بهذا الإسناد.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٢٨ ـ ٣٢٩).

فهكذا وقع هذا الإسناد في رواية الجلودي.

قال القاضي عياض: ولم يقع هذا الإسناد عند ابن ماهان؛ يعني: رفيق الجلودي.

قال القاضي: قال أبو مسعود الدمشقي: هذا ليس بمعروف عن الوليد بهذا الإسناد، عن عطاء بن يزيد، عن عبيدالله.

قال: وفيه خلاف على الوليد، وعلى الأوزاعي.

وقد بيّن الدارقطني في كتاب «العلل» الخلاف فيه، وذكر أن الأوزاعي يرويه عن إبراهيم بن مرة، واختلف عنه؛ فرواه أبو إسحاق الفزاري، ومحمد بن شعيب، ومحمد بن حمير، والوليد بن مزيد، عن الأوزاعي، عن إبراهيم بن مرة، عن الزهري، عن عبيدالله بن الخيار، عن المقداد، لم يذكروا فيه عطاء بن يزيد.

واختلف عن الوليد بن مسلم؛ فرواه أبو الوليد القرشي، عن الوليد، عن الأوزاعي، والليث بن سعد، عن الزهري؛ عن عبيدالله بن الخيار، عن المقداد، لم يذكر فيه عطاء، وأسقط إبراهيم بن مرة. وخالفه عيسى بن مساور؛ فرواه: عن الوليد، عن الأوزاعي، عن حميد بن عبدالرحمٰن، عن عبيدالله بن الخيار، عن المقداد، لم يذكر فيه إبراهيم بن مرة، وجعل مكان عطاء بن يزيد حميد بن عبدالرحمٰن.

ورواه الفريابي، عن الأوزاعي، عن إبراهيم بن مرة، عن الزهري مرسلاً عن المقداد.

قال أبو علي الجياني: الصحيح في إسناد هذا الحديث ما ذكره مسلم أولاً من رواية الليث، ومعمر ويونس وابن جريج، وتابعهم صالح بن كيسان: هذا آخر كلام القاضي عياض ـ رحمه الله ـ.

قلت: وحاصل هذا الخلاف والاضطراب إنما هو في رواية الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، وأما رواية الليث، ومعمر، ويونس، وابن جريج، فلا شك في صحتها، وهذه الروايات هي المستقلة بالعمل وعليها الاعتماد،

وأما رواية الأوزاعي فذكرها متابعة، وقد تقرر عندهم أن المتابعات يحتمل فيها ما فيه نوع ضعف؛ لكونها لا اعتماد عليها، وإنما هي لمجرد الاستئناس.

فالحاصل: أن هذا الاضطراب الذي في رواية الوليد، عن الأوزاعي: لا يقدح في صحة أصل هذا الحديث، فلا خلاف في صحته، وقد قدّمنا أن أكثر استدراكات الدارقطني من هذا النحو، ولا يؤثر ذلك في صحة المتون، وقدّمنا - أيضاً - في الفصول اعتذار مسلم - رحمه الله - عن نحو هذا: بأنه ليس الاعتماد عليه، والله أعلم»[1].

٢ - وقال - أيضاً -: «قوله: «أما الأوزاعي وابن جريج في حديثهما»، هكذا هو في أكثر الأصول «في حديثهما» بفاء واحدة - وفي كثير من الأصول: «ففي حديثهما» بفاءين، وهذا هو الأصل، والجيد، والأول - أيضاً - جائز، فإن الفاء في جواب (أمّا) يلزم إثباتها إلا إذا كان الجواب بالقول، فإنه يجوز حذفها إذا حذف القول، وهذا من ذاك، فتقدير الكلام: أما الأوزاعي وابن جريج؛ فقالا في حديثهما كذا، ومثل هذا في القرآن العزيز، وكلام العرب كثير، فمنه في القرآن قوله - عز وجل -: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ أي: فيقال لهم: أكفرتم، وقوله - عز وجل -: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجاثية: ٣١]، والله أعلم».

٣ - رواية الأوزاعي التي أشار إليها المصنف: أخرجها ابن منده في كتاب «الإيمان» (٥٩/٢٠٣/١):

أنبأ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مِهران النيسابوريّ، حدثني أبي، ثنا دُحَيم، وهشام قالا: ثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن حميد بن عبدالرحمٰن، عن عبيدالله بن عَديّ بن الخيار، عن المقداد بن الأسود، قال: قلت: يا رسول الله، رجلٌ قَطَع يدي، ثم لاذ مِنّي بشجرة، أأقتله؟ فذكر الحديث.

ثم قال: «هذا حديث وَهَمٌ من حديث الأوزاعي، وتفرّد به الوليد،

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠٥/٢ - ١٠٦).

وعنه مشهور، وأخرجه مسلم من هذا الوجه، والصواب من حديث الأوزاعي، عن إبراهيم بن مُرَّة، عن الزهريّ، عن عطاء بن يزيد، عن عبيدالله بن عديّ».

٤ ـ رواية ابن جريج التي أشار إليها المصنف: أخرجها الإمام أحمد (٢٣٨٣١):

حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا ابن جريج، أخبرني ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثيّ، عن عبيدالله بن عديّ بن الخيار، أنه قال: أخبرني أن المقداد أخبره، أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فقاتلني، فاختلفنا ضربتين، فضرب إحدى يديَّ بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت للّه، أقاتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقتله**»، قلت: يا رسول الله، إنه قَطَع إحدى يدَيّ، ثم قال ذلك بعدما قطعها، أقاتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

وكذا أخرجها أبو عوانة في مسنده (٦٦/١ ـ ١٨٧/٦٧).

❃ غريب الحديث:

قوله: (**جميعاً عن الزهري**)؛ أي: أن معمراً والأوزاعي وابن جريج رووا هذا الحديث عن الزهري.

قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ إشار إلى إسناد الليث عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد، عن عبيدالله بن عدي بن الخيار، عن المقداد.

قوله: (**وأما معمر ففي حديثه**)؛ أي: رواية معمر بن راشد عن الزهري بلفظ: «فلما أهويت لأقتله؛ قال: لا إله إلا الله» بدل رواية الأوزاعي وابن جريج عنه بلفظ: «أسلمتُ للّه».

قوله: (**فلما أهويت لأقتله**)؛ أي: ملتُ لقتله.



١٥٧ ـ (...) وحدّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاء بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، ثُمَّ الْجُنْدَعِيُّ؛ أَنَّ عُبَيْدَالله بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ الْمِقْدَادَ بْنُ عَمرِو بْنَ الأَسْوَدِ الْكِنْدِيَّ ـ وَكَانَ حَلِيفاً لِبَنِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ؟ ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ قال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«فالمقداد هذا؛ هو: ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، هذا نسبه الحقيقي، وكان الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة قد تبنّاه في الجاهلية؛ فنسب إليه، وصار به أشهر وأعرف.

ثانياً: إن المقداد بن عمرو ابن الأسود، قد يغلط في ضبطه وقراءته، والصواب فيه: أن يقرأ (عمرو) مجروراً منوّناً، (وابن الأسود) بنصب النون ويكتب بالألف؛ لأنه صفة للمقداد، وهو منصوب؛ فينصب، وليس (ابن) هاهنا واقعاً بين علمين متناسلين، فلهذا قلنا تتعين كتابته بالألف، ولو قرىء ابن الأسود بجر (ابن) لفسد المعنى، وصار عمرو بن الأسود، وذلك غلط صريح.

ولهذا الاسم نظائر، منها: عبدالله بن عمرو ابن أم مكتوم، كذا رواه مسلم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ آخر الكتاب في حديث الجساسة، وعبدالله ابن أُبي ابن سلول، وعبدالله بن مالك ابن بحينة، ومحمد بن علي ابن الحنفية، وإسماعيل بن إبراهيم ابن علية، وإسحاق بن إبراهيم ابن راهويه، ومحمد بن يزيد ابن ماجه، فكل هؤلاء ليس الأب فيهم ابناً لمن بعده؛ فيتعين أن يكتب (ابن) بالألف، وأن يعرب بإعراب الابن المذكور أولاً.

فأم مكتوم زوجة عمرو، وسلول زوجة أُبي، وقيل غير ذلك مما سنذكره في موضعه إن شاء الله ـ تعالى ـ، وبحينة زوجة مالك وأم عبدالله،

وكذلك الحنفية زوجة علي ـ ﵁ ـ، وعلية زوجة إبراهيم، وراهويه هو إبراهيم والد إسحاق، وكذلك ماجه؛ هو: يزيد، فهما لقبان، والله أعلم.

ومرادهم في هذا كله تعريف الشخص بوصفيه؛ ليكمل تعريفه، فقد يكون الإنسان عارفاً بأحد وصفيه دون الآخر، فيجمعون بينهما ليتم التعريف لكل أحد، وقدّم هنا نسبته إلى عمرو على نسبته إلى الأسود؛ لكون عمرو هو الأصل، وهذا من المستحسِنات النفيسة، والله أعلم»[1].

٢ ـ **قوله: (الليثي ثم الجندعي)** صواب؛ لأنه بدأ بالعام وهو (ليث)، ثم بالخاص وهو (جندع)؛ فإن (جندع) بطن من ليث.

٣ ـ **قوله: (الكندي)** فيه إشكال؛ لأن أهل النسب قالوا: إنه بهراني صلبية من بهراء بن الحاف بن قضاعة!

وأجاب النووي؛ فقال:

إن أحمد بن صالح الإمام الحافظ المصري، كاتب الليث بن سعد ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن والد المقداد حالف كِنْدَة، فنسب إليها، ورَوَينا عن ابن شِمَاسة، عن سفيان، عن صُهَابة ـ بضم الصاد المهملة، وتخفيف الهاء، وبالباء الموحدة ـ الْمَهْريّ، قال: كنت صاحب المقداد ابن الأسود في الجاهلية، وكان رجلاً من بَهْراء، فأصاب فيهم دماً، فَهَرَب إلى كِندة، فحالفهم، ثم أصاب فيهم دماً، فَهَرَب إلى مكة، فحالف الأسود بن عبد يغوث، فعلى هذا تَصِحُّ نسبته إلى بهراء؛ لكونه الأصل، وكذلك إلى قُضَاعة، وتصحّ نسبته إلى كندة؛ لِحِلْفه، أو لِحِلف أبيه، وتصح إلى زُهْرة؛ لِحِلفه مع الأسود.

٤ ـ رواية يونس التي أحال عليها المصنف ـ ﵀ ـ أخرجها البخاري في «صحيحه» (٦٨٦٥):

حدثنا عبدان، حدثنا عبدالله، حدثنا يونس عن الزهريّ، حدثنا عطاء بن يزيد، أنّ عبيدالله بن عديّ حدّثه أن المقداد بن عمرو الكنديّ حليف بني

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠١/٢).

زهرة حدّثه، وكان شهد بدراً مع النبي ﷺ أنه قال: يا رسول الله إني لقيتُ كافراً، فاقتتلنا، فضرب يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، وقال: أسلمت لله، آقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتله**»، قال: يا رسول الله، إنه طرح إحدى يديّ، ثم قال ذلك بعدما قطعها، آقتله؟ قال: «**لا تقتله، فإن قتلته، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

* غريب الحديث:

قوله: (**وكان حليفاً لبني زهرة**)؛ أي: لمحالفته الأسود بن عبد يغوث الزهري؛ فإنه تبنّاه وحالفه.

قوله: (**أن المقداد... أنه قال: يا رسول الله...**): أعاد لفظة (أنه) لطول الكلام، وهذا مستحسن عند العرب، ومثله جاء في القرآن الكريم: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]؛ فأعاد ﴿إِنَّكُمْ﴾ للطول. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩ و٩٠] فأعاد ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾.



١٥٨ ـ (٩٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظِبْيَانَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. وَهَذَا حَدِيثُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي سَرِيَّةٍ؛ فَصَبَّحْنَا الْحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ؛ فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً، فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللّهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ وَقَتَلْتَه؟**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ السِّلاحِ، قَالَ: «**أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ**

قَلْبِهِ؛ حَتَّى تَعْلَمَ أقَالَهَا أم لا؟!». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ؛ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَاللّهِ لاَ أَقْتُلُ مُسْلِماً؛ حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ - يَعْنِي: أُسَامَةَ -، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللّهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؟ فَقَالَ سَعْدُ: قَدْ قَاتَلْنَا؛ حَتّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا؛ حَتَّى تكُونَ فِتْنةٌ.

➤ فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

٢ - فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي ظبيان.

٣ - حديث أسامة بن زيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - هذا - متفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري (٤٢٦٩ و٦٨٧٢).

✸ راوي الحديث:

أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، حِب رسول الله ﷺ ومولاه وابن مولاه، أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، استعمله النبي قبل وفاته بأيام على جيش فيه أبو بكر وعمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، وهو إذ ذاك ابن ثمانية عشر عاماً، ولم ينفذ ذلك الجيش لأجل وفاته ﷺ، ثم أنفذه أبو بكر، توفي أسامة بعد قتل عثمان، وقيل: سنة (٥٤هـ).

✵ غريب الحديث:

قوله: **(أبو ظبيان)**؛ قال النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فهو بفتح الظاء المعجمة وكسرها؛ فأهل اللغة يفتحونها، ويلحنون مَن يكسرها، وأهل الحديث يكسرونها»[1].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠٣/٢).

قوله: (**حديث ابن أبي شيبة**)؛ يعني: أن المتن الذي ساقه هو لفظ شيخه أبي بكر ابن أبي شيبة، وأما شيخاه: أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم، فروياه بمعناه.

قوله: (**بعثنا رسول الله ﷺ في سرية**)؛ السرية: بفتح السين وكسر الراء وتشديد الياء، وهي مفرد، والجمع: سرايا، وهي: طائفة من الجيش نحو أربعمائة، سموا بذلك؛ لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم، وقيل: لأنهم ينفذون سرًّا وخفية، والثاني أقرب.

قوله: (**فصبحنا الحرقات من جهينة**)؛ فصبّحنا: أتيناهم وقت الصبح؛ فهجمنا عليهم بغتة وهم لا يشعرون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣٨]. والحرقات: ـ بضم الحاء، وفتح الراء ـ نسبة إلى الحرقة، واسمه: جهيش بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينة، وتسمى: الحرقة؛ لأنه حرق قوماً بالقتل، فبالغ في ذلك.

وقال القرطبي: «الحرقات موضع معروف من بلاد جهينة»[(١)].

لذلك؛ فهي تُطلق على قبيلة وعلى بلد «الحرقي: هذه النسبة إلى الحرقات من جهينة، وبطن من غافق، وناحية بعُمان»[(٢)].

قوله: (**فقال: لا إله إلا الله؛ فطعنته**)؛ أي: أدركته فطعنته برمحي حتى قتلته.

قوله: (**فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي**)؛ أي: حدث في نفسي شك وأن قتله لا يجوز بعدما قال: لا إله إلا الله، فسألت النبي عن ذلك.

قوله: (**أقال: لا إله إلا الله، وقتلته**): في تكرار القول إنكار شديد، وزجر أكيد، وإعراض عن قبول عذر أسامة الذي أبداه بقوله: «إنما قالها خوفاً من السلاح».

---

(١) «المفهم» (١/٢٩٦).
(٢) «لب اللباب» (١/٢٤٣).

وفي هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يُقْدِم أحد على قتل من قال: لا إله إلا الله.

قوله: **(إنما قالها خوفاً من السلاح)**؛ أي: الرجل المقتول قال كلمة التوحيد؛ ليحرز دمه وماله، وليس إيماناً وتصديقاً بها.

قوله: **(أفلا شققت عن قلبه، حتى تعلم أقالها أم لا)**: إشارة إلى قول القلب، وهو إقراره بها وتصديقه لها.

والمراد: إنك مكلَّف بالعمل بالظاهر، وما ينطق اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه؛ لأن أمره إلى الله.

قوله: **(فما زال يكررها)**؛ أي: يعيد مقالته المذكورة منكراً فعل أسامة ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: **(حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ)**؛ أي: أن إسلامي كان ذلك اليوم؛ لأن الإسلام يجُبّ ما قبله، وإنما تمنى ذلك ليأمن جريرة تلك الفعلة، ويسلم من تلك الجناية؛ لما حصل في نفسه من شدة إنكار النبي ﷺ لذلك وعظمه.

قوله: **(ذو البطين)** وصف لأسامة؛ لأنه كان ذا بطن عظيم.

قوله: **(قال رجل)**؛ أي: أبو ظبيان منكراً قول سعد بن أبي وقاص: «وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين».

قوله: **(فقال سعد)** رادًّا على إنكاره.

قوله: **(قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة)**؛ أي: حتى لا يفتن الكفار المؤمنين.

قوله: **(وأنت وأصحابك)**: يريد الذين يتقاتلون بينهم لأغراض دنيوية.

قوله: **(تريدون أن تقاتلوا؛ حتى تكون فتنة)**؛ أي: حتى توجد الفتنة بين المسلمين.

فقه الحديث:

١ ـ من وظيفة الإمام العام بعث السرايا للدعوة والقتال.

٢ ـ منع رفع السلاح على من نطق بالشهادة، وعدم قتله وقتاله.

٣ ـ وجوب العمل بالظاهر، وترك السرائر.

٤ ـ سؤال أهل العلم عما يشكل، وما تتردد فيه النفس.

٥ ـ على العالم والمفتي أن يستفصل عن ملابسات الوقائع والأحداث قبل إصدار الأحكام.

٦ ـ جواز تكرار الحكم أو المسألة إذا دعت المصلحة من زجر وغيره.

٧ ـ أن من نطق بالشهادتين؛ فهو معصوم الدم والمال والعرض.

٨ ـ الندم على الخطأ والتقصير.

٩ ـ جواز ذكر الإنسان بما فيه من عيب، أو ما يشعر بنقيصة إذا كان ذلك من باب تمييزه عن غيره.

١٠ ـ مشروعية التعنيف عند ارتكاب الخطأ.

١١ ـ أن الأحكام الشرعية ترتب على الأسباب الظاهرة دون الباطنة.

١٢ ـ أن العمل بالظنون والتخمين من الفتنة في الدين.

١٣ ـ تعظيم قدر (لا إله إلا الله)؛ فإن النبي ﷺ قال لأسامة: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله**».

١٤ ـ (لا إله إلا الله) تحاجّ عن صاحبها يوم القيامة؛ لأنه قال له: «**كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**».

وقد صرّح رسول الله ﷺ بذلك حيث قال لعمّه أبي طالب: «**أي عم؛ قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**».

١٥ ـ الإسلام يجُبّ ما قبله، لذلك تمنى أسامة إسلامه يومئذ؛ لما

علم أن الإسلام يزيل التبعات، ويمحو السيئات ويقيل العثرات، وقد صرّح رسول الله ﷺ بذلك عندما قال لعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**».

١٦ ـ قال ابن بطال: هذه القصة كانت سبب حلف أسامة ـ رضي الله عنه ـ أن لا يقاتل مسلماً بعد ذلك، ولذلك تخلّف عن علي ـ رضي الله عنه ـ في الجمل وصفين.

١٧ ـ فيه دليل على وجوب اعتزال الفتنة التي تقع بين المسلمين.

• تنبيهات مهمات:

١ ـ استدل القرطبي بهذا الحديث على أن حديث النفس كلام وقول.

وهذا الاستدلال فيه أشعرية واضحة حيث يثبت الكلام النفسي؛ وهو: أن الكلام اللفظي عبارة عن النفسي، وزعموا ذلك في القرآن الكريم.

وهذا مذهب باطل دلّت أدلة الكتاب والسنّة على نقصه وفساده؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال ﷺ: «**مَن قرأ حرفاً من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

٢ ـ قال الحافظ: «وترجم البخاري في «المغازي»: «بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات»؛ فجرى الداودي في «شرحه» على ظاهره، فقال: «تأمير مَن لم يبلغ»[(١)].

وتعقب من وجهين:

أحدهما: أنه ليس فيه تصريح بأن أسامة كان الأمير؛ إذ يحتمل أن يكون جعل الترجمة باسمه؛ لكونه وقعت له تلك الواقعة، لا لكونه كان الأمير.

---

(١) «فتح الباري» (١٢/٢٠٣).

الثاني: أنها كانت سنة سبع أو ثمان، فما كان أسامة يومئذٍ بالغاً؛ لأنهم ذكروا أنه كان له لما مات النبي ﷺ ثمانية عشر عاماً».



١٥٩ ـ (. . .) حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيّ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ، حَدَّثَنَا أَبُو ظِبْيَانْ، قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يُحَدِّثُ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَة، فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، ولَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللّهُ. فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصارِيُّ، وطَعنْتُهُ بِرُمْحِي؛ حَتَّى قَتَلْتَهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنا، بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا أُسَامَةُ! أَقتَلْته بَعْدَمَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهَ؟**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذاً. قَالَ: فَقَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ؟**» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ؛ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَومَ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ولحقت أنا ورجل من الأنصار**): يحتمل أن يكون الأنصاري أبا الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (**رجلاً منهم**)؛ هو: مرداس بن نهيك.

قوله: (**فلما غشيناه**)؛ أي: لحقنا به.

قوله: (**فلما قدمنا**)؛ أي: المدينة النبوية.

قوله: (**إنما كان متعوذاً**)؛ أي: متحصناً ومعتصماً بهذه الكلمة.

● تنبيه:

وقع في هذه الرواية أن الأمر الذي صنعه أسامة ذكر للنبي ﷺ، وفي الرواية السابقة أن أسامة هو الذي سأل النبي، وفي حديث جندب بن عبدالله أن البشير هو الذي أخبر الرسول الخبر.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «فيحتمل أن يجمع بينهما بأن أسامة وقع في نفسه من ذلك شيء بعد قتله ونوى أن يسأل عنه، فجاء البشير، فأخبر به

قبل مقدم أسامة، وبلغ النبي ﷺ أيضاً بعد قدومهم، فسأل أسامة فذكره، وليس في قوله: «فذكرته» ما يدل على أنه قاله ابتداء قبل تقدم علم النبي ﷺ به، والله تعالى أعلم»(١).



١٦٠ ـ (٩٧) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ: أَنَّ خَالِداً الأَثْبَجَ، ابْنَ أَخِي صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، حَدَّثَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلامَةَ، زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَراً مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ؛ فَبَعَثَ رَسُولاً إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ، وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ، فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ؛ حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ؛ فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ ولاَ أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيكُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمْ الْتَقَوا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ؛ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ. قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللّهُ، فَقَتَلَهُ؛ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، فَسأَلَهُ؛ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ، فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلاناً وَفُلاناً ـ وَسَمَّى لَهُ نَفَراً ـ وإِنِّي حَمَلتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأى السَّيْفَ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ؟**»، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا اللّهُ؛ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ؛ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قَالَ: فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «**كَيفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ؛ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠٧/٢).

✸ راوي الحديث:

جندب بن عبدالله البجلي العلقمي - بفتح اللام، حي من بجيلة - الصحابي، ربما يُنسب إلى جده؛ فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة، ثم البصرة، أخرج له الجماعة، وتوفي سنة ستين.

● فوائد الإسناد:

١ - من سباعيات المصنف - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

٢ - مسلسل بالبصريين غير شيخه؛ فبغدادي، وصحابي الحديث سكن الكوفة ثم البصرة.

٣ - فيه رواية الأبناء عن الآباء: معتمر عن أبيه.

٤ - فيه رواية الراوي عن عمه: خالد الأثبج عن صفوان بن محرز.

٥ - رواية سليمان بن طرخان عن خالد الأثبج من رواية الأكابر عن الأصاغر؛ فسليمان تابعي، وخالد من تابعي التابعين.

٦ - حديث جندب بن عبدالله - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - هذا من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

الأثبج: هو عريض ما بين الكاهل والظهر.

قوله: **(زمن فتنة ابن الزبير)**؛ أي: أيام حربه مع بني أمية.

قوله: **(اجمع لي نفراً)**؛ النفر: من ثلاثة إلى عشرة، ولا يقال فيما زاد عن عشرة: نفر.

قوله: **(من إخوانك)**؛ أي: إخوان النسب والدين.

قوله: **(حتى أحدثهم)**: كي أحدثهم.

قوله: **(فبعث رسولاً إليهم)**؛ أي: بعث عسعس بن سلامة رسولاً إلى إخوانه.

قوله: **(برنس أصفر)**: البرنس - بضم الباء والنون - هو: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، ورّاعة كان، أو جبة، غيرها.

وكان الزهّاد يلبسونها في صدر الإسلام.

قوله: **(فقال تحدثوا)**؛ أي: قال جندب للجلوس: تحدثوا لئلا يستوحشوا؛ فيقطعوا حديثهم بسبب حضوره حياءً منه.

قوله: **(حتى دار الحديث)**؛ أي: انتقل بين الحاضرين من شخص إلى آخر.

قوله: **(فلما دار الحديث إليه)**؛ أي: وصل إلى جندب.

قوله: **(حسر البرنس عن رأسه)**؛ أي: كشف وأزال البرنس عن رأسه ليمكنه مواجهتهم، ويمكنهم مواجهته بلا قوله: **(فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ، وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ)**: قال النووي - رحمه الله تعالى -: كذا وقع في جميع الأصول، وفيه إشكال من حيث إنه قال في أول الحديث: «بَعَثَ إلى عسعس، فقال: اجمع لي نفراً من إخوانك حتى أحدثهم»، ثم يقول بعده: «أتيتكم، ولا أريد أن أخبركم»، فيحتمل هذا الكلام وجهين:

أحدهما: أن تكون «لا» زائدة؛ كما في قول الله - تعالى -: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحديد: **٢٩**]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: **١٢**].

والثاني: أن يكون على ظاهره: أتيتكم، ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم ﷺ، بل أَعِظُكم، وأحدثكم بكلام من عند نفسي، لكني الآن أزيدكم على ما كنت نويته، فأخبركم أن رسول الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً، وذكر الحديث، والله تعالى أعلم(١).

قال أبو أسامة الهلالي - كان الله له -: وجد في هامش بعض النسخ: «إني أتيتكم، ولا أريد أن أخبركم إلا عن نبيكم» بزيادة (إلا) فإذا كان هذا محفوظاً؛ فقد زال الإشكال.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٠٥).

قوله: **(إن رسول الله بعث بعثاً من المسلمين)**؛ أي: أرسل سرية من أصحابه، وهم الذين تقدم ذكرهم في حديث أسامة.

قوله: **(إلى قوم من المشركين)**: هم الحرقات من جهينة.

قوله: **(وإنهم التقوا)**؛ أي: تقابل الجيشان: المسلم والكافر في ميدان المعركة.

قوله: **(فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له)**؛ أي: أن هذا المشرك أثخن المسلمين جراحاً.

قوله: **(وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته)**؛ أي: غفلة ذلك الرجل المشرك الذي أكثر القتل في المسلمين.

قوله: **(وكنا نُحَدَّث أنه أسامة بن زيد)**؛ أي: أخبرنا أن هذا الرجل المسلم هو أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ.

قوله: **(فلما رفع عليه السيف)**؛ في بعض النسخ **(رجع)** وكلاهما صحيح، والمراد: أن أسامة رفع سيفه على هذا الرجل، ورجع عليه؛ ليقتله.

قوله: **(فجاء البشير)**؛ أي: الذي يحمل البشارة بنصر المسلمين، وهزيمة الكفار.

قوله: **(فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل)**؛ أي: نقل تفاصيل المعركة حتى أنه أخبر رسول الله ﷺ بما صنع أسامة بالرجل الذي قتله بعد قوله: (لا إله إلا الله).

قوله: **(فدعاه، فسأله)**؛ أي: دعا رسول الله ﷺ أسامة فسأله عن الخبر الذي نقله البشير.

قوله: **(لمَ قتلته)**: تفسير للسؤال؛ فكأنه قال له: لمَ قتلت الرجل بعد قوله: لا إله إلا الله.

قوله: **(قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين...)**؛ أي: ألحق الضرر والأذى بهم بالقتل والجراح؛ فقتل فلاناً وفلاناً.

قوله: (**وإني حملت عليه**)؛ أي: شددت عليه، وحرصت على قتله.

قوله: (**فلما رأى السيف؛ قال: لا إله إلا الله**)؛ أي: قالها متعوِّذاً من السيف، وليس مخلصاً في قولها، ورغبة في الإسلام.

قوله: (**فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**)؛ أي: ليخاصمك بها صاحبها.

فقه الحديث:

١ ـ بيان دور العلماء عند وقوع الفتن، وأنهم يسكنون الناس، ويوضحون الدلائل.

٢ ـ إذا وقعت الفتنة، فهي حديث الناس.

٣ ـ أهمية اجتماع الناس على العلماء، لا سيما وقت الفتن والمحن.

٤ ـ جواز لبس البرنس.

٥ ـ من حكمة العالم والمصلح أن يسمع ما الناس فيه من مفاهيم وأفكار، ثم بعد ذلك يبين الحكم الشرعي فيه.

٦ ـ جواز مباغتة العدو، وغفلته، وإتيانه على غرة.

٧ ـ أن الذي أخبر النبي ﷺ الخبر؛ جاء يبشره.

٨ ـ استحباب البشرى بالخير، وهذه سنّة من سنن الهدى.

٩ ـ المخرج من الفتنة هو كتاب الله وسنّة رسوله، ولذلك حدثهم جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ بما حفظه من حديث رسول الله ﷺ.

١٠ ـ جواز معاتبة الإمام الجيش عند صدور مخالفة شرعية منهم.

● تتمات مهمات:

١ ـ حاول بعض المتعالمين الغمز في إسناد حديث جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ بوجود خالد بن عبدالله الأثبج بدعوى أنه لم يروِ له البخاري، ولا

جعله مسلم في أصول كتابه بل أورد حديثه هذا في الشواهد، ولم يوثقه غير ابن حبان والعجلي، وفي توثيقهما تساهل معروف؛ وهي دعوى مردودة بما يأتي:

أ ـ لا يشترط في توثيق الرواة: أن يكونوا ممن أخرج لهما الشيخان بله البخاري أو مسلم؛ فكم من الثقات لم يُخرج لهما الشيخان شيئاً (!).

ب ـ أن مسلماً أورده في أصول كتابه؛ فدلّ على أنه ثقة عنده، ويعضد ذلك أن حديث أسامة السابق في معناه حذو القذة بالقذة.

ت ـ أن خالداً الأثبج روى عنه الأكابر؛ كما يعرف ذلك من اطلع على ترجمته في «تهذيب الكمال».

ث ـ أن خالداً الأثبج لم يضعِّفه أحد ابتداءً، ولا هو بمجهول حتى يعترض على توثيق ابن حبان والعجلي؛ فإن توثيقهما لا يعتبر للمجاهيل.

ج ـ أن الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قال: «صدوق».

٢ ـ زعم بعض المتعالمين: أن حديث المقداد وأسامة وجندب ـ رضي الله عنهم ـ من المشكلات التي سُلِّم بظاهرها دون بحث فيها، ثم عارضها بقوله تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠ و٩١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٣ ـ ٨٥]، فقال: نلاحظ في هاتين الآيتين أنهما قريبتا المناسبة من حديث أسامة بن زيد، ومع ذلك ما توقف الله ـ عز وجل ـ عن تعذيبهم، وإنزال البأس بهم وإماتتهم، على خلاف ما جاء في الروايات السابقة أن النبي ﷺ أمر الصحابي أن لا يقتل الكافر في المعركة إذا تلفظ بالشهادتين أو بالإسلام، وإن قال ذلك خوفاً.

قلت: مَن رفع بفقه الكتاب والسنّة رأساً، وجعل النقل للعقل أسًّا، علم يقيناً أن هذه الأحاديث لا تعارض هاتين الآيتين من وجوه كثيرة؛ منها:

أ ـ أن الذي أهلك فرعون وأمم الكفر هو الله الذي يعلم الباطن كما يعلم الظاهر فلا تخفى عليه خافية، بينما المأمور بالكف عن قائل شهادة التوحيد هو العبد الذي لا يعلم إلا ما ظهر له من العباد، فإن تَكَلَّف ما لم يُكَلَّف؛ فقد وقع في الخطأ مرتين.

أحدهما: أنه جاوز قدرته وطاقته ورام علم ما حجب عنه.

الأخير: أنه خالف الأمر الشرعي.

فمَن له أدنى مسكة عقل لا يجعل المقامين سواء.

ب ـ أنك أيها المعترض المعارض إذا علمت من هذا القائل لشهادة التوحيد ما علم الله من فرعون وأمم الكفر فاقتله، ولا نقول ذلك اجتهاداً؛ بل هذا ما قاله حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لنجدة الحروري عندما كتب له يسأله عن قتل الصبيان، واحتج بقتل الخضر صاحب موسى ـ عليه السلام ـ للغلام؛ فكتب له ابن عباس: إن كنت الخضر تعرف المؤمن من الكافر فاقتلهم، وفي رواية: أنك كتبت تسأل عن قتل الولدان، وتقول في كتابك: إن العالم صاحب موسى: قد قتل الوليد، ولو كنت لا تعلم من الولدان ما علم ذلك العالم من ذلك الوليد قتلته ولكنك لا تعلم.

وهذا ما يفيده قول رسول الله ﷺ لأسامة: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**».

ت ـ إن فرعون وأمم الكفر التي أهلكهم الله لم يكونوا صادقين فيما ادّعوه، ولو كانوا صادقين لردّ الله عنهم العذاب كما فعل مع قوم يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

ث ـ ولو كانوا صادقين، فإن ذلك لا ينفعهم وقتئذٍ؛ فالتوبة والعبد

يغرغر مردودة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، وأما مَن تاب خائفاً من القتل؛ فمسألة أخرى أصلاً ورأساً.

٣ ـ وردت رواية لحديث جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ عند أبي يعلى **(١٥٢٢)**، والطبراني في «الكبير» **(١٧٢٣)** من طريق شهر بن حوشب قال: حدثني جندب بن سفيان ـ رجل من بَجِيلة ـ قال: إني عند رسول الله ﷺ حين جاءه بشير من سَرِيّة بعَثَها، فأخبره بالنصر الذي نَصَرَ الله سريته، وبفتح الله الذي فَتَحَ لهم، قال: يا رسول الله، بينما نحن بطلب العدوّ، وقد هَزَمهم الله، إذ لَحِقت رجلاً بالسيف، فلما أَحَسّ أن السيف قد واقعه، التفت، وهو يَسْعَى، فقال: إني مسلم، إني مسلم، فقتلته، وإنما كان يا نبيّ الله مُتَعوِّذاً، قال ﷺ: «**فهلا شَقَقت عن قلبه، فنَظَرت، صادقٌ هو، أم كاذبٌ؟**» قال: لو شققتُ عن قلبه ما كان يُعْلِمني القلبُ؟ هل قلبه إلا مُضْغَةٌ من لحم؟ قال ﷺ: «**فأنت قتلته لا ما في قلبه علمتَ، ولا لسانه صدَّقتَ**»، قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال ﷺ: «**لا أستغفر لك**» [فمات ذلك الرجل]؛ فدفنوه، فأصبح على وجه الأرض، ثلاث مرات، فلما رأى ذلك قومه استَحْيَوا، وخَزُوا مما لَقِي، فاحتملوه، فألقَوْه في شِعْب من تلك الشعاب.

السياق لأبي يعلى، والزيادة من معجم الطبراني.

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: هذا الحديث منكر؛ لأن شهر بن حوشب ضعيف سيىء الحفظ، وقد خالف المحفوظ الذي رواه الثقات عن جندب بن عبدالله؛ هذا **أولاً**.

وثانياً: فإن المحفوظ أن الرجل الذي ألقته الأرض ونبذته بعد موته هو ذاك المرتد الذي لحق بالروم وزعم أنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ويدخل فيه ما شاء، وأن رسول الله ﷺ لا يدري شيئاً من ذلك، كما في الصحيحين من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

وثالثاً: ما في الصحيح يقدم بلا مثنوية عند اختلاف الروايات، والله أعلم.

٤ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وأراد جندب بن عبدالله ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ الرد على أولئك الخوارج الذين يقتلون المسلمين، ويستبيحون دماءهم مع أن المسلمين يقولون: لا إله إلا الله؛ لكن الخوارج من ملّتهم ونحلتهم: أن فاعل الكبيرة كافر؛ ولو قال: لا إله إلا الله»[1].

٥ ـ دلّت أحاديث الباب على أنه يؤخذ بالظاهر في الدنيا، ولا ننقب عما في القلوب، أما في الآخرة؛ فالأمر بالعكس، يؤخذ بما في القلوب، ولا يؤخذ بالظاهر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٨ و٩]، وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ [العاديات: ٩ ـ ١١].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٣٤).

٤٢ ـ باب قول النبي ﷺ: «مَن حمل علينا السلاح؛ فليس منا»

١٦١ ـ (٩٨) حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالا: حَدَّثَنَا يَحْيَى ـ وَهُوَ الْقَطَّانُ ـ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ عُبَيْدِالله، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. (ح) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَاللَّفْظُ لَهُ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ؛ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ؛ فَلَيْسَ مِنَّا**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (٨/١).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف بالنسبة للإسنادين الأولين، ومن رباعياته بالنسبة للإسناد الثالث، وهو أعلى إسناد وقع للمصنف في هذا الكتاب.

٢ ـ فيه أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر.

٣ ـ قوله: «واللفظ له»؛ أي: أن متن الحديث لشيخه يحيى بن يحيى، وأما الباقون فرووه بالمعنى.

٤ ـ حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من المتفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦٨٧٤ و٧٠٧٠).

✹ غريب الحديث:

قوله: (**من حمل علينا السلاح**)؛ أي: من حمله للقتال، والمقاتلة، أو إدخال الرعب على المسلمين بغير حق وبرهان.

قوله: **(فليس منّا)**؛ أي: ليس على ملتنا، أو ليس على هدينا، على وفق قواعد أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح.

فقه الحديث:

١ ـ خطورة حمل السلاح؛ إذا لم يقيده الشرع.

٢ ـ حرمة إراعة المسلمين، وإدخال الرعب عليهم.

٣ ـ حرمة قتال ومقاتلة المسلم لأخيه المسلم.

٤ ـ أن الوسائل لها أحكام المقاصد.

٥ ـ حرمة أذية المسلم بأي نوع من أنواع الأذى.

٦ ـ وفيه حجة للقول بسد الذرائع.

٧ ـ أن هذا العمل مما يُنقِصُ الإيمان.

٨ ـ يحمل هذا الحديث على البغاة والخوارج وكل مَن سلَّ السيف للقتال ظالماً.



١٦٢ ـ (٩٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا مُصْعبٌ ـ وَهُوَ ابْنُ الْمِقْدَام ـ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ: «**مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ؛ فَلَيْسَ مِنَّا**».

راوي الحديث:

هو سلمة بن عمرو بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ، شهد بيعة الرضوان، كان شجاعاً رامياً، وكان يسبق الفرس شدًّا على قدميه، وعندما قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ خرج إلى الربذة، وتزوج بها امرأة، وولدت له أولاداً، وقبيل وفاته بليال نزل المدينة.

روى له الجماعة، وتوفي سنة (٧٤هـ).

● **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عكرمة عن إياس.

٣ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء: إياس بن سلمة عن أبيه.

٤ ـ حديث سلمة بن الأكوع هذا من أفراد مسلم وزوائده على البخاري والسنن الأربعة.

* **غريب الحديث:**

قوله: **(من سلّ علينا السيف)**؛ أي: من أخرج السيف من غمده، وشهره علينا للقتال.

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



١٦٣ ـ (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ بَرَّادٍ الأَشْعَرِيُّ؛ وأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ؛ فَلَيْسَ مِنَّا»**.

* **راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٤٢/٦٦).

● **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

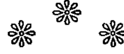
٢ ـ له في هذا الحديث ثلاثة شيوخ قرن بينهم.

٣ ـ مسلسل بثقات الكوفيين.

٤ ـ فيه رواية الراوي عن أبيه عن جده.

٥ ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٧٠٧١).

وأما شرحه؛ فقد تقدم الكلام عليه.



٤٣ ـ باب قول النبي ﷺ: «مَن غشّنا فليس منا»

١٦٤ ـ (١٠١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الْقَارِيُّ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ مُحَمَّدُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، كِلاَهُمَا عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ؛ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: سهيل بن أبي صالح عن أبيه.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ومن غشنا؛ فليس منا**)؛ الغش: ضد النصح.

والمعنى: أنّ الذي يعامل الناس في بيعه وغيره بالغش الذي هو ضد النصح الواجب شرعاً: ليس على طريق محمد ﷺ.

والضمير في «منا» يعود على الأمة الإسلامية.

فقه الحديث:

١ ـ التحذير من الغش، وأنه من كبائر الذنوب.

٢ ـ أنّ المسلم والمؤمن لا يغش.

٣ ـ الواجب على المسلم أن ينصح للمسلمين.

٤ ـ الغش ينقص الإيمان.



(١٠٢) وحَدّثني يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ ـ جَمِيعاً ـ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلاَءُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا؛ فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**»، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له في هذا الحديث ثلاثة شيوخ قرن بينهم.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: العلاء عن أبيه.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (**مرّ على صبرة طعام**)؛ الصبرة: ـ بضم الصاد وإسكان الباء ـ، مفرد، وجمعها صُبَر. وهي كما يقول الأزهري: الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة؛ لإفراغ بعضها على بعض، ومنه قيل للسحاب فوق السحاب: صبير.

قوله: **(فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً)**: من عادته ﷺ أن ينزل السوق، ويعلم الباعة الحلال والحرام في البيع والشراء، ويتفقد السلع، فبينما هو كذلك يوماً إذ أدخل يده؛ ليتأكد من سلامة الطعام؛ فوجد البلل الذي يُعد عيباً في المبيع، فقال: **(ما هذا يا صاحب الطعام؟)** ما هذا البلل الذي يفسد الطعام ولا يظهر للمشتري؛ لأنه من أسفل؟!

قوله: **(أصابته السماء يا رسول الله!)**: أنّ البلل الواقع في الطعام إنما هو من مطر السماء، لا عن قصد.

قوله: **(أفلا جعلته فوق الطعام؛ كي يراه الناس؟)**؛ المعنى: كونك لم تقصد جعل البلل فيه، بل كان من أثر السماء؛ فلتجعل الذي أصابه البلل من فوق والجاف من تحت؛ ليظهر ذلك للناس ولا يعد غشاً لهم؛ فإن **(من غشّ فليس مني)** فإن ظاهر هذا الفعل من الغش الذي ينافي الصدق، والنصح، والأمانة في البيع، ومَن هذه حاله؛ فليس على طريقي.

فقه الحديث:

١ ـ من وظيفة الإمام العام تفقد الأسواق؛ كغيرها من أجزاء المجتمع، وتعليمهم ما يحتاجون إليه من أحكام البيوع، وأخلاق الباعة.

٢ ـ للوالي أن يفجأ الناس في أعمالهم، ويتأكد من صلاح وسلامة بيوعهم دون إذنهم.

٣ ـ الاستفصال عن الدافع قبل الحكم على الفاعل.

٤ ـ التحذير من الغش.

٥ ـ حرمة الغش، وأنه من كبائر الذنوب.

٦ ـ المسلم والمؤمن لا يغش بل ينصح.

٧ ـ حرص الشريعة على صيانة المجتمع وحفظ حقوق العباد.

٨ ـ تحريم التدليس في البيع.

٩ ـ لا فرق بين الغش في القليل والكثير؛ لعموم قوله: **«من غشّ»**.

● **تنبيهات مهمات:**

١ ـ إدخال الرسول ﷺ يده في صبرة الطعام كان بالوحي؛ ففي رواية أبي داود (**٢٩٩٥**) بإسناد صحيح من طريق سفيان بن عيينة عن العلاء: أن رسول الله ﷺ مرّ برجل يبيع طعاماً؛ فسأله: «**كيف تبيع؟**» فأخبره، فأوحي إليه: أن أدخِل يدك فيه؛ فأدخل يده فيه، فإذا هو مبلول، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس منا مَن غش**».

قال أبو داود: حدثنا الحسن بن الصباح، عن علي، عن يحيى؛ قال: كان سفيان يكره هذا التفسير: «**ليس منا**»: «ليس مثلنا».

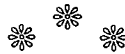
٢ ـ قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«وإذا قلنا في مثل قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق، وهو مؤمن**»، وقوله: «**لا إيمان لمَن لا أمانة له**»، وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] الآية، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إذا قال القائل في مثل هذا: ليس بمؤمن كامل الإيمان، أو نَفَى عنه كمال الإيمان لا أصله، فالمراد به كمال الإيمان الواجب، ليس بكمال الإيمان المستحبّ، كمَن ترك رميَ الجمار، أو ارتكب محظورات الإحرام، غير الوطء، ليس هذا مثل قولنا: غسلٌ كاملٌ، ووضوءٌ كاملٌ، وأن المجزىء منه ليس بكامل، ذاك نفي الكمال المستحب، وكذا المؤمن المطلقُ هو المؤدّي للإيمان الواجب، ولا يلزم من كون إيمانه ناقصاً عن الواجب أن يكون باطلاً حابطاً كما في الحج، ولا أن يكون معه الإيمان الكامل، كما تقوله المرجئة، ولا أن يقال: ولو أدّى الواجب لم يكن إيمانه كاملاً، فإن الكمال المنفيّ هنا الكمال المستحب.

فهذا فُرقانٌ يُزيل الشبهة في هذا المقام، ويُقَرِّر النصوص كما جاءت.

وكذلك قوله ﷺ: «**مَن غَشَّنا فليس منا**»، ونحو ذلك، لا يجوز أن يقال فيه: ليس من خيارنا، كما تقوله المرجئة، ولا أن يقال: صار من غير المسلمين، فيكون كافراً، كما تقوله الخوارج، بل الصواب أن هذا الاسم الْمُضْمَر ينصرف إطلاقه إلى المؤمنين الإيمان الواجب الذي به يستحقون الثواب بلا عقاب، ولهم الموالاة المطلقة، والمحبة المطلقة، وإن كان لبعضهم درجات في ذلك بما فعله من المستحب، فإذا غَشَّهم لم يكن منهم حقيقةً؛ لنقص إيمانه الواجب الذي به يستحقون الثواب المطلق بلا عقاب، ولا يجب أن يكون من غيرهم مطلقاً، بل معه من الإيمان ما يستحقّ به مشاركتهم في بعض الثواب، ومعه من الكبيرة ما يستحقّ به العقاب، كما يقول مَن استأجر قوماً ليعملوا عملاً، فعَمِلَ بعضهم بعض الوقت، فعند التوفية يصلَح أن يقال: هذا ليس منا؛ فلا يستحق الأجر الكامل، وإن استحق بعضه»[1].



(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/٢٩٣).

٤٤ ـ باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية

١٦٥ ـ (١٠٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، جَمِيعاً عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِالله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الجاهِلِيَّةِ**».

هذَا حَدِيثُ يَحْيَى. وَأَمَّا ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو بَكْر فَقَالا: «**وَشَقَّ وَدَعَا**» بِغَيْرِ أَلِفٍ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٠/٨٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ للمصنف فيه ثلاثة شيوخ فرّق بينهم: يحيى بن يحيى، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وابن نمير.

٣ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخه يحيى؛ فنيسابوري لكنه دخل الكوفة.

٤ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق.

٥ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (١٢٩٤ و١٢٩٧ و١٢٩٨ و٣٥١٩).

٦ ـ قوله: «هذا حديث يحيى...»؛ إشارة إلى السياق بلفظ «أو» وأن هذا سياق حديث شيخه الأول يحيى بن يحيى. وأما شيخاه أبو بكر شيخه الثاني وابن نمير شيخه الثالث فقالا: «وشق، ودعا» بغير الألف التي في الواو.

٧ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «مسلم ـ رحمه الله ـ في صياغة الأسانيد عجيب جداً؛ يعني في ذكر المتابعات في سياق واحد، ثم اختياره للفظ أحدهم، فيقول: اللفظ له، أو إذا وصل إليه قال: حدثنا، ووصل السند.

وهذا ينفع طالب العلم نفعاً عظيماً في معرفة المتابعات، وصياغة الأسانيد، وهو بهذا لا شك يفوق البخاري ـ رحمه الله ـ؛ لأن البخاري لا يصنع هذا الصنيع، أكثر ما عنده إذا انتهى من الحديث قال: تابعه فلان وفلان، مع أنه ـ أحياناً ـ يقول: تابعه، ولا يبين إلى مَن أرجع الضمير، وأما مسلم فصنيعه عجيب»[(١)].

٨ ـ ذكر الحافظ: أنه وقع في رواية مسلم بلفظ: «**بدعوى أهل الجاهلية**» بزيادة «أهل»[(٢)].

قلت: ولم أجدها، فلعلها نسخة أخرى وقعت له.

وإنما هذا اللفظ وقع عند النسائي في «السنن الكبرى» (**١٩٨٧ و١٩٨٩ و١٩٩١**): «**ودعا بدعاء أهل الجاهلية**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ليس منّا**)؛ أي: ليس من سنّتنا وطريقتنا، وليس المراد به الكفر والخروج من الملة، وقد تقدم مثله في الأحاديث السابقة.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص**٣٣٩ ـ ٣٤٠**).
(٢) «فتح الباري» (**٣/١٩٥**).

قوله: (**من ضرب الخدود**)؛ الخد: مفرد الخدود، وهو أحد جانبي الوجه، وضربها جاء عند البخاري: «**لطم الخدود**» وهما بمعنى واحد، وإنما يُفعل ذلك عند المصيبة، وهذا يدل على التسخط، وعدم الرضا بقضاء الله وقدره.

قوله: (**أو شق الجيوب**)؛ الجيب: فتحة في الثوب يدخل المرء رأسه منها، وشقه يكون؛ كاللطم تسخطاً.

قوله: (**أو دعا بدعوى الجاهلية**): ودعاوى الجاهلية كثيرة، منا: النياحة، وندبة الميت، والدعاء بالويل، والنعي، وإطراء الميت بما لم يكن فيه وغيرها، وكلُّ هذه من الأمور المحرمة.

فقه الحديث:

١ ـ الحديث يشمل الرجال والنساء، وتخصيص النساء في بعض الأحاديث خرج مخرج العادة.

٢ ـ هذه الأشياء المذكورة في الحديث من صنيع الجاهلية.

٣ ـ التحذير من كل محرم عند المصيبة؛ من ضرب ولطم الخدود، وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية.

٤ ـ وجوب الصبر على أقدار الله ـ تعالى ـ.

٥ ـ النهي عن التشبه بأهل الجاهلية الأولى.

٦ ـ وجوب الاحتساب عند فقد الأحباب، وعدم التعلق بالأسباب.

٧ ـ أن هذه المذكورات مما ينقص الإيمان.



١٦٦ ـ (...) وحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، قَالا: حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ يُونُسَ، جَمِيعاً عَنِ الأَعْمَش، بِهذَا الإِسْنَادِ، وَقَالا: «**وَشَقَّ ودَعَا**».

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ أي: بإسناد الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود.

٢ ـ قوله: (**وقالا: «وشق، ودعا»**) ضمير التثنية لجرير وعيسى بن يونس.

٣ ـ رواية عيسى بن يونس: أخرجها النسائي في «المجتبى» (١٨٦١) فقال: أخبرنا علي بن خشرم؛ قال: حدثنا عيسى عن الأعمش. (ح) أنبأنا الحسن بن إسماعيل، قال: حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة، عن مسروق، عن عبدالله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا مَن ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعاء الجاهلية**».

والللفظ لعلي، وقال الحسن: «**بدعوى**».

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



١٦٧ ـ (١٠٤) حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسى الْقَنْطَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابرٍ؛ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ مُخَيْمِرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسى؛ قَالَ: وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجْعاً؛ فغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئاً، فَلَمَّا أَفَاقَ؛ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِىءَ مِنْهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَرِىءَ مِنَ الصَالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٤٢/٦٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ مسلسل بالشاميين غير شيخه؛ فبغدادي، وأبي بردة وأبي موسى؛ فكوفيان.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: القاسم عن أبي بردة.

٤ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء: أبي بردة عن أبي موسى.

٥ ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

٦ ـ هذا الحديث علقه البخاري عن شيخ المصنف (١٢٩٦/١٩٧/٣ ـ فتح)؛ فقال: وقال الحكم بن موسى: حدثنا يحيى بن حمزة ثم ساقه.

قال الحافظ: «ووقع في رواية أبي الوقت: «حدثنا الحكم» وهو وهم؛ فإن الذين جمعوا رجال البخاري في «صحيحه» أطبقوا على ترك ذكره في شيوخه، فدلّ على أن الصواب رواية الجماعة بصيغة التعليق.

وقد وصله مسلم في «صحيحه»؛ فقال: حدثنا الحكم بن موسى، وكذا ابن حبان، فقال: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا الحكم».

❋ غريب الحديث:

قوله: **(وَجِعَ أبو موسى وجعاً فغشي عليه)**: مرض أبو موسى ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مرضاً شديداً، وأصابه منه الألم الشديد الذي أوصله للإغماء أحياناً.

قوله: **(ورأسه في حجر امرأةٍ من أهله)**: فبينما هو في ذلك المرض أُغمي عليه، وهو في حضن امرأة من أهل بيته، أو أرحامه.

قوله: **(فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يردّ عليها شيئاً)**: صاحت تظنه مات أو لشدة الحزن؛ لما ترى من عظم الألم الذي يُصيبه،

وهو لا يستطيع ـ لما فيه من البلاء ـ ردّها وكفها عن الصياح الذي لا ينبغي عند المصائب.

قوله: (**فلما أفاق؛ قال: أنا بريءٌ مما برىء منه رسول الله ﷺ**): عندما استفاق من غيبوبته أدّى الواجب الذي عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستنداً إلى حديث الرسول ـ عليه السلام ـ.

فقال: أنا بريءٌ من هذا الصوت المخالف للشرع الذي حذّر منه الرسول ﷺ؛ بل وتبرّأ من فاعله.

قوله: (**فإن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة**).

الصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة.

والحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة.

والشاقة: هي التي تشق ملابسها عند المصيبة.

فقه الحديث:

١ ـ بيان شدة البلاء على أهل الإيمان.

٢ ـ صبر أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ على البلاء.

٣ ـ جواز الاستناد إلى الزوجة أو إحدى المحارم.

٤ ـ وجوب النهي عن المنكر، وتعليم الجاهل.

٥ ـ الوعيد لمن يصيح، أو يشق ملابسه، أو يحلق رأسه عند المصيبة.

٦ ـ على المريض أن يوصي أهله ألاّ يرتكبوا البدع، والمنكرات.

٧ ـ الواجب الصبر، والاحتساب دون الجزع، والسخط، وفعل المنهيات.

٨ ـ وجوب التبري من أهل البدع والأهواء، وأنه من منهج السلف الصالح.

٩ ـ للّه عبودية على المسلم في السراء والضراء، والمنشط والمكره، والعسر واليسر.

١٠ ـ حرص المسلم على تحقيق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فالرجل راع وهو مسؤول عن رعيته، وهم: زوجته وأولاده وأهل بيته.

ويظهر ذلك جلياً في حرص أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وهو في مرضه وشدة وجعه، ومع ذلك لم يترك أهله يقعون في مخالفة رسول الله ﷺ، بل أنكر وشدّد في ذلك.

١١ ـ تعظيم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لقدر السنّة النبوية، وأنها مقدَّمة عندهم على آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وعشيرتهم.

* * *

(. . .) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالا: أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَخْرَةَ يَذْكُرُ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ يَزِيدَ، وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، قَالا: أُغْمِيَ عَلَى أَبِي مُوسَى، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِاللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، قَالا: ثُمَّ أَفَاقَ. قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي ـ وَكَانَ يُحَدِّثُهَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ، وَسَلَقَ، وَخَرَقَ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أبو صخرة بالتاء المربوطة في آخره، وهو المشهور في كنيته، ويقال أيضاً: أبو صخر؛ قاله النووي.

٢ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ له فيه شيخان قرنهما.

٤ ـ مسلسل بالكوفيين، غير شيخه؛ فالأول كسّيّ، والثاني مروزي.

* غريب الحديث:

قوله: **(وأقبلت امرأته: أم عبدالله)**: هي أم عبدالله صفية بنت أبي دومة، والدة أبي بردة، لها صحبة، ووقع ذلك في إمارة أبي موسى على البصرة من قِبَل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. أفاده الحافظ.

قوله: **(تصيح برنة)**؛ الرنة: صوت مع البكاء فيه ترجيع.

قوله: **(سلق وخرق)**؛ سلق: رفع صوته بها، ويقال: بالسين والصاد، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

ومنه قولهم: خطيب سلاق.

وخرق: من الخرق، وهو من شق الملابس.

فقه الحديث:

١ ـ أن زوجته هي التي كانت تصيح، وهذا غالب حال النساء.

وأما شرحها؛ فقد تقدم الكلام عليه.



(...) حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ مُطِيعٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عِيَاضٍ الأَشْعَرِيِّ، عَنِ امْرَأَةِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

لم يسق الإمام مسلم لفظ حديث امرأة أبي موسى ـ رضي الله عنهما ـ وإنما ساقه الإمام أحمد (١٩٦٢٦): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن سهم بن منجاب عن القرثع؛ قال: لما ثقل أبو موسى الأشعري، صاحت امرأته، فقال لها: أما علمت ما قال رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثم سكت، فلما مات، قيل لها: أي شيء قال رسول الله ﷺ؟ قالت: قال: إن رسول الله ﷺ لعن مَن حَلَق، أو خَرَق، أو سَلَق.



(ح) وَحَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا دَاوُدُ ـ يَعْنِي: ابْنَ أَبِي هِنْدٍ ـ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

لم يسق المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ لفظ حديث صفوان بن محرز عن أبي موسى، وذكره الإمام أحمد في «المسند» (**١٩٧٢٩**):

حدثنا عبدالصمد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا داود بن أبي هند، قال: ثنا عاصم بن سليمان، عن صفوان بن مُحْرِز، قال: قال أبو موسى: إني بريء ممن بَرِىء الله منه، ورسوله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ بَرِىء ممن حَلَق، وسَلَق، وخرق.

وأخرجه النسائي (١٨٦١): حدثنا عمرو بن عليّ؛ قال: حدثنا سليمان بن حرب؛ قال: حدثنا شعبة، عن عوف، عن خالد الأحدب، عن صفوان بن مُحْرِز، فأُغمي على أبي موسى، فبكوا عليه، فقال: أبرأ إليكم كما برىء إلينا رسول الله ﷺ: «**ليس منا مَن حَلَق، أو خَرَق، أو سَلَق**».



(ح) وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاش، عَنْ أَبِي مُوسى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهذَا الْحَدِيثِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ عِيَاضٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: «**لَيْسَ مِنَّا**»، وَلَمْ يَقُلْ: «**بَرِيءٌ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ انتقد الدارقطني هذا الإسناد، وزعم: أن الإسناد لم يرفعه غير عبدالصمد، وأن أصحاب شعبة يخالفونه، ويروونه عنه بالوقف.

وذكر كلامه القاضي عياض وأقره.

وقال النووي في الدفاع عن الإمام مسلم بما يكرره دائماً.

والصواب: أن كلام الدارقطني فيه نظر من وجوه:

أ ـ لم ينفرد عبدالصمد بن عبدالوارث عن شعبة برفع هذا الحديث، فقد تابعه محمد بن جعفر عند الإمام أحمد (١٩٥٣٥) وتابعه سليمان بن حرب عند النسائي (١٨٦١).

فهذان ثقتان ثبتان تابعا عبدالصمد في رفعه عن شعبة.

ب ـ عبدالصمد بن عبدالوارث أثبت الناس في شعبة؛ كما قال علي بن المديني.

فلو تفرد بالرفع لوجب قبول تفرده؛ لأنه ثبت في هذا الشيخ.

ت ـ الإمام مسلم ساق هذه الطرق متابعة، والمتابعة يغتفر فيها ما لا يغتفر في الأصول.

ث ـ لم يذكر الدارقطني طرق المخالفين لعبدالصمد.

٢ ـ **قوله: (بهذا الحديث)**؛ أي: الحديث الذي سبق، وهو: حديث عبدالرحمٰن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى؛ قالا: عن أبي موسى: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**أنا بريء ممن حلق، وسلق، وخرق**».

٣ ـ **قوله: (غير أن في حديث عياض الأشعري؛ قال: «ليس منا»)**؛ أي: أن متن حديث عياض لفظه: «**ليس منا مَن حلق، وسلق، وخرق**».

وقوله: (ولم يقل: «بريء»)؛ أي: لم يزد في أوله: «**أنا بريء**» وإنما قال: «**ليس منا**».



٤٥ ـ باب بيان غلظ تحريم النميمة

١٦٨ ـ (١٠٥) وحدّثني شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، وَعَبْدُالله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ ـ وَهُوَ ابْنُ مَيْمُونٍ ـ حَدَّثَنَا وَاصِلٌ الأَحْدَبُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلاً يَنُمُّ الْحَدِيثَ؛ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَدْخُلِ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**».

* راوي الحديث:

حذيفة بن اليمان العبسي، أبو عبدالله، حليف الأنصار، صحابي ابن صحابي، اشتهر بكونه صاحب سر النبي ﷺ، توفي بالمدائن سنة (٣٦هـ) بعد مقتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وفي أول خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان فرّق بينهما.

٣ ـ مسلسل بالكوفيين غير صحابيه؛ فقد سكن المدائن، وشيخاه فهما بصريان، وشيبان أُبُلي نسبة إلى قرية من قرى البصرة.

٤ ـ حديث حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من المتفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦٠٥٦).

* غريب الحديث:

قوله: (**عن حذيفة؛ أنه بلغه أن رجلاً ينم الحديث**): بلغ حذيفة بن اليمان أن رجلاً ينقل الحديث إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ؛ كما عند البخاري.

قوله: **(فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول)** ذكر حذيفة الحديث؛ لأجل أن يسمعه الرجل؛ فيرعوي ويترك نقل الحديث إلى الأمير.

قوله: **(لا يدخل الجنة نمّام)**؛ النمّام: مَن نمّ الحديث، والرجل نمّام.

والنم: إظهار الحديث بالوشاية، وأصل النميمة: الهمس، والحركة، وهو في اصطلاح الشارع: نقل كلام الناس على وجه الإفساد.

فقه الحديث:

١ ـ بيان عقوبة النمّام في الآخرة.

٢ ـ بيان خطورة النميمة، وغلظ تحريمها.

٣ ـ فطنة حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ حيث سلك مسلك الحكمة، والموعظة الحقة في الدعوة؛ حيث استخدم أسلوب: **«ما بال أقوام»**؛ ليوصل الحديث إلى سمع هذا الرجل النمّام حتى ينزجر عن النميمة.

٤ ـ نقل الكلام للمصلحة جائز؛ ففي الرواية التالية: «فقال القوم: هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير» فهذه شكاية منهم إلى حذيفة؛ لينصح له حتى يترك النميمة.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«فلنا الآن نظران:

النظر الأول: في النمَّام، فنقول: إن النَّمَّ من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ نفى دخوله الجنة، ففيه عقوبة خاصة، والمراد بنفي الدخول هنا: نفي الدخول المطلق.

النظر الثاني: بالنسبة لمَن نُمَّ إليه الحديث، فينبغي ألاّ يقبل هذا، وألاّ يطيعه؛ لأن الله ـ تعالى ـ أرشد إلى ذلك بقوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]؛ ولأن مَن نمَّ إليك نمَّ منك إلى غيرك، فاحذر النمَّام، فلا خير فيه.

وقول العلماء ـ رحمهم الله ـ: على سبيل الإفساد، يدل على أن الإنسان إذا قصد بذلك الخير، والنصيحة، فإن ذلك ليس بنميمة، مثل: أن يرى

شخصاً مصاحباً لآخر، والآخر هذا يأخذ منه الكلام ويفشيه وينشره بين الناس، أو سمعه يسب هذا الصاحب له، فأراد أن يخبره بحاله، من أجل أن يحذر منه، فإن هذا لم يرد الإفساد، وإنما أراد النصيحة؛ لئلا يغتر الإنسان بهذا الرجل الذي جاء مصاحباً له، فإن بعض الناس يأتي إليك، ثم يقول كلاماً، وتظن أن الرجل ناصح، ولكنه في الواقع ينم. ربما يأتيك يسب جهة من الجهات المسؤولة، تظن أن هذا الرجل صالح، وأن عنده علماً، فتسترسل معه، وتقول كلما قال شيئاً: صحيح، فإذا قال: مَن يصبر على هذا؟ فتقول: صحيح، هذا غلط؟ صحيح هذا يجب إنكاره، ولكن هو يملي ويستدرج وأنت تظنه ناصحاً فيجب الحذر من النمَّام.

فصار لنا نظران:

النظر الأول: للنمَّام.

والنظر الثاني: بالنسبة لمَن نمَّ إليه الحديث بأن يحترس»[(١)].



١٦٩ ـ (...) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوساً فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ؛ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٤٦ ـ ٣٤٧).

٣ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخيه فمروزيان.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: إبراهيم عن همام.

❊ غريب الحديث:

قوله: **(كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير)**: ينقل كلام الناس للأمير؛ ليوقع فيهم الأذى من غير مخالفة شرعية منهم تذكر.

قوله: **(في المسجد)**؛ أي: المسجد النبوي.

قوله: **(حتى جلس إلينا)**؛ أي: جلس معنا.

قوله: **(قال حذيفة: سمعت رسول الله...)**: إنما قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ هذا الحديث؛ ليُسمعه للنمام الذي ينم أخبار الناس للأمير؛ ليكون رادعاً له عن فعله.

(قتّات) هو ـ بفتح القاف وتشديد التاء، وبعد الألف تاء ثانية ـ وهو: النمام، وقيل: بينهما فرق؛ وهو أن النمام ينقل ما يسمع، بينما القتات ينقل، ويتحدث بما يُتناقل من حيث لا يعلم به.

فقه الحديث:

١ ـ قبح من اتصف بالنميمة وأذية الناس.

٢ ـ حرص السلف على الجلوس واللقاء في المساجد.

٣ ـ وجوب تحذير الجاهل من العدو الذي يؤذي.

٤ ـ بغض أهل المعاصي لما هم عليه.

٥ ـ بيان ذكاء وزكاء حذيفة ـ رضي الله عنه ـ، عندما حدّث بهذا الحديث؛ ليسمع النمام ويردعه.

٦ ـ استعمال الحكمة في بيان الأحكام الشرعية.



١٧٠ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، (ح) وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ حُذَيْفَةَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ؛ فَقَالَ حُذَيْفَةُ، إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

➢ فوائد الإسناد:

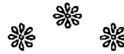
١ ـ مسلسل بالكوفيين.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**إلى السلطان**)؛ هو: عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ؛ كما تقدم.

قوله: (**إرادة أن يسمعه**)؛ أي: لأجل أن يسمعه.

وتقدم الكلام على شرحه ومسائله.



٤٦ ـ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمَنِّ بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف. وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم

١٧١ ـ (١٠٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ مِرَارٍ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٦١/١١٢).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من سباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه ثلاثة شيوخ قرن بينهم.

٣ ـ مسلسل بالبصريين إلى شعبة.

٤ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: علي بن مدرك عن أبي زرعة عن خرشة.

٥ ـ حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

* **غريب الحديث:**

قوله: (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة**)؛ المقصود: ثلاثة أصناف من الناس لا ثلاثة أشخاص، وهذا العدد لا يُفيد الحصر؛ لأن الأحاديث والآيات ذكرت هذا الجزاء لأُناس كُثر، ونفي تكليمه لهم - سبحانه - هو من العذاب، والعقوبة لهم.

قوله: (**ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**): كل هذا من العقوبة لهم؛ فإنه يتكلم، وينظر إلى عباده، ويزكيهم، وهذه من أعظم نعم الله على العباد، فإن الكلام كلام لطف وإكرام وإنعام، والنظر نظر رؤوف رحيم؛ ليوافق الكلام والنظر التزكية، فإذا حرمها حرم خيراً عظيماً.

قوله: (**فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار**)؛ ليؤكد هذا الجزاء، وعظم البلاء لمن وقع فيهن أو إحداهن؛ فإنه أمر مخيف يدعو للانزجار.

قوله: (**خابوا وخسروا، مَن هم يا رسول الله؟**)؛ أي: لما لهم من العقاب، صفهم لنا؛ لنتعرّف على صنيعهم الذي أبعدهم عن الخير والبركة والرحمة.

قوله: (**المسبل**): جاء في الرواية التي تليها: «**المسبل إزاره**»، وهو الذي يطول ثوبه، ويرسله إلى الأرض إذا مشى وإنما يفعل ذلك كبراً واختيالاً.

قوله: (**والمنّان**) في عطيته، ففي الرواية الأخرى فسره: «**الذي لا يعطي شيئاً إلا منّة**»، وإنما كان كذلك؛ لأن المنّان نسي منّة الله عليه، ودخل في نفسه من الكبر والعجب، ولأن المن محبط للعمل والأجر، وما يترتب عليه عكس ما يترتب على المتصدق.

قوله: (**والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**) الذي يسهل بيع ما عنده من البضائع بالأيمان الكاذبة، مثل أن يقول عن سلعته: هي أجود سلعة في السوق، أو أنها من بلاد بعيدة، أو أنها من الدرجة الأولى، أو دفع لي بها كذا وكذا ولم أقبل، كل ذلك مع اليمين، وهو كاذب بكل ما قال.

فإن هذا البيع حرام من عدة وجوه: إكثاره للحلف الكاذب، وإيقاع الغرر بالمسلم، وعدم نصحه، وأخذ المال بغير حق.

فقه الحديث:

١ ـ أن العدد المذكور لا يفيد الحصر.

٢ ـ إثبات صفة الكلام لله ـ تعالى ـ.

٣ ـ أن من ارتكب إحدى المذكورات فضلاً عن جمعها؛ فقد دخل في الوعيد.

٤ ـ جواز إعادة الحديث للزجر والتهديد.

٥ ـ جواز السؤال عن أسباب عذاب المعذبين للحذر من الوقوع فيما وقعوا.

٦ ـ تحريم إسبال الإزار، وأنه من كبائر الذنوب.

٧ ـ تحريم المنّ في العطية، وأنها من الكبائر.

٨ ـ تحريم الحلف الكاذب؛ لترويج السلع، وأنه من الكبائر.

٩ ـ تحريم غش المسلمين.

١٠ ـ أن تحريم الإسبال خاص بالرجال دون النساء لأحاديث أخر في الباب.

١١ ـ أن نظر الله ـ تعالى ـ المنفي ليس العام في هذا الحديث. بل المراد نظر خاص يكون لأوليائه.

١٢ ـ أن الله ـ تعالى ـ هو الذي يزكي عباده.

١٣ ـ وبمفهومه أن أهل الطاعة يكلمهم الله، وينظر إليهم ويزكيهم.

● متممات مهمات:

١ ـ ذهب بعض شرّاح الحديث إلى تفسير نظر الله إلى عباده بالرحمة واللطف وأنه في حق الله مجاز وكناية.

وهذا قول باطل من وجوه:

أ ـ النظر ثابت للّه حقيقة على ظاهره كما ثبت لطفه ورحمته؛ فجعلهما شيئاً واحداً في إلغاء للنصوص الشرعية وإقامة التعارض بينها، وهذا محال.

ب ـ النظر لا يعني تقليب الحدقة؛ لأن هذا هو النظر في حق المخلوق، وأما نظر الخالق، فهو نظر يليق به لا نعلم كيفيته؛ كما لا نعلم ذاته المقدسة؛ فالصفة فرع عن الذات.

ج ـ أن ما ذكروه من الرحمة واللطف والعناية هو مقتضى هذا النظر وليس هو النظر، وفرق بين نفي النظر وكون النظر هو الرحمة واللطف وبين إثباته وكون الرحمة واللطف من مقتضياته؛ لأنه نظر خاص.

٢ ـ ذكر إسبال الإزار وحده؛ لأنه عامة لباسهم يومئذٍ، ولذلك فحكم غيره من القميص وغيره حكمه، وهذا منصوص عليه في حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الذي أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد حسن؛ قال النبي ﷺ: «**الإسبال في الإزار، والقميص، والعمامة، مَن جرّ منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**».

٣ ـ جر الثوب وإسباله حرام على الرجال دون النساء، لما أخرجه الترمذي وصححه من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ متصلاً بحديثه المذكور في قصة أبي بكر: فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ فقال: «**يرخين شبراً**» فقالت: إذاً تنكشف أقدامهن، قال: «**فيرخينه ذراعاً، لا يزدن عليه**».



(...) وحدّثني أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلادٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ـ وَهُوَ الْقَطَّانُ ـ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لاَ يُعْطِي شَيْئاً إلاَّ مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إزَارَهُ».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ قوله عن يحيى هو القطان تفسير منه وبيان؛ وأن شيخه لم يقل: يحيى القطان وإنما قال: يحيى.

* غريب الحديث:

قوله: (**لا يعطي شيئاً إلا منّه**)؛ أي: عدّده على المعطى له، وهو ما نهى عنه الشرع بقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ فتبيّن أن المَن أذى تنكسر منه القلوب، وتتكدر الخواطر، وتدمع النواظر.

قوله: (**والمنفق سلعته بالحلف الفاجر**)؛ أي: الذي يروِّجها بالأيمان الكاذبة.



وَحَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ جَعْفَرٍ ـ عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ، بِهذَا الإسْنَادِ. وَقَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ إشارة إلى إسناد الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر عن أبي ذر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

٢ ـ قوله: (**وقال: ثلاثة لا يكلمهم الله. . .**)؛ أي: رواية محمد بن جعفر وإن كان إسنادها إسناد سفيان الثوري؛ لكنه خالفه في المتن.

٣ ـ رواية محمد بن جعفر أخرجها الإمام أحمد في «المسند» (٢١٤٠٥):

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سليمان، قال: سمعت سليمان بن مُسْهِر، عن خَرَشَةَ بن الْحُرّ، عن أبي ذَرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم: المنّان بما أَعْطى، والمسبِلُ إزارَهُ، والْمُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب**».

وأخرجها ـ أيضاً ـ النسائيّ في «المجتبى» (**٢٥١٧**) بسند الإمام مسلم؛ فقال:

أخبرنا بشر بن خالد، قال: حدثنا غُندَر، عن شعبة، قال: سمعت سليمان ـ وهو الأعمش ـ عن سليمان بن مُسْهِر، عن خَرَشَة بن الْحُرّ، عن أبي ذَرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ﷻ يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنّان بما أَعْطَى، والمسبِلُ إزاره، والْمُنَفِّق سلعَتَهُ بالحلف الكاذب**».

● تنبيه لكل نبيه:

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«قال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»؛ هذا من أساليب القول النبوي، أن يأتي بالشيء مجملاً، ثم يأتي به مفصلاً، وذلك من أجل أن يشتاق السامع إلى هذا المجمل الذي ألقي إليه.

وكذلك ـ أيضاً ـ يأتي بطريق الحصر، كثلاثة، وقد يكون غيرهم مثلهم، ولن يأتي بطريق الحصر؛ لأن الحصر أضبط، فالإنسان يتذكر دائماً ثلاثة، فيذكر اثنين، ويغيب الثالث، لكن لو ذكر الكلام مرسلاً هكذا، ربما ينسى بعض الشيء، ولا يدركه، ففيه فائدتان:

الأولى: التشوُّف إلى هذا المجمل.

والثانية: تمام الإدراك، والضبط»(١).



١٧٢ ـ (١٠٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ** ـ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: **وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ـ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين غير صحابيه فمدني.

٣ ـ مسلسل بالكنى غير الأعمش فهو لقب.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**شيخ زانٍ**)؛ الشيخ: من أدرك الشيخوخة، وهي غالباً عند الخمسين، والزنى: هو وطء من لا تحل له.

وإنما كانت هذه عقوبة هذا الشيخ؛ لأن داعية النكاح عنده ضعيفة، ولكمال عقله، ولتمام معرفته بطول ما مرّ عليه من الزمان، ولقرب أجله، ودنوه من الموت، فإن وقع ذلك منه دلّ على فساد طبعه، وقد يجر إلى سوء الخاتمة عياذاً بالله.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٤٩).

قوله: (**وملك كذاب**)؛ هو: الملك العام الحاكم بالناس الراعي لهم. وكان هذا جزاءه؛ لأنه لا يخاف أحداً من رعيته، وهو مستغنٍ عن المداهنة، ولا يحتاج إلى مال أو جاه، ولذلك كان وقوعه من الملكِ غريباً، وكذب الملك أكبر من كذب غيره.

قوله: (**وعائل مُستكبر**)؛ العائل: الفقير، والمستكبر: هو الذي يتكبّر على الحق والخلق. وإنما كان ذلك؛ لأن الفقر يدعو للسكون والتواضع، والدافع للكبر هو المال والجاه، وهو قد عدمه.

فماذا عند الفقير حتى يتكبر على الخلق، ولذلك فتكبُّره يدل على نفس خبيثة، والعياذ بالله.

فقه الحديث:

١ ـ وعيد كل من الشيخ الزاني، والملك الكذاب، والفقير المستكبر.

٢ ـ تحريم الزنى، وأنه من الكبائر.

٣ ـ تحريم الكذب، وأنه من الكبائر.

٤ ـ تحريم الكبر، وأنه من الكبائر.

٥ ـ تحريم كل ما يعود على المجتمع بالسوء والفساد الخلقي.

٦ ـ أن المعصية إذا قلّت دواعيها وتوفرت أسبابها كان الوقوع فيها أغلظ وعقوبتها أشد.

٧ ـ ضد هؤلاء أفضل: فالشاب العفيف، والملك الصدوق، والغني المتواضع؛ يحبهم الله، ويزكيهم، ولهم نعيم مقيم.

٨ ـ عظمة رحمة الله بعباده؛ لأنه يعلم أحوالهم، ودواعي نفوسهم.

٩ ـ الاستخفاف بحق الله ومعاندة أمره ونهيه؛ تغلظ المعاصي، وتجعلها من الكبائر.

قال القرطبيّ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وإنما غُلّظ العقاب على هؤلاء الثلاثة؛ لأن

الحامل لهم على تلك المعاصي محض المعاندة، واستخفاف أمر تلك المعاصي التي اقتحموها؛ إذ لم يحملهم على ذلك حاملٌ حاجيّ، ولا دعتهم إليها ضرورة، كما يدعو مَن لم يكن مثلهم، وبيان ذلك:

أن الشيخ لا حاجة، ولا داعية له تدعوه إلى الزنى؛ لضعف داعية النكاح في حقِّه، ولكمال عقله، ولقرب أجله؛ إذ قد انتهى طَرَفٌ من عمره.

ونحو ذلك الملك الكذّاب؛ إذ لا حاجة له إلى الكذب؛ فإنه يمكنه أن يُمَشّي أغراضه بالصدق؛ فإن خاف من الصدق مفسدةً ورَّى.

وأما العائل المستكبر، فاستحقّ ذلك لغلبة الكبر على نفسه؛ إذ لا سبب له من خارج يحمله على الكبر، فإن الكبر غالباً إنما يكون بالمال، والْخَدَم، والجاه، وهو عَدِمَ ذلك كلُّه، فلا موجب له إلا غلبة الكبر على نفسه، وقلّة مبالاته بتحريمه، وتوعُّد الشرع عليه، مع أنّ اللائق به، والمناسب لحاله الرقّة، والتواضع؛ لفقره وعجزه»[١].



١٧٣ ـ (١٠٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثَلاثٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلاَةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِاللّهِ لأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا؛ فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا؛ فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ»**.

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

---

(١) «المفهم» (١/٣٠٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ **قوله: (هذا حديث أبي بكر)**؛ أي: اللفظ الذي ساقه هنا لفظ شيخه أبي بكر ابن أبي شيبة، وأما شيخه أبو كريب فرواه بمعناه.

٣ ـ له فيه شيخان قرن بينهما اتفقا في صيغة التحمل واختلفا في لفظ الحديث.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٣٥٨ و٢٣٦٩ و٢٦٧٢ و٧٢١٢ و٧٤٤٦**).

❋ غريب الحديث:

قوله: **(ثلاث)**؛ هكذا في معظم الأصول بحذف التاء المربوطة، وفي بعضها (ثلاثة) كما في الرواية الثانية عن أبي ذر، وكلاهما له وجه صحيح، وهو أن يقدر ثلاث أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما جاء الضمير في «يكلمهم» مذكراً على المعنى؛ يعني: أن معنى الأنفس مذكر؛ لأنه بمعنى الأشخاص أو الناس.

ولذلك ما ذهب إليه شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فيه نظر واضح وبُعد لائح، حيث قال:

«في هذا الحديث إشكال من جهة النحو؛ فقوله: «**ثلاث لا يكلمهم الله**»، وعندي نسخة: «**ثلاثة**»، وهذه هي الصواب قطعاً، أما «**ثلاث لا يكلمهم الله**»؛ ففيه خطأ، لأنه لو أنَّث الضمير في السياق كله، لقلنا: المراد ثلاث أنفس، وأنه أنَّث باعتبار النفس، لكن قال: «**لا يكلمهم**»، وهذا يقتضي أن يكون مذكراً، والمذكر من ثلاث إلى تسع يخالف المعدود، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أنه خطأ، والصواب ما أشار إليها ـ في النسخة التي عندي ـ من قوله: «**ثلاثة**»»[1].

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص**٣٥٥ ـ ٣٥٦**).

قوله: **(رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل)**؛ فضل ماء: الفضل الزائد منه.

والفلاة: الصحراء أو الأرض الواسعة الخالية من البناء والناس.

والسبيل: هو الطريق.

وابن السبيل؛ أي: المسافر الذي يلازم الطريق لا مسكن له، ولا أهل.

والمعنى: أنّ الذي يستعمل الماء لحاجته، ويزيد ما يكفي المحتاج من مسافر وغيره وهو حق عام، ومع ذلك يمنعه محتاجه ومستحقه؛ فهو ممن دخل في هذا الوعيد.

قوله: **(ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر؛ فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه، وهو على غير ذلك)**؛ أي: أقسم له بالله ـ الذي يصدق على كل محلوف عليه لعظمة الله تعالى شأنه ـ أنه اشتراها بسعر ما، وهو كاذب في قسمه، وكلامه عن سعر السلعة، فصُدق من أجل يمينه كان عذابه ما ذكر، وزاد على ذلك أن هذا البيع المشتمل على الأيمان الكاذبة والمعاملة الماكرة كانت في وقت معظّم في الشريعة وهو بعد العصر.

قوله: **(ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه لم يفِ)**: وهذا الرجل لم يبايع لما يجب عليه من النصيحة لله، ولكتابه، ورسوله، وإمام المسلمين، وعامتهم، فهو ترك الواجب الذي عليه من المبايعة الشرعية لمن يستحقها، ويكون في مبايعته نصحاً للأمة، وأداءً للأمانة الشرعية؛ بل لما يُعطيه من المال أو المنصِب أو الجاه، ولو كان فاسقاً غير صالح.

فصنيعه هذا لا يستمر عند قطع هذا الحاكم لحاجته الدَّنية الدنيوية التي بايعه من أجلها، بل يرجع شاهراً السيف في وجهه قائماً بالفتنة مشعلاً لها عياذاً بالله.

فقه الحديث:

١ ـ هذه المعاصي تنافي الإيمان؛ لأنها ضده؛ فمن شعبه: النصيحة

للأئمة، والصدق في البيع والشراء، وعدم الغش والتدليس، والجود بالموجود للمحتاج، ولذلك صحّ إيرادها في أبواب الإيمان. فتدبر.

٢ ـ تحريم احتكار ما يحتاجه الناس لغير حاجة ولا سبب.

٣ ـ الحق العام لا يجوز منعه عن الآخرين.

٤ ـ وجوب معاونة المحتاج؛ كابن السبيل.

٥ ـ عظم حاجة الخلق للماء، إذ جعل سبباً للحياة بإذن الله ـ تعالى ـ.

٦ ـ أهمية العصر، وبيان أن وقته معظّم في الشرع.

٧ ـ تحريم الأيمان الكاذبة في البيع والشراء، وفي كل شيء.

٨ ـ تحريم الكذب.

٩ ـ تحريم غش المسلمين وغيرهم.

١٠ ـ أنّ البيعة واجبة على المكلف لمن يستحقها من الأئمة وولاة الأمر.

١١ ـ من واجب البيعة: النصح، والسمع، والطاعة، وإن حرمك، وضربك.

١٢ ـ المقصود من البيعة: أن تبرأ ذمة المسلم أمام الله ـ تعالى ـ، ولا يموت ميتة جاهلية، ولصلاح أمر الناس ومعاشهم.

١٣ ـ أن البيعة تكون للأمير والحاكم العام، لا لرؤوس الأحزاب والطرق، فإن هذه البيعة بدعية عصرية خارجية تفرق الأُمة، وتجلب الغمة.

١٤ ـ التحذير من نكث البيعة الشرعية.

١٥ ـ وفيه الوعيد الشديد لمن خرج على الحاكم الشرعي، وإن ظلم وجار.

١٦ ـ أن كل عمل لا يراد به وجه الله ـ تعالى ـ فإنه باطل مردود على صاحبه، ويعذب على سوء قصده.

● **فائدتان:**

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«قوله: «**رجل بايع إماماً، لا يبايعه إلا لدنيا؛ فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يفِ**»؛ وهذا ـ أيضاً ـ لا يكلِّمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكِّيه، وله عذابٌ أليم.

فإن قال قائل: هذا واضحٌ ـ أنه إذا بايع إماماً لدنيا إن أعطاه رضي، وإن لم يعطه لم يفِ ـ واضح أنه متلاعب بالبيعة؛ لكن إذا كان بايعه على الكتاب والسنّة؛ فإن مشى هذا المبايع على الكتاب والسنّة وفى، وإن خالف نقض، فهل هذا جائز؟

الجواب: لولا أن النصوص جاءت بمنع الخروج على الأئمة؛ لقلنا: إن هذا جائز؛ لأنه اتفق معه على هذا العقد على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ولكن جاءت النصوص بتحريم الخروج على الأئمة، إلا إذا رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان.

فإن قال قائل: إذا سأل المشتري البائع عن سعر السلعة، هل يلزمه أن يخبره بذلك؟

فالجواب: إذا قال: بكم اشتريتها؟ يلزم أن يخبره بالصدق، وإذا قال: بكم تبيعها؟ فله أن يقدّر ما شاء من الثمن، لكن إذا كان المشتري غريراً لا يعرف؛ كالمرأة والصبي الذي لا يعرف، فإنه لا يجوز أن يزيده عن السعر المعروف بين الناس»[(١)].



(...) وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْثَرٌ كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، بِهذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: «**وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ**».

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص**٣٥٧ ـ ٣٥٨**).

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ قوله: (**كلاهما**)؛ أي: جرير وعبثر.

٢ ـ قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ أي: بإسناد الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

٣ ـ قوله: (**مثله**)؛ أي: مثل الحديث الماضي.

٤ ـ قوله: (**غير أن في حديث جرير: «ورجل ساوم رجلاً بسلعة»**)؛ أي: رواية جرير مخالفة لرواية أبي معاوية، فإن لفظها «ورجل ساوم رجلاً بسلعة» بدل: «ورجل بايع رجلاً بسلعة»؛ وأما عبثر فقد رواها بلفظ أبي معاوية.

٥ ـ رواية جرير هذه أخرجها البخاري في «صحيحه» (**٢٤٧٦**):

حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا جرير بن عبدالحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجلٌ على فضل ماء بطريق، يمنع منه ابنَ السبيل، ورجلٌ بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وَفَى له، وإلا لم يفِ له، ورجلٌ ساوم رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف بالله، لقد أعطى بها كذا وكذا، فأخذها**».

* **غريب الحديث:**

قوله: (**ساوم**) المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة، وفصل ثمنها.

وهي هنا بمعنى بايع.

وأما شرحه وفوائده؛ فقد تقدم الكلام عليه.



١٧٤ ـ (...) وحدّثني عَمْرٌو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عمْرٍو، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: أَرَاهُ مَرْفُوعاً، قَالَ: «**ثلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ، وَلاَ يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بَعْدَ صَلاَةِ الْعَصْرِ عَلَى مَالِ مُسْلِمٍ فَاقْتَطَعَهُ**»؛ وَبَاقِي حَدِيثِهِ نَحْوُ حَدِيثِ الأَعْمَشِ.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ قوله: **(قال: أراه مرفوعاً)**؛ القائل هو: سفيان بن عيينة؛ كما دلّ على ذلك رواية البخاري حيث قال بعد أن ساق الحديث من طريق عبدالله بن محمد المسندي عن سفيان: قال علي ـ يعني ابن المديني ـ: حدثنا سفيان غير مرة عن عمرو أنه سمع أبا صالح يبلغ به النبي ﷺ.

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «قوله: «قال علي: حدثنا سفيان غير مرة...» إلخ؛ يشير إلى أن سفيان كان يرسل الحديث كثيراً؛ لكن صحّح الموصول؛ لكون الذي وصله من الحفّاظ، وقد تابعه سعيد بن عبدالرحمٰن المخزومي، وعبدالرحمٰن بن يونس، ومحمد بن أبي الوزير، ومحمد بن يونس فوصلوه؛ قاله الإسماعيلي، قال: وأرسله غيرهم.

وقد وصله ـ أيضاً ـ عمرو الناقد: أخرجه مسلم عنه، وصفوان بن صالح: أخرجه ابن حبان من طريقه»[(١)].

٢ ـ قوله: **(وباقي حديثه نحو حديث الأعمش)**؛ أي: بقية متن حديث عمرو بن دينار مثل حديث الأعمش، لكن بين سياقيهما تخالف، فقد ساق متن رواية عمرو بن دينار، عن أبي صالح، الإمام البخاري في «الشرب» و«التوحيد» من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجلٌ حَلَفَ على سلعة، لقد أعطى بها أكثر مما أعطى، وهو كاذب، ورجلٌ حلف على يمين كاذبة بعد العصر؛ ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**».

قال الكرماني: «ذَكَرَ عوض الرجل الثاني، وهو المبايع للإمام آخر ـ يعني: في رواية البخاريّ ـ «وهو الحالف ليقتطع مال المسلم، وليس ذلك باختلاف؛ لأن التخصيص بعدد، لا ينفي ما زاد عليه».

---

(١) «فتح الباري» (٥/٥٤).

وقال الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ويحتمل أن يكون كلٌّ من الراويين، حفظ ما لم يحفظ الآخر؛ لأن المجتمع من الحديثين أربع خصال، وكلٍ من الحديثين مُصَدَّر بـ«ثلاثة»، فكأنه كان في الأصل أربعة، فاقتصر كلٌّ من الراويين على واحد، ضمّه مع الاثنين اللذين توافقا عليهما، فصار في رواية كل منهما ثلاثة، ويؤيده ما سيأتي:

أخرج مسلم هذا الحديث من رواية الأعمش أيضاً، لكن عن شيخ له آخر، بسياق آخر.

فذكر من طريق أبي معاوية، ووكيع جميعاً، عن الأعمش، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، كصدر حديث الباب.

لكن قال: «شيخ زانٍ، ومَلِكٌ كذاب، وعائل مستكبر»، والظاهر: أن هذا حديث آخر، أخرجه من هذا الوجه، عن الأعمش، فقال: عن سليمان بن مُسْهِر، عن خَرَشَة بن الْحُرّ، عن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ، قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنّان الذي لا يعطي شيئاً، إلا مَنَّهُ، والمنفِّق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره**».

وليس هذا الاختلاف على الأعمش فيه، بقادح؛ لأنها ثلاثة أحاديث عنده، بثلاثة طُرُق، ويجتمع من مجموع هذه الأحاديث تسع خصال، ويحتمل أن تبلغ عشراً؛ لأن المنفق سلعته بالحلف الكاذب، مغاير للذي حلف لقد أعطي بها كذا؛ لأن هذا خاص بمَن يَكْذِب، في أخبار الشراء، والذي قبله أعمّ منه، فتكون خصلة أخرى»[(١)].

٣ ـ رواية عمرو بن دينار: ساقها أبو نعيم في «مستخرجه» **(١/١٧٧/٢٩٢)**:

حدثنا أبو محمد عبدالله بن جعفر، ثنا أحمد بن الحسن الصوفيّ، ثنا عمرو بن محمد الناقد، ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أُراه رفعه، قال: «**ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم،**

(١) «فتح الباري» (١٣/٢٠٢/٧٢١٢).

ولهم عذاب أليم: رجلٌ حَلَفَ على يمين بعد العصر على مال مسلم ليقطعه، ورجلٌ حَلَفَ لقد أُعطي بسلعته أكثرَ مما أُعطي، وهو كاذب، ورجلٌ منع فضل ما عنده، قال الله تعالى: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك».

وقال الإمام البخاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في «صحيحه» **(٢١٩٦)**:

حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي صالح السمّان، عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

* غريب الحديث:

قوله: **(فاقتطعه)**؛ أي: يأخذه لنفسه تملُّكاً.

فقه الحديث:

١ - تحريم أكل أموال الناس بالباطل.

٢ - تحريم استعمال الدِّين، والأيمان الشرعية؛ للوصول إلى المحرمات.



٤٧ ـ باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن مَن قتل نفسه بشيء عُذِّب به في النار

١٧٥ ـ (١٠٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ قَالا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مُخَلَّداً فِيهَا أَبداً، وَمَنْ شَرِبَ سمًّا؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبداً**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أنّ رواته كلهم كوفيون إلا الأعمش.

٣ ـ قال الترمذي (٢٠٤٣) بعد أن أخرجه: «رواه محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، فلم يذكر: «**خالداً مخلّداً**»، وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: وهو أصح؛ لأن الروايات صحّت أن أهل التوحيد يعذّبون ثم يخرجون ولا يخلدون».

فالترمذي طعن في هذه الزيادة: «**خالداً مخلّداً**»، وهي زيادة صحيحة سنداً ومتناً.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (١٣٦٥ و٥٧٧٨).

❃ غريب الحديث:

قوله: **(من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)**؛ يتوجأ: يطعن؛ يقال: وجأته بالسكين، أجأه؛ أي: ضربته.

الجزاء من جنس العمل لما أقدم العاصي على قتل نفسه في الدنيا، جعل الله عذابه في الآخرة من جنس ما قتل به نفسه، مدة طويلة عبّر عنها بالخلود؛ كما هو لفظ القرآن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. ولم يرد الخروج من الملة بذلك إلا للمستحل لهذا الفعل؛ فيكون الخلود أبدياً لكفره؛ كسائر المشركين.

قوله: **(ومن شرب سمًّا؛ فقتل نفسه؛ فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً)**؛ يتحساه: يتناوله جُرعة بعد جرعة.

⇦ فقه الحديث:

١ ـ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن فعله من الكبائر.

٢ ـ أنّ المستحل لهذا الفعل كافر مرتد يخلد في جهنم بلا خروج.

٣ ـ أنّ الجزاء من جنس العمل.

٤ ـ الإيمان بوجود النار، وأنّ الله أعدّها لعصاته.

٥ ـ بيان عظم جهنم وعذابها.

٦ ـ وجوب الصبر على أقدار الله ـ تعالى ـ.

٧ ـ أنّ نفس الإنسان وجسده ليس ملكاً له، بل هو وديعة عنده، ويجب عليه المحافظة عليهما، وإرجاعهما.

٨ ـ وفيه الرد على المرجئة حيث زعموا: أنّ الذنوب لا تضر بالإيمان.

(...) وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْثَرٌ. (ح) وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ الْحَارِثِ ـ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، كُلُّهُمْ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ. وَفِي رِوَايَةِ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ ذَكْوَانَ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ أي: بإسناد وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

٢ ـ قوله: (**مثله**)؛ أي: مثل متن الحديث السابق.

٣ ـ قوله: (**وفي رواية شعبة عن سليمان**): قال ذلك لأن الأعمش مشهور بالتدليس، وقد عنعن في الرواية السابقة؛ فأزال شبهة تدليسه برواية شعبة عنه المصرحة بالتحديث عن أبي صالح

ولم يصرح الأعمش بالسماع فرواية شعبة عنه تكفي، لأن شعبة قال: كفيتكم شر تدليس ثلاثة: الأعمش وأبي إسحاق وقتادة.

٤ ـ رواية شعبة ساقها البخاري في «صحيحه» (**٥٧٧٨**): حدثنا عبدالله بن عبدالوهاب، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا شعبة، عن سليمان؛ قال: سمعت ذكوان، يحدّث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «**مَن تردى من جبل فقتل نفسه؛ فهو في نار جهنم، يتردى فيه، خالداً مخلَّداً فيها أبداً. ومَن تحسَّى سمًّا فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً. ومَن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم، خالداً مخلَّداً فيها أبداً**».



١٧٦ ـ (١١٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلاَمِ بْنِ أَبِي سَلاَمٍ الدِّمَشْقِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: أَنَّ أَبَا قِلاَبَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِباً؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لاَ يَمْلِكُهُ**».

✹ راوي الحديث:

ثابت بن الضحاك بن خليفة الأنصاري الأوسي الأشهلي أبو زيد المدني، صحابي مشهور، كان ممن بايع تحت الشجرة في بيعة الرضوان، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الخندق، ودليله إلى حمراء الأسد، وهو من المقلِّين في الرواية، توفي في فتنة ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة.

٣ ـ حديث ثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**١٣٦٣ و٤١٧١ و٤٨٤٣ و٦٠٤٧ و٦١٠٥ و٦٦٥٢**).

وأخطأ ابن الملقن عندما قلّد عبدالحق الإشبيلي حيث عدّه من أفراد مسلم.

✹ غريب الحديث:

قوله: (**أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة**): بايعه هو وأصحابه على الموت، وسميت: بيعة الرضوان؛ لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]؛ وفيه منقبة له، ودليل على توثيق هذه الرواية.

قوله: (**من حلف على يمين بملّة غير الإسلام كاذباً؛ فهو كما قال**)؛ الملّة: ـ بكسر الميم وتشديد اللام ـ الدين والشريعة.

والمعنى: أنّ من أقسم بدين غير دين الإسلام؛ كالقسم باليهودية

والنصرانية، أو يقول: إن فعل كذا فهو يهودي أو نصراني وهو كاذب؛ فهو كما قال؛ أي: من الكذب بمكان خطير. أو أن يكون كاذباً في يمينه وقسمه عاقداً قلبه على الكفر، وكره الإسلام؛ فهو كذلك.

قوله: **(ومن قتل نفسه بشيء عذِّب به يوم القيامة)**: هو أعم من الحديدة، والسم، والتردي الذي ذكر في الحديث السابق.

قوله: **(وليس على رجل نذر في شيء لا يملكه)**؛ النذر لغة: الإلزام والعهد، واصطلاحاً: إلزام المكلف نفسه لله شيئاً غير واجب.

والمعنى: أنّ الشارع الرحيم بعباده لم يلزم العباد ما لا يطيقون، بل ما بوسعهم فعله؛ كلفهم فحسب، ولهذا لا يجوز لإنسان أن يتصرف في ملك غيره. فيقول مثلاً: لله عليّ أن أعتق عبد فلان لما لا يملكه. ولا ينذر فيما لا يكون قدراً مثلاً: أن يقول: إن فُزت لأطيرن في الهواء فوق الجبال، هذا لا يكون شرعاً وقدراً.

فقه الحديث:

١ ـ بيان منقبة عظيمة لثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ تهديد شديد لمن حلف بغير ملّة الإسلام كاذباً أو جادًّا.

٣ ـ تحريم التديُّن بملّة غير ملّة الإسلام، وجاءت كلمة ملّة نكرة في سياق الشرط للدلالة على جميع الملل والنحل من أهل الكتاب؛ كاليهود والنصارى ومَن لحق بهم؛ كالمجوس والصابئة وأهل الأوثان والدهرية والمعطلة وعبدة الشياطين والملائكة.

٤ ـ أنه لا يكفر إلا من اعتقد الكفر والشرك دون من تلفظ به هازلاً أو كاذباً.

٥ ـ تحريم قتل النفس بأي شيء كان.

٦ ـ يدل على مجانسة العقوبات الأخروية للجنايات الدنيوية، وهو يدل على أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره؛ لأن نفسه ليست

ملكاً له مطلقاً بل هي لله؛ فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيه.

٧ ـ حجة لمَن أوجب المماثلة في القصاص خلافاً لمَن خصصه بالمحدد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

٨ ـ النهي عن تكليف النفس ما لا يجب على وجه الإلزام.

٩ ـ تعظيم أمر الأيمان.

١٠ ـ لا يجب على العبد الوفاء بنذر لا يملكه.



(. . .) حدّثني أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا مُعَاذٌ ـ وَهُوَ ابْنُ هِشَام ـ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو قِلاَبَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً؛ لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللّهُ إلا قِلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِين صَبْرٍ فَاجِرَةٍ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: **(ولعن المؤمن كقتله)**: اللعن: الطرد والإبعاد عن رحمة الله ـ تعالى ـ، فمَن لعن إنساناً؛ فإنما يريده أن ينقطع من جملة المؤمنين المرحومين في الدنيا والآخرة، وينتقل إلى زمرة المعذبين الذين لا خير فيهم ومنهم لأمتهم، فهم أشبه بالموتى الذين لا نفع منهم لأحد، وإذ كان الأمر كذلك فلا بد من اجتناب هذا الدعاء؛ لسوء ما يحمله من المعاني القاسية الظالمة بحق العباد.

قوله: **(ومن ادّعى دعوى كاذبة؛ ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة)**؛ كل صاحب نقص يدّعي كماله ويستره بما عنده من عرض حسي أو معنوي.

وإذا لم يكن عنده شيء من ذلك زاد من التشبُّع بما لم يعطه، فمن ادعى مالاً حرم بركة ما معه وظهر فقره، ومن ادعى جاهاً ونسباً عما قريب يظهر انقطاعه وذله من جاهه ونسبه، ومن ادعى قوة أظهر الله ضعفه، ومن ادعى علماً أظهر الله جهله. وهكذا؛ فإن الله يعاقب كل مدَّع بنقيض ما ادّعاه؛ لأنه من الكذب والزور ويريد الرفعة على الخلق بزوره هذا.

قوله: **(ومن حلف على يمين صبر فاجرة)**: أصل الصبر؛ هو: الحبس.

والمقصود: أنّ المقسم على أمر، وهو كاذب في قسمه مدَّعٍ ما ليس له، ولا يستحقه فهو ممن يحبس نفسه في عذاب الله ـ تعالى ـ.

أو من حبس نفسه أو حبسه القاضي؛ فأقسم كذباً؛ ليأخذ حق غيره فهو لن يزداد ما عنده، بل يرجع إلى القلة.

فقه الحديث:

١ ـ خطورة لعن المؤمن؛ حيث بيّن أن إثم لعن المسلم مماثل لإثم قتله.

٢ ـ التحذير من الكذب والزور.

٣ ـ حرمة التشبُّع بما لم يعطه، وأن يحمد بما لم يفعل.

٤ ـ حرمة الترفُّع على الناس واحتقارهم.

٥ ـ التحذير من الأيمان الباطلة؛ لإبطال حقوق العباد.



١٧٧ ـ (...) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُالْوَارِثِ بْنُ عَبْدِالصَّمَدِ، كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِالصَّمَدِ بْنِ عَبْدِالْوَارِثِ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ الأَنْصَارِيِّ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِالرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي

قِلاَبَةَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ؛ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الإِسْلاَمِ كَاذِباً مُتَعَمِّداً؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عَذَّبَهُ اللّهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**». هذَا حَدِيثُ سُفْيَانَ. وَأَمَّا شُعْبَةُ؛ فَحَدِيثُهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الإِسْلاَمِ كَاذِباً؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ ذُبِحَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ طوّل الإمام مسلم في هذا الإسناد على غير عادته؛ لأنه في رواية قال: ثابت بن الضحاك الأنصاري. وفي رواية الثوري لم يقل: الأنصاري؛ فكان لا بد من بيان ما وقع في أحد الإسنادين من زيادة النسب.

٢ ـ **قوله: (هذا حديث سفيان)**؛ أي: حديث شعبة يخالف حديث سفيان في اللفظ، وإن وافقه في المعنى؛ كما بيّنه، وباقي الحديث تقدم الكلام عليه.

● تنبيهات مهمات:

١ ـ تضعيف الإمام الترمذي لزيادة: «**خالداً مخلَّداً**» لا يصح من وجوه:

أ ـ أنها ثابتة بنص القرآن في قاتل المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ب ـ أن هذه الزيادة مما اتفق عليه الشيخان.

٢ ـ تمسُّك الخوارج والمعتزلة بقوله: «**خالداً مخلَّداً فيها أبداً**»، ولا حجة لهم من وجوه بيَّنها أهل العلم.

أ ـ هذا الحكم للمستحل؛ فإنه يصير باستحلاله كافراً، والكافر مخلَّد بلا ريب.

ب ـ أن المراد بالخلود المكث الطويل المشترك بين دوام الانقطاع له واستمرار مديد ينقطع بعد حين.

ت ـ هذا الحكم من باب الوعيد، فبيَّن الرسول جزاء فاعل هذا الفعل إن جوزي، لكن تقدم بيان كرم الله على الموحدين؛ فأخرجهم من النار بتوحيدهم.

٣ ـ استدل القائلون بالمماثلة في القصاص بهذا الحديث، وهو استدلال جيد واستنباط قوي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وكذلك حديث رضّ النبي ﷺ رأس اليهودي الذي رضّ رأس الجارية.

وهذا اختيار مشايخي: الألباني، وابن باز، وابن العثيمين ـ رحمهم الله تعالى ـ.

٤ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فإن قال قائل: إذا قدّر أن هذا الذي قتل نفسه أدرك وعولج، وبقي وتاب، فما الحكم؟

فالجواب: يتوب الله عليه؛ لأنه ما من ذنب يتوب منه العبد إلا تاب الله عليه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]»[1].

وباقي الحديث تقدم الكلام عليه.



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٦٢).

٤٨ ـ باب لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن اللّه تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

١٧٨ ـ (١١١) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، جَمِيعاً عَنْ عَبْدِالرَّزَّاقِ، قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حُنَيْناً، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالإِسْلاَمِ: «**هذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيداً فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله! الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنفاً: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالاً شَدِيداً. وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَى النَّارِ**»، فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، ولَكِنَّ بِهِ جِرَاحاً شَدِيداً! فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**اللّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِلالاً فَنَادَى فِي النَّاسِ: «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**».

✵ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الزهري عن ابن المسيب.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٠٦٢ و٤٢٠٣ و٦٦٠٦).

* غريب الحديث:

قوله: **(شهدنا مع رسول الله ﷺ حنيناً)**: أي: شهدنا القتال، فقاتلنا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين. وحنين: واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات.

والصواب: أن ذلك في غزوة خيبر؛ كما وقع عند البخاري وأبي عوانة في «مستخرجه على صحيح مسلم»، وذهب إلى ذلك عياض والنووي - رحمهما الله -.

وقد نسب هذا الوهم إلى عبدالرزاق، وهو غير صحيح؛ لأنه وقع على الجادة عنده في «المصنف» **(٩٥٧٣)**.

قوله: **(فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام: «هذا من أهل النار»)**؛ أي: فقال عن رجل ولم يسمعه: إنّ هذا الرجل سيكون جزاؤه النار، وإن انتسب للإسلام، وإن فعل وفعل هكذا أُوحي إليّ.

قوله: **(فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة)**: فلما بدأ القتال ونحن مع المقاتلين، أبلى الرجل بلاءً حسناً، وقاتل قتال الأبطال الأقوياء فيما نرى، وأصابته جراحة جرّاء قتاله للأعداء.

قوله: **(فقيل: يا رسول الله! الرجل الذي قلت له آنفاً: «إنه من أهل النار»؛ فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات)**؛ قد استغربنا يا رسول الله! مما قلت في شأن هذا الرجل الذي أخبرت أنه في النار ومن أهلها، ونحن نرى ما نرى من قتال الشجعان، ومات على ذلك؟

قوله: **(فقال النبي ﷺ: «إلى النار» فكاد بعض المسلمين أن يرتاب)**: أكّد النبي من جديد أنّ هذا الرجل مصيره إلى النار والعذاب المقيم، وعند ذلك أوشك بعض الصحابة أن يشكوا في حديثه ﷺ.

قوله: **(فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراحاً شديداً! فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه)**: في الوقت الذي تشككوا فيه من كلام رسول الله ﷺ وحال الرجل إذ جاءهم الخبر أنّ

الرجل لم يمت، ولكنه أُصيب بجراح شديد، فتريّثوا لينظروا إلى أي شيء ينتهي حاله. فإذا الخبر الذي أدهش الجميع وأزال الشكوك عن قول الرسول إنه في النار، حيث لم يصبر على ألم الجراح، فاستعجل الموت؛ ليخلص من الآلام فقتل نفسه!

قوله: (**فأُخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله»**)؛ فجاء مخبر فأخبر رسول الله ﷺ بالذي فعله الرجل بنفسه، فكبر الله ـ تعالى ـ فرحاً وتعظيماً لوقوع ما أخبر، وشهد لنفسه بالعبودية والرسالة؛ لأنه لم يأتِ بالخبر والحكم من تلقاء نفسه، بل بوحي من الله.

وهذه من جملة معجزاته ﷺ التي أخبر عنها، ووقعت على وفق ما أخبر.

قوله: (**ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**)؛ أي: أمر بلالاً يُنادي على مسمع، ومرأى الناس بهذا الحكم، وهو: أنّ الجنة لا يدخلها إلا من أسلم أمره لله، وانقاد لاتباع رسوله المبعوث، دون أهل الشرك والكفر، ومن ألمّ بالذنوب حتى يتطهر منها.

وأنّ الله ـ تعالى ـ قد يؤيد وينصر دينه وجنده بالرجل الفاجر، والفاسق الذي لا يريد محض النصر والشهادة وقوة أهل الإيمان، بل السمعة والمراءاة، والله أعلم.

فقه الحديث:

١ ـ بيان ملازمة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ للرسول ﷺ في حلّه وترحاله، وفي العسر واليسر، والمنشط والمكره.

٢ ـ ليس كل من أظهر الإسلام يكون مسلماً مؤمناً في الباطن.

٣ ـ أنّ النبي ﷺ يخبر بالغيب عن الله.

٤ ـ النهي عن الحكم العاجل قبل انتظار النتائج.

٥ ـ أنّ البطولة والشجاعة والسياسة في القتال وغيره ليست دليلاً على

قوة الإيمان، ولا تنفع صاحبها دون إيمان صحيح.

٦ ـ أنّ العبرة بالخواتيم.

٧ ـ تحريم قتل النفس، ولو استعجالاً للقاء الله ـ زعموا ـ.

٨ ـ مشروعية التكبير عند الأمر العظيم.

٩ ـ جواز إرسال مخبر عن الأمير والقائد يخبر الناس بحكم أو أمر مهم.

١٠ ـ أنّ الجنة لا يدخلها أهل الكفر والشرك.

١١ ـ أنّ أهل الجنة أُمة الإسلام فقط.

١٢ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ قد ينصر الحق بمن ليس من أهل الإيمان؛ وهذا مشاهد في كل عصر ومصر.

١٣ ـ بيان معجزة النبي ﷺ الظاهرة وآياته الباهرة حيث أخبر بالمغيبات، فظهر صدقه في حينه.

١٤ ـ جواز الإخبار عن أهل السوء والفسق إذا كان في ذلك مصلحة شرعية من تحذير ونحوه.

١٥ ـ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه؛ فقد جعله الله مؤيداً ومنصوراً بأهله وبغير أهله.

١٦ ـ لا يجوز الحكم على أحد بجنة أو نار إلا لمَن حكم له النبي ﷺ.

١٧ ـ أهمية الإخلاص في الأعمال، وأنه شرط في قبولها ونجاة أهلها.

● **تكميل:**

وقع في هذا الحديث اختلاف أشار إليه الإمام البخاري في «صحيحه» (٤٢٠٤):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهريّ، قال: أخبرني سعيد بن

المسيب، أن أبا هريرة ـ ﵁ ـ قال: شهدنا خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعي الإسلام: «**هذا من أهل النار**» فلما حَضَرَ القتالَ، قاتل الرجل أشدّ القتال، حتى كَثُرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوَجَدَ الرجل أَلَمَ الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها أَسْهُماً، فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين، فقالوا: يا رسول الله صَدَّق الله حديثك، انتَحَرَ فلان، فقتل نفسه، فقال: «**قم يا فلان، فأَذِّنْ: إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر**» تابعه معمرٌ، عن الزهريّ.

وقال شبيب، عن يونس، عن ابن شهاب: أخبرني ابن المسيب، وعبدالرحمٰن بن عبدالله بن كعب، أن أبا هريرة قال: شَهِدنا مع النبي ﷺ حُنَيْناً.

وقال ابن المبارك، عن يونس، عن الزهريّ، عن سعيد، عن النبي ﷺ، تابعه صالح، عن الزهريّ.

وقال الزُّبيديّ: أخبرني الزهريّ، أن عبدالرحمٰن بن كعب أخبره، أن عبيدالله بن كعب قال: أخبرني مَن شَهِد مع النبي ﷺ خيبر.

قال الزهريّ: وأخبرني عبيدالله بن عبدالله، وسعيد، عن النبي ﷺ.

قال الحافظ ـ ﵀ ـ: قوله: «تابعه معمر»؛ أي: تابع شعيباً، عن الزهريّ؛ أي: بهذا الإسناد، وهو موصول عند المصنف في آخر «الجهاد»، مقروناً برواية شعيب، عن الزهري.

وقوله: «وقال شبيب»؛ أي: ابن سعيد، عن يونس؛ أي: ابن يزيد، عن ابن شهاب؛ أي: الزهري بهذا الإسناد.

وقوله: «شَهِدنا حنيناً»: يريد أن يونس خالف معمراً وشعيباً، فذكر بدل «خيبر» لفظة «حنين»، ورواية شبيب هذه وصلها النسائيّ مُقْتَصِراً على طرف من الحديث، وأوردها الذُّهليّ في «الزهريات»، ويعقوب بن سفيان في «تاريخه»، كلاهما عن أحمد بن شبيب، عن أبيه بتمامه، وأحمد من شيوخ

البخاريّ، وقد أخرج هذا، وقد وافق يونسُ معمراً وشعيباً في الإسناد، لكن زاد فيه مع سعيد بن المسيب عبدالرحمٰن بن عبدالله بن كعب بن مالك، وساق الحديث عنهما، عن أبي هريرة.

وقوله: «وقال ابن المبارك، عن يونس، عن الزهريّ، عن سعيد، عن النبي ﷺ» يعني: وافق شبيباً في لفظ «حنين»، وخالفه في الإسناد، فأرسل الحديث، وطريق ابن المبارك هذه وصلها في «الجهاد»، ولم أرَ فيها تعيين الغزوة.

وقوله: «وتابعه صالح»؛ يعني: ابن كيسان، عن الزهريّ، وهذه المتابعة ذكرها البخاري في «تاريخه»، قال: قال لي عبدالعزيز الأُوَيسيّ، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب: أخبرني عبدالرحمٰن بن عبدالله بن كعب بن مالك أن بعض مَن شَهِد مع النبي ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال لرجل معه: «**هذا من أهل النار...**» الحديث، فظهر أن المراد بالمتابعة أن صالحاً تابع رواية ابن المبارك، عن يونس في ترك ذكر اسم الغزوة، لا في بقية المتن، ولا في الإسناد، وقد رواه يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح، عن الزهريّ، فقال: عن عبدالرحمٰن بن المسيب، مرسلاً، وَوَهِمَ فيه، وكأنه أراد أن يقول: عن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن كعب، وسعيد بن المسيب، فَذَهِلَ.

وقوله: «وقال الزبيديّ: أخبرني الزهريّ أن عبدالرحمٰن بن كعب، أخبره أن عبيدالله بن كعب قال: أخبرني مَن شَهِد مع النبي ﷺ خيبر، قال الزهريّ: وأخبرني عبيدالله بن عبدالله، وسعيد، عن النبي ﷺ، وفي رواية النسفيّ: عبدالله بن عبدالله، هكذا أورد البخاريّ طريق الزُّبيدي هذه معلقةً مختصرةً، وأجحف فيها في الاختصار، فإنه لم يفصل بين رواية الزهريّ الموصولة عن عبدالرحمٰن، وبين روايته المرسلة عن سعيد، وعبيدالله بن عبدالله، وقد أوضح ذلك في «التاريخ»، وكذلك أبو نعيم في «المستخرج»، والذُّهليّ في «الزهريات»، فأخرجوه من طريق عبدالله بن سالم الحمصيّ، عن الزُّبيديّ، فساق الحديث الموصول بالقصة، ثم ساق بعده: قال الزُّبَيديّ: قال الزهريّ: وأخبرني عبدالله بن عبدالله، وسعيد بن المسيب: أن

رسول الله ﷺ قال: «**يا بلال قُمْ، فأذِّنْ: إنه لا يدخل الجنة إلا رجل مؤمن، واللّهُ يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»، هذا سياق البخاريّ، وفي سياق الذُّهليّ، قال الزهري: وأخبرني عبدالرحمٰن بن عبدالله، وهذا أصوب من عبيدالله بن عبدالله، نبَّهَ عليه أبو علي الجيّاني.

وقد اقتضى صنيع البخاريّ ترجيحَ رواية شعيب ومعمر، وأشار إلى أن بقية الروايات محتملة، وهذه عادته في الروايات المختلفة، إذا رَجَحَ بعضُها عنده اعتمده، وأشار إلى البقية، وأن ذلك لا يستلزم القَدْحَ في الرواية الراجحة؛ لأن شرط الاضطراب أن تتساوى وجوه الاختلاف، فلا يُرَجَّح شيءٌ منها.

وذَكَر مسلم في «كتاب التمييز» فيه اختلافاً آخر على الزهريّ، فقال: حدثنا الحسن بن الحلوانيّ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب: أخبرني عبدالرحمٰن بن المسيب، أن النبي ﷺ قال: «**يا بلال قُمْ، فأذِّنْ: إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن**»، قال الحلوانيّ: قلت ليعقوب بن إبراهيم: مَنْ عبدُالرحمٰن بن المسيب هذا؟ قال: كان لسعيد بن المسيب أخٌ اسمه عبدالرحمٰن، وكان رجل من بني كنانة يقال له: عبدالرحمٰن بن المسيب، فأظنه أن هذا هو الكنانيّ، قال مسلم: ولس ما قال يعقوب بشيء، وإنما سَقَطَ من هذا الإسناد واو واحدة، فَفَحُشَ خطؤه، وإنما هو عن الزهريّ، عن عبدالرحمٰن، وابن المسيب، فعبدالرحمٰن هو ابن عبدالله بن كعب، وابن المسيب هو سعيد، وقد حدّث به عن الزهريّ كذلك ابن أخيه، وموسى بن عقبة، ويونس بن يزيد، والله أعلم.

وكذا رجَّحَ الذهليّ رواية شعيب ومعمر؛ قال: ولا تدفع رواية الأخيرين؛ لأن الزهريّ كان يقع له الحديث من عِدَّة طُرُق، فيحمله عنه أصحابه بحسب ذلك، نعم، ساق من طريق موسى بن عقبة، وابن أخي الزهريّ، عن الزهريّ موافقةَ الزُّبيديّ على إرسال آخر الحديث»[1].



(١) «فتح الباري» (٧/٥٤١ ـ ٥٤٢).

١٧٩ ـ ﴿١١٢﴾ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الْقَارِيُّ، حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ ـ عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُول الله ﷺ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ. فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَداً. قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحاً شَدِيداً، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولَ الله. قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفاً أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحاً شَدِيداً، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ، عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

* راوي الحديث:

هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، أبو العباس، صحابي ابن صحابي ـ رضي الله عنهما ـ.

وهو آخر مَن توفي بالمدينة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ سنة **(٩١هـ)** وهو ابن **(٩٦)** سنة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، وهو أعلى ما وقع له من الأسانيد.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيخه؛ فبغلاني: نسبة إلى قرية من قرى بلخ، ولكنه دخل المدينة؛ للأخذ عن علمائها.

٣ ـ حديث سهل بن سعد ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٨٩٨ و٤٢٠٢ و٤٢٠٧ و٦٤٩٣ و٦٦٠٧**).

* غريب الحديث:

قوله: (**فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم**): وذلك عند انتهاء القتال في ذلك اليوم.

قوله: (**. . . رجل لا يدع لهم شاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه**): الشاذة ـ بتشديد المعجمة ـ: ما انفرد عن الجماعة.

والفاذة ـ بالفاء ـ مثله ما لم يختلط بهم. ثم هما صفة لمحذوف؛ أي: نسمة، والهاء فيهما للمبالغة.

والمعنى: أنّ الرجل لا يلقىٰ أحداً إلا قتله مختلطاً بغيره أو منفرداً، وهذا دليل على فرط شجاعته.

قوله: (**ما أجزأ منّا اليوم أحد كما أجزأ فلان**)؛ أي: ما قام بحق القتال، وكفى منا إلا هذا الرجل، فأغنى عن الجميع.

قوله: (**أنا صاحبه**)؛ فسرها ما بعدها بالمرافقة في كل حركة ومكان.

قوله: (**فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه**)؛ النصل: الحديدة التي عند المقبض.

وذباب السيف: طرفه الحاد.

وثدييه: تثنية ثدي؛ وهو: اللحم الزائد في صدر المرأة، ويقال: للرجل والمرأة.

والمعنى: أنه جعل مقبض سيفه بالأرض ومكّنه، وجعل طرفه الحاد الذي يواجه به العدو في صدره بين ثدييه، واتكأ عليه؛ ليقتل نفسه، وفعل ذلك.

قوله: (**إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار**، . . .): أنّ العبرة بالخواتيم، ولا عبرة بما يسبق ذلك.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الناس مأمورون بالحكم على الظاهر.

٢ ـ أنّ الظاهر من أعمال الناس لا يغير حكم الشرع عليهم.

٣ ـ أنّ العبرة بالخواتيم.

٤ ـ أنّ الإخلاص هو سرّ النجاح، ومادة القَبول.

٥ ـ لا تعارض بين هذا الحديث وغيره من الحكم على الظاهر؛ إذا علمنا أنّ هذا الرجل كان منافقاً أو مرائياً.

٦ ـ لا يطلق على مَن قتل في الجهاد شهيد، ولكن يعطى أحكام الشهداء، ويؤيده ما أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح عن أبي العجفاء؛ قال: سمعت عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول، فذكر المغالاة في صداق النساء، قال: وأخرى تقولونها في مغازيكم: قتل فلان شهيداً، مات فلان شهيداً، ولعله يكون قد أوقر عجز دابته أو دفّ راحلته ذهباً وفضة، يبتغي التجارة، فلا تقولوا ذاكم، ولكن قولوا كما قال محمد ﷺ: «**مَن قُتل في سبيل الله؛ فهو في الجنة**».

٧ ـ قتل النفس من الكبائر.

٨ ـ لا ينبغي للمرء أن يعتمد على عمله ويغتر به، بل يعوّل على

فضل الله، ويفوّض أمره إلى مولاه ـ تعالى ـ، ويسأله موجبات رحمته، وعزائم مغفرته.



١٨٠ ـ (١١٣) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ ـ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله بْنِ الزُّبَيْرِ ـ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: «**إِنَّ رَجُلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْماً مِن كِنَانَتِهِ، فَنَكأهَا، فَلَمْ يَرْقَأ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ. قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**». ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: إِي وَاللّهِ، لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فِي هَذَا الْمَسْجِدِ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٦٠/٩٧).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالتحديث والسماع.

٣ ـ فيه شيبان النحوي منسوب إلى نحوة، وهو بطن من الأزد، وليس إلى علم النحو، ومثله يزيد النحوي.

وما دونهما؛ فمنسوب إلى علم النحو.

٤ ـ حديث جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه البخاري (١٤٦٤ و٣٤٦٣).

* غريب الحديث:

قوله: **(خرجت به قرحة)**؛ القرحة ـ بفتح القاف وسكون الراء ـ: حبّة تخرج في البدن، وهي مفردة، وجمعها: قروح.

قوله: **(فلما آذته انتزع سهماً من كنانته؛ فنكأها)**: لما اشتدّ عليه ألم القرحة لم يصبر عليها فتعجّل؛ للخلاص من ألمها، فأخذ السهم فنخسها وخرقها؛ فانفتح الجرح.

والكنانة: هي الجَعْبَة من جلد توضع بها السهام، وتكنها؛ أي: تسترها.

قوله: **(فلم يرقأ الدم حتى مات)**؛ يقال: رقا الدم يرقأ إذا انقطع وتوقف عن الخروج.

والمعنى: أنّ الدّم ما زال يخرج دون انقطاع حتى مات الرجل.

قوله: **(قال ربكم: حرمت عليه الجنة)** تكلم الله ـ تعالى ـ في بيان عقوبته بتحريم الجنة لما فعل من قتل النفس، وعدم الصبر على المرض والبلاء.

قوله: **(ثم مدّ يده إلى المسجد...)** جاء بهذا الكلام الإمام الحسن البصري؛ ليؤكد سماعه من جندب بن عبدالله، ونفي التدليس الذي عرف عنه.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ قصص بني إسرائيل فيها العبر، والحكم البليغة.

٢ ـ أنّ تحريم قتل النفس مما اتفقت عليه الشرائع الإلهية.

٣ ـ أنّ من تعجّل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبرز لذلّه وهوانه.

٤ ـ دليل على أنّ الله ـ تعالى ـ يتكلم متى شاء، كيف شاء، بما شاء، كلاماً حقيقياً بصوت وحرف.

٥ ـ أنّ الجنة محرمة على من استحلّ المحرم المعلوم من الدِّين ضرورة.

٦ ـ جواز استعمال بعض الحركات والكلمات التي تدل على معنًى شرعي أو يفيد في الشرع.

٧ ـ جواز القسم من غير ضرورة، ولا استحلاف.

٨ ـ استحباب نفي التدليس الذي يوسم به الراوي من خلال حديثه.

٩ ـ أنّ شرع من قبلنا شرع لنا إذا جاء في شرعنا إقراره وتأييده.

١٠ ـ أنّ الأنفس كلها ملك لله ـ تعالى ـ لا يحل لأحد من البشر أن يتصرّف فيها كيفما شاء.

١١ ـ فضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام؛ لئلا يفضي إلى أشد منها.

١٢ ـ بيان سعة رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده حيث حرم عليهم أذية أنفسهم فضلاً عن غيرهم.

١٣ ـ تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

١٤ ـ الأخذ بالاحتياط في التحديث، وكيفية الضبط له.



١٨١ ـ (. . .) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ. حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي. قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيُّ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ. فَمَا نَسِينَا، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدَبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَرَجَ بِرَجُلٍ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خُرَاجٌ**» فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

٢ ـ قوله: (**فذكر نحوه**)؛ هو: محمد بن أبي بكر ذكر نحو حديث محمد بن رافع.

٣ ـ رواية وهب بن جرير: أخرجها ابن حبان في «صحيحه» (٥٩٨٨).

أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا محمد بن المثنى الزَّمِنُ، حدثنا وهب بن جرير، حدثني أبي، قال: سمعت الحسن يقول: حدثنا جندب بن عبدالله، في هذا المسجد، فما نَسِينا منه، حَدَّثنا، ولا نَخْشَى أن يكون كَذَبَ على رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَرَجَ برجل خُرَاجٌ، ممن كان قبلكم، فأخَذَ سِكِّيناً، فَوَجَأَ بها، فما رَقَأَ الدم عنه حتى مات، فقال الله تبارك وتعالى: عبدي بادرني بنفسه، حَرَّمْتُ عليه الجنة**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**في هذا المسجد**)؛ هو: مسجد البصرة، وليس المسجد النبوي.

قوله: (**فما نسينا**): أراد أنه متحقق من حديثه، وقريب العهد به، وأنه ذاكر له.

قوله: (**وما نخشى أن يكون جندب كذب على رسول الله ﷺ**): إشارة إلى عدالة الصحابة، وأنهم لا يكذبون على رسول الله ﷺ.

قوله: (**خراج**): قروح.

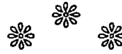
۞ فقه الحديث:

١ ـ تحري رواة الحديث وشدة ضبطهم.

٢ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم عدول، أمناء الشريعة، وحرّاس الدين.

٣ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«في حديث الحسن ـ في السياق الأول ـ دليل على أن الإنسان يجوز له أن يحدِّث بالحديث قبل أن يذكر شيخه فيه؛ لأن الحسن حدَّث بالحديث، ثم أشار إلى المسجد، وقال: حدثني بذلك جندب بن عبدالله، فيجوز ـ مثلاً ـ أن تقول: قال النبي ﷺ كذا، ثم تذكر السند بعد ذلك، ولا حرج فيه؛ لأن المهم أن تذكر السند؛ لأنك لو لم تذكره لكان الحديث معلقاً، والحديث المعلق من قسم الضعيف»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٧٢).

٤٩ ـ باب تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون

١٨٢ ـ (١١٤) حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ، أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُالله بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لما كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ. فُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَلا. إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ، فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**»؛ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ**». قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: «**أَلا إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ**».

● ترجمة الراوي:

تقدمت ترجمة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١/٨).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف.

٢ ـ فيه رواية صحابي عن صحابي: عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عكرمة عن سماك الحنفي.

٤ ـ حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد...**): لما وقع القتال مع المشركين في خيبر، وانتهت المعركة بيننا

وبينهم، أخذ نفر ـ وهم من ثلاثة إلى عشرة من الرجال ـ يعدون من قتل منهم ويقولون: إنه شهيد، حتى جاء الكلام على رجل منهم؛ فقالوا مقولتهم. فقال الرسول:

(كلا؛ إني رأيته في النار، في بردة غلّها أو عباءة): كلا: حرف ردع وزجر.

والغلول؛ هو: الخيانة في المغنم، يقال: غَلَّ يَغُل غلولاً.

والبردة: ـ بضم الباء ـ كساء مخطط؛ وهي: الشملة، والجمع: بُرد.

والعباءة: الكساء المعروف.

والمعنى: انتهوا عمّا تقولون: إنه شهيد وفي الجنة مصيره ومقره؛ فإني أخبرت، وأطلعت أنه يعذب في النار ليس كما تقولون، وذلك؛ لأنه خان في الغنيمة؛ فأخذ لباساً عباءة أو بردة قبل أن تقسم الغنيمة.

فقه الحديث:

١ ـ النهي عن القطع بالشهادة والجنة لأي شخص كان إلا بدليل من الشارع يعينه.

٢ ـ أنّ الذنوب تضر بالإيمان ضرراً محققاً، بل تكون سبباً للعذاب الأخروي.

٣ ـ أنّ قتيل المعركة ضد المشركين شهيد بالجملة دون تعيين.

٤ ـ بيان معجزة من معجزاته ـ عليه السلام ـ حيث أطلعه الله على حال هذا الرجل في النار.

٥ ـ دليل على أنّ النار مخلوقة موجودة، والجنة مثلها.

٦ ـ تحريم أخذ أي شيء، ولو كان حقيراً من الغنيمة قبل قسمتها، وأنه من الكبائر.

٧ ـ أنّ الجنة لا يدخلها الكافر ولا العاصي قبل أن يُطهر من ذنبه.

٨ ـ أنّ الجنة دار المتقين المؤمنين المطهرين من كل ذنب.

٩ ـ فيه جواز التوكيل في التبليغ؛ لأن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يبلّغ عنه.

١٠ ـ أنه لا بأس أن يزيد المبلغ كلمة تفيد في المعنى؛ لأن قوله: (ألا) أداة استفتاح تفيد التنبيه.

● **فائدة:**

قال أبو عوانة ـ رحمه الله ـ في «مسنده المستخرج على صحيح مسلم» (٤٨/١) بعد أن أخرج هذا الحديث، ما نصُّه:

قال أبو عوانة: قد صَحَّ في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ أمر بلالاً أن ينادي: أنه «**لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»، وأمر عمر أن ينادي: «**لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**»، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقد وصف الله صفة المؤمنين في أول «سورة الأنفال»، وفي «سورة المؤمنين» فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

قال أبو عوانة: وسألت المزني في أول ما وقع الخبر إلينا بمصر أن بِحَرّانَ اخْتِلافٌ بين أهل الحديث في هذه المسألة، فسألته عن الإيمان والإسلام، فقال لي: هما والله واحد، كان بلغنا عن أحمد بن حنبل أنه فرّق بينهما، وزعم أن حماد بن زيد فرّق بينهما، ثم حدثنا به صالح بن أحمد بن حنبل، عن أبيه بذلك، فقال لي المزنيّ: هما واحد، فاحتججت عليه بحديث النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، وبقول الزهري في ذلك، والأحاديث التي جاءت في أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ، فسأله عن الإيمان، وسأله عن الإسلام، في أحاديث أُخر، فرأيته لا يرجع عن قوله، وقلت له: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾

[الحجرات: ١٤]، قال: هذه استسلمنا، فقال لي فيما قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال لي: ويحك أفَدِين أعلاها عند الله؟ قال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وكذلك كان إسماعيل القاضي يقول: إنهما واحد.



١٨٣ ـ (١١٥) حدّثني أَبُو الطَّاهِرِ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدِ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي الْغَيْثِ، مَوْلَى ابْنِ مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. (ح) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَهَذَا حَدِيثُهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ ـ يَعْنِي: ابْنَ مُحمَّدٍ ـ عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللّهُ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَباً ولا وَرِقاً، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ، يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ قَامَ عَبْدُ رَسُولِ الله ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ. فَقُلْنَا: هَنِيئاً لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ الله! قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَلا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَاراً، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**». قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ. فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ. أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أنه من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ بالنسبة للسند الأول، ومن خماسياته بالنسبة للسند الثاني.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين غير قتيبة؛ فبغلاني، وأبي الطاهر وابن وهب، فمصريان.

٣ ـ قوله: **(وهذا حديثه)**؛ أي: أن المتن الذي ساق لفظ شيخه قتيبة، وأما أبو الطاهر فرواه بالمعنى.

٤ ـ قوله: **(يعني: ابن محمد)** من زيادات المصنف؛ لأن شيخه لم ينسبه فأراد أن يزيل الإهمال فنسبه إلى أبيه وفصل بين كلامه وكلام شيخه بزيادة كلمة (يعني).

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري **(٤٢٣٤ و٦٠٧٧)**.

٭ غريب الحديث:

قوله: **(ففتح الله علينا فلم نغنم)**؛ أي: كان فتح خيبر سبباً في غنائم ليست من الذهب والفضة.

قوله: **(ورقاً)**: الورق ـ بفتح الواو، وكسر الراء، وقد تسكن ـ هو: الفضة.

قوله: **(ثم انطلقنا إلى الوادي)**؛ أي: وادي القرى كما في رواية البخاري، وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام.

قوله: **(ومع رسول الله ﷺ عبد له)**؛ هو غلام أسود كما عند مالك في «الموطأ» يقال له: مِدْعَم؛ كما عند البخاري ومالك.

قوله: **(وهبه له)**؛ أي: أهداه له؛ كما عند البخاري.

قوله: **(يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب)**؛ أي: هذا الغلام أهداه رجل يسمى رفاعة بن زيد من بني الضِّباب نسبة إلى بطن من جذام، كان رفاعة قد وفد على رسول الله ﷺ في ناس من قومه، قبل خروجه إلى خيبر، فأسلموا، وعقد له مع قومه.

قوله: **(فلما نزلنا الوادي)**؛ أي: وادي القرى.

قوله: **(رحله)**؛ الرحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب عليه.

قوله: **(حتفه)**؛ الحتف: مفرد جمعه حتوف، وهو بفتح الحاء، وإسكان التاء ومعناه: الموت.

والمعنى: أنّ هذا العبد كان خادماً لسيد الخلق ﷺ، ومات بسهم من العدو، وهو يخدم ويحرس رسول الله. فلهذا قالوا: هنيئاً له الشهادة والجنة جزاء ذلك.

فقال عندها الرسول: لا تقولوا هذا الكلام يزجرهم. أقسم بالله إنه ليعذب الآن بسبب ما غلّ يوم قتال خيبر، وأخذ الشملة قبل القسمة.

قوله: **(ففزع الناس. فجاء رجل بشِراك أو شراكين. فقال: يا رسول الله! أصبت يوم خيبر. فقال رسول الله ﷺ: شراك من نار، أو شراكان من نار)**: لمّا سمع المسلمون قسم رسول الله في شأن خادمه، أصابهم الذعر والخوف الشديد، فأخذ كل واحد ممن غلّ يأتي بما غلّ قبل أن يفضحه الله ـ تعالى ـ بالآخرة؛ كما قال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]؛ فما كان من رجل إلا وهو يأتي بشراك أو شراكين كان أخذهما قبل القسمة مقراً معترفاً بذنبه تائباً منه، فقال له الرسول: جزاء فعلك أنّ تلبس أو تعذب بقدر الشراك أو الشراكين الذين أخذتهما.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ النصر بيد الله ـ تعالى ـ؛ فهو القوي العزيز.

٢ ـ تعظيم أمر الغلول، وأنه من الكبائر، وأنه يمنع إطلاق لفظ الشهادة على مَن غلّ إذا قتل في المعركة.

٣ ـ أنّ النبي يقبل الهبة والهدية دون الصدقة.

٤ ـ أنّ قتيل المعركة والمدافع عن رسول الله ﷺ شهيد.

٥ ـ ليس كل قتيل في المعركة أو مدافع عن الدين وأهله في الظاهر شهيد.

٦ ـ جواز الحلف للأمر العظيم.

٧ ـ أنّ الناس يتساهلون في أمر الغنيمة.

٨ ـ أنّ الذي يرجع ما أخذه خير من الذي يكتمه، ولا يرجعه.

٩ ـ بيان نوع من أنواع العذاب لمن أصاب من الغنيمة قبل القسمة.

١٠ ـ فيه علم من أعلام النبوة ومعجزة ظاهرة للنبي ﷺ؛ حيث أطلعه الله على حال هذا العبد في الدنيا، وأنه غل شملة، وفي الآخرة أنه يعذَّب عليها.

١١ ـ أن الغنائم أُحِلَّت للنبي وأمته، وهذا من الخصائص التي جعلت للنبي ﷺ وأمته من بعده.

١٢ ـ فيه دليل أن الغال لا يجب أن يحرق متاعه؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله.

• تتمات مهمات:

١ ـ ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث وقع فيه وهم؛ لأن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر»، وذلك لأن أبا هريرة لم يخرج مع النبي إلى خيبر، وإنما قدم بعد خروجهم.

ولا تناقض؛ لأن المقصود أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ حضر قسمة الغنائم؛ فالغرض من الحديث قصة مدعم في غلول الشملة.

ويمكن حمل قوله: (خرجنا) و(افتتحنا) كما عند البخاري: أن المراد المسلمون، أو على ما وقع عند البيهقي في «دلائل النبوة»: «خرجنا مع النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى».

٢ ـ ذهب القاضي عياض إلى أن قصة مدعم متحدة مع قصة كركرة الذي كان على ثَقَل النبي ﷺ؛ فمات، فقال رسول الله ﷺ: **«هو في النار»**؛ فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلَّها.

وقد بيّن الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تغايرهما من وجوه عديدة[1].



---

(١) «فتح الباري» (٧/٥٦٠).

٥٠ ـ باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر

١٨٤ ـ (١١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعاً عَنْ سُلَيْمَانَ؛ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ الطفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنَعَة ـ قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ـ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللّهُ لِلأَنْصَارِ؛ فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرو، وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ. فَمَرِضَ؛ فَجَزِعَ؛ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ. فَرآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرو فِي مَنَامِهِ، فَرآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرآهُ مُغَطِّياً يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّياً يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ؛ فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللّهُمَّ، وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٦/١٥).

وأما الطفيل بن عمرو الدوسي ـ رضي الله عنه ـ؛ فهو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غَنْم بن دوس، وفي قصة إسلامه خبر طويل، وكان إسلامه بمكة، ورجع إلى بلاد قومه، ثم وافى النبي ﷺ مع أبي هريرة بخيبر، وشهد فتح مكة، واستشهد باليمامة ـ رضي الله عنه ـ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ حديث جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

٤ ـ قال شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والحديث من رواية أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، وقد تقرر عند أهل المعرفة بهذا العلم الشريف ترك الاحتجاج بحديثه المعنعن؛ إلا ما كان من رواية الليث بن سعد عنه؛ فإنه لم يأخذ عنه إلا ما ذكر له السماع فيه، ولهذا قال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: «وفي «صحيح مسلم» أحاديث مما لم يوضح فيها أبو الزبير السماع عن جابر، ولا من طريق الليث عنه، نفي القلب منها»[(١)].

* **غريب الحديث:**

قوله: **(هل لك في حصن حصين ومنعة)**؛ الحصن واحد الحصون؛ وهي: القصور والقلاع؛ لكي يتحصن فيها. وحصين: فعيل للمبالغة، أي: شديد المنع لمن فيه.

والمنعة: ـ بفتح الميم والنون وإسكانها ـ، ومعناها: العز والامتناع ممن يريده؛ لتحصنه بالقصور، أو قوم وجماعة يمنعونه ممن يقصده بأذى.

والمعنى: يا رسول الله! ما رأيك أن تنتقل معي إلى قبيلتي وقومي؛ فتكون في حصن لنا، ويدافع عنك قومي؛ فلا يستطيعك أحدٌ بأذى؛ فإنهم أهل عزّ وقوة؟

قوله: **(حصن كان لدوس في الجاهلية)**: قائل هذا؛ هو: الطفيل، يبين هذا الحصن الذي يدعو رسول الله ﷺ للاحتماء به من أعدائه في دينه ودعوته.

قوله: **(فأبى ذلك النبي ﷺ للّذي ذخر الله للأنصار)**؛ أي: رفض الرسول هذا العرض من الطفيل لمّا علم من الوحي بأن موطن هجرته هي

---

(١) «مختصر صحيح مسلم» (ص٣٥).

المدينة، وأن الأنصار هم الذين اختارهم الله ـ تعالى ـ لنصرة نبيه والقيام بدينه.

قوله: **(فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو)**؛ أي: وفد الطفيل على رسول الله ﷺ مرة ثانية بعد هجرته إلى المدينة في فتح خيبر مع وفد قبيلته دوس وفيهم أبو هريرة.

قوله: **(وهاجر معه رجل من قومه)**: لا يعرف اسمه.

قوله: **(فاجتووا المدينة)**؛ فاجتووا من الجوى: وهو داء يصيب الجوف.

قال أبو عبيد وغيره: اجتويت البلدة إذا كرهت المقام بها، وإن كانت موافقة لك في بدنك.

والمعنى: أنهما كرها الإقامة بالمدينة للسقم الذي لحقهم فيها.

وقع لفظ: «اجتووا» مرة بالإفراد كما عند أبي نعيم في «مستخرجه» **(٣٠٦ و٣٠٧)**، ومرة بالجمع كما عند المصنف، والإمام أحمد **(٣٧١/٣)**، وأبي عوانة **(٥٢/١)**، والبيهقي في «السنن الكبرى» **(١٧/٨)**.

وحمل الضمير على الطفيل والرجل المذكور، وإطلاق الجمع على الاثنين جائز في اللغة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

وعليه؛ فقول القرطبي[١]: إن رواية الإفراد أصح ورواية الجمع تخليط فيه نظر لا يخفى، وبخاصة إذا علمت أن رواية الجمع هي في معظم نسخ صحيح مسلم المعتبرة.

قوله: **(فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات)**؛ يقال: جزع جزعاً وجزوعاً: لم يصبر على ما نزل به من المرض. فهو جازع وجَزُوعٌ وجُزاعٌ.

المشاقص: جمع مشقص ـ بكسر الميم والقاف والصاد المهملة ـ

---

(١) «المفهم» **(٣٢٢/١ ـ ٣٢٣)**.

وهو: سهم طويل ليس بالعريض، وقيل: سهم فيه نصل عريض، وقيل: ما طال وعرض.

البراجم: هي مفاصل الأصابع، واحدتها: برجمة.

شخبت: ـ بفتح الشين والخاء ـ سال الدم، وقيل: سال بقوة.

والمعنى: أنّ الرجل الذي هاجر مع الطفيل أصابه مرض، فلم يصبر على الوجع، فأخذ سهماً؛ فقطع به أصابعه؛ فسال الدّم حتى مات.

قوله: (**فرآه الطفيل بن عمرو في منامه**)؛ أي: رأى الطفيل هذا الرجل الذي قطع براجمه فمات؛ رآه الطفيل في حالة نومه.

قوله: (**فرآه وهيئته حسنة**)؛ أي: رآه الطفيل وحالته حسنة.

قوله: (**ورآه مغطياً يديه**)؛ أي: رآه في حالة حسنة غير أنه غطى يديه.

قوله: (**فقال له: ما صنع بك ربك**)؛ أي: هل غفر لك أم ماذا؟

قوله: (**فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه**)؛ أي: غفر الله لي فعلتي بسبب ترك وطني وخروجي مهاجراً إلى رسول الله ﷺ.

قوله: (**فقال: ما لي أراك مغطياً يديك**)؛ أي: إذا ثبت غفران الله لك فلماذا تغطي يديك.

قوله: (**قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت**)؛ أي: لن نصلح يديك؛ لأنك أفسدتها بدون مسوّغ شرعي.

قوله: (**فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ**)؛ أي: قصَّ الطفيل الرؤيا على رسول الله ﷺ؛ لتأويلها.

قوله: (**فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وليديه فاغفر»**)؛ أي: اللهم اغفر ليديه كما غفرت لسائر جسده.

فقه الحديث:

١ ـ بيان اختيار الإمام مسلم لحكم قاتل النفس (المنتحر) من خلال ترتيب الأحاديث، حيث قدّم ما فيه التصريح بأن المنتحر حرام عليه دخول الجنة وهو في النار، ثم أعقبها بحديث فيه التصريح بأن ذلك على وجه التغليظ والتهديد، وأنّ الحكم يختلف من حال لحال، أو أنّ كل حديث يحمل على وقت من الأوقات.

٢ ـ أنّ الإيمان يضعف؛ فيكون في أدنى درجاته، ويصل الحال أحياناً بأُناس الخروج منه والردة عن الدِّين.

٣ ـ أنّ قاتل نفسه غير مستحل لذلك لا يخلد في النار، بل يعذب، ويعاقب إن لم تدركه شفاعات الشافعين، ثم يدخل الجنة بعد أن يُطهر من ذنبه.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة: أن مَن قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة، فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة.

وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر.

وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب الكبائر؛ فإن هذا عوقب في يديه؛ ففيه رد على المرجئة القائلين بأن المعاصي لا تضر، والله أعلم»[١].

٤ ـ أنّ أصحاب الكبائر لا يخلدون في نار جهنم، وإن لم يتوبوا؛ خلافاً للمعتزلة والخوارج.

٥ ـ أنّ المعاصي تضر بالإيمان ولا بدّ، خلافاً للمرجئة الفرقة الضالة؛ حيث زعمت: أنه لا يضر مع الإيمان ذنب.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٣١ ـ ١٣٢).

٦ ـ منقبة ظاهرة للطفيل ـ رضي الله عنه ـ حيث كان حريصاً على سلامة الرسول ﷺ، وانتشار دعوته.

٧ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ أوحى لرسوله بالهجرة قبل أن يأذن له بذلك.

٨ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ أراد بالأنصار الخير بانتقال رسول الله ﷺ إليهم.

٩ ـ أنّ الرؤيا بشرى، ولا ينبني عليها حكم شرعي، وهي تَسُرُّ ولا تَغُرُّ.

١٠ ـ أنّ إقرار الرسول ﷺ لما جاء بالرؤيا هو الذي جعلها من أنواع الحكم الشرعي.

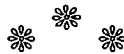
١١ ـ بيان فضل الهجرة.

١٢ ـ رحمة الرسول ﷺ بأُمته عموماً، وبأصحابه خصوصاً، حيث كان يدعو لهم بالمغفرة والرحمة.

١٣ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يغفر لمن يشاء من عباده.

١٤ ـ قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «فيه دليل على أن المغفرة قد لا تتناول محل الجناية، فيحل منه توزيع العقاب على المعاقب، ولذلك قال ﷺ: «**اللهم؛ وليديه فاغفر**»[(١)].

قلت: ما ذهب إليه القرطبي في تجزئة العقوبة صحيح يدل عليه جملة أحاديث صحيحة؛ منها: «**ويل للأعقاب من النار**» و«**ما أسفل الكعبين في النار**».



(١) «المفهم» (١/٣٢٤).

٥١ ـ باب بيان الريح التي تكون قرب القيامة؛ تقبض روح كل مؤمن في قلبه شيء من الإيمان

١٨٥ ـ (١١٧) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَأَبُو عَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللّهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَدَعُ أَحَداً فِي قَلْبِهِ** ـ قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ حَبَّةٍ. وَقَالَ عَبْدُالْعَزِيزِ: **مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ـ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيخه فبصري.

٣ ـ فيه رواية الأكابر عن الأصاغر: صفوان بن سليم عن عبدالله بن سلمان.

٤ ـ فيه رواية الابن عن الأب: عبدالله بن سلمان عن أبيه.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (**إنّ الله يبعث ريحاً**...)؛ والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ الذي أسلم له كل شيء، ويتصرف بالخلق كيفما شاء، قضى للمؤمنين الذين يبقون آخر الزمان بعد الفتن الكبرى، وبقاء شرار الخلق؛ أن تقبض أرواحهم عند علامة ظاهرة؛ وهي انطلاق الريح الطيبة اللينة من إقليم اليمن

المعروف، فلا يبقى أحدٌ منهم، ولو كان من أدنى أهل الإيمان إيماناً إلاّ وقبضته، وعندها يبقى شرار الخلق يتهارجون كالحمر.

قوله: **(ألين من الحرير)**؛ أي: على المؤمنين، من باب الإكرام لهم والرفق بهم.

قوله: **(فلا تدع)**: لا تترك.

قوله: **(أحداً في قلبه مثقال حبة ـ مثقال ذرة ـ من إيمان)**؛ أي: وزن حبة أو ذرّة من إيمان.

قوله: **(إلا قبضته)**؛ أي: قبضت روحه.

فقه الحديث:

١ ـ بيان علامة من علامات الساعة المتأخرة؛ وهي: الريح اللينة التي تقبض أرواح المؤمنين.

٢ ـ أنّ موت الصالحين والمصلحين من أشراط الساعة.

٣ ـ بيان لطف الله، ورحمته بالمؤمنين.

٤ ـ أنّ الإيمان يزيد وينقص.

٥ ـ أنّ الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.

٦ ـ بيان أن أهل الإيمان متفاوتون فيه، فبعضهم أعلى درجة وأقوى يقيناً، وفي كل خير.

٧ ـ بيان أن الإيمان يزيد وينقص.

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لكن لو قال قائل: ما مناسبة هذا الحديث للأبواب التي نحن فيها؟

فالجواب: أن المناسبة هو قوله: «**في قلبه مثقال حبة أو ذرة من إيمان**».

حيث إنه يدل على أن الإيمان يزيد وينقص[(١)].

● **متممات مهمات:**

١ ـ جاء في هذا الحديث أن الريح اللينة تأتي من قِبَل اليمن، وفي حديث آخر عند مسلم (٢٩٤٠): «**ريحاً من قِبَل الشام**».

ولا تناقض؛ فإن الريح واحدة مبدؤها من أحد الإقليمين وتصل إلى الآخر، وتنتشر عنده.

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذه الريح إنما تبعث بعد نزول عيسى ابن مريم ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وقتله الدجال؛ كما في حديث عبدالله بن عمرو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ في «الفتن»، غير أنه قال هنا: «**ريحاً من قِبَل اليمن**» وفي حديث عبدالله: «**من قِبَل الشام**»؛ فيجوز أن يكون مبدؤها من قِبَل اليمن، ثم تمر بالشام، فتهب منه على مَن يليه»[(٢)].

٢ ـ هذا الحديث وما في معناه يدل على أن المؤمنين سيقبضون؛ فتقوم الساعة على شرار الناس، بينما أحاديث الطائفة المنصورة: «**ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم مَن خالفهم، حتى يأتي أمر الله**» تدل على بقاء هذه الطائفة حتى قيام الساعة.

ولا تعارض بحمد الله؛ فإن المراد بقاؤهم حتى قيام ساعتهم؛ وهي: هذه الريح اللينة التي تقبض أرواحهم قبيل قيام القيامة. والله أعلم.



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٧٧).
(٢) «المفهم» (١/٣٢٥).

٥٢ ـ باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن

١٨٦ ـ (١١٨) حدّثني يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعاً عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ. قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلاءُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً؛ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين من إسماعيل.

٣ ـ فيه قوله: (قال ابن أيوب) إشارة إلى الاختلاف الواقع بين شيوخه الثلاثة؛ فيحيى بن أيوب صرّح بالسماع من إسماعيل، والآخران لم يصرحا به.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: العلاء بن عبدالرحمٰن عن عبدالرحمٰن بن يعقوب.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم**):

المبادرة: المسارعة والمسابقة.

والفتن: جمع فتنة؛ وهي: الابتلاء، والاختبار.

والمعنى: سارعوا أيها المؤمنون بأداء الأعمال الصالحة، والمنافسة، والمسابقة بها قبل وقوع الفتن؛ فإنها ستخرج فتن تكون من شدة أثرها السيِّىء على الناس إضلال الطريق، وظلمته كظلمة الليل الذي لا قمر فيه.

قوله: **(يصبح الرجل مؤمناً...)**؛ أي: أنّ من جملة هذه الفتن العظيمة أن يسرع تقلب الناس من الإيمان إلى الكفر بين عشية، وضحاها، والعكس ـ أيضاً ـ.

قوله: **(يبيع دينه بعرض من الدنيا)** العرض: ـ بفتح العين والراء ـ هو: متاع قليل من أمتعة الدنيا.

والمقصود: أنّ شدّة تلاطم أمواج هذه الفتن التي تعصف بإيمان العبد تؤدي به إلى ترك دينه؛ كالذي يبيعه بشيء زائف حقير لا قيمة له من متاع الدنيا.

⟡ فقه الحديث:

١ ـ الحث على الإكثار من الأعمال الصالحة لا سيما عند وقوع الفتن.

٢ ـ كلما كثرت الفتن كان الداعي إلى مزيد من العمل الصالح لازماً للسلامة، والنجاة من شرها.

٣ ـ بيان عظم الفتن التي ستكون.

٤ ـ التحذير من الفتن كلها.

٥ ـ أنّ تقلب الناس في الإيمان من أنواع الفتن.

٦ ـ أنّ أعظم فتنة على المؤمن أن يتحول إلى الكفر.

٧ ـ التحذير من الاغترار بالدنيا ومتاعها وشهواتها.

٨ ـ حرص النبي ﷺ على أمته، وحثهم على الإكثار من الطاعات قبل حصول ما يمنعهم من ذلك.

٩ ـ الحديث في أعلام النبوة حيث وقع ما أخبر به النبي ﷺ كما أخبر حذو القذة بالقذة.

١٠ ـ قال العلماء: المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل حصول الفتن فيه فوائد، منها:

أ ـ انتهاز الفرصة قبل فواتها.

ب ـ حصول قوة الإيمان بسبب كثرة الأعمال؛ فإذا وقعت الفتنة ثبت ولم ينقلب على عقبيه، لأن الأعمال الصالحة تكون حماية للإنسان من الفتن؛ لأن الله لا يخيِّب مَن أقبل عليه وعَبَدَه.

ت ـ مَن اعتاد الأعمال الصالحة وحصل له ما يمنعه كتب له ما كان يعمله، فمَن اعتاد على الأعمال الصالحة قبل حدوث الفتن وجاءت الفتن وحالت بينه وبين عادته جرى عليه القلم بما كان يعمله وثبت أجره على الله.

ث ـ مَن ضيَّع الأعمال الصالحة في وقتها تحسَّر على فواتها ولا حين مندم.

● **تكميل:**

إذا قال قائل وسأل سائل: كيف يبيع العبد دينه؟

فالجواب: ما قاله العلماء: أن ذلك من وجوه:

أحدها: أن يكون بين الطائفتين من المسلمين قتال لمجرّد العصبيّة والغضب؛ فيستحلُّون الدم والمال.

وثانيها: أن تكون وُلاة المسلمين ظَلَمَةً، فيُريقون دماء المسلمين، ويأخذون أموالهم بغير حقّ، ويَزنون، ويَشربون الخمر، فيعتقد بعض الناس أنهم على الحقّ، ويُفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرّمات.

وثالثها: ما يجري بين الناس مما يُخالف الشرع من المعاملات والمبايعات وغيرها، فيستحلُّونها.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: والذي يظهر لي أن من أوضح المراد وأبلغه: ما يقع فيه المشتغلون بالسياسات العصرية الوضعية التي لا يضبطها شرع، ولا تقيدها مصلحة الرعية، وقيامها: الغدر والكذب، وقوامها: الاحتيال والتدليس والتلبيس؛ يقول أحدهم قولاً في المساء،

وينقضه في الصباح، ويكون له موقف في الصباح؛ فيتبرأ منه في المساء يدور مع الدنيا وشهواتها وأهلها حيث داروا، ويحل في رحالهم حيث ساروا، وذلك لزعمهم: أن هذا سياسة، وأن السياسة لا علاقة لها بالدين، وكذلك الدين ليس له علاقة بالسياسة.

وهذا ابتداع في الدين، وباطل بيقين؛ فإن السياسة الشرعية من الدين، والدين سياسة عند علماء المسلمين؛ لأنه رعاية شؤون الأمة بما لا يعارض الكتاب والسنة، وإنما فرّق بينهما أهل الأهواء والبدع وأئمة الجور ممن يرون أن الدين يعارض سياستهم ومصالحهم، والله أعلم.

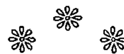
● **فائدة:**

قال شيخنا العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قوله: يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» (أو) هذه للتنويع، وليست للشك، يعني: أنه قد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي كافراً مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا.

فكل ما في الدنيا؛ فهو عرض؛ لقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]؛ وسمي: عرضاً؛ لأنه يعرض ويزول، مهما كان، فكل ما في الدنيا زائل إما أن تزول أنت قبل أن يزول عنك، وإما أن يزول عنك قبل أن تزول عنه، فكيف تبيع الدين الذي به سعادتك في الدنيا والآخرة بعرض من الدنيا؟! هذا كفر.

وهنا نسأل: هل هذا هو الكفر المطلق؟ أو مطلق الكفر؟ أو فيه التفصيل؟

الجواب: الثالث، وهو أن فيه تفصيلاً: فقد يكون كفراً مخرجاً من الملّة، وقد يكون كفراً دون كفر، حسب العرض الذي يبيع به الإنسان دينه»[(١)].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٧٩ ـ ٣٨٠).

٥٣ ـ باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله

١٨٧ ـ (١١٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخر الآية، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو! مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ أَشْتَكَى؟**»، قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى. قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتاً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف.

٢ ـ حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٦١٣ و٤٨٤٦).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**لمّا نزلت هذه الآية**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] **جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبي ﷺ**): نزلت هذه الآية؛ فسمعها، وعلم ما فيها من الأمر بالأدب، والإجلال مع رسول الله ﷺ الصحابي الأنصاري: ثابت بن

قيس، وكان جهوري الصوت، فانقطع عن مجلس رسول الله ﷺ لِمَا علم من النهي عن رفع الصوت، والأمر بخفضه، وما أُعدّ من العقوبة لمن خالف ذلك. وظنّ أنه ممن ناله الوعيد، فقال: إني قد شملني الوعيد؛ فحبطت أعمالي؛ ويا ويلي من ذنبي الذي سيدخلني النار.

قوله: (**ما شأن ثابت؟ أشتكى؟**): ما الأمر الذي دفعه للانقطاع عن مجلسي؟ أمريض يشتكي من وجع به؟ أم ماذا شأنه؟

قوله: (**إنه لجاري، وما علمت له بشكوى**)؛ يقول: إنه يسكن بجواري، ولا أظنه مريضاً يشتكي وجعاً، ولو كان؛ لعلمت.

قوله: (... **ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ**...): إني انقطعت لما تعلمون من علو صوتي عند رسول الله ونزل ما نزل في حقي، ومن ماثلني.

قوله: (**بل هو من أهل الجنة**): أنّ الأمر ليس كما ظنّ، بل هو من أهل الجنة؛ لإجلاله، وإكرامه لرسول الله ﷺ استجابة لأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ.

فقه الحديث:

١ ـ شدة خوف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وحذرهم.

٢ ـ بيان منقبة لثابت بن قيس ـ رضي الله عنه ـ، وأنه من أهل الجنة.

٣ ـ معرفة أصحاب الرسول ﷺ لأسباب النزول، ووقائع الأحداث.

٤ ـ بيان ما أوتي أصحاب رسول الله ﷺ من فهم آيات الذكر الحكيم ومقاصد الشرع.

٥ ـ النهي عن رفع الصوت عند الرسول ﷺ في حياته، وتقديم أقوال الناس على أقواله بعد مماته.

٦ ـ وجوب توقير النبي ﷺ وإجلاله، وتنزيله منزلته التي أنزلها الله ـ تبارك وتعالى ـ له.

٧ ـ أنّ رفع الصوت عند النبي ﷺ من أسباب حبوط الحسنات.

٨ ـ أنّ الأمر للوجوب، وفاعله ينال الثواب، والنهي للتحريم، ومخالفه معرض للعقاب.

٩ ـ يستحب للإمام والقائد أن يتفقد أتباعه وجنده، ويطمئن عليهم، ويحرص على سلامتهم.

١٠ ـ استحباب نداء الرجل بكنيته دون اسمه، ولكن لا يهجر الاسم الأصلي.

١١ ـ استحباب زيارة الإخوة والأصحاب لا سيما عند المرض.

١٢ ـ استحباب نقل الأخبار الحسنة، والبشرى إلى أصحابها.

١٣ ـ تقديم الاعتذار عن الانقطاع عن مجالس العلم، ومرافقة أهل الصلاح، وبيان الأسباب الدافعة لذلك.

١٤ ـ شدّة خوف أهل الإيمان من عذاب الله وإحباط العمل.

١٥ ـ استحباب نقل أحوال الناس إلى الإمام العام؛ ليطلع على أحوالهم، ويقوم بشؤونهم.

١٦ ـ أنّ المبشرين بالجنة أكثر من عشرة.

١٧ ـ كلما ازداد العبد خوفاً من الله ازداد أمناً، فإن ثابتاً لما خاف هذا الخوف من الله ـ ﷻ ـ جاءه الأمن الكامل بأن بشره الرسول ﷺ بالجنة.

١٨ ـ فيه رد على المرجئة الذين يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب أصلاً؛ فالآية بيّنت أن رفع الصوت عند النبي ﷺ يحبط العمل، وهذا يضر بالإيمان ويناقضه، وهو وجه المطابقة في إيراد الحديث في كتاب الإيمان.



١٨٨ ـ (...) وحَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. بِنَحْوِ حَدِيثِ حَمَّادٍ. وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِ ذِكْرُ سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ أنّ رواته كلهم بصريون.

٣ ـ **قوله: (نحو حديث حماد)**؛ أي: حديث جعفر بن سليمان نحو حديث حماد بن سلمة.

٤ ـ **قوله: (وليس في حديثه ذكر سعد بن معاذ)**؛ أي: أن جعفر بن سليمان لم يذكر في حديثه سعد بن معاذ.

٥ ـ رواية جعفر: أخرجها أبو يعلى **(٣٤٢٧)**: حدثنا قطن بن نسير أبو عباد، حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس؛ قال: كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار، فلما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢]، قال ثابت: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ، وأنا من أهل النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة، بل هو من أهل الجنة**».



(...) وحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] وَلَمْ يَذْكُرْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فِي الْحَدِيثِ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ أنّ رواته كلهم بصريون إلاّ شيخه؛ فنيسابوري.

٢ ـ قوله: **(لم يذكر سعد بن معاذ في الحديث)** الضمير لسليمان بن المغيرة.

٣ ـ رواية سليمان بن المغيرة: أخرجها أبو يعلى **(٣٣٣١)**: حدثنا هدبة ـ هو ابن خالد ـ حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس؛ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الحجرات: ٢]؛ قعد ثابت بن قيس بن شماس في بيته، وقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي، وأجهر له بالقول، وأنا من أهل النار، فتفقده النبي ﷺ فأخبروه، فقال: «**بل هو من أهل الجنة**».

قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة، وكان ذاك الانكشاف، لبس ثيابه، وتحنّط، وتقدم فقاتل حتى قُتل.



(...) وحَدَّثَنَا هُرَيْمُ بْنُ عَبْدِالأعْلَى الأسَدِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أبِي يَذْكُرُ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ... وَلَمْ يَذْكُرْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ.

وَزَادَ: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أظهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الْجَنَّةِ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ أنّ رواته كلهم بصريون.

٣ ـ قوله: **(واقتص الحديث)** الضمير لسليمان التيمي.

٤ ـ رواية سليمان التيمي: أخرجها أبو يعلى (٣٣٨١) حدثنا أبو حمزة هريم بن عبدالأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان؛ قال: سمعت أبي يذكر عن ثابت عن أنس بن مالك؛ قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]؛ فقال ثابت بن قيس: أنا والله الذي كنت أرفع صوتي عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**» أو كما قال.

وأخرجها ابن حبان (٧١٦٩): أخبرنا ابن خزيمة، حدثنا محمد بن عبدالأعلى، حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن ثابت، عن أنس؛ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]؛ قال ثابت بن قيس: أنا والله الذي كنت أرفع صوتي عند رسول الله ﷺ، وأنا أخشى أن يكون الله قد غضب عليّ، فحزن، واصفرّ، ففقده رسول الله ﷺ، فسأل عنه، فقيل: يا نبي الله؛ إنه يقول: إني أخشى أن أكون من أهل النار، إني كنت أرفع صوتي عند النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»؛ فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة.

فقه الحديث:

١ ـ بيان إيمان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بما أخبر به الرسول ﷺ من الأمور الغيبية.



٥٤ ـ باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية

١٨٩ ـ (١٢٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «**أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا، وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٠/٨٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: منصور عن أبي وائل.

٤ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦٩٢١).

✲ غريب الحديث:

قوله: (**قال أناس**): من جملتهم عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كما في الرواية الآتية.

قوله: (**يا رسول الله! أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟**)؛ المعنى: هل يحاسبنا الله ـ تعالى ـ على ما كان منّا قبل إسلامنا ونحن نجهله، فقد كنّا نعبد الأصنام، ونقطع الأرحام، ونأكل الربا ومال اليتيم، ونفعل الزنا، ونئد البنات وغير ذلك، فهل إسلامنا وإيماننا كَفِيلٌ بمغفرة ذلك؟

قوله: **(أمّا من أحسن منكم في الإسلام، فلا يؤاخذ بها، ومن أساء...)**؛ أي: من كان مخلصاً بإيمانه صادقاً بالتزامه قولاً وعملاً، واستمر على ذلك حتى مات؛ فلا يؤاخذ بها؛ لأنّ الإسلام يهدم ما قبله.

وأمّا من ادّعى الإسلام، ولمّا يدخل قلبه وينصر أهله، ويوالهم؛ فإنه كاذب في دعواه، لا ينفعه زعمه الباطل، فكأنه لم يتحول من الكفر إلى الإيمان.

فقه الحديث:

١ ـ بيان خوف من أسلم أن يؤاخذ بما بَدَرَ وصَدَرَ منهم في الجاهلية.

٢ ـ أنّ الإسلام يهدم ما قبله من الكفر، والتوبة تجبُّ ما قبلها من الإثم.

٣ ـ أنّ إحسان العمل يكون بالثبات عليه.

٤ ـ أنّ المنافقين لا ينفعهم إظهارهم الإسلام: من نطق بالشهادتين، وإقامة الصلاة، وغيرها من شعائر الدِّين.

٥ ـ وبمفهومه أنّ الرسول ﷺ يأمرهم بالثبات، والالتزام بالإسلام حتى يموتوا.

٦ ـ أنّ المنافقين يعذبون على كفرهم، وعلى زعمهم الإسلام ـ أيضاً ـ.

٧ ـ أنّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، كما أنهم مخاطبون بأصولها.



١٩٠ ـ (...) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَوَكِيعٌ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبي شَيْبَةَ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ؛ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنُؤاخَذُ بِمَا عَمِلْنا فِي

الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلامِ أُخِذَ بالأَوَّلِ، والآخِرِ**».

> **فوائد الإسناد:**

١ ـ أنّ رواته كلهم كوفيون.

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «هذه الأسانيد الثلاثة كلهم كوفيون، وهذا من أطرف النفائس؛ لكونها أسانيد متلاصقة، مسلسلة بالكوفيين»[(١)].

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي وائل.

أما شرحه؛ فقد تقدم الكلام عليه.



١٩١ ـ (...) حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

> **فوائد الإسناد:**

١ ـ رواته كلهم كوفيون.

٢ ـ بيان مهارة مسلم، وتفنُّنه في سَوْق الأحاديث، واختيار رواته، حيث ساق ثلاثة أسانيد متوالية كل رواتها من بلدة واحدة، وهذا من الطريف النادر.

٣ ـ قوله: **(بهذا الإسناد مثله)**؛ أي: أن علي بن مسهر ساقه بسند الأعمش مثل متنه.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٣٦).

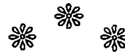
● **تكميل:**

قال المحققون من العلماء: إن المراد بالإساءة في هذه الأحاديث: الكفر؛ لأنه غاية الإساءة، وأشد المعاصي؛ فمن ارتد، ومات على كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب على جميع ما قدمه.

وهذا ما أشار إليه البخاري حيث أورد هذا الحديث بعد قوله ﷺ: «**أكبر الكبائر الشرك**».

وأوردهما في كتاب: «استتابة المرتدين».

فإذا تبين المراد بالحديث؛ فلا تناقض بينه وبين إجماع المسلمين: أن الإسلام يجبّ ما قبله؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].



٥٥ ـ باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الحج والهجرة

١٩٢ ـ (١٢١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ، وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ ـ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى ـ حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ ـ يَعْنِي: أَبَا عَاصِمٍ ـ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنِ ابْنِ شُمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ. فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي، وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضاً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلاَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ؛ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ: فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**»، قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**»، قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهِ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْه، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ، فَلا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي؛ فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

✸ راوي الحديث:

عمرو بن العاص بن وائل بن سهم القرشي السهمي، أبو عبدالله، وأبو محمد، أسلم قبل الفتح بين الحديبية وخيبر، وكان النبي ﷺ يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولاه غزوة ذات السلاسل، واستعمله على عُمان، ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام، وفتح مصر وكان أميرها، وهو أحد دهاة العرب الأربعة، ثم كان مع معاوية بن أبي سفيان زمن الفتنة التي كانت بينه وبين علي ـ رضي الله عنه ـ، وكان عمرو أحد الحكمين، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة **(٤٣هـ)**.

تنبيه: من علامات أهل الأهواء الوقيعة في معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وهما ستر لأصحاب النبي ﷺ؛ فإذا رفع الستر وُلِجَ الباب؛ فشُتم الأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ نعوذ بالله من الخذلان وعدم التوفيق والحرمان.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمصريين من حيوة، والباقون بصريون غير إسحاق؛ فمروزي.

٣ ـ له شيوخ ثلاثة قرن بينهما؛ صرّح ابن المثنى بالتحديث عن أبي عاصم.

٤ ـ حديث عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: **(وهو في سياقة الموت)**؛ سياقة: هو ـ بكسر السين ـ، أي: حال حضور الموت، ونزع الروح.

قوله: **(فبكى طويلاً)**؛ أي: خوفاً من الله ـ تعالى ـ، وتذكر يوم القيامة، مع فضله ومناقبه وبلائه بلاءً حسناً؛ لكنه فعل ذلك اعترافاً بالتقصير وخوفاً مما هو قادم عليه؛ ففي رواية أحمد **(٤/١٩٩)**: قال له ابنه: لَمَ تبك، أجزعاً من الموت؟ قال: لا، ولكن مما بعده.

قوله: **(وحوّل وجهه إلى الجدار)** ابتعاداً عن الحاضرين، لكيلا يشغلوه عما هو فيه من استحضار ملاقاة الله ومناجاته.

قوله: **(فجعل ابنه يقول: يا أبتاه)**؛ أي: ابنه عبدالله جعل يقول له: يا أبي.

قوله: **(أما بشّرك رسول الله بكذا؟ أما بشّرك رسول الله بكذا؟)**؛ كرر عليه ليزداد استبشاره، ويستأنس ولا يحزن.

وفي رواية أحمد: «فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ، وفتوحه الشام، فقال له عمرو: وتركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا الله».

ومما بشّره به رسول الله ﷺ: ما أخرجه الترمذي وأحمد بسند حسن؛ قال ﷺ: «**أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص**».

قوله: **(فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)**؛ أي: توجه عمرو إليهم بعد أن حوّل وجهه إلى الجدار، فأخبرهم أن أفضل عمل يلقى العبد به ربه شهادة التوحيد، وبخاصة عند الموت؛ ففي حديث معاذ بن جبل الصحيح، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**».

قوله: **(إني قد كنت على أطباق ثلاث)**؛ أي: كنت على أحوال، ومنازل ثلاث، ولهذا أنث ثلاثاً إرادة لمعنى أطباق.

قوله: **(لقد رأيتني)**؛ أي: رأيت نفسي.

قوله: **(وما أجد أشد بغضاً لرسول الله مني)**؛ أي: لا يوجد أحد أشد بغضاً للرسول ﷺ من عمرو بن العاص، وذلك قبل إسلامه.

قوله: **(... قد استمكنت منه فقتلته)**؛ أي: قدرتُ عليه فأقتله، وذلك لشدة بغض عمرو في تلك المرحلة للرسول ﷺ.

قوله: **(فلو مت على تلك الحال)**؛ أي: حال بغض رسول الله ﷺ في زمن الكفر.

قوله: **(لكنت من أهل النار)**؛ لكونه كان كافراً بالله - عز وجل - مبغضاً لرسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

قوله: **(فلما جعل الله الإسلام في قلبي)**: أشار إلى الطبق الثاني من أطباقه الثلاثة، وهو عندما تمكن الإيمان من قلبه، وشرح الله صدره للإسلام، واطمأنت نفسه به.

قوله: **(أتيت النبي)**؛ أي: أتيته مهاجراً من مكة إلى المدينة.

قوله: **(ابسط يمينك فلأبايعك)** - بكسر اللام وإسكان العين - على الأمر، أي: أمر المتكلم لنفسه، أو تكون اللام لام كي، وبنصب أبايعك، وتكون اللام سببية، ولعل الثاني أظهر.

والمعنى: ابسط يدك اليمنى؛ لكي أبايعك على الإسلام. وهذا يدل على أن السنّة في المبايعة للرجال أن تكون باليد اليمنى.

قوله: **(فبسط يمينه)**؛ أي: مدّ رسول الله ﷺ يده اليمنى مبسوطة لمبايعة عمرو بن العاص - رضي الله عنه -.

قوله: **(فقبضت يدي)** لإدخال شرط في المبايعة.

قوله: **(قال: ما لك يا عمرو؟)**؛ أي: أي شيء بدا لك في قبض يدك بعد بسطها للمبايعة؟

قوله: **(أردت أن أشترط)**؛ أي: أخبر عمرو رسول الله ﷺ أنه يريد أن يدخل شرطاً في المبايعة.

قوله: **(قال: تشترط بماذا؟)**؛ أي: سأله رسول الله ﷺ عن شرطه الذي يريده.

قوله: **(قلت: أن يغفر لي)**: أخبر عمرو رسول الله ﷺ بشرطه؛ وهو أنه يشترط أن يغفر الله له ذنوبه التي ارتكبها في الجاهلية.

قوله: **(أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله)**؛ الهدم: الإزالة، وذكره هنا استعارة؛ لعدم المؤاخذة.

والمعنى: أنّ الدخول بالإسلام كفيل بإزالة وإسقاط كل الذنوب التي كانت قبل ذلك.

وكذلك الهجرة والحج يزيلان ما كان قبلهما من الذنوب إلا الكبائر.

قوله: (**وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه**)؛ أي: امتلأ قلبي إيماناً فأحببت رسول الله ﷺ حباً لا يوازيه حب أحد من البشر.

قوله: (**وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له**)؛ أي: ما كنت أستطيع أن أنظر إلى رسول الله ﷺ تعظيماً لقدره وهيبته في نفسي.

قوله: (**ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه**)؛ أي: لو سألني أحد أن أصف رسول الله ﷺ لما استطعت وصفه؛ لأني لم أملأ عيني من النظر إليه ﷺ إجلالاً وتعظيماً ومهابةً وحياءً.

قوله: (**ولو متُّ على تلك الحال؛ لرجوت أن أكون من أهل الجنة**)؛ أي: لأن مَن مات على التوحيد دخل الجنة؛ كما دلت على ذلك النصوص المتواترة.

ثم أشار إلى آخر الأطباق.

قوله: (**ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها**)؛ ولينا: ـ بفتح الواو وكسر اللام ـ، من الولاية، وهي إمرة الناس.

والمعنى: أنّ حالي تغير بسبب الولاية، فلا أدري ما جزائي، لعلي ظلمت، أو أسأت، أو أخطأت؟

ويدل على ذلك رواية أحمد: «**ثم تلبّست بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدري عليّ أم لي؟**».

قوله: (... **فلا تصحبني نائحة ولا نارٌ**): النائحة؛ هي: التي ترفع صوتها بالبكاء على الميت قصداً.

وإنما أوصى بذلك؛ لأن عادة أهل الجاهلية أن تخرج نساؤهم خلف الجنازة ينحنَ عليه، ويحملون معهم النار، وقد نُهي عن هذا الفعل.

قوله: **(فإذا دفنتموني)**؛ أي: أردتم دفني؛ **(فشنُّوا عليّ التراب شنًّا)**؛ فشنُّوا: قال النووي: «ضبطناه بالسين المهملة والمعجمة، وكذا قال القاضي: إنه بالمعجمة والمهملة.

قال: «وهو الصب، وقيل: بالمهملة الصب في سهولة، وبالمعجمة التفريق».

قوله: **(ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور)**؛ الجزور: ـ بفتح الجيم ـ؛ وهي من الإبل، وهو لفظ يقع على الذكر والأنثى.

قوله: **(حتى أستأنس بكم)**؛ أي: لأجل أن أجد أنساً بسبب قربكم مني.

قوله: **(وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي؟)**؛ أي شيء يكون جوابي لأسئلة الملائكة الذين يرسلهم الله لسؤالي، وهما الملكان.

فقه الحديث:

١ ـ جواز البكاء على تقصير أو تفريط أو ذنوب قد ارتكبها المسلم أو ظنّ أنه لا يَسلم منها.

٢ ـ الندم مستحب في كل وقت؛ لا سيما عند المرض والموت.

٣ ـ استحباب تنبيه المحتضر على إحسان الظن بالله.

٤ ـ على المحتضر أنْ يُغلب جانب الرجاء على الخَوف.

٥ ـ استحباب تبشير المحتضر بما أعدّ الله للمسلمين.

٦ ـ أنّ أفضل العدة والذخر من أعمال الإيمان توحيد الله ـ تعالى ـ قولاً وعملاً، وكثرة ذكر الشهادتين.

٧ ـ جواز التحدث عن ماضي المرء، شريطة أن تكون منفعة في ذلك، ليس التفاخر.

٨ ـ أنّ بغض رسول الله ﷺ من الكفر الأكبر المخرج من الملة؛ لأنه يضاد الإيمان من كل وجه، وصاحبه متوعد بالنار.

٩ ـ أنّ قتل النبي والرسول كذلك.

١٠ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ هو الهادي لعباده على وجه الحقيقة.

١١ ـ وجوب مبايعة الرسول والإمام، دون سواه من رؤساء الأحزاب، والطرق المبتدعة.

١٢ ـ أنّ المبايعة كالمصافحة تكون باليد اليمنىٰ، وهذا للرجال دون النساء؛ لأن رسول الله ﷺ لم يصافح النساء.

١٣ ـ أنّ الإسلام يهدم كل ما كان قبله من كفر وشرك وغيرهما.

١٤ ـ أنّ الهجرة من مكفرات الذنوب.

١٥ ـ أنّ الحج من مكفرات الذنوب ـ أيضاً ـ.

١٦ ـ بيان فضل الإسلام، والهجرة والجهاد.

١٧ ـ بيان عظم محبة أصحاب الرسول ﷺ له، وإجلالهم وإكرامهم.

١٨ ـ أنّ محبة الرسول ﷺ وتعظيمه وتوقيره من أسباب دخول الجنة.

١٩ ـ بيان خطورة أمر الوِلاية.

٢٠ ـ استحباب الوصية الشرعية، وبيان شيء ممّا يكون فيها.

٢١ ـ النهي عن النياحة، لا سيما خروجها مع الجنازة.

٢٢ ـ النهي عن اتّباع الجنائز بالنار.

٢٣ ـ النهي عن مشابهة أهل الجاهلية جملة وتفصيلاً.

٢٤ ـ استحباب صب التراب على قبر الميت بعد الفراغ من وضعه في اللحد أو الشّق؛ يحثو ثلاث حثوات بيديه؛ كما ثبت مرفوعاً.

٢٥ ـ جواز الإقامة عند القبر ـ لا عليه ـ بقدر هذا الوقت، وينشغل المتأخر عنده بالدعاء له والاستغفار؛ كما ثبت في السنة.

٢٦ ـ جواز قسمة اللحم المشترك ونحوه من الأشياء الرطبة؛ لأن القسمة تمييز حق، وليست بيعاً.

٢٧ ـ أنّ الميت يشعر بوجود الناس عند قبره بعد دفنه.

٢٨ ـ دليل على إثبات عذاب القبر.

٢٩ ـ إثبات سؤال الملكين للإنسان في قبره.

٣٠ ـ أنّ الميت في قبره يحيا حياة خاصة لا نعلمها.

● **نكتة علمية:**

أخبر عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أنه لم يستطع وصف النبي ﷺ؛ لكونه لم يملأ عينيه من ذاته الشريفة.

وهذه حال أكابر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كأبي بكر وعمر وعثمان؛ فلم ينقل عنهم الكثير من أوصافه الذاتية بدقة كما نقل عن غيرهم من الصحابة.

وأما أوصافه الدقيقة ﷺ؛ فمروية عن قسمين من الصحابة:

الأول: مَن لازموه في صغرهم؛ كعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ.

الآخر: صغار الصحابة: كأنس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وهند بن أبي هالة، وابن الزبير ـ رضي الله عنهم ـ.

وسر هذه النكتة: أن كبار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لم يكونوا يملأون أعينهم من النظر إليه ﷺ حتى ينعتوه نعتاً دقيقاً، مما يدل دلالة واضحة أن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ من أكابر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومقدّميهم؛ فتدبَّر هذا المقام الذي ضلَّت فيه أفهام، وزلَّت فيه أقدام.



١٩٣ ـ (١٢٢) حدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ ـ وَاللَّفْظُ لإِبْرَاهِيمَ ـ قَالا: حَدَّثَنَا حَجَاجٌ ـ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ ـ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا؛ فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا؛ فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ، فَقالُوا: إنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً! فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونَزَلَ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٧/٢٣).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ حديث عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٣٨٥٥ و٤٥٩٠ و٤٧٦٢ ـ ٤٧٦٦**).

✹ غريب الحديث:

قوله: (**أن ناساً من أهل الشرك**)؛ جمع إنسان، وفي رواية للبخاري: أنهم مشركو مكة. وفي رواية للطبراني: أن السائل وحشي بن حرب قاتل حمزة.

قوله: (**قتلوا فأكثروا**)؛ أي: قتلوا أنفساً وأكثروا القتل.

قوله: (**ثم أتوا محمداً ﷺ**)؛ أي: جاءوا إلى رسول الله ﷺ.

قوله: **(فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن)**؛ أي: دينك حسن.

قوله: **(لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة)**؛ أي: لو تخبرنا لو أسلمنا هل لما فعلناه من المعاصي توبة.

فقه الحديث:

١ ـ بيان سماحة هذه الشريعة وعدالتها.

٢ ـ أنّ الواجب على الجاهل أن يسأل ويتعلم، وأنّ الواجب على العالم أنْ يعلم الجاهل ويرحم.

٣ ـ بيان سبب نزول الآيتين.

٤ ـ أنّ الذنب مهما كبر؛ فعفو الله أكبر.

٥ ـ أنّ التوبة تقبل من جميع الخلق، ولو كان كافراً عدواً للإسلام والمسلمين.

٦ ـ أنّ الإيمان يزيد وينقص.

٧ ـ بيان سعة رحمة الله ومغفرته؛ حيث وعد بالتوبة والمغفرة مَن أساء فأسرف على نفسه.

٨ ـ الإسلام يهدم ما كان قبله، وهو وجه إيراده في كتاب الإيمان؛ لأن الإسلام إذا أفرد تضمن الإيمان.

٩ ـ تيسير الله دخول الدين على الناس؛ فالكفار يرتكبون الجرائم والموبقات، ومع ذلك فهو يدعوهم ليغفر لهم، ويسهّل التوبة عليهم، ويخبرهم أن الإسلام يهدم ما قبله؛ ليكون ذلك أقرب لدخولهم في الدين، وأدى لقبولهم لكلمة المسلمين؛ لأنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما تابوا، ولا أسلموا.

● **تكميل:**

اختلف العلماء في توبة قاتل المؤمن عمداً:

ومذهب أهل السنّة والجماعة: أن القاتل إذا تاب توبةً نصوحاً قُبلت، ولا يوجد ما يحول بينه وبين التوبة، وقالوا:

١ ـ آية النساء [**٩٣**]: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ مخصصة بآيات سورة الفرقان وأحاديث كثيرة؛ منها: حديث الرجل الذي قتل مائة نفس.

ناهيك أن آية سورة النساء في عقوبة القاتل وليس في توبته، وآية الفرقان في عقوبته وتوبته؛ فلا تعارض ولا اختلاف، وهذا ظاهر جداً.

٢ ـ أن جمهور الصحابة ـ ﷺ ـ قال بذلك إلا ما روي عن ابن عباس وابن عمر.

أما ابن عباس؛ فقد ثبت تراجعه وموافقته لجمهور الصحابة ـ ﷺ ـ:

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (**٤**) بسند صحيح عن عطاء بن يسار عن ابن عباس ـ ﷺ ـ أن رجلاً أتاه، فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبّت أن تنكحه، فغرت عليها، فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تُب إلى الله، وتقرّب إليه ما استطعت. فذهبت، فسألت ابن عباس: لِمَ سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله ـ ﷻ ـ من بِر الوالدة.

وأخرج ابن جرير الطبري في «تفسيره» (**١٣٨/٥**) بسند جيد عن سعيد عن ابن عباس ـ ﷺ ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: **٩٣**]؛ قال: ليس لقاتل توبة؛ إلا أن يستغفر الله.

وبذلك صار الأمر كالإجماع.



٥٦ ـ باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده

١٩٤ ـ (١٢٣) حَدّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ أُموراً كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**».



والتَحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ.

❋ راوي الحديث:

حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي الأسدي، أبو خالد القرشي الأسدي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين ومن أشراف قريش، ولد في الكعبة قبل الفيل بـ(**١٣**) سنة.

جاء الإسلام وفي يده الرفادة، وكان يفعل المعروف، ويصل الرحم، وكان صديق النبي ﷺ قبل البعثة، تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفة، وشهد حنيناً. توفي بالمدينة سنة (**٥٤هـ**) وله مائة وعشرون سنة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ نصفه مسلسل بالمصريين، ونصفه الثاني بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الزهري عن عروة.

٤ ـ حديث حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري (**١٤٣٦ و٢٢٢٠ و٢٥٣٨ و٥٩٩٢**).

* غريب الحديث:

قوله: **(أرأيت أموراً كنت أتحنّث بها في الجاهلية، هل لي فيها من شيء؟)**؛ أي: أخبرني عن الأعمال التي كنت أتعبّد بها في جاهليتي قبل الإسلام من صدقة وصلة وعتاقة، هل لي فيها من أجر؟

قوله: **(أسلمت على ما أسلفت من خير)**؛ أي: أن العبادات السابقة في حال شركك قبلها الله منك، وأثابك عليها بعد إسلامك.

قوله: **(والتحنُّث: التعبُّد)**؛ قال المازري: «تحنَّث الرجل؛ إذا فعل فعلاً خرج به عن الحنث، والحنث: الذنب، وكذلك تأثم؛ إذا ألقى عن نفسه الإثم، ومثله تحرَّج وتحوَّب؛ إذا فعل فعلاً خرج به من الحرج والحوب، وفلان يتهجد؛ إذا كان يخرج من الهجود، ويتنجس؛ إذا فعل فعلاً يخرج به من النجاسة، وامرأةٌ قذور إذا كانت تتجنب الأقذار، ودابة رَيِّضٌ إذا لم تُرض»[1].

قلت: وقد ثبت في «الصحيحين» بلفظ: «أتحنث» ـ بالثاء المثلثة ـ، وعند البخاري: «أَتَحَنَّت» ـ بالتاء المثناة ـ وجاء تفسيرها عندهما بـ«التبرر». وعند الإسماعيلي: «أتجنّب» ـ بالباء الموحدة من تحت ـ.

قال الحافظ: «أتحنّت: يعني بالمثناة بدل المثلثة، يشير إلى ما أورده هو في «باب شراء المملوك من الحربي» في كتاب البيوع، عن أبي اليمان بلفظ: «كنت أتحنت أو أتحنث» بالشك، وكأنه سمعه منه بالوجهين؛ وتقدم في كتاب الزكاة ما صوّبه عياض من ذلك.

وقال ابن التين: ««أتحنت» ـ بالمثناة ـ لا أعلم له وجهاً. انتهى».

ووقع عند الإسماعيلي «أتجنب» ـ بجيم وآخره موحدة ـ فقال: قال البخاري: «يقال: أتجنب». قال الإسماعيلي: والتجنب تصحيف، وإنما هو التحنث، مأخوذ من الحنث؛ وهو: الإثم؛ فكأنه قال: أتوقى ما يؤثم.

---

(١) الإكمال (١/٤١٤).

قلت: وبهذا التأويل تقوى رواية «أتجنب» ـ بالجيم والموحدة ـ ويكون التردد في اللفظتين وهما: «أتحنث» ـ بمهملة ومثلثة ـ و«أتجنب» ـ بجيم وموحدة ـ.

والمعنى واحد، وهو: توقي ما يوقع في الإثم، لكن ليس المراد توقي الإثم؛ بل أعلى منه، وهو تحصيل البر»[1].

وقال في موطن آخر: «وذكر الكرماني: أنه روي هنا أتحبّب بموحدتين، وكان الأولى أن ينسبها لقائلها».

قلت: وكلام القاضي الذي أشار إليه هو: «رواه جماعة من الرواة في البخاري ـ بالمثلثة وبالمثناة ـ، وبالمثلثة أصح رواية، ومعنى». وليس هو في «الإكمال».

فقه الحديث:

١ ـ بيان بعض صفات العرب الحميدة التي كانوا يتصفون بها قبل الإسلام.

٢ ـ أن الكافر والمشرك قد تصدر منه بعض أعمال الخير والبر.

٣ ـ سؤال العالم عمّا يهم المرء من أمور دينه ودنياه.

٤ ـ الحرص على زيادة الحسنات، وعلو الدرجات.

٥ ـ خيار الناس في الجاهلية هم خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

٦ ـ أن مَنْ حسن إسلامه؛ فإن الله يكتب له كل عمل خالص فعله في جاهليته.

٧ ـ دليل على صحة ملك المشرك، إذ صحة العتق متوقفة على صحة الملك.

٨ ـ إنفاذ عتق المشرك واعتباره.

٩ ـ أن حكيماً بن حزام ـ رضي الله عنه ـ عاش في الجاهلية والإسلام.

---

(١) «الفتح» (١٢/٣٣).

١٠ ـ سعة فضل الله ـ عَجَلَّ ـ ورحمته، وأنه لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً.

١١ ـ فضل الإسلام حيث عادت بركته على ما صدر قبله من أعمال صالحة، فقُبلت بسببه.



١٩٥ ـ (...) وحَدَّثَنَا حَسَن الْحُلْوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ـ قَالَ الْحُلْوَانِيُّ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ عَبْدٌ: حَدَّثَنِي ـ يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ـ حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَيْ رَسُولَ الله! أَرَأَيْتَ أُمُوراً كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ عَتَاقَةٍ، أَوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَفِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**».

● فوائد الإسناد:

١ ـ فيه ثلاثة تابعين يروي بعضهم عن بعض، صالح ـ وهو ابن كيسان ـ، عن الزهري ـ وهو ابن شهاب ـ، عن عروة بن الزبير.

٢ ـ وفيه رواية الأكابر عن الأصاغر؛ فإن ابن شهاب أصغر من صالح، وهو شيخه في الرواية.

٣ ـ ومن اللطائف: أن صالح بن كيسان كان مؤدب ابن شهاب في الصِّغر، فلما كبر أخذ عنه الحديث؛ فللّه دَرُّهم.

٤ ـ بيان دقة مسلم وأمانته في الرواية، حيث مايز بين ألفاظ مشايخه.

٥ ـ الإشعار بالفرق بين «حدثنا»، و«حدثني»، وكذا «أخبرنا»، و«أخبرني».

فقه الحديث:

١ ـ تعظيم أمر الصدقة، وصلة الرحم، والعتاقة في الجاهلية.



حَدَّثَنَا إِسْحاقُ بْن إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. قَالاَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: **(عن الزهري بهذا الإسناد)**؛ أي: عن عروة عن حكيم بن حزام.

٢ ـ طريق معمر عن الزهري: ساقها البخاري في «صحيحه» (١٤٣٦): حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا هشام، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية، من صدقة، أو عتاقة، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: **«أسلمت على ما أسلفت من خير»**.



(ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَشْيَاء كُنْتُ أَفْعَلُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ـ قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي أَتَبَرَّرُ بِهَا ـ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ»**، قُلْتُ: فَوَاللّهِ لاَ أَدَعُ شَيْئاً صَنَعْتُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ فَعَلْتُ فِي الإِسْلاَمِ مِثْلَهُ.

غريب الحديث:

قوله: **(أتبرر بها)**: ـ بالموحدة وراءين الأولى ثقيلة ـ؛ أي: أطلب بها البر، وطرح الحنث.

قال الحافظ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وقوله: «يعني: أتبرر» هو من تفسير هشام بن عروة راويه؛ كما ثبت عند مسلم والإسماعيلي، وقصر من زعم أنه تفسير البخاري»[1].

قوله: (**لا أدع شيئاً..**)؛ أي: لا أترك فعل شيء من البر كنت أفعله في الجاهلية إلا استمريت عليه في الإسلام.

ومن ذلك: أنه لما توفي الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لقي حكيم ابنه عبدالله بن الزبير، فقال له: كم ترك أخي من الدَّيْن؟ قال: ألف ألف. قال حكيم: عليّ خمسمائة ألف.

ومن ذلك: أنه ولد في جوف الكعبة؛ حيث دخلت أم حكيم مع نسوة الكعبة، فضربها المخاض، فأتيت بنطع حين أعجلتها الولادة، فولد حكيماً في الكعبة.

قال السيوطي في «ألفيته»:

ثم حكيم مفرد بأن ولد ... بكعبة وما لغيره عهد

وأنه عاش مئة وعشرين سنة نصفها في الإسلام ونصفها في الجاهلية، وأشار السيوطي إلى ذلك بقوله:

وعدة من الصحاب وصلوا ... عشرين بعد مائة تكلموا
ستون في الإسلام حسان يلي ... حويطب مخرمة بن نوفل
ثم حكيم ضمن سعيد ... وآخرون مطلقاً لبيد
عاصم سعد نافع منتجع ... لجلاج أوس وعدي نافع
نابعة ثمة حسان انفرد ... أن عاش ذا أب وجد وجد

وكان معروفاً بكثرة العتاقة؛ فقد أعتق مائة رقبة في الجاهلية، وفي الإسلام مثلها، وساق في الجاهلية مائة بدنة، وفي الإسلام مثلها؛ كما سيأتي.

---

(١) «الفتح» (٥/٤٧٥).

فقه الحديث:

١ ـ جواز القسم على الأمر؛ لتأكيده وإلزام النفس به.

٢ ـ بيان صدق الإيمان وحب الإحسان.

٣ ـ منقبة لحكيم بن حزام ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ في الجاهلية والإسلام.

٤ ـ أنه كان صديقاً حميماً لرسول الله ﷺ قبل المبعث، وبقي على ودِّه وحبِّه له بعد البعثة؛ ففي المسند **(٣/٤٠٢ ـ ٤٠٣)**، والطبراني في «الكبير» **(٣١٢٥)**، والحاكم في «المستدرك» **(٣/٤٨٤ ـ ٤٨٥)** عن حكيم بن حزام؛ قال: كان محمد ﷺ أحب الناس إليّ في الجاهلية، فلما نبِّىء وهاجر شهد حكيم الموسم كافراً، فوجد حلّة لذي يزن تباع، فاشتراها بخمسين ديناراً ليهديها إلى رسول الله ﷺ، فقدم بها عليه المدينة، فأراده على قبضها هدية، فأبى، وقال: «**إنا لا نقبل من المشركين شيئاً، ولكن إن شئت بالثمن**»، قال: فأعطيته حين أبى عليّ الهدية.



١٩٦ ـ (...) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِئَةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَى مِئَةِ بَعِيرٍ ثُمَّ أَعْتَقَ فِي الإِسْلاَمِ مِئَةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَى مِئَةِ بَعِيرٍ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: **(عن أبيه: أن حكيم بن حزام)**؛ ظاهر هذه الرواية الإرسال؛ لأن عروة لم يدرك زمن هذه القصة.

وليس كذلك لأمرين:

الأول: رواية هشام التي قبلها بلفظ (عن حكيم) بيّنت الاتصال.

الآخر: لفظ البخاري في «العتق» من طريق أبي أسامة عن هشام: أخبرني أبي: أن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ أعتق في الجاهلية مائة رقبة،

وحمل على مائة بعير، فلما أسلم حمل على مائة بعير، وأعتق مائة رقبة، قال: فسألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! أرأيت أشياء كنت أصنعها في الجاهلية، كنت أتحنّث بها؟ - يعني أتبرر بها -؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**».

قال الحافظ - رحمه الله -: «ظاهر سياق الإرسال: لأن عروة لم يدرك زمن ذلك، لكن بقية الحديث أوضحت الوصل، وهي قوله: «فسألت»؛ ففاعل «قال» هو حكيم؛ فكأن عروة قال: قال حكيم، فيكون بمنزلة قوله عن حكيم»[1].

٢ - قوله: (فذكر نحو حديثهم)؛ الضمير يعود على عبدالله بن نمير؛ أي: ذكر عبدالله نحو حديث الرواة السابقين.

٣ - رواية ابن نمير ساقها الحافظ أبو نعيم في «مستخرجه» **(٣٢٠/١٩٢/١)**: حدثنا أبو بكر الطلحي، ثنا عبدالله بن غنام، ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، ثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة عن أبيه: أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير، ثم أعتق في الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بعير، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرأيت شيئاً كنت أفعله في الجاهلية، أتحنث به هل لي فيه أجر؟ فقال النبي ﷺ: «**أسلفت على ما سلف من خير**».

● **تكميل:**

قال شيخنا ابن العثيمين - رحمه الله -: «حديث حكم بن حزام هذا بجميع سياقاته على العكس مما سبق في الذنوب التي تعمل في الجاهلية: هل إذا تاب الإنسان منها تُمحى أم لا؛ وتبين أنها تُمحى.

الثانية على العكس: الأعمال الصالحة التي فعلها الإنسان في الجاهلية، هل تمحى أم تبقى؟

(١) «فتح الباري» (٢٠١/٥).

الجواب: تبقى؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه، فالسيئات تمحى بالإسلام، والحسنات تبقى وتُكتب للإنسان.

وهذا في الحقيقة من آثار سبق رحمة الله غضبه، ومن آثار هذه الصفة العظيمة: أن الإنسان لا يؤاخَذ بما عمل من السيئات إذا أسلم، ويثاب على ما فعل من الحسنات في كفره إذا أسلم.

فإن قيل: هل الحسنات التي عملها الكافر في الجاهلية تبقى بمجرد إسلامه أم يشترط أن يستمر في هذه الحسنات بعد إسلامه؟

فالجواب ليس بشرط.

أما التزام حكيم ـ رضي الله عنه ـ فهذا من عند نفسه؛ كونه يقول: إنه لا يترك عملاً كان يعمله في الجاهلية؛ فهذا من عند نفسه، والرسول ﷺ قال: «**أسلمت على ما أسلفت من الخير**».

وهنا نسأل: إذا كان الكافر قد عمل حسنات لا يقصد بها وجه الله، فهل تُكتب له؟

الجواب: تُكتب؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**»؛ والخير الذي فعله نفعه متعدٍّ.

وهل يقال هذا الجواب في حق مَن كان يجمع أموالاً بطرق غير مشروعة؛ كالتمثيل والغناء وغيره ثم تاب عن هذا؟

فالجواب: إن كان يعلم بأنه حرام، فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وعليه فالأموال له، أما إذا كان يعلم، فالواجب عليه أن يتصدق بها تخلُّصاً منها»(١).

فقه الحديث:

١ ـ بيان لعدد الرقاب والأبعرة التي تصدق بها في الجاهلية والإسلام.



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٣٩٩).

٥٧ ـ باب صدق الإيمان وإخلاصه

١٩٧ ـ (١٢٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُالله بْنُ إِدْرِيسَ، وأَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِالله، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ**: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ إسناد رجاله كوفيون كلهم.

٣ ـ أن رواته كلهم حفاظ متقنون في نهاية الجلالة.

٤ ـ وفيه: رواية ثلاثة من التابعين بعضهم يروي عن بعض؛ وهم: سليمان الأعمش، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس.

٥ ـ أن الثلاثة فقهاء أئمة.

٦ ـ هذا الإسناد أصح الأسانيد عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

٧ ـ قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «والأعمش موصوف بالتدليس، ولكن في رواية حفص بن غياث التي تقدمت الإشارة إليها عند المؤلف ـ أي: البخاري ـ عنه: حدثنا إبراهيم. ولم أرَ التصريح بذلك في جميع طرقه عند

الشيخين، وغيرهما إلا في هذا الطريق»[1]، بل صرّح بالتحديث في رواية شعبة عنه عند ابن منده في «الإيمان» (١/٤١٧/٢٦٦).

٨ ـ قلت: قلّ اجتماع مثل هذا الذي اجتمع في هذا الإسناد؛ فإن هذا يُظهر جلالة الإمام مسلم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وتفننه وحسن صناعته الحديثية.

٩ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري **(٣٢ و٣٤٢٨ و٣٤٢٩ و٤٦٢٩ و٤٧٧٦ و٦٩١٨ و٦٩٣٧)**.

* غريب الحديث:

قوله: **(لما نزلت:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: **شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ)**:

الإيمان: هو التصديق والإقرار؛ وهو: قول وعمل واعتقاد، له أصل وشعب.

اللبس: الخلط، تقول: لبست الأمر بالتخفيف، ألبسه ـ بالفتح ـ في الماضي، ـ والكسر ـ في المستقبل؛ أي: خلطته.

الظلم ـ لغة ـ: وضع الشيء في غير موضعه.

وشرعاً: مخالفة الشرع، وهو درجات وأنواع كثيرة يبدأ بالصغيرة، وينتهي بالكفر، والشرك، والردة عن الدِّين.

و«الظلم في الآية نكرة في سياق النفي، قال المحققون: إن دخل على النكرة في سياق النفي ما يؤكد العموم ويقويه نحو: «من» في قوله: ما جاءني من رجل؛ أفاد تخصيص العموم، وإلا فالعموم مستفاد بحسب الظاهر؛ كما فهمه الصحابة من هذه الآية، وبيّن لهم الرسول ﷺ أن ظاهرها غير مراد؛ بل هو من العام الذي أُريد به الخاص، فالمراد بالظلم أعلى أنواعه وهو الشرك»؛ قاله الحفاظ في «الفتح».

والمعنى: لما أنزل الحق سبحانه كلامه المقدس على النبي الأمين بهذا النص؛ شقّ ذلك على قلوب أصحابه الطيبين الطاهرين؛ لشدة خوفهم من

---

(١) «فتح الباري» (١/١١١).

ربهم، وصدق إيمانهم، وحرصهم على العدل بكل أنواعه، ومع كل أحدٍ حتى مع أنفسهم؛ ظنوا أن الآية عنتهم فكان منهم ما كان.

قوله: **(قالوا: أينا لا يظلم نفسه؟)**؛ سألوا المعلم الأكبر، والرسول الأعظم أمين وحي الله ـ تعالى ـ عن ذلك قائلين: مَنْ مِنَ الناس لا يقع في ظلم لنفسه، ولو للتربية والمجاهدة، ولأنا ممن لا يسلم من الخطأ؟!

قوله: **(فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ **[لقمان: ١٣])**؛ فقال لهم الرسول المعلّم: ليس الظلم المذكور في الآية هو الظلم الذي تذهبون إليه، وهو العام أياً كان نوعه؛ بل هو مخصوص بالعظيم الذي بلغ الذروة من الفظاعة، وهو الشرك بالله.

واستدل لذلك بقول الله ـ تعالى ـ على لسان لقمان الحكيم في وصيته لابنه وهو يعظه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ فصار بعد ذلك البيان المعنى واضحاً، أن المؤمن الذي يخالط إيمانه شرك؛ فقد وقع في أعظم أنواع الظلم وأقبحها. فزال عنهم الخوف وانقطع الروع. كل ذلك حرصاً منهم على تحصيل الأمن والهداية الكاملتين في الدارين؛ لعلمهم اليقيني بفضلهما وعلو أهلهما، ـ فرضي الله عنهم وأرضاهم ـ أبداً إلى يوم الدِّين.

فقه الحديث:

١ ـ بيان دقة فهم الصحابة ـ ﷺ ـ للقرآن، وعلو كعبهم في هذا العلم.

٢ ـ الأصل في النصوص الحمل على العموم؛ حتى يرد دليل يخصه.

٣ ـ أن النكرة في سياق النفي تعم.

٤ ـ أن الخاص يقضي على العام، والمبين على المجمل.

٥ ـ أن اللفظ يحمل على خلاف ظاهره لمصلحة دفع التعارض عند عدم التوفيق بينهما.

٦ ـ جواز إطلاق اللفظ العام، وإرادة الخصوص به.

٧ ـ بيان شدة خوف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من المعاصي.

٨ ـ أن المعاصي لا تسمى شركاً على الإطلاق.

٩ ـ سؤال أهل العلم عمّا يشكل من العلوم والمسائل.

١٠ ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على فهم كتاب الله ـ تعالى ـ.

١١ ـ دليل على علو الله على خلقه، إذ النزول لا يكون إلا من أعلى.

١٢ ـ أهمية فهم القرآن والاهتمام بتفسيره؛ وهو من العلوم المضيعة اليوم.

١٣ ـ أن أولى وأول طرق تفسير القرآن أن يُفسر بالقرآن والسنّة.

١٤ ـ من واجب العالم تصحيح الفهم الخطأ.

١٥ ـ أن الظلم أنواع ودرجات متفاوتة.

١٦ ـ أن الشرك من أعظم أنواعه.

١٧ ـ أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وكفر، وإسلام وشرك.

١٨ ـ ذم الظلم كله.

١٩ ـ فضيلة التوحيد والموحدين.

٢٠ ـ بيان خطورة الشرك.

٢١ ـ أن من لم يشرك بالله ـ قط ـ فله الأمن والهداية.

٢٢ ـ إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة.

٢٣ ـ بيان عظم كل من الأمن والهداية وفضلهما.

٢٤ ـ بيان حسن موعظة لقمان.

٢٥ ـ أن المواعظ تكون بالتوحيد وغيره، لا كما يصنعه القصاص اليوم وتفهمه العامة.

٢٦ ـ وجوب وصية الآباء للأبناء بتوحيد الله، واجتناب الشرك.

٢٧ ـ منقبة لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن كان معه على الإيمان من قومه.

٢٨ ـ منقبة طاهرة للقمان الحكيم، وليس هو بنبي كما يظنه العامة.

٢٩ ـ الحديث فيه حجيَّة على صحة مذهب السلف الصالح؛ وهو: فهم النصوص على مراد الله وعلى مراد رسوله، لذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يرجعون في فهم الأحاديث والآيات إلى رسول الله ﷺ، وهذا يدل على عظم فهمهم، وعلى حجيَّة علمهم، وعظيم قدرهم، وقدر توجيههم وهديهم.

٣٠ ـ أن فهم اللغة العربية دون الرجوع للكتاب والسنّة لا يكفي في فهم الكتاب والسنّة؛ فالصحابة عرب أقحاح يتنفسون اللغة العربية ومع ذلك لم يفهموا الآية على مراد الله إلا بعد بيان رسول الله ﷺ.

والاعتماد على اللغة بمفردها دون الرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم السلف: من أسباب الانحراف عن الصراط المستقيم، والابتداع في الدين!

٣١ ـ ينبغي على الإنسان وإن كان موثوقاً عند الناس أن يذكر مستنده ودليله؛ لأن ذلك أبلغ في طمأنينة المخاطب، ولذلك ذكر الرسول ﷺ مستنده، وهو قول العبد الصالح لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].



١٩٨ ـ (...) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ؛ قَالا: أَخْبَرَنَا عِيسَى ـ وَهُوَ ابْنُ يُونُس. (ح) وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، كُلُّهُمْ عَنِ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ.

قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: حَدَّثَنِيهِ أَوَّلاً أَبِي، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، عَنِ الأَعْمَشِ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

- **فوائد الإسناد:**

١ ـ هذا تنبيه منه ـ أي: مسلم ـ على علو إسناده هنا، فإنه نقص منه رجلان، وسمعه من الأعمش، وقد تقدم مثل هذا في باب: الدِّين النصيحة؛ قاله النووي.

٢ ـ قوله: **(كلهم عن الأعمش بهذا الإسناد)**؛ أي: عيسى بن يونس، وعلي بن مسهر، وعبدالله بن إدريس رووه عن الأعمش بالسند السابق.

٣ ـ رواية هؤلاء الثلاثة عن الأعمش ساقها ابن منده مع زيادة أبي معاوية وجرير ووكيع وعبدالله بن نمير وحفص بن غياث في «الإيمان» (٢٦٧/٤١٨/١).

ورواية أبي كريب ساقها ابن منده ـ أيضاً ـ في «الإيمان» (٢٦٨/٤١٨/١).

٤ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «لماذا هذا الاحتراز؟ قال: هكذا؛ لئلا يأتي شخص رواه عنه بالإسناد الأول؛ فيظن أحد أمرين: إما أن يكون من باب المزيد في متصل الأسانيد، وإما أن يكون منقطعاً.

وهذا من احترازات المحدثين.

ففي هذا الطريق رواه عن الأعمش مباشرة، وكان في الأول بينه وبين الأعمش أبوه؛ فخاف أن أحداً يكون سمعه بالإسناد، ثم يسوقه بالإسناد الأول، ثم يأتي هذا الإسناد؛ فيقال: إذا كان الإسناد الثاني ناقصاً ثقة؛ فالأول زائد، ويسمونه: المزيد في متصل الأسانيد.

وإن كان الأول الذي زاد هو الثقة؛ صار الثاني منقطعاً؛ فيكون الإسناد على هذا معيباً»[1].

---

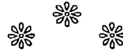
(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٠٢ ـ ٤٠٣).

● **إشكالان والجواب عليهما:**

الأول: فإن قيل: لا يلزم من قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] أن غير الشرك لا يكون ظلماً؟ فالجواب: أن التنوين في قوله: «﴿لَظُلۡمٌ﴾ للتعظيم، وقد بيّن ذلك استدلال الشارع بالآية، فالتقدير لم يلبسوا إيمانهم بظلم منه، وقد ورد ذلك عند المؤلف (أي: البخاري) في قصة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ من طريق حفص بن غياث عن الأعمش ولفظه: «قلنا: يا رسول الله ﷺ! أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك. أوَلم تسمعوا إلى قول لقمان**»، فذكر الآية.

الثاني: فإن قيل: فالعاصي قد يعذب فما هو الأمن، والاهتداء الذي حصل له؟

فالجواب: أنه آمن من التخليد في النار، مهتدٍ إلى طريق الجنة، والله أعلم. قاله الحافظ في «الفتح».



٥٨ ـ باب بيان أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يكلف إلا ما يطاق

١٩٩ ـ (١٢٥) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لأُمَيَّةَ ـ قَالا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ ـ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ ـ عَنِ الْعَلاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتدّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الركَبِ، فَقَالُوا: أيْ رَسُولَ الله! كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلاةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهادُ وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ، ولاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**». قَالُوا: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ ربَّنَا وإِلَيْكَ الْمصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللّهُ ـ تَعَالَى ـ. فَأَنْزَلَ اللّهُ ـ عز وجل ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾، قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قَالَ: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: نعم.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ نصفه مسلسل بالبصريين، والثاني بالمدنيين.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي، والابن عن أبيه: العلاء عن أبيه.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد الإمام مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: (**لما نزلت على رسول الله ﷺ**: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]): الوحي المطهر ينزل بالخير، والهدى على النبي ﷺ، يقرر في هذا الموطن تمام وكمال الملكية لله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له، (ما) المذكورة هنا أول الآية بمعنى (الذي)، وهي متناولة لمن يعقل وما لا يعقل، وهي عامة لا تخصيص فيها بوجه؛ لأن كلّ مَن في السمٰوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما خلق الله ـ تعالى ـ ومُلك له، وأما ما ورد من إثبات المُلكية لغير الله في عدة آيات من سور مختلفة، فهو مُلك محدود لا يشمل إلا شيئاً يسيراً من هذه المخلوقات؛ فالإنسان يملك ما تحت يده، ولا يملك ما تحت يد غيره، وكذا هو ملك قاصر من حيث الوصف؛ فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أُذن له فيه شرعاً، إذاً فهو ملك صوريٌ مؤقت.

و(ما) الثانية؛ ما في أنفسكم فهي ـ أيضاً ـ على عمومها، فتتناول كلّ ما يقع في نفس الإنسان من الخواطر ما أطيق دفعه منها وما لا يطاق. فالله ـ تعالى ـ سيحاسب الناس على ما ظهر من أعمالهم وما خفي منها، فالظاهر والباطن عنده سواء، وهو الحكم العدل الذي لا يظلم أحد عنده، فمن شاء غفر له، ومن شاء عذّبه لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه. عند ذلك اشتد

الأمر على الصحب الكرام؛ لأنه امتحان للقلوب، ومحاسبة للنفس قد بلغت أعلى درجاتها؛ حتى شقّ الأمر على سادات المتقين، وخير خلق الله بعد النبيين والمرسلين؛ أكمل الناس إيماناً وأسرعهم إذعاناً.

قوله: **(قال: فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب)**: قال النووي: «إنما أعاد لفظة: «قال» لطول الكلام، فإن أصل الكلام: لما نزلت اشتد، فلما طال حسن إعادة لفظة «قال»، وقد تقدم مثل هذا في موضعين من هذا الكتاب، وذكرت ذلك مبيناً، وأنه جاء مثله في القرآن العزيز في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾، فأعاد ﴿أَنَّكُمْ﴾ [المؤمنين: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ [البقرة: ٨٩]، والله أعلم».

والمعنى: صعب عليهم هذا الامتحان الذي يهون عنده كل امتحان؛ حتى ضرب السيف؛ فهرعوا إلى الرسول الرحيم والمعلم الكريم، وجلسوا عنده جلسة المسترشد المستفيد التي تدل على أدبهم معه ﷺ.

قوله: **(فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت هذه الآية ولا نطيقها)**؛ أي: بمعنى «يا» حرف نداء، ويكون لكل من القريب والمتوسط والبعيد.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ كلفنا بما نطيقه ـ من صلاة وصيام وجهاد وصدقة ـ فأجبنا وانقدنا، وأمّا ما في هذه الآية من التكليف ما لا نطيقه؛ لصعوبته على النفس البشرية، وإن لم نفعل ما أمرنا الله به نخشى أن نهلك بمخالفتنا لأمر ربنا؟

قوله: **(أتريدون أن تقولوا؛ كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)**: هل تريدون أن تكونوا؛ كاليهود والنصارى، وهم: المغضوب عليهم، والضالون من ردهم لأحكام الله، وأوامره، ومخالفتهم الصريحة المصادمة للتشريع بعقولهم

الفاسدة، وذلك في قوله ـ تعالى ـ عنهم؛ كما في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، يقول لهم: تعس هذا الإيمان، وتعستم به إذ حملكم على الكفر بالله، وعبادة غيره، ولم تؤمنوا به؛ فتوحدوه بالعبادة.

وهذا استفهام إنكاري؛ فيه الزجر عن هذا الفعل والقول.

وأرشدهم إلى ما فيه صلاحهم، ونجاحهم؛ وهو: الذل والإذعان والاستسلام لأمره سبحانه، وأن يطلبوا المغفرة من ربهم على الذي بدا منهم.

قوله: (**قالوا**: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ **فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها**: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . .﴾) بعد هذا سلَّم القوم لذلك، وأذعنوا، ووطّنوا أنفسهم على أنهم كُلِّفوا في الآية بما لا يطيقونه، واعتقدوا ذلك، فقد عملوا بمقتضى ذلك العموم.

فقرأوا القرآن مع الصعوبة إلى أن هانت، ولانت بها ألسنتهم. بعد هذا الحال الطيب المشرف من الصحابة ﷺ أنزل الله ـ تعالى ـ شهادة الصدق والحق بإيمان الرسول ﷺ والصحابة ﷺ الكامل الشامل، وانقيادهم، وطاعتهم، وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله، ونعوت جلاله على وجه الإجمال التفصيل، وتنزيهه عن التمثيل والتعطيل، وعن جميع صفات النقص، ويتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصّت عليهم الشرائع جملةً وتفصيلاً، وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب؛ أي: بكل ما أخبرت به الرسل، وتضمنته الكتب من الأخبار، والأوامر، والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله؛ بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله، وبين عباده في نقل الوحي وتبليغه لهم، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم؛ بل كفر بالله.

وقالوا: سمعنا ما أمرتنا به، ونهيتنا عنه، وأطعنا لك في ذلك، ونسألك المغفرة لما صدر منا من تقصير، ومحو ما اتصفنا به من العيوب؛ لأن مصيرنا؛ ـ أي: مرجعنا ـ والناس جميعاً إليك؛ فتجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بسيئاته.

قوله: (**فلما فعلوا ذلك نسخها الله ـ ﷻ ـ، فأنزل الله ـ ﷻ ـ:** ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ **قال: نعم**)؛ أي: عندما استجابوا لأمر الله أنزل الله ـ تعالى ـ ما يُثلج صدورهم، ويزيل خوفهم، ويكشف عنهم الكرب الذي كانوا فيه؛ فنسخ الله هذا التكليف، وبيّن أنه لا يكلف نفساً إلا ما في وسعها فعله، أي: ما تطيقه، وهذا من رحمته بهم، فمَن عمل حسنة فله جزاؤها، ومَن عمل السيئة فعليه وزرها. وبيّن أنه سمع واستجاب لدعاء المؤمنين في طلب العفو عن الخطأ والنسيان الذي لا ينفك منه بنو البشر.

قوله: (﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ **قال: نعم**)؛ الإصر: الإثم والعقوبة، هذا هو المعنى الأصلي لها، ويعبر عنها بعدة معانٍ بحسب موضعها، وهنا: بمعنى الثقل، ومن فسرها بمعنى العهد؛ فهو من اللازم.

والمعنى: لا تجعل علينا من الأثقال، والعقوبات ما جعلته على بني إسرائيل. فاستجاب بقوله: نعم.

قوله: (﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾؛ **قال: نعم**، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **قال: نعم**): طلبوا عدم التثقيل، وتكليف ما لا يطاق؛ فأجابهم لذلك، وطلبوا العفو، والمغفرة، والرحمة ممن يتولى أمورهم، ويتصرف في شؤونهم، وختمت بطلب النصر على الكافرين، فمن جاهد نفسه وهواه في ذات الله، وانتصر أهل الانتصار على الكافرين، والعكس بالعكس.

فقه الحديث:

١ ـ دليل على علو الله ـ تعالى ـ على خلقه؛ لأن الإنزال لا يكون إلا من علو.

٢ ـ أنّ الوحي ينزل على الرسول والنبي دون سائر الناس.

٣ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ مالك، وملك السمٰوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما.

٤ ـ بيان سعة رحمة الله ـ تعالى ـ وعلمه بالظاهر والباطن.

٥ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ هو الذي يحكم بين العباد ويقسم، فلا مكره له، ولا رادَّ لحكمه.

٦ ـ الرجوع إلى العلماء عند الإشكال.

٧ ـ جلوس المتعلم أمام العالم جلسة جبرائيل ـ وهي جلسة التشهد ـ.

٨ ـ دليل على أن ركبتي الإنسان في رجليه، ولهذا إذا سجد عليهما؛ فقد شابه البعير.

٩ ـ حسن السؤال نصف العلم.

١٠ ـ أن الفرائض من الصلاة، والصيام، والصدقة، والجهاد، وغيرها مما يطيقه الإنسان بلا كلفة وعناء.

١١ ـ صدق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع ربهم والرسول ﷺ.

١٢ ـ التحذير من مشابهة أهل الكتاب: اليهود والنصارى.

١٣ ـ خطورة الخروج على أحكام الله، وتحكيم الرأي.

١٤ ـ بيان عتو بني إسرائيل، وتمردهم على أحكام الله ـ تعالى ـ.

١٥ ـ سرعة استجابة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لأمر الله وحكمه.

١٦ ـ بيان ما أكرم الله ـ تعالى ـ به هذه الأمة.

١٧ ـ شهادة الله للرسول ﷺ والصحابة ﷺ بالإيمان الصحيح.

١٨ ـ أن الإيمان الصحيح؛ هو: الإيمان بكل ما أخبر الله عنه، وأوجبه علينا.

١٩ ـ أنّ الواجب الإيمان بكل النبيين والمرسلين، فمن كفر بواحد؛ فقد كفر بالجميع.

٢٠ ـ أنّ الآيات منها المنسوخة الباقية في المصحف، ومنها المنسوخة التي رفعت منه، وهذه من النوع الأول.

٢١ ـ بركة الاستجابة لأمر الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ.

٢٢ ـ أنّ الله لم يكلف العباد ما لا يستطيعون، وهذا من عدله، وفضله.

٢٣ ـ أنّ الله يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

٢٤ ـ استحباب الدعاء بما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة.

٢٥ ـ أنّ الله لا يؤاخذ على النسيان والخطأ.

٢٦ ـ أنّ الله استجاب دعاء المؤمنين.

٢٧ ـ بيان فضل الدعاء.

٢٨ ـ قال النووي: «قال أبو إسحاق الزجاج: هذا الدعاء الذي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة، أخبر الله ـ تعالى ـ به عن النبي ﷺ والمؤمنين، وجعله في كتابه؛ ليكون دعاء من يأتي بعد النبي ﷺ والصحابة ـ ﷺ ـ فهو من الدعاء الذي ينبغي أن يحفظ ويدعى به كثيراً».

٢٩ ـ بيان رحمة الله ـ تعالى ـ لهذه الأمة الإسلامية المرحومة المرحومة بسبب نبيها محمد ﷺ الذي عظّم الله قدره؛ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

من ذلك: أن الله وضع عن الأمة الإسلامية المرحومة الإصر والأغلال التي كانت على الأمم الماضية.

٣٠ ـ بيان فضل هذه الأمة الإسلامية المرحومة على الأمم السابقة حيث قالوا: سمعنا وعصينا، وقالت هذه الأمة: سمعنا وأطعنا. ولذلك كانت خير أمة أُخرجت للناس.



٢٠٠ ـ **(١٢٦)** حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، واللَّفْظُ لأبِي بَكْر ـ قَالَ إسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا ـ وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ، مَوْلَى خَالِدٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«قُولُوا: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا»**، قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الإيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، **قَالَ: قَدْ فَعَلْت** ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: قَدْ فَعَلْت ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ قَالَ: قَدْ فَعَلْت.

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ في الحديث **(١٧/٢٣)**.

فوائد الإسناد:

حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: **(دخل قلوبهم منها شيء)**؛ أي: دخل قلوبهم من الآية شيء عظيم من الشدة.

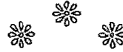
قوله: **(فألقى الله الإيمان في قلوبهم)**؛ أي: صدقوا وأقروا بما أمرهم به الرسول ﷺ، وقالوا: سمعنا وأطعنا.

قوله: **(قد فعلت)** استجاب الله لهم لمّا دعوه وأنابوا إليه.

فقه الحديث:

١ ـ بيان شدة ما أصاب الصحابة ﷺ عند سماع هذه الآيات.

٢ ـ أن الله ـ تعالى ـ هو الموفق، وهو الهادي.



٥٩ ـ باب تجاوز اللّه عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر

٢٠١ ـ (١٢٧) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لِسَعِيدٍ ـ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: قتادة عن زرارة.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٥٢٨، ٥٢٦٩ و٦٦٦٤**).

٤ ـ قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «لم أقف على التصريح بسماع زرارة لهذا الحديث من أبي هريرة، لكنه لم يوصف بالتدليس؛ فيحمل على السماع.

وذكر الإسماعيلي: أن الفرات بن خالد أدخل بين زرارة وبين أبي هريرة في هذا الإسناد رجلاً من بني عامر، وهو خطأ؛ فإن زرارة من بني عامر؛ فكأنه كان فيه: عن زرارة ـ رجل من بني عامر ـ فظنه آخر أبهم، وليس كذلك»(١).

---

(١) «فتح الباري» (١١/٥٦٠).

❋ غريب الحديث:

قوله: **(إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا، أو يعملوا به)**؛ التجاوز: بمعنى العفو وعدم المؤاخذة على الأمر.

و«أنفسها»: ضبط العلماء أنفسها بالنصب والرفع، وهما ظاهران، إلا أن النصب أظهر وأشهر.

قال القاضي عياض: أنفسها بالنصب، ويدل عليه قوله: «إن أحدنا يحدث نفسه».

قال الطحاوي: وأهل اللغة يقولون أنفسها ـ بالرفع ـ يريدون بغير اختيارها؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [قَ: ١٦]، والله أعلم». قاله النووي.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ الكريم الرحمٰن المنّان ذو الفضل والإحسان أكرم هذه الأمة من بين سائر الأمم بأن عفىٰ عمّا يعرض للإنسان من الهواجس، والخواطر، والأفكار التي يزينها الشيطان لهم ما لم تستقر في مخيلته، وعقله بأنها حق لازم التنفيذ عند تيسُّر أسبابها، أو يباشرها قولاً وعملاً أو أحدهما، فعندئذ تكتب السيئة ويؤاخذ بها.

⟡ فقه الحديث:

١ ـ بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة المرحومة؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل الجنة أحدٌ. قاله ابن بطال.

٢ ـ بيان إحدى خصائص هذه الأمة المحمدية.

٣ ـ أن المؤاخذة تكون بالفعل أو القول لا بمجرد الهَمِّ.

٤ ـ أن مَن ترك المعصية خوفاً من الله كتبها له حسنة.

٥ ـ أن مَن همَّ بالمعصية، ثم تركها لا تُكتب عليه.

٦ ـ أن الحسنة تضاعَف أضعافاً كثيرة.

٧ ـ أن مضاعفة الحسنات إلى المئات ليس مخصوصاً بالجهاد وسبيل الله ـ فقط ـ.

٨ ـ أن الملائكة تطلع على أعمال القلوب بإذن الله لها، وتكتب أعمالهم.

٩ ـ أن الله ـ تعالى ـ يجازي العباد بالعدل والفضل، كلٌّ بما يستحق.

١٠ ـ أهمية الإخلاص في العبادة.

١١ ـ أن الملائكة لا تكتب المباح بل الحسنات والسيئات.

١٢ ـ حديث النفس لا ينافي الإيمان، وهو وجه مطابقة الحديث لكتاب الإيمان.

١٣ ـ مَن طلّق زوجته في نفسه سواء أكان موسوساً أم معتوهاً أم مجنوناً أم سليماً لا يقع طلاقه بلا مثنوية.

١٤ ـ وفيه ردٌّ على الكعبي في زعمه: «أن ليس في الشرع مباح؛ بل الفاعل إما عاص، وإما مثاب، فمَن اشتغل عن المعصية بشيء؛ فهو مثاب».

وتعقَّبوه بما تقدم: أن الذي يثاب على ترك المعصية؛ هو: الذي يقصد بتركها رضا الله؛ كما تقدمت الإشارة إليه، قاله الحافظ.



٢٠٢ ـ (...) حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (ح) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، وَعَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ قَالا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، كُلُّهُمْ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللّهَ ـ عز وجل ـ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ**».

وحدّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ: حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ وَهِشَامٌ. (ح) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ شَيْبَانَ، جَمِيعاً عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

● **فوائد الإسناد:**

١ ـ تفنن الإمام مسلم في اختصار الطرق وجمعها.

٢ ـ دقة مسلم في بيان الألفاظ حيث قال: «مثله».

٣ ـ **قوله: (جميعاً عن قتادة بهذا الإسناد مثله)**؛ أي: روى مسعر، وهشام، وشيبان هذا الحديث عن قتادة بسنده الماضي: زرارة عن أبي هريرة مثل المتن السابق.

٤ ـ رواية مسعر وهشام: ساقها الإمام أحمد في «المسند» **(١٠٢٣٨)**: حدثنا وكيع؛ قال: حدثنا هشام ومسعر، عن قتادة عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة ـ قال هشام: قال رسول الله ﷺ، ووقفه مسعر ـ؛ قال: «إن الله ـ عز وجل ـ تجاوز لأمتي عمّا حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم».

ورواية شيبان ساقها النسائي في «المجتبى» **(٣٤٦٥)**: أخبرني موسى بن عبدالرحمٰن؛ قال: حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن شيبان، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: «**إن الله ـ تعالى ـ تجاوز لأمتي عمّا حدّثت به أنفسها، ما لم تكلم، أو تعمل به**».

٥ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: «لو قال قائل: لماذا لم يجمع هؤلاء مع السابقين؟

قلنا: هذا من باب المتابعات التي تحدث للمصنف بعد أن يخرج الحديث على الوجه الأول؛ فيأتي بالمتابعات»[(١)].

● **تكميل:**

١ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«إن الله تعالى ـ بفضله ـ تجاوز عن هذه الأمة ما حدّثت به أنفسها: إن حدثته نفسه بفعل، أو حدثته نفسه بقول، ما لم تعمل.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤١٠ ـ ٤١١).

ولكن إذا حدّثت النفس بأشياء تخل بالعقيدة، فماذا تصنع؟ لأن الشيطان يتسلط على المؤمن الصريح الإيمان؛ لأجل أن يفسد عليه إيمانه، ويشككه، فالجواب عن هذا: أن الدواء في كلمتين بيَّنهما النبي ﷺ:

أولاهما: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فاستعذ، وتصور نفسك كأنك فارٌّ من عدو، لاجئٌ إلى ولي، وليس مجرد أن تقول: أعوذ بالله، باللسان؛ بل تصور نفسك أنك فار من عدو إلى ولي يتولاك، ويحميك من هذا العدو، وهذا دواء إيجابي.

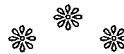
والثانية: ـ وهي دواء سلبي ـ انتهِ، وأعرض عن هذا، لا يطرأ على بالك، اشتغل بغيره، حتى لو تأخذ المسحاة وتحرث الأرض فافعل؛ لأنك إذا اشتغلت بعمل أوجب لك أن تلهو عما في قلبك من هذه الوساوس، ولا شك أن الإنسان حارثٌ وهمّامٌ، إذا همَّ بشيء نسي الآخر، فأنت أعرض، ولهذا قال: **(ولينته)**، فأي شيء يوجب أن تنتهي عن هذا وتعرض عنه، فاعمل.

فهذان علاجان:

الأول: دواء إيجابي ـ وهو الاستعاذة ـ.

والثاني: دواء سلبي، «**ولينته**»، أعرض عن هذا»(١).

٢ ـ وقيل لأحد الصحابة: إن اليهود يقولون: نحن لا نوسوس في صلاتنا؟ وأنتم أيها المسلمون توسوسون في الصلاة! فقال كلمة عجيبة، قال: وما يصنع الشيطان بقلب خراب! فالقلب الخراب لا يأتيه الشيطان ليخربه؛ لأنه قد خرب، إنما يخرب القلب العامر السليم، حتى يدمره، فنسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الشيطان الرجيم.



---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤١١ ـ ٤١٢).

٦٠ ـ باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت، وإذا همَّ بسيئة لم تُكتب

٢٠٣ ـ (١٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي بَكْرٍ ـ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ. وَقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا ـ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْراً**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له ثلاثة شيوخ قرن بينهما.

٣ ـ دقة مسلم في تمييز ألفاظ مشايخه في التحمُّل والرواية.

٤ ـ مسلسل بالمدنيين من أبي الزناد.

٥ ـ التفريق بين حدثنا وأخبرنا.

٦ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: أبو الزناد عن الأعرج.

٧ ـ هذا الإسناد من أصح الأسانيد عن أبي هريرة.

٨ ـ أبو الزناد لقب بصورة كنية، وكنيته أبو عبدالرحمٰن.

٩ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٧٥٠١).

* غريب الحديث:

قوله: **(قال الله ـ ﷻ ـ)**: الله سبحانه يتكلم متى شاء، وكيفما شاء، وفي أي وقت شاء، بصوت وحرف: يُسمعه من شاء من خلقه.

قوله: **(إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها؛ فاكتبوها سيئة)**: بيان لما عفى الله عنه مما يقع في خواطر الإنسان مما يرد عليه مختاراً، أو غير مختار من السيئات، إذا لم يباشر فعلها قولاً أو فعلاً؛ فإذا فعلها كتبها واحدة، وهذا من عدله سبحانه.

قوله: **(وإذا همّ بحسنة فلم يعملها؛ فاكتبوها حسنة، فإن عملها؛ فاكتبوها عشراً)**: ومن رحمته وسعة فضله بأهل الإيمان: أن مَن همّ بحسنة، وإن لم يعملها كتبت حسنة كاملة، فإن هو عملها أمر الله ملائكته الذين أطلعهم على أعمال القلوب أن يكتبوها عشراً إلى أضعاف مضاعفة.

وتقدم شرحه فيما سبق.

فقه الحديث:

١ ـ بيان كرم الله ـ تعالى ـ وعفوه على عباده، حيث كتب لهم ما همُّوا به من الحسنات، وتجاوز عما همُّوا به من السيئات.

٢ ـ الملائكة الكرام يعلمون ما يخطر في بال العبد من حسنات وسيئات.

٣ ـ إثبات كتابة الملائكة أعمال العباد.



٢٠٤ ـ (...) حَدَّثَنَا يَحيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ـ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ ـ، عَنِ الْعلاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ قَالَ: «**قَالَ اللّهُ ـ ﷻ ـ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ، وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً؛ فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

تقدم الكلام عليه في الأحاديث السابقة.



٢٠٥ ـ (١٢٩) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ؛ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللّهُ ـ ﷻ ـ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً؛ فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا؛ فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً؛ فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَه مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا؛ فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَت الْمَلائِكَةُ: رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ـ وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ ـ فَقَالَ: ارْقُبُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا؛ فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا؛ فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتّى يَلْقَى اللّهَ**».

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

- **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن مسلماً يروي عن صحف حديثية.

٣ ـ أن هذا الحديث من صحيفة همام بن منبه؛ لقوله: هذا ما حدثنا أبو هريرة.

٤ ـ قال الذهبي ـ رحمه الله ـ:

«مسألة: إذا أفرد حديثاً من مثل نسخة همام، أو نسخة أبي مسهر؛ فإن حافظ على العبارة جاز وفاقاً؛ كما يقول مسلم: «فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ، وإلا فالمحققون على الترخيص في التصريف السائغ»[(١)].

٥ ـ هذا الحديث مكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول: فمن المتفق عليه ـ وقد سبق تخريجه ـ والثاني: من أفراد مسلم، والثالث: فمتفق عليه، فقد أخرجه البخاري (٤٢).

* **غريب الحديث:**

قوله: **(إذا تحدّث عبدي)**؛ المراد به: حديث النفس بدليل قوله: «**فإذا عملها**».

قوله: **(قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة)**؛ أي: يحدّث نفسه بذلك.

قوله: **(وهو أبصر به)**؛ أي: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أشد بصراً من هؤلاء الملائكة بهذا العبد الذي يحدّث نفسه بالسيئة.

قوله: **(فقال: ارقبوه)**؛ أي: قال الله للملائكة: انظروا هذا العبد ماذا يفعل؟

قوله: **(فإن عملها فاكتبوها له بمثلها)**: إذا عمل السيئة التي همَّ بها فاكتبوها له سيئة واحدة.

---

(١) «الموقظة» (ص٢٦٨ ـ بتحقيقي).

قوله: **(وإن تركها فاكتبوها له حسنة)**؛ أي: إن لم يفعل السيئة التي همَّ وتركها فاكتبوها له حسنة واحدة؛ لتركه عمل السيئة التي همَّ بها.

قوله: **(إنما تركها من جَرَّايَ)**: أن الهم والعزم على فعل المعصية الذي لا ينفذ لا يؤجر عليه إلا إذا كان تركه لها خوفاً من الله، وطمعاً فيما عنده سبحانه.

قوله: **(إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها بمثلها حتى يلقى الله)**: إن حسن الإسلام يكون بالانقياد ظاهراً، وباطناً، وأن الله مراقبه لا يغيب عنه طرفة عين.

فمن أحسن إسلامه على ما ذكرنا فإن الله ـ تعالى ـ يُثيبه بإضعاف الحسنات أضعافاً مضاعفة إلى أن يموت.

فقه الحديث:

١ ـ أن الملائكة لهم وظائف شتى؛ فمنهم الكتبة؛ كما هو ظاهر في الحديث.

٢ ـ أن الملائكة لا تطلع على كل أعمال القلوب؛ بل ما أطلعهم الله عليه.

٣ ـ الملائكة تحفظ بني آدم، وتراقب أعماله كلها.

٤ ـ الملائكة دليل على أن الملائكة تكتب أعمال القلوب؛ خلافاً لمَن قال: لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة.

٥ ـ بيان أدب الملائكة مع ربهم حيث لا يكتبون إلا بعد استئذانهم ربهم، وانتظار أمره لهم بالكتابة.

٦ ـ أن الذي يؤجر ممن ترك فعل المعصية، هو: من تركها خوفاً من الله ـ تعالى ـ وطمعاً فيما عنده.

٧ ـ فضل إحسان دين الإسلام، وفضائله كثيرة وفيرة.

٨ ـ أن الحسنات تتضاعف.

٩ ـ أن النصوص كلها تشمل الذكر والأنثى.

١٠ ـ شرط كتابة الحسنات هو الثبات على الإسلام إلى الممات.

١١ ـ دليل واضح على زيادة الإيمان ونقصانه؛ فإن الذي يزيد ينقص.

١٢ ـ بيان فضل مراقبة الله ـ تعالى ـ والخوف منه حيث يثمر ترك السيئات؛ فإن الذي ترك عمل السيئة التي همَّ بها تركها خوفاً من الله ـ ﷻ ـ؛ لقوله: «**إنما تركها من جراي**».



٢٠٦ ـ (**١٣٠**) وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ**».

❋ راوي الحديث الخامس:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ ﵁ ـ في (٥/٩).

وأما شرحه؛ فقد تقدم فيما سبق.



٢٠٧ ـ (**١٣١**) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ. حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَان، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «**إِنَّ اللّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ. فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللّهُ ـ ﷻ ـ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**

إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللّٰهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللّٰهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة ابن عباس - ﷺ - في الحديث (١٧/٢٣).

➢ فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف.

٢ - مسلسل بالبصريين.

٣ - فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: الجعد عن أبي رجاء العطاردي.

٤ - حديث ابن عباس - ﷺ - هذا - متفق عليه، أخرجه - أيضاً - البخاري (٦٤٩١).

* غريب الحديث:

قوله: (**إن الله كتب الحسنات والسيئات**)؛ أي: أمر الملائكة بكتب أعمال بني آدم، وكَّل ملكاً للحسنات، وآخر للسيئات.

قوله: (**ثم بين ذلك**): بين متى تُكتب السيئة والحسنة بما بعده من قوله: «**فمَن همَّ**...» إلى آخره.

قوله: (**كتبها الله عنده حسنة كاملة**): أمر بكتابتها الملائكة عنده في اللوح أو الصحف أو غيرها. وفيهما نوعان من التأكيد: فأما العندية؛ فإشارة إلى الشرف، وأما الكمال؛ فإشارة إلى رفع توهم نقصها؛ لكونها نشأت عن الهم المجرد، فكأنه قيل: بل هي كاملة لا نقص فيها.

قال النووي: «أشار بقوله «عنده» إلى مزيد الاعتناء به، وبقوله «واحدة» إشارة إلى تخفيفها مبالغة في الفضل والإحسان» قاله الحافظ.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ قدّر وقضى في شؤون خلقه قبل خلقهم.

٢ ـ أنّ الملائكة لهم وظائف وأعمال، ومنهم الذين يكتبون أعمال العباد.

٣ ـ أنّ الله بيّن طريق الحسنات، والسيئات، وأمر، ونهى.

٤ ـ بيان شرف الحسنات؛ لقوله: «عنده».

٥ ـ أنّ الله قد يمحو السيئات بفضله.

٦ ـ وفيه رد على من نفىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، وعلى من قال بتكفير أصحاب المعاصي.

٧ ـ أنّ كل الأحاديث السابقة تدور حول موضوع واحد وهو أعمال القلوب والمؤاخذة عليها.

٨ ـ أنّ الإيمان قول وعمل.



٢٠٨ ـ (...) وحدّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حدّثَنَا جَعْفَر بْنُ سُلَيْمَان، عَنْ الجَعْد أَبِي عُثْمَان فِي هَذَا الإسْنَاد، بِمَعْنَى حَدِيثِ عَبْدِالْوَارِثِ، وَزَادَ: «**وَمَحَاهَا، وَلاَ يَهْلِكُ عَلَى اللّهِ إِلاّ هَالِكٌ**».

⮜ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**في هذا الإسناد**)؛ أي: الإسناد الماضي، وهو عن أبي رجاء العطاردي، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ.

٢ ـ قوله: (**بمعنى حديث عبدالوارث**)؛ أي: أن حديث جعفر بن سليمان بمعنى حديث عبدالوارث بن سعيد بن الجعد، وليس بلفظه.

٣ ـ رواية جعفر بن سليمان ساقها الإمام أبو محمد الدارميّ في «سننه» (٢/٣١٣ ـ ٣١٤/٢٦٦٧):

حدثنا عفّان، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا الجعد، أبو عثمان، قال: سمعت أبا رجاء العطارديّ، قال: سمعت ابن عباس، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل -.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم رحيمٌ، مَن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبت له حسنةً، فإن عملها كُتبت له عشراً، إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، ومَن هَمَّ بسيئة فلم يعملها، كُتبت له حسنةً، فإن عملها كُتبت واحدةً، أو يمحوها، ولا يَهْلِك على الله إلا هالك**».

وساقها أبو نُعيم في «مستخرجه» (**١/١٩٩/٣٣٨**).

* غريب الحديث:

قوله: (**أو محاها**): هكذا في بعض النسخ، و«سنن الدارمي» و«مستخرج أبي نعيم»، وفي معظم النسخ (ومحاها) فالواو بمعنى أو، والله أعلم.

والمراد: أن الله يمحوها بما شاء من الأسباب؛ كالتوبة، والاستغفار، وعمل الحسنات، أو بفضله ورحمته.

قوله: (**ولا يهلك على الله إلا هالك**)؛ أي: مَن أصرّ على التجري على السيئات عزماً وقولاً وفعلاً، وأعرض عن الحسنات همًّا وقولاً وفعلاً.

فقه الحديث:

١ ـ أن الهالك من الخلق مَن تجرّى على المعصية وأصرّ عليها.

٢ ـ المعاصي والموبقات من أسباب هلاك الأفراد والأمم والشعوب.

● متممات مهمات:

١ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«ترتيب المؤلف لهذه الأحاديث جيد؛ فإنه في الأول ذكر ما يتعلق بالكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وأن الصحابة شقَّ عليهم ذلك، ثم ذكر أن الله عفا عن هذه الأمة ما حدّثت به أنفسها، ما لم تعمل، أو تتكلم، ثم ذكر الهَمّ

بالحسنات، والهَم بالسيئة، وهذا ترتيب طيب منه ـ رحمه الله ـ، ولهذا قال الشاعر، أو الناظم:

تشاجر قوم في البخاري ومسلم   لديّ فقالوا: أي ذين تقدمُ؟
فقلت: قد فاق البخاري صحةً   كما فاق في حسن الصناعة مسلمُ

ومسلم ـ كما رأيت ـ في حُسن صناعة الإسناد، لا شك أن بينه وبين البخاري فرقاً عظيماً في جمع الأسانيد»[(١)].

وقال ـ أيضاً ـ:

«هذه الأحاديث بيان الهمّ بالحسنات والسيئات، فالهمُّ بالحسنات حسنةٌ عملها أو لم يعملها؛ لأن مجرد همه بها يدل على أنه يريد الخير، سواء فعل أم لم يفعل، ولهذا إذا همَّ بها، ولم يعملها، كتبها الله حسنةً كاملة، والحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

وإن همَّ بها وعملها، كتبها الله عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

ولكن إذا همَّ بها، ولم يعملها، ينظر: إذا كان من عادته أن يعملها، ولكن تركها عجزاً، فإنه يُكتب له أجرها كاملاً؛ لقول النبي ﷺ عند البخاري: «**مَن مرض، أو سافر، كتب له ما كان يعمل صحيحاً، مقيماً**».

وهذه من نعمة الله ـ عز وجل ـ: أن الإنسان يجري له عمله الذي كان يعمله، في حال السعة ـ إذا عجز عنه في حال الضيق ـ أما السيئة، فإن همَّ بها، وعملها، كتبها الله سيئة واحدة.

وتأمّل الحسنة، قال: «**كاملة**»، والسيئة قال: «**واحدة**» سيئة واحدة، سواء في الحرمين، أو في الحل.

وعلى هذا؛ فلا تضاعف السيئة في مكة مضاعفة كمية، لكنها تضاعف مضاعفة كيفية، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤١٣).

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وهذه الآية نزلت في مكة؛ لأن سورة الأنعام كلها مكية، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، أي: مؤلم، فهي مضاعفة في كيفيتها، لا في كميتها.

وبهذا نعرف بطلان ما يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنه خرج إلى الطائف، وقال: لا أسكن مكة، بلداً حسناته وسيئاته سواء، فهذا لا يصح عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -، وهو أفقه من أن يقول مثل هذا الكلام، فإن مَن همَّ بالسيئة ولم يعملها، فالأدلة تدل على أن ذلك أقسام:

القسم الأول: أن يتركها عجزاً عنها، مع فعل ما قدر عليه منها، فهذا يكتب عليه إثمها كاملاً؛ كإثم فاعلها، ودليله قول النبي ﷺ عند الشيخين: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، قالوا: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه**».

القسم الثاني: أن يتركها عجزاً، دون أن يفعل الأسباب، ودون أن يفعل ما قدر عليه منها، كرجل همَّ بسرقة، ولكنه رأى الناس حوله، فتركها فهذا عليه وزرها، لكنه ليس كالذي فعل ما قدر عليه منها؛ لأن هذا لم يفعل شيئاً، لكن عليه الوزر، وهو وزر النية، بلا شك.

القسم الثالث: أن يهم بالسيئة، ثم يتركها لله، فهذا تُكتب له حسنة كاملة، لقوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**فإنما تركها من جراي**»، أي: من أجلي، فتُكتب له حسنة كاملة.

القسم الرابع: أن لا يطرأ على باله تلك السيئة من الأصل، كرجل لم تطرأ عليه السرقة، ولم يطرأ عليه الزنا، ولا شرب الخمر، فهذا ليس له أجر، وليس عليه وزر؛ لأنه ليس له نية، لا لفعل السيئة، ولا لتركها، فهذه أقسام أربعة، دلَّت عليها النصوص»(١).



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤١٥ ـ ٤١٨).

٦١ ـ باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها

٢٠٩ ـ (١٣٢) حدّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين من سهيل.

٣ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: سهيل بن أبي صالح عن أبيه.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به**): إن الشيطان يلقي الشبهات، ويزين الشهوات المنكرة، والمستبشعة التي تنفر منها قلوب الذين آمنوا بالله ـ تعالى ـ، فهو لا يمل، ولا يكل عن عمله الخبيث، ونفس المؤمن المطمئن تخشى من التأثر، وتخاف من النطق بما توسوس به، لكن الخوف من الوقوع في الإثم دفعهم لسؤال المعلم، والمفتي، وصاحب النفس الزكية ﷺ.

وإن استعظام هذا وشدة الخوف منه، ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده؛ إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك.

قوله: **(وقد وجدتموه؟)**: جملة استفهامية.

والمعنى: أوقع ذلك في نفوسكم ووجدتموه؟!

قوله: **(قالوا: نعم)**؛ أي: وجدناه وأحسسنا به وأنكرناه.

قوله: **(ذاك صريح الإيمان)**: أن اليقين الثابت صدق، وخالص الإيمان، وتلك النفس المطمئنة؛ هي التي دفعت تلك الوسوسة الشيطانية التي أوردها في عقله وفكره.

فقه الحديث:

١ ـ الرجوع إلى أهل العلم عند ورود الشبهات والشكوك.

٢ ـ جواز سؤال أهل العلم عن الأمر المنكر من القول أو الفعل مع وصفه، ولا يُعد ذلك محرماً.

٣ ـ أن الأفضل في السؤال عن الأمر المستنكر، وما يُسْتَحْيَا منه؛ أن يذكر بالكناية.

٤ ـ بيان عظم إيمان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، واستقرار اليقين في قلوبهم.

٥ ـ استحباب سلوك الورع.

٦ ـ أن ناقل الكفر والمتلفظ به على وجه السؤال، والبيان عند الحاجة لا يُعد كفراً.

٧ ـ على المفتي أن يستفصل من المستفتي عن ملابسات وأحوال الواقعة المسؤول عنها.

٨ ـ استحباب الإجابة بنعم؛ إذا كانت تكفي وتفي.

٩ ـ بيان لعلامة الإيمان الخالص الصحيح.

١٠ ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على تفقد أحوالهم وشدة اهتمامهم بزيادة إيمانهم.

١١ ـ ابتلى الله المؤمنين بتسليط الشيطان عليهم حتى يشككهم في إيمانهم وخالقهم؛ إلا أن الله ـ تعالى ـ ردّ كيده إلى الوسوسة التي لا تضر صاحبها.

١٢ ـ وجوب الإعراض عن الوساوس، وعدم الالتفات إليها، والتوكل على الله؛ لأن من الشيطان: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].



٢١٠ ـ (...) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ. (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوَّابِ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ رُزَيْقٍ، كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهَذَا الْحَدِيثِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: **(كلاهما)**: الضمير يعود على شعبة وعمار بن رزيق حيث رووا هذا الحديث عن الأعمش.

٢ ـ قوله: **(بهذا الحديث)**؛ أي: الحديث السابق.

٣ ـ رواية الأعمش: ساقها أبو عوانة في «مسنده» **(٢٢٨/٧٨/٢)**: حدثنا يونس بن حبيب؛ قال: ثنا أبو داود؛ قال: ثنا شعبة (ح) وحدثنا محمد بن الخليل المخرمي، أبو جعفر، وأبو بكر محمد بن إسحاق الصَّغَانيّ؛ قالا: ثنا أبو الجوَّاب؛ قال: ثنا عمار بن رُزَيق؛ قال: ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أُحَدِّث نفسي بالحديث، لأن أخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أتكلم به، قال: «**ذاك صريح الإيمان**» هذا لفظ عمّار.

ولفظ شعبة: أن النبي ﷺ سُئل عما يُحَدِّث به الرجل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك مَحْضُ الإيمان**».

وساقها ـ أيضاً ـ أبو نُعيم في «مستخرجه» **(١/٢٠٠/٣٤١)** وقال: «الصريح»: الخالص في كلّ شيء.



٢١١ ـ (١٣٣) حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الصَّفَّارُ. حدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَثَّام، عَنْ سُعَيْرِ بْنِ الْخِمْسِ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِالله؛ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «**تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ**».

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أنّ رواته كلهم كوفيون.

٣ ـ وفيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض؛ وهم: المغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة.

٤ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

٥ ـ رجّح ابن عمار الشهيد أنّ الحديث صحّ موقوفاً على إبراهيم؛ فهو مرسل، ولذلك أُعِلَّ موصولاً.

٦ ـ أنّ مسلماً ـ رحمه الله ـ إنما أورده؛ للعلو، واعتبره من الذي يصحح في الشواهد، ومعلوم أن الشواهد يغتفر فيها ما لا يغتفر في الأصول.

٧ ـ في هذا الحديث قصة ذكرها أبو عوانة في «مسنده» (١/٧٩/٢٢٩):

حدثنا محمد بن عبدالوهاب، قال: سمعت عليّ بن عَثّام يقول: أتيت سُعَير بن الْخِمْس، فسألته عن حديث الوسوسة، فلم يحدثني، فأدبرت أبكي، ثم لقيني، فقال لي: تَعَالَ، حدثنا مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله، قال: سألت رسول الله ﷺ عن الرجل يجد الشيءَ، لو خَرّ من السماء، فيخطفه الطير، كان أحب إليه من أن يتكلم به، قال: «**ذاك محض، أو صريح الإيمان**».

* غريب الحديث:

قوله: (**سئل النبي ﷺ**)؛ السائل، هم: الصحابة رضي الله عنهم، والمسؤول عنه ما تعاظمت نفوسهم عن التكلم به، وهو: ما يأتي في الحديث القادم من الوسوسة التي يلقيها الشيطان في قلوب عباد الرحمٰن.

قوله: (**تلك محض الإيمان**)؛ المحض: الخالص من كل شيء؛ أي: كراهتكم له، وتفاديكم منه صريح الإيمان.

والمعنى: أنّ صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم؛ حتى يصير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلوبكم، ولا تطمئن إليه نفوسكم، وليس معناه أنّ الوسوسة نفسها صريح الإيمان؛ لأنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيماناً صريحاً؟ قاله ابن الأثير.

• تنبيه لكل نبيه:

تعقّب شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ الإمام النووي وكثير من شرّاح الحديث الذين قرروا أن قوله ﷺ: «**ذاك صريح الإيمان**»؛ المراد به استعظام الوسوسة لا وجود الوسوسة؛ فقال:

«وقد تأوّل الشارح ـ رحمه الله ـ قوله: «**أَوَجدتموه؟**» بأن المراد: أَوَجدتم استعظام ذلك؟ لا أَوَجدتم الوسوسة؟

وهذا تحريف، وليس هذا معنى الحديث، والدليل على هذا في اللفظ الثاني: أن النبي ﷺ سئل عن الوسوسة؟ فقال: «**تلك محض الإيمان**»؛ تلك، يعني: الوسوسة، ولكن لما لم يتبين لبعض العلماء معنى قوله: «**ذاك صريح الإيمان**» جعلوا صريح الإيمان هو استعظام هذه الوسوسة، ولكن هذا تحريف، والصواب أن معنى: «**أوجدتموه؟**»؛ أي: أوجدتم ذلك في نفوسكم؟ أي: هذه الوسوسة، التي يستعظم أحدكم أن يتكلم بها، ولا يستطيع أن يتكلم بها.

ووجه كون ذلك صريح الإيمان، أن هذه الوسوسة لم ترد على قلب خالٍ منها؛ لأن الوسوسة شيء طارىء يطرأ على خالٍ من الوسوسة، فإذا حصلت هذه الوسوسة، دلّ ذلك على أن القلب سليم، وأنه مؤمن؛ لأنه لولا ذلك ما صحّ أن نقول: إن الوسوسة ترد عليه، ولهذا يتعاظم الإنسان أن يتكلم بما يرد على قلبه من هذه الوسوسة، لكن هذه الوسوسة تدل على أن الإنسان صريح الإيمان، خالص الإيمان، ولهذا هاجمه الشيطان بهذه الوسوسة، لعله يخلخل الإيمان الذي معه.

وقد ذكرنا لكم ـ فيما سبق ـ أن اليهود افتخروا على المسلمين، فقالوا: إنا لا نوسوس في صلاتنا، وأن ابن عباس، أو ابن مسعود سئل عن ذلك، فقال: صدقوا، وما يفعل الشيطان بقلب خراب؟!

وعلى هذا؛ فنقول: إذا حدث في قلبك مثل هذه الوسوسة؛ فاعلم أن هذا صريح الإيمان، وأن إيمانك خالص، ولولا ذلك ما وردت عليه الوسوسة، لكن استعمل الدواء.

الإنسان الذي يتأثر بما يكون في جسده من مكروبات؛ يدل على صحة الجسد، أو على عدمها؟ بل على صحتها؛ لأنه إذا لم يتأثر؛ فمعناه أنه فقد المناعة، وهذا مرض.

كذلك هذا القلب لم يتأثر بهذه الوسوسة إلا لأنه سليم»[1].

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٢٤ ـ ٤٢٦).

قال مقيده أبو أسامة سليم الهلالي ـ كان الله له ـ: كلا التفسيرين محتمل صحيح؛ لأنه إذا كانت الوسوسة دليل الإيمان؛ لأن الشيطان لا يأتي القلب الخراب؛ فكذلك استعظام هذه الوسوسة دليل على إيمان هذا العبد الذي يجد في نفسه استعظاماً لها، والله أعلم.



٢١٢ ـ (١٣٤) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ـ وَاللَّفْظُ لِهَارُونَ ـ قَالا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ؛ حَتَّى يُقَالَ هَذَا: خَلَقَ اللّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهِ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي، والابن عن أبيه: هشام عن أبيه.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٢٧٦).

✹ غريب الحديث:

قوله: (**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق، فمَن خلق الله؟**): إن الوسوسة تصيب كثيراً من الناس، فيأخذ الناس يسأل بعضهم بعضاً عن هذه الوساوس التي يلقيها الشيطان؛ ليوقع أهل الإيمان بالشبهات الباطلة؛ فيصل الأمر في الوساوس والسؤال عنها إلى ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته. يسترسل الشيطان معهم خطوة خطوة إلى أن يوقعهم في الشك.

قوله: (**فمَن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله**): من شعر من نفسه وقوع ذلك وحصوله، ومن الناس سؤال بعضهم بعضاً؛ فلينتهِ عن الاسترسال في هذه الوساوس وسؤال الناس وليقل: آمنت بالله أنه الخالق وما سواه مخلوق. فهو واحد أحد لم يلد ولم يولد، لا شيء قبله ولا بعده سبحانه.

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«قوله: (**قل: آمنت بالله**) أمرٌ بتذكُّر الإيمان الشرعي، واشتغال القلب به؛ لتمحى تلك الشبهات، وتضمحلّ تلك الترّهات، وهذه كلها أدوية للقلوب السليمة الصحيحة المستقيمة التي تَعْرِضُ الترّهاتُ لها، ولا تمكثُ فيها، فإذا استُعملت هذه الأدوية على نحو ما أمر به بقيت القلوب على صحّتها، وحُفِظت سلامتها.

فأما القلوب التي تمكّنت أمراض الشُّبَه فيها، ولم تقدِر على دفع ما حلّ بها بتلك الأدوية المذكورة، فلا بدّ من مشافهتها بالدليل العقليّ، والبرهان القطعيّ، كما فعل النبي ﷺ مع الذي خالطته شبهة الإبل الْجُرْبِ حين قال النبي ﷺ: «**لا عَدْوَى**»، فقال أعرابيّ: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فإذا دخل فيها البعير الأجرب أجربها؟ فقال النبي ﷺ: «**فمَن أعدى الأول؟**» متفق عليه، فاستأصل الشبهة من أصلها.

وتحرير ذلك على طريق البرهان العقليّ أن يقال: إن كان الداخل أجربها، فمَن أجربه، فإن كان أجربه بعيرٌ آخر كان الكلام فيه كالكلام في الأول، فإما أن يتسلسل، أو يدور، وكلاهما محال، فلا بدّ أن نقف عند بعير أجربه الله من غير عَدْوَى، وإذا كان كذلك؛ فالله تعالى هو الذي أجربها كلّها: أي خَلَقَ الْجَرَبَ فيها»[1].

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الشيطان يستنفد كل طاقاته، ويستخدم كل الأساليب؛ لحرف

(١) «المفهم» (١/٣٤٥ ـ ٣٤٦).

الموحدين عن الدين، وجرفهم عن الصراط المستقيم، وصرفهم عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

٢ ـ وفيه علم من أعلام النبوة؛ لإخباره بوقوع ما سيقع؛ فوقع.

٣ ـ بيان نوع من شبهات الشيطان وعلاجها.

٤ ـ ذم كثرة السؤال عمّا لا يعني المرء، وعمّا هو مستغنٍ عنه.

٥ ـ النهي عن الاسترسال في الخواطر الشيطانية، والكف عن التفكير عند خوف الزلل.

٦ ـ أنّ الشيطان يندفع بالإيمان، وطاعة الرحمٰن.

٧ ـ عظم شأن الإيمان.

٨ ـ فضل علم الكتاب والسنّة على العلوم العقلية، يشهد على ذلك علماء الكلام أنفسهم، فهذا الرازي رأس رؤوسهم يقول:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذًى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

٩ ـ الوسوسة لا تضر بالإيمان؛ لأنها من تلبيس إبليس، وهذا وجه إيراد هذا الحديث في كتاب الإيمان ومناسبة الباب لذلك.

١٠ ـ ينبغي على المؤمن أن يجدد إيمانه، ويقوي يقينه، ويحافظ على الأسباب الشرعية الموصلة لذلك.

١١ ـ مَن استعاذ بالله ولجأ إلى حماه؛ حفظه الله من كل ذلك.

١٢ ـ الشيطان عدو الإنسان؛ فينبغي على المؤمن أن يتخذه عدواً، ويستعين عليه بالله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٣٦].

● بصيرة:

سؤال السائل: فمَن خلق الله؟ كلام متناقض وقول متهافت من وجوه:

١ ـ أن الله خالق؛ ولذلك يستحيل أن يكون مخلوقاً.

٢ ـ الاسترسال في هذا السؤال يستلزم التسلسل أو الدور، وكلاهما محال.

٣ ـ أن الخالق لا يفتقر إلى غيره بل غيره مفتقر إليه.

٤ ـ هذا السؤال ناشىء عن جهل مفرط؛ لأن الموسوس إن قال: ما المانع أن يخلق الله ـ تعالى ـ نفسه؟ قيل له: أخطأت إستك الحفرة؛ فأنت أثبت خالقاً، وأوجبت وجوده ثم قلت: يخلق نفسه، فأوجبت عدمه، وهذا فاسد متناقض، لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجود فعله، فوجوده لا يكون فعلاً له.

٥ ـ ومن هذا الباب ما ذكره الحافظ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أنه وقع في زمن الرشيد في قصة له مع صاحب الهند، وأنه كتب إليه: هل يقدر الخالق أن يخلق مثله؟ فسأل أهل العلم، فبدر شاب، فقال: هذا السؤال محال؛ لأن المخلوق محدث، والمحدث لا يكون مثل القديم؛ فاستحال أن يقال: يقدر أن يخلق مثله أو لا يقدر؛ كما يستحيل أن يقال في القادر العالم: يقدر أن يصير عاجزاً جاهلاً»[1].

٦ ـ الأول لا يصح عدمه، وهو فاعل لا مفعول، والله هو الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء.

وبالجملة، فجواب هذا السؤال الكافي الصحيح، ودواؤه الشافي المريح: ما جاء في كلام رسول الله ﷺ.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«فعلينا الآن أن نداوي هذا، وقد علَّمنا النبي ﷺ كيف نداوي ذلك فقال: «**فليستعذ بالله، ولينتهِ**».

ويضاف إلى ذلك أن نقول: «**آمنت بالله ورسله، آمنت بالله ورسله**».

ويضاف إلى ذلك ـ أيضاً ـ ما ورد في السنن: «**الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد**».

---

(١) «فتح الباري» (٢٨٨/١٣).

فالإنسان العاقل يعرف كيف يداوي الوسوسة التي ألقاها الشيطان في قلبه، وهي بشرى للمؤمن، حيث قال الرسول ﷺ: «**ذاك صريح الإيمان**».

وفي هذه الأحاديث: منع التسلسل في المؤثرين لا في الآثار، وذلك أن النبي ﷺ أمر ـ حينما يقول الشيطان أو حينما يلقي الوسوسة: مَن خلق الله؟ ـ أن يستعيذ الإنسان بالله، وينتهي لوقف التسلسل.

ولهذا اتفق الفلاسفة والمتكلمون على أنه لا يمكن التسلسل في المؤثرين؛ لأنك لو أردت أن تجعلها متسلسلة فإلى أين؟ وإلام تنتهي؟ ولهذا كان ممنوعاً: عقلاً، وشرعاً ـ إذا وصلت إلى الخالق ﷻ ـ أن تستمر في التسلسل؛ لأنك لو أردت أن تستمر فإلى أين؟»[1].



٢١٣ ـ (...) وحَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدِّبُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهَذا الإِسْنَادِ. أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يأتِي الشَّيطَانُ أحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ**» ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ. وَزَادَ: «**وَرُسُلِهِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ أي: بإسناد هشام السابق.

٢ ـ قوله: (**ثم ذكر مثله**): الضمير يعود لأبي سعيد المؤدب؛ أي: ذكر أبو سعيد في روايته عن هشام بمثل رواية سفيان بن عيينة عنه، ولكنه زاد في آخر الحديث: «**ورسله**».

٣ ـ رواية أبي سعيد المؤدب: ساقها ابن منده في «الإيمان» (**٣٥٣/٤٧٨/١**): أنبأ حسان بن محمد، أبو الوليد، ثنا جعفر بن أحمد بن نصر وغيره؛ قال: ثنا محمود بن غيلان، ثنا أبو النصر هاشم بن القاسم، ثنا أبو سعيد المؤدب، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**يأتي الشيطان أحدكم؛ فيقول: مَن خلق السماء؟ ومَن خلق**

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٢٦ ـ ٤٢٧).

الأرض؟ فيقول: الله، فيقول: مَن خلق الله؟ فمَن وجد من ذلك شيئاً؛ فليقل: آمنت بالله ورسله».

وأما شرحه فقد تقدم.



٢١٤ ـ (...) حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. جَمِيعاً عَنْ يَعْقُوبَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذٰلِكَ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّهِ وَلْيَنْتَهِ».**

❋ غريب الحديث:

قوله: (**فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينتهِ**): أُمر من وقع في ذلك بالالتجاء، والاعتصام بالله وحده، فهو القادر على رد كيد الشيطان، والمثبت لأهل الإيمان.

قال الطيبي ـ رحمه الله ـ:

«أي: وليترك التفكُّر في هذا الخاطر، وليستعذ منه، وإن لم يزل التفكُّر بالاستعاذة، فليقُم، وليشتغل بأمر آخر، وإنما أمره بالاستعاذة، والانتهاء عنه، والإعراض عن مقابلته، لا بالتأمُّل، والاحتجاج لوجهين:

١ ـ أن العلم باستغنائه ـ سبحانه وتعالى ـ عن المؤثّر والموجد أمر ضروري، لا يقبل الاحتجاج والمناظرة له وعليه، فإن وقع من ذلك شيء كان من وسوسة الشيطان؛ لأنه مسلَّطٌ في باب الوسوسة، ووساوسه غير متناهية، فمهما عارضته فيما يوسوس بحجة يجد مسلكاً آخر إلى ما ينفيه من المغالطة والتشكيك، وأدنى ما يُفيده من الاسترسال في ذلك إضاعة الوقت، فلا تدبير في دفع ذلك أقوى، وأحسن من الاستعاذة بالله تعالى؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٠].

٢ ـ أن السبب في اعتوار أمثال ذلك احتباس المرء في عالم الحسّ، وما دام كذلك لا يزيده فكره إلا انهماكاً في الباطل، وزَيْغاً عن الحقّ، ومَن كان هذا حاله فلا علاج له إلا الالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ؛ للاعتصام بحَوْله وقوته بالمجاهدة والرياضة، فإنهما مما يُزيل البلادة، ويُصفِّي الذهن، ويزكِّي النفس»[(١)].

فقه الحديث:

١ ـ مشروعية الاستعاذة بالله من الشيطان ووساوسه.

٢ ـ وفي الزيادة السابقة قول: «آمنت بالله ورسوله».



(...) حدّثني عَبْدُالمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَأْتِي الْعَبْدَ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟**»، مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ.

فوائد الإسناد:

١ ـ من سباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ قوله: **(مثل حديث ابن أخي ابن شهاب)**؛ أي: حديث عقيل مثل حديث ابن شهاب.

٣ ـ رواية عقيل: ساقها الحافظ أبو نعيم في «المستخرج» (٣٤٦/٢٠١/١):

---

(١) «الكاشف عن حقائق السنن» (٥١٨/٢ ـ ٥١٩).

حدثنا أحمد بن يوسف بن خلاد، ثنا أحمد بن إبراهيم بن سِلْحان، حدثني يحيى بن بكير، حدثني الليث بن سعد، عن عُقَيل بن خالد، عن ابن شهاب، أنه قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن أبا هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي العبدَ الشيطانُ، فيقول: مَن خلق كذا وكذا؟ حتى يقول: مَن خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله، ولينتهِ»**.

وباقي الحديث مضى الكلام عليه.



٢١٥ ـ (١٣٥) حدّثني عَبْدُالوَارِثِ بْنُ عَبْدِالصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ، حَتَّى يَقُولُوا هَذَا: اللّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟»**.

قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: صَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ، أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ، وَهَذَا الثَّانِي.

وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَيَعْقُوبُ الدوْرَقِيُّ قَالا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ؛ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «لاَ يَزَالُ النَّاس»، بِمِثْلِ حَدِيثِ عَبْدِالْوَارِثِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ ﷺ في الإسْنَادِ، ولَكنْ قَدْ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: **«صَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ»**.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

● فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ بيان دقة الإمام مسلم في بيان ألفاظ مشايخه.

٣ ـ يأتي بالتفاصيل؛ لكي لا يتقوّل على مشايخه.

٤ ـ قوله: (**بمثل حديث عبدالوارث**)؛ أي: أن إسماعيل ابن علية حدّث عن أيوب بمثل حديث عبدالصمد عنه.

٥ ـ قوله: (**غير أنه لم يذكر النبي ﷺ في الإسناد**)؛ أي: إسماعيل جعل هذا الحديث موقوفاً على أبي هريرة.

٦ ـ رواية ابن علية عن أيوب ساقها ابن منده في «الإيمان» (٣٦٠/٤٨٠/١):

«أنبا حسان بن محمد، ثنا جعفر بن أحمد بن نصر، ثنا عمرو بن زرارة (ح) وأنبأ محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي، ثنا يعقوب؛ قالا: ثنا إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن محمد؛ قال: قال أبو هريرة: «لا يزال الناس يسألون عن العلم، حتى يقولوا هذا: الله خلقنا، فمَن خلق الله؟».

وإذا هو آخذ بيد رجل؛ فقال: صدق الله ورسوله، قد سألني عنها رجل، وهذا الثاني، أو رجلان، وهذا الثالث».

* غريب الحديث:

قوله: (**لا يزال الناس يسألونكم عن العلم**) وذلك؛ لأن الصحابة ﷺ تلقت هذا العلم من مشكاة الوحي، ولم يزيدوا فيه شيئاً ولم ينقصوا؛ بل حملوه، وصانوه، ونشروه، ودفعوا كل غالٍ ونفيس في سبيل نشره.

قوله: (**حتى يقولوا هذا: الله خلقنا، فمَن خلق الله؟**) حتى يصل الأمر بهم من كثرة وساوس الشيطان، وشبهاته التي يلقيها عليهم، وأحياناً لضعف الإيمان، والجهل بالشرع؛ أن يقولوا: «مَن خلق الله؟».

قوله: (**قال: وهو آخذ بيد رجل: صدق الله ورسوله، قد سألني اثنان وهذا الثالث، أو قال: سألني واحدٌ، وهذا الثاني**) أعاد كلمة قال؛ لطول الفصل بينها وبين مقولها، وقد تقدم أنها كثيراً ما ترد في سياق الحديث.

وأما إمساكه يد الرجل؛ ليؤكد أنه ممن صدق عليه قول الرسول ﷺ. والتصديق لصحة، وصواب ما أخبر به.

وهذا علم من أعلام نبوته؛ حيث أخبر ووقع على وفق ما أخبر به.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الناس سيرجعون إلى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لطلب العلم.

٢ ـ وفيه تزكية الصحابة رضي الله عنهم، وأنهم أهل للعلم، وهذا يدل على حجيَّة منهجهم على مَن بعدهم إلى يوم الدين.

٣ ـ أنّ العلم النافع الصحيح ما كان من قول الرسول ﷺ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٤ ـ بيان علم من أعلام نبوته ﷺ حيث وقع ما أخبر به.

٥ ـ استحباب قول المرء: صدق الله ورسوله؛ إذا شاهد ما يدل عليه الشرع من الغيب الذي يقع.

٦ ـ استعمال الأمور التي تدلل على صدق الوقائع بأشياء من مثل قبض يد السائل، أو السارق، ونحوها.



(...) وحَدَّثَنِي عَبْدُاللهِ بْنُ الرُّومِيِّ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! حَتَّى**

يَقُولُوا: هذَا اللّهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟»، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هذَا اللّهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا، قُومُوا، صَدَقَ خَلِيلِي.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ أخرج مسلم لعكرمة بن عمار على الرغم أن في روايته عن يحيى بن أبي كثير ضعفاً متابعة وليس في الأصول.

✵ غريب الحديث:

قوله: **(فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب)**؛ أي: فبينما أبو هريرة ﷺ في المسجد جاءه ناس من سكان البادية.

قوله: **(فأخذ حصى بكفه فرماهم)**؛ أي: تناول حصى مِلءَ يده ورماهم به كراهية لسؤالهم.

قوله: **(صدق خليلي)**؛ يعني: النبي ﷺ.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ منقبة لأبي هريرة ـ ﷺ ـ وشهادة صدق وعدل فيه، وأنه مرجع من مراجع العلم وأوعيته، وعلم من أعلامه وأئمته.

٢ ـ أنّ الغالب في الأعراب الجهل بالشرع؛ لبُعدهم عن العلم والعلماء.

٣ ـ وفيه زجر الناس عن سؤال ما لا فائدة فيه.

٤ ـ أن من الأسئلة ما هو مذموم شرعاً، لا يجوز إيراده؛ لأنه يحمل التناقض مع ذاته، ويندرج تحت السؤال المذموم: السؤال عما حرّم على

جنس بني البشر والجن والملائكة على حد سواء معرفته، ألا وهو ذات الله - جلّ وعلا -؛ فهو القائل عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.



٢١٦ - (...) حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الأَصَمِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيَسْأَلَنَّكُمُ النَّاسُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَقُولُوا: اللّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَهُ؟**».

➢ فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف - رَحِمَهُ اللهُ -.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**حتى يقولوا: الله خلق كل شيء**)؛ قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: «هكذا هو في بعض الأصول: «يقولوا» بغير نون، وفي بعضها: «يقولون» بالنون، وكلاهما صحيح.

وإثبات النون مع الناصب لغة قليلة، ذكرها جماعة من محققي النحويين، وجاءت متكررة في الأحاديث الصحيحة»(١).

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



٢١٧ - (١٣٦) حَدَّثَنَا عَبْدُاللّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟**».

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٥٧).

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ نصفه مسلسل بالكوفيين والآخر بالبصريين.

٣ ـ حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ هذا من المتفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٧٢٩٦).

⮰ فقه الحديث:

١ ـ ذم كثرة السؤال؛ لأنها تفضي إلى المحذور كالسؤال المذكور.

٢ ـ هذا السؤال وأمثلته لا ينشأ إلا عن جهل مفرط.



(...) حدّثناه إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، كِلاهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَنَس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهَذَا الْحَدِيثِ، غَيْرَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْ: «**قَالَ: قَالَ اللّهُ: إِنَّ أُمَّتَكَ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بهذا الحديث**): إشارة إلى سند مختار بن فلفل.

٢ ـ رواية جرير وزائدة: ساقها أبو نعيم في «المستخرج» (١/٢٠٣/٣٥٢):

حدثنا عبدالله بن يحيى بن معاوية الطلحيّ، ثنا عبيدالله بن غَنّام، ثنا أبو بكر عبدالله بن أبي شيبة، نا حسين بن عليّ، عن زائدة، عن المختار بن فلفل، عن أنس. (ح) وحدثنا أبو محمد بن حيان، ومحمد بن إبراهيم، قالا: ثنا أبو يعلى، ثنا جرير، عن المختار، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ـ تعالى ـ قال: إن أمتك لا يزالون يسألون، ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا اللّهُ خَلَقَ كلَّ شيء، فمَن خلق الله؟**».

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



٦٢ ـ باب وعيد مَن اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار

٢١٨ ـ (١٣٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعاً عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ. قَالَ ابْنُ أَيُّوبٍ: حَدَّثَنَا إسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَلاَءُ: ـ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ مَوْلَى الْحُرَقَةِ ـ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ السَّلَمِيِّ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللّٰهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً، يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ**».

* راوي الحديث:

هو أبو أمامة إياس بن ثعلبة البلوي الأنصاري، حليف بني حارثة، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار، وهو من المقلّين في الرواية.

وراوي هذا الحديث ليس هو أبو أمامة الباهلي: صدي بن عجلان المشهور.

وقد خلط بينهما كثير من المعاصرين؛ فتنبّه.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف.

٢ ـ فيه العلاء بن عبدالرحمٰن مولى الحرقة، والحرقة: ـ بضم الحاء وفتح الراء ـ، وهي بطن من جهينة.

٣ ـ ومعبد بن كعب السلمي ـ بفتح السين واللام ـ منسوب إلى بني سَلِمة ـ بكسر اللام ـ من الأنصار، وفي النسب ـ بفتح اللام ـ على المشهور

عند أهل العربية وغيرهم، وقيل: يجوز كسر اللام في النسب ـ أيضاً ـ، قاله النووي.

٤ ـ فيه رواية ثلاثة من التابعين عن بعضهم: العلاء عن معبد عن أخيه عبدالله.

٥ ـ فيه رواية الأخ عن أخيه: معبد عن أخيه عبدالله بن كعب.

٦ ـ قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أن هنا دقيقةً، لا بدّ من التنبيه عليها، وهي أن الذين صنّفوا في أسماء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ذكر كثير منهم، أن أبا أمامة هذا الحارثيّ ـ رضي الله عنه ـ، توفي عند انصراف النبي ﷺ من أُحد، فصلّى عليه، ومقتضى هذا التاريخ أن يكون هذا الحديث الذي رواه مسلم منقطعاً، فإن عبدالله بن كعب تابعيّ، فكيف يسمع مَن توفي عام أحد في السنة الثالثة من الهجرة؟ ولكن هذا النقل في وفاة أبي أمامة ليس بصحيح، فإنه صحّ عن عبدالله بن كعب، أنه قال: حدثني أبو أمامة، كما ذكره مسلم في الرواية الثانية، فهذا تصريح بسماع عبدالله بن كعب التابعيّ منه، فبَطَل ما قيل في وفاته، ولو كان ما قيل في وفاته صحيحاً، لم يخرّج مسلم حديثه، ولقد أحسن الإمام أبو البركات الجزريّ، المعروف بابن الأثير، حيث أنكر في كتابه «معرفة الصحابة رضي الله عنهم» هذا القول في وفاته، والله تعالى أعلم»[1].

٧ ـ حديث أبي أمامة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: (**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة**)؛ اقتطع: افتعل من القطع، وهو: الأخذ هنا؛ لأنّ من أخذ شيئاً لنفسه؛ فقد قطعه عن مالكه.

والمعنى: أنّ من أخذ حقاً ـ أي حق كان ـ من حقوق المسلمين ذكراً كان أو أنثى باليمين الفاجرة الكاذبة مستحلاً لذلك الفعل الشنيع؛ فقد

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٦٠).

أوجب الله له النار خالداً فيها بسبب هذا المتاع الزائل الزائف الحقير، وحرّم عليه الجنة زيادة في العذاب والعقاب وقطع الأطماع. فكانت هذه الفعلة أوبقته في العذاب المقيم الذي لا ينقطع، وهو يظن لفرط جهله أنه قد فلت من الحكم العدل، والسميع البصير.

وإن كان مستحلاً لفعلها دون اعتقاد القلب؛ فهي كبيرة من الكبائر، وهي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في نار جهنم.

قوله: **(فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً، يا رسول الله؟ قال: وإن قضيباً من أراك)**: فسأله سامع لهذا الكلام المحذر والمتوعد للطغيان، والخروج عن شريعة الرحمٰن إلى شريعة الشيطان: هل هذا الخطاب يشمل من أخذ شيئاً تافهاً يسيراً؟ فأجابه: وإن كان هذا الحق المأخوذ ظلماً شيئاً حقيراً صغيراً مما لا تتشوف النفس له وبه عادة؛ كقضيب من شجر الحمض الذي يستاك بقضبانه؛ وهو: السِّواك. فكان هذا الجواب الذي يزلزل القلوب والأبدان ويقلق الأنام؛ لأنهم يتساهلون بهذا الجانب.

فقه الحديث:

١ ـ هذا الحديث أصل في تعظيم حقوق المسلمين، وتحريم ماله مطلقاً، كثيراً كان، أو قليلاً.

٢ ـ أنّ الظلم ظلمات يوم القيامة، عاقبته عذاب أبدي سرمدي.

٣ ـ تغليظ تحريم الأيمان الكاذبة الفاجرة وتجريمها.

٤ ـ أنّ هذا اليمين هو «اليمين الغموس» الذي يتسبب بغمس صاحبه في النار يوم القيامة.

٥ ـ أنّ أهل الكفر والشرك أوجب الله لهم النار، وحرم عليهم الجنة.

٦ ـ أنّ العاصي المتوعد بالعقوبة تحت المشيئة، إن شاء عذّبه، وإن شاء عفا عنه.

٧ ـ أنّ اليمين الغموس لا كفارة لها إلا التوبة النصوح.

٨ ـ دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان.

٩ ـ مشروعية السؤال عند وجود إشكال في الفهم.

١٠ ـ أنّ هذا الوعيد عام في كل حق غالٍ أو رخيص.

١١ ـ مشروعية القضاء في قليل المال وكثيره؛ إذ الكل ظلم، والقضاء هو الذي يرفع الظلم، ويدفعه عن المظلوم.

١٢ ـ أنّ الحكم للظاهر ولو كان كاذباً، والله يتولى السرائر.

١٣ ـ أنّ حكم القاضي لا يغير شيئاً من حكم الله.

١٤ ـ أنّ غير المسلم؛ كالمسلم من جهة الحرمة، ولكن درجة الحرمة تختلف.

١٥ ـ قال النووي: «وفيه لطيفة، وهي أن قوله ﷺ: «**حق امرىء**» يدخل فيه من حلف على غير مال، كجلد الميتة والسرجين، وغير ذلك من النجاسات التي ينتفع بها، وكذا سائر الحقوق التي ليست بمال، كحد القذف، ونصيب الزوجة في القسم وغير ذلك».

١٦ ـ فيه دلالة على وجوب الرضا بما رزق الله، إذ أن الباعث على الطمع فيما بأيدي الآخرين، عدم الرضا بما عنده، ولذا فقد ورد في صحيح البخاري عن النبي ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس**».



٢١٩ ـ (...) وحدّثناه أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَهَارُونَ بْنُ عَبْدِالله، جَمِيعاً عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَخَاهُ عَبْدِاللّهِ بْنَ كَعْبٍ يُحَدِّثُ؛ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْحَارِثِيَّ حَدَّثَهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، بِمِثْلِهِ.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من ثمانيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه تصريح محمد بن كعب بالسماع من أخيه عبدالله بن كعب، وهو صرّح بتحديث أبي أمامة له.

٣ ـ فيه التصريح بنسب أبي أمامة؛ فقال: الحارثي.

٤ ـ محمد بن كعب هذا هو الأصغر، وله أخ أكبر منه اسمه ـ أيضاً ـ محمد بن كعب، وهو صحابي توفي في حياة النبي ﷺ.

٥ ـ قوله: (**بمثله**)؛ أي: رواية محمد بن كعب عن أخيه عبدالله عن أبي أمامة مثل رواية معبد بن كعب عن أخيه عنه.

٦ ـ رواية محمد بن كعب المشار إليها: ساقها أبو نعيم في «المستخرج» (١/٢٠٤/٤٣٥): حدثنا علي بن هارون، أنا موسى بن هارون، ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، عن الوليد بن كثير، عن محمد بن كعب، أنه سمع أخاه عبدالله بن كعب. (ح) وحدثنا أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، أنا إسحاق بن إبراهيم، قال: قلت لأبي أسامة: أحدثكم الوليد بن كثير المخزوميّ، عن محمد بن كعب بن مالك، أنه سمع أخاه، عبدالله بن كعب يُحَدِّث، أن أبا أُمامة الحارثيَّ حدّثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَقْتَطِع رجل حقَّ امرىءٍ مسلم بيمينه، إلا حرَّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار**»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله، وإن كان يسيراً؟ قال: «**وإن كان سِوَاكاً من أراك**».

قال: أبو أمامة، هو: ابن ثعلبة الحارثيّ، من الأنصار، وهو ابن أخت أبي بُرْدة بن نِيَار، وقيل: اسمه إياس، وقيل: عبدالله.



٢٢٠ ـ (١٣٨) وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْر ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الْحَنْظَلِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ أَخْبَرَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبدِاللّهِ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ؛ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِم، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللّه، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»؛ قَالَ: فَدَخَلَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِالرَّحْمٰنِ؟ قَالُوا: كَذَا وكَذَا. قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِالرَّحْمٰنِ، فِيَّ نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَن، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**»، فَقُلْتُ: لاَ. قَالَ: «**فَيَمِينُهُ**». قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِم، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، فَنَزَلَتْ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ إِلى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران: ٧٧].

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له ثلاثة شيوخ أوردهم بالتحويل.

٣ ـ قوله: (**واللفظ له**)؛ أي: لشيخه إسحاق ابن راهويه، وأما الآخران: أبو بكر وابن نمير فروياه بالمعنى.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: الأعمش عن أبي وائل.

٥ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ، من المتفق عليه؛ فقد أخرجه البخاري ـ أيضاً ـ (**٢٣٥٦ و٢٣٥٧ و٢٥١٥ و٢٥١٦ و٢٦٦٩ و٢٦٧٠ و٢٦٧٣ و٢٦٧٦ و٢٦٧٧ و٤٥٤٩ و٤٥٥٠ و٦٦٥٩ و٦٦٦٠ و٦٦٧٦ و٦٦٧٧ و٧١٨٣ و٧١٨٤ و٧٤٤٥ و٧٤٤٦**).

٦ ـ أخرج البخاري هذا الحديث في «كتاب الأيمان والنذور» **(٦٦٥٩)** من رواية شعبة عن الأعمش عن أبي وائل مما يدل أن الأعمش لم يدلس فيه؛ لأن شعبة لا يروي منه إلا ما سمعه من شيوخه، فلا يضره مجيئه هنا معنعناً.

❋ غريب الحديث:

قوله: **(من حلف على يمين صبر)**؛ الصبر: ـ بفتح الصاد وسكون الموحدة ـ وهو: الحبس.

والمعنى: من حلف على يمين أُلزم بها، وحبس عليها، وكانت لازمة لصاحبها من جهة الحكم.

وقيل لها: مصبورة، وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور؛ لأنه إنما صَبر من أجلها؛ أي: حبس، فوصفت بالصبر، وأُضيفت إليه مجازاً.

قوله: **(وهو فيها فاجر)**؛ الفاجر: المنبعث في المعاصي، والمحارم، يقال: فجر يفجر فجوراً، والجمع: فجّار.

والمعنى: يحلف اليمين بصفتها المذكورة، وهو كاذب خائن متلطخ بالمعاصي.

قوله: **(لقي الله وهو عليه غضبان)**؛ وملاقاة الله ـ تعالى ـ تكون يوم القيامة، وهو من أركان الإيمان، والغضب منه سبحانه يدل على عدم الرضا؛ بل السخط عليه، ومقته؛ لفعلته المنكرة، وهذا النص، وأمثاله يدل على أنّ فعله، وهو الحلف مع الأيمان الكاذبة من الكبائر.

قوله: **(قال: فدخل الأشعث بن قيس؛ فقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمٰن؟ قالوا: كذا وكذا. قال: صدق أبو عبدالرحمٰن)**: حدّث بهذا الحديث عبدالله بن مسعود، وكنيته أبو عبدالرحمٰن لجلسائه، وعند ذلك دخل الأشعث ـ وهو الأشعب بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد الصحابي شهد القادسية والمدائن، نزل الكوفة وتوفي بها عام الجماعة ـ

المكان من مكان آخر؛ فسألهم عن الحديث الذي دار بينهم، فأجابوه بما أخبرهم به، فصَدقه ذاكراً إياه بكنيته، وأورد الدليل على تصديقه وهو:

قوله: **(فيَّ نزلت، كان بيني وبين رجل أرض باليمن، فخاصمته إلى النبي ﷺ؛ فقال)**: إنّ الآية الآتي ذكرها كان نزولها بسببه، أي: بسبب خصومته مع رجل من اليمن البلد المعروف، وأخبر أنهما اختصما عند رسول الله ﷺ في حل خصومتهم.

قوله: **(فقال: هل لك بيِّنة؟ فقلت: لا. قال: فيمينه)**: سأله الرسول ﷺ هل معه شاهد، أو شهود، أو دليل على صحة قولك؟ فقال: الأشعث للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا بينة لدي من شاهد أو دليل؟ فقال له: إذن الآن لا بد من يمينه؛ أي: يقسم على أنها له وليست لك.

قوله: **(قلت: إذن يحلف)**؛ يعني: أنه يحلف ولا يبالي باليمين، فكأنه شعر أنّ طلب اليمين منه لا يكفي.

قوله: **(... فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية)**: أنزل الله هذه الآية؛ لبيان خطورة الحلف الكاذب الذي يجعله حالفه وسيلة لنيل عرض زائل من أعراض الدنيا الفانية؛ وأنّ جزاءه في الآخرة أن لا نصيب له من الخير والبركة؛ الحسنات والرحمة، والعفو، والمغفرة، وليس ذلك فحسب؛ بل ولا يكلمه الكلام الذي فيه البشرى والإحسان، ولا ينظر إليه، ومن نظر إليه رحمه، ولا يطهره من الذنوب؛ حتى يلقى جزاءه، وعذاب فوق الخزي، والسوء أليم موجع.

فقه الحديث:

١ ـ تحريم أخذ حق المسلم بالأيمان الفاجرة، وأن ذلك مما ينافي الإيمان، ولذلك أورده المصنف في كتاب الإيمان.

٢ ـ التشديد على من حلف باطلاً؛ ليأخذ حق مسلم.

٣ ـ أنّ يمين الفاجر تسقط عنه الدعوى.

٤ ـ أن فجوره في دينه لا يوجب الحجر عليه، ولا إبطال إقراره، ولولا ذلك لم يكن لليمين معنى.

٥ ـ أنّ المدعى عليه إن أقرّ أن أصل المدعى لغيره لا يكلف لبيان وجه مصيره إليه ما لم يعلم إنكاره لذلك؛ يعني: تسليم المطلوب له ما قال.

٦ ـ جواز سماع الحاكم الدعوى فيما لم يره إذا وصف وحدِّد أو ميِّز تمييزاً ينضبط به، وعرفه الخصمان وأقرا به.

٧ ـ الحاكم أو القاضي يسأل المدّعي عن بيِّنته؛ كما ترجم البخاري على الحديث في باب الشهادات.

٨ ـ مَن رضي بيمين خصمه، ثم طلب إقامة البيِّنة لا يُقبل منه إلا إن أتى بعذر شرعي.

٩ ـ إثبات صفة الغضب لله ـ تعالى ـ كما يليق به سبحانه.

١٠ ـ أنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتذاكرون العلم فيما بينهم.

١١ ـ أنّ بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يصدق بعضهم بعضاً، ويُجل بعضهم بعضاً.

١٢ ـ استحباب تصديق العالم، أو الحافظ من يخبر بحق إن أحسنه بقوله: صدقتَ أو صدقَ.

١٣ ـ أنّ الآية المذكورة في هذا الحديث نزلت في نقض العهد.

١٤ ـ أنّ الرجوع إلى العلماء عند الاختلاف سبب حل الخصومات.

١٥ ـ لا بد من البينة لصاحب الحق أو المدعي.

١٦ ـ المنهج الحق في ذكر المساوىء عدم التصريح بأسماء أصحابها ستراً من الله عليهم ما لم تقتضِ الضرورة أو المصلحة الشرعية ذلك اقتضاءً لا تأويل فيه، ولا لبس يعتريه

١٧ ـ أنّ على المدعى عليه أن يحلف؛ ليبرأ من التهمة.

١٨ ـ أنّ الحلف الكاذب من الفجور.

١٩ ـ أنّ هذا الفعل من الكبائر يدل على ذلك الآية والحديث.

٢٠ ـ بيان الوعيد الشديد لمن فعل هذا المنكر من القول والزور.

٢١ ـ معرفة أسباب نزول القرآن تعين على فهم النصوص، وكذلك أسباب ورود الحديث تعين على تعيين المراد.

٢٢ ـ ما يجري بين الخصوم من فجور هدر؛ لأنه مما يتسامح فيه؛ لصدوره غالباً في حال الغضب.

٢٣ ـ الحاكم أو القاضي يعظ الذي يريد الحلف خوفاً من أن يحلف باطلاً، فيرجع إلى الحق بالموعظة الحسنة.

٢٤ ـ فيه دليل على جواز طلب الدليل عند المناظرة.

٢٥ ـ فيه إشارة إلى أن لليمين مكاناً يختص به، وقد صحّ أن الحلف في عهد رسول الله ﷺ كان عند منبره.

٢٦ ـ البداءة بالسماع من المدّعي ثم المدّعى عليه هل يقرّ وينكر؟ ثم طلب البيِّنة من المدّعي إن أنكر المدعى عليه، ثم توجيه اليمين على المدّعى عليه، إذا لم يجد الطالب البيِّنة.

● **تذييل:**

ذهب كثير من شرّاح الحديث إلى أن المراد بالغضب إرادة الانتقام، وهذا مذهب الأشاعرة الباطل؛ أما مذهب السلف الصالح أهل السنّة والجماعة؛ فهو إثبات صفة الغضب على حقيقتها على كيفية تليق بجلال الله ـ تبارك وتعالى ـ، والله أعلم.



٢٢١ ـ (. . .) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيم، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِالله؛ قَالَ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالاً هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الأَعْمَشِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خَصُومَةٌ فِي بِئْرٍ؛ فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

٢ ـ ظاهر الرواية أنها موقوفة على عبدالله، وقد وقع التصريح بالرفع في الحديث السابق، وكذلك عند البخاري.

والظاهر أن منصوراً كان يرويه أحياناً موقوفاً وأحياناً مرفوعاً، ولا تعارض، والرفع هو الصحيح ولا يضره الوقف؛ لأن الذين رفعوه أكثر. ولو ثبت كونه موقوفاً؛ فإن له حكم الرفع.

٣ ـ رواية جرير عن منصور: ساقها البخاري (**٢٥١٦**): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل؛ قال: قال عبدالله ـ رضي الله عنه ـ: «مَن حلف على يمين يستحق بها مالاً، وهو فيها فاجرٌ، لقي الله وهو عليه غضبان؛ فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ فقرأ إلى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧]، ثم إن الأشعث بن قيس، خَرَجَ إلينا، فقال: ما يُحَدِّثكم أبو عبدالرحمٰن؟ قال: فحدثناه، قال: فقال: صَدَقَ، لَفِيَّ والله أُنْزِلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**شاهداك، أو يمينه**»، قلت: إنه إذاً يحلف، ولا يبالي، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن حَلَفَ على يمين، يستحقّ بها مالاً، وهو فيها فاجر، لقي الله، وهو عليه غضبان**»، فأنزل الله تصديق ذلك، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾، فقرأ إلى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧].

❋ غريب الحديث:

قوله: (**وهو فيها فاجر**)؛ أي: متعمد للكذب، وهي اليمين الغموس.

قوله: (**شاهداك أو يمينه**)؛ أي: ألك ما يشهد به شاهداك أو يمينه.

فقه الحديث:

١ ـ أفادت هذه الرواية: أنّ المدعي يحتاج إلى شاهدين؛ لإثبات دعواه.



٢٢٢ ـ (...) وحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، وَعَبْدِالْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ، سَمِعَا شَقِيقَ بْنَ سَلَمَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». قَالَ عَبْدُالله: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللّهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ قوله: (**قال عبدالله**): هو ابن مسعود، وهو موصول بالسند المذكور.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**مصداقه**)؛ أي: مصداق الحديث؛ أي: ما يوافق الحديث.

قوله: (**من كتاب الله**)؛ أي: الآية التي يوافق معناها معنى الحديث من القرآن الكريم.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ تفسير القرآن الكريم بالسنّة؛ فهي لسان صدق يوضح معناه، ويعين مراد الله فيه.

٢ ـ جواز تقوية الحديث النبوي بالقرآن الكريم.

وباقي شرح الحديث تقدم بيانه.



٢٢٣ ـ (١٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، وَأَبُو عَاصِمٍ الْحَنَفِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ ـ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لأَبِي. فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلحَضْرَمي: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**»، قَالَ: لاَ. قَالَ: «**فَلَكَ يَمِينُهُ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لاَ يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ**»، فَانْطَلَقَ؛ لِيَحْلِفَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ: «**أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْماً، لَيَلْقَيَنَّ اللّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**».

✸ راوي الحديث:

علقمة بن وائل بن حجر الكندي الحضرمي، ثم الكوفي، صدوق، وثقه ابن حبان، وابن سعد.

وأبوه هو: وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن ضمعج بن ربيعة بن وائل الكندي أبو هنيدة ـ أو أبو هند ـ صحابي جليل، أبوه من ملوك حضرموت، وفد على النبي ﷺ؛ فبسط له رداءه، ودعا له ولأولاده بالبركة، واستعمله على أقيال حضرموت، سكن الكوفة وعقبه بها، وله مع

معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ قصة طريفة: ذكرها ابن حبان في «الصحابة»: كان بقية أولاد الملوك بحضرموت، وبشَّر به النبي ﷺ قبل قُدُومه، وأقطعه أرضاً، وبعث معه معاوية؛ ليُعرّفه بها، قال: فقال لي معاوية: أرْدفني، قلتُ: إنك لا تكون من أرداف الملوك، قال: أعطني نعلك، فقلتُ: انتعل ظلّ الناقة، قال: فلما استُخلف أتيته، فأقعدني معه على السرير، فذكّرني الحديث، فقلتُ في نفسي: ليتني حملته بين يديّ.

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وهذه القصة موجودة في «المسند» (٣٩٩/٦) وسندها حسن.

وروى له الجماعة إلا البخاري؛ فقد أخرج له في «جزء القراءة».

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له أربعة شيوخ قرن بينهم.

٣ ـ مسلسل بالكوفيين.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: سماك عن علقمة.

٥ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: علقمة بن وائل عن أبيه.

٦ ـ حديث وائل بن حجر ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

٧ ـ غمز في هذا الحديث بأن علقمة بن وائل عن أبيه مرسل، وهذا فيه نظر من وجوه:

الأول: صحّ سماعه من أبيه عند مسلم (١٦٨٠)، والبخاري في «جزء رفع اليدين» (ص٦ ـ ٧)، والنسائي (١٠٤٥).

الثاني: أن جمهور الأئمة أثبتوا سماع علقمة من أبيه؛ منهم: البخاري، والترمذي، وابن حبان وغيرهم.

وانظر تمام ذلك وبسطه في كتابي الفرد: «طرح التثريب عن «تقريب التهذيب» وإصلاحه من الخطأ والسقط والعيب».

❋ غريب الحديث:

قوله: (**جاء رجل من حضرموت، ورجل من كندة إلى النبي ﷺ**):

حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن، وحولها رمال كثيرة تُعرف بالأحقاف.

وكندة: حي باليمن، نسبة إلى كندة بن ثور أبو قبيلة مشهورة من العرب في اليمن.

والمعنى: أنّ رجلين ـ أحدهما من حضرموت والآخر من كندة ـ اختصما واختلفا في أرض كل منهما يقول هي له، فاحتكما إلى رسول الله ﷺ.

قوله: (**يا رسول الله! إنّ هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي**) يقال: غلبه غَلْباً وغَلَباً وغَلَبَة؛ أي: قهره واستولى عليه.

والمعنى: أنّ هذا الرجل من كندة تعدّى عليَّ في أرض لي ورثتها عن أبي؛ فأخذها قهراً، واستولى عليها؟.

قوله: (**فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق**) فقال: الأرض لي ليست له، ومن أقوى الأدلة: أني؛ أزرعها؛ فهي تحت سيطرتي.

قوله: (**ألك بينة؟**) أعندك دليل يصدق ما تقوله من شهود أو غيرها.

قوله: (**قال: لا. قال: فلك يمينه**) إذن فليس لك عليه إلا أن يحلف.

قوله: **(قال: يا رسول الله! إنّ الرجل فاجر لا يُبالي على ما حلف عليه، وليس يتورع من شيء؟)** يقول الحضرمي للنبي ﷺ: أنّ الاكتفاء باليمين من مثل هذا الفاجر المنغمس بالمعاصي يُذهب بحقي؛ لأنه لا يردعه إيمان، ولا يمتنع عن أكل حق أحد من الناس قليلاً أو كثيراً.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ السلف الصالح كانوا يقطعون المفاوز في سبيل لقاء الرسول عليه الصلاة والسلام، وأخذ العلم عنه.

٢ ـ أنّ الواجب على المختلفين أن يتحاكموا إلى الشرع؛ بأن يحكموا رسول الله لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وليس التحكيم فقط، بل والرضا والتسليم.

٣ ـ الواجب على الحاكم والقاضي بين المختلفين أنْ يسمع منهم الحجج والبينات.

٤ ـ طلب البينة من المدعي.

٥ ـ أنّ اليمين على المدعىٰ عليه عند فقد الدليل والبيّنة.

٦ ـ أنّ المدعي ليس له من المدعىٰ عليه إلا اليمين.

٧ ـ أنّ إعراض الله ـ تعالى ـ عن العبد دليل على غضبه عليه، ومقته له.

٨ ـ البداءة بالسماع من الطالب، ثم من المطلوب هل يقر أو ينكر، ثم طلب البينة من الطالب إن أنكر المطلوب، ثم توجيه اليمين على المطلوب إذا لم يجد الطالب البينة.

٩ ـ وإنّ الطالب إذا ادّعى أنّ المدعي به في يد المطلوب؛ فاعترف استغنى عن إقامة البينة بأن يد المطلوب عليه.

١٠ ـ بيان عقوبة من أكل أموال الناس ظلماً.

١١ ـ الخصمان سواء في سيرة الحكم يطلب البيِّنة من المدّعي، واليمين من المدّعى عليه.

١٢ ـ الكفار إذا استولوا على أموال المسلمين ثم أسلموا؛ فإن الأموال المسلوبة ترجع إلى أصحابها؛ لقول المدّعي في دعواه: إنه انتزى على أرضه في الجاهلية؛ فلو كانت لا تُرد؛ لما كان لقول النبي ﷺ: «**ألك بيِّنة؟**» معنى وفائدة؛ فتدبّر ولا تكن من الغافلين.



٢٢٤ ـ (...) وَحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، ـ جَمِيعاً ـ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِالْمَلِكِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلانِ يَخْتَصِمَانِ فِي أَرْضٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ هَذَا انْتَزَى عَلَى أَرْضِي يَا رَسُولَ اللّهِ! فِي الْجَاهِلِيّةِ ـ وَهُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ عَابِسٍ الْكِنْدِيُّ، وَخَصْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ عِبْدَانَ ـ قَالَ: «**بَيِّنَتُكَ**» قَالَ: لَيْسَ لِي بَيِّنَةٌ. قَالَ: «**يَمِينُهُ**». قَالَ: إِذَنْ يَذْهَبُ بِهَا. قَالَ: «**لَيْسَ لَكَ إِلاَّ ذَاكَ**»، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضاً ظَالِماً، لَقِيَ اللّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». قَالَ إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ: رَبِيعَةُ بْنُ عَيْدَانَ.

● فوائد الإسناد:

١ ـ قال النووي في «شرحه» (٢/١٦١):

«وفيه: (امرؤ القيس بن عابس وربيعة بن عيدان)، أما عابس، ـ فبالموحدة والسين المهملة ـ، وأما عيدان، فقد ذكر مسلم أن زهيراً وإسحاق اختلفا في ضبطه، وذكر القاضي عياض الأقوال فيه واختلاف الرواة؛، فقال[١]: هو ـ بفتح العين وبياء مثناة من تحت ـ، هذا صوابه، وكذا هو في رواية إسحاق، وأما رواية زهير، فعبدان ـ بكسر العين وبباء

(١) «إكمال المعلم» (١/٥٥٣ ـ ٥٥٤).

موحدة ـ، قال القاضي: كذا ضبطناه في الحرفين عن شيوخنا.

قال: ووقع عند ابن الحذاء عكس ما ضبطناه، فقال في رواية زهير: بالفتح والمثناة، وفي رواية إسحاق: بالكسر والموحدة.

قال الجياني: وكذا هو في الأصل عن الجلودي.

قال القاضي: والذي صوّبناه أولاً هو قول الدارقطني، وعبدالغني بن سعيد، وأبي نصر بن ماكولا، وكذا قاله ابن يونس في «التاريخ». هذا كلام القاضي.

وضبطه جماعة من الحفّاظ منهم: الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي عِبِدّان ـ بكسر العين والموحدة وتشديد الدال ـ والله أعلم»(١).

٢ ـ ربيعة بن عبدان الحضرمي له صحبة، ولا رواية له، شهد فتح مصر.

* غريب الحديث:

قوله: **(انتزى على أرضي)**؛ انتزى: افتعل من النّزوِ، يقال: نزوت على الشيء أنزو نزواً؛ إذا وثبت عليه، وقد يكون في الأجسام والمعاني، والانتزاء والتنزّي ـ أيضاً ـ تسرع الإنسان إلى الشر.

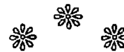
والمعنى: غلب عليها، واستولى.

قوله: **(في الجاهلية)**؛ أي: فترة ما قبل النبوة؛ لكثرة جهلهم بالله تعالى ورسوله ، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبُّر.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب وعظ المُقْدم على اليمين، وتخويفه من العقاب والنار.

وباقي الحديث تقدم شرحه.



---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٦١/٢).

٦٣ ـ باب الدليل على أن مَن قصد أخذ مال غيره بغير حقّ كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن مَن قتل دون ماله؛ فهو شهيد

٢٢٥ ـ (١٤٠) حدّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ مَخْلَدٍ ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين سوى شيخه أبو كريب، وخالد بن مخلد؛ فكوفيان.

٣ ـ فيه رواية الابن عن الأب ورواية تابعي عن تابعي: العلاء بن عبدالرحمٰن عن أبيه.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (... **أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟**): يا رسول الله! أعلمني، وأخبرني عمن جاءني إلى بيتي، أو متجري، أو في سيارتي يريد

نزع مالي بالقوة بغير حق ولا بيِّنة ماذا أفعل معه؟ أدعه يأخذ مالي؟ أم أُقاتله؟ أم ماذا أفعل معه؟

قوله: **(فلا تعطه مالك)**: لا تسلمه مالك، ولا تمكنه منه؛ فإنه لا يلزمك، ولا يجب عليك التنازل عنه.

قوله: **(قال: أرأيت إن قاتلني؟)**: فما موقفي إن أصرّ على قتالي من أجله؟

قوله: **(قاتله)**: إن وصل به الأمر إلى القتال؛ فقاتله.

قوله: **(أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد)**: أخبرني عن مصيري إن قتلني ومت؟ فأخبره أنه في عداد الشهداء.

قوله: **(أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»)**: وأخبرني عن جزائه ومصيره إن أنا قتلته؟ فقال له: إنه ممن يدخل النار، وهذا يكون على التأبيد إن فعله استحلالاً قلبياً، وكفراً أصغر إن كان إنما فعله؛ لحسدٍ وطمعٍ وظلمٍ لصاحبه دون استحلال قلبي.

فقه الحديث:

١ ـ هذا الحديث يقرر قاعدة الشريعة الكلية؛ وهي: حفظ المال، والنفس، والعرض.

٢ ـ مشروعية دفع الصائل، وصده، ولو وصل الأمر إلى قتاله.

٣ ـ وجوب قتال المحارب والقاصد لأخذ المال، وهتك العرض على قدر الوسع والطاقة، وجواز قتله إذا لم يدفع إلا بذلك.

٤ ـ عدم مشروعية إعطاء المقاتل والصائل المال.

٥ ـ أنّ المقتول في حال عدوانه لا دية له ولا قود؛ فهو مهدور الدم.

٦ ـ فضيلة من مات وهو يدافع عن دينه وعرضه وماله ونفسه.

٧ ـ أنّ الشهداء لا يحصرون بقتيل المعركة.

٨ ـ عقوبة الصائل الظالم أنه في النار.

٩ ـ يحمل دخوله على التخليد إن كان مستحلاً، وعلى الدخول بلا تخليد إن كان غير مستحل.

١٠ ـ دليل على وجود النار، والإيمان بها.

١١ ـ قال النووي ـ رحمه الله ـ: «واعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام:

أحدها: المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال؛ فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا؛ وهو: أنه لا يغسل، ولا يصلى عليه.

والثاني: شهيد في الثواب دون أحكام الدنيا، وهو المبطون، والمطعون، وصاحب الهدم، ومَن قتل دون ماله، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً، فهذا يغسل، ويصلى عليه، وله في الآخرة ثواب الشهداء، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول.

والثالث: من غلّ في الغنيمة، وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسميته شهيداً إذا قتل في حرب الكفار، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا، فلا يغسل ولا يصلى عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة، والله أعلم».

● **تكميل:**

١ ـ اعلم ـ رحمك الله ـ أن مقاتلة الصائل وقاطع الطريق الباغي تكون بعد المناشدة بالله، والاستعانة بالمسلمين، وولاة الأمور؛ فقد أخرج النسائي هذا الحديث في «المجتبى» (٤٠١٤) من طريق عمرو بن قُهَيد الغفاريّ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن عُدِي على مالي؟

قال: «**فانشُدْ بالله**»، قال: فإن أبَوا عليّ، قال: «**فانشُدْ بالله**»، قال: فإن أبَوا عليّ؟ قال: «**فانشُدْ بالله**»، قال: فإن أبَوا عليّ؟ قال: «**فقاتل، فإن قُتلتَ؛ ففي الجنة، وإن قَتَلْتَ؛ ففي النار**»؛ أي: إن قتلتَ هؤلاء المعتدين، فهم في النار.

وأخرج (٤٠١٣) من طريق سماك بن حرب، عن قابوس بن مخارق، عن أبيه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجلُ يأتيني؛ فيريد مالي؟ قال: «**ذكِّره بالله**»، قال: فإن لم يَذَّكَّرْ؟ قال: «**فاستعن عليه مَنْ حَوْلَك من المسلمين**»، قال: فإن لم يكن حولي أحدٌ من المسلمين؟ قال: «**فاستعن عليه بالسلطان**»، قال: فإن نأى السلطان عني؟ قال: «**قاتل دون مالك، حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك**».

فهذان حديثان بهما يثبت ما تقدم؛ لأنهما بمجموعهما ثابتان، والله أعلم.

٢ ـ مقاتلة القاصد لأخذ المال بغير حق جائزة سواء أكان المال كثيراً أم قليلاً؛ لعموم الحديث؛ ولأن هذا الأمر من باب تغيير المنكر.

٣ ـ قال ابن المنذر: «والذي عليه أهل العلم: أن للرجل أن يدفع عما ذكر ـ إذا أريد ظلماً ـ بغير تفصيل؛ إلا أن كل مَن يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان؛ للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره، وترك القيام عليه».

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ـ: صدق ابن المنذر؛ فإن استثناء السلطان وإن جار وأكل المال وجلد الظهر موضع إجماع من علماء أهل السنة والجماعة؛ للأحاديث الصحيحة المستفيضة في هذا الباب، ولم يخالف إلا أهل الأهواء والبدع ودعاة الضلالة على أبواب جهنم.



٢٣٦ ـ (١٤١) حدّثني الْحَسَنُ بْنَ عَلِيٍّ الْحُلْوانِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ. قَالَ إِسحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ

الآخَرانِ: حَدَّثَنا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الأَحْوَلُ؛ أَنَّ ثَابِتاً مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرو وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ، تَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ، فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرو، فَوَعَظَهُ خَالِدٌ. فَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنِ عَمْرو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (**٦٣/٣٩**).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ دقة الإمام مسلم في سياق الأسانيد، وتفنُّنه في ترتيبها.

٣ ـ تفريق الإمام مسلم بين أخبرنا وحدثنا.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: سليمان الأحول عن ثابت.

٥ ـ حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٤٨٠**).

✸ غريب الحديث:

قوله: (**ما كان**)؛ أي: الذي حصل، ووقع من العداوة.

قوله: (**تيسروا للقتال**)؛ أي: تأهّبوا وتهيّؤوا.

قوله: (**فركب خالد بن العاص**) قال النووي: «أن الفصيح في «العاصي» إثبات الياء، ويجوز حذفها؛ وهو الذي يستعمله معظم المحدثين أو كله. وخالد هو ابن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، أسلم يوم الفتح، استعمله عمر وعثمان على مكة».

فقه الحديث:

١ ـ جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق، سواء كان المال قليلاً أم كثيراً لعموم الحديث، وهذا قول الجماهير.

٢ ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ولذلك لم يطع عبدالله بن عمرو خالداً بن العاص.

٣ ـ رعاية الإسلام للحقوق المالية؛ حيث عدَّ الدفاع عن المال بالوجه الشرعي باباً من أبواب الجهاد والشهادة.

٤ ـ جواز دفع الضرر المتحقق بما يرده، وهذا ما فعله عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

فوائد زوائد:

كان عنبسة بن أبي سفيان عاملاً على الطائف من قبل أخيه معاوية، ويقال: إنه أدرك النبي ﷺ، ولا تصح له صحبة، ولا رؤية.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «إذا أدرك الزمن النبوي حصلت له الرؤية ولو من أحد الجانبين، ولا سيما مع كونه من أصهار النبي ﷺ، أخته أم حبيبة أم المؤمنين، وقد اجتمع الجميع بمكة في حجة الوداع»(١).

وما كان بينه وبين عبدالله بن عمرو: أنه لما كان عاملاً لمعاوية أجرى عيناً من ماء ليسقي بها أرضاً؛ فدنا من حائط لآل عمرو بن العاص، فأراد أن يخرقه؛ ليجري العين منه إلى الأرض، فأقبل عبدالله بن عمرو، وجرد السلاح، وقالوا: والله لا تخرقون حائطاً حتى لا يبقى منا أحد، وتأهب الفريقان للقتال.

وهذا العمل من عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ لا يعد خروجاً على السلطان، وإنما وقع للصائل الباغي، فتنبه.



(١) «الإصابة» (٥/٦٩).

(...) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّوْفَلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، كِلاَهُمَا عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، بِهذَا الإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بهذا الإسناد**)؛ أي: بسند ابن جريج الماضي، وهو: عن سليمان الأحول، عن ثابت، عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

٢ ـ رواية محمد بن بكر، عن ابن جريج: أخرجها الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في «مسنده» (٦٩٢٢):

حدثنا محمد بن بكر، وعبدالرزاق؛ قالا: أخبرنا ابن جريج، أخبرني سليمان الأحول: أن ثابتاً مولى عمر بن عبدالرحمٰن أخبره: أنه لمّا كان بين عبدالله بن عمرو، وعنبسة بن أبي سفيان ما كان، وتيسروا للقتال، فركب خالد بن العاصي إلى عبدالله بن عمرو، فوعظه، فقال عبدالله بن عمرو: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قُتِل دون ماله؛ فهو شهيد؟**».

وقال عبدالرزاق: «**مَن قُتِل على ماله؛ فهو شهيد**».

● من فقه النوازل:

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«هذا الحديث كما قال المترجم ـ رحمه الله ـ فيه دليل على أن مَن قصد ماله، فإن له أن يقاتل؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**»؛ لأنك مقتول بغير حق، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**».

فيرى جزاءه في الدنيا، وجزاءه في الآخرة، فجزاؤه في الدنيا هدر، وجزاؤه في الآخرة أنه في النار.

فإن قال قائل: إذا وقعت هذه القصة، فوجدنا إنساناً مقتولاً، وقال قاتله: إنه إنسان جاء يريد أخذ مالي، فهل نصدق هذا القائل أو نضمنه؟

المشهور من المذهب: أننا نضمنه؛ لأن الأصل حرمة النفس، وهذا ادّعى أن المقتول زالت حرمته، فيحتاج إلى بيِّنة، فإن أتى ببيِّنة، عومل بها، وإن لم يأتِ ببيِّنة قُتِل، ويكون له الأجر عند الله، أما نحن فليس لنا إلا الظاهر؛ لأننا لو قبلنا قول كل إنسان ـ في مثل هذه الدعوى ـ لكان كل شخص يريد أن يقتل آخر، يقتله ويقول: أراد أن يأخذ مالي، أراد أن يقتلني، فتضيع الحقوق، ويصبح الناس فوضى.

وإذا قيل: إن قتلنا المدَّعِي أصبحت المسألة ـ أيضاً ـ فوضى، يكثر الذين يسطون على الناس، أو يعتدون على أموالهم، أو على أعراضهم، أو على دمائهم، ونقع ـ أيضاً ـ في إشكال!

فيقال: نحن نمشي على ظاهر الشرع، وهو أن كل مدَّع، فعليه البيِّنة، وما يلزم في ذلك من اللوازم فأمره إلى الله، وربما إذا تمشّينا على ظاهر الشرع، ربما يكف الله الشر بتمشينا على الشرع.

وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ قولاً هو الصواب، قال: يجب أن ننظر في حال القاتل، وحال المقتول، ونعمل بالقرائن، فإذا كان المقتول معروفاً بالشر والفساد، والقاتل معروفاً بالخير والصلاح، فهذه بيِّنة، والبيِّنة لا تختص بالشهود، فالبيِّنة هي كل ما بان به الحق، وكل ما بان به الحق فهو بيِّنة.

ولهذا قال الحاكم ـ الذي حكم بين يوسف وامرأة العزيز ـ قال: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٦ و٢٧]، ولم يقل: إن يوسف مدّعٍ، فعليه البيِّنة، بل حكم بالقرائن.

وهذا سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أيضاً ـ لما تنازعت المرأتان في الصبي، قال: ائتوني بالسكين لأقسمه بينهما، فقالت الكبيرة: نعم افعل، فقالت الصغرى:

لا يا رسول الله! هو ولدها، فحكم به للصغرى؛ لأن امتناعها عن ذلك، أو طلب الامتناع، يدل على أنها الأم لشفقتها، أما الأخرى فقد أكل الذئب ولدها، فتقول: هذا يُذبح ـ أيضاً ـ.

فيقول شيخ الإسلام ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: إذا حصلت مثل هذه القضية: وجدنا قاتلاً ومقتولاً، وادّعى أولياء المقتول أن القاتل متعمدٌ، وأنه ليس له حق في قتله، وادّعى القاتل أن له الحق في قتله، وأنه قاتله دفاعاً عن نفسه؛ فالواجب أن ننظر في حال القاتل، وحال المقتول:

فإذا كان القاتل رجلاً معروفاً بالخير والصلاح، والمقتول رجلاً معروفاً بالشر والفساد، فالقول قول القاتل.

وإذا كان الأمر بالعكس؛ فالقول قول أولياء المقتول، لا شك.

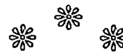
وإذا تساوى الأمران؛ فالقول قول أولياء المقتول؛ لأن الأصل العصمة.

فالأمر لا يخلو من ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: أن يكون القاتل معروفاً بالخير والصلاح، والمقتول بالعكس، فهنا القول قول القاتل.

الحال الثانية: أن يكون المقتول معروفاً بالخير والصلاح، والقاتل معروفاً بالشر والفساد، ويبعد جداً أن هذا المقتول يعتدي عليه، فالقول قول أولياء المقتول.

الحال الثالثة: أن تتردد الاحتمالات، فالقول قول أولياء المقتول، وذلك لأن الأصل العصمة، وأن هذه النفس معصومة، حتى يقوم دليل على زوال عصمتها[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٤١ ـ ٤٤٤).

الفهرس
الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٤٣ ـ باب قول النبي ﷺ: «مَن غشّنا فليس منا»	٥٢٦
٤٤ ـ باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية .	٥٣١
٤٥ ـ باب بيان غلظ تحريم النميمة	٥٤١
٤٦ ـ باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمَنْ بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف. وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم	٥٤٦
٤٧ ـ باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن مَن قتل نفسه بشيء عُذِّب به في النار	٥٦٣
٤٨ ـ باب لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن اللّه تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر	٥٧٢
٤٩ ـ باب تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون	٥٨٧
٥٠ ـ باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر	٥٩٥
٥١ ـ باب بيان الريح التي تكون قرب القيامة؛ تقيض روح كل مؤمن في قلبه شيء من الإيمان	٦٠١
٥٢ ـ باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن	٦٠٤
٥٣ ـ باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله	٦٠٨
٥٤ ـ باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية	٦١٤
٥٥ ـ باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الحج والهجرة	٦١٨
٥٦ ـ باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده	٦٢٩
٥٧ ـ باب صدق الإيمان وإخلاصه	٦٣٨
٥٨ ـ باب بيان أنه ـ تعالى ـ لم يكلف إلا ما يطاق	٦٤٥
٥٩ ـ باب تجاوز اللّه عن حديث النفس والخواطر ما لم تستقر	٦٥٤
٦٠ ـ باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت، وإذا همَّ بسيئة لم تُكتب	٦٥٩
٦١ ـ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها	٦٧٠
٦٢ ـ باب وعيد مَن اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار	٦٩٠
٦٣ ـ باب الدليل على أن مَن قصد أخذ مال غيره بغير حقّ كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن مَن قتل دون ماله؛ فهو شهيد ..	٧٠٨


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الروض الريان

شرح كتاب الإيمان من صحيح الإمام مسلم

شرحه

فضيلة الشيخ المحدث الدكتور
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
السلفي الأثري

المجلد الثاني

الروض الريان

دار ابن حزم

الروض الريان

شرح

كتاب الإيمان

من صحيح الإمام مسلم

شرحه
فضيلة الشيخ المحدث الدكتور
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
السلفي الأثري

المجلد الثاني

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ISBN 978-614-416-298-9

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

٦٤ ـ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار

٢٢٧ ـ (١٤١) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَشْهَبِ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُاللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهْوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**».

❋ راوي الحديث:

مَعْقِل بن يسار بن عبدالله بن مُعَمّر أبو علي المزني، صحابي من مزينة، أسلم قبل الحديبية، شهد بيعة الرضوان، ينسب إليه نهر بالبصرة حفره بأمر عمر، وفي أمثالهم: «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل».

توفي بالبصرة في آخر خلافة معاوية سنة (٦٠هـ)، وقيل: في ولاية يزيد.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أنّ رواته كلهم بصريون.

٣ ـ حديث معقل بن يسار المزني ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٧١٥٠ و٧١٥١).

❋ غريب الحديث:

قوله: (**عاد عبيدالله بن زياد معقلَ بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه**): جاء أمير البصرة يزور أحد أصحاب النبي ﷺ، وهو في مرض موته.

قوله: **(قال معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمت أنّ لي حياة ما حدثتك)**: قال هذا الصحابي الجليل لهذا الأمير الذي علم منه الطيش والبطش: سأحدثك حديثاً ينفعك الله به مما أنت واقع فيه، وقد سمعت هذا الحديث من الرسول الكريم، وليس من كيسي، وعداوة مني لك أو حسداً. ولولا أني أخشى بطشك وطيشك لكنت قلته لك قبل هذا الموطن. ولولا أني أخاف إن حدثتك إياه أمام الناس أن يخرجوا عليك، وتقع الفتن لحدثتك به أمامهم، وأمّا الآن فأنا في أيامي الأخيرة فلا أبالي بما تفعله، وقد انتهى أجلي، ووصلت إلى حافةِ قبري.

قوله: **(إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته؛ إلا حرّم الله عليه الجنة)**: يؤكد نسبته الحديث لرسول الله ﷺ بقوله: إني قد سمعته منه؛ ليؤكد ما اشتمل عليه من الأحكام.

إنه قال: كل من ولاّه الله ولاية الناس؛ فجعله مسؤولاً عنهم في الدنيا والآخرة يرعىٰ شؤونهم، ويحفظ حقوقهم، ويدير مصالحهم، وينصح لهم؛ فيعمل بخلاف ذلك من الاستئثار، والظلم، والبطش، والطيش، والغش، وخيانة الأمانة، وقلة الديانة ونحوها؛ إلا جعل الله جزاءه أن يحرم الجنة ولازمه دخول النار.

فقه الحديث:

١ ـ من واجب ولاة الأمور أن يُقربوا العلماء، ويسمعوا منهم النصيحة، ويعملوا بها.

٢ ـ على ولي الأمر تفقد أحوال الرعية، لا سيّما أهل الفضل والعلم منهم.

٣ ـ الرفق في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ دون التعنيف والشتم والسّباب.

٤ ـ تأكيد الأمر والخبر ببيان دليل على ذلك.

٥ ـ أنّ من قرب أجله، شعر بذلك، وأخذ يتهيأ له، وأحس به من حوله.

٦ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ هو الذي يختار ولاة ورعاة الناس بحكمة، وعدل.

٧ ـ تحريم الغش كله في البيع، والمعاملة، والحكم، وغيرها.

٨ ـ بيان عقوبة الوالي الغاش لرعيته.

٩ ـ من حرّم الله عليه الجنة أدخله النار لقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

١٠ ـ جواز إخفاء بعض العلم خوفاً من الفتن، وزعزعة الأمن، والخروج على الحكام.

١١ ـ أنّ الجور في الحكم من الكبائر؛ بل من أكبرها لعظم أثره على الناس.

١٢ ـ أنّ المستحل للغش، والخيانة، وظلم العباد؛ فقد كفر كفراً أكبر، وخلد في النار.

١٣ ـ قال القاضي عياض ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ومعناه بيّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلّده الله شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه خليفة لمصلحتهم، وجعله واسطة بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم. فإذا خان فيما اؤتمن عليه ولم ينصح فيما قلّده واستخلف عليه: إما بتضييع؛ لتعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، والقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصدٍّ؛ لإدخال داخلة فيها، أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم؛ فقد غشهم»(١).

١٤ ـ وظاهر النص أنّ من استمر به الحال إلى الموت كان هذا جزاءه، وأمّا من تاب وأصلح وعدل بعد سوء، فإن الله يغفر، ويرحم بفضله.

---

(١) «إكمال المعلم» (١/٤٤٦).

قال أبو عوانة في «مستخرجه» (١/ ٤٠) بعد تخريج هذا الحديث:

«في هذا الحديث دليل على أن العاصي يستوجب بعصيانه النار؛ إلا أن يلقى الله، وهو تائب؛ فإن لم يفعل؛ فهو في مشيئة الله: إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه».

١٥ ـ استحباب زيارة المرضى.

١٦ ـ بيان فضل معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ حيث قام بتبرئة ذمته عن آفة كتمان العلم؛ حيث أراد أن يبلغ هذا الحديث العظيم إلى الأمة رغم قساوة هذا الوالي الظالم.



٢٢٨ ـ (...) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زرَيْع، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ؛ قَالَ: دَخَلَ عُبَيْدُالله بْنُ زِيَادٍ عَلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، وَهُوَ وَجِعٌ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُك حَدِيثاً لَمْ أَكُنْ حَدَّثْتكَهُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لاَ يَسْتَرْعِي اللّهُ عَبْداً رَعِيَّةً، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لَهَا، إِلاَّ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»**. قَالَ: أَلاَّ كُنْتَ حَدَّثْتَنِي هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ؟ قَالَ: مَا حَدَّثْتُكَ، أَوْ لَمْ أَكُنْ لأَحَدِّثَكَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالفقهاء الزهّاد العبّاد.

❃ غريب الحديث:

قوله: **(وهو وجع)**؛ أي: مريض.

قوله: **(فسأله)**؛ أي: سأل عبيدالله بن زياد معقل بن يسار عن مرضه، أو سأله أن يحدثه بما سمع من رسول الله ﷺ.

قوله: **(قال: ألا كنت حدثتني هذا قبل اليوم؟ قال: ما حدثتك، أو لم أكن لأحدثك)**: لماذا لم تحدثني بهذا الحديث قبل هذا اليوم؛ لعلِّي أصلح فيما مضى؟ فقال له: أنه لم يحدثه لما يعلم من المصلحة الخاصة والعامة.



٢٢٩ ـ (...) وحدّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاء، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ ـ يَعْنِي: الْجُعَفِيَّ ـ عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامٍ؛ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: كُنَّا عِنْدَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَجَاءَ عُبَيْدُالله بْنُ زِيَادٍ. فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي سَأُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمَا.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه إثبات أن الحسن سمع من معقل بن يسار؛ فقد صرّح أنه حضر القصة، وسمع محاورة معقل بن يسار مع عبيدالله بن زياد.

٢ ـ رواية هشام عن الحسن: ساقها الطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٠٧/٤٧٢):

حدّثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، ثنا أبي. (ح) وحدّثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهانيّ، وعبدالله بن أحمد بن حنبل؛ قالا: ثنا محمد بن أبي بكر الْمُقَدَّميّ؛ قالا: ثنا وهب بن جرير. (ح) وحدّثنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب، ثنا أبو موسى محمد بن المثنّى، قالا: ثنا عبدالقدُّوس بن الجواري، أبو الحواري، قالا: ثنا هشام بن حسّان، عن الحسن، عن معقل بن يسار، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن استرعاه الله رَعِيّةً، فمات، وهو غاشّ لها، إلا حرّم الله عليه الجنّة**».

٣ ـ أخرج المصنف ـ رحمه الله ـ هذا الحديث من رواية هشام بن حسان، وفي روايته عن الحسن مقال حيث كان يرسل عنه.

وإنما أخرجها مسلم متابعة لا أصالة، فقد رواه من قبل من رواية أبي الأشهب ويونس بن عبيد وهما ثبتان، ويونس من أثبت الناس في الحق، فلا يضر الكلام في هشام.

* **غريب الحديث:**

قوله: **(نعوده)**؛ أي: نزوره.

قوله: **(ثم ذكر بمعنى حديثهما)**؛ أي: ذكر هشام بن حسان معنى حديث أبي الأشهب ويونس بن عبيد.

تقدم الكلام عليه.



(...) وحَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ؛ أَنَّ عُبَيْدَاللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ لَوْلاَ أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لاَ يَجْهدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ»**.

➢ **فوائد لإسناد:**

١ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخه إسحاق بن إبراهيم، فمروزي.

٢ ـ له فيه ثلاثة شيوخ قرن بينهما.

٣ ـ فيه التفريق بين حدثنا وأخبرنا.

* **غريب الحديث:**

قوله: (... **لولا أني في الموت)**؛ أي: في سياق الموت ومقدماته وحضوره.

قوله: **(لم أحدثك به)**؛ أي: خوفاً من جراءتك، وظلمك لمَن عاديته.

قوله: **(ثم لا يجهد لهم وينصح)**: الجهد؛ يُقال: جَهَد الرجلُ في

الشيء؛ أي: جدّ فيه وبالغ، وهو من الجهاد: وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطّاقة من قول أو فعل.

وينصح: من النصيحة، وهي من النصح وهو الخلوص، يُقال: نصحته ونصحت له.

والمعنى: أنّ الوالي إن لم يستفرغ ما بوسعه من الطاقة مع الإخلاص لم يدخل الجنة.

فقه الحديث:

١ ـ الواجب على ولاة الأمور استفراغ الجهد ـ الطاقة ـ في خدمة الرعية.

٢ ـ عظم مسؤولية الأمراء الكبار والصغار.

٣ ـ من عادة السلف زيارة المرضى، وهي حق للمسلم على إخوانه.

٤ ـ وجوب الإخلاص في الأعمال كلها.

٥ ـ وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على كل حال.

٦ ـ وفيه بيان فضل الإمام العادل.

٧ ـ بيان فضيلة الرفق بالرعية.

٨ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«**ومن فوائد هذا الحديث:** أن الصحابة ـ رضوان الله عنهم ـ يحدِّثون بالحديث حيث كانت الحال تقتضيه، ولهذا لم يحدّث معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ عبيدالله بن زياد إلا في آخر حياته من أجل المصلحة، وكأنه ـ رضي الله عنه ـ خاف إنْ لم يحدّث به أن يأثم بذلك، ولعله ينتظر قبل ذلك مَن يحدثه به؛ لأنه في ذلك الوقت في شيء من الفتن، ويخشى من أن يقوم أحد ـ بناء على حديثه ـ يقوم على هذا الرجل، فيقول: أنت غاش، أنت غير ناصح، فيحصل في هذا فتنة.

فالمهم أن في هذه القصة دليلاً على أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتحرون الحال والزمن الذي يكون الحديث فيه أجدى، ولعلهم أخذوا ذلك من قول الرسول ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت**».

ولا يقتضي أن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أنه لم يحدّث به هذا الأمير في آخر حياته، أو عند موته أنه لم يحدّث به أحداً، حتى لا يقول قائل: إذاً أجيزوا كتم الحديث، وكتم العلم إذا كنتم ترون في ذلك مضرة، فنقول: لا، نحن نقول: قد تكون به مضرة إذا حدثنا به واحداً من الناس، ولا تكون به مضرة إذا حدثنا به آخر، لكن لا بد من نشر العلم ولا يجوز كتمانه»[1].

٩ ـ وقال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ ملخصاً فقه الباب:

«هذا ـ أيضاً ـ من أحاديث الوعيد، وذلك أن عبيدالله بن زياد، عاد معقل بن يسار المزني ـ رضي الله عنه ـ وهو من الصحابة، وأما عبيدالله فكان أميراً في البصرة لمعاوية ـ رضي الله عنه ـ، فدخل على معقل ـ وهو مريض ـ فحدّثه بهذا الحديث: أن النبي ﷺ قال: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرّم الله عليه الجنة**»، وساق ألفاظ الحديث وطرقه، وفي آخر الأحاديث: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة**».

فأما الألفاظ الأولى، فهي عامة: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية**» وهذا يشمل الرعاية العامة، والرعاية الخاصة، وقد قال النبي ﷺ: «**الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**».

وإذا قلنا بهذا، صار الإنسان مسؤولاً في أهله في حياته وبعد مماته، وأنه يجب أن يحذر، وأن ينصح لرعيته التي استرعاه الله عليها.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٥٠ ـ ٤٥١).

وينبني على ذلك: أن مَن خلف لأهله ما لا يجوز اقتناؤه من الآلات على وجه يعرف أنهم يستعملونه في محرّم، فإنه سوف يلحقه هذا الوعيد، وأنه إذا مات على هذه الحال؛ فإن الله يحرّم عليه الجنة ـ والعياذ بالله ـ.

وأما الحديث الأخير الذي قال فيه: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة**» فهذا أشد؛ لأن الأول أثبت الوعيد فيما إذا غش، وهذا أثبت الوعيد فيما إذا لم ينصح، وبين المرتبتين مرتبة، وهي: أن يعمل بما لا غش فيه، ولا نصح فيه.

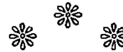
فالأمير إذاً مسؤول، يجب عليه أن ينصح ويجهد لهم، ولا يكفي أن يقول: أنا لا أغش فيهم، بل نقول: إنه لا يكفي.

فهناك ثلاث منازل:

الأولى: منزلة الغش: وهو أن يفعل شيئاً فيه غش لهم.

والثانية: مرتبة النصح.

والثالثة: مرتبة ليس فيها غش ولا نصح، يعني: يقف موقفاً سلبياً من الرعية، لا يأمر بالخير، ولا ينهى عن الشر»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٤٧ ـ ٤٤٨).

٦٥ ـ باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب

٢٣٠ ـ (١٤٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدَّثَنَا: **«أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»**. ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: **«يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مَنْ قَلْبِه، فَيَظَلُّ أَثَرُها مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ؛ فَيَظَل أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْء ـ ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ ـ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِيناً، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ، مَا أَظْرَفَهُ، مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»**.

وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِياً أَوْ يَهُودِياً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَناً وَفُلاَناً.

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٦٨/١٠٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان فرق بينهما.

٣ ـ مسلسل بالرواة الكوفيين.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن زيد بن وهب.

٥ ـ حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٦٤٩٧ و٧٠٨٩ و٧٢٧٦**).

٦ ـ وفيه عنعنة الأعمش؛ قال النووي: «وقوله: عن الأعمش عن زيد، والأعمش مدلس، وقد قدّمنا أن المدلس: لا يحتج بروايته، إذا قال: عن. وجوابه: ما قدمناه مرات في «الفصول» وغيرها، أنه ثبت سماع الأعمش هذا الحديث من زيد من جهة أخرى، فلم يضره بعد هذا قوله فيه «عن»».

* غريب الحديث:

قوله: (**حدثنا رسول الله ﷺ حديثين**): حدثنا رسول الله ﷺ فيما حدثنا به عن الأمانة بحديثين: أمّا الأول: فهو نزولها في جذر قلوب الرجال، والثاني: عن رفع الأمانة.

قوله: (**قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر**): يقطع حذيفة بأنه شاهد الأول: وهو النزول والعمل بها وانتشارها في حياة الناس.

وأمّا الثانية: وهي رفعها، وندورها بين الناس، وهذا يكون آخر الزمان.

قوله: (**حدثنا: أنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال**).

الأمانة: في قول جميع العلماء: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب، وبتضييعها العقاب.

وجذر: ـ بفتح الجيم وكسرها لغتان ـ وهو الأصل في كل شيء.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ جبل القلوب الكاملة على القيام بحق الأمانة من حفظها، واحترامها، وأدائها لمستحقها، وعلى النفرة من الخيانة فيها؛ لتنتظم المصالح بذلك. وليس ذكر الرجال من باب الحصر؛ بل للتغليب.

قوله: **(ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنّة)**: لما كانت نفوسهم مجبولة على حبِّها وحفظها وأدائها، جاءت الشريعة المتمثلة بالكتاب والسنّة تأمر أتباعها بحفظها والقيام بحقوقها.

وهذه الأمانة المودعة في قلوب بني آدم بالنسبة إلى الإيمان الشرعي بمنزلة تخوم الزروع وحبوب الأشجار المودعة في بطن الأرض، وأما القرآن والسنّة فمثلهما؛ كمثل الغيث النازل من السماء، فالأرض الطيبة إذا أصابها هذا الغيث يخرج نباتها بإذن ربها، والتي خبثت لا تخرج إلا نكداً.

قوله: **(ثم حدثنا عن رفع الأمانة)**: هذا هو الحديث الثاني الذي ذكر حذيفة أنه ينتظره، وهو رفع الأمانة أصلاً؛ حتى لا يبقى من يوصف بالأمانة إلا النادر. ولازم هذا رفع أهلها، كحديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ المتفق عليه: «**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء**».

قوله: **(ينام الرجل النومة؛ فتقبض الأمانة من قلبه)**: وذكر النوم كناية عن ذهابها في الغفلة وضعف العقيدة والإيمان، وقد يكون عند نوم حقيقي أو بعده والسبب ما ذكر من الغفلة وضعف الإيمان.

وحاصل الخبر: أنه أنذر برفع الأمانة، وأن الموصوف بها يُسلبها حتى يصير خائناً بعد أن كان أميناً، وإنما يقع هذا على ما هو مشاهد لمن خالط أهل الخيانة؛ فإنه يصير خائناً؛ لأن القرين يقتدي بقرينه.

قوله: **(فيظل أثرها مثل الوكت)**؛ الوكت: ـ بفتح الواو وإسكان الكاف وبالتاء المثناة من فوق ـ وهو أثر الشيء اليسير، ومنه نكتة في العين، وعين موكوتة؛ وهو: سواد فيها.

والمعنى: أنّ الأمانة تذهب مرحلة مرحلة؛ فيبقى أثر يسير حتى يعفى ولا يبقى له أثر.

قوله: **(ثم ينام النومة؛ فتقبض الأمانة من قلبه؛ فيظل أثرها مثل المجل)**؛ المجل: ـ بفتح الميم وإسكان الجيم وفتحها لغتان ـ؛ وهو: أن يكون بين الجلد واللحم ماء فيظهر مثل الحبوب أو الفقاقيع، وهذا يكون من جرّاء العمل الطويل الشاق؛ كالعمل بالفأس، والمطرقة، ونحوهما.

قال ابن الأثير: «يقال: مجلت يدُه تمجل مجْلاً، ومجلَت تَمْجَلُ مجلاً؛ إذا ثخن جلدها وتعجر، وظهر فيها ما يشبه البثر، من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة».

والمعنى: أنّ الأثر يظهر مرة بعد مرة يدل على وجود سابق للأمانة في قلبه.

قوله: **(كجمر دحرجته على رجلك، فَنَفِطَ فتراه منتبراً، وليس فيه شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله)**؛ نفط: ـ بكسر الفاء بعد النون المفتوحة ـ؛ أي: صار منتفطاً وهو المنتبر بنون، ثم مثناة، ثم موحدة. يقال: انتبر الجرح، وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء.

والمعنى: أنه ـ أي: الأثر ـ يكون كأثر الجمر عندما يقع على رجل الإنسان.

قال النووي: «وقوله: (نفط)؛ ولم يقل: نفطت مع أنّ الرجل مؤنثة، إمّا أن يكون ذكر نفط اتباعاً للفظ الرجل، وإما أن يكون اتباعاً لمعنى الرجل وهو العضو».

قلت: أو تقدير مضاف محذوف، وهو كمكان جمر دحرجته على رجلك.

قال صاحب «التحرير»:

«معنى الحديث: أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها زال نورها، وخلفته ظلمة كالوكت، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمَجْل، وهو: أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبَّه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب، وخروجه بعد استقراره فيه، واعتقاد الظلمة إياه بحجر يدحرجه على رجله، حتى يؤثر فيها، ثم يزول الحجر، ويبقى التنفُّط، وأخذه الحصى ودحرجته إياه أراد به زيادة البيان وإيضاح المذكور».

قوله: **(فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة)**؛ أي: يشتري الناس بعضهم من بعض، ولا تجد فيهم رجل أمين إلا ما شاء الله، وقليل ما هم.

قوله: **(حتى يقال: إنّ في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)**: وهذا يدل على ندرة الأمناء والأمانة في حياة الناس، ويمدح الرجل بقوته، وصلابته، وثباته، وبلاغة لسانه، وحسن وجهه، وذكاء قلبه، وعقله، وصواب تفكيره وتمييزه؛ ومع هذا ليس عنده أصغر أجزاء، وأبعاض الإيمان، والأمانة.

والخردل: واحدة الخردلة؛ وهي: نبتة لها حب أسود صغير جداً، يضرب به المثل في الصغر بين الحبوب.

قوله: **(ولقد أتى عليّ زمان وما أُبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً ليردنه عليَّ دينه، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه عليَّ ساعيه)**: يؤكد كلامه بألفاظ الجزم أنه كان يبيع ويشتري دون بحث عن حال البائع أو المشتري؛ لوجود الأمانة وندرة الخيانة؛ فإن كان الذي يعامله مسلماً؛ فإنه

لإسلامه لا يقرب الخيانة بل جبل على الوفاء والأمانة، وإن كان كتابياً؛ فإن الوالي يعيد لي حقي منهم.

قوله: **(وأمّا اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً)**: ولكن اليوم بعد ذهاب أهل الديانة والأمانة، وفساد المسلمين، فقدت الثقة من الناس إلا فلان وفلان؛ لأمانتهم.

فقه الحديث:

١ ـ بيان عظم شأن الأمانة.

٢ ـ أنّ حذيفة ـ رضي الله عنه ـ ممن حفظ الكثير من أحاديث الفتن.

٣ ـ أنّ أصحاب الفطر السليمة جُبلت نفوسهم على حب الأمانة وحفظها.

٤ ـ أنّ الأمانة من الإيمان.

٥ ـ أنّ فقد الأمانة من حياة الناس دليل على ضعف الإيمان في حياتهم.

٦ ـ دليل على أنّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٧ ـ أنّ الأعمال من الإيمان.

٨ ـ أنّ تعلُّم القرآن والعمل به مقدّم على السنة فضلاً عن غيرها.

٩ ـ أنّ تعلُّم السنة يكون بعد تعلُّم القرآن.

١٠ ـ أنّ العلم النافع ما كان من الكتاب والسنّة فحسب.

١١ ـ أنّ الأمانة سترفع من حياة الناس.

١٢ ـ أنّ رفعها من علامات الساعة.

١٣ ـ أنّ سبب رفع الأمانة هو ضعف الإيمان، وفساد العقيدة.

١٤ ـ التحذير من الخيانة في الأمانة وتضييعها.

١٥ ـ أنّ رفع الأمانة يكون مرحلة مرحلة.

١٦ ـ بعد رفع الأمانة يبقى لها أثر يسير في النفس.

١٧ ـ أنّ الرجل قد يكون فصيحاً، ومليحاً، وذكياً عبقرياً، ولكن لا أمانة له، ولا يستأمن على شيء.

١٨ ـ دليل على أنّ الطاعة، والمعصية تجتمعان في رجل، ومثلهما الإيمان والكفر.

١٩ ـ أنّ الإيمان درجات ومراتب ينزل إلى أدنى درجاته، ويعلو إلى أعلى درجاته، وقد يذهب بالكلية.

٢٠ ـ بيان فضل القرن الأول لثقة الناس، وانتشار الأمانة.

٢١ ـ أنّ المسلم لا يخون الأمانة، بل جبل على حبها وحفظها.

٢٢ ـ أنّ الوالي كفيل بإعادة الحقوق لأهلها.

٢٣ ـ أنّ تغير الناس، وضعف الإيمان، وقلة الأمانة بدأت من قديم.

٢٤ ـ استحباب اقتصار العبد على معاملة أهل الأمانة والديانة دون غيرهم.

٢٥ ـ استحباب إبهام الاسم خشية افتتانهم وافتتان الناس بهم.

٢٦ ـ فيه علم من أعلام النبوة؛ حيث أخبر النبي ﷺ برفع الأمانة، فوقع ما أخبر به.

٢٧ ـ بيان فضل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وأنهم أهل العلم والأمانة والإيمان.

٢٨ ـ سرعة تقلُّب القلوب بسبب كثرة الفتنه، فيا مقلّب القلوب ثبِّت قلوبنا على طاعتك.

٢٩ ـ كمال العبد في أمانته لا في ذكائه وقوته.

٣٠ ـ معاملة الرجل تدل على دينه وخلقه.

➢ فوائد زوائد:

١ ـ إشكال وجوابه:

قد يشكل على حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أن ظاهر قوله في أوله: «وأنا أنتظر الآخر»؛ يفيد أن الأمانة لم تُرفع، وأنه ينتظر رفعها، وقوله في آخره: «أما اليوم فما كنت لأبايع إلا فلاناً وفلاناً»؛ يفيد أنها قد رُفعت، وفي هذا تعارض.

وقد وضحه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ حيث قال: «إن آخر الحديث يدل على قلة مَن ينسب للأمانة بالنسبة إلى حال الأولين، فالذين أشار إليهم بقوله: «ما كنت لأبايع إلا فاناً وفلاناً» هم من أهل العصر الأخير الذي أدركه، والأمانة فيهم بالنسبة إلى العصر الأول أقل، وأما الذي ينتظره، فإنه حيث تفقد الأمانة من الجميع إلا النادر»(١).

٢ ـ تأويل فاسد:

حمل بعض الشرّاح قوله: (بايعت) على المبايعة بالخلافة، وهذا تأويل فاسد من وجوه:

١ ـ لقد ذكر اليهودي والنصراني، وهؤلاء لا يبايعون بيعة الإسلام، وإنما هو البيع والشراء.

٢ ـ أن سيرة حذيفة تُبطل ما ذكروه؛ فقد بايع عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وولاه على المدائن، وقد قتل عثمان وهو عليها، وبايع علياً، وحرّض على المبايعة له، والقيام في نصرته، ومات في أوائل خلافته.



(...) وحَدّثَنَا ابْنُ نُمَيْرْ، حَدّثَنَا أَبِي، وَوَكِيع. (ح) وَحَدّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيم، حَدّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونس جَمِيعاً؛ عَنْ الأَعْمَشْ، بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلُه.

---

(١) «فتح الباري» (١٣/٤٣).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**جميعاً؛ عن الأعمش**)؛ يعني: الثلاثة؛ وهم: عبدالله بن نمير، وعيسى بن يونس، كلهم رووه عن الأعمش.

٢ ـ قوله: (**بهذا الإسناد مثله**)؛ أي: بإسناد الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ، ومتنه مثل متنه.

٣ ـ طريق عبدالله بن نمير: ساقها أبو عوانة في «مستخرجه» (١٤١/٥٢/١):

حدثنا الحسن بن علي بن عفان، قال: ثنا عبدالله بن نُمير، قال: ثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ حديثين، فرأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدّثنا: «أن الأمانة تنزل في جِذْر قلوب الرجال، ونزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنّة، ثم حدّثنا عن رفعها ـ يعني: الأمانة ـ فينام الرجل النومة، فتُقبَض الأمانة من قلبه، فيَظَلّ أثرها كأثر الوَكْتِ، ثم ينام النومة، فتُنْزَع الأمانة من قلبه، فيَظَلّ أثرها كأنها المَجْل، كجمر دحرجته على رجلك، فَنَفِطَ، فتراه مُنتبِراً، وليس فيه شيء، ولقد كنت وما أبالي أيّكم بايعتُ، لئن كان مسلماً، لَيَرُدنّه عليّ دينه، وإن كان نصرانياً لَيَرُدنّه عليّ ساعيه. وأما اليوم؛ فإني لم أكن لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً، فيصبح الناس يتبايعون، وما يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجلده، وما أظرفه، وأعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». انتهى.

٤ ـ وأما طريق عيسى بن يونس؛ فساقها ابن حبّان ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» (٦٧٦٢/١٦٤/١٥):

أخبرنا عبدالله بن محمد الأزديّ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حُذيفة، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ حديثين، فرأيت أحدهما، وأنا أنتظر

الآخر، حدثنا: «أنّ الأمانة نَزَلت في جِذْر قلوب الرجال، ونَزَل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنّة، ثم حدّثنا عن رفعها، قال: ينام الرجال نومة، فتُقْبض الأمانة من قلبه، فيبقى أثرُها مثل أثَر الوَكْت، ثم ينام الرجل نومةً، فتُقبض الأمانة من قلبه، فيبقى أثرها مثل أثر المَجْل، كجمر دحرجته على رجلك، فتراه مُنتبراً، وليس فيه شيء، فيُصْبح الناس يتبايعون، ولا يكاد أحدٌ يُؤدّي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجلده، وأطرفه، وأعقله، وليس في قلبه مثقال حبة خردل من خير، ولقد أتى عليّ زمان، وما أُبالي أيّكم بايعته، لئن كان مؤمناً ليردنَّه عليّ دينُه، ولئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنَّه عليّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً».



٢٣١ ـ (١٤٤) وحَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ ـ يَعْنِي: سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ، عَنْ رِبْعِي، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ التِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ. فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ، للّهِ أَبُوك!

قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ؛ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَاداً، كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً، إلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».



قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ؛ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ.

قَالَ عُمَرُ: أَكَسْراً، لاَ أَبَا لَكَ؛ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ؟!

قُلْتُ: لاَ. بَلْ يُكْسَرُ، وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ، حَدِيثاً لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ.

قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أبا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًّا؟ قَالَ: شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ.

قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجخِّياً؟ قَالَ: مَنْكُوساً.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - في الحديث (١٦٨/١٠٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - مسلسل بالكوفيين.

٣ - فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: سعد عن ربعي.

٤ - هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم هنا من طريق أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان عن سعد بن طارق عن ربعي.

وتابعه مروان بن معاوية ونعيم بن أبي هند في الروايات الآتية.

وأخرجه البخاري من طريق الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة، وتابعه جامع بن شداد، عن أبي وائل.

وإنما اختار الإمام مسلم رواية أبي خالد الأحمر؛ لكونها مسموعة له.

٥ ـ بيان بعض سمات «صحيح مسلم»؛ وهي: إيراد غريب الحديث وبيانه.

٦ ـ حديث حذيفة ـ ﵁ ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٥٢٥) لكن قوله: «تعرض الفتن. . . هواه» من أفراد مسلم، وقد خفي هذا على كثير ممن صنّفوا في زوائد مسلم. وانظر ـ غير مأمور ـ كتابي: «إكمال المعلم بزوائد صحيح مسلم».

* غريب الحديث:

قوله: (**أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟**)؛ الفتن: جمع فتنة، والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم صارت في العرف عبارة عن كل أمر كشفه الاختبار عن سوء.

وتطلق على الكفر، والغلو في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة، والبلية، والعذاب، والقتال، والتحول من الحسن إلى القبيح، والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

والمعنى: أنّ عمر بن الخطاب ـ الخليفة الراشد ـ يسأل أصحاب رسول الله ﷺ وهم يجلسون عنده يتذاكرون العلم وأحوال المسلمين؛ مَن منكم سمع من رسول الله ﷺ أحاديث الفتن يذكر لنا منها شيء.

قوله: (**فقال قوم: نحن سمعناه**): أجابه بعض الحضور أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يذكر أشياء في شأن الفتن نحفظها.

قوله: (**فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل**): قال لهم عمر: أظن أنكم تعنون هذه الفتن العامة التي يبتلى الناس بها من

مثل فتنة الأهل والجار؟ فأجابوه مؤكدين له صحة ما ظنه: أجل: بمعنى نعم.

والفتنة في الأهل تكون بالزوجة ـ أو الزوجات ـ والأولاد، وذلك بفرط محبته لهم، وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم من القسمة، والإيثار، والميل إليهن، أو عليهن، وتأديبهم، وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسؤول عن رعيته، وفتنة الرجل في جاره تكون بالحسد، والمفاخرة، والمزاحمة في الحقوق، وإهمال التعاهد.

قوله: **(قال: تلك تكفرها الصلاة، والصيام، والصدقة)**: قال لهم عمر: إنّ هذه الفتن العامة هي من صغائر الذنوب التي تكفرها الأعمال الصالحة من مثل الصلاة والصيام والصدقة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، وفيه بيان عظم هذه المذكورات.

قوله: **(ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟)**: ولكنني أسأل عمن سمع من رسول الله ﷺ ذكر الفتن العظيمة التي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه، وكنى بذلك عن شدة المخاصمة، وكثرة المنازعة، وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة، والمقاتلة التي تعصف بالأمة المحمدية تضربها إلى قيام الساعة.

قوله: **(قال حذيفة: فأسكت القوم)** قال النووي: «هو بقطع الهمزة المفتوحة، قال جمهور أهل اللغة: سكت وأسكت لغتان، بمعنى: صمت. وقال الأصمعي: سكت: صمت، وأسكت: طرق، وإنما سكت القوم؛ لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة، وإنما حفظوا النوع الأول».

قوله: **(فقلت: أنا. قال: أنت، لله أبوك)**: قال حذيفة: إنّ أصحابي سكتوا، فلم يحفظوا عن الفتنة التي تموج موج البحر شيئاً عندها؛ قلت لعمر: أنا أحفظ حديث هذه الفتنة.

«لله أبوك»: كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها، فإن الإضافة إلى العظيم الشريف؛ كما يقال: بيت الله، وناقة الله.

قال صاحب «التحرير»: فإذا وجد من الولد ما يحمد قيل له: لله أبوك! حيث أتى بمثلك.

قوله: (... **تعرض الفتن على القلوب؛ كالحصير عوداً عوداً**): اختلف في ضبط «عوداً عوداً» على ثلاثة أوجه: ـ بضم العين وبالدال ـ، وهو أظهرها وأشهرها.

وبفتح العين وسكون الواو مع دال في آخره؛ أي: تعاد وتكرر شيئاً بعد شيء.

وبفتح العين وسكون الواو مع ذال معجمة بدل الدال، ومعناه: سؤال الاستعاذة منها، كما يقال: غفراناً غفراناً، أي: نسألك أن تعيذنا من ذلك.

والمعنى: تلصق بعرض القلوب؛ أي: جانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

قوله: (**فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء**)؛ أشربها: دخلت فيه دخولاً تاماً، وألزمها، وحلت منه محل الشراب، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]؛ أي: حبُّ العجل.

ومنه قولهم: ثوب مشرب بحمرة؛ أي: خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها.

ومعنى نكت نكتة: نقط نقطة، وهي ـ بالتاء المثناة في آخره ـ.

قال ابن دريد وغيره: كل نقطة في شيء بخلاف لونه؛ فهو نكت.

وأنكرها: ردّها، قاله النووي.

والمعنى: أنّ الفتن تؤثر في القلوب شيئاً فشيئاً نقطة نقطة حتى يختم على القلب؛ فلا ينتفع بشيء من الهدى والعلم، وصاحب القلب الحي الذي

ينكر المنكر، والباطل الذي يخالف الفطرة والحق المنزل، ينقط فيه نقطة بيضاء؛ فتكسبه صفاءً، ونقاءً، وسلامة، واستقامة.

قوله: **(حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أُشرب من هواه).**

الصَّفا: جمع صفاة؛ وهي: الصخرة، والحجر الأملس.

مُرباداً: قال النووي: «كذا هو في روايتنا وأصول بلادنا، وهو منصوب على الحال.

وذكر القاضي عياض ـ رحمه الله ـ خلافاً في ضبطه، وأن منهم من ضبطه كما ذكرناه، ومنهم من رواه مربئد، بهمزة مكسورة بعد الباء».

قال القاضي: «وهذه رواية أكثر شيوخنا، وأصله أن لا يهمز، ويكون مربد مثل مسود ومحمر، وكذا ذكره أبو عبيد والهروي، وصححه بعض شيوخنا عن أبي مروان بن سراج؛ لأنه من أربد، إلا على لغة من قال احمأر، بهمزة بعد الميم؛ لالتقاء الساكنين، فيقال: اربأد ومربئد، والدال مشددة على القولين».

الكُوز: إناء له عروة يُشرب، ويغرف به الماء وغيره.

مجخياً: ـ بضم الميم وفتح الجيم وخاء معجمة مكسورة ـ؛ أي: مائلاً منكوساً مقلوباً.

فالقلوب أمام الفتنة نوعان أو لها حالتان لا ثالث لهما.

الأول: مثل الصفا لما تقدم من بياضه، لكن أخذ في وصف آخر من شدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأنّ الفتن لم تلصق به، ولم تؤثر فيه كالصفا؛ وهو: الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، بخلاف الآخر الذي شبهه بالكوز الخاوي الفارغ من الإيمان؛ كما قيل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ قيل: لا تعي خيراً.

«قال القاضي عياض: قال لي ابن سراج: ليس قوله: كالكوز مجخياً، تشبيهاً لما تقدم من سواده؛ بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قلب ونكس، حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، ومثله بالكوز المجخي وبينه بقوله: لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

قال القاضي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: شبّه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنخرق الذي لا يثبت الماء فيه.

وقال صاحب «التحرير: معنى الحديث: «أنّ الرجل إذا تبع هواه، وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن، وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز، فإذا انكبّ انصبّ ما فيه، ولم يدخله شيء بعد ذلك» قاله النووي.

قوله: **(قال حذيفة: وحدثته؛ أنّ بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر)**: وحدثت عمر أنّ الفتن لن تقع؛ إلا بكسر باب مغلق الآن قد اقترب موعد كسره، وذلك بموتك قتلاً.

قال ابن المنير: «آثر حذيفة الحرص على حفظ السر، ولم يصرح لعمر بما سأل عنه، وإنما كنى عنه كناية، وكأنه كان مأذوناً له في مثل ذلك».

وقال الحافظ: «وكأنّ حذيفة مثل الفتن بدار، ومثل حياة عمر بباب لها مغلق، ومثل موته بفتح ذلك الباب، فما دامت حياة عمر موجودة فهي الباب المغلق لا يخرج مما هو داخل تلك الدار شيء، فإذا مات فقد انفتح ذلك الباب؛ فخرج ما في تلك الدار».

قوله: **(قال عمر: أكسراً، لا أبا لك! فلو فتح لعله كان يُعاد)**؛ أكسراً: أي: أيكسر كسراً؛ فإن المكسور لا يمكن إعادته، بخلاف المفتوح، ولأن الكسر لا يكون غالباً إلا عن إكراه وغلبة وخلاف عادة.

و«لا أبا لك» قال صاحب «التحرير»: «هذه كلمة تذكرها العرب؛ للحث على الشيء، ومعناها: أنّ الإنسان إذا كان له أب، وحزبه أمر،

ووقع في شدة، وعاونه أبوه، ورفع عنه بعض الكل، فلا يحتاج من الجد والاهتمام إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد، وعدم الأب المعاون، وإذا قيل: لا أبا لك، فمعناه: جد في هذا الأمر، وشمّر، وتأهب تأهُّب من ليس له معاون».

قال الحافظ: «وإنما قال عمر ذلك اعتماداً على ما عنده من النصوص الصريحة في وقوع الفتن في هذه الأُمة، ووقوع البأس بينهم إلى يوم القيامة».

قوله: **(قلت: لا، بل يكسر. وحدثته؛ أنّ ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثاً ليس بالأغاليط)**: أكدتُ عليه بأن الباب يكسر لا يفتح؛ أي: أنك ستقتل لا تموت، وذلك كلام صدق محقق لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه.

و«الأغاليط: جمع أغلوطة، وهي التي يغالط بها؛ فمعناه: حدثته حديثاً صدقاً محققاً، ليس هو من صحف الكتابيين، ولا من اجتهاد ذي رأي، بل من حديث النبي ﷺ.

والحاصل أن: الحائل بين الفتن والإسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو الباب، فما دام حيًّا لا تدخل الفتن، فإذا مات دخلت الفتن، وكذا كان، والله أعلم». قاله النووي.

فقه الحديث:

١ ـ الوالي التقي الذي يُقرب العلماء ويسمع منهم.

٢ ـ أن أحلى السمر مَا كان في سيرة الخليفة عمر.

٣ ـ جواز السؤال عن مسألة يعلمها المرء للتذكر، أو التحقق من صحة حفظه وفهمه.

٤ ـ جواز إطلاق اللفظ العام، وإرادة الخاص؛ لأن عمر سأل عن الفتنة بصيغة عامة، وأراد الفتنة الخاصة.

٥ ـ أنّ الصحابة ـ رضي الله عنه ـ متفاوتون في درجة الحفظ للأحاديث.

٦ ـ على المفتي أن يستوضح عن قصد السائل بذكر الاحتمالات.

٧ ـ أنّ الفتن عامة، وخاصة، وعظيمة، وصغيرة.

٨ ـ أنّ المرء ـ من ذكر وأنثى ـ يفتن بزوجه، وأولاده، وجاره.

٩ ـ جواز الإجابة بنعم وأجل ونحوها.

١٠ ـ أنّ الأعمال الصالحة مثل: الصلاة، والصيام، والصدقة: كفارات.

١١ ـ أنّ فتنة الأهل ـ الزوجة والأولاد ـ والجار: تكفرها الأعمال الصالحة.

١٢ ـ أنّ الفتن موقعة في الذنوب.

١٣ ـ الواجب على المكلف أن يتكلم بما يعلم، ويحسن؛ وإلا صمت ونجا.

١٤ ـ جواز قول الرجل لمن يمدحه «لله أبوك».

١٥ ـ تأكيد الجواب ببيان الدليل القاطع الساطع؛ كقوله: سمعت.

١٦ ـ أنّ الفتن لها أثر عظيم على القلب؛ كما يتأثر بها الجسم.

١٧ ـ بيان عظم الفتنة التي تقع بموت عمر ـ رضي الله عنه ـ

١٨ ـ أنّ قلوب العباد بعد الفتنة تنقسم إلى نوعين: تقي نقي زكي أو مريض ضعيف، وميت لا حياة فيه.

١٩ ـ أنّ الفتن المتتابعة تؤثر على القلب شيئاً فشيئاً؛ حتى يختم عليه، إلا أن يثبته الله ـ تعالى ـ.

٢٠ ـ أنّ الواجب إنكار الفتن.

٢١ ـ أنّ بياض القلب دليل على صلاحه، وسلامته من الفساد.

٢٢ ـ أنّ سواد القلب دليل على فساده، وخبثه، وانغماسه في المعاصي.

٢٣ ـ خطورة تحكيم الهوى؛ فإنه ربُّ باطل يُعبد من دون الله.

٢٤ ـ أنّ من آثار المعاصي السيئة سواد القلب، وقسوته، وعدم إنكاره المنكر، واعترافه بالمعروف.

٢٥ ـ وفيه علم من أعلام النبوة، وهو: مقتل عمر غدراً، فوقع كما أخبر.

٢٦ ـ استحباب استعمال الكناية في الكلام عن الأمر السَّيِّىء.

٢٧ ـ أنّ الأمة بفقد عمر ـ رضي الله عنه ـ وقعت في الفتن التي لا تنتهي إلى قيام الساعة.

٢٨ ـ أنّ عمر ـ رضي الله عنه ـ كان الجدار الواقي من وقوع الفتن.

٢٩ ـ أنّ العرب تستعمل كلمات ظاهرها الدعاء بالسوء، ولا تقصدها.

٣٠ ـ أنّ عمر ـ رضي الله عنه ـ هو قفل الفتنة.

٣١ ـ فائدتان ذكرهما الحافظ في «الفتح»:

«**الأولى**: وإنما قال عمر ذلك اعتماداً على ما عنده من النصوص الصريحة في وقوع الفتن في هذه الأمة، ووقوع البأس بينهم إلى يوم القيامة، وسيأتي في الاعتصام حديث جابر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ الآية، وقد وافق حذيفة على معنى روايته هذه أبو ذر، فروى الطبراني بإسناد رجاله ثقات؛ أنه: «لقي عمر فأخذ بيده فغمزها، فقال له أبو ذر: أرسل يدي يا قفل الفتنة!» الحديث.

وفيه أنّ أبا ذر قال: «لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم»، وأشار إلى عمر.

وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون، عن أخيه عثمان أنه قال لعمر: «يا غلق الفتنة!»، فسأله عن ذلك فقال: «مررت ونحن جلوس عند

النبي ﷺ فقال: «**هذا غلق الفتنة، لا يزال بينكم، وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش**».

الثانية: قال ابن بطال: «إنما علم عمر أنه الباب؛ لأنه كان مع النبي ﷺ على حراء، وأبو بكر، وعثمان، فرجف، فقال: «**أُثبت؛ فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**»، أو فهم ذلك من قول حذيفة «بل يكسر» انتهى.

والذي يظهر أن عمر علم الباب بالنص؛ كما قدمت عن عثمان بن مظعون وأبي ذر، فلعل حذيفة حضر ذلك، وقد تقدم في بدء الخلق حديث عمر أنه: سمع خطبة النبي ﷺ يحدث عن بدء الخلق؛ حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وسيأتي في هذا الباب حديث حذيفة أنه قال: «أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة».

وفيه أنه سمع ذلك معه من النبي ﷺ جماعة ماتوا قبله».

قال النووي: «يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يقتل، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل؛ لأن عمر كان يعلم أنه الباب، فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل».

٣٢ ـ سؤال وجوابه:

وقال الحافظ ـ أيضاً ـ: «فإن قيل إذا كان عمر عارفاً بذلك فلم يشك فيه حتى سأل عنه؟ فالجواب: أنّ ذلك يقع مثله عند شدة الخوف، أو لعله خشي أن يكون نسي؛ فسأل من يذكره، وهذا هو المعتمد.

قال الحافظ في «الفتح»: «زاد في رواية الأعمش، عن شقيق الآتية في «الفتن» في آخره: «قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم؛ كما يعلم أن دون غير الليلة؛ إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط؛ قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله؛ فسأله، فقال: عمر».

٣٣ ـ بيان حسن خلق حذيفة، وأدبه، وجراءته في الحق.

٣٤ ـ قال الحافظ في موطن آخر: «وأخرج الخطيب في «الرواة عن مالك» أن عمر دخل على أم كلثوم بنت علي، فوجدها تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: هذا اليهودي ـ لكعب الأحبار ـ يقول: إنك باب من أبواب جهنم، فقال عمر: ما شاء الله.

ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فقال: يا أمير المؤمنين! والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة؛ حتى تدخل الجنة.

فقال: ما هذا؟ مرة في الجنة، ومرة في النار؟ فقال: إنا لنجدك في كتاب الله على أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها، فإذا متَّ اقتحموا».

٣٥ ـ تذاكر الولاة مع العلماء أمور دينهم للتبصير بالعواقب، وأخذ الحذر والحيطة.

٣٦ ـ وفي الحديث: أن عمر يموت مقتولاً مظلوماً، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ حيث مات شهيداً؛ قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة سنة (**٢٣هـ**).

٣٧ ـ وفيه بيان فضل حذيفة وأنه كان موضع سر رسول الله ﷺ.



(...) وحدّثني ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ الفَزَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الأشْجَعِيُّ، عَنْ رِبْعِيٍّ؛ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ حُذَيْفَةُ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ، جَلَسَ فَحَدَّثَنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْس لَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ سَأَلَ أصْحَابَهُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ فِي الْفِتَنِ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي خَالِدٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ تَفْسِيرَ أَبِي مَالِكٍ لِقَوْلِهِ: «**مُرْبَاداً مُجَخِّياً**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ دقة مسلم في اختصار الحديث حيث قال: بمثل حديث أبي خالد، ولم يذكر تفسير أبي مالك.

* غريب الحديث:

قوله: **(لما قدم حذيفة من عند عمر)**؛ أي: لما قدم حذيفة الكوفة في انصرافه من المدينة من عند عمر.

قوله: **(إن أمير المؤمنين أمس)**؛ أي: الزمان الماضي، لا أمس يومه.

قوله: **(سأل أصحابه)**؛ أي: سأل جلساءه الذين أحاطوا به.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يقولون لعمر أمير المؤمنين.

٢ ـ أنّ حذيفة كان يُحدِّث عمّا جرى بينه وبين عمر.

٣ ـ أنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتذاكرون العلم فيما بينهم.



(...) وحدَّثنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيّ، وَعُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ نُعَيْم بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رَبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: مَنْ يُحَدِّثُنَا، أَوْ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحَدِّثُنَا ـ وَفِيهِمْ حُذَيْفَةُ ـ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا.

وَسَاقَ الْحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيٍّ.

وَقَالَ فِي الْحَدِيثَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: حَدّثْتُهُ حَدِيثاً لَيْسَ بِالأغَالِيطِ.

وَقَالَ: يَعْنِي أَنَّهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: **(وساق الحديث)**: الضمير لنعيم بن أبي هند.

٢ ـ قوله: **(كنحو حديث أبي مالك)**؛ أي: كحديث سعد بن طارق الأشجعي.

٣ ـ رواية نعيم بن أبي هند: ساقها أبو نعيم في «المستخرج» (٣٦٩/٢١١/١):

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، ثنا محمد بن يحيى، ثنا أبو حفص، وثنا ابن الطهرانيّ، ثنا يحيى بن حكيم، قالوا: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان التيميّ، عن نعيم بن أبي هند، عن رِبْعيّ، عن حذيفة، أن عمر قال: مَن يُحَدِّثنا، أو مَن أمينكم يحدثنا ما قال رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا، أيّ فتنة تَعني يا أمير المؤمنين؟ قال: فتنة الرجل في نفسه وأهله وماله، قال: لا، تكفّرها الصلاة والصدقة، ولكن الفتنة التي تموج، أو تمور كما يمور، أو كما يموج البحر، فقال: وما عليك يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً، لا يُفْضِي إليك منها شيء، حتى يُدَقّ البابُ، فقال عمر: دَقًّا لا أبا لك؟ إنه لو كان إنما يُفتَح كان عسى أن يُغْلَق، فقال حذيفة: إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، قال: يعني: فإنه عن رسول الله ﷺ، فقال في بعض ذلك: «**يُعْرَضُ للناس فتنةٌ، فمَن أُشْرِبها كانت في قلبه نكتةٌ سوداءُ، ومَن أنكرها كانت في قلبه نكتةٌ بيضاءُ، حتى يكون الناس، أو تكون القلوب فيها قلبين: قلب أبيض كالصَّفَا، لا تَضُرُّه فتنة أبداً، وقلبٌ أسودُ مُرْبَدٌّ، مثل الكُوز مُجَخِّياً، لا يَعْرِف حَقًّا**، أو قال: **معروفاً، ولا ينكر منكراً**»، لفظ يحيى بن حكيم.

➢ فقه الحديث:

١ ـ أفادت هذه الرواية أنّ هذا الحديث من رسول الله ﷺ.

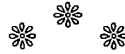
٢ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«عمر ـ رضي الله عنه ـ لما أخبره حذيفة أن هذا الباب الذي بين عمر وبين الفتنة يُكسر تأثر وقال: أكسراً لا أبَا لك؟! وهذه الكلمة تقال في مقدمة ما ينكر على الإنسان، وقد تقال في غير ذلك، لكن هذا السياق يدل على أنه استنكر هذا، واشمأز منه.

ثم قال: نعم! فلو أنه فتح فلعله يعاد؟ قلت: لا بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل، أو يموت، حديثاً ليس بالأغاليط؛ بل هو حديث صحيح عن النبي ﷺ.

والباب الذي يكسر؛ هو: عمر ـ رضي الله عنه ـ؛ لأنه من بعده بدأت الفتن تشرئب، وترفع رأسها ـ والعياذ بالله ـ وإلى يومنا هذا، حتى تمزقت الأمة الإسلامية، وصارت بدلاً من أن تكون خلافة واحدة، صارت دويلات متفرقة؛ بل ليت بعضها سلم من شر البعض الآخر؛ بل بالعكس دويلات يقوم بعضها على بعض؛ بل الدولة الواحدة يقوم بعضها على بعض، كما نرى في أفغانستان، وكما نرى في اليمن الآن.

فالمهم أن الأمة الإسلامية ـ بعد عمر ـ بدأ فيها التمزق، حتى أصبحت إلى ما ترون، نسأل الله أن يجمعهم على الحق»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٥٩ ـ ٤٦٠).

٦٦ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين

هذا الباب وضع في بداية حديث حذيفة السابق، وهو خطأ لمَن تأمّله، ولذلك قال شيخنا ابن العثيمين: «ينبغي أن تنقل الترجمة ـ التي هي باب بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين ـ إلى الحديث الذي سيأتي؛ لأن حديث حذيفة كله في الفتن، ليس فيه بدأ الإسلام غريباً»(١).

٢٣٢ ـ (١٤٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ ـ جَمِيعاً ـ عَنْ مَرْوَانَ الْفَزَارِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ عَنْ يَزِيدَ ـ يَعْنِي: ابْنَ كَيْسَانَ ـ عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً، فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.
٢ ـ له شيخان قرن بينهما.
٣ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخيه؛ فمكيان، وصحابيه فمدني.
٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**بدأ**): من الابتداء والبداية، وهو مهموز لازم صحيح، ومنه بدأ الشيء: حدث، وابتدأته: أحدثته.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٥٣).

قوله: **(غريباً)**؛ أصل الغربة: البُعد، وبه سمي النفي تغريباً.

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«ويحتمل أن يُراد بالحديث المهاجرين؛ إذ هم الذين تغرّبوا عن أوطانهم فراراً بأديانهم، فيكون معناه: أن آخر الزمان تشتدّ فيه المحنُ على المسلمين، فيَفِرُّون بأديانهم، ويغتربون عن أوطانهم، كما فعل المهاجرون»[1].

وقال القاضي عياض ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«وظاهر الحديث العمومُ، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلّة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والاختلال حتى لا يبقى أيضاً إلا في آحاد وقلّة غريباً كما بدأ».

وقال التوربشتي: «يريد أن الإسلام لَمّا بدأ في أول الوَهْلة نَهَضَ بإقامته، والذبّ عنه أُناس قليلون من أشياع الرسول ﷺ، ونُزّاع القبائل، فشرّدوهم عن البلاد، ونَفَوهم عن عُقْر الديار، يُصبح أحدهم معتزلاً مهجوراً، ويَبيتُ مُنتبذاً وحداناً كالغُرَباء، ثم يعود آخراً إلى ما كان عليه، لا يكاد يوجد من القليلين إلا الأفراد.

ويَحْتَمِلُ أن تكون المماثلة بين الحالة الأولى، والحالة الأخيرة لقلّة مَن كانوا يتديّنون به في الأول، وقلّة مَن كانوا يعملون به في الآخر، فطوبى للغرباء المتمسّكين بحبله المتشبّثين بذيله»[2].

وقال الطيبيّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«لا يخلو إما أن يُستعار الإسلام للمسلمين، فالغربة هي القرينة، فيرجع معنى الوحدة والوحشة إلى نفس المسلمين، وإما أن يجري الإسلام على الحقيقة، فالكلام فيه على التشبيه، والوحدة والوحشة باعتبار ضعف الإسلام وقلّته، فعلى هذا قوله: «**غريباً**» إما حالٌ، أي: بدأ الإسلام مشابهاً للغرباء، أو مفعولاً مطلقاً، أي: الإسلام ظهر ظهور الغرباء حين بدأ فريداً

---

(١) «المفهم» (١/٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٢) «إكمال المعلم» (١/٥٧٩ ـ ٥٨٠).

وحيداً، لا مأوى له، حتى تبوّأ دار الإسلام أعني طيبة، فطوبى له، وطاب عيشاً، ثم أتمّ الله نوره، فانبثّ في الآفاق، فبلغ مشارق الأرض ومغاربها، فيعود في آخر الأمر وحيداً فريداً شريداً إلى طيبة، كما بدأ، فطوبى له، ولَهَفِي عليه، كما ورد: «**إن الإيمان ليأرِزُ إلى المدينة، كما تأرِزُ الحيّة إلى جحرها**» متفقٌ عليه؛ فعلى هذا «**طوبى**» ترشيح الاستعارة»[1].

قوله: (**وَسَيَعُودُ**)؛ أي: الإسلام (**كَمَا بَدَأَ غَرِيباً**) الكاف صفة لمصدر محذوف، و«ما» اسم موصول، أو مصدريّة، والتقدير: وسيعود عَوْداً مثل بدئه الذي بدأ به من الغربة؛ أي: القلّة؛ لقلّة أهله في الناس.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

هذا ـ أيضاً ـ خبر من النبي ﷺ عن أمر وقع وأمر سيقع:

فالأمر الذي وقع، قوله: «**بدأ الإسلام غريباً**»، وهو كذلك، فالإسلام أول ما ظهر في مكة، كان غريباً، المسلمون قلة، ومضى بعد ذلك مدة، وهم لا يزيدون عن العشرة، ثم تكاثروا.

وسيعود ـ أيضاً ـ غريباً في آخر الزمان؛ يعني: يقل المسلمون، وهذه القلة قد يراد بها القلة النسبية، فلا يمنع أن يكونوا ألوفاً من المسلمين؛ لأن المسلمين الآن يقدرون بمليار أو أكثر، لكن في عهد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانوا قلة، يعني: مات عن مئة وأربعين ألفاً، فلا نقول: إن القلة والغربة ستكون في آخر الزمان بحيث يكون عشرة أو عشرين من المسلمين، قد يكونون مئات أو ألوفاً، لكن هم بالنسبة للعموم غرباء.

قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**سيعود غريباً**»؛ هذا خبر عن شيء، مستقبلٍ، سيعود غريباً كما بدأ»[2].

قوله: (**فَطُوبَى**): طوبى: فُعْلَى من الطِّيب.

وقد اختَلَفَ المفسرون في معنى «طُوبى» من قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

---

(١) «الكاشف عن حقائق السنّة» (٢/٦٢٦).

(٢) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٦٢ ـ ٤٦٣).

قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فَرَحٌ، وقُرّة عين.
وقال عكرمة: نِعْمَ مالهم.
وقال الضحاك: غِبْطَةٌ لهم.
وقال إبراهيم النخعيّ: خيرٌ لهم.
وقال قتادة: هي كلمة عربية، يقول الرجل: طوبى لك؛ أي: أصَبْتَ خيراً، وقال في رواية: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: حُسْنَى لهم.
﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾؛ أي: مَرْجِع.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وهذه الأقوال شيءٌ واحدٌ، لا منافاة بينها».

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قال: هي أرض الجنة بالحبشية.

وقال سعيد بن مَسْجُوح: ﴿طُوبَىٰ﴾ اسم الجنة بالهندية.

قال عكرمة: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ هي الجنة، وبه قال مجاهد.

وقال شهر بن حوشب: (طوبى) شجرة في الجنة.

وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، ومغيث بن سميّ، وأبي إسحاق السبيعي، وغير واحد من السلف.

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «**طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مئة عام، ثياب الجنة تخرج من أكمامها**».

وأخرج الشيخان عن أبي حازم، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مئة عام، لا يقطعها**».

قال: فحدّثت به النعمان بن أبي عياش الزُّرَقيّ، فقال: حدثني أبو سعيد الخدريّ، عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة شجرة، يسير الراكب الجواد المُضْمِر السريع مئة عام ما يقطعها**».

وفي «صحيح البخاريّ» عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]؛ قال: **«في الجنة شجرةٌ يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها»**.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«في الجنة شجرةٌ يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾».

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: جميع هذه الأقوال تتفق ولا تفترق، ولا تعارض بينها، ولكنه تنوع عبارات؛ فينبغي حمل المراد على الجميع، والله أعلم.

قوله: (**لِلْغُرَبَاءِ**)؛ أي: للذين يغتربون عن أوطانهم، وذويهم، وعشيرتهم؛ فراراً بدينهم، وطلباً لمرضاة ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ.

فقه الحديث:

١ ـ غربة الإسلام بعد انتشاره واشتهاره وانتصاره، والإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا؛ فغربة الإسلام دليل على غربة الإيمان، ولذلك أورده المصنف في كتاب الإيمان.

٢ ـ فيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص؛ فإذا انتشر وقوي دعاته؛ فهذا يدل على زيادته، والعكس بالعكس.

٣ ـ فيه علم من أعلام النبوة، حيث أخبر النبي ﷺ بما سيقع؛ فوقع ما أخبر به كما أخبر.

٤ ـ فضل هجران الأوطان والأهل؛ لأجل الإسلام.



(١٤٦) وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الأَعْرَجُ قَالاَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ،

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ؛ كَمَا تَأرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - في الحديث (٨/١).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ مسلسل بالمدنيين من عاصم.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه عن جده.

٥ ـ حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: **(وهو يأرز بين المسجدين؛ كما تأرز الحية في جحرها)**؛ يأرز: قال أبو عبيد: ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض؛ كما تنضم الحية في جحرها.

قال الحافظ: «أي: أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به؛ فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ فيشمل ذلك جميع الأزمنة؛ لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك للصلاة في مسجده».

فقه الحديث:

١ ـ بيان فضل مكة المكرمة.

٢ ـ بيان فضل المدينة النبوية.

٣ ـ فضل المسجدين: المسجد الحرام والمسجد النبوي؛ حيث يبقيان معقلاً للإسلام، وحصناً حصيناً للدين.

٤ ـ جواز التشبيه بالأمور المؤذية.

٥ ـ أنّ الإيمان أصله ومبدأه في مكة المكرمة، ثم ظهر في المدينة.

٦ ـ فضل الثبات على الإسلام عند حدوث الفتن وظهور البدع.



٢٣٣ ـ (١٤٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُاللّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُبَيْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللّهِ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ حفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (١٨٧٦).

فقه الحديث:

١ ـ أنّ المدينة النبوية موطن الذين تبوأوا الدار والإيمان.

٢ ـ فضل الإقامة والسكنى في المدينة النبوية.

● **من فقه الباب:**

١ ـ حديث الغربة والغرباء ورد موصولاً عن جمع من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ: عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة؛ وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبدالله، وسهل بن سعد الساعدي، وأنس بن مالك، وعبدالرحمٰن بن سنّة، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وعوف المزني، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع.

ومرسلاً عن يحيى بن سعيد، ومجاهد، وعبيد بن شريح.

ولذلك عدّه جمع من علماء الحديث متواتراً، منهم:

السيوطي في «تدريب الراوي» (٢/١٨٠)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص١١٤)، والكناني في «نظم المتناثر» (ص٣٤ ـ ٣٥).

٢ ـ جاءت زيادات مفسرة للغرباء، تكلمت عليها مفردة في كتابي «صفة الغربة والغرباء»؛ وها أنا أضمها إلى بعضها بعضاً؛ لنصل إلى قول فصل فيها:

١ ـ النُّزَّاع من القبائل:

لم أرها إلا في حديث عبدالله بن مسعود، وهي ضعيفة؛ لأن مدارها على أبي إسحاق السبيعي، وهو مدلس مختلط.

٢ ـ الذين يصلحون إذا فسد الناس:

جاءت في حديث عبدالله بن مسعود بإسناد صحيح.

وفي حديث أبي هريرة بإسناد فيه بكر بن سليم الصوّاف، وهو ضعيف، لكن يعتبر به. ومن طريقه أيضاً في حديث سهل بن سعد الساعدي.

وفي حديث جابر بن عبدالله بإسناد فيه عبدالله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، يستشهد به.

وفي حديث عبدالرحمٰن بن سنة بإسناد فيه إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، وهو متروك لا يفرح به.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد صحيح.

وفي مرسل يحيى بن سعيد بإسناد فيه ضعف.

وبهذا يتبين أن هذه الجملة صحيحة مستفيضة.

٣ ـ أناس صالحون في أناس سوء كثير مَن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم:

جاءت في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو صحيح.

وقد أبعد السبكي النجعة، فذكرها في الباب الذي جمع فيه الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي(١).

وهذا وهم قبيح، وبخاصة أن هذه الرواية في «المسند» للإمام أحمد.

٤ ـ هم المتمسكون بما أنتم عليه:

ذكرها الغزالي(٢).

وقال الحافظ العراقي:

«يقوله في وصف الغرباء، لم أرَ له أصلاً».

وحشرها السبكي في الأحاديث التي لا أصل لها الواردة في «إحياء علوم الدين» ضمن ترجمة الغزالي(٣).

قلت: والأمر كما قالا.

---

(١) «طبقات الشافعية» (١٤٥/٤).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣٨/١).

(٣) «طبقات الشافعية» (١٤٥/٤).

٥ ـ الفرَّارون بدينهم يبعثهم الله ـ ﷻ ـ يوم القيامة مع عيسى ابن مريم عليه السلام:

جاءت في حديث عبدالله بن عمرو بإسناد ضعيف.

٦ ـ الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي:

جاءت في حديث كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، وهو واه بمرة.

مما سبق يتبين أن الزيادات الثابتة، هي:

١ ـ «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

٢ ـ أناس صالحون في أناس سوء كثير، مَن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.

٣ ـ وهي تمثل منهج الغرباء في الإصلاح، يوضحه:

إن الغرباء قوم صالحون مصلحون يسعون لإصلاح الناس عند فسادهم، وإصلاح ما أفسد الناس، وهم قليلون بين أناس سوء كثير، وهذه صفة الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ولذلك؛ فمنهج السلف منهج إصلاحي تربوي، ليس منهجاً ثورياً أو ترقيعياً، وتقرير هذا من وجوه:

أ ـ أنهم ورثة الأنبياء، ومنهج الأنبياء تربوي إصلاحي؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وهذا المنهج يقوم على تزكية النفوس فهو تربوي كما بيّنته في كتابي: «منهج الأنبياء في تزكية النفوس» فانظره.

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦ و١١٧].

وهؤلاء هم الغرباء؛ كما قال ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «استشهاده

بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن؛ فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، قيل: ومَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[1].

ت ـ أن منهج النبي ﷺ إصلاحي تربوي يقوم على التعليم والتزكية كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

الرابع: لقد بيَّن رسول الله ﷺ أنه بُعث ليُصلح ما أفسد الناس ويُتِم ما كان صالحاً في حياتهم.

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص٤٢)، وأحمد (**٢/٣٨١**) بسند حسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت؛ لأتمم مكارم الأخلاق**».

والأخلاق هي الدين لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهي القرآن الكريم بشموله وكماله؛ فقد أخرج الإمام مسلم أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن».

٤ ـ وأحاديث الغرباء تدل على أن المستقبل للإسلام بمنهج السلف الكرام من وجوه متعددة:

أ ـ أن الإسلام بدأ غريباً، ثم انتشر وانتصر، وتحقق فتح بلدان كثيرة، أخبر عنها رسول الله ﷺ، كبلاد الشام، والعراق، ومصر، واليمن، وغيرها.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/١٩٤).

ب ـ أن الإسلام سيعود غريباً، والغربة الثانية بين أهله ودعاته، ولكن الله يبعث مَن يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها؛ كما في حديث التجديد، ولذلك لن يبقى غريباً ذليلاً في الأرض إلى آخر الدين؛ فلا بد من الانطلاقة الثانية الكبرى بعد الغربة الثانية، كما كانت الانطلاقة الأولى بعد الغربة الأولى.

ت ـ قوله ﷺ: «**فَطُوبَى للغُرَبَاء**»، يدل عليه حديث الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة؛ وهو: منهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ، فالمستقبل للإسلام بمنهج السلف الكرام.

ث ـ ما ثبت من تفسيره للغرباء، وقد ثبت تفسيران:

الأول: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**».

الثاني: «**أُنَاسٌ صالحون في أُناسِ سَوْءٍ كثير، مَن يَعْصِيهم أَكْثَرُ ممن يُطِيعهُم**».

إذاً، منهج الغرباء إصلاحي تربوي، فهم صالحون مصلحون، وهذا هو منهج الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ، يدل على ذلك أمور:

أ ـ أن منهج الصحابة الذين حققوا الخلافة الراشدة بعد النبوة تربوي إصلاحي: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وقد مكّن الله لهم دينهم، واستخلفهم في الأرض، وأبدلهم من بعد خوفهم أمناً؛ فدلّ ذلك على صحة المنهج السلفي الذي كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، هو تربوي إصلاحي، قائم على عبادة الله وتوحيده؛ كما في آية التمكين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ب ـ أن خطاب الحجر والشجر للجيل الذي يحقق الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ويقاتل آخرهم الدجال؛ يدل على أنه منهج تربوي إصلاحي: يا مسلم! يا عبدالله! ولن تتحقق عبودية الله في النفس البشرية إلا بإصلاح وتربية.

ت ـ أن الإصلاح والتربية والعلم والتزكية منهج الأنبياء، وهو كذلك منهج ورثتهم، والطائفة المنصورة وعلماؤها ورثة محمد ﷺ وصحبه ـ رضي الله عنهم ـ، فهذا يدل دلالة واضحة على أن المستقبل للإسلام؛ لكن بمنهج السلف الكرام.

٥ ـ كيف نفهم حديث الغرباء فهماً إيجابياً صحيحاً؟

وإليك تفصيل المعنى الجميل لهذا الحديث الجليل الذي يدل على خلاف ما يظنه الناظر إليه أول مرة دون إنعام النظر فيه، والوقوف على خوافيه.

هذا الحديث لا يعني ضعف الإسلام وأفول نجمه، وأنه يعود غريباً غربة شاملة دائمة... فالحديث يخبر عن دورات تأتي وتذهب، وموجات تظهر وتتغير، وأن الإسلام يعرض له ما يعرض لكل الدعوات والرسالات من القوة والضعف، والامتداد والانكماش، والازدهار والذبول، وفق سنن الله التي لا تتبدل، فهو كغيره خاضع لهذه السنن الإلهية، التي لا تعامل الناس بوجهين، ولا تكيل لهم بكيلين، فما يجري على الأديان والمذاهب يجري على الإسلام، وما يجري على سائر الأمم يجري على أمة الإسلام.

فالحديث ينبىء عن ضعف الإسلام في فترة من الفترات، ودورة من الدورات؛ ولكنه سرعان ما ينهض من عثرته، ويقوم من كبوته، ويخرج عن غربته كما فعل حين بدأ.

فقد بدأ غريباً ضعيفاً؛ ليقوى، ثم يقوى، مطارداً ليظهر، ثم يظهر على الدين كله، ملاحقاً مضطهداً، لينتشر وينتشر، ثم ينتصر وينتصر.

فلا دلالة في الحديث على اليأس من المستقبل؛ إن أحسنَّا فهمه.

ومما يدل على أن الحديث لا يعني الاستسلام أو اليأس، ولا يدعو إليه بحال: ما جاء في وصف لهؤلاء (الغرباء) من أنهم الذي يُصلحون ما أفسد الناس من المنهج والعقيدة، ويُحيون ما أماته الناس منها من السنّة والاتباع، ويجدِّدون فهمه على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

فهم إيجابيون صالحون مصلحون، وليسوا من السلبيين أو الانعزاليين أو الاتكاليين، الذين يدعون الأمور تجري في أعنتها، ولا يحركون ساكناً، أو ينبهون غافلاً؛ بل يقابلون فساد الناس بصلاح أنفسهم، وإفسادهم بصلاح الأمة، ولو خالفهم الكثيرون.

وقد بيّنت دلالة هذا الحديث على مستقبل الإسلام بمنهج السلف الكرام.

ومَن تأمّل هذا المقام الذي ضلّت فيه أفهام، وزلّت فيه أقدام؛ عَلِمَ أن هذا الحديث الهام يحرّض على الإقدام، ويشحذ الهمم إلى القمم؛ لتكون أمة الإسلام خير الأمم، وستكون كذلك عما قريب بإذن الله؛ كما كانت من قَبْل، ولله الأمر من قَبل ومن بعد.



٦٧ ـ باب ذهاب الإيمان آخر الزمان

٢٣٤ ـ (١٤٨) حدّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللّهُ، اللّهُ**».



حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللّهُ، اللّهُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ حماد هو ابن سلمة؛ لأن الراوي عنه عفان بن مسلم؛ لأنه مما يميز بينه وبين حماد بن زيد؛ كما قال السيوطي في «الألفية»:

وتارة في اسم فقط ثم السمة ... حماد لابن زيد وابن سلمة
فإن أتى عن ابن حرب مهملا ... أو عارم فهو ابن زيد جعلا
أو هدبة أو التبوذكي أو ... حجاج أو عفان فالثان رأوا

٣ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخه؛ فنسائي ثم بغدادي.

٤ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: (**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**): إنّ الفتن لا تزال تظهر، والعلم يرفع، وحملته يقلون من الأرض إلى فناء الدنيا، وانتهائها بقيام القيامة، قيام الناس لربِّ العالمين، فيبقى شرار الناس، وحثالتهم، وسفلتهم الذين لا يعرفون العلم جملةً وتفصيلاً؛ حتى شهادة التوحيد، فلا يعبأ الله بهم.

وقد ثبت في رواية أخرى: «... **حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله**».

فقه الحديث:

١ ـ بيان علامة من علامات الساعة.

٢ ـ أنّ العلم يرفع آخر الزمان.

٣ ـ أنّ الساعة تقوم على شرار الناس.

٤ ـ أنّ الله أطلع الرسول ﷺ على أشياء غيبية.

٥ ـ وفيه التحذير من الجهل في التوحيد، وقلّة العلم، والفتن.

٦ ـ بيان فضل ذكر الله ـ تعالى ـ حيث لا تقوم الساعة وفي الأرض مَن يذكر الله.

• تنبيه:

استنبط المتصوفة من هذا الحديث مشروعية الذكر بالاسم المفرد، وجعلوه أفضل من الذكر بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله!

وهذه بدعة لها قرون، ويدل على بطلانها كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وذلك من وجوه:

١ ـ أن الذكر ثناء، ولا يكون إلا بجملة تامة يحسن السكوت عليها مثل: لا إله إلا الله، الله أكبر، سبحان الله، الحمد للّه.

والاسم المفرد ليس جملة تامة، ولا كلاماً مفيداً.

٢ ـ أخرج الترمذي وابن ماجه بسند حسن عن جابر ـ ﵁ ـ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد للّه**».

٣ ـ أن معنى (الله) في الحديث توحيد الله؛ كما في رواية المسند: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول: لا إله إلا الله**».

٤ ـ وقد أورد شيخ الإسلام أدلة بطلان الذكر بالاسم المفرد، ثم قال: في نهاية هذا البحث القيم: «المقصود هنا: أن المشروع في ذكر الله سبحانه، هو ذكره بجملة تامة، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته، ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية، والمقاصد السامية. وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»[١].

● **تذييل:**

قال شيخنا ابن العثيمين ـ ﵀ ـ:

«هذا الحديث فيه دليل على أن الإسلام ينقرض قبل تمام الساعة، وأن الساعة لا تقوم على أحد يؤمن بالله، ويقول: الله، الله، وهذا لا يعارض قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم مَن**

---

(١) «العبودية» (ص١٥٨ ـ ١٦٩).

خذلهم ولا مَن خالف أمرهم حتى يأتي أمر الله»، وفي لفظ: «**حتى تقوم الساعة**».

أما لفظ: «**حتى يأتي أمر الله**»؛ فالمراد: أمر الله الذي قضاه، وذلك بأن يموت كل المؤمنين بالريح التي تقبضهم.

وأما لفظ: «**حتى تقوم الساعة**»؛ فيفسَّر على أن المعنى حتى يقرب قيامها، وبذلك تجتمع الأدلة؛ لأن قول الله ورسوله لا يتناقض أبداً، فيكون هذا الحديث دليلاً على أنها لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، الذين لا يعرفون الله، ولا يقولون: الله، الله»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٦٥ ـ ٤٦٦).

٦٨ ـ باب جواز الاستسرار بالإيمان للخائف

٢٣٥ ـ {١٤٩} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ـ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلامَ**» قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ! أَتَخَافُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمَائَةِ؟ قَالَ: «**إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ، لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا**» قَالَ: فَابْتُلِينَا، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لا يُصَلِّي إِلا سِرًّا.

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة حذيفة بن اليمان في الحديث (١٠٥/١٦٨).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ دقة الإمام مسلم في بيان ألفاظ مشايخه.

٢ ـ رواته كلهم كوفيون.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: الأعمش عن شقيق بن سلمة.

٤ ـ حديث حذيفة بن اليمان ـ ﷺ ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٠٦٠).

✹ غريب الحديث:

قوله: (أحصوا لي كم يلفظ الإسلام): أحصوا: من الإحصاء، وهو: العدُّ والحفظ.

و(**يلفظ**): يقال: لفظ الشيء يلفظه لفظاً؛ إذا رماه.

والمعنى: أنّ الرسول القائد ﷺ إذا أراد غزوة وسفرة أو بعد ذلك

يتفقد الناس ويأمر بعدهم؛ ليدرس أحوالهم، ويسوس شؤونهم، ويتم ذلك بالكتابة والتدوين.

فعند البخاري في «الصحيح» الحديث بلفظ: «**اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام...**».

قوله: (أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟): ما الباعث على السؤال يا رسول الله؟ هل خشيت الردة عن الدِّين، أو كيد العدو، أو غير ذلك؟ ونحن بهذا العدد الكبير الذي زاد على الستمائة؟ وهذا استفهام تعجب.

قوله: (إنكم لا تدرون، لعلكم أن تبتلوا): نعم إنكم لا تعلمون ما يُقدر علينا من البلاء، لعلنا نُبتلى أهل الإيمان فلا يبقىٰ منا أحد!

قوله: (قال: فابتلينا، متى جعل الرجل منّا لا يصلي إلا سراً): أي: فابتلينا بعد زمنٍ من سؤال رسول الله ﷺ.

قال النووي: «فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي ﷺ، فكان بعضهم يخفي نفسه، ويصلي سرًّا مخافة من الظهور، والمشاركة في الدخول في الفتنة والحروب، والله أعلم».

فقه الحديث:

١ ـ مشروعية كتابة دواوين الجيوش، وقد حصل ذلك في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ وقد يكون هذا الفعل واجباً؛ لتمييز من يصلح للمقاتلة ممن لا يصلح.

٣ ـ وفيه وقوع العقوبة على الإعجاب بالكثرة، وهو نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾ الآية [التوبة: ٢٥].

٤ ـ أنّ كتابة الجيش وإحصاء الأنفس ليس سبباً لذهاب البركة.

٥ ـ بيان عظم الفتن التي وقعت في حياة الصحابة ـ ﷺ ـ.

٦ ـ فيه علم من أعلام النبوة، فقد أخبر الرسول ﷺ بالابتلاء فوقع كما أخبر به، بل وقع أشد من ذلك في زمن الحجاج الثقفي وغيره.

٧ ـ جواز الاستسرار بالإيمان للخائف على نفسه أو دينه.

٨ ـ بيان كمال شفقة النبي ﷺ، وشدة حرصه على أصحابه بخاصة وأمته بعامة.

٩ ـ استدل بعض العلماء بالحديث على جواز تعداد السكان في الدولة الإسلامية؛ لقوله ﷺ: «**أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟**».

١٠ ـ ينبغي على الإنسان أن يستعد للفتن، ويحذر منها، ولا يعجب بما هو عليه من الكثرة أو القوة.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«فالواجب على الإنسان أن يحترز من الفتن، ولا سيما مطالعة الكتب المنحرفة فكريًّا، أو خلقيًّا؛ لأن بعض الناس يقرأ هذا الكتاب، ويقول: أنظرُ ما عنده، فإذا به يعصف به في الهاوية.

ولهذا نُحذر طالب العلم الصغير أن يقرأ كتب أهل البدع، أو كتب أهل الضلال، حتى يترعرع، ويعرف أن عنده من العلم ما يدفع به شبهات هؤلاء.

والحق الموجود في هذه الكتب موجود في غيرها، وبإمكانك أن تستغني عنها، إلا إذا كنت قد ملكت نفسك، وحصلت من العلم ما تدفع به الشبهات، فلا بأس أن تقرأ، إذ لا يمكن أن ترد على أهل الباطل إلا إذا عرفت باطلهم.

وكذلك بالنسبة للأخلاق، نحن نحذر من أن يطالع الإنسان كتب الرذيلة من مجلات وغيرها؛ لئلا ينزلق، وكذلك من باب أولى المشاهدات

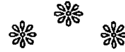
في التلفزيون، وغيرها، فالإنسان ربما يكون واثقاً من نفسه، ثم بعد ذلك ينحرف»[1].

١١ ـ من فقه النوازل:

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث وأمثاله على أن الجاسوس ـ إذا وصل إلى بلاد الكفر ـ فإنه لا يصلي؛ لأنه مراقب دائماً، سواء علم أم لم يعلم، فهل هذا الاستدلال صحيح؟

فنقول: ليس في الحديث دليل على ذلك؛ لأن الجاسوس ينبغي له أن يكون حذراً، وفطناً؛ لأن بعض الناس يكون سطحيًّا، أي إنسان يأتيه، يبدي له ما في قلبه، وهذه المسائل خطيرة يجب على الإنسان أن يكون حذراً، وبإمكانه إذا كان مسافراً أن يجمع بين الصلاتين مثلاً»[2].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٦٨ ـ ٤٦٩).

(٢) المرجع السابق (ص٤٦٩).

٦٩ ـ باب تألّف قلب من يخاف على إيمانه؛ لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع

٢٣٦ ـ {١٥٠} حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْماً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَعْطِ فُلاناً فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمٌ**» أَقُولُهَا ثَلاثاً، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلاثاً «**أَوْ مُسْلِمٌ**».

ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّه اللّهُ فِي النَّارِ**».

✸ راوي الحديث:

هو أبو إسحاق؛ سعد بن أبي وقاص، واسمه مالك: بن أهيب بن عبد مناف الزهري القرشي، وهو فارس الإسلام وحارس الرسول ﷺ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، بشّره الرسول ﷺ بالجنة، فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قديماً، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو راض عنهم، ومناقبه كثيرة، وفضائله شهيرة، روى عنه جمع كثير من التابعين وأتباعهم، روى له الجماعة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين من الزهري، والباقيان مكيان.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الزهري عن عامر.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: عامر بن سعد عن أبيه.

٥ ـ هذا الإسناد مما انتقده الغساني وأبو مسعود الدمشقي والدارقطني والقاضي عياض والمازري.

وجمع من أهل العلم؛ قالوا: المحفوظ فيه عن سفيان عن معمر عن الزهري؛ أي: أن سند المصنف فيه سقط، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وكذا بإثبات معمر: أخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريقه بإثباته، فلعل سقوطه من بعض الرواة عنه إما مسلم أو من دونه، أو يكون لما حدّث به مسلماً رواه له من حفظه»[1].

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**وكيف كان؛ فهذا الكلام في الإسناد لا يؤثر في المتن؛ فإنه صحيح على كل تقدير متصل**»[2].

٦ ـ حديث سعد بن أبي وقاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ الإمام البخاري (**٢٧ و١٤٧٨**).

❋ غريب الحديث:

قوله: (قسم رسول الله ﷺ قسماً): رسول الله ﷺ هو الحاكم، والقائد، وهو المسؤول عن تقسيم الغنائم على الجيش، وله منه نصيب، وبسطه في كتب الفقه.

قوله: (فقلت: يا رسول الله، أعطِ فلاناً؛ فإنه مؤمن): وفي موقف من المواقف التي يقسم الرسول ﷺ غنائم معركة من المعارك ترك واحداً من أصحابه فلم يعطه؛ وهو يراه قاصداً تركه، فدفع سعد بن أبي وقاص ما يعلم من صحة إيمان هذا الرجل الذي لم يُعطه أن قال: يا رسول الله! أعطِ فلاناً للذي ترك، فإني أشهد أنه مؤمن يستحق العطاء مثل غيره من إخوانه المسلمين.

قوله: (فقال النبي ﷺ: أوْ مسلم. أقولها ثلاثاً، ويرددهما عليّ ثلاثاً «أو مسلم»): أو: بإسكان الواو لا بفتحها، وهي للإضراب، يأمره بترك هذا

---

(١) «النكت الظراف» (**٣/٢٩٨**).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (**٢/١٨٢**).

المدح. فليس فيه إنكار كونه مؤمناً، بل معناه: النهي عن القطع بالإيمان، وأن لفظة الإسلام أولى به، فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، وأمّا الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ. وسعد يكرر هذا الكلام والطلب؛ لما يعلم مستوثقاً به، والنبي يأمره بأن يعرض عن هذا التعبير.

قوله: (**ثم قال: إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إلي منه، مخافة أن يكبه الله في النار**) يكبه: هو ـ بفتح أوله وضم الكاف ـ يقال: أكبّ الرجل إذا أطرق، وكبّه غيره إذا قلبه، وهذا على خلاف القياس؛ لأن الفعل اللازم يتعدى بالهمزة، وهذا زيدت عليه الهمزة فقصر.

وقد ذكر المؤلف ـ يعني البخاري ـ هذا في كتاب الزكاة فقال: «يقال: أكبّ الرجل إذا كان فعله غير واقع على أحد، فإذا وقع الفعل قلت: كبّه وكببته».

وجاء نظير هذا في أحرف يسيرة منها: أنسل ريش الطائر، ونسلته، وأنزفت البئر ونزفتها، وحكى ابن الأعرابي في المتعدي كبه وأكبه معاً، قاله الحافظ في «الفتح».

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ لما رأى سعداً مصراً على القطع للرجل بالإيمان ويلح على الرسول ﷺ لإعطائه ظانًا أنّ الرسول ﷺ لم يعطه لفسادٍ فيه؛ بيّن له سبب عدوله عن إعطائه؛ وهو: أني قد أُعطي من هو أضعف إيماناً، وأقل محبةً عندي من غيره لمصلحة شرعية تقتضي ذلك مثل المؤلفة قلوبهم؛ فإنهم لو تركوا من العطاء لخشينا أن يرتدوا عن الإسلام، ويؤول مصيره إلى النار.

بخلاف المؤمن الذي ثبت قدمه في الإسلام؛ فإنه يؤمن عليه من الفتنة، والردة عن الدِّين.

وأيضاً: أنّ الثناء على الناس بالأمر الباطن لا يجوز، بل وجب التوقف عنه، والقطع والثناء على الأمر الظاهر.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ القائد هو الذي يقسم الغنائم بين المقاتلين.

٢ ـ جواز الشفاعة إلى ولاة الأمور فيما ليس بمحرم.

٣ ـ جواز مراجعة المسؤول في الأمر الواحد.

٤ ـ وفيه تنبيه الصغير للكبير على ما يظن أنه ذهل عنه.

٥ ـ جواز مراجعة المشفوع إليه في الأمر إذا لم يؤدِّ إلى مفسدة.

٦ ـ تنبيه المفضول الفاضل على ما يراه مصلحة.

٧ ـ أنّ الفاضل لا يقبل ما يشار عليه به مطلقاً، بل يتأمله، فإن ظهر فيه المصلحة عمل به؛ وإلا فلا.

٨ ـ الفرق بين الإيمان والإسلام.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «هذا الحديث أصح دليل على الفرق بين الإيمان والإسلام، وأن الإيمان باطن ومن عمل القلب، والإسلام ظاهر ومن عمل الجوارح؛ لكن لا يكون مؤمناً إلا مسلماً، وقد يكون مسلماً غير مؤمن، ولفظ هذا الحديث يدل عليه، وفيه ردٌّ على الكرَّاميَّة وغلاة المُرْجئة في حكمهم بصحة الإيمان لمن نطق بالشهادتين وإن لم يعتقدها بقلبه؛ لنفى النبي ﷺ اسم الإيمان عنه واقتصاره به على الإسلام»[(١)].

٩ ـ وفيه ترك القطع بالإيمان الكامل لمن لم ينص عليه.

١٠ ـ وأنّ الإمام يصرف المال في مصالح المسلمين، وتقديم الأهم فالأهم.

١١ ـ أنه لا يجوز لأحد الرعية أن ينكر على ولاة الأمر؛ حتى يعلم الأسباب الدافعة للفعل، أو الترك ونحوها.

---

(١) «إكمال المعلم» (٥٨٨/١).

١٢ ـ الأدب في مخاطبة العلماء، والأمراء، والفضلاء، والكبار.

١٣ ـ أنّ هذا الرجل ممن يحبه الرسول ﷺ، بخلاف ما ظنه سعد.

١٤ ـ وفيه الرد على غلاة المرجئة والكرامية؛ حيث حكموا بصحة الإيمان لمن نطق بالشهادتين، وإن لم يعتقد بقلبه.

١٥ ـ أنه لا يقطع لأحدٍ بالجنة إلا ما ثبت بنص تعيينه.

١٦ ـ أنّ الرجل مؤمن ليس بمنافق، والرد على من زعم ذلك.

١٧ ـ أنّ الإيمان اسم للأعمال الباطنة، والإسلام اسم للأعمال الظاهرة.

١٨ ـ العمل على تقوية الإيمان في قلوب الناس.

١٩ ـ وفيه أنّ مراجعة العالِم والحاكم والكبير تكون سرًّا؛ لما ثبت في بعض طرق الحديث قوله: «فقمت إليه فساررته»؛ وهو عند البخاري ـ أيضاً ـ كما في كتاب الزكاة.

٢٠ ـ ويستفاد من هذه الزيادة: ترك الإنكار العلني على ولاة الأمور، والخروج عليهم من باب أولى.

٢١ ـ وفيه الاعتذار إلى الشافع إذا كانت المصلحة في ترك إجابته.

٢٢ ـ أنه لا عيب على الشافع إذا ردت شفاعته.

٢٣ ـ ترك الإلحاح في السؤال.

٢٤ ـ أنّ المرتد لا ينفعه عمله السابق حال إيمانه؛ لأنه نقضه بكفره.

٢٥ ـ أنّ المرتد والكافر إلى النار.

٢٦ ـ أنّ الطالب والمتعلم: لا يمنعه حبه، وتعظيمه لشيخه، ومعلمه أن يسأل عما يشكل عليه، أو يظنه خطأً.

٢٧ ـ جواز الاجتهاد للحاكم في الأمور الشرعية.

٢٨ ـ مراعاة المصالح من مقاصد الشريعة وفقه النفس.

٢٩ ـ مشروعية تأليف قلب من يخاف على إيمانه؛ لضعفه.

٣٠ ـ استحباب ترك الإلحاح في السؤال.

٣١ ـ جواز الحلف على غلبة الظن.

٣٢ ـ أنّ هذا الرجل المبهم؛ هو: جعيل بن سراقة الضمري، سماه الواقدي في المغازي، ويؤيده ما رواه الروياني وغيره بإسناد صحيح إلى أبي سالم الجيشاني، عن أبي ذر: أنّ رسول الله ﷺ قال له: «**كيف ترى جعيلاً؟**» قال: قلت: كشكله من الناس، يعني: المهاجرين.

قال: «**فكيف ترى فلاناً؟**» قال: قلت: سيد من سادات الناس.

قال: «**فجعيل خير من ملء الأرض من فلان**».

قال: قلت: ففلان هكذا، وأنت تصنع به ما تصنع، قال: «**إنه رأس قومه، فأنا أتألفهم به**». أفاده الحافظ في «الفتح».



٢٣٧ ـ {...} حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَمِّهِ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَعْطَى رَهْطاً، وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ. قَالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ؟ فَوَاللّهِ إِنِّي لأرَاهُ مُؤْمِناً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِماً**». قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ، فَوَاللّهِ إِنِّي لأرَاهُ مُؤْمِناً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِماً**». قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ، فَوَاللّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِماً، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ فيه لطيفة نادرة؛ وهي: رواية أربعة من بني زهرة على الولاء؛ فابن أخي الزهري، وعمه، وعامر، وأبوه.

* غريب الحديث:

قوله: (أعطى رهطاً)؛ الرهط: لا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، وهو ما دون العشرة من الرجال، وأصل الكلمة من الرّهط وهو: عشيرة الرجل وأهله؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ أعطى جماعة من الرجال هم دون العشرة.

قوله: (وهو أعجبهم إليّ): وهذا الذي تركه الرسول ﷺ فلم يعطه؛ هو أحسن هؤلاء ديناً؛ علماً وعملاً فيما أرى.

قوله: (يا رسول الله! ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً): أراه: قال الحافظ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقع في روايتنا من طريق أبي ذر، وغيره بضم الهمزة هنا، وفي الزكاة، وكذا هو في رواية الإسماعيلي وغيره.

وقال الشيخ محيي الدين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: بل هو بفتحها؛ أي: لأعلمه، ولا يجوز ضمها؛ فيصير بمعنى أظنه؛ لأنه قال بعد ذلك: غلبني ما أعلم منه»[١].

ولا دلالة فيما ذكر على تعين الفتح لجواز إطلاق العلم على الظن الغالب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]، سلمنا لكن لا يلزم من إطلاق العلم أن لا تكون مقدماته ظنية فيكون نظرياً لا يقينياً وهو الممكن هنا، وبهذا جزم القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فقال: «الرواية بضم

---

(١) «فتح الباري» (١/١٠٠ ـ ١٠١).

الهمزة، واستنبط منه جواز الحلف على غلبة الظن؛ لأن النبي ﷺ ما نهاه عن الحلف، كذا قال. وفيه نظر لا يخفى؛ لأنه أقسم على وجدان الظن؛ وهو كذلك، ولم يقسم على الأمر المظنون كما ظن»[1].

قلت: والمعنى: لماذا لم تعطِ فلاناً ـ وهو جعيل كما ذكرنا ـ فإني أقسم بالله لظني الغالب أنه مؤمنٌ يستحق العطاء.

قوله: (ثم غلبني ما أعلم منه): ثم أعدت السؤال لما أعلم من حال الرجل، فلم أستطع السكوت، وهكذا مراراً.

وتقدمت بقية فقراته في الطريق التي قبله.

فقه الحديث:

١ ـ جواز التوسع في العطاء لمن أظهر الإسلام تألقاً.

٢ ـ العطاء الدنيوي ليس دليلاً على المحبة أوالأفضلية.

٣ ـ ترك الثناء بالأمر الباطن.

٤ ـ سخاء رسول الله ﷺ وكرمه، وأن عطاءه عطاء من لا يخشى الفقر.

٥ ـ الإيمان إذا تغلغل في القلب لا تؤثر فيه الشبهات، ولا تستفزه البداءات.

٦ ـ جواز الحلف على غلبة الظن أو الظن الراجح.

٧ ـ الحرص على الشفاعة لأهل الصلاح.



{...} حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ـ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: أَعْطَى

(١) «المفهم» (٣٦٧/١).

رَسُولُ اللّهِ ﷺ رَهْطاً وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَمِّه.

وَزَادَ: فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ.

➢ فوائد الإسناد:

١ - فيه ثلاثة تابعيين يروي بعضهم عن بعض وهم: صالح بن كيسان، عن محمد بن مسلم وهو: ابن شهاب الزهري، عن عامر بن سعد.

٢ - وفيه رواية الأكابر عن الأصاغر؛ فإن صالحاً أكبر سناً من الزهري؛ قال البخاري: «صالح بن كيسان أكبر من الزهري وقد أدرك عمر».

٣ - قوله: **(بمثل حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه)**: أي: رواية صالح بن كيسان عن ابن شهاب مثل رواية ابن أخي ابن شهاب عن عمه.

٤ - رواية صالح هنا أخرجها الإمام البخاريّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في «كتاب الزكاة» من «صحيحه» (١٤٧٨)؛ فقال:

حدثنا محمد بن غُرَير الزهريّ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عامر بن سعد، عن أبيه، قال: أعطى رسول الله ﷺ رهطاً، وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً، لم يعطِه، وهو أعجبهم إليّ، فقمت إلى رسول الله ﷺ، فساررته، فقلت: ما لك عن فلان؟، والله إني لأراه مؤمناً، قال: «**أو مسلماً**»، قال: فسكتّ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم فيه، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمناً، قال: «**أو مسلماً**»، قال: فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم فيه، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمناً، قال: «**أو مسلماً**»، يعني فقال: «**إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشيةَ أن يُكَبَّ في النار على وجهه**».

* غريب الحديث:

قوله: **(فساررته)**: أي: كلمته سراً.

فقه الحديث:

١ ـ مناصحة ولاة الأمر تكون سرًّا:

وهذا من أهم ضوابط أمر الحكام والأمراء والرؤساء بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وأنه لا يكون على رؤوس المنابر وفي مجامع الناس؛ لما ينجم عن ذلك من تأليب العامة، وإثارة الرعاع، وإشعال الفتن.

قال شيخنا ابن باز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في فتوى مطبوعة متداولة: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوف الذي يضر ولا ينفع.

ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير.

وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنى، وينكر الخمر، وينكر الربا، من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلاناً يفعلها، لا حاكم ولا غير حاكم.

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان؛ قال بعض الناس لأسامة بن زيد ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ: ألا تنكر على عثمان؟

قال: أَأُنكر عليه عند الناس؟ لكن أنكر عليه بيني وبينه، ولا أفتح باب شر على الناس.

ولما فتحوا الشر في زمن عثمان ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ، وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي بأسباب ذلك، وقتل

جم غفير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب علناً، حتى أبغض الناس ولي أمرهم، وحتى قتلوه، نسأل الله العافية».

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ صدق شيخنا ابن باز ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فإن هذا الأمر هو الذي استقر عليه اتفاق كلمة أهل السنَّة والجماعة وأجمع عليه علماؤهم قديماً وحديثاً، وهو الذي تقرره الأدلة الشرعية، وتؤيده الحقائق التاريخية، وينصره واقع المسلمين المعاصر.



{. . .} وحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ يُحَدِّثُ هَذَا. فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِيَدِهِ بَيْنَ عُنُقِي وَكَتِفِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَقِتَالاً؟ أَيْ سَعْدُ، إِنِّي لأُعْطِي الرّجُلَ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (فضرب رسول الله ﷺ بيده بين عنقي وكتفي، ثم قال: «أقتالاً؟ أي سعد، إني لأُعطي الرجل»): هذا الضرب أراد به التنبيه لما يقوله له بعد تلك المراجعة والتسكين؛ حذراً من الانفعال الذي قد يدفعه للاعتراض على حكم الشارع والحاكم.

وقوله: (أقتالاً؟؛ أي سعد): أقتالاً؛ هو مصدر؛ أي: أتقاتلني قتالاً؟ فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه، ومعنى القتال هنا: الدّفع والمكابرة، وهو كقوله في المار بين يدي المصلي: «**فإن أبى فليقاتله**»؛ أي: فليدافعه ويمنعه من المرور. كذا قال القرطبي.

وعند البخاري في «صحيحه»: «أقبل أي سعد»؛ أي: أقبل عليَّ؛ فإني سأحدثك عن وجه ما تريد.

أو إقبل ما أقوله؛ لأنني أعرف ما لا تعرف، أو أتقابلني بهذه المعارضة، وكلها محتملة قريبة، والله أعلم.

فقه الحديث:

١ ـ جواز الضرب الخفيف للمتعلم، والحاضر بقصد التنبيه، والتسكين لا سيما عند الانفعال أو حذراً منه إن علم أنه لا يتأذى منه.

٢ ـ النهي عن معارضة حكم الشارع الحكيم.

٣ ـ النهي عن الإنكار على العالم، وعدم الرضا بفتواه، وإظهار التسخط لفتواه.

٤ ـ جواز تعنيف الطالب المعترض برأيه دون علم.

٥ ـ فيه دليل أن الإنسان لا ييأس في أول مرة، بل يكرر محاولاته حتى يصل إلى مراده بإذن الله.

من فقه الباب:

١ ـ دلت أحاديث الباب على أن للإمام وغير الإمام أن يتألف الناس، ويحبب إليهم الإسلام، وإن كان في ذلك إعراض عمن هو خيراً منهم، أو أفضل مكانة وأعلى منزلة؛ للوجوه الآتية:

أ ـ أن تأليف قلب من يخشى على إيمانه دواء وإعطاء الآخر أمر زائد، والدواء أهم.

ب ـ أن وقاية المسلمين شر من يخشى ردته أو سوءه أو فحشه مقدم؛ لأنه من باب سد الذرائع، وذاك من باب جلب المصالح.

ت ـ أن الآخر عنده من قوة الإيمان وزيادة اليقين ما يمنعه أن يضعف إيمانه لعدم إعطائه؛ فيعطى الأضعف، وإن كان الآخر أنفع للإسلام منه، وأحب إلى المسلمين.

ث ـ أن مصلحة الإسلام متحققة على الوجهين؛ إعطاء الضعيف يثبته ويقويه فينفع الإسلام، والآخر إيمانه يثبته فينفع الإسلام.

٢ ـ المؤلفة قلوبهم أقسام:

أ ـ من يرجى بعطيته إسلامه أو إسلام قومه وعشيرته؛ كما صنع رسول الله ﷺ مع صفوان بن أمية ـ رضي الله عنه ـ؛ فقد أعطاه الرسول ﷺ إبلاً كثيرة محملة كانت في واد؛ فقال: هذا عطاء من لا يخشى الفقر.

وأخرج مسلم عنه؛ قال: «والله لقد أعطاني النبي ﷺ وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي».

ب ـ ومنهم من يخشى شره ويرجى بإعطائه كف شره وشر غيره معه؛ فقد ثبت عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن قوماً كانوا يأتون النبي ﷺ؛ فإن أعطاهم من الصدقات مدحوا الإسلام، وقالوا: هذا دين حسن، وإن منعهم ذمّوا وعابوا.

ت ـ من دخل في الإسلام حديثاً؛ فيعطى إعانة له على الثبات على الإسلام.

كالذي أسلم وضحى بأمواله أو ماله عند أبويه وأسرته؛ فيحارب من أهله وعشيرته، ويهدد في رزقه؛ فهذا حقيق بالمعونة والتثبيت.

ث ـ قوم من سادات المسلمين وزعمائهم لهم نظراء من الكفار إذا أعطوا رجى إسلام نظرائهم.

ومثاله عطاء أبي بكر لعدي بن حاتم والزبرقان بن بدر مع حسن إسلامهما لمكانتهما في أقوامهما.

ج ـ زعماء ضعفاء الإيمان من المسلمين، مطاعون في أقوامهم، ويرجى بعطائهم تثبيتهم، وقوة إيمانهم؛ كالذين أعطاهم رسول الله ﷺ العطايا الجزلة من غنائم حنين.

ح ـ قوم من المسلمين على ثغور الإسلام يعطون لما يرجى من دفاعهم عمن وراءهم من المسلمين إذا هاجمهم العدو.

خ ـ قوم من المسلمين يحتاج إليهم لجباية أموال الزكاة ممن لا يعطيها إلا بنفوذهم وتأثيرهم إلا أن يقاتلوا، فيختار بتأليفهم وقيامهم بمساعدة الدولة المسلمة أخف الضررين، وأرجح المصلحتين.

٣ ـ إعطاء المؤلفة قلوبهم لم ينسخ ولم يسقط.

ذهب بعض أهل العلم أن هذا الإعطاء انقطع بعز الإسلام وظهوره، وقطع دابر الكافرين، واحتجوا بفعل عمر ـ رضي الله عنه ـ ومن اتبعه من الخلفاء.

وذهب جماهير أهل العلم أن إعطاء المؤلفة قلوبهم لم ينسخ ولم يسقط، وذلك لوجوه متعددة:

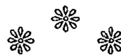
أ ـ آية مصارف الزكاة من آخر ما نزل من القرآن، ولم يذكر ما ينسخ هذا السهم من مصارف الزكاة.

ب ـ أن المعنى الذي كان قائماً في زمن الرسول ﷺ قد تحتاج إليه الأمة في بعض مراحلها؛ فالإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وتداعت الأمم على أمة الإسلام.

ت ـ أن ما فعله عمر ومن تبعه من الخلفاء ليس تركاً وتعطيلاً لهذا السهم، وإنما لعدم الحاجة إلى إعطائهم في زمن خلافتهم.

ث ـ إن الحاجة إلى التأليف لم تنقطع؛ لأن العلة في إعطاء المؤلفة ليس إعانته للإسلام فقط حتى يسقط ويترك بظهور الإسلام وغلبته، بل قد يعطى ترغيباً له في الإسلام، وإنقاذاً له من النار.

ج ـ أن الله جعل الصدقة في معان منها: سد خلة المسلمين، ومعونة الإسلام وتقويته؛ فما كان في تقوية الإسلام ونصرته؛ فإنه يعطاه الفقير والغني؛ لأنه لا يعطاه لنفسه وإنما لما يقوم به من عمل ينصر به الإسلام ويشد عضد المسلمين.



٧٠ ـ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة

٢٣٨ ـ {١٥١} وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ** ﷺ **إِذْ قَالَ**: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] قَالَ: «**وَيَرْحَمُ اللّهُ لُوطاً، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ نصفه الأول مسلسل بالمصريين، والآخر مسلسل بالمدنيين.

٣ ـ مسلسل بالفقهاء.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعيين.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٣٧٢)

❋ غريب الحديث:

قوله: (**نحن أحق بالشك من إبراهيم ﷺ إذ قال**: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾).

قال النووي: «اختلف العلماء في معنى «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» على أقوال كثيرة، أحسنها وأصحها ما قاله الإمام أبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي، وجماعات من العلماء: معناه: أن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم؛ وقد علمتم أني لم أشك؛ فاعلموا أنّ إبراهيم - عليه السلام - لم يشك؛ وإنما خصّ إبراهيم ﷺ كونه المذكور في الآية وقد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك، وإنما رجح إبراهيم على نفسه ﷺ تواضعاً، وأدباً، أو قبل أن يعلم ﷺ أنه خير ولد آدم».

قال ابن عطية: «الحديث مبني على نفي الشك، والمراد بالشك فيه: الخواطر التي لا تثبت، وأمّا الشك المصطلح، وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر؛ فهو منفي عن الخليل قطعاً؛ لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة»؛ نقله الحافظ في «الفتح».

فالحديث دفاع نبوي عن الخليل - عليه السلام - في نفي الشك عنه، والله أعلم.

قوله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: سأل الخليل - عليه السلام - ربه أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى؛ لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله - تعالى -، ولكنه أحبّ أن يشاهده؛ عياناً؛ ليحصل له مرتبة عين اليقين.

قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ﴾؛ «أي: ليزيد سكوناً بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب؛ لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وكأنه قال: أنا مصدق، ولكن للعيان لطيف معنى». قاله الحافظ.

قوله: (ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد): الركن: ركن الشيء جانبه الذي يسكن إليه، وهو ما يُستند إليه ويمتنع به، ويستعار للقوة.

والمراد بالركن الشديد هنا: هو الله - تعالى -؛ فإنه أشد الأركان،

وأقواها وأمنعها، ويشير إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠].

إنّ لوطاً ﷺ لما خاف على أضيافه، ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين، ضاق ذرعه، واشتدّ حزنه عليهم، فغلب ذلك عليه، فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي إلى عشيرة تمنع لمنعتكم، وقصد إظهار العذر عند أضيافه، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما؛ لفعله، وأنه بذل وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك إعراضاً منه ﷺ عن الاعتماد على الله ـ تعالى ـ، وإنما كان لما ذكرناه من تطييب قلوب الأضياف.

ويدل على هذا ما جاء في بعض طرق هذا الحديث؛ كما أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال لوط: لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد، فإنه كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته، فما بعث الله نبياً إلا في ذروة من قومه**»، وزاد ابن مردويه من هذا الوجه: «**ألم ترَ إلى قول شعيب: ولولا رهطك لرجمناك**».

وسمى العشيرة: ركناً؛ لأن الركن يستند إليه ويمتنع به، فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم.

أفاده الحافظان: النووي وابن حجر بتصرف.

قوله: (ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي)؛ هو ثناء على يوسف ـ عليه السلام ـ وبيان لصبره وتأنّيه، والمراد بالداعي: رسول الملك الذي أخبر الله ـ سبحانه ـ أنه قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [يوسف: ٥٠] فلم يخرج يوسف مبادراً إلى الراحة ومفارقة السجن الطويل، بل تثبت وتوقر وراسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه، ولتظهر براءته عند الملك وغيره، ويلقاه مع اعتقاده براءته مما نسب إليه، ولا خجل من يوسف ولا غيره.

فبيّن نبينا ﷺ فضيلة يوسف - عليه السلام - في هذا، وقوة نفسه في الخير، وكمال صبره وحسن نظره، وقال النبي عن نفسه: أمّا أنا لو كنت مكانه لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن، ولما قدّمت طلب البراءة، فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعاً، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالاً.

فقه الحديث:

١ - بيان زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة؛ إذ المعاينة أقوى من الخبر؛ حيث طلب إبراهيم - عليه السلام - عين اليقين بعد أن تحقق له علم اليقين؛ فإن العلم ثلاث مراتب:

أ - علم اليقين، وهو ما يحصل بالخبر الذي يفيد العلم.

ب - عين اليقين، وهو ما يحصل بالمعاينة والمشاهدة.

ت - حق اليقين، وهو ما يحصل باللقاء والملامسة.

٢ - بيان فضيلة كل من إبراهيم، ولوط، ويوسف - عليهم الصلاة والسلام -.

٣ - بيان تواضع نبينا محمد ﷺ.

٤ - أنّ إبراهيم - عليه السلام - بلغ من الإيمان إلى رتبة عين اليقين.

٥ - حسن التوكل على الله - تعالى - وفضيلته.

٦ - أنّ الشك مستحيل في حق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

٧ - تصحيح خطأ من فهم وقوع الشك من إبراهيم - عليه السلام -.

٨ - دور العشيرة في نصرة أبنائها عند الشدائد والحاجة.

٩ - مشروعية إظهار العذر عند العجز.

١٠ - بيان صبر يوسف - عليه السلام - وثباته على الحق، ولو كان شاقًّا على النفس.

١١ ـ أنّ هذا الحديث من تفسير قصص الأنبياء الواردة في القرآن.

١٢ ـ دليل صريح صحيح على زيادة الإيمان ونقصانه.

١٣ ـ الصبر على البلاء؛ ومنه: السجن ـ أعاذنا الله منه ـ.

١٤ ـ مشروعية الدفاع عن المسلمين والمؤمنين، وذلك واضح في دفاع النبي ﷺ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ونفي الشك عنه، وأنه لم يقع منه ابتداء.

١٥ ـ استحباب إظهار فضل أهل الفضل؛ حيث أثنى رسول الله ﷺ على يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ بالصبر والأناة؛ حيث قال لرسول الملك: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [يوسف: ٥٠].

١٦ ـ إذا اتُّهم المسلم بشيء ما، ثم ظهرت براءته منه، ينبغي له أن يظهر للناس تلك البراءة؛ لأن ذلك يهدم ما استقر في نفوسهم، ويزيل الشكوك من قلوبهم، والله أعلم.



{...} وَحَدَّثَنِي بِهِ ـ إِنْ شَاءَ اللّهُ ـ عَبْدُاللّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِي، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ مَالِكٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ؛ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَأَبَا عُبَيْدٍ أَخْبَرَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِي.

وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ؛ حَتَّى جَازَهَا.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (وحدثني به ـ إن شاء الله ـ)**: قال النووي: «هذا مما قد ينكره على مسلم من لا علم عنده، ولا خبرة لديه؛ لكون مسلم ـ رحمه الله ـ؛ قال: «وحدثني به إن شاء الله» فيقول: كيف يحتج بشيء يشك فيه؟ وهذا

خيال باطل من قائله؛ فإن مسلماً ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ لم يحتج بهذا الإسناد، وإنما ذكره متابعة واستشهاداً، وقد قدمنا أنهم يحتملون في المتابعات والشواهد، ما لا يحتملون في الأصول».

وعلى كل حال فالحديث صحيح عن شيخ المصنف عبدالله بن محمد بن أسماء الضبعي حيث رواه البخاري عنه دون شك.

٢ ـ قوله: (بمثل حديث يونس...) أي: أن مالكاً حدث عن الزهري بسنده المذكور بمثل المتن الذي رواه يونس عن الزهري.

٣ ـ رواية مالك: ساقها النسائي في «السنن الكبرى» **(١/٣٠٥/١١٠٥٠)**: أنا عمرو بن منصور، نا عبدالله بن محمد، نا جويرية، عن مالك بن أنس، عن الزهريّ: أن سعيد بن المسيِّب، وأبا عبيد أخبراه، عن أبي هريرة: أن النبيّ ﷺ؛ قال: «**رَحِمَ الله إبراهيم، نحن أحقّ بالشك منه، قال:** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فذَكَر الآية، **ويرحم الله لوطاً، كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي لأجبته**».

وقال **(٦/٣٦٨/١١٢٥٣)**:

أنا العباس بن عبدالعظيم، نا عبدالله بن محمد، أنا جويرية بن أسماء، عن مالك بن أنس، عن الزهريّ، أن سعيد بن المسيِّب، وأبا عبيد أخبراه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**رَحِمَ الله إبراهيم، نحن أحقّ بالشك منه، قال:** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]»، وقال: «**يرحم الله لوطاً، كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي؛ لأجبته**».

وهذه الرواية مطولة؛ فدل على أنها رواية معنى، ولكن ساقها البخاريّ مختصرة؛ فقال في «كتاب أحاديث الأنبياء» **(٣٣٨٧)**: حدثنا عبدالله بن محمد بن أسماء، هو ابن أخي جويرية، حدثنا جويرية بن أسماء، عن مالك، عن الزهريّ، أن سعيد بن المسيِّب، وأبا عبيد أخبراه، عن

أبي هريرة ـ ﵁ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبته**».

وكذلك ساقها مختصره في «كتاب التعبير»؛ فقال:

(٦٩٩٢): حدثنا عبدالله، حدثنا جويرية، عن مالك، عن الزهريّ، أن سعيد بن المسيِّب، وأبا عبيد أخبراه، عن أبي هريرة ـ ﵁ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبته**».

❃ غريب الحديث:

قوله: (حتى جازها): أي: فرغ من قراءتها.



حَدَّثْنَاه عَبْدُ بْنُ حُمَيْد قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ يَعْنِي: ابْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، كَرِوَايَةِ مَالِكٍ بِإِسْنَادِهِ، وَقَالَ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ؛ حَتَّى أَنْجَزَهَا.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية أبي أويس: ساقها الحافظ ابن منده في كتاب «الإيمان» (٣٧١/٤٨٦/١): أنبأ أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن النعمان بن بشير، ثنا ابن أبي أويس (ح) وأنبأ حسان بن محمد، ومحمد بن يعقوب؛ قالا: ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا عبيدالله بن سعد بن إبراهيم الزهري، ثنا عمي: يعقوب بن إبراهيم قالا: ثنا أبو أويس، عن ابن شهاب الزهري: أن سعيد بن المسيب وأبا عبيد أخبراه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ؛ قال: «**يرحم الله إبراهيم، نحن أحق بالشك منه؛ قال:** ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾

[البقرة: ٢٦٠]»، ثم قرأ هذه الآية حتى أنجزها، ثم قال: «**رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي؛ لأجبت**» لفظ ابن أبي أويس.

فقه الحديث:

١ ـ أنه قرأ الآية كاملة دون الاقتصار على الجزء المذكور في الرواية الأولى.



٧١ ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته

٢٣٩ ـ {١٥٢} حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ سَعِيدِ بن أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى اللّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية الأبناء عن الآباء، والأصاغر عن الأكابر، وذلك في سعيد عن أبيه، وهو كيسان.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه البخاري (٤٩٨١).

❋ غريب الحديث:

قوله: (ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أُعطي من الآيات): إن الله ـ تعالى ـ لما اصطفى من الناس جماعة هم أشرف الأمم، واختارهم، واختصهم لإنزال الوحي عليهم، وبعثهم للناس دعاة يبلغونهم دينه، ويعرفون الخلق بالخالق، وهم وسائط بين الله ـ تعالى ـ وخلقه في تبليغ دينه، وإذ

كان الأمر كذلك؛ فلا بدّ أن يؤيد الله رسله، وأنبيائه بالآيات المعجزات الخوارق للعادة التي تكون أكبر دليل على صدقهم فيما جاءوا به عن الله.

قوله: (ما مثله آمن عليه البشر): **(ما)** موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لأُعطي، ومثله مبتدأ، وآمن خبره، والمثل يطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه.

والمعنى: أن كل نبي أُعطي آيةً أو أكثر من شأن مَنْ يشاهدها مِنَ البشر أن يؤمن به لأجلها، وعليه بمعنى اللام أو الباء الموحدة، والنكتة في التعبير بها تضمنها معنى الغلبة؛ أي: يؤمن بذلك مغلوباً عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، لكن قد يجحد؛ فيعاند؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النحل: ١٤]؛ قاله الحافظ.

قال الطيبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الراجعُ إلى الموصول ضمير المجرور في «عليه»، وهو حال؛ أي: مغلوباً عليه في التحدِّي، والمراد بالآيات المعجزات، وموقع المثل مَوْقِعُهُ من قوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]؛ أي: على صفته، من البيان، وعلوّ الطبقة في البلاغة».

وقع في رواية البخاريّ في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة» من «صحيحه» **(٧٢٧٤)** قوله: «ما مثلُهُ أُومن، أو آمن عليه البشر».

فقال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: ««أو» شكّ من الراوي، فالأولى بضمّ الهمزة، وسكون الواو، وكسر الميم من الأمن، والثانية بالمدّ، وفتح الميم، من الإيمان، وحَكَى ابن قرقول أن في رواية القابسيّ: «أَمِن» بفتح الهمزة، وكسر الميم بغير مدّ، من الأمان، وصوّبها ابنُ التين، فلم يُصِب»[1].

قوله: (وإنما كان الذي أُوتيت وحياً أوحى الله إلي)؛ أي: أنّ معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل عليّ؛ وهو: القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد: حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من

---

(١) «فتح الباري» **(١٣/٢٦٢)**.

المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد: أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أُعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه؛ كما كان السحر فاشياً عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

وكذلك إحياء عيسى الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؛ لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك.

والمراد: أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه، وبلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وأن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار؛ كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة؛ فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً. قاله الحافظ بتصرف.

والتحدي بالقرآن، تحدى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، ثم نزل إلى عشر سور مثله، ثم نزل إلى سورة؛ فلم ولن يفعلوا عجزاً وجهلاً.

وقد جمع بعض العلماء إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن تأليفه، والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً، حتى حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله، مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السابقة والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم يفعلونها؛ فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه؛ كتمني اليهود الموت.

ومنها: أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه، ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة.

ومنها: أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا.

ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها.

قال المازري: «أشار ﷺ بقوله: «وحياً» إلى معنى بَسَطه العلماء؛ فقالوا: بأن معجزته ﷺ يبعد أن يَتَخيَّلَ فيها أنها درب من السحر، وإنما هو كلام معجز ولا يقدر السحرةُ أن يأتوا بما يتخيل تشبيهاً به كما فُعِلَ في عصا موسى وغيرها؛ لأنَّهم أتوا بعصيٍّ وحبال يُتَخَيَّلُ أنها تسعى، فيحتاج التمييز بينها وبين ما أتى به موسى - عليه السلام - إلى نظر، والنَّظَرُ عُرْضَة الزلل فيخطِئ الناظِرُ فيعتقد أن ذلك سواءٌ».

قوله: (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة): رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة؛ لكثرة فائدته وعموم نفعه؛ لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعمّ نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه - عليه السلام - أخبر بهذا في زمن قلة المسلمين، ثم منَّ الله - تعالى - وفتح على المسلمين البلاد وبارك فيهم، حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة حتى صار المسلمون ربع سكان الأرض أو يزيدون.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الأنبياء والمرسلين لا بدّ لهم من المعجزات التي تُظهر صدقهم، وتلجم خصمهم، وتقصم ظهرهم.

٢ ـ أنّ المعجزات لا تكون إلا للأنبياء، وأمّا خرق العادة؛ فتكون لهم ولغيرهم.

٣ ـ أنّ معجزات الأنبياء لها الأثر العظيم في إيمان الناس.

٤ ـ أنّ القرآن أعظم المعجزات، وأفيدها، وأدومها؛ لاشتماله على الدعوة، والحجة، ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر.

٥ ـ أنّ القرآن نزل وحياً بواسطة جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا بالإلهام والمنام.

٦ ـ كذب من زعم أن الوحي نزل إليه.

٧ ـ علم من أعلام النبوة: أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً في الدنيا والآخرة.

٨ ـ استجابة دعاء النبي ﷺ.

٩ ـ أنّ القرآن معجزة النبي ـ عليه السلام ـ جاءت مناسبة لحال قومه الذين بعث فيهم وإليهم.

١٠ ـ أنّ الأنبياء كانت معجزاتهم تنقضي مع موتهم، بخلاف النبي ﷺ فهي باقية ومستمرة مع الأمة إلى يوم القيامة.

١١ ـ بيان فضل القرآن الكريم؛ وأنه أفضل الكتب المنزلة على الأنبياء.

١٢ ـ أنّ القرآن من معنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**بُعثت بجوامع الكلم**».

متممات مهمات:

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«١ ـ في هذا الحديث دليل على: أن ما يأتي به الأنبياء من خوارق العادات، يسمى آيات، ولا يسمى معجزات.

وما اشتهر من العلماء بتسميتها بالمعجزات ففيه قصور، وذلك لأن المعجزات يدخل فيها معجزات السحرة، وخوارق الشياطين؛ لأنها معجزة، لكن لو قلنا: آية، أي: علامةٌ على صدق من جاء بها، لم يدخل فيها ما سواها، فالتعبير بالآيات خير من التعبير بالمعجزات، لسببين:

أولاً: لأنه اللفظ الذي جاء في الكتاب والسنَّة.

ثانياً: أنه لا يرد عليه مثل الخوارق التي تكون من السحرة والشياطين.

٢ ـ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**وكان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي**» يعني بذلك القرآن.

فإذا قال قائل: أليست التوراة والإنجيل كذلك؟

قلنا: لكنها ليست كالقرآن بالاتفاق، أما التوراة فقد قيل: إن الله كتبها، ولم يتكلم بها؛ بل نزلت مكتوبة، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وأما قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥]. المراد به: القرآن، وليست التوراة، وكذلك الإنجيل.

لكن المعروف عن السلف أن التوراة كلام الله، وأن الإنجيل كلام الله وأن القرآن كلام الله، وأن الزبور كلام الله، هذا المشهور عند السلف.

٣ ـ وقوله: «**وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً**» واضح؛ لأنه ما دامت الآية مستمرة مع الأمة إلى يوم القيامة، فسوف يكثر الناس والأتباع.

وفي هذا إشارة إلى أن نبينا ﷺ، وجزاه الله عنا خيراً، يحب أن نكثر، وأن نكون أكثر الأمم يوم القيامة، فيكون هذا مؤيداً لقوله: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة**».

وفيه ـ أيضاً ـ أنه ينبغي أن نصرخ بهذا الحديث في آذان أولئك القوم، الذين يقولون: حددوا النسل، أو نظموا النسل، أو ما أشبه ذلك، بأن نقول: أكثروا النسل، هذا هو الصواب، والتعلل بأنه تشق تربيتهم، نقول: نعم، تشق تربيتهم إذا وكلهم الله إليك، واعتمدت أنت على الأمر الحسي، لكن لو اعتمدت على الله، ووكلت أمرهم إلى الله، لكفاك الله المؤنة.

وكذلك من يقول: يضيق الرزق، كلمة جاهلية، كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر، فمن قال: يضيق الرزق، فيقال له: كيف يضيق الرزق والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦].

وحدثني رجل قليل ذات اليد، ممن يأخذون الثوب والمشلح، ويجوبون به الأسواق، يحرِّجون عليه، يقول: إنه تزوج، وفي أسبوع زواجه يقول: انفتح علي باب رزق ما كنت أحتسبه، ثم ولد له ولده الأول، فيقول: والله من حين ما وضعته أمه، انفتح علي باب آخر، سبحان الله!

وهذا إذا آمن الإنسان بما قال الله ـ عز وجل ـ حصل المقصود، لكن مشكلتنا أن الشيطان يوسوس لنا، ونعتمد على الأمور الحسية الظاهرة، وإلا لو اعتمدنا على وعد الله ـ عز وجل ـ لكفى، ولحصل المقصود.

لو فرضنا أن هناك ضرراً على الأم، بحيث لا تلد إلا عن طريق العملية، وتكثر في بطنها، وربما ينفجر في يوم من الأيام، أو كانت هي مريضة لا تتحمل، فهذا شيء آخر، ولكل مقام مقال، وينظر فيها.

أما إذا كانت الأمور طبيعية، فيجب أن نمنع النساء من استخدام حبوب منع الحمل، وأن نقول: لتستعن كل امرأة منكن بالله ـ عز وجل ـ.

بعض النساء يقول: إذا جاء الحمل أصابني تعب، وصرت أحب الوسادة دائماً، ولا أشتهي الأكل، ويأتي وحم، وتبدأ تعدد وتعدد، فنقول: أمك التي ولدتك ألم يصبها هذا؟ والله تعالى في القرآن يقول: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. وقال في آية أخرى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]. لا بد من الضعف، ولا بد من الكراهة من هذا الوهن والتأذي، لكن تصبر المرأة وتحتسب.

وأما بالنسبة للعزل؛ فالصحيح أنه جائز، وليس حراماً، لكنه خلاف الأولى؛ لأن النبي ﷺ سئل عن العزل فقال: «**هو الوأد الخفي**»، ولم ينه عنه، لكن أقرب ما يقال إنه للكراهة أقرب، لكنه يحرم بالنسبة للزوجة إلا بإذنها، لأن هذا حق الآدمي، فلو أراد الزوج أن يعزل لتبقى المرأة على شبابها ـ كما يدعي ـ وهي تريد الأولاد، فإنه يحرم عليه أن يعزل، وإذا عزل وطالبته أن لا يعزل؛ وجب عليه أن لا يعزل، وإن عزل فلها الفسخ»[(١)].

٤ ـ الإسلام منهاج ومعجزة:

إن الشريعة الإسلامية والملَّة الحنيفية لا ينال كمالها سحر بيان، ولا يحيط حسنها وصف لسان، وحسبها عُلُوًّا أن العقول السليمة والفطر المستقيمة لن تستطيع أن تقترح فوقها أو مثلها ولو اجتمعت في صعيد واحد، وكانت على أكمل عقل منهم، وأعمق فهم فيهم، وأنضج تجربة لهم.

والعقول المستسلمة لمنهج الله ذللاً، والتي لا تبغي عنه حولاً، ولا ترضى به بدلاً؛ تدرك محاسن الإسلام وحكمته جملة؛ لأن الله ـ سبحانه ـ أجرى شريعته موافقة لما ركَّب في عقول عباده من استحسان الحسن واستقباح القبيح على الجملة، وما جُبل في طباعهم من إيثار النافع لمعيشتهم، المصلح لشأنهم، على الضار لهم، المفسد لحياتهم.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٨٤ ـ ٤٨٥ و٤٨٧ ـ ٤٨٩).

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وأما تفاصيل أسرار المأمورات والمنهيات فلا سبيل إلى علم البشر به، ولكن يطلع الله من شاء على ما شاء منه، فاعتصم بهذا الأصل».

ومن أدق محاسن الإسلام وأعلاها ما دلّ على عالميته، وَيُعَدُّ سبباً لخلوده:

إنه الشاهد والمشهود له، والحجة والمحتج له، والدعوى والبرهان؛ فالخوارق ـ عادة ـ مغايرة للوحي الذي يتلقاه الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وتأتي المعجزة شاهدة ناطقة بصدقهم، ومعجزات الرسل الذين ذكروا في القرآن تختلف عن الوحي الموحى إليهم:

فمعجزة موسى ـ عليه السلام ـ: اليد والعصا، وباقي الآيات التسع، ومنهاجه التوراة.

وكذلك عيسى ـ عليه السلام ـ معجزته: إحياء الموتى، وإشفاء الأكمه والأبرص، وأن يجعل من الطين كهيئة الطير؛ فينفخ فيه؛ فيصير طائراً، كلها بإذن الله، ومنهاجه الإنجيل.

بينما رسول الله ﷺ **معجزته**: القرآن الكريم، **ومنهاجه**: القرآن الكريم، إذاً؛ فالقرآن الكريم دلالته في نفسه لا يفتقر إلى غيره من الأدلة الخارجية؛ فهو أوضح دلالة، وأعمق أثراً؛ لكونه الدليل والمدلول عليه؛ فهو برهان قائم بذاته.

وقد أشار الصادق المصدوق ﷺ إلى هذه الحقيقة الدقيقة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من الأنبياء من نبي، إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**».

لقد فرق الإسلام بين عهدين من عهود البشرية:

عهد المعجزات التي تخرق الناموس الكوني، وتنتهي بانتهاء زمانها.

وعهد المعجزة الخالدة التي تساير نظام الحياة، وتخاطب العقل، وتوجه الحديث لأولي الألباب والنهى.

ونحن ـ معشر المسلمين ـ نؤمن بتلك المعجزات ـ التي لم نرها ـ عن طريق القرآن الكريم الذي نؤمن بما جاء فيه جملة وتفصيلاً؛ فأمر القرآن ذو بال، وشأنه عظيم؛ فهو برهان بذاته، حجة على غيره، دليل له، لذلك كان مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، ومهيمناً عليه.

وترجع هذه الحقيقة الدقيقة إلى أمرين:

أولهما: أن القرآن الكريم كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود:

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «**يَدْرُسُ الإسلام؛ كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة؟ ويُسرى على كتاب الله في ليلة؛ فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: لا إله إلا الله؛ فنحن نقولها**».

آخرها: أن الله ـ عز وجل ـ لم يترك حفظ الإسلام ـ قرآناً وسنَّة ـ للبشر؛ لأنهم جُرِّبوا في المناهج السابقة؛ فحرفوا الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه تحريفاً أبطل مهمة منهج الله فيها؛ لذلك تعهد الله بحفظ دينه:

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ١٠]، وكفى بالله حفيظاً.

فهلا أخذت الأمة الإسلامية كتاب ربّها بقوة واعتزاز، وعضّت على سنَّة نبيِّها ﷺ بالنواجذ؛ لتعود خير أمة أخرجت للناس؛ لأن الدين متى كان بهذه المنزلة من الوضوح وقوة الدّلالة كان المُصَدِّق به أكثر، وأثره في الحياة أكبر.

وأمة الإسلام أكثر الأمم تصديقاً بنبيها؛ ولذلك؛ فإن رسولها أكثر الرسل تبعاً يوم القيامة، وأمته أكثر أهل الجنة؛ كما أخبر بذلك ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة**».



٢٤٠ ـ {١٥٣} حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِالأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْب، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَمْرٌو؛ أَنَّ أَبَا يُونُسَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمصريين؛ غير صحابيه؛ فمدني.

٣ ـ «**قوله: (وأخبرني عمرو)**، هو بالواو في أول: «وأخبرني»، وهي واو حسنة، فيها دقيقة نفيسة، وفائدة لطيفة، وذلك أن يونس سمع من ابن وهب أحاديث من جملتها هذا الحديث، وليس هو أولها، فقال ابن وهب في روايته الحديث الأول: أخبرني عمرو بكذا، ثم قال: وأخبرني عمرو بكذا، وأخبرني عمرو بكذا، إلى آخر تلك الأحاديث، فإذا روى يونس عن ابن وهب غير الحديث الأول؛ فينبغي أن يقول: قال ابن وهب، وأخبرني عمرو، فيأتي بالواو؛ لأنه سمعه هكذا، ولو حذفها لجاز، ولكن الأولى الإتيان بها؛ ليكون راوياً؛ كما سمع، والله أعلم». كذا قال النووي.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (والذي نفس محمد بيده)؛ هو: قسم بالله ـ تعالى ـ، فإن أنفس الخلق كلها بيده ـ سبحانه ـ يمسكها متى شاء، ويبعثها متى شاء.

وهذا نوع من أنواع القسم التي كان الرسول ﷺ يحلف بها.

وهذا الحلف جاء لتأكيد المحلوف عليه، ولبيان أهميته.

قوله: (لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني): الأمة: كلمة تطلق، ويراد بها معاني كثيرة، وهي في أصلها اللغوي: الجماعة من الناس، والحيوان يجمعهم أمر واحد، إمّا دين، أو زمان، أو مكان، والجمع أمم.

والأمة التي تضاف إلى النبي ﷺ إمّا: أن تكون أُمة الإجابة؛ وهم كل من دخل في الإسلام وآمن به ﷺ.

وإمّا أُمة الدعوة؛ وهم كل من جاء بعد بعثته، وأرسل إليهم النبي ﷺ.

والمعنى: أنّ كل من هو موجود في زمانه ﷺ، ويأتي إلى قيام الساعة ـ وهم أُمة الدعوة ـ لا يؤمن به، ولا يتبعه على شريعته بعد بلوغه دعوته ﷺ، ولو كان يهودياً أو نصرانياً؛ وهم: أهل الكتاب فضلاً عن غيرهم ممن ليس له كتاب إلا كان ممن يشمله النص.

قوله: (ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار) والمعنى: ثم هو يموت على الحال التي ذكرت من عدم الإيمان بالرسول والقرآن؛ إلا كان كافراً بالله لا ينفعه كتاب ولا عمل، ومصيره إلى النار.

فقه الحديث:

١ ـ جواز القسم أو الحلف من غير استحلاف.

٢ ـ استحباب الحلف على الشيء المتيقن منه لتأكيده.

٣ ـ بيان نوع من أنواع أيمانه ﷺ.

٤ ـ أنّ نفوس الخلق بيد الخالق يتصرف بها كيف شاء.

٥ ـ أنّ كل من بلغه مبعث النبي وجب عليه أن يبحث عنه، ويتعرف عليه.

٦ ـ من بلغته شريعة الإسلام واضحة بينة؛ وجب عليه الانقياد لها، والإيمان بها، والثبات عليها.

٧ ـ أنّ الناس بعده ﷺ قسمان: أمة دعوة، وأُمة استجابة.

٨ ـ أنّ اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم ممن ليس له دين من أُمة الدعوة.

٩ ـ دليل على عموم رسالته ﷺ.

١٠ ـ وفي ضمنه الرد على من زعم تخصيص رسالته للعرب خاصة.

١١ ـ أنّ العبرة بما يختم للمرء من عمل.

١٢ ـ أنّ الشرائع نسخت بعد مبعثه ﷺ.

١٣ ـ أنّ من لم تبلغه دعوة النبي ﷺ لا عقوبة عليه، ولا مؤاخذة.

١٤ ـ أنّ هذا الحديث تفسير لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

١٥ ـ من خصائص هذا الرسول ﷺ: أنه خاتم النبيين.

١٦ ـ ومن خصائص أمته: أنها آخر الأمم.

١٧ ـ وفي ضمنه: أن شريعته ﷺ صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

١٨ ـ دليل على أنه لا حكم قبل ورود الشرع.

قال شيخنا الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«والحديث صريح في أن من سمع بالنبي ﷺ وما أرسل به، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به ﷺ؛ أن مصيره إلى النار، لا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لا ديني.

واعتقادي: أن كثيراً من الكفار لو أُتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام؛ لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجاً؛ كما وقع ذلك في أول الأمر؛ فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات؛ ليحسن عرضه على المدعوين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقوداً؛ فالقضية تتطلب استعدادات هامة، فلعلهم يفعلون»[1].

١٩ ـ لا يفهم من هذا الحديث أنّ أهل الجاهلية الذين كانوا قبل مبعثه ﷺ غير مؤاخذين، وأنهم من أهل الفترة.

قال شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ:

الجاهِلِيُّون ليْسوا مِنْ أَهْلِ الفتْرَةِ:

(لَولا أَنْ لا تَدافَنُوا؛ لدَعَوْتُ اللَّهَ ـ عز وجل ـ أَنْ يُسمِعَكُم [مِن] عَذابِ القبرِ [مَا أَسمَعَني]).

قال الإمام أحمد (**٢٠١**): ثنا يزيد: أنا حميد عن أنس؛ أن النبي ﷺ مرَّ بنخل لبني النجار، فسمع صوتاً، فقال: «**ما هذا؟**». قالوا: قبر رجل دُفن في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: (فذكره).

وله شاهد من حديث جابر قال:

«دخل النبي ﷺ يوماً نخلاً لبني النجار، فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا في الجاهلية يعذَّبون في قبورهم، فخرج رسول الله ﷺ فزعاً، فأمر أصحابه أن تعوذوا من عذاب القبر».

أخرجه أحمد (**٣/٢٩٥ ـ ٢٩٦**) بسند صحيح متصل على شرط مسلم.

وله شاهد آخر من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً، وهو:

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٥٧).

١٥٩ - (إنَّ هَـذِهِ الأمَّةَ تُبْتَلى في قُبورِها، فلولا أَنْ لا تَدافَنُوا؛ لدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عذابِ القبرِ الذي أَسْمَعُ منهُ. قالَ زيدٌ: ثمَّ أَقبلَ علينا بوجْهِهِ، فقالَ: تعوَّذُوا باللَّهِ مِن عذابِ النارِ. قالوا: نعوذُ باللَّهِ مِن عذابِ النارِ. فقالَ: تعوَّذوا باللَّهِ مِن عذابِ القبرِ. قالوا: نعوذُ باللَّهِ مِن عَذابِ القبرِ. قالَ: تعوَّذوا باللَّهِ مِن الفِتَنِ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ. قالوا: نعوذُ باللَّهِ مِنَ الفِتَنِ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ. قالَ: تعوَّذوا باللَّهِ مِن فِتنَةِ الدَّجَّالِ. قالوا: نعوذُ باللَّهِ مِن فِتنةِ الدَّجَّالِ).

أخرجه مسلم (٨/ ١٦٠ - ١٦١) من طريق ابن عُلَيَّة قال: وأخبرنا سعيد الجُرَيْري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي ﷺ، ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال:

«بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له - ونحن معه -؛ إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - شك الجريري -، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: . . . (فذكره)».

ثم ذكر فوائد الباب، ومنها:

إن أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل بعثته - عليه الصلاة والسلام - معذَّبون بشركهم وكفرهم، وذلك يدل على أنهم ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة نبي؛ خلافاً لما يظنه بعض المتأخرين، إذ لو كانوا كذلك؛ لم يستحقوا العذاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: **١٥**].

وقد قال النووي في شرح حديث مسلم: «إن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: **في النار**. . .» الحديث؛ قال النووي (**١/ ١١٤** - طبع الهند):

«فيه أن من مات على الكفر؛ فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات على الفترة - على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان -؛ فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة؛ فإن هؤلاء كانت

قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم»[1].

وقال - أيضاً - وهو يرد على الشيخ محمد أبو زهرة وهو يتأول حديث أنس المشار إليه آنفاً:

«واعلم أن هذا الحديث مع صحة إسناده، وكثرة شواهده، وتلقي العلماء النقاد بالقبول له؛ فإن الشيخ (أبو زهرة) قد رده بجرأة وجهالة متناهية؛ فقال (١٣٢/١):

«إنه خبر غريب في معناه، كما هو غريب في سنده؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد كان أبو محمد - عليه السلام - وأمه على فترة من الرسل؛ فكيف يعذبون؟!!... وفي الحق إني ضرست في سمعي وفهمي عندما تصورت أن عبدالله وآمنة يتصور أن يدخلا النار»!

فأقول: يا سبحان الله! هل هذا موقف من يؤمن برسول الله أولاً، ثم بالعلماء الصادقين المخلصين ثانياً؛ الذين رووا لنا أحاديثه ﷺ وحفظوها لنا، وميزوا ما صح مما لم يصح منها، واتفقوا على أن هذا الحديث من الصحيح الثابت عنه ﷺ؟! أليس موقف (أبو زهرة) هذا هو سبيل أهل الأهواء - كالمعتزلة وغيرهم - الذين قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين؛ مما رده عليهم أهل السنة؟! والشيخ يزعم أنه منهم؛ فما باله خالفهم، وسلك سبيل المعتزلة في تحكيم العقل، وردهم للأحاديث الصحيحة لمجرد مخالفتها لأهوائهم؛ إما أصلاً؛ وإما تأويلاً إذا لم يستطيعوا رده من أصله؟! وهذا عين ما فعله الشيخ؛ فإنه رد هذا الحديث لظنه أنه حديث غريب فرد - كما رأيت - وتأول أحاديث الزيارة بقوله:

«ولعل نهي النبي ﷺ عن الاستغفار [لأمه]؛ لأن الاستغفار لا موضع له، إذ أنه لم يكن خطاباً بالتكليف من نبي مبعوث»!

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٢٩٢/١ - ٢٩٧).

ونحن نقول له ـ كما تعلمنا من بعض السلف ـ: اجعل (لعل) عند ذاك الكوكب! فإن أحاديث الزيارة تدل دلالة قاطعة على أن بكاءه ﷺ إنما كان شفقة عليها من النار، وهذا صريح في بعض طرق حديث بريدة؛ كما سبق ذكره مني في التعليق عليه قريباً. ولذلك علق الإمام النووي على حديث أبي هريرة منها بقوله في «شرح مسلم»:

«فيه جواز زيارة المشركين في الحياة، وقبورهم بعد الوفاة؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى. وفيه النهي عن الاستغفار للكفار».

وقال في شرح حديث أنس هذا:

«فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين. وفيه أن من مات على الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم».

قلت: وفي كلام الإمام النووي رد صريح على زعم (أبو زهرة) أن أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة النبي ﷺ لا يعذبون! ومع أن قوله هذا مجرد دعوى؛ لأنه لا يلزم من صحة القاعدة ـ وهي هنا أن من لم تبلغه الدعوة لا يعذب ـ أن الشخص الفلاني أو الأمة الفلانية لم تبلغهم الدعوة، بل هذا لا بد له من دليل كما هو ظاهر، وهذا مما لم يعرج عليه (أبو زهرة) مطلقاً، وحينئذٍ يتبين للقارئ الكريم كم قد تجنى على العلم حين رد حديث أنس، وتأول أحاديث الزيارة بما يفسد دلالتها بمجرد هذه الدعوى الباطلة؟!

وإن مما يؤكد لك بطلانها مخالفتها لأحاديث كثيرة جدًّا يدل مجموعها على أن الصواب على خلافها، وأرى أنه لا بد هنا من أن أذكر بعضها:

١ ـ قوله ﷺ: «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار؛ كان أول من سيب السوائب**». رواه الشيخان.

وفي رواية: «**كان أول من غير دين إسماعيل**».

٢ ـ سألوه ﷺ عن عبدالله بن جدعان؛ فقالوا: كان يقري الضيف، ويعتق، ويتصدق؛ فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال:

«**لا؛ إنه لم يقل يوماً: رب! اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

رواه مسلم.

٣ ـ أنه ﷺ مر بنخل فسمع صوتاً (يعني: من قبر)، فقال: «**ما هذا؟**». قالوا: قبر رجل دفن في الجاهلية. فقال ﷺ:

«**لولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله ـ عز وجل ـ أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني**».

رواه أحمد من طرق عن أنس، وعن جابر، وله شاهد من حديث زيد بن ثابت عند مسلم وأحمد، وهو مخرج في «الصحيحة» (**١٥٨** و**١٥٩**).

٤ ـ حديث رؤيته ﷺ في صلاة الكسوف صاحب المحجن يجر قصبه في النار؛ لأنه كان يسرق الحاج بمحجنه.

رواه مسلم وغيره، وهو مخرج في «الإرواء» (**٦٥٦**).

وفي الباب أحاديث أخرى خرجها الهيثمي في «مجمع الزوائد» (**١/١١٦ ـ ١١٩**)؛ فليراجعها من شاء، وهي بمجموعها تدل دلالة قاطعة على أن المشركين في الجاهلية من أهل النار، فهم ليسوا من أهل الفترة، فسقط استدلال (أبو زهرة) بالآية جملة وتفصيلاً.

وأما قوله في حديث أنس المتقدم أعلاه:

«...كما هو غريب في سنده»!

فأقول: وهذه دعوى باطلة كسابقتها، فالحديث صحيح لا غرابة فيه، وحسبك دليلاً أنه أخرج في «الصحيح»، وإن أراد بذلك أنه غريب بمعنى أنه تفرد به واحد؛ فذلك مما لا يضره؛ لأن كل رواته ثقات أثبات؛ على أن له

شواهد تزيده قوة على قوة كما تقدم. وأنا حين أقول هذا أعلم أن السيوطي تورط أيضاً وغلبه الهوى؛ فأعل الحديث بتفرد حماد بن سلمة به ـ إلى درجة أنه لم يورده في «الجامع الصغير» ولا في «ذيله عليه» ـ وهو من أئمة المسلمين وحفاظهم، وكنت أود أن أطيل النفس أيضاً في الرد عليه، ولكن طال الكلام، فحسبنا منه ما تقدم، والله ولي التوفيق»(١).

٢٠ ـ اختلف العلماء فيمن لم تبلغه الدعوة.

وقد فصل هذه المسألة تفصيلاً حسناً، وبينها بياناً وافياً، وشرحها شرحاً كافياً شافياً الإمام ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ، فقال:

«قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى قديماً وحديثاً في الوِلْدان الذين ماتوا، وهم صغار، وآباؤهم كفار، ماذا حكمهم؟ وكذا المجنون، والأصمّ، والشيخ الخَرِفُ، ومن مات في الفترة، ولم تبلغه دعوة، وقد وَرَدَ في شأنهم أحاديث منها حديث الأسود بن سَرِيع ـ رضي الله عنه ـ:

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن الأحنف بن قيس، عن الأسود بن سَرِيع، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة يَحتجون يوم القيامة: رجلٌ أصمّ، لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هَرِمٌ، ورجل مات في فترة، فأما الأصمّ، فيقول: رب قد جاء الإسلام، وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق، فيقول: رب قد جاء الإسلام، والصبيان يَحذفوني بالبعر، وأما الهَرِم، فيقول: رب لقد جاء الإسلام، وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم لَيُطِيعنّه، فَيُرسل إليهم أن ادخلُوا النار، فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً**».

وأخرج أيضاً بالإسناد المذكور عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في آخره: «**فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يُسْحَب إليها**».

---

(١) «صحيح السيرة النبوية» (ص٢٤ ـ ٢٧).

ثم ذكر أحاديث كثيرة بهذا المعنى.

ثم قال: فمن العلماء: من ذهب إلى الوقوف فيهم؛ لِمَا أخرجه أحمد عن حسناء بنت معاوية، من بني صُرَيم، قالت: حدثني عمي، قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: «**النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة**»، وحسناء مجهولة، لم يروِ عنها إلا عوفٌ الأعرابيّ.

ومنهم: من جزم لهم بالجنة؛ لحديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - في «صحيح البخاري» أنه ﷺ قال في جملة ذلك المنام، حين مَرّ على ذلك الشيخ، تحت الشجرة، وحوله ولدان، فقال له جبريل: هذا إبراهيم - عليه السلام -، وهؤلاء أولاد المسلمين، وأولاد المشركين، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: «**نعم، وأولاد المشركين**».

ومنهم: من جزم لهم بالنار؛ لقوله ﷺ: «**هم مع آبائهم**»، متّفقٌ عليه، لكن هذا في أحكام الدنيا؛ لأنه سئل عن أهل بيت يُبَيَّتُون، فقال: «**هم منهم**»، وفي لفظ: «**هم من آبائهم**».

ومنهم: من ذهب إلى أنهم يُمْتَحَنون يوم القيامة في العَرَصات، فمن أطاع دخل الجنة، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة، ومَن عَصَى دخل النار، داخراً، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة.

ثم قال ابن كثير: وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صَرَّحت به الأحاديث المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن، عليّ بن إسماعيل الأشعريّ، عن أهل السنَّة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقيّ، في «كتاب الاعتقاد»، وكذلك غيره، من محققي العلماء والحفاظ والنقاد، وقد ذَكَر الشيخ أبو عمر بن عبدالبر النَّمَريّ بعدما تقدم من أحاديث الامتحان، ثم قال: وأحاديث هذا الباب ليست قويةً، ولا تقوم بها حجة، وأهل العلم ينكرونها؛ لأن الآخرة دار جزاء، وليست بدار عمل، ولا ابتلاء، فكيف يُكَلَّفُون دخول النار، وليس ذلك في وسع المخلوقين، والله لا يُكَلِّف نفساً إلا وسعها.

والجواب عما قال: إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيحٌ، كما قد نَصَّ على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حَسَنٌ، ومنها ما هو ضعيفٌ، يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلةً متعاضدةً على هذا النمط، أفادت الحجة عند الناظر فيها.

وأما قوله: «إن الدار الآخرة دار جزاء»، فلا شك أنها دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها، قبل دخول الجنة أو النار، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعريّ، عن مذهب أهل السنَّة والجماعة، من امتحان الأطفال، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وقد ثبت في الصحاح، وغيرها: أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافق لا يستطيع ذلك، ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقاً واحداً، كلما أراد السجود خَرَّ لقفاه، وفي «الصحيحين» في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها، أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه، أن لا يسأل غير ما هو فيه، ويتكرر ذلك مراراً، ويقول الله تعالى: يا ابن آدم ما أغدرك! ثم يأذن له في دخول الجنة، متّفقٌ عليه.

وأما قوله: «فكيف يُكَلِّفهم الله دخول النار، وليس ذلك في وسعهم؟»، فليس هذا بمانع من صحة الحديث، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط، وهو جسرٌ على جهنم أحدُّ من السيف، وأَدَقُّ من الشعرة، ويَمُرّ المؤمنون عليه، بحسب أعمالهم؛ كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم الساعي، ومنهم الماشي، ومنهم من يَحْبُو حبواً، ومنهم المكدوس على وجهه في النار، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا، بل هذا أطَمّ وأعظم.

وأيضاً فقد ثبتت السنَّة بأن الدجال يكون معه جنة ونار، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه برداً وسلاماً، فهذا نظير ذلك.

وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، فقَتَل بعضهم

بعضاً، حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً، يقتل الرجل أباه وأخاه، وهم في عَمَاية أرسلها الله عليهم، وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل، وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً، لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور...»[1].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: القول بامتحان أطفال المشركين، والمجنون، والأصم، والشيخ الخرف هو الصحيح لصحة الدليل وتوارد الأدلة على ذلك.

وهذا اختيار شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ.

٢١ ـ دل الحديث دلالة قطعية على فساد ما يسمى بوحدة الأديان وضلالها؛ لأنه لا دين معتبر إلا الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ، وكذلك على بطلان مؤتمرات حوار الأديان باعتبار أنها كلها صحيحة مقبولة؛ لأنه لا دين ينجي عند الله إلا الإسلام، وقد بسطت هذا المعنى من وجوه كثيرة في غير ما موضع.

تكميل لكل نبيل:

دلّ الحديث على إثبات صفة اليد لله تعالى، وذلك في قوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده**» وذهب القاري إلى تأويلها؛ فقال: «بيده» ما نصّه: أي كائنة بنعمته، وحاصلة بقدرته، وثابتة بإرادته، ووجه استعارة اليد للقدرة أن أكثر ما يظهر سلطانها في أيدينا، وهي من المتشابهات، ومذهب السلف فيها تفويض علمه إلى الله تعالى، مع التنزيه عن ظاهره، وهو أسلم؛ حذراً من أن يُعيَّن له غير مراد له تعالى، ويؤيّده وقف الجمهور على الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وعدّوه وقفاً لازماً، وهو ما في وصله إيهام معنى فاسد، ومن ثمّ قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: تأويل اليد بالقدرة يؤدّي إلى تعطيل ما أثبته تعالى لنفسه، وإنما الذي ينبغي الإيمان بما ذكره الله تعالى من ذلك ونحوه على ما أراده، ولا يُشتغل

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/٤٤٥ ـ ٤٦٢) ملخصاً.

بتأويله، فنقول: له يدٌ على ما أراده لا كيد المخلوقين، ومذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى، وتنزيهه عن الجسم والجهة، ولوازمها؛ بناءً على أن الوقف على ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢]، وكان ابن عبّاس يقول: أنا أعلم تأويله، وأنا من الراسخين في العلم، قيل: وهذا أعلم، وأحكم؛ أي: يحتاج إلى مزيد علم وحكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النصّ، وليس المعنى أن مذهب الخلف أكثر علماً، فالمذهبان متّفقان على التنزيه، وإنما لا خلاف في أن الأولى ماذا؟ أهو التفويض، أو التأويل؟، ويمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان، فكان التفويض في زمان السلف أولى؛ لسلامة صدورهم، وعدم ظهور البدع في زمانهم، والتأويل في زمان الخلف أولى؛ لكثرة العوامّ، وأخذهم بما يتبادر إلى الأفهام، وغلوّ المبتدعة بين الأنام، والله أعلم بالمرام»[(١)].

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: وهذا الكلام عليه مؤاخذات عديدة؛ منها:

١ ـ نقل كلاماً جميلاً عن إمامه أبي حنيفة؛ فليته سكت، ولم يخالف إمامه في مسائل الاعتقاد، وهو الذي لا يخرج عن أقواله في الفقه ولا قيد شبر، ولكن التقليد شؤم على صاحبه.

٢ ـ نسبة مذهب التفويض إلى السلف نسبة باطلة تدل على عدم معرفة مذهب السلف، وإنما التفويض مذهب الأشاعرة أو بعضهم؛ كما نبه عليه صاحب «جوهرة التوحيد»:

وكل نصٍّ أوهمَ التشبيها فوِّضْهُ أو أوِّله ورُم التنزيها

وقد بينت فساده في غير هذا الموضع.

٣ ـ مقارنته بين مذهب السلف والخلف وتصويبه لهما معاً باطل في كل الوجوه؛ منها:

أ ـ أن مذهب الخلف يفضي إلى التعطيل كما نص على ذلك إمامه أبو حنيفة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، وكما أشار هو إلى شيء من ذلك.

---

(١) «المرقاة شرح المشكاة» (١/١٥٠ ـ ١٥١).

ب ـ أن مذهب الخلف مخالف للمنقول والمعقول وفيه قول على الله بغير علم ولا كتاب منير.

ت ـ أن مقارنة الخالفين بالسابقين الأولين ظلم وجنف ورحم الله القائل:

لا ترغبن بذكرنا عن ذكرهم ليس السليم إذا مشى كالمقعد

٤ ـ زعم أن المذاهب تتغير بتغير الزمان واختلافه قول غريب عجيب؛ لأنه يقتضي بتغيير الدين الذي جاء به محمد ﷺ حسب الزمان والمكان، وهو قول فاسد.

من فقه النوازل:

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«**قوله**: «**ولم يؤمن بالذي أرسلت به**» وهو أنه أرْسل للناس كافة، بشريعة ناسخة لجميع الأديان السابقة.

وأما الذين في أوروبا وغيرها ممن لم يصل إليهم الإسلام إلا مشوَّهاً، فهل يعذرون؟

فنقول في هؤلاء: هم الآن يدينون بالكفر، ويرون أنهم على طرف نقيض مع الإسلام، فنحن نحكم عليهم بأنهم كفار في الظاهر، فإذا لم تبلغهم الدعوة على وجه تقوم به الحجة، فأمرهم إلى الله يوم القيامة، لكن نحن نعاملهم الآن بما تقتضيه حالهم؛ لأنهم كفار؛ لأنهم يرون أنهم على ملة أخرى غير الإسلام، وكان الواجب عليهم ـ لولا أن الشياطين تلعب بهم ـ إذا سمعوا عن هذا الإسلام أن يسألوا؛ لأن هؤلاء الكفار يعرفون الإسلام، وأنه الإسلام إلى الله؛ فقد قال الحواريون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وفي التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقوم موسى يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

يعرفون أن الإسلام هو دين الله، فلما جاء هذا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكان الإسلام دينه، لماذا لم يبحثوا عنه؟ ونحن لا نستطيع أن نحكم حكماً عامًّا على كل فرد، وإنما نقول: على كل من سمع القرآن أن يبحث، وما دام أنه الآن يؤمن بدين يعتقد أنه في جانب، والإسلام في جانب؛ فيحكم عليه بدينه، حتى لو عذر بجهله نحكم عليه بدينه»(١).



٢٤١ ـ {١٥٤} حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ صَالِحِ بْنِ صَالِحٍ الهَمْدَانِي، عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ سَأَلَ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو! إِنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ، إِذَا أَعْتَقَ أَمَتَهُ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا: فَهُوَ كَالرَّاكِبِ بَدَنَتَهُ.

فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«ثَلاثَة يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ. وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللّهِ ـ تَعَالَى ـ وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ. وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ»**. ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ لِلْخُرَاسَانِيِّ: خُذْ هَذَا الحَدِيثَ بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِيمَا دُونَ هَذَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

❋ راوي الحديث:

أبو بردة هو عامر بن أبي موسى الأشعري، من مشاهير التابعين، سمع أباه وعلياً وابن عمر، توفي سنة (١٠٤هـ)، وقد جاوز الثمانين.

وأبوه هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري، الصحابي الشهير ـ رضي الله عنه ـ تقدمت ترجمته (٦٦/٤٤).

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٩١ ـ ٤٩٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخه فنيسابوري، وهيثم فواسطي.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الشعبي عن أبي بردة، وهو كذلك من رواية الأقران.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: أبو بردة عن أبيه أبي موسى.

٥ ـ «في هذا الإسناد لطيفة يتكرر مثلها، وقد تقدم بيانها، وهو أنه قال: عن صالح، عن الشعبي قال: رأيت رجلاً سأل الشعبي، وهذا الكلام ليس منتظماً في الظاهر، ولكن تقديره: حدثنا صالح، عن الشعبي قال: رأيت رجلاً سأل الشعبي بحديث وقصة طويلة قال فيها صالح: رأيت رجلاً سأل الشعبي، والله أعلم». قاله النووي.

٦ ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٩٧).

* غريب الحديث:

قوله: (رأيت رجلاً من أهل خراسان): بلاد مشهورة بالعجم، والنسبة إليها خراساني.

قوله: (سأل الشعبي، فقال: يا أبا عمرو): أي: سأل الخراساني الإمام الشعبي وناداه بكنيته.

قوله: (إن من قِبَلَنا): أي: الذين يعيشون عندنا من أهل خراسان.

قوله: (يقولون في الرجل): أي: في شأن الرجل.

قوله: (إذا أعتق أمته ثم تزوجها: فهو كراكبِ بدنته) أُعتق من العتق؛ يقال: أعتقت العبد أُعتقه عِتقاً وعتاقة؛ فهو معتق وأنا مُعتق، وعَتَق هو فهو عتيق؛ أي: حرّرته فصار حرًّا.

الأَمة: هي العبدة الرقيقة المملوكة. والجمع: إماء.

البدنة: تقع على الجمل، والناقة، والبقرة، وهي بالإبل أشبه. وسميت بدنة؛ لعظمها وسمنها.

والمعنى: «أنّ من أعتق أمته؛ فقد جعلها محرّرة لله، فهي بمنزلة البدنة التي تُهدىٰ إلى بيت الله ـ تعالى ـ في الحج، فلا تُركب إلا عن ضرورة، فإذا تزوّج أمته المعتقة كان كمن ركب بدنته المهداة» قاله ابن الأثير.

قلت: وهذا خرج مخرج الذم منهم.

وقد بالغ قوم فكرهوه؛ فكأنهم لم يبلغهم الخبر.

قوله: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين) ثلاثة مبتدأ، ولهم أجران خبره، والتقدير: ثلاثة رجال أو رجال ثلاثة.

وقوله «ثلاثة» لا مفهوم للعدد، فلا يفيد الحصر، وإنما يغلب هذا في الأحاديث؛ ليسهل حفظها، أو هي من أعظم المسائل في بابها.

ويؤكد هذا أنّ المتتبع للأحاديث يجد أنّ الذين يؤتون أجرهم مرتين كثر.

قوله: (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتّبعه وصدقهُ فله أجران) رجل: لا يفيد الحصر، بل الأنثى مثله في الحكم. وأهل الكتاب؛ هم: اليهود والنصارى.

والمعنى: أنّ كل من آمن بنبيه، فصدقه، واتبعه فيما جاء به من ربه من اليهودية والنصرانية، ثم هو أدرك مبعث هذا النبي الأُمي العربي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل لا يخفى عليهم؛ كما لا يشكون في معرفة أبنائهم، فآمن به واتبعه وصدقه؛ أعطاه الله الأجر المضاعف؛ لأنهم أسلموا على ما أسلفوا من خير، ولأنهم دعاة لغيرهم بأن يتبعوا هذا النبي. فآمنوا بالنبيين وأدوا الواجبين لهما.

وهذا الحديث موافق لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤].

قوله: (وعبد مملوك أدّى حق الله ـ تعالى ـ وحق سيده، فله أجران): والعبد هنا هو الرقيق الذي لم يتحرر بعد.

والمعنى: أنّ العبد المملوك العابد لربه القائم بعبوديته له، المطيع لسيده، الحافظ لحقوقه، والمؤدي واجباته؛ راضياً عن الله في ابتلائه، صابراً محتسباً على ذلته وهوانه؛ يضاعف له الأجر مرتين؛ لوفائه بالواجبين.

قوله: (ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدّبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران) والمعنى: أنّ المحسن لعبيده الذين يخدمونه، وذلك بإطعامهم أحسن الطعام من حيث النوع والهيئة فيه، وتأديبهم على الدين ومكارم الأخلاق، ثم هو بعد ذلك يعطيها أفضل ما يعطاه الإنسان بعد الإيمان، وهي: الحرية من الرِّق والذِّل والخدمة اللازمة للخلق، ويتمم ويكمل هذه العطايا بتاج الحياة الزوجية ممن لا ترى في المشاهد أفضل وأكرم وأطيب نفسٍ وأرحم قلب منه، فله الأجر المضاعف لهذا الفعل العظيم الذي يعبر بحق عن عظم وسماحة ورحمة هذا الدِّين المتين من ربٍّ رحيم. فله الحمد ظاهراً وباطناً، سرًّا وإعلاناً.

قال السنوسي:

«يتمم ما ذكره الأُبيّ من تعيين أحد الأمرين لحصول الأجرين أن نقول: ضابطه ما تعظم فيه المشقة، فيكون محل الأجرين في الكتابي إيمانه بالنبي ﷺ لا إيمانه بنبيه فيما سبق.

فإن قلت: لا يظهر أن أحدهما أشق من الآخر، بل قد يكون إيمانه بالنبي ﷺ أسهل لسبق ما يحمل عليه، وهو الإيمان بنبيه المبين صفته ﷺ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾.

قلت: كان إيمانه بالنبي ﷺ أشق؛ لأن أقل ما فيه انتصابه بذلك لعداوة أحبائه، ومهاجرة أهله وأقاربه، ووسمه عندهم برفض دينه الحق دين نبيه.

وبهذا يجاب عن ادعاء مشاركة من آمن من غير أهل الكتاب لهم في ذلك، فإنهم ليس لهم دين حتى تركوه، وإنما هم في ذلك كالبهائم، وكان محل الأجرين في حق العبد أداءه حق الله ـ تعالى ـ لما فيه من كبير المشقة لوجود ما ينافره وهو حق السيد، ولهذا أسقط سبحانه بفضله عن العبد بعض الواجبات كالحج والجمعة.

فإن قلت: وقد يعكس ـ أيضاً ـ؛ لأن المزاحمة كائنة من الجانبين.

قلت: طاعة السيد الباعث عليها لا يتوقف على الإيمان، ولهذا تصدر من الكافر والمؤمن؛ لأن لها بواعث من جهة السيد. أمّا أداء طاعة الله ـ تعالى ـ على وجهها سيما في حال هذا المزاحم القوي فلا يحمل عليه إلا محض الإيمان.

وكان محل الأجرين في السيد المعتق المتزوج؛ لأن أكثر الناس يستنكف عن تزويج المعتقة استنكافهم عن تزوج الأمة، والله ـ تعالى ـ أعلم»(١).

قوله: (خذ هذا الحديث بغير شيء، فقد كان الرّجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة)؛ أي: احفظ هذا العلم المذكور في الحديث، واعمل به وانشره، ولا أطلب عليه أجراً مادياً أو دنيوياً.

كان السلف الصالح يقطعون المفاوز في سبيل تحصيل الحديث الواحد، والمسألة الواحدة وأقلّ من هذا الحديث. والمدينة المراد بها: المدينة النبوية.

قال الحافظ:

«وكان ذلك في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، ثم تفرّق الصحابة في البلاد بعد فتوح الأمصار وسكنوها، فاكتفى أهل كل بلد بعلمائه إلا من

(١) «مكمل إكمال الإكمال» (١/٤٤٤).

طلب التوسع في العلم فرحل، وقد تقدّم حديث جابر في ذلك، ولهذا عبّر الشعبي ـ مع كونه من كبار التابعين ـ بقوله: «كان»، واستدلال ابن بطال وغيره من المالكية على تخصيص العلم بالمدينة فيه نظر لما قررناه، وإنما قال الشعبي ذلك تحريضاً للسامع؛ ليكون ذلك أدعى لحفظه، وأجلب لحزصه، والله المستعان.

وقد روى الدارمي بسند صحيح عن بسر بن عبيدالله ـ وهو بضم الموحدة وسكون المهملة ـ قال: إن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث.

وعن أبي العالية قال: كنا نسمع الحديث عن الصحابة، فلا نرضى؛ حتى نركب إليهم فنسمعه منهم».

فقه الحديث:

١ ـ أنّ من أهل خراسان من كان يرى عتق الأمة، وزواجها عيب، ونقيصة يذم فاعلها.

٢ ـ أنّ الذي يركب بدنته التي يهل بها في الحج مذموم عندهم أيضاً.

٣ ـ أنّ الشرع أباح المسألة المذكورة وجعل عليها الأجر المضاعف.

٤ ـ بيان خطأ هؤلاء الذين عابوا هذا الأمر.

٥ ـ الاحتجاج على المخالف والمخطىء بالأحاديث.

٦ ـ أنّ التقييد الوارد في النصوص في الغالب لا يفيد الحصر.

٧ ـ بيان فضل من آمن بنبيه.

٨ ـ فضل من آمن على الوجه المذكور.

٩ ـ أنّ ذكر الرجل في الغالب من النصوص الشرعية لا يراد به تخصيصه دون المرأة، بل لأنهم حضور مجلس الرسول ﷺ.

١٠ ـ أنّ التصديق المجرد لا يكفي حتى يعرب عما في قلبه ويظهر موجبه وتظهر ثماره؛ لقوله: «**فآمن به واتّبعه وصدّقه**».

١١ ـ فضل العبد المملوك الذي يؤدي حق الله ـ تعالى ـ وحق سيده.

١٢ ـ وفيه ترغيب العبيد بطاعة الله، وخدمة سيده.

١٣ ـ فضل عتق الرقاب والحث عليه.

١٤ ـ فضل الإحسان إلى العبيد والخدم.

١٥ ـ الحث على التواضع.

١٦ ـ فضل من أعتق أمته وتزوجها.

١٧ ـ أنّ الجزاء على قدر البذل والمشقة.

١٨ ـ جواز قول العالم مثل هذا تحريضاً للسامع على حفظ ما قاله.

١٩ ـ بيان ما كان عليه السلف الصالح من الرحلة إلى البلدان البعيدة في طلب حديث، أو مسألة واحدة فقد عقد الإمام البخاري في «صحيحه»: «باب الرحلة في طلب العلم».

٢٠ ـ أنّ هذا الأجر في حق الكتابي هو الذي كان مؤمناً بنبيه، ثم آمن بنبينا فحسب، أمّا الذين كانوا كفاراً بنبيهم، ثم أسلموا فلا يحصلون على الأجرين؛ كما هو ظاهر.

٢١ ـ وفيه إشارة إلى أنه لم يكن بين نبينا وعيسى ابن مريم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ نبي ـ قط ـ.

٢٢ ـ قال ابن المنير: «مؤمن أهل الكتاب لا بد أن يكون مؤمناً بنبينا ﷺ لما أخذ الله عليهم من العهد والميثاق.

فإذا بعث؛ فإيمانه مستمر فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره، ثم أجاب بأن إيمانه الأول: بأن الموصوف بكذا رسول، والثاني: بأن محمداً هو الموصوف فظهر التغاير؛ فثبت التعدد».

ويحتمل أن يكون تعدد أجره؛ لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضلّه الله على علم، فحصل له الأجر الثاني بمجاهدته نفسه على مخالفة أنظاره». قاله الحافظ.

٢٣ ـ وفيه استحباب تعليم الرجل أهله، وتأديبهم والإحسان إليهم.

٢٤ ـ جواز اتخاذ السراري عند توفرهم.

٢٥ ـ قال الحافظ في «الفتح»: «ووقع في حديث أبي أُمامة رفعه عند الطبراني: «**أربعة يؤتون أجرهم مرتين**» فذكر الثلاثة كالذي هنا، وزاد أزواج النبي ﷺ، وتقدم في التفسير حديث الماهر بالقرآن، والذي يقرأ وهو عليه شاق، وحديث زينب امرأة ابن مسعود في التي تتصدق على قريبها لها أجران: أجر الصدقة، وأجر الصلة، وقد تقدم في الزكاة.

وحديث عمرو بن العاص في «المستدرك» للحاكم: «**إذا أصاب له أجران**».

وحديث جرير: «**مَن سنّ سنّة حسنة**».

وحديث أبي هريرة: «**مَن دعا إلى هدى**».

وحديث أبي مسعود: «**مَن دلّ على خير**» والثلاثة بمعنى، وهن في الصحيحين.

ومن ذلك حديث أبي سعيد في الذي تيمم، ثم وجد الماء فأعاد الصلاة، فقال له النبي ﷺ: «**لك الأجر مرتين**» أخرجه أبو داود.

وقد يحصل بمزيد التتبع أكثر من ذلك، وكل هذا دال على أن لا مفهوم للعدد المذكور في حديث أبي موسى».

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وقد جمعهم السيوطي في جزء مفرد: «مطلع البدرين فيمن يؤتى أجره مرتين» وقد حققته، وخرجت أحاديثه، وهو مطبوع متداول.

٢٦ ـ كره بعض أصحاب رسول الله ﷺ زواج الأمة من معتقها، ذكر

الحافظ ذلك عن ابن عمر، وابن مسعود، وأنس، ولعلهم لم يبلغهم الخبر.

٢٧ ـ أنّ الزواج لا بدّ له من مهر، وليس الزواج مقابل العتق، يدل على ذلك رواية البخاري: «**أعتقها، ثم أصدقها**».

٢٨ ـ قال الحافظ ابن حجر عند شرح الحديث:

«**فوائد**:

٢٩ ـ **الأولى**: وقع في شرح ابن التين، وغيره: أن الآية المذكورة نزلت في كعب الأحبار، وعبدالله بن سلام، وهو صواب في عبدالله خطأ في كعب؛ لأن كعباً ليست له صحبة، ولم يسلم إلا في عهد عمر بن الخطاب، والذي في تفسير الطبري، وغيره، عن قتادة: أنها نزلت في عبدالله بن سلام، وسلمان الفارسي، وهذا مستقيم؛ لأن عبدالله كان يهودياً؛ فأسلم كما سيأتي في الهجرة، وسلمان كان نصرانياً فأسلم؛ كما سيأتي في البيوع.

وهما صحابيان مشهوران

الثانية: قال القرطبي: «الكتابي الذي يضاعف أجره مرتين، هو: الذي كان على الحق في شرعه عقداً وفعلاً إلى أن آمن بنبينا ﷺ، فيؤجر على اتباع الحق الأول والثاني». انتهى.

ويشكل عليه أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: «**أسلِم يؤتك الله أجرك مرتين**»، وهرقل كان ممن دخل في النصرانية بعد التبديل.

الثالثة: قال أبو عبدالملك البوني وغيره: «إن الحديث لا يتناول اليهود البتة، وليس بمستقيم كما قررناه».

وقال الداودي ومن تبعه: «إنه يحتمل أن يتناول جميع الأمم فيما فعلوه من خير؛ كما في حديث حكيم بن حزام الآتي: «أسلمتَ على ما أسلفت من خير» وهو متعقب؛ لأن الحديث مقيد بأهل الكتاب؛ فلا يتناول غيرهم إلا بقياس الخير على الإيمان.

وأيضاً فالنكتة في قوله: «آمن بنبيه» الإشعار بعلية الأجر؛ أي: أن سبب الأجرين الإيمان بالنبيين، والكفار ليسوا كذلك.

ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب، وغيرهم من الكفار: أن أهل الكتاب يعرفون محمداً ﷺ؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذا من كذبه منهم كان وزره أشد من وزر غيره.

وقد ورد مثل ذلك في حق نساء النبي ﷺ؛ لكون الوحي كان ينزل في بيوتهن.

فإن قيل: فلِمَ لم يذكرن في هذا الحديث؛ فيكون العدد أربعة؟

أجاب شيخنا شيخ الإسلام: بأن قضيتهن خاصة بهن مقصورة عليهن، والثلاثة المذكورة في الحديث مستمرة إلى يوم القيامة.

وهذا مصير شيخنا إلى أن قضية مؤمن أهل الكتاب مستمرة، وقد ادعى الكرماني اختصاص ذلك بمن آمن في عهد البعثة، وعلل ذلك بأن نبيهم بعد البعثة؛ إنما هو: محمد ﷺ باعتبار عموم بعثته. انتهى. وقضيته أن ذلك أيضاً لا يتم لمن كان في عهد النبي ﷺ، فإن خصه بمن لم تبلغه الدعوة فلا فرق في ذلك بين عهده وبعده، فما قاله شيخنا أظهر.

والمراد بنسبتهم إلى غير نبينا ﷺ: إنما هو باعتبار ما كانوا عليه قبل ذلك، وأما ما قوّى به الكرماني دعواه بكون السياق مختلفاً؛ حيث قيل في مؤمن أهل الكتاب: «رجل» بالتنكير، وفي «العبد» بالتعريف، وحيث زيدت فيه: «إذا» الدالة على معنى الاستقبال فأشعر ذلك بأن الأجرين لمؤمن أهل الكتاب لا يقع في الاستقبال، بخلاف العبد. انتهى. وهو غير مستقيم؛ لأنه مشى فيه مع ظاهر اللفظ، وليس متفقاً عليه بين الرواة، بل هو عند المصنف وغيره مختلف، فقد عبّر في ترجمة عيسى بإذا في الثلاثة، وعبّر في النكاح بقوله: «**أيما رجل**» في المواضع الثلاثة وهي صريحة في التعميم، وأما الاختلاف بالتعريف والتنكير فلا أثر له هنا؛ لأن المعرّف بلام الجنس مؤداه مؤدى النكرة؛ والله أعلم.

الرابعة: حكم المرأة الكتابية حكم الرجل؛ كما هو مطرد في جل الأحكام؛ حيث يدخلن مع الرجال بالتبعية إلا ما خصه الدليل».

٣٠ ـ إحتساب الأجر في التعلُّم والتعليم دون الأجر الدنيوي.

٣١ ـ بيان ما كان عليه السلف الصالح من الجد، والاجتهاد في طلب العلم.

٣٢ ـ استحباب الرحلة في طلب العلم.

٣٣ ـ وضع المقدار في الدنيا قد يكون سبباً في رفع الدرجات في الآخرة.

➢ فوائد زوائد:

١ ـ اقتران هذا الحديث بالحديث السابق ـ أي: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي...**» ـ مثل وجه اقتران ثواب نساء النبي ﷺ وعقابهن في المضاعفة، في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١].

فأهل الكتاب أولى الناس بالنبي ﷺ بسبب معرفتهم به؛ حيث يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل وموصوفاً بصفته التي وقعت كما هو عندهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ فإذا كفروا استحقوا من العذاب الضعف، وكذلك إن آمنوا واستجابوا، والله أعلم.

٢ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«واعلم أن الرجل مع أمته، له أحوال:

الحال الأولى: أن يتزوجها ـ وهي في ملكه ـ فالنكاح باطل؛ لأنه لا

يردُ الأضعف على الأقوى، وملكها باليمين أقوى من ملكها بالنكاح، ونقول له: هذه المرأة تحل لك بدون عقد نكاح؛ لأنها أمتك.

الحال الثانية: أن يعتقها، ويجعل عتقها صداقها، فهذا جائز، كما فعل النبي ﷺ مع صفية بنت حيي ـ رضي الله عنها ـ.

الحال الثالثة: أن يعتقها على أنها تحررت نهائيًا، ثم بعد ذلك يتزوجها، ويكون وليها أباها ـ إن كان موجوداً ـ أو ابنها ـ إن كان لها ابن ـ أو أحد من أوليائها من العصبة، أو سيدها؛ لأن ولاية الولاء تأتي بعد ولاية النسب، وهذا هو موضوع حديثنا الآن، وهذا جائز، ولمن أعتقها ثم تزوجها أجران: أجر العتق أولاً، ثم أجر تحصين الفرج، وكفها ثانياً»[1].

٣ ـ جواب الإمام الشعبي للخراساني من أحسن الأجوبة وأبلغها حيث أجابه عن سؤاله بالدليل الذي يتضمن الحكم، ويظهر حسن ذلك من وجوه:

أ ـ أن ذكر الدليل أبلغ في إقامة الحجة على السائل.

ب ـ أن ذكر الدليل يقوي حب الرسول ﷺ في قلب السائل؛ فيستجيب اتباعاً للرسول ﷺ وليس تقليداً لأحد دون الرسول.

ت ـ كذلك لم يقل الشعبي إن هؤلاء واهمون أو مخطئون وإنما رد ذلك بأحسن إشارة وألطف عبارة.

٤ ـ دعوى أهل خراسان التي نقلها عنهم الخراساني قياس فاسد؛ لأنه مصادم للنص الصحيح، ولذلك قال العلماء: لا اجتهاد مع النص، وإذا ورد نهر الله بطل نهر معقل.



وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبدة بن سليمان (ح) وحدثنا بن أبي عمر، حدثنا سفيان (ح) وحدثنا عبيدالله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، كلهم عن صالح بن صالح، بهذا الإسناد نحوه.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٤٩٤).

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ بيان جلالة مسلم في اختصار الأسانيد دون خلط ألفاظ الرواة.

٢ ـ بيان قوة حفظه، ودقة لفظه حيث قال: نحوه، ولم يقل مثله.

٣ ـ **قوله: (بهذا الإسناد)**: أي: إسناد صالح بن صالح عن الشعبي به.

٤ ـ **قوله: (نحوه)**: أي: أحاديث هؤلاء الثلاثة نحو حديث هيثم.

٥ ـ له فيه ثلاثة شيوخ فرق بينهما.

٦ ـ طريق عبدة بن سليمان عن صالح: ساقها ابن ماجه في «السنن» (١٩٥٦):

حدثنا عبدالله بن سعيد، أبو سعيد الأشجّ، حدثنا عبدة بن سليمان، عن صالح بن صالح بن حيّ، عن الشعبيّ، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له جاريةٌ، فأدّبها فأحسن أدبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران، وأيّما رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيّه، وآمن بمحمد، فله أجران، وأيّما عبد مملوكٍ أدَّى حق الله عليه، وحق مواليه، فله أجران**»، قال صالح: قال الشعبيّ: قد أعطَيْتُكَها بغير شيء، إن كان الراكب ليركب فيما دونها إلى المدينة.

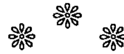
وأما طريق سفيان بن عيينة؛ فساقها الحافظ ابن منده في «الإيمان» (٣٩٧/٥٠٥/١):

أنبأ خيثمة بن سليمان، ثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، ثنا عبدالله بن الزبير. (ح) وأنبأ محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن أبي طالب، ثنا محمد بن يحيى، قال: ثنا سفيان بن عيينة، ثنا صالح بن صالح بن حيّ، قال: جاء رجل إلى الشعبيّ، وأنا عنده، فقال: يا أبا عمرو، إن ناساً عندنا بخراسان، يقولون: إذا أعتق الرجل أمته، ثم تزوجها، فهو كالراكب بدنته، فقال الشعبيّ: حدثنا أبو بردة بن أبي موسى الأشعريّ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل من أهل الكتاب، كان مؤمناً قبل**

أن يبعث النبيّ ﷺ، ثم آمن بالنبيّ ﷺ، فله أجران، ورجلٌ كانت له جاريةٌ، فعلّمها فأحسن تعليمها، وأدّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران، وعبدٌ أطاع الله، وأدَّى حق سيده، فله أجران»، خُذْها بغير شيء، فلقد كان الرجل يَرْحَل في أدنى منها إلى المدينة. انتهى.

وأما طريق شعبة؛ فساقها الحافظ أبو عوانة في «مسنده» (١/٩٦/٣٠٢):

حدثنا يونس بن حبيب، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن صالح بن صالح، عن الشعبيّ، قال: حدثني أبو بردة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له أمةٌ، فأدّبها فأحسن أدبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها، فتزوجها، ورجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه، ثم أدرك النبيّ، فآمن به، وعبدٌ أدَّى حق الله، وحق مواليه**»، فقال الشعبيّ للرجل: قُمْ؛ فقد كان يُرْحَل إلى المدينة فيما دون هذا.



٧٢ ـ باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ

٢٤٢ ـ {١٥٥} حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ **حَكَماً مُقْسِطاً، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

✱ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان فرّق بينهما.

٣ ـ مسلسل بالمدنيين من ابن شهاب الزهري، والباقون مصريون.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي، ابن شهاب عن ابن المسيب.

٥ ـ هذا الإسناد من أصح الأسانيد عن أبي هريرة.

٦ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٢٢٢٢ و٢٤٧٦ و٣٤٤٨).

✱ غريب الحديث:

قوله: (والذي نفسي بيده): تقدم الكلام على مثل هذا.

قوله: (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ):

ليوشكن: ـ بضم الياء وكسر الشين ـ من أفعال المقاربة، ومعناه: ليقربن وقوع ذلك، ولا بدّ منه سريعاً.

«**أن ينزل**»: إذ هو في السماء حي رفعه الله إليه.

«**فيكم**»: أي ينزل في آخر هذه الأمة، وإن كان خطاباً لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

والمعنى: أقسم بالله تعالى الذي ملك نفسي، لقد اقترب موعد نزول أخي عيسى ابن مريم ﷺ من السماء في هذه الأمة: أُمة الإسلام بعد رفعه إلى السماء حياً مصدقاً بمحمد ﷺ على شريعته وملته.

قوله: (حكماً مقسطاً).

حكماً: أي حاكماً وقاضياً من جملة الحكام والقضاة الذين يحكمون في الأمور.

مقسطاً: المقسط هو العادل.

يقال: أقسط يُقسط؛ فهو مُقسط، إذا عدل.

وقَسَطَ يَقْسِط؛ فهو قاسط: إذا جارَ. فكأن الهمزة في أقْسَط للسّلْب، كما يقال: شكا إليه؛ فأشكاه؛ قاله ابن الأثير.

والمعنى: أنّ المسيح ﷺ ينزل حاكماً بهذه الشريعة، فإن هذه الشريعة باقية لا تُنسخ، بل يكون عيسى ﷺ حاكماً من حكام هذه الأمة المرحومة.

قوله: (ويكسر الصليب): وهذا لإبطال دين النصرانية حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، وأنه شرك بالله ـ تعالى ـ، وأنّ زعمهم بأن عيسى ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة؛ وهي: مذاهبهم: باطل، هو بريءٌ منها ومنهم، ولهذا من كمال حكمته وعدله ـ سبحانه وتعالى ـ أنّ ذلهم في الدنيا في آخر الزمان يكون المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو يكفر بهم، وبعبادتهم إياه من دون الله في الآخرة.

قوله: (ويقتل الخنزير) وذلك إشعاراً بإبطال شعائر النصارى الدينية، وخصائصهم المعاشية، ودليل على نجاسته الحسية، وحرمة أكله والاتجار به.

وهذا يدل على براءته مما نسبوه لدين عيسى - عليه السلام - مما لم يأتِ به؛ بل ابتدعوه من تلقاء أنفسهم.

وليس عندنا أمر بقتل الخنازير، ولكن كان هذا لما ذكر أنه من شعارهم.

ويقال فيه ما قيل في سابقه.

قوله: (ويضع الجزية) أي: لا يقبل من أحد الجزية، إمّا الإسلام، وإما القتال والقتل، وذلك نسخ من نبينا سيطبق في زمن نزول عيسى - عليه السلام - يحكم به من شرعنا.

ويكون هذا لقوة الإسلام، وكثرة المال وعدم الحاجة، بل لا يوجد من يأخذ المال بخلاف الحال اليوم؛ فإن الجزية تفرض عليهم إن أبوا الإسلام، ولهم حقوق، وعليهم واجبات.

قوله: (ويفيض المال حتى لا يقبله أحد): «معناه: يكثر المال، وتنزل البركات، وتكثر الخيرات؛ بسبب العدل، وعدم التظالم، وتقيء الأرض أفلاذ كبدها، وتقل - أيضاً - الرغبات؛ لقصر الآمال، وعلمهم بقرب الساعة» قاله النووي.

فقه الحديث:

١ - جواز الحلف من غير استحلاف مبالغة في تأكيد الخير.

٢ - إثبات نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - من السماء إلى الأرض في آخر الزمان.

٣ - إثبات حياة عيسى ابن مريم - عليه السلام -، وأنه في السماء.

٤ ـ إبطال دعوى صلبه وقتله، ويؤكده نص القرآن الكريم في قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٨].

٥ ـ جواز مخاطبة بعض المسلمين بحكم، وإرادة غيرهم ممن هم على ملتهم.

٦ ـ أنّ عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا ينزل بشريعة جديدة، بل حاكماً عادلاً من حكام هذه الأمة.

٧ ـ أنّ هذه الشريعة لا تنسخ، بل هي ناسخة كل الشرائع وخاتمتها، وكل ما سواها باطل.

٨ ـ أنّ الله يبعث في كل قرن من يجدد لهذه الأُمة أمر دينها.

٩ ـ وفيه الثناء على عيسى ﷺ لعدله في حكمه.

١٠ ـ أنّ العدل سينتشر بين الناس بعد الظلم، ولا عدل إلا ما جاء به الإسلام.

١١ ـ أنّ عيسى يبطل دين النصارى القائم على الشرك.

١٢ ـ وفيه دليل على تغيير المنكرات، وآلات الباطل، وهذا يكون ممن يقدر عليه بشروطه المعتبرة، ولا يخص الحاكم، وإن كان هو أولى الناس بهذا العمل؛ لأنه مما يجب عليه.

١٣ ـ تحريم اقتناء الخنزير وأكله.

١٤ ـ أنّ من قتل خنزيراً، أو كسر صليباً لا يضمن؛ لأنه فعل مأموراً به، وهذا إذا كان مع المحاربين أو الذمي إذا جاوز به الحد الذي عوهد عليه، فإذا لم يتجاوز، وكسره مسلم كان متعدياً؛ لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية.

١٥ ـ أنّ قتل الخنزير واستئصاله يكون عند نزول عيسى ـ عليه السلام ـ.

١٦ ـ بيان بطلان ما عليه النصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى، ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته.

١٧ ـ إبطال جميع الأديان عند نزول عيسى ـ عليه السلام ـ، إمّا الإسلام، وإمّا القتل.

١٨ ـ أنّ الجزية لا تقبل عند نزول المسيح ﷺ.

١٩ ـ أنّ الخير والبركة يكثر ويعم بسبب العدل، وعدم الظلم.

٢٠ ـ أنّ نزول عيسى ـ عليه السلام ـ علم من أعلام نبوة محمد ﷺ.

٢١ ـ قال الحافظ: «قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبيّن الله ـ تعالى ـ كذبهم وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله؛ لدنو أجله؛ ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها».

٢٢ ـ وروى مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً، وفيه: «. . . **فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. . .**»؛ فبينت هذه الرواية كيفية قتل المشركين.

٢٣ ـ أنّ الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ، وليس شرع عيسى ـ عليه السلام ـ هو الناسخ.

٢٤ ـ وفيه بيان سبب وصورة البركة وهو قوله: «. . . **ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبر، فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمّانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل، حتى أنّ اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس**».

٢٥ ـ وفيه بيان سبب إفاضة المال؛ وهو: أنّ الدجال «**يمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**...» وقد علم أنّ المسيح يقتله فستكون بأيدي المسلمين.



وَحَدّثناهُ عَبْدُالأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. (ح) وَحَدَّثَنِيهِ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ. (ح) وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ الحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي صَالِحٍ، كُلُّهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ: «**إِمَاماً مُقْسِطاً وَحَكَماً عَدْلاً**».

وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ: «**حَكَماً عَادِلاً**»، وَلَمْ يَذْكُرْ: «**إِمَاماً مُقْسِطاً**».

وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ: «**حَكَماً مُقْسِطاً**» كَمَا قَالَ اللَّيْثُ. وَفِي حَدِيثِهِ مِنَ الزِّيَادَةِ: «**وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآيَةَ [النساء: ١٥٩].

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان جلالة الإمام مسلم، وتفننه في الصناعة الحديثية، ويظهر في:

أ ـ اختصار الأسانيد.

ب ـ إكثاره من الأخذ عن الشيوخ.

ت ـ تمييز ألفاظ الشيوخ.

ث ـ بيان ما في روايات بعضهم من الزيادة على الآخرين.

ج ـ بيان المرفوع من الموقوف من الألفاظ.

٢ ـ طريق ابن عيينة: ساقها الحافظ أبو نعيم في «المستخرج» **(٢١٩/١/٣٩٠)**:

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا الحميدي. (ح) حدثنا فاروق بن عبدالكبير، نا أبو مسلم الكشيّ، ثنا إبراهيم بن بشار. (ح) وحدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عبدالأعلى بن حماد النَّرْسيّ، قالوا: أنا سفيان بن عيينة، نا الزهريّ، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن ينزل فيكم ابنُ مريم حكماً، وإماماً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا قبله أحدٌ**»، لفظ الحميديّ.

وأخرجها ابن ماجه في «سننه» **(٤٠٦٨)**:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم، حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**».

وطريق صالح: أخرجها الإمام البخاريّ في «صحيحه» **(٣٤٤٨)**.

حدثنا إسحاق، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، أن سعيد بن المسيِّب، سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً عدلاً، فيكسرَ الصليب، ويقتل الخنزيرَ ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وأما طريق يُونُسَ؛ فهي عند أبي نُعيم في «مستخرجه» **٢١٩/١ (٣٨٩)**

بالإحالة، وكذلك عند ابن منده في «الإيمان» ١/٥١٤ (٤١١) بالإحالة؛ كما عند المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

* غريب الحديث:

قوله: (وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها): معناه: أنّ الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر العبادات آنذاك؛ لقصر آمالهم، وعلمهم بقرب القيامة، وقلة رغبتهم في الدنيا؛ لعدم الحاجة إليها، ولفيض المال حينئذ وهوانه، وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد. عند ذلك يكون أجر السجدة عندهم خير من الدنيا، وما فيها وإن كانت كذلك عند من سبقهم يقيناً؛ لكمال إيمانهم وسلامتهم من الفتن، وتمسكهم بالأحكام.

قوله: (ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾): قال الحافظ: «قال ابن الجوزي: إنما تلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مناسبتها لقوله: «**حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**»؛ فإنه يشير بذلك إلى صلاح الناس، وشدة إيمانهم، وإقبالهم على الخير، فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا.

وقوله في الآية: ﴿وَإِن﴾ بمعنى ما، أي: لا يبقى أحد من أهل الكتاب: وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله: ﴿**إلا ليؤمنن به**﴾، وكذلك في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود على عيسى، أي: إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح، ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال: قبل موت عيسى، والله إنه الآن لحي، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

ونقله عن أكثر أهل العلم، ورجحه ابن جرير وغيره.

ونقل أهل التفسير في ذلك أقوالاً أخر، وأن الضمير في قولهٓ «به» يعود للّه أو لمحمد، وفي «موته» يعود على الكتابي على قولين، وقيل: على عيسى.

وروى ابن جرير من طريق عكرمة، عن ابن عباس: «لا يموت يهودي، ولا نصراني حتى يؤمن بعيسى، فقال له عكرمة: أرأيت إن خرّ من بيت أو احترق أو أكله السبع؟ قال: لا يموت؛ حتى يحرك شفتيه بالإيمان بعيسى».

وفي إسناده خصيف وفيه ضعف.

ورجح جماعة هذا المذهب بقراءة أُبي بن كعب: ﴿**إلا ليؤمنن به قبل موتهم**﴾؛ أي: أهل الكتاب.

قال النووي: «معنى الآية على هذا: ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت؛ إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى، وأنه عبد الله وابن أمته، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ قال: وهذا المذهب أظهر؛ لأن الأول يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى، وظاهر القرآن عمومه في كل كتابي في زمن نزول عيسى وقبله». وهذا يدل على أن نزوله علم من أعلام نبوة محمد ﷺ.

فقه الحديث:

١ ـ الحديث يفسر القرآن؛ وهو: أحد أنواع التفسير الوارد عن السلف الصالح.

٢ ـ حصول اليقين التام عند من يدرك ذلك الزمان حتى تكون الركعة عندهم خير من الدنيا وما عليها.

٣ ـ أهل ذلك الزمان أهل صلاح يتقربون إلى الله، ويتوجهون إليه بالعبادة، ويحرصون عليها.



٢٤٣ ـ {...} حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مِينَاءَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«وَاللّهِ! لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاصُ؛ فَلا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ. وَلَيَدْعُوَنَّ ـ وَلَيُدْعَوُنَّ ـ إِلَى الْمَالِ فَلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»**.

* غريب الحديث:

قوله: (ولتتركن القلاص؛ فلا يسعىٰ عليها): القلاص: ـ بكسر القاف ـ، جمع قلوص بفتحها، وهي من الإبل؛ كالفتاة من النساء، والحديث من الرجال.

ومعناه: أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها؛ لكثرة الأموال، وقلة الآمال، وعدم الحاجة، والعلم بقرب القيامة، وإنما ذكرت القلاص؛ لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب، وهو شبيه بمعنى قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] ومعنى لا يسعى عليها: لا يعتنى بها؛ أي: يتساهل أهلها فيها، ولا يعتنون بها. قاله النووي.

قوله: (ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد): أي: أنّ العداوة، والكراهة، والأخلاق الرذيلة تزول، وتطمس، ومنها: الحسد؛ لما يسود من وحدة الدِّين، والكلمة، وكثرة المال، وتحكيم الشريعة، والانشغال بأمور الساعة المذهلة.

والحسد؛ هو: تمني زوال النعمة عن الغير، وانتقالها له.

قوله: (وليدعون إلى المال): أي: يدعو عيسى ابن مريم الناس إلى المال؛ ليأخذوه.

قوله: (فلا يقبله أحد): لما يوجد من كثرة المال، وقصر الآمال، وعدم الحاجة، وقلة الرغبة؛ للعلم بقرب الساعة.

وتقدمت بقية مباحثه وفوائده.



٢٤٤ ـ { . . . } حدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم): المعنى: أنّ عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ حي لم يمت. وسينزل في هذه الأمة أمتكم.

قوله: (وإمامكم منكم): فيه أقوال:

أ ـ أن الإمام الذي يصلي بالناس وقت نزول عيسى ـ عليه السلام ـ من هذه الأمة، وهو الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ.

ب ـ أن عيسى ـ عليه السلام ـ سيكون حاكماً وقائداً يحكم بشريعة الإسلام بالقرآن والسنَّة، لا بالإنجيل.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وكلاهما صحيح ثابت بالأحاديث الصحيحة.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ شرّف هذا النبي ﷺ بعدم نسخ شريعته، بل ببقائها أبد الدهر، حتى وإن نزل نبي يحكم بين الناس.

٢ ـ أن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ يجدد في الأمة أمر دينها، ويعود بها إلى الكتاب والسنّة؛ كما كان الأمر على عهد رسول الله ﷺ وصحابته.

٣ ـ بشرى للمسلمين بعودة الخلافة الراشدة والحكم بالكتاب والسنَّة.

٤ ـ الشريعة الإسلامية متصلة إلى يوم القيامة، وفي كل قرن طائفة من أهل العلم منصورة، وفرقة ناجية حتى ينزل عيسى فيهم ويقودهم.

تنبيه لكل نبيه:

قال الحافظ: «وهذا والذي قبله لا يبين كون عيسى إذ نزل يكون إماماً أو مأموماً، وعلى تقدير أن يكون إماماً؛ فمعناه: أن يصير معكم بالجماعة من هذه الأمة».

وعلى كلام الحافظ عدة مؤاخذات:

١ ـ أن عيسى عند نزوله يصلي مأموماً؛ كما دل عليه حديث جابر بن عبدالله الآتي بلفظ: «**فيقول أميرهم: تعال صل لنا؛ فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة**».

وفي حديث أبي أمامة عن ابن ماجه: «...**فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى؛ ليتقدم عيسى، فيقول له: تعال صل لنا؛ فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة، تقدم فصل، فيصلي بهم إمامهم**».

٢ ـ أن سائر الصلوات التي بعد هذه الصلاة التي أقيمت للإمام المهدي بخاصة يصير عيسى ـ عليه السلام ـ إماماً؛ ففي حديث أبي أمامة المذكور آنفاً: «**ثم يأتي الدجال جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذي عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية إلا أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله، أو يفتح لكم؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا.**

فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة ـ صلاة الصبح ـ **فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم؛ فيؤم الناس، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله المسيح الدجال، وظهر المسلمون...**».

٣ ـ ويؤكد هذا المعنى: أن عيسى تصير له الإمامة السياسية، ويصبح هو الحاكم، وهو الذي يؤم المسلمين في الصلاة، ويحكم بالقرآن والسنَّة.



٢٤٥ ـ {. . .} وحدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ؟**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (وأَمَّكم)؛ أي: صار إماماً لكم، وفيكم، وعليكم.



٢٤٦ ـ {. . .} وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟**» فَقُلْتُ لابْنِ أَبِي ذِئْبٍ: إِنَّ الأَوْزَاعِيَّ حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**».

قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان إحدى سمات الصحيح؛ وهو: تفسير الغريب الذي فيه أحياناً، إما من كلامه أو نقلاً عن غيره.

٢ ـ جمعه بين ألفاظ الرواة مع بيان قائلها دون خلط بينها.

٣ ـ بيان بعض سمات صحيح مسلم؛ وهو: أنه يحشر طرق الحديث الواحد في مكان واحد، ولا يكرر إلا في النادر.

٤ ـ رواية الأوزاعي: أخرجها ابن منده في «الإيمان» **(١/٥١٥/٤١٣)**:

أنبأ خيثمة بن سليمان، ومحمد بن يعقوب، قالا: ثنا العباس بن الوليد بن مزيد، قال: أخبرني أبي. (ح) وأنبأ الحسن بن مروان، ثنا

إبراهيم بن أبي سفيان، ثنا محمد بن يوسف الفريابيّ. (ح) وأنبأ محمد بن يعقوب، ثنا بحر بن نصر، ثنا بشر بن بكر، قالوا: ثنا عبدالرحمٰن بن عمرو الأوزاعيّ، قال: أخبرني الزهريّ، عن نافع، مولى أبي قتادة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابنُ مريم، وإمامكم منكم؟**». انتهى.

ثم قال: رواه الوليد بن مسلم، عن الأوزاعيّ، وابن أبي ذئب.

* غريب الحديث:

قوله: (فأمكم منكم): بيّن معنى ذلك ابن أبي ذئب في قوله: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنّة نبيكم ﷺ.

وهذا يدل على ما كررناه وقررناه: أن عيسى ـ عليه السلام ـ يحكم بشريعة القرآن الذي هو خاتم الكتب السماوية مهيمن عليها، وبسنّة رسوله محمد ﷺ، لا بشريعة الإنجيل، فمحمد ﷺ هو الإمام، وعيسى حاكم من حكامه، وقاضٍ من قضاته؛ يحكم ويقضي بأمره وشرعه.

فقه الحديث:

١ ـ صنيع مسلم هذا يؤكد أن أولى طرق تفسير الحديث هو جمع الألفاظ وشرح بعضها بعضاً.

٢ ـ ويؤكد قاعدة حديثية أخرى؛ وهي: أنّ الراوي أدرى بمرويه من غيره.

٣ ـ بيان سيما من سمات صحيح مسلم؛ وهو: أن مؤلفه يحشر طرق الحديث الواحد في مكان واحد، ولا يكرر إلا في النادر.

٤ ـ قال ابن الجوزي: لو تقدّم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال ولقيل: أتراه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً، فصلّى مأموماً؛ لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله: «**لا نبي بعدي**».



٢٤٧ ـ {١٥٦} حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ، وَهَرُونُ بْنُ عَبْدِاللّهِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ قَالُوا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ ـ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ ـ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالْ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٥/١٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه ثلاثة شيوخ قرن بينهما.

٣ ـ بيان دقة الإمام، وأمانته حيث قال: وهو ابن محمد؛ لكي يقول لك يا طالب الحديث: أن الرواة قالوا: حجاج ولم ينسبوه، وأنا قلت: ابن محمد؛ لكي لا أتقوّل على الرواة ما لم يقولوه.

٤ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة): الطائفة: الجماعة من الناس. والأُمة هنا أُمة الاستجابة. وظاهرين: عالين غالبين قاهرين غيرهم.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ جعل في كل عصر جماعة من أهل العلم، يحملون هذا الدّين: ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وهم الغالبون القاهرون للمخالفين المتخاذلين، وأنّهم مستمرون

على هذا الأمر لا تخلو الأرض منهم؛ حتى يأتي أمر الله بإرسال الريح التي تأخذ بأرواح المؤمنين آخر الزمان، فلا يبقى على الأرض إلا الأشرار؛ فعليهم تقوم الساعة.

قوله: (فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا. إنّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة): أي: أنّ هذه الطائفة القائمة بالحق للحق سبحانه تبقى ظاهرة قاهرة إلى أن ينزل عيسى آخر الزمان، ويكونُ لها أمير، وهو: المهدي محمد بن عبدالله ـ عليه السلام ـ فيدعو المهدي عيسى ابن مريم للصلاة بالناس؛ لعلو مكانته عند الله ـ تعالى ـ، ولأن النبي أعظم من ألف ولي؛ فيجيبه عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالرفض، وأنه لم يأت بشريعة جديدة حتى يتقدم على المهدي، بل هو كأحد أفراد هذه الأُمة المحمدية، وقد أكرم الله هذه الأُمة بكرامات منها؛ أنّ بعضهم يحكم البعض الآخر، ولا تنسخ من بعده ﷺ.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ هذا الحديث من معاني قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢ ـ أنّ الحديث من المبشرات التي بشرنا بها الرسول ﷺ.

٣ ـ أنّ في كل قرن من هذه الأمة سابقون.

٤ ـ أنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة.

٥ ـ وفيه تزكية أهل العلم وحملته.

٦ ـ أنّ نزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يكون عند وحدة المسلمين، ووجود البيعة، والخلافة، والخليفة.

٧ ـ أنّ عيسى يلتقي بالمهدي.

٨ ـ أنّ جماعات من المسلمين سيرون عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ عند نزوله آخر الزمان.

٩ ـ منقبة للمهدي حيث يصلي إماماً بنبي الله عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ.

١٠ ـ بيان إحدى الخصائص، والفضائل لهذه الأمة؛ وهي: وراثة النبوة من قبل العلماء عن الأنبياء، وأنّ الأنبياء يوجدون فيها كأي حاكم عادل مصلِح.

١١ ـ أنّ الأمر ـ أي الحكم ـ بين الناس في البلاد لا بدَّ أن يكون تحت راية حاكم، ولو كان ظالماً، وإلا لما صلح الحال.

١٢ ـ أنّ الحق سيظهر، وينتصر، ولو بعد حين.

١٣ ـ قال الحافظ: «اتفق الشرّاح على أن معنى قوله «على من خالفهم» ـ وهي ثابتة في الحديث ـ أن المراد علوهم عليهم بالغلبة؛ وأبعد من أبعد؛ فرد على من جعل ذلك منقبة لأهل الغرب: أنه مذمة؛ لأن المراد بقوله «ظاهرين على الحق» أنهم غالبون له، وأنّ الحق بين أيديهم كالميت، وأنّ المراد بالحديث ذم الغرب، وأهله لا مدحهم».

١٤ ـ قال ابن العربي صاحب «العارضة»: «يروى أنه ـ أي عيسى ـ يصلي وراء إمام المسلمين إبقاءً لشريعة النبي ﷺ، واتباعاً، وإخزاءً للنصارى، وإقامة للحجة عليهم».

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وقد ثبت الحديث، فللّه الحمد والمنّة على الإسلام والسنّة.

١٥ ـ قال البخاري في «صحيحه» في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة باب: قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق، وهم أهل العلم**».

وقال الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري مَن هم. وكذا قال جماعة من السلف والخلف.

قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنّة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ وهذا التفسير الأثري تواتر عن أهل العلم؛ كما حققت ذلك ونقلت أقوالهم بأسانيدها الصحيحة في كتابي: «اللآلئ المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة».

١٦ ـ قال النووي: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهّاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض».

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: أي: أن الطائفة المنصورة جماعة أفهام لا جماعة أبدان، يجمعها منهج السلف الصالح، وإن اختلفت بلادهم وتباعدت أقطارهم.

وهذا لا ينافي ما ثبت في الأحاديث الصحيحة أن معقلهم في بلاد الشام.

١٧ ـ وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن الوصف ما زال بحمد الله ـ تعالى ـ من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث.

١٨ ـ وفيه دليل لكون الإجماع حجة، وهو أصح ما استدل به له من الحديث.

١٩ ـ ومن معاني هذا الحديث أحاديث أخر من مثل قوله ـ عليه السلام ـ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله...**»، و«**لا يزال الله يغرس لهذا**

الدين غرساً...»، و«**إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس...»**، و«**في كل قرن من أُمتي سابقون»**، ونحوها.

٢٠ ـ في الحديث بيان فضل اتباع السنَّة النبويَّة، ووجه ذلك: أن هؤلاء الطائفة المنصورة ما حصل لهم ذلك العلو والغلبة والنصر والثبات على مقاومة العدو وإبادته إلا بسبب اتباعهم سنَّة رسول الله ﷺ.

متممات مهمات:

١ ـ إن نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان حاكماً بالكتاب والسنَّة، وناصراً لشريعة الإسلام ثابت بصريح القرآن:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩].

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل هذه الآية: أن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ راجع لعيسى ـ عليه السلام ـ، وأنه حين ينزل في آخر الزمان لا يبقى أحد من أهل الكتاب في ذلك الزمان الموجودين في ذلك الزمان إلا آمن به وصدقه.

قال شيخ المفسرين ابن جرير ـ رحمه الله ـ: «وأولى هذه الأقوال بالصواب: قول من قال: تأويل ذلك: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ بعيسى قبل موت عيسى.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال؛ لأن الله ـ جلّ ثناؤه ـ حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في الموارثة، والصلاة عليه، وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كلّ كتابيّ يؤمن بعيسى قبل موته؛ لوجب ألَّا يرث الكتابيّ إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار، أو البالغون منهم من أهل الإسلام؛ إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير، ولا بالغ مسلم؛ كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم، يموت ولا وارث له، وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره؛ لأنَّ من مات مؤمناً بعيسى؛ فقد

مات مؤمناً بمحمد وبجميع الرسل، وذلك أن عيسى ـ صلوات الله عليه ـ جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين ـ صلى الله عليهم ـ، فالمصدّق بعيسى، والمؤمن به: مصدّق بمحمد، وبجميع أنبياء الله ورسله؛ كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله، فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد مكذباً.

فإن ظنَّ ظانٌّ: أن معنى إيمان اليهوديّ بعيسى، الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] إنما هو إقراره بأنه لله نبيّ مبعوث، دون تصديقه بجميع ما أتى به من عند الله؛ فقد ظنّ خطأً؛ وذلك أنه غير جائز أن يكون منسوباً إلى الإقرار بنبوَّة نبيّ من كان له مكذباً في بعض ما جاء به من وحي الله وتنزيله، بل غير جائز أن يكون منسوباً إلى الإقرار بنبوة أحد من أنبياء الله؛ لأن الأنبياء جاءت الأمم بتصديق جميع أنبياء الله ورسله؛ فالمكذب بعض أنبياء الله في بعض ما أتى به أمته من عند الله، مكذب جميع أنبياء الله فيما دعوا إليه من دين الله عباد الله.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان الجميع من أهل الإسلام مجمعين على أن كل كتابي مات قبل إقراره بمحمد ـ صلوات الله عليه ـ وما جاء به من عند الله، محكوم له بحكم الملة التي كان عليها أيام حياته، غير منقول شيء من أحكامه في نفسه وماله وولده ـ صغارهم وكبارهم ـ بموته عما كان عليه في حياته؛ أدلّ الدليل على أن معنى قول الله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، إنما معناه: إلا ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى، وأن ذلك في خاصّ من أهل الكتاب، ومعنيٌّ به أهل زمان منهم دولة أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى، وأن ذلك كائن عند نزوله.

كالذي عن أبي هريرة: أن نبيّ الله ﷺ قال: «**الأنْبِياءُ إخْوَةٌ لِعَلّاتٍ؛ أُمّهاتُهُمْ شَتّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وإنّي أوْلى النّاسِ بعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؛ لأنّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيّ، وَإنّهُ نازِلٌ، فإذَا رأيْتُمُوهُ فاعْرِفُوهُ؛ فإنّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعُ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ وَالبَياضِ، سَبْطُ الشّعْرِ، كأنّ رأسَهُ يَقْطُرُ وَإنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بينَ مُمَصّرَتَيْنِ، فَيَدُقّ الصّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجزْيَةَ، وَيُفِيضُ المَال،**

وَيُقاتِلُ النَّاسَ على الإسْلامِ حتى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمانِهِ المِلَلَ كُلّها غيرَ الإسْلام، ويُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمانِهِ مَسِيحَ الضّلالَةِ الكَذّابَ الدَّجّالَ، وَتَقَعُ الأمَنَةُ فِي الأَرْضِ فِي زَمانِهِ؛ حتى تَرْتَعَ الأُسُودُ معَ الإبِلِ، والنّمُورُ مَعَ البَقَرِ، وَالذّئابُ مَعَ الغَنم، وَتَلْعَبُ الغِلْمانُ وَالصبيانُ بالحَيّاتِ لا يَضُرّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، ثُمّ يَلْبَثُ فِي الأَرْضِ ما شاء الله» ـ وربما قال: «**أَرْبعينَ سَنة ـ، ثم يُتوفى ويُصَلي عَليه المُسلِمُون وَيَدْفنُونه**»[1].

قلت: في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نَفْسي بِيَده؛ ليوشكَنَّ أن يَنْزِلَ فيكم ابنُ مَريم حكماً مُقْسطاً، فَيَكْسِر الصليب، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، ويفيض المالُ حتى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**».

ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]».

وهذا صريح في أن مذهب أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن الضمير في: ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ يعود على عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ولا نعلم له مخالفاً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ: «وقوله: ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾: عيسى»، يريد أن الضمير في «موته» عائد على عيسى، فهو تفسير للضمير.

وهذا هو الثابت في «الأصول الثلاثة»، وفي «جامع المسانيد»، و«تفسير ابن كثير»: قبل موت عيسى؛ بدون ذكر الضمير؛ فيكون تفسيراً لمعنى الآية، لا حكاية للفظها، ثم تفسير اللفظ، والأمر قريب.

وهذا هو المعنى الصحيح للآية؛ أنه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى؛ كما قال الطبري.

---

(١) «جامع البيان» (٧/٦٧٢ ـ ٦٧٤).

وهو - أيضاً - يردُّ على من أنكر أن عيسى - عليه السلام - لا يزال حيًّا في السماء لم يمت، وأنه رفعه الله إليه.

ويدل على أنه سينزل من السماء في آخر الزمان؛ كما ثبت من الأحاديث المتواترة في ذلك»[1].

ب - قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦].

وقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١١٠].

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل هذه الآيات: أن عيسى كلَّمهم في المهد، وسيكلمهم إذا نزل لقتل الدجال، وهو يومئذ كهل.

وقد ذهب إلى ذلك جمع من السلف.

وثمة أمر آخر: أن كل الناس يتكلمون كهولاً؛ فما معنى تخصيص عيسى بذلك؟! إلا أن يكون خرقاً للمألوف المعتاد، وهذا لا يتحقق إلا بنزوله من السماء!

ت - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٦١].

أي: أن نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان دليل على اقتراب الساعة، فهي تُعلم بنزوله، فلا تشكَّن فيه.

وهذا هو القول الصحيح في تأويل هذه الآية: لأن النبي ﷺ فسرها بذلك.

أخرج ابن حبان بإسناد صحيح عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، قال: «**نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ**».

---

(١) «شرح المسند» (١٥/٢٧ - ٢٨).

قال شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «واعلم أن الحديث صريح الدلالة على أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعود إلى عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ، وليس إلى القرآن ـ كما روي عن بعضهم ـ؛ ولذلك قال الحافظ ابن كثير:

«بل الصحيح: أنه عائد على عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ؛ فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾، أي: قبل موت عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ قبل يوم القيامة، إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً»»[1].

٢ ـ أحاديث نزول عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ متواترة:

صرح جمهور المحدثين والمحققين بتواتر أحاديث نزول عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ في آخر الزمان؛ كالطبري، والنووي، والقاضي عياض، وابن تيمية، والذهبي، وابن قيم الجوزية، وابن كثير، وابن حجر، والشوكاني، والألوسي، وابن عطية، وأبو حيان، وصديق حسن خان، والكتاني، وأحمد شاكر، وشيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ـ، وغيرهم.

وقد صنف محمد أنور شاه الكشميري كتابه الفذ: «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، فقال (ص٥٦) تحت عنوان: أحاديث نزول عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ متواترة: «ولعلك عرفت مما ذكرنا أن الأحاديث في هذا الباب متواترة، وقد صرح به جماعة من المحدثين» وذكرهم.

وقال شيخنا محدث العصر الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وللرد على أصحاب هذه الطريقة مفصلاً مجال آخر غير هذا، ويكفي في ذلك اتفاق أهل العلم بالحديث وحفاظه على تواتر حديث الدجال، ونزول عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ من السماء؛ كالحافظ ابن كثير، وابن حجر وغيرهما، بل إن الإمام الشوكاني ألف رسالة سماها: «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح».

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/٦٣٤ ـ ٦٣٥).

وقد تيقَّنت ـ أنا شخصيًا ـ بتواتر أحاديث الدجال وعيسى. . .»[(١)].

٣ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «هل يبقى مدة طويلة في الأرض أم لا؟ لم يأت في هذا سنَّة صريحة صحيحة عن النبي ﷺ»[(٢)].

قال أبو أسامة الهلالي ـ ختم له بالخير ـ: لم يقف شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ على ما صح في ذلك؛ فإن عيسى ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ يمكث في الأرض أربعين سنة، فقد أخرج أبو داود وابن حبان وأحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم؛ كما قال الحافظ في «فتح الباري» **(٤٩٣/٦)** وأقره شيخنا الألباني في «الصحيحة» **(٢١٨٢)** من حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ:

أن النبي ﷺ قال: «**الأنبِيَاءُ إخْوَة لعلاَّت، أُمَّهاتِهِم شَتَّى ودينُهم واحدٌ، وإنّي أولى النَّاس بعيسى بن مريم؛ لأنَّهُ لم يكُنْ نَبِيٌّ بيني وبَيْنَه، وإنه نازِلٌ فاعْرِفوه؛ رجُل مَرْبُوع إلى الحُمْرَةِ والبياض عليه ثوبان مُمَصَّران، كأنَّ رأسه يَقْطر وإن لم يُصْبه بللٌ، فَيَدُق الصَّلِيبَ، ويَقْتُلُ الخِنزيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةِ، ويدعو النَّاس إلى الإسلام، ويُهْلِكَ الله في زمانه المِلَلَ إلا الإسلام، وَيُهْلِكَ اللَّهُ في زَمَانِهِ المَسِيحَ الدَّجال، ثم تقَع الأمنَةُ على الأرض؛ حتى تَرْتع الأُسُودُ مع الإبِلِ، والنِّمار مع البقَرِ، والذِّئابُ مع الغَنَم، ويَلْعَبُ الصبيانُ بالحيَّات لا تضُرُّهُم، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَة، ثم يتَوَفَّى ويصَلي عليه المسْلِمون**».

وأما ما ورد في السبع سنين؛ فهو مكث الناس بعده ـ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ على سيرته وعلى هدى رسول الله ﷺ، ثم يحدث التغير، ويدل على ذلك: أنه ورد في حديث أبي أمامة عند ابن ماجه: «**ثم يلبث الناس بعده سنين سبعاً؛ ليس بين اثنين عداوة**».

ولذلك مدح رسول الله ﷺ العيش بعد المسيح؛ كما في حديث أبي هريرة عند أبي بكر الأنباري في «حديثه»، وابن المحب في «صفات رب العالمين» بإسناد صحيح؛ كما قال شيخنا في «الصحيحة» **(١٩٢٦)**:

---

(١) «قصة المسيح الدجال» (ص٢٤ ـ ٢٥).

(٢) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥٠٣).

قال رسول الله ﷺ: «**طُوبى لِعيْشٍ بَعْدَ المَسِيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يُؤَذّن للسَّمَاءِ فِي القَطْرِ، ويُؤَذّنُ للأَرْضِ في النَّباتِ؛ حَتّى لو بَذَرْتَ حَبَّكَ على الصَّفَا لَنَبَتْ، وحتّى يَمُرَّ الرَّجُلُ على الأَسَدِ فلاَ يَضُرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تَضُرُّه، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض**».

٤ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:

«هل عيسى بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ رفع حيًّا أو ميتاً؟

في هذا قولان للعلماء:

فمنهم من قال: إنه رفع حيًّا، ومنهم من قال: إنه رفع ميتاً.

وقد استدل الأولون بقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]. يعني: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن بعيسى بن مريم قبل موته، وذلك إشارة إلى نزوله في آخر الزمان. واستدلوا ـ أيضاً ـ بقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. فرفعه حيًّا، وهذا القول هو الراجح، ولا يضعفه قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]؛ لأن المراد بالوفاة هنا، وفاة النوم، فإن النوم يسمى وفاة؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. ولقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. وهذه الوفاة الكبرى ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤٢]. يعني: يتوفى التي لم تمت في منامها، وهذه هي الوفاة الصغرى.

وهذا هو القول الراجح، وإنما رفعه الله تعالى نائماً من أجل تخفيف الأمر عليه، وبه يتبين الفرق بين عيسى، ومحمد ﷺ، فإن الله رفع محمداً إلى السمٰوات يقظة، وتحمل، وصبر، ولم يختلف فيه لا سمعه، ولا بصره، ولا عقله، ولا فكره صلوات الله وسلامه عليه، أما عيسى فرفع نائماً.

وقال بعضهم: إنه رفع حيًّا، لكننا لا نتيقن أنه نائم؛ لأنه يقال: توفى الشيء، بمعنى: قبضه، كما يقول قائل: توفيت حقي من فلان، أي:

قبضته، ولا يلزم أن يكون نائماً، لكن القول الذي قبل هذا أصح»[1].

٥ ـ وقال:

«متى ينزل عيسى ابن مريم؟

والجواب: أنه ينزل حين تشتد قوة فتنة الدجال، فإن الدجال رجلٌ خبيثٌ، وهو دجال على اسمه، ماكر يدّعي الربوبية، ويتبعه من شاء الله أن يتبعه، ويبقى في الأرض أربعين يوماً، اليوم الأول كسنة، والثاني كشهر، والثالث كأسبوع، وبقية الأيام كأيامنا.

ثم ينزل عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقتله، فيقتله بباب لُدّ، وهي قرية من قرى فلسطين، وقد ورد أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق أو عندها، فيتبع الدجال، ثم يقتله»[2].

٦ ـ وقال:

«ادعى بعض المتحذلقين: أن أبا بكر ليس أفضل هذه الأمة، وأن عيسى أفضل من أبي بكر، وعيسى من هذه الأمة؛ لأنه يحكم بشريعة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيقال: تعاسة لرأيك! إن عيسى ليس في مقام أو مرتبة أبي بكر، حتى يفاضل بينه وبينه، فإن عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مقام النبوة، بل في مقام الرسالة، بل في مقام أولي العزم، ولا وجه للمفاضلة.

ولا شك أن القلب المائل سيجد في هذا القول حطًّا من قدر أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حينما نقول: إنه أفضل هذه الأمة، فيعترض على هذا بأن عيسى أفضل، والصواب أنه لا مفارقة بين أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو سيد الصديقين، وبين عيسى بن مريم، وهو من أولي العزم من المرسلين»[3].

٧ ـ قصة المسيح ونزوله في آخر هذه الأمة حكماً عدلاً، تدل دلالة واضحة على: أن المستقبل للإسلام وحده، بإذن الله وحده؛ من وجوه متعددة:

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥٠٠ ـ ٥٠٢).
(٢) المرجع السابق (ص٥٠٢).
(٣) المرجع السابق نفسه (ص٥٠٣).

أولاً: نزول عيسى - عليه السلام - يكون في الأمة الإسلامية؛ ليكون حاكماً عادلاً؛ مما يدل على أن الإسلام سينتشر في زمانه انتشاراً عظيماً.

ثانياً: أن جميع أهل الكتاب في زمانه يؤمنون به، ويدخلون في الإسلام؛ لأنه لا يقبل الجزية.

ثالثاً: قيامه بالعمرة والحج؛ يدل على إعلاء شعائر الدين.

رابعاً: دعوته الناس إلى الإسلام، وهلاك جميع الملل إلا الإسلام؛ تصريح أن المستقبل للإسلام وحده.

خامساً: قتله للدجال الذي ملأ الأرض ظلماً وشرًّا، دليل على أن المستقبل للإسلام، الذي سيملأ الأرض إيماناً وأمناً وأماناً.

سادساً: قتله للخنزير، وكسره الصليب، ووضع الجزية يدل؛ على أمرين:

أ - انتهاء الصليبية المنتسبة إليه ظلماً وجوراً، وهي من أكثر أهل الأرض عدداً.

ب - انتصار الإسلام، وانتشاره وسيطرته.

٨ - وأحاديث نزول عيسى - عليه السلام - تدل دلالة واضحة على أن مستقبل الإسلام سيكون على منهج السلف الصالح من وجوه؛ منها:

أولاً: اتفاق العلماء على أن عيسى - عليه السلام - يحكم بكتاب الله وسنَّة رسوله محمد ﷺ، لقوله ﷺ: «... **ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً**»، **وقوله**: «**كَيفَ أنتُم إِذَا نَزلَ ابنُ مريمَ فأَمَّكُم؟**»، والكتاب والسنَّة مرجعية المنهج السلفي.

ثانياً: عيسى بن مريم - عليه السلام - نبي وصحابي: أما إنه نبي؛ فظاهر، وأما إنه صحابي؛ فقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، ولذلك؛ فهو آخر الصحابة موتاً.

قال الذهبي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - صحابي ونبي؛ فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء وسلَّم عليه، فهو آخر الصحابة موتاً»[1].

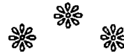
فدل على أن المستقبل للإسلام بمنهج السلف الصالح.

ثالثاً: ائتمامه في الصلاة بالمهدي دليل على أن المستقبل للإسلام بمنهج السلف؛ لأن المهدي حاكم سلفي، وأمير الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وخليفة راشد.

رابعاً: الطائفة المنصورة يقاتل آخرها الدجال، والذي يقتله المسيح - عليه الصلاة والسلام -؛ فدل على أن المسيح بن مريم يقود في معركته الأخيرة مع الدجال الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وهم أتباع السلف الصالح أهل الحديث والسنَّة والجماعة.

خامساً: الجيش الذي يقوده المسيح - عليه الصلاة والسلام - هو الذي يفتح القسطنطينية، ويكون عائداً إلى الشام، وهو جيش المهدي - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -.

سادساً: هلاك اليهود واستئصالهم من الأرض يكون في زمانه، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي ورائي تعال فاقتله؛ دليل على أن المستقبل للإسلام بمنهج السلف؛ لأن هذا الجيل الذي أقام العبودية لله هو الذي سيحقق ذلك.



(١) «تجريد أسماء الصحابة» (٤٣٢/١).

٧٣ ـ باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان

٢٤٨ ـ {١٥٧} حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ـ يَعْنُونَ: ابْنَ جَعْفَرٍ ـ عَنِ الْعَلاَءِ ـ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ ـ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ**: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه ثلاثة شيوخ قرن بينهم.

٣ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيوخه الثلاثة.

٤ ـ **قوله: (يعنون: ابن جعفر)، وقوله: (وهو ابن عبدالرحمٰن)** مراده: أن مشايخه لم ينسبوا إسماعيل والعلاء إلى أبويهما؛ فأراد أن يوضح ذلك لتلاميذه، فزاد كلمة «يعنون» وكلمة: «وهو» فصلاً بين ما نقله وبين ما زاده من عنده.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٤٦٣٥ و٤٦٣٦ و٦٥٠٦ و٧١٢١**).

٦ ـ هذا الحديث مختصر من الحديث الذي ساقه الإمام البخاريّ ـ رحمه الله ـ في أواخر «كتاب الفتن» بطوله (**٧١٢١**):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبدالرحمٰن، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة، حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ، دعوتهما واحدة، وحتى يُبْعَث دجالون، كذابون، قريب من ثلاثين، كلُّهم يَزْعُمُ أنه رسول الله، وحتى يُقبَض العلم، وتَكثُر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفِتَن، ويَكْثُر الهَرْج** - وهو القتل - **وحتى يكثر فيكم المال، فيَفِيضَ حتى يُهِمَّ ربُّ المال من يَقْبَل صدقته، وحتى يَعْرِضه عليه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يَمُرَّ الرجلُ بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تَطلُع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، ورآها الناس، يعني: آمنوا أجمعون، فذلك حين:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، **ولَتَقُومنّ الساعةُ، وقد نَشَرَ الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يَطوِيانه، ولتقومنَّ الساعةُ، وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحَته، فلا يَطْعمه، ولتقومن الساعة، وهو يَلِيط حوضه، فلا يَسْقِي فيه، ولتقومنّ الساعةُ، وقد رَفَع أُكْلته إلى فيه، فلا يَطْعمها**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها): الساعة: كلمة يُعبَّر بها في العربية عن جزءٍ من الزمان غير محدود، وفي العرف: على جزءٍ من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة اللّذَين هما أصل الأزمنة.

وتقول العرب: أفعل كذا الساعة، وأنا الساعة في أمر كذا، تريد الوقت الذي أنتَ فيه، والذي يليه تقريباً له.

وحقيقة الإطلاق فيها: أن الساعة بالألف واللام، عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن.

وسُمِّيت القيامةُ ساعةً؛ إمّا لقربها، فإن كلّ آتٍ قريب، وإمّا تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود، وتكسر العظام.

وقيل: لأنها تأتي بغتة في ساعة.

وقيل: غير ذلك؛ قاله صديق حسن خان القنوجي في «الإذاعة».

قلت: وأشراط الساعة: هي العلامات الدالة على قيام الساعة، وعلى قرب وقوعها ممن أدركها، والله أعلم.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ جعل علامات بينات تدل على قرب فناء هذا العالَم المشاهد، وتغير نظام الكون، والانتقال إلى الدار الآخرة حيث الحساب بعد عقبات ومواقف، ثم إلى جنة أو نار وفيهما القرار.

من هذه العلامات البينات المذهلات التي تدهش الألباب، وتشده العقول التي في القلوب، وتضطرب وتترجف الأجساد، وتفزع العباد ظاهرة لها أكبر أثر في خوف العباد من يوم المعاد، وقلة الزاد، ظاهرة كونية قدرية بمشيئة ربانية؛ ألا وهي: ظاهرة طلوع الشمس من مغربها.

فحرص الرسول الذي وصفه الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وهو الوالد الرحيم، والعالم، والمربي، والناصح الأمين كعادته أن يدلنا على كل خير يعلمه، ويحذرنا من كل شر يعلمه أن يغتنم جلوس الصحابة يوماً في المسجد عند غروب الشمس؛ ليخبرهم بخبرها الذي ستؤول إليه قبل فناء هذا الكون المشاهد، وتبدل السماوات والأرض. فقال لهم: إن القيامة لا ولن تقوم حتى تقع هذه الظاهرة، وأن الظواهر الطبيعية التي تحصل هي من قضاء الله وقدره، لحكمة يعلمها هو، وليست من تلقاء نفسها لا مدبر لها.

قوله: (فإذا طلعت من مغربها آمن بها الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]**)** إذا حصل ما أخبرت به آمن جميع الناس المسلم والكافر سواء لما رأوا من عظم هذه الحادثة التي أكدت صحة فساد العالم، عند ذلك الوقت لا تقبل التوبة، ولا العمل الصالح من المسلم، ولا إسلام الكافر، فتكون هذه العلامة على انتهاء، وقت قبول التوبة، حيث تطوى الصحف، وترفع الأقلام؛ فلا ينفع الإنسان إلا ما قدّم من عمل صالح.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ قيام الساعة أمر ثابت، لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه، وهو من أصول الإيمان.

٢ ـ أنّ المقصود بالساعة هنا قيام القيامة، وانتهاء الدنيا، وفناؤها.

٣ ـ أنّ الشمس آية كونية عظيمة، بل من أعظم الآيات.

٤ ـ إثبات علامات وقوع الساعة وأماراتها.

٥ ـ بيان سعة رحمة الله حيث أمهل العصاة أمداً طويلاً، حتى لا يقنط العبد من رحمة ربه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

٦ ـ أنّ التوبة مقبولة من المسلم العاصي والكافر؛ إلا إن حضره الموت عند الغرغرة، وعند طلوع الشمس من مغربها.

٧ ـ أنّ طلوع الشمس من مغربها: دليل على بدء اختلال فساد نظام العالم وقرب انتهائه.

٨ ـ أنّ الناس يؤمنون بما يشاهدونه ما لا يؤمنوا به من غير المشاهد.

٩ ـ أنّ هذه الحالة دليل على ضعف الإيمان، وقلة العلم.

١٠ ـ أنّ هذا الحديث هو تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

١١ ـ قال الطيبي: «الآيات أمارات للساعة: إمّا على قربها، وإمّا على حصولها.

فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف.

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس، وحديث الباب يؤذن بذلك؛ لأنه جعل في طلوعها

من المغرب غاية لعدم قيام الساعة؛ فيقتضي أنها إذا طلعت كذلك انتفىٰ عدم القيام؛ فثبت القيام».

١٢ ـ قال الحافظ: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار أنّ خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأنّ طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة».

١٣ ـ وقال: «ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

وقد أخرج مسلم من طريق أبي زرعة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رفعه: «**أول الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى؛ فالأخرى منها قريباً**».

قال الحاكم أبو عبدالله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه».

١٤ ـ وقال ـ أيضاً ـ: «والحكمة في ذلك: أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة».

١٥ ـ وقال الحافظ ـ أيضاً ـ «والحكمة في عدم نفع التوبة؛ أنّ هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة، وارتفع الإيمان بالغيب، وهو كالإيمان عند الغررة، وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله».

قلت: ونحوه كلام شيخ شيوخنا العلامة عبدالرحمٰن السعدي ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» في قوله: «والحكمة في هذا ظاهرة؛ فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب، وكان اختياراً من العبد، فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبقَ للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان

الغريق والحريق ونحوهما، ممن رأى الموت أقلع عمّا هو فيه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٤ و٨٥]».

١٦ ـ وقال السعدي ـ أيضاً ـ: «أنّ الله ـ تعالى ـ حكيم قد جرت عادته وسنّته: أنّ الإيمان إنما ينفع إذا كان اختيارياً لا اضطرارياً».

١٧ ـ الإنسان يكتسب الخير بإيمانه، فالطاعة، والبر، والتقوى إنما تنفع، وتنمو إذا كان مع العبد الإيمان، فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك.

١٨ ـ قال الحافظ: «أخرج عبد بن حميد، والطبري بسند صحيح من طريق عامر الشعبي، عن عائشة: «**إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام، وطويت الصحف، وخلصت الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال**» وهو وإن كان موقوفاً؛ فحكمه الرفع.

ومن طريق العوفي، عن ابن عباس نحوه.

وعن ابن مسعود قال: «الآية التي يختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها».

فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع؛ بل يمتد إلى يوم القيامة».

١٩ ـ وقال الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ويؤخذ منها: أن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة، وفي ذلك ردٌّ على أصحاب الهيئة ومَن وافقهم: أن الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة لا يختلف عن مقتضياتها، ولا يتطرق إليها تغيير ما هي عليه.

قال الكرماني: وقواعدهم منقوضة، ومقدماتهم ممنوعة، وعلى تقدير

تسليمها؛ فلا امتناع من انطباق منطقة البروج التي هي معدل النهار بحيث يصير المشرق مغرباً وبالعكس».

٢٠ ـ استدل «صاحب الكشاف» بهذه الآية للمعتزلة فقال: قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة لقوله: ﴿نَفْسًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ عطف على ﴿ءَامَنَتْ﴾.

والمعنى: أن أشراط الساعة إذا جاءت، وهي آيات ملجئة للإيمان ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ من غير مقدمة إيمانها قبل ظهور الآيات، أو مقدمة إيمانها من غير تقديم عمل صالح، فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة، وبين النفس التي آمنت في وقته، ولم تكتسب خيراً؛ ليعلم أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى؛ حتى يفوز صاحبها ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك. قاله الحافظ.

٢١ ـ قال القاضي عياض: «وهو ـ أي الحديث ـ على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة، خلافاً لمن تأوله من المبتدعة والباطنية».



حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ. (ح) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، كِلَاهُمَا عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ ذَكْوَانَ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي ﷺ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان سعة حفظ الإمام مسلم، وكثرة أخذ الحديث عن الشيوخ.

٢ ـ بيان طريقة الإمام مسلم في اختصار طرق الحديث.

٣ ـ فيه الرواية عن الصحف الحديثية، وهي صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

٤ ـ رواية أبي زرعة هذه: أخرجها الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «التفسير» من «صحيحه» **(٤٦٣٥)**: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبدالواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها، فذاك حين:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨]».

وأما رواية الأعرج هذه: أخرجها الإمام البخاريّ ـ رحمه الله ـ أيضاً ـ في «صحيحه» **(٦٥٠٦)**: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبدالرحمٰن، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨]، **ولتَقُومنَّ الساعةُ، وقد نَشَرَ الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يَطويانه، ولتقومنّ الساعة، وقد انصَرَف الرجل بلبن لِقْحَته، فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة، وهو يَلِيط حوضه، فلا يَسقِي فيه، ولتقومنّ الساعةُ، وقد رَفَع أحدكم أُكلته إلى فيه، فلا يَطْعَمُهَا**».

وأما رواية معمر عم همّام: أخرجها الإمام البخاريّ ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» ـ أيضاً ـ **(٤٦٣٦)**: حدثني إسحاق، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن همّام، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة، حتى تطلُع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾» ثم قرأ الآية.



٢٤٩ ـ {١٥٨} وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ يُوسُفَ الأَزْرَقُ، جَمِيعاً عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]: **طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، والدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين.

٣ ـ **قوله: (واللفظ له)** أي: لمحمد بن العلاء، وأما شيخاه أبو بكر وزهير؛ فروياه بالمعنى.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً).

«**ثلاث**»: أي ثلاث آياتٍ، أو علامات.

«**إذا خرجن**» أي: ظهرن، وشاهدها الناس.

والمعنى: أنّ ثلاث علامات من أشراط الساعة إذا وقعن وظهرن للناس عياناً؛ فإنه لا ينفع الكافر إيمانه، وإسلامه في ذلك الوقت، ولا تقبل

زيادة عمل صالح من عاملٍ؛ وذلك؛ لأن الإيمان يكون اضطرارياً لما يُرى من تغير أحوال العالم.

قوله: (طلوع الشمس من مغربها، والدجَّال، ودابة الأرض): تقدم الكلام على طلوع الشمس من مغربها.

وأما **(الدجال)**؛ فهو: الكذاب، والمموه، والمغطي، واشتقاق الدجال من هذا؛ لأنه يغطي الأرض بالكذب والتمويه، ويغطي الحق بباطله.

وأما **(دابة الأرض)**؛ فإشارة إلى أن خلقها ليس بطريق التوالد كبقية الدواب المعروفة، بل بالخروج من الأرض على هيئتها الكاملة.

فقه الحديث:

١ ـ مذهب أهل السنَّة والجماعة حمل هذه الآيات على ظاهرها والإيمان بها على حقيقتها؛ إذ لا إحالة فيها، وهي ممكنة في أنفسها، وقد تواترت الأحاديث الصحاح بها، مع كثرتها، وشهرتها، فيجب الإيمان بها، ولا يلتفت لشيء من تأويلات الباطنية المبتدعة لها، ومن ذلك ما ذكره القرطبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«قال بعض المتأخّرين من المفسّرين: الأقرب أن تكون هذه الدابّة إنساناً متكلِّماً، يناظر أهل البِدَع والكفر، ويُجادلهم؛ لينقطعوا، فيَهلِك من هَلَك عن بيّنة، ويَحيَى من حَيَّ عن بيّنة»[1].

ثم قال القرطبيّ: «وإنما كان هذا عند هذا القائل الأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]، وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابّة آيةٌ خاصّة خارقة للعادة، ولا تكون من جملة العشر الآيات المذكورة في الحديث؛ لأن وجود المناظرين والمحتجّين على أهل البدع كثيرٌ، فلا آية خاصّة، فلا ينبغي أن تُذكَر مع العشر، وترتفع خصوصيّة وجودها.

ثم فيه العدولُ عن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي يَحتجّ على أهل الأرض باسم الإنسان، أو بالعالم، أو بالإمام إلى أن يُسمَّى

---

(١) «المفهم» (٧/٢٤٠).

بدابّة، وهذا خروج عن عادة الفصحاء، وعن تعظيم العلماء، وليس ذلك دأب العقلاء، فالأولى ما قاله أهل التفسير ـ أي: من كونها دابّة من ذوات الأربع ـ قال: وأما كيفيّة صفتها وخلقتها، وبماذا تُكلّمهم، فالله أعلم بذلك».

٢ ـ طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية العلوية، وظهور دابة الأرض أول الآيات الأرضية السفلية، وأيتها كانت قبل صاحبتها؛ فأختها على إثرها.

٣ ـ استدل بهذا الحديث على أن خروج الدجال مذكور في القرآن الكريم حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فإن الحديث فصل هذه الآيات، وأنها: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض.

٤ ـ وقد بيّن الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ سرّ اقتران هذه الآيات الثلاثة مع بعضها في هذا الحديث وإن كان بين خروج الدجال وطلوع الشمس أزمان؛ فقال:

«الذي يترجَّح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجَّال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامَّة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعلَّ خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب».

وقال أيضاً:

«إذا طلعت الشمس من المغرب؛ أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك وإن ذلك لا يختصُّ بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة، وإن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة»(١).

٥ ـ وقع إشكال كبير في هذا الحديث؛ وهو: كيف لا ينفع الإيمان

---

(١) «فتح الباري» (١١/٣٥٣ و٣٥٥).

مع خروج الدجال، ومن المتواتر: أن نزول عيسى بعده، وأن لا يقبل من الناس إلا الإسلام؛ فدل على أن إسلام الكافر ينفع وتوبة العاصي تقبل؟!

قال الحافظ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

«قال البيهقي في «البعث والنشور»: باب خروج يأجوج ومأجوج، فصل: ذكر الحليمي: أن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى؛ لأن طلوع الشمس من المغرب؛ لو كان قبل نزول عيسى؛ لم ينفع الكفَّار إيمانهم في زمانه، ولكنه ينفعهم، إذ لو لم ينفعهم؛ ما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم.

قال البيهقي: وهو كلام صحيح، لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور: إن «**أول الآيات طلوع الشمس من المغرب**»، وفي حديث عبدالله بن عمرو: «**طلوع الشمس أو خروج الدابَّة**»، وفي حديث أبي حازم عن أبي هريرة الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان.

قال البيهقي: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق؛ احتمل أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا، وتطاول الزمان، وعاد بعضهم إلى الكفر؛ عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال، لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال، وينفعه بعد انقراضه، وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى؛ احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث عبدالله بن عمرو آيات أخرى غير الدجال ونزول عيسى».

قال الحافظ:

«قلت: وهذا الثاني هو المعتمد»[1].

ظاهر كلام البيهقي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أنه كان يرى أن التوبة لا تنفع بظهور واحد من الثلاثة: الدجال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأن هناك استثناء لذلك، وهو المدة التي يحكم بها عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بعد الدجال، حيث تقبل توبة من تاب؛ لأن الله يُهلك الملل كلها إلا الإسلام.

---

(١) «فتح الباري» (١١/٣٥٤).

والصواب في دفع هذا الإشكال ما قاله بعض أهل العلم:

أن معنى: «ثلاث إذا خرجن»؛ أي: انتهى خروجهن كلهن، فمن لم يؤمن ولم يتَّعظ عند خروج الآية الأولى ـ وهي الدجَّال ـ وهو يشاهد فتنه وضلالاته؛ فهو ممَّن ران الكفر على قلوبهم؛ فعند ذلك لا تنفعه توبته عند مشاهدة الآية العظمى؛ وهي: طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض.

وهذا بمعنى الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم بإسناد حسن عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر**».

فالذي يمرض مرض الموت، ولا يبادر إلى التوبة؛ أملاً منه أنه سيشفى ويعيش بعدها؛ لا تنفعه التوبة عند معاينة ملك الموت عند الغرغرة.

وهذا ما حصل مع فرعون؛ فإنه آمن عند معاينة العذاب، فلم ينفعه ذلك.

قال تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠ و٩١].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «آمن حيث لا ينفعه الإيمان، ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾؛ أي: أهذا الوقت تقول وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه وكنت من المفسدين في الأرض الذين أضلوا الناس»(١).

وهذا المعنى هو الذي تدلُّ عليه آيات الكتاب: أن التوبة لا تنفع عند معاينة العذاب؛ إلا مَن استثنى الله ـ عز وجل ـ؛ قوم يونس ـ عليه السلام ـ.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٤٣٠).

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥٠ و٥١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ و٨٥].



٢٥٠ ـ {١٥٩} حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعاً عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ. قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ ـ سَمِعَهُ فِيمَا أَعْلَمُ ـ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْماً: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لاَ يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئاً حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ، تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا**». فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (**٦١/١١٢**).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: يونس عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه.

٤ ـ رواية يونس عن إبراهيم من رواية الأقران؛ لأنهما من الطبقة الخامسة.

٥ ـ يونس في هذا الإسناد هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي؛ كما صرح بذلك أبو نعيم في «المستخرج» **(١/٢٢١/٣٩٧)** من طريق مؤمل بن هشام عن ابن علية عنه به.

وكذلك ابن حبان في «صحيحه» **(١٤/٢١/٦١٥٣)** من طريق إسحاق بن إبراهيم عن إسماعيل بن إبراهيم ـ وهو ابن علية ـ عنه به.

قال ابن حبان: هكذا قال إسحاق: «عن يونس بن عبيد عن إبراهيم التيمي».

والمشهور هذا الخبر عن يونس بن خباب عن إبراهيم التيمي.

وكلام ابن حبان يشعر أن إسحاق تفرد بقوله: «ابن عبيد» وليس كذلك، فقد تابعه مؤمل بن هشام عند أبي نعيم، فافهم، والله تعالى أعلم.

٦ ـ قوله: **(عن إبراهيم بن يزيد التيمي سمعه ـ فيما أعلم ـ عن أبيه)** هذه رواية ابن علية عند المصنف، وليست في رواية خالد الطحان التالية، ولا في رواية الأعمش.

والظاهر: أن ابن علية لم يجزم به هنا، وجزم به غيره، والله أعلم.

٧ ـ حديث أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ الإمام البخاري **(٤٨٠٢ و٤٨٠٣ و٧٤٣٣)**.

* غريب الحديث:

قوله: (أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟): سؤال استفهام.

والمعنى: أتعرفون أو تعلمون عن مسير هذه الشمس؟ أين تذهب؟ وهذا ليُلفت أنظارهم، وتتهيأ لما سيُلقىٰ إليها من العلم، وهذا أسلوب نبوي فريد.

قوله: (قالوا: الله ورسوله أعلم): قال الصحابة: أنّ الله ـ تعالى ـ هو العالم بمسير ومصير خلقه، وكيفية ذلك، ورسوله ﷺ يعلم أين تذهب؛ لأنّ الله أوحى إليه ذلك.

قوله: (إنّ هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش؛ فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً؛ حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك، تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها).

قوله: (إن هذه) أي: الشمس.

قوله: (تجري حتى تنتهي إلى مستقرها) أي: محل استقرارها، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

قوله: (تحت العرش) أي: أنها تمر مرًّا سريعاً إلى مستقرها الكائن تحت العرش.

قال الحافظ ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «في معنى قوله: ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] قولان: أحدهما أن المراد مُستَقَرّها المكانيّ، وهو تحت العرش، مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش، هي وجميع المخلوقات؛ لأنه سَقْفُها، وليس بِكُرَة، كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة، وإنما هو قُبَّةٌ، ذات قوائم، تحمله الملائكة، وهو فوق العالم، مما يلي رؤوس الناس، فالشمس إذا كانت في قُبّة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت في فَلَكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام، وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون إلى العرش، فحينئذ تسجد، وتستأذن في الطلوع، كما جاءت في ذلك الأحاديث.

وقيل: المراد بِمُستقرّها هو انتهاء سيرها، وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف، وهو أَوْجُها، ثم غاية انخفاضها في الشتاء، وهو الحضيض.

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يَبطُل سيرها، وتسكن حركتها، وتُكَوَّر، ويَنتهِي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزمانيّ»[1].

وقال الحافظ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وأما قوله: «تحت العرش» فقيل: هو حين محاذاتها، ولا يخالف هذا قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]؛ فإن المراد بها نهاية مُدْرَك البصر إليها حال الغروب، وسجودُها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

قال: وفي الحديث رَدٌّ على من زَعَمَ: أن المراد بمستقرّها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول يوم في السنة، وقيل: إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا.

وقال الخطابيّ: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لا نحيط به نحن، ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ عِلْمَ ما سألت عنه من مُستقرِّها تحت العرش في كتاب كُتِب فيه ابتداءُ أمور العالم ونهايتها، فيُقطع دورانُ الشمس، وتستقرّ عند ذلك، ويبطل فعلها، وليس في سجودها كلَّ ليلة تحت العرش ما يُعِيق عن دورانها في سيرها.

قال الحافظ: وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبَّرُ عنه بالجَرْي، والله أعلم»[2].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ ختم له بالخير ـ: المراد هنا مستقرها في اليوم والليلة، وهذا المعنى الذي دل عليه الحديث حق، وهو على ظاهره فنصدق أن موضع استقرارها اليومي تحت العرش، ولا ننكره؛ لأننا لا ندركه، وهو غيب يجب الإيمان به فلا نكذبه، ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط بذلك.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١١/٣٦١ ـ ٣٦٢).
(٢) «فتح الباري» (٨/٤٠٣).

قوله: (فلا تزال)؛ أي: الشمس.

قوله: (كذلك)؛ أي: على هذه الحالة، من جريانها وسجودها تحت العرش.

قوله: (حتى يقال لها ارتفعي)؛ أي: عن السجود.

قوله: (ارجعي من حيث جئت)؛ أي: من المكان الذي جئت منه، وهو مطلعها كل يوم.

قوله: (فترجع)؛ أي: إلى مكانها الذي جاءت منه.

قوله: (فتصبح طالعة من مطلعها)؛ أي: محل طلوعها، وهو المشرق.

قوله: (ثم تجري) أي: تذهب سريعة.

قوله: (لا يستنكر الناس منها شيئاً)؛ أي: لا يجهلون من حال الشمس شيئاً.

قوله: (حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها)؛ أي: يأمرها الله بالخروج من جهة المغرب فتطيع ربها فتخرج من مغربها.

والمعنى: أنّ هذه الشمس التي ترونها في السماء تجري في منزلة أو مدار خاص بها لا تخرج عنه، وأنها تقوم بالسجود لله ـ تعالى ـ، وهي تحت عرش الرحمٰن الذي هو أعلى المخلوقات، وأشرفها وهو سقف الجنة، وهي لا تزال مستسلمة منقادة لله ـ تعالى ـ لا تتحرك إلا بإذنه، فيأمرها وهي ساجدة بالقيام، والارتفاع، والعودة إلى السير، والعمل الذي رسم لها، عند ذلك ترجع للعمل؛ كما هي كل يوم من الصباح من منزلتها، ومدارها الخاص بها، وهكذا تعمل دون أي تغيير يلحظه الناس في حياتهم.

وفي يوم من الأيام يأمرها الله ـ تعالى ـ أن تصبح خارجة عن مدارها، ومنزلها لتفجىء الناس بخروجها من المغرب، فتستجيب لذلك؛ فتخرج،

وقد فزع الناس لذلك، واضطربت أحوالهم؛ لعلمهم أو شعورهم أن الدنيا قد أوشكت على الفناء.

قوله: (أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾)؛ أي: أنّ العمل الصالح عند ذلك الحدث العظيم المدهش المذهل لا يقبل؛ لانتهاء الفترة التي تقبل التوبة فيها.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب طرح العلم بصيغة السؤال.

٢ ـ سلوك طريق الأدب، وذلك بنسبة العلم إلى عالمه.

٣ ـ أنّ الحديث يفسر قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

٤ ـ أنّ الشمس من مخلوقات الله، وعبيده.

٥ ـ أنّ الشمس كسائر ما نراه جماداً أو صامتاً له حياة خاصة به فيها الإدراك.

٦ ـ أنّ أعلى المخلوقات وأشرفها؛ هو: عرش الرحمٰن.

٧ ـ وفيه إثبات صفة العلو لله ـ تعالى ـ، علواً يليق بجلاله، لا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد منهم.

٨ ـ إثبات جريان الشمس وحركتها، والرد على من أنكر ذلك.

٩ ـ بيان الوقت الذي لا يقبل فيه الإيمان، وهو طلوع الشمس من مغربها.

١٠ ـ أن الله أطلع رسوله محمد ﷺ على بعض المغيبات، وأفهمه سنن بعض المخلوقات، فأخبرنا ﷺ بها؛ لنؤمن بها، ويزداد إيماننا، ويطمئن يقيننا.

١١ ـ إثبات العرش، وأنه فوق العالم كله؛ إذ هو سقفه.

١٢ ـ بيان تغيّر الأحوال في آخر الزمان، حيث تنعكس الأمور؛ ومن ذلك: طلوع الشمس من مغربها؛ إيذاناً بزوال العالم.



{. . .} وحدّثَنِي عَبْدُالْحَمِيدِ بْنُ بَيَانٍ الْوَاسِطِيُّ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِاللّهِ ـ عَنْ يُونُسَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْماً: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ جواز نسبة الرجل إلى أُمه إذا لم يعرف إلا به أو اشتهر.

٢ ـ **قوله: (بمثل معنى حديث ابن علية)**: أي: رواية خالد الطحان عن يونس بمعنى حديث إسماعيل ابن علية عنه، وليس بلفظه.

٣ ـ رواية خالد الطحان: ساقها أبو عوانة في «المسند» (١/١٠٧):

حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا خالد، عن يونس، عن إبراهيم التيميّ، عن أبيه، عن أبي ذرّ: أن النبيّ ﷺ قال: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنها تَجْرِي لمستقر لها تحت العرش، فتخر ساجدةً، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي، فارجعي من حيث جئتِ، فتصبح طالعةً في مطلعها، فتجري لا يُنْكِر الناس منها شيئاً، فيقال لها: اطلُعي من مغربك** ـ قال: ـ **فتصبح طالعةً من مغربها**»، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون أيُّ يوم ذلك؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذاك يوم** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٨]».



{...} وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ـ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ! هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟»** **قَالَ: قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.** قَالَ: **«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**.

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِاللّهِ: وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا.

❊ غريب الحديث:

قوله: (دخلت المسجد): أي: المسجد النبوي.

قوله: (ورسول الله ﷺ جالس): أي: كان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد.

قوله: (أين تذهب هذه): أي: أين تذهب هذه الشمس.

قوله: (ثم قرأ في قراءة عبدالله): أي: أنه ﷺ قرأ هذه الآية بما كان يقرأ عبدالله بن مسعود بعده.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب الجلوس في المسجد؛ لذكر الله، والصلاة، والدعاء، والعلم، ونحوها.

٢ ـ استحباب نداء الرجل بكنيته.

٣ ـ أنّ الله يجعل في الشمس إدراكاً تفهم الخطاب.

٤ ـ أنّ الشمس تستأذن ربها ـ ﷻ ـ على الحقيقة، وليس بالمجاز.

٥ ـ بيان قراءة عبدالله، وأنّ السجود؛ هو: المستقر لها تحت العرش حتى يؤذن لها بالعودة.

٦ ـ بيان فضل عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، وأنه من قراء الصحابة وساداتهم.



٢٥١ ـ {. . .} حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ـ قَالَ إِسْحَقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ـ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍ؛ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾؟ [يس: ٣٨] قَالَ: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**».

فقه الحديث:

١ ـ أنّ أفضل طرق تفسير الحديث هو بجمع طرقه وشواهده.

٢ ـ التنصيص على مستقر الشمس؛ وأنه: تحت العرش.

تذييل:

أورد محمد رشيد رضا حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ الوارد في الباب وطعن في سنده، واستشكل متنه؛ فقال:

«هذا الحديث رواه الشيخان من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبي ذر، وهو على توثيق الجماعة له مدلس.

قال الإمام أحمد: لم يلق أبا ذر.

كما قال الدارقطني: لم يسمع من حفصة ولا من عائشة ولا أدرك زمانهم.

وكما قال ابن المديني: لم يسمع من علي ولا ابن عباس.

ذكر ذلك في «تهذيب التهذيب»، وقد روي غير هذا عن هؤلاء بالعنعنة؛ فيحتمل أن يكون من حدثه عنهم غير ثقة.

فإذا كان في بعض روايات الصحيحين والسنن مثل هذه العلل، وراء

احتمال دخول الإسرائيليات وخطأ النقل بالمعنى، فما القول فيما تركه الشيخان وما تركه أصحاب السنن؟»[1].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: كلام محمد رشيد رضا يدل على أنه لم يتخلص من رواسب النزعة العقلية، وهو كلام فج لا يدل على رسوخ في علم الحديث الشريف، ولكنه خطير جداً؛ لأن فيه التشكيك في أحاديث صحاح لا سيما ما كان في الصحيحين اللذين أجمعت الأمة على تلقيهما بالقبول.

والرد عليه وتفنيد كلامه يسير على من يسره الله عليه، ودونك الجواب:

١ ـ ليس في سند الحديث أنه من رواية إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبي ذر.

وإنما سنده؛ كما في الصحيحين من رواية إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر.

وأبوه هو يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي روى عن عمر، وعلي، وأبي ذر، وابن مسعود، وحذيفة، وغيرهم.

وروى عنه: ابنه إبراهيم، وإبراهيم النخعي، وجواب التيمي، والحكم بن عتيبة، وهمام بن عبدالله التيمي.

ووثقه يحيى بن معين، وابن سعد، وابن حبان، وأخرج له الجماعة.

٢ ـ أن إبراهيم بن يزيد صرح بالسماع من أبيه يزيد، والثقة لو كان مدلساً إذا صرح بالسماع قبلت روايته بلا مثنوية، وبذلك تندفع شبهات رشيد رضا حول سند الحديث.

وأما الإشكال الذي في المتن؛ فلا إشكال، وذلك من وجوه:

١ ـ أن سجود الشمس ثابت بالقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ

(١) «تفسير المنار» (٨/٢١١ ـ ٢١٢).

﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

٢ ـ أن جريانها وحركتها ثابتة بالقرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨].

٣ ـ أن أهل العلم تلقوا هذين الأمرين بالإيمان والتسليم والقبول:

قال أبو سليمان الخطابي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في قوله ﷺ: «**مستقرها تحت العرش**»: «لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه، ولا نشاهده، وإنما أخبرنا عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به».

ثم قال عن سجودها تحت العرش: «وفي هذا أخبار عن سجود الشمس تحت العرش؛ فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والتصرف لما سخرت له. وأما قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ [الكهف: ٨٥]؛ فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب»(١).

وقال النووي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وأما سجود الشمس؛ فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها»(٢).

وقال ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به»(٣).

وقال ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وظاهر الحديث: أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم؛ المعبر عنه بالجري، والله أعلم»(٤).

---

(١) «شرح السنة» للبغوي (١٥/٩٥ ـ ٩٦)، و«فتح الباري» (٨/٥٤٢).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٩٧).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٥/٣٩٨).
(٤) «فتح الباري» (٨/٥٤٢).

⬅ بصيرة:

قال شيخنا فقيه الزمان ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بجميع ألفاظه ـ وكذلك حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ دليل على أن الشمس تسير على الأرض، بمعنى: أنها تدور على الأرض؛ لقوله ﷺ: «**أتدري أين تذهب؟**» وأنه بدورانها يكون اختلاف الليل والنهار، وهذا هو الذي نعتقده؛ لأنه ظاهر كلام الله ـ عز وجل ـ، والله ـ تبارك وتعالى ـ هو الخالق، وقد قال الله تعالى في كتابه ـ مقرراً علمه بمخلوقاته ـ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]؛ فالخالق أعلم بمخلوقاته من غيره، وظاهر القرآن والسنَّة واجب الاعتقاد، ما لم يرد أمر يقيني، يكون لنا حجة عند الله في مخالفة الظاهر، وإخراج الظاهر عن ظاهره.

فنحن إلى الآن نعتقد: أن اختلاف الليل والنهار إنما هو باختلاف الشمس بدورانها على الأرض، تطلع، وتغرب، ففي القرآن الكريم يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]؛ فهذه أربعة أفعال أسندت كلها إلى الشمس، والأصل في الفعل المسند أنه وصف لما أسند إليه. وقال الله تعالى في قصة سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]. قال المفسرون: أي الشمس تغطت بالحجاب؛ فهي المتوارية، ولسنا نحن المتوارين عنها.

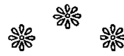
وهذا حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ صريح في وصف هذا الكتاب كما هو ـ أيضاً ـ في القرآن: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨]. فأي عذر لنا أن نقابل الله تعالى، فنقول: الشمس لا تجري، ولا تذهب، ولا تطلع، ولا تشرق، ولا تزاور، ولا تقرض؟ ليس لنا عذر، نعم! لو ثبت هذا ثبوتاً مثل الشمس: أن الليل والنهار يتعاقبان على الأرض بسبب دوران الأرض؛ لأمكن أن يؤول ظاهر الآيات

إلى أنها تطلع، وتغرب، وتزاور، وتقرض باعتبار رأي العين، والله تعالى يخاطب الناس بما تدركه عقولهم»[1].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ غفر الله له ولوالديه ـ: هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا لبس يعتريه.

وأما النظريات الجغرافية والفرضيات الفلكية التي مفادها: أن الشمس ثابتة لا تتحرك، وأن حركتها ظاهرية فقد بادت بعدما سادت، وأصبحت أثراً بعد عين، وثبت يقيناً عند علماء الفضاء والفلك أن الشمس تجري، وأنها غير ثابتة، وهذا ما أكده الكتاب والسنَّة من قبل، وبهذا يزداد المسلم يقيناً، ويسلم للوحي تسليماً ظاهراً وباطناً.

ولكن الأسف كل الأسف: أن بعض هذه النظريات البائدة والآراء الفاسدة لا زالت تدرس لأبناء المسلمين في مدارسهم وجامعاتهم؛ فالله المستعان.



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥١٣ ـ ٥١٤).

٧٤ ـ باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

٢٥٢ ـ {١٦٠} حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِاللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِي أُولاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا. حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ؛ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِىءٍ**» قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ**». قَالَ: «**قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ**». قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ**: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» [العلق: ١ ـ ٥]. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ؛ فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «**أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي**» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللّهِ، لا يُخْزِيكَ اللّهُ أَبَداً، وَاللّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ـ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ ـ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ.

قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا بْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رآهُ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ﷺ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذعاً! يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَو مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً».

✸ راوي الحديث:

عائشة بنت أبي بكر هي الصديقة بنت الصديق الأكبر ـ رضي الله عنهما ـ، وزوج النبي الكريم محمد ﷺ، وأم المؤمنين، أم عبدالله، تزوجها رسول الله ﷺ وهي ابنة تسع سنين في السنة الأولى من الهجرة، وكانت أحب نسائه إليه، وأفقه نساء الأمة؛ ملأت الدنيا علماً وفقهاً، نزلت براءتها من فوق سبع سماوات، توفيت سنة (٥٧هـ)، وصلى عليها أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، ودفنت بالبقيع.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ نصفه الأول مسلسل بالمصريين، ونصفه الآخر مسلسل بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير.

٤ ـ «هذا الحديث من مراسيل الصحابة؛ فإن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تدرك هذه القضية، فتكون قد سمعتها من النبي ﷺ أو من الصحابي، وقد قدّمنا أنّ مرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء إلا ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، والله أعلم». قاله النووي.

٥ ـ قال الحافظ: «وتعقبه من لم يفهم مراده؛ فقال: إذا كان يجوز أنها سمعتها من النبي ﷺ فكيف يجزم بأنها من المراسيل؟ والجواب: أن مرسل الصحابي ما يرويه من الأمور التي لم يدرك زمانها، بخلاف الأمور

التي يدرك زمانها؛ فإنها لا يقال: إنها مرسلة، بل يحمل على أنه سمعها أو حضرها، ولو لم يصرح بذلك، ولا يختص هذا بمرسل الصحابي بل مرسل التابعي إذا ذكر قصة لم يحضرها سميت مرسلة، ولو جاز في نفس الأمر أن يكون سمعها من الصحابي الذي وقعت له تلك القصة.

وأما الأمور التي يدركها فيحمل على أنه سمعها أو حضرها، لكن بشرط أن يكون سالماً من التدليس، والله أعلم».

٦ ـ ظاهر الحديث أن عائشة سمعته من النبي ﷺ، ويؤيده قولها: قال: «**فأخذني، فغطني**»، وهذا ظاهر أن النبي ﷺ أخبرها بذلك، فتحمل بقية الحديث عليه.

٧ ـ **قوله: (وهو التعبد)**، هذا مدرج في الخبر، وهو من تفسير الزهري؛ كما جزم به الطيبي ولم يذكر دليله. نعم في رواية المؤلف من طريق يونس عنه في التفسير ما يدل على الإدراج؛ إذ لو كان من بقية كلام عائشة لجاء فيه: قالت؛ وهو يحتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه.

٨ ـ حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٣ و٣٩٩٢ و٤٩٥٣ و٤٩٥٥ ـ ٤٩٥٧ و٦٩٨٢**).

* غريب الحديث:

قوله: (كان أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم): «أول»: اسم كان وخبرها «الرؤيا الصادقة».

و«ما» في الحديث نكرة موصوفة؛ أي: أول شيء.

و«الوحي»: أصله الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرَّمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة الجوارح وبالكتابة، ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقىٰ إلى أنبيائه وأوليائه: وحيٌ، وذلك أضرب حسبما دلّ عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، وذلك إمّا برسول مشاهدٍ تُرى

ذاته، ويُسمع كلامه؛ كتبليغ جبريل - عليه السلام - للنبي في صورة معينة، وإمّا بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله، وإمّا بإلقاء في الروع كما ذكر - عليه الصلاة والسلام -: «**إنّ روح القدس نفث في رُوْعي**»، وإمّا بإلهام نحو: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وإمّا بتسخير نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أو بمنام كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «**انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن**». فالإلهام، والتسخير، والمنام دلّ عليه قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ وسماع الكلام معاينة دلّ عليه قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، وتبليغ جبريل في صورة معينة دلّ عليه قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ . . .﴾ [الشورى: ٥١]. انتهى بتصرف من كلام الراغب الأصفهاني.

وقد ذهب بعض الشراح إلى أن رسول الله سمع صوتاً من غير رؤية. وهو كلام باطل يدل عليه أمور:

١ - فيه قياس عالم الغيب والملائكة على الواقع المادي المحسوس، وهذا قياس فاسد.

٢ - في الحديث أن الملك جاء وغطَّه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله؛ فلو كان سماعاً مجرداً؛ فلا يحدث شيء من ذلك.

وقوله: (من الوحي): يحتمل أن تكون «من» تبعيضية؛ أي: من أقسام الوحي، ويحتمل أن تكون بيانية.

(الرؤيا): هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن فعلى، قد تسهل الهمزة.

وقال الواحدي: «هي في الأصل مصدر كاليسرى، فلما جعلت اسماً لما يتخيله النائم أُجريت مجرى الأسماء».

وقال الراغب: «والرؤية بالهاء: إدراك المرء بحاسة البصر، وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو: أرى أن زيداً مسافر، وعلى التفكر النظري

نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وعلى الرأي؛ وهو: اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن.

ويحتمل أن تكون الحكمة في تسمية ذلك رؤيا؛ لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة، فأشبهت ما في المنام». قاله الحافظ.

والرؤى والأحلام عند أهل السنة والجماعة؛ إنما هي: اعتقادات يخلقها الله - ﷻ - فيراها الإنسان في نومه.

قال الله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وتكون هذه الاعتقادات على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: اعتقادات تكون علامات على أمور أخرى سوف يخلقها الله - جلّ وعلا - أو كان قد خلقها.

النوع الثاني: اعتقادات يحدّث المرء بها نفسه، أو يهم بها في اليقظة.

النوع الثالث: اعتقادات يتدخل فيها الشيطان تدخلاً من نوع ما ليخوِّفَ بها الإنسان ويحزنه.

وقوله: **(الصادقة)**:؛ أي: الصالحة، فقد ثبت وصفها بذلك.

قال الحافظ: «وهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة، وقد تكون صالحة وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد».

والمعنى: أنّ أول المبتدآت من إيجاد الوحي: الرؤيا.

وقد كان نبينا ﷺ في أول أمره يرى ضوءاً؛ كما في «صحيح مسلم» عن ابن عباس - رضي الله عنه -؛ قال: «أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً، وثماني سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً»، ويسمع صوتاً؛ كما سمع عند بناء

الكعبة؛ حيث قيل له: «اشدد عليك إزارك» وهو عند البخاري من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ، ويسلِّم عليه الحجر والشجر، وتناديه بالنبوة؛ كما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ، وهذه أمور ابتدىء بها تدريجياً لما أراد الله به من الكرامة والنبوة، واستلطافاً له؛ لئلا يفجأه صريح الوحي، ويبغته الملك؛ فلا تحتمل ذلك قوّته البشرية.

قوله: (فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح): بنصب «مثل» على الحال؛ أي: مشبهة ضياء الصبح، أو على أنه صفة لمحذوف؛ أي: جاءت مجيئاً مثل فلق الصبح.

والمراد بفلق الصبح: ضياؤه، وخصّ بالتشبيه؛ لظهوره الواضح الذي لا شك فيه.

قال ابن أبي جمرة: «إنما شبهها بفلق الصبح دون غيره؛ لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادي أنوارها فما زال ذلك النور يتسع؛ حتى أشرقت الشمس، فمَن كان باطنه نورياً كان في التصديق بكرياً كأبي بكر، ومَن كان باطنه مظلماً كان في التكذيب خفاشاً كأبي جهل، وبقية الناس بين هاتين المنزلتين كل منهم بقدر ما أعطي من النور». نقله الحافظ.

ورؤيا الأنبياء حق ووحي، فقد ثبت في «الصحيحين» قوله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة**»؛ فإذا كان هذا في مطلق الرؤيا، فما بالك برؤيا الأنبياء؟ وقد ثبت عن ابن عباس في «سنن الترمذي» أنه قال: «**رؤيا الأنبياء وحي**».

قوله: (ثم حبّب إليه الخلاء): الخلاء ـ بالمد ـ؛ هو: المكان الذي لا ساتر فيه من بناء، ومساكن، وغيرهما، والخلو يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصور في الزمان الماضي فسر أهل اللغة خلا الزمان بقولهم مضى الزمن وذهب.

ويقال: خلا الإنسان إذا صار خالياً، وخلا إليه: انتهى إليه في خلوة.

والمعنى: أنه ﷺ بعد أن بدأت علامات النبوة تظهر له؛ أحبّ الخلوة، والبعد عن الناس في المكان الخالي البعيد عنهم.

والسرّ فيه: أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له.

قال الخطابي: «حببت العزلة إليه ﷺ؛ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه ويجمع همه».

قوله: (فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي أولات العدد): الغار: هو الكهف، والنقب في الجبل، وجمعه: غيران، والمغار، والمغارة بمعنى الغار.

وحراء: ـ بكسر الحاء، وتخفيف الراء وبالمد ـ، وهو: الجبل المعروف بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى.

قال الخطابي: «أصحاب الحديث، والعوام يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع: يفتحون الحاء، وهي مكسورة، ويكسرون الراء وهي مفتوحة، ويقصرون الألف وهي ممدودة».

(يتحنث فيه)؛ أي: يتحنف باتباع الحنيفية دين إبراهيم، وفسِّر بالتعبد وهو تفسير صحيح.

وأصل الحنث: الإثم؛ فمعنى يتحنث: يتجنب الحنث؛ فكأنه بخلوته يمنع نفسه من الحنث.

(الليالي أولات العدد)؛ أي: الليالي الكثيرة العدد.

والمعنى: أنه لما حببت إليه الخلوة للعبادة، والبُعد عن الناس والمشاغل، كان يذهب للجبل المعروف، وللغار الذي فيه على وجه الخصوص ليالي عديدة.

قال ابن أبي جمرة: «الحكمة في تخصيصه بالتخلي فيه أن المقيم فيه

كان يمكنه رؤية الكعبة، فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت».

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«واختلف في عبادة النبي ﷺ قبل مبعثه، هل كانت لأنه كان متعبداً بشريعة من قبله؟ أم كانت لما جعل الله في نفسه، وشرح به صدره من نور المعرفة؟ ومن بغضه لما كان عليه قومه من عبادة الأوثان، وسوء السّيرة، وقبح الأفعال، فكان يفرّ منهم بغضاً ويخلو بمعروفه أنْساً؟

ثم الذين قالوا: إنه كان متعبّداً بشريعة، فمنهم من نسبه إلى إبراهيم، ومنهم من نسبه إلى موسى، ومنهم من نسبه إلى عيسى، وكلُّ هذه أقوال متعارضة لا دليلَ قاطع على صحة شيء منها.

والأصحّ القول الأول؛ لأنه كان لو كان متعبّداً بشيء من تلك الشرائع لعلم انتماؤه لتلك الشريعة، ومحافظته على أحكامها، وأصولها وفروعها، ولو علم شيء من ذلك لنقل؛ إذ العادة تقتضي ذلك، لأنه ﷺ ممن تتوفّر الدّواعي على نقل أحواله وتتبع أموره. ولمّا لم يكن شيء من ذلك علم صحّة القول الأول»[1].

قال الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف، وكانت قريش تفعله كما كانت تصوم عاشوراء، وإنما لم ينازعوا النبيّ ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره؛ لأن جدّه عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته، وكِبَرِ سِنِّه، فتبعه على ذلك مَن كان يَتَألَّه، فكان ﷺ يخلو بمكان جدّه، وسَلّم له ذلك أعمامه؛ لكرامته عليهم»[2].

قوله: (قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيزود لمثلها) (الأهل): أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما

---

(١) «المفهم» (١/٣٧٥).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٣٧١ ـ ٣٧٢).

يجري مجراهما من صناعةٍ وبيتٍ وبلدٍ، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تُجوِّز به؛ فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وعبّر بأهل الرجل عن امرأته، وأهل الإسلام الذين يجمعهم، ولما كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [المؤمنون: ٢٧] يقال: تأهّل إذا تزوّج، ومكان مأهول: فيه أهله، وأهِلَ به: إذا صار ذا ناس وأهل. بتصرف من كلام الراغب.

والمراد: زوجته خديجة وأولاده منها ـ رضي الله عنهن ـ.

(ويتزود): من الزاد؛ وهو: الطعام، ويتزود؛ أي: يستصحب معه الزاد.

و**(خديجة)**: هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، زوجة النبي الأمين أم المؤمنين، وأول من تزوجها، وأسلمت معه، ونصرته بنفسها ومالها، وهي أم أولاده، وأقامت معه خمساً وعشرين سنة على الصحيح.

والمعنى: أنه ﷺ لما حببت إليه الخلوة، وكان يقيم الليالي في الغار بعيداً عن الناس، ويحتاج إلى الطعام ـ وهو الزاد ـ ليقيم صلبه فيعبد ربَّه ـ سبحانه وتعالى ـ؛ كان يرجع إلى أهله ـ أي خديجة ـ فيأخذ ما يحتاجه من الطعام لإقامته في خلوته، وهكذا كلما نفدت رجع فتزود من جديد، وهذا من الأخذ بالأسباب، ولا ينافي التوكل؛ بل هو من التوكل الشرعي، لا البدعي.

قوله: (حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك): «حتى» هنا على بابها من انتهاء الغاية؛ أي: انتهى توجهه لغار حراء بمجيء الملك فترك ذلك.

و**(فجئه)**: ـ بفتح الفاء وكسر الجيم ثم همز ـ؛ أي: جاءه الوحي بغتة. يقال: فجِئَه الأمرُ، إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب.

و**(الملك)**؛ هو: جبريل ـ عليه السلام ـ صاحب السرِّ، الذي ينزل بالوحي من عند الله ـ تعالى ـ على الأنبياء والمرسلين.

فجاءه: هذه الفاء تسمى التفسيرية، وليست التعقيبية؛ لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى تعقب به، بل هو نفسه، ولا يلزم من هذا التقرير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه، بل التفسير عين المفسر به من جهة الإجمال، وغيره من جهة التفصيل. قاله الحافظ.

والمعنى: أنّ نبينا ﷺ استمر على الخلوة والعزلة في الغار إلى أن نزل عليه جبريل بالوحي فجأة؛ فانقطع بعد ذلك.

قوله: (فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارىء» قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ»): ما هنا النافية، والباء زائدة لتأكيد النفي؛ أي: ما أحسن القراءة.

و(غطني): ـ بالغين المعجمة، والطاء المهملة ـ، ومعناه: عصرني وضمني، يقال: غطه، وغته، وضغطه، وعصره، وخنقه، وغمزه، كله بمعنى واحد.

و(الجهد): ـ بفتح الجيم وضمها ـ؛ وهو: الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال، ورفعها، فعلى النصب: بلغ جبريل مني الجهد.

وعلى الرفع: بلغ الجهد مني مبلغه وغايته.

و(أرسلني): أي: أطلقني.

والمعنى: أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ جاء إلى النبي ﷺ؛ ليعلمه الوحي الذي أرسل به، فقال له يأمره بأخذه وتعلمه: اقرأ، فأجابه النبي ﷺ بأنه لا يقرى البتة، فضمه، وعصره، وبلغ منه المشقة والطاقة في حالة هي أشبه بالغائب عن الدنيا، ثم أطلقه بعد ذلك؛ ليأمره من جديد بالقراءة. وهكذا كرر هذا الأمر، والفعل ثلاث مرات في كل مرة يضعه، ويرسله ويأمره.

قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الالتفات، والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له، وكرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه.

قوله: (﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ

﴿ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾): هذه السورة أول السور القرآنية نزولاً على رسول الله ﷺ؛ فإنها نزلت عليه في مبادىء النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل - عليه السلام - بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فأنزل الله عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ عموم الخلق، ثم خصّ الإنسان، وذكر ابتداء خلقه ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ فالذي خلق الإنسان، واعتنىٰ بتدبيره، لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة خلقه للإنسان. ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾؛ أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علّم بالقلم و﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فإنه - تعالى - أخرجه من بطن أُمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع، والبصر، والفؤاد، ويسَّر له أسباب العلم. انتهى بتصرف من كلام السعدي.

وقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لا تقرؤه بقوتك، ولا بمعرفتك لكن بحول ربك وإعانته، فهو يعلمك، كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر، وعلّم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمِّيَّة. ذكره السهيلي.

قال أهل العلم: «الحكمة في أولية هذه الآيات الخمس كونها قد اشتملت على مقاصد القرآن، ففيها براعة الاستهلال، وهي جديرة أن تُسَمَّى عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يَجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله، وهذا بخلاف الفن البديعيّ المُسَمَّى العنوان، فإنهم عَرَّفوه بأن يأخذ المتكلم في فنّ، فيؤكده بذكر مثال سابق، وبيانُ كونها اشتملت على مقاصد القرآن، أنها تنحصر في علوم التوحيد، والأحكام، والأخبار، وقد اشتملت هذه الآيات على الأمر بالقراءة، والبداءة فيها «ببسم الله»، وفي هذه الإشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الربّ، وإثبات ذاته، وصفاته، من صفة ذات، وصفة فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار، من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، والله تعالى أعلم».

قوله: (فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة

فقال: «زمّلوني زمّلوني» فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع): **(بها)**: الضمير فيها يرجع إلى القصة والآيات منها.

و(بوادره): جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق، ومعنى: ترجف: ترعد، وتضطرب عند فزع الإنسان.

و(زملوني): أي لفوني بالثياب، التزميل: هو اللف بالثوب.

و(الروع): بفتح الراء وهو: الفزع، يقال: رُوعته وَرَوّعته ورِيعَ فلان، وناقة رَوعاء فزعة، وفي التنزيل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هود: ٧٤].

والمعنى: أنّ الرسول جاء من الغار بعد أن رأى جبريل، وحصل معه ما حصل من العصر، والضم، والكرب، والثقل لما يلقى إليه، وهو خائف فزع بوادره تضطرب حتى دخل على زوجته أم المؤمنين ـ ﷺ ـ يطلب منها أن تغطيه بالملابس؛ لتسكن الرعدة التي فيه، ويذهب الخوف عنه؛ ففعلت: فذهب عنه ما يجد.

قوله: (ثم قال لخديجة: «أي خديجة، ما لي؟» وأخبرها الخبر، قال: «لقد خشيت على نفسي»): بعد أن زال عنه الخوف قال لزوجه التي يسكن إليها، ويسر لها: ما الذي حصل لي، إنني كنت في الغار، وقصّ عليها القصة، وبعد ذلك صرّح لها أنه خاف على نفسه الموت أو المرض.

قال القاضي: «ليس بمعنى الشك فيما أتاه من الله، لكنه عساه خشي أنه لا يقوى على مقاومة هذا الأمر، ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه، أو ينخلع قلبه لشدة ما لقيه عند لقاء الملك».

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«اختُلف في سَبَب هذه الخشية وفي زمانها، فقيل: كانت عند رؤية التّباشير وسَمْع الصّوت قبل لقاء الملك. وعند هذا يجوز أن يكون شكّ في حاله، ولم يتحقق مآله، وأما بعد مشافهة الملك وسماعه منه ما أخبره به وما قرأ عليه، فلا يتصوّر في حقّه شكّ في رسالته بوجهٍ من الوجوه، وإن كانت الخشيةُ حصلتْ منه في هذا الحال، فيحتمل أن كانت من ضعفه عن

القيام بأعباء النبوّة والرسالة، وأنه لا يقدر عليها، ويحتملُ أن يكونَ خوفُه من مباعدة قومه له، ونفارهم عنه، فيكذّبونه ويُؤذونه ويقتلونه، وهذا في أول أمره قبل أن يعلمَ بمآل حاله، وأن الله يَعْصِمه من الناس، وقول خديجة يُشْعِر بهذا، والله تعالى أعلم»[1].

قوله: (**قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبداً. والله إنك لتصل الرّحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**): (**كلا**): لها عدّة معاني، وهنا كلمة نفي وإبعاد.

و(**أبشر**): يقال: أبشرتُ الرجل، وبشَّرْتُهُ، وبَشَرْتُهُ: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أنّ النفس إذا سُرَّت انتشر الدّم فيها انتشار الماء في الشجر، وبين هذه الألفاظ فروق؛ قاله الراغب.

(**يخزيك**): ـ فهو بضم الياء وبالخاء المعجمة ـ، وكذا هو في رواية يونس وعقيل، وقال معمر في روايته: يحزنك ـ بالحاء المهملة والنون ـ، ويجوز فتح الياء في أوله وضمها، وكلاهما صحيح، والخزي: الفضيحة والهوان.

وأمّا: صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.

وأمّا (**الكَلّ**): ـ بفتح الكاف ـ، وأصله الثقل، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]) ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف، واليتيم، والعيال، وغير ذلك، وهو من الكلال وهو الإعياء.

وأمّا (**تكسب المعدوم**): ـ بفتح التاء ـ ومعناه: تكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك، ثم تجود به في وجوه الخير، وأبواب المكارم.

وأمّا (**تقري الضيف**): ـ بفتح التاء ـ، قال أهل اللغة: يقال: قريت

---

(١) «المفهم» (١/٣٧٧ ـ ٣٧٨).

الضيف أقريه قرى، - بكسر القاف مقصور -، وقراء بفتح القاف والمد، ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى، بكسر القاف مقصور، ويقال لفاعله قارٍ، مثل: قضىٰ فهو قاض.

وأمّا **(تعين على نوائب الحق)**: فالنوائب جمع نائبة، وهي الحادثة، وإنما قالت نوائب الحق؛ لأن النائبة قد تكون في الخير، وقد تكون في الشر. وهي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم، ولما لم يتقدم.

قال العلماء: معنى كلام خديجة - رضي الله عنها -: إنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشمائل، وذكرت ضروباً من ذلك. اهـ. كلام النووي بتصرف وزيادة.

قوله: (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عمّ خديجة، أخي أبيها. وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي): تنصر: أي صار نصرانياً على دين عيسى - عليه السلام -.

(فانطلقت به): أي: مضت مع النبي ﷺ؛ فالباء للمصاحبة.

(وكان امرأ تنصر)؛ أي: صار نصرانياً.

و**(الجاهلية)**: ما قبل رسالته ﷺ، سموا بذلك؛ لما كانوا عليه من فاحش الجهالة. ويراد بها ما قبل دخول المحكي عنه في الإسلام، وأمثلته كثيرة.

وأمّا قوله: (كان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية) وعند البخاري: «يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية» والجميع صحيح؛ لأن ورقة تعلم اللسان العبراني، والكتابة العبرانية، فكان يكتب الكتاب العبراني؛ كما كان يكتب الكتاب العربي، لتمكنه من الكتابين واللسانين. قاله النووي والحافظ.

والمعنى: أنّ خديجة لما رأته ﷺ في حالته من الفزع والرعب مما

حصل معه، فتذكرت من كان يعرف دين عيسى ـ عليه السلام ـ معرفة جيدة، ويقرأ الكتب السابقة، فأتت به إليه لعله أن يعرف شيئاً عن حاله.

قوله: (فقالت له خديجة: أي عمِّ، اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه) وفي الرواية الثانية؛ قالت: «أي ابن عم» هكذا هو في الأصول، في الأول (عم) وفي الثاني (ابن عم)، كلاهما صحيح، أما الثاني: فلأنه ابن عمها حقيقة، كما ذكره أولاً في الحديث، فإنه ورقة بن نوفل بن أسد، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد، وأما الأول: فسمته عماً للاحترام، وهذه عادة العرب في آداب خطابهم، يخاطب الصغيرُ الكبيرَ بـ«يا عم» احتراماً له، ورفعاً لمرتبته، ولا يحصل هذا الغرض بقولها: يا ابن عم! قاله النووي.

والمعنى: أن خديجة طلبت من ابن عمها أن يسمع من النبي ما حدث معه، فطلب منه فأخبره بالخبر.

«وإنما قالت في حق النبي: اسمع من ابن أخيك؛ لأن والده عبدالله بن عبدالمطلب، وورقة في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء، فكان من هذه الحيثية في درجة إخوته، أو قالته على سبيل التوقير لسِنِّه» قاله الحافظ.

قوله: (فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعاً! يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك): (الناموس): عند أهل اللغة هو: صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سرِّ الشر، والمقصود هنا: هو جبريل ـ عليه السلام ـ.

وقيل: هو صاحب سر الملك. سمي بذلك؛ لأن الله ـ تعالى ـ خصه بالوحي والغيب اللّذين لا يطلع عليهما غيره.

وأمّا قوله: (الذي أنزل على موسى): ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانياً؛ لأن كتاب موسى ـ عليه السلام ـ مشتمل على أكثر الأحكام، بخلاف عيسى، وكذلك النبي ﷺ، أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى، كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه

الأمة؛ وهو: أبو جهل بن هشام، ومن معه ببدر. أو قاله تحقيقاً للرسالة؛ لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسى فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته. قاله الحافظ.

و(فيها): الضمير في فيها للنبوة ومدتها.

و(جذعاً): الجذع ـ بفتح الجيم والذال المعجمة ـ هو الصغير من البهائم، وأصل الجذع من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شاباً فتياً.

والمعنى: يا ليتني كنت شاباً عند ظهورها، حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها.

والمعنى العام: أنّ ورقة قال لهم: أن الذي جاء النبي هو جبريل ـ عليه السلام ـ أمين الوحي، ورسول الله من الملائكة إلى رسل الله، وأنبيائه من البشر، وهو الذي سبق أن نزل على نبي الله موسى، وتمنى أن يكون عند ظهور الإسلام، والدعاء إليه شاباً؛ ليكون أمكن لنصره، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيراً أعمى.

وأضاف أنّ علامة ذلك أنّ قومك سيخرجونك من بلدك.

قوله: (أوَ مخرجي هم؟): قال الحافظ: «قال السهيلي: يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس، فإنه ﷺ سمع قول ورقة أنهم يؤذونه، ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك، فلما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لذلك لحب الوطن وإلفه، فقال: «**أوَ مخرجي هم؟**» قال: ويؤيد ذلك إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه فأشعر بأن الاستفهام على سبيل الإنكار أو التفجع.

ويؤكد ذلك أن الوطن المشار إليه حرم الله، وجوار بيته، وبلدة الآباء من عهد إسماعيل ـ عليه السلام ـ انتهى ملخصاً.

ويحتمل أن يكون انزعاجه كان من جهة خشية فوات ما أمله من إيمان قومه بالله، وإنقاذهم به من ضر الشرك، وأدناس الجاهلية، ومن عذاب

الآخرة، وليتم له المراد من إرساله إليهم، ويحتمل أن يكون انزعج من الأمرين معاً.

قوله: (قال ورقة: نعم، لم يأتِ رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً): أجابه ورقة بالتأكيد لما قاله من أنّ قومه سيخرجونه من بلده، بأن كل نبي أوحي إليه لا بدّ أن يعادىٰ، ويؤذىٰ من الناس.

وأخبره بأنه يؤمن بالوحي الذي نزل إليه، ولو كان لي من العمر ما أدرك به ذلك المشهد لنصرتك، وآزرتك بالقوة البالغة.

«فذكر ورقة: أن العلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم، ولأنه علم من الكتاب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم، ومعاندتهم؛ فتنشأ العداوة من ثَمَّ» قاله الحافظ.

فقه الحديث:

١ ـ بيان كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومناسبته لكتاب الإيمان؛ لأن الإيمان بكل ما جاء به رسول الله ﷺ لا يكون إلا عن طريق الوحي.

٢ ـ أنّ الرؤيا الصادقة من أول المبتدآت من إيجاد الوحي، وأما مطلق ما يدل على نبوته؛ فقد تقدمت أشياء مثل رؤيته الضوء، وسماعه الصوت، وتسليم الحجر والشجر عليه ﷺ.

٣ ـ أنّ الرؤيا الصادقة إحدى خصال النبوة.

٤ ـ أنّ رؤيا الأنبياء وحي، وحق وصدق، لا أضغاث فيها، ولا سبيل للشيطان إليها.

٥ ـ أنّ الوحي أنواع مثل: إرسال الملك، وسماع الكلام من غير المعاينة، والإلقاء في الروع، والإلهام، والرؤيا الصادقة.

٦ ـ أما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص: إن فسرنا الصادقة

بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث؛ فالصالحة أخص مطلقاً. قاله الحافظ.

٧ ـ قال نصر بن يعقوب الدينوري: الرؤية الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر في المنام، أو يخبر به ما لا يكذب، والصالحة ما يُسر.

٨ ـ ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه**».

٩ ـ وفي الحديث: «**الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**».

١٠ ـ وفي آخر: «**الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان**» وفي لفظ: «**الرؤيا الصالحة**».

١١ ـ وفي آخر: «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات**» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**».

١٢ ـ سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فقال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**».

١٣ ـ قال المازري: «كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة؛ لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل، ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدقون بالسمع؛ فاضطربت أقوالهم، فمن ينتمي إلى الطب يقول كذا، ومن ينتمي إلى الفلسفة يقول كذا.

قال: والصحيح: ما عليه أهل السنّة: أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا خلقها؛ فكأنه جعلها علماً على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد؛ فهو كما يقع لليقظان، ونظيره: أن الله خلق الغيم علامة على المطر، وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع بحضرة الملك؛ فيقع بعدها ما يسر، أو

بحضرة الشيطان؛ فيقع بعدها ما يضر، والعلم عند الله ـ تعالى ـ» بتصرف يسير.

١٤ ـ قال القرطبي: «سبب تخليط غير الشرعيين إعراضهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم، وبيان ذلك أن الرؤيا إنما هي من إدراكات النفس، وقد غيب عنا علم حقيقتها؛ أي: النفس، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا نعلم علم إدراكاتها، بل كثير مما انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أموراً جملية لا تفصيلية».

١٥ ـ أنّ أفضل الرؤى ما كانت واضحة كفلق الصبح.

١٦ ـ من حكمة الله ـ تعالى ـ أن تدرج بنبيه ﷺ في نزول الوحي عليه.

١٧ ـ وفيه التدرج في إلقاء العلم، وأخذه، والعمل به.

١٨ ـ استحباب الخلوة للعبادة، وقد جاءت نصوص تدل على هذا من مثل حديث الظلال في «الصحيحين»، وفيه: «**ورجل ذكر الله خالياً...**».

١٩ ـ وشرط الخلوة أن لا تدوم؛ فينقطع عن جماعة المسلمين، والمصلِّين، ويهجر الناس.

٢٠ ـ أنّ العزلة تكون عند الفتن؛ لأن العزلة خير من خلاّط السوء.

٢١ ـ أنّ النبي كان يحب الخلوة قبل الأمر بالدعوة، فالقيام بالدعوة أولى ـ إن لم يكن أوجب ـ من اعتزال الناس.

٢٢ ـ قال العلماء: «العزلة من غير عين العلم زلّة، ومن غير زاي الزهد علة».

٢٣ ـ أنّ الانعزال عن الناس، ولا سيما من كان على باطل من جملة العبادة؛ كما وقع للخليل ـ عليه السلام ـ حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

٢٤ ـ جواز إطلاق كلمة الأهل وإرادة الزوجة فقط.

٢٥ ـ استحباب إعداد الزاد للمتخلي إذا كان يتعذر عليه تحصيله؛ لبُعد مكان اختلائه من البلد مثلاً، وأنه لا ينافي التوكل، فقد اتخذه سيد المتوكلين ﷺ.

٢٦ ـ ليس في خلوه النبي ﷺ في غار حراء دليل لما يفعله جهلة المتصوفة من اتخاذ زوايا، وبيوت هي أشبه بالكنائس للعبادة، وهجر المساجد، ومجالس العلم، والعلماء. بل هي بدعة في الدِّين.

ناهيك أن هذه الحال الرسول ﷺ قبل نزول الوحي، وعندما نزل عليه الوحي ترك الاختلاء بغار حراء أو غيره ولم ينقل عنه شيء من ذلك البتة، وكذلك لم يفعله السلف الصالحون. فتدبر، ولا تكن من الغافلين.

٢٧ ـ وليس فيه ـ أيضاً ـ مشروعية الذهاب إلى غار حراء، فإن هذا الفعل ذريعة للشرك والبدعة، ولم يرد في الشرع ما يدل على أفضلية غار حراء، وما يفعله كثير من الحجاج والمعتمرين من قصد زيارة غار حراء؛ فلا أصل له في الدين.

٢٨ ـ أنّ العلم والعبادة لا يتعارضان مع الزواج، والقيام على الأهل.

٢٩ ـ مشروعية الأخذ بالأسباب؛ فهو من التوكل على الله، وتركه مخالف للشرع.

٣٠ ـ أنّ الوحي بدأ الرسول ﷺ وهو في غار حراء.

٣١ ـ أنّ النبي أُمي لم يكن يقرأ، ولا يكتب، والأمية في رسول الله ﷺ معجزة، وفي غيره نقص؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨ و٤٩].

٣٢ ـ بيان المشقة التي كان النبي ﷺ يجدها عند نزول الوحي عليه، وصبره عليها.

٣٣ ـ وفيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم، وأمره بإحضار قلبه.

٣٤ ـ استحباب تكرير الكلام ثلاثاً؛ لتأكيد الأمر، وإيضاح البيان، وقد كان هذا هديه ﷺ في التعليم، والدعاء، ونحوهما.

٣٥ ـ وفي تكرير الغط: الإشارة إلى الشدائد الثلاث التي وقعت له ﷺ وهي: الحصر في الشعب، وخروجه في الهجرة، وما وقع له يوم أحد. وفي الإرسالات الثلاث إشارة إلى حصول التيسير له عقب الثلاث المذكورة: في الدنيا، والبرزخ، والآخرة.

٣٦ ـ لا تتم عملية التعلم والتعليم إلا بوجود معلومات سابقة.

٣٧ ـ وفيه بيان أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن الكريم.

٣٨ ـ والحكمة في هذه الأولية: أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، وهي جديرة أن تسمى: عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.

٣٩ ـ فيه دليل على أن ترتيب سور القرآن ليس حسب النزول، وإنما هو توقيف.

٤٠ ـ اشتملت هذه الآيات الخمس على الأمر بالقراءة، والبداءة فيها ببسم الله، وفي هذه الإشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته، وصفاته من صفة ذات، وصفة فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

٤١ ـ دليل على أنّ البسملة ليست آية من السور إلا سورة النمل.

٤٢ ـ القلم نعمة من الله ـ ﷻ ـ عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش؛ فدلّ على كمال كرمه بأنه علّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

٤٣ ـ بيان فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط

بها إلا هو، وما دوّنت العلوم، ولا قيّدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين، ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين، ولا أمور الدنيا.

٤٤ ـ لا يضرب الصبي على تعليم القرآن إلا ثلاثاً؛ كما غط جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ﷺ ثلاثاً.

٤٥ ـ دلت الآيات الخمس على أن من عمل بما علم رزقه الله علم ما لا يعلم؛ فكرم الله كبير.

٤٦ ـ دلت هذه الآيات الخمس على أهمية العلم في حياة الأمة المحمدية، وأن قيامها وقوامها واستمرارها لا يكون إلا بالعلم والقراءة باسم الله وعلى منهج رسول الله ﷺ، فهي أمة إقرأ، فعلى أمة إقرأ أن تقرأ، ولكن أكثرها للأسف في زماننا لا يقرأ.

٤٧ ـ بيان دور المرأة الصالحة في نصرة الحق ودعاته.

٤٨ ـ بيان فضل خديجة ـ رضي الله عنها ـ.

٤٩ ـ أنّ الوحي ثقيل وهو ـ أي الحديث ـ من معاني قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

٥٠ ـ يستحب أن يطلع الزوج زوجته الوفية، والرجل صاحبه الأمين الناصح على مشاكله وهمومه؛ ليأخذ برأيه، ويعينه على ما به وينصحه.

٥١ ـ أنّ الخوف الجِبلِّي ـ الطبيعي ـ لا يذم الإنسان بسببه.

٥٢ ـ أنّ النبي ﷺ بشر كسائر البشر إلا ما أكرم به لنبوته: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

٥٣ ـ أنّ أمور الغيب لا تحتملها القوى البشرية، ولهذا حجب عنّا، وأمّا النبي؛ فقد أُعطي ما امتاز به عن سائر الناس.

٥٤ ـ استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه، وتهوينه لديه.

٥٥ ـ من فزع لا يسأل عن شيء حتى يزول عنه خوفه، ولذلك قال الإمام مالك: المذعور لا يلزمه بيع، ولا إقرار، ولا غيره.

٥٦ ـ أنّ الأعمال الصالحة سبب لدفع السوء ومصارعه، ودواء للمرض.

٥٧ ـ وفيه جواز مدح الإنسان بوجهه في الأحوال التي تأمن الفتنة؛ فقد أثنت خديجة ـ رضي الله عنها ـ على رسول الله ﷺ بمكارم الأخلاق.

٥٨ ـ وفيه بيان مكارم أخلاق الرسول ﷺ، وهذا الحديث من معاني قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

٥٩ ـ فيه دليل على أن مكارم الأخلاق من دلائل النبوة؛ كما فصلته في كتابي «مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنَّة».

٦٠ ـ وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة ـ رضي الله عنها ـ، ورجاحة عقلها وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها.

٦١ ـ بيان إيمان، وإسلام وَرَقَة، وذلك؛ لأنه علم أنه نبي هذه الأمة، وتمنى أن يكون حياً عند محاربة الناس للرسول ﷺ لينصرنه.

٦٢ ـ ورقة بن نوفل صحابي؛ ذكره الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وابن حجر وغيرهم في الصحابة.

وقد ثبت في الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ رأى ورقة في هيئة حسنة وعليه ثياب بيض.

٦٣ ـ جواز ذكر الشخص بالعاهة التي فيه؛ ككونه أعمى، أو أعرج، أو نحو ذلك، لكن بشرط أن لا يقصد تنقيصه وذمه.

٦٤ ـ من نزل به أمر يستحب أن يستشير من يثق بنصحه، وصحة رأيه؛ فما خاب من استشار.

٦٥ ـ بيان خصيصة من خصائص هذه الأمة، وهي: أنها تحفظ كتابها في صدور أبنائها، بخلاف أهل الإنجيل، فكانوا يكتبونه، ويقرؤونه من الصحف.

٦٦ ـ أنّ صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرّف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسؤول.

٦٧ ـ استحباب توقير الكبير، وصاحب العلم.

٦٨ ـ أنّ المرء يدرك الدرجات العلىٰ في الآخرة بنيته الصالحة.

٦٩ ـ أنّ من سار في طريق الأنبياء، والمصلحين لا بد أن يُبْتَلى، ويُعادىٰ.

٧٠ ـ بيان منهج الكفار في محاربة الأنبياء والصالحين؛ وهو: إخراجهم ونفيهم وطردهم من أوطانهم.

٧١ ـ قال الحافظ: «في «دلائل النبوة» لأبي نعيم بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة: أن خديجة أولاً: أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال: لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم. فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى، وتارة ناموس موسى، فعند إخبار خديجة له بالقصة قال لها: ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي ﷺ له قال له: ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها، وكل صحيح. والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم».

٧٢ ـ وقال: «وفيه دليل على جواز تمني المستحيل إذا كان في فعل خير؛ لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً، وهو مستحيل عادة، ويظهر لي أن التمني ليس مقصوداً على بابه بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبره به، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به».

٧٣ ـ وفيه الإشعار بحب النبي ﷺ لمكة المكرمة؛ لأنها موطنه، وأحب البقاع إلى الله ـ تعالى ـ.

٧٤ ـ بيان شدة مفارقة الأوطان على النفس، فقد انزعج رسول الله ﷺ عندما علم أن قومه سيخرجونه من بلده.

٧٥ ـ الشباب ينصرون الدين والدعوة والمنهج أكثر من الشيوخ، ولذلك تمنى ورقة أن يكون شاباً لينصر الرسول ﷺ.

وأما حديث: «**استوصوا بالشباب خيراً؛ فقد نصرني الله بهم**» والآخر: «**خذلني شيوخ قريش، ونصرني شبابها**» فهذه أحاديث لا أصل لها.

وقد سمعت شيخنا الألباني ـ رحمه الله ـ يقول: حديث الشباب من وضع الشباب؛ أي: الشباب الحركي الحزبي.

٧٦ ـ وفيه دليل على أن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضاه المقام.

٧٧ ـ ومن اللطائف: أن هذه الكلمة (كلا) التي ابتدأت خديجة ـ رضي الله عنها ـ النطق بها عقب ما ذكر لها النبي ﷺ من القصة التي وقعت له هي التي وقعت عقب الآيات الخمس من سورة اقرأ في نسق التلاوة فجرت على لسانها اتفاقاً؛ لأنها لم تكن نزلت في قصة أبي جهل، وهذا هو المشهور عند المفسرين، وقد ذهب بعضهم إلى أنها تتعلق بالإنسان المذكور، قيل: لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة فهي عين الأولى، وقد أعيد الإنسان هنا كذلك فكان التقدير: كلا لا يعلم الإنسان أن الله هو خلقه، وعلمه: إن الإنسان ليطغى.

٧٨ ـ أنّ خديجة أول الآدميين آمن برسول الله ﷺ.

٧٩ ـ العلم من أعظم نعم الله على عباده، وأول رحمة رحم بها هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ.

٨٠ ـ استحباب بدء الأمور الهامة بـ(بسم الله).

٨١ ـ وجوب نصرة الحق ودعاته، وعدم التخلي عنهم وخذلهم، والإنسان يكلف بما يستطيع؛ فيجب عليه ذلك ولو بكلمة تثبيت؛ كما فعل ورقة بن نوفل ـ رضي الله عنه ـ.

٨٢ ـ صفة الرسول ﷺ وأخباره وأمته موجودة في كتب أهل الكتاب المتقدمة.

٨٣ ـ من جاد بالخير واتصف بمكارم الأخلاق يجب أن يكرم ولا يذم، وينصر ولا يخرج، ولذلك استبعد رسول الله ﷺ أن يخرجه قومه؛ لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج؛ لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق، وقد استدل ابن الدُّغنَّة بمثل هذه الأوصاف على أن أبا بكر لا يخرج.

٨٤ ـ جواز استعمال (إذ) في المستقبل كـ(إذا)، وذلك في رواية البخاري (إذ يخرجك قومك)، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩].

٨٥ ـ جواز الترجمة ويدل على ذلك أن ورقة كان يترجم الإنجيل من العبرانية إلى العربية.

٨٦ ـ فيه دليل على وجود الديانة النصرانية في جزيرة العرب، ووصولها إليها قبل مبعث النبي ﷺ.

٨٧ ـ استحباب التبشير بالخير؛ كما فعلت خديجة وورقة حيث بشرا رسول الله ﷺ بالخير.

متممات مهمات:

١ ـ زاد في رواية البخاري: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي».

٢ ـ رد الإمام ابن قيم الجوزية بهذه الزيادة عند البخاري ما وقع في «السيرة النبوية» لابن إسحاق: أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد والله يا بلال.

٣ ـ زاد البخاري في «كتاب التعبير» من «صحيحه» **(٦٩٨٢)** بعد قوله: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي» ما نصه: «فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق

الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد! إنك رسول الله حقاً، فيسكن جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل، تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك».

قال شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «القائل: «فيما بلغنا» هو ابن شهاب الزهري، وهو راوي الحديث عن عروة بن الزبير عن عائشة، فقوله هذا يشعر بأن هذه الزيادة ليست على شرط «الصحيح»؛ لأنها من بلاغات الزهري؛ فليست موصوفة؛ كما قال الحافظ في «الفتح» فتنبه.

وانظر كتابي: «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة» (ص**٤٠ ـ ٤٢**)؛ ففيه بيان شاف كاف»[١].

٤ ـ زاد أبو عوانة في «المسند» (**٣٢٧**) في آخر هذا الحديث ما نصه: قال: فأخبرني عروة بن الزبير؛ قال: وقد كانت خديجة توفيت قبل أن يفرض من الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «**أريت لخديجة بيتاً من قصب لا سخب فيه، ولا نصب**»، وهو قصب اللؤلؤ.

٥ ـ نظم العراقي حديث بدء الوحي في «ألفية السيرة» فقال:

حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الرَّسُولُ ... الأَرْبَعِينَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ
وَهْوَ بِغَارٍ بِحِرَاءٍ مُخْتَلِي ... فَجَاءَهُ بِالوَحْيِ مِنْ عِنْدِ العَلِي
فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَكَانَ قَدْ خَلَتْ ... مِنْ شَهْرِ مَوْلِدٍ ثَمَانٌ إِنْ ثَبَتْ
وَقِيلَ فِي سَابِعِ عِشْرِي رَجَبِ ... وَقِيلَ بَلْ فِي رَمَضَانَ الطَّيِّبِ
قَالَ اقْرَأْ وَهْوَ فِي المِرَارِ ... يُجِيبُ نُطْقاً مَا أَنَا بِقَارِي
فَغَطَّهُ ثَلاثَةً حَتَّى بَلَغْ ... الجُهْدَ فَاشْتَدَّ لِذَاكَ وَانْصَبَغْ
أَقْرَأَهُ جِبْرِيلُ أَوَّلَ العَلَقْ ... قَرَأَهُ كَمَا لَهُ بِهَا نَطَقْ
وَكَوْنُ ذَا الأَوَّلَ فَهْوَ الأَشْهَرُ ... وَقِيلَ بَلْ يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ

---

(١) «مختصر صحيح البخاري» (١/١٧).

وَقِيلَ بَلْ فَاتِحَةُ الكِتَابِ وَالأَوَّلُ الأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ
جَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ الأَمِينَهْ يَشْكُو لَهَا مَا قَدْ رَآهُ حِينَهْ
فَثَبَّتَتْهُ إِنَّهَا مُوَفَّقَهْ أَوَّلَ مَا قَدْ آمَنَتْ مُصَدِّقَهْ
ثُمَّ أَتَتْ بِهِ تَوُمَّ وَرَقَهْ قَصَّ عَلَيْهِ مَا رَأى فَصَدَّقَهْ
فَهْوَ الَّذِي آمَنَ بَعْدُ ثَانِياً وَكَانَ بَرّاً صَادِقاً مُوَاتِياً
وَالصَّادِقُ المَصْدُوقُ قَالَ إِنَّهْ رَأَى لَهُ تَخْضُخاً فِي الجَنَّهْ
أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ البِعْثَةِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ بِغَيْرِ مِرْيَةِ
وَقِيلَ عَشْراً أَوْ فَخَمْسَ عَشْرَهْ قَوْلاَنِ وَهَّمُوهُمَا بِمَرَّهْ
فَكَانَ فِي صَلاَتِهِ يَسْتَقْبِلُ بِمَكَّةَ القُدْسَ وَلَكِنْ يَجْعَلُ
البَيْتَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَيْضاً فِيمَا أَتَى تَطَوُّعاً أَوْ فَرْضَا
وَبَعْدَ هِجْرَةٍ كَذَا لِلْقُدْسِ عَاماً وَثُلْثاً أَوْ وَنِصْفَ سُدْسِ
وَحُوِّلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ القِبْلَةُ لِكَعْبَةِ اللَّهِ وَنِعْمَ الجِهَةُ



٢٥٣ ـ {. . .} وحدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِع، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيءَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ. . . وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَوَاللّهِ لاَ يُحْزِنُكَ اللّهُ أَبداً. وَقَالَ: قَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قال النووي: «هكذا هو في الأصول، وأخبرني عروة بالواو، وهو الصحيح، والقائل: «وأخبرني» هو الزهري، وفي هذه الواو فائدة لطيفة قدمناها في مواضع، وهي: أنّ معمراً سمع من الزهري أحاديث قال الزهري فيها: أخبرني عروة بكذا، وأخبرني عروة بكذا إلى آخرها، فإذا أراد معمر رواية غير الأول قال: قال الزهري: وأخبرني عروة فأتىٰ بالواو؛ ليكون راوياً

كما سمع، وهذا من الاحتياط، والتحقيق، والمحافظة على الألفاظ، والتحري فيها، والله أعلم».

٢ ـ **قوله: (وساق الحديث)** أي: معمر ساق الحديث بمثل لفظ يونس.

٣ ـ رواية معمر: أخرجها الإمام أحمد (٦/٢٣٣).

حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن الزهريّ، فذكر حديثاً، ثم قال: قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة، أنها قالت: أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي حراءً، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فتزوّده لمثلها، حتى فَجِئه الحقّ، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنا بقارئ**»، قال: «**فأخذني، فغطّني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال**: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] حتى بلغ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]»، قال: فرجع بها، تَرْجُف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: «**زمّلوني، زملوني**»، فزملوه، حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال: «**يا خديجة، ما لي؟**» فأخبرها الخبر، قال: «**وقد خشيت عليّ**»، فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ، ثم انطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قُصَيْ، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربيّ، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يَكْتُب، وكان شيخاً كبيراً، قد عَمِي، فقالت خديجة: أي ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة:

هذا الناموس الذي أنزل على موسى ـ عليه السلام ـ، يا ليتني فيها جذعاً، أكون حيًّا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أوَ مُخْرِجيَّ هم؟**» فقال ورقة: نعم، لم يأتِ رجل قطّ بما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يَنشَب ورقة، أن تُوفي، وفتر الوحي فترةً، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غَدَا منه مراراً كي يَتَرَدَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذِرْوَة جبل لكي يُلقي نفسه منه، تَبَدَّى له جبريل ـ عليه السلام ـ، فقال له: يا محمد، إنك رسول الله حقًّا، فيسكن ذلك جَأْشَهُ، وتَقَرّ نفسه ـ عليه السلام ـ، فيرجع: فإذا طالت عليه، وفتر الوحي غَدَا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدَّى له جبريل ـ عليه السلام ـ فقال له مثل ذلك.

ساق الإمام أحمد رواية معمر بتمامها، وفيها هذه الزيادة، «ثم لم يَنْشَب ورقة... إلخ».

وكذلك وردت في «مصنّف عبدالرزاق» **٥/٣٢١ ـ ٩٧١٩/٣٢٣** وساقه البخاريّ في «صحيحه» **(٦٩٨٢)**: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب. (ح) وَحدثني عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ...» بلفظ أحمد، وفيه هذه الزيادة وساقه الإمام ابن حبّان في «صحيحه» **(٣٣)**، وفيه هذه الزيادة ـ أيضاً ـ.

والظاهر أن الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ وقعت له رواية معمر مختصرة دون هذه الزيادة، ومما يؤكّد هذا استثناؤه بقوله: «غير أنه قال... إلخ»؛ فإن قوله: «لا يحزنك الله» وقع عند جميعهم بلفظ: «لا يُخزيك الله» بالخاء المعجمة والزاي، إلا أن في «الفتح» **(٣٧٥/١٢)** أشار إلى أنه وقع في رواية الكشميهني بالحاء المهملة والنون؛ كما وقع عند الإمام مسلم.



٢٥٤ ـ {...} وحَدَّثَنِي عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ. وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِمَا، مِنْ قَوْلِهِ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ.

وَتَابَعَ يُونُسَ عَلَى قَوْلِهِ: فَوَاللَّهِ، لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً. وَذَكَرَ قَوْلَ خَدِيجَةَ: أَيِ ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (واقتص الحديث)**: أي: أن عقيلاً روى هذا الحديث عن الزهري، وساقه بمثل رواية يونس ومعمر، عن الزهري.

٢ ـ **قوله: (ولم يذكر أول حديثهما...)**: أي: أنه اختصر الحديث من أوله فحذفه إلى قوله: «فرجع إلى خديجة».

٣ ـ **قوله: (وتابع يونس على قوله...)**: أي: أن عقيلاً وافق يونس في قوله: «لا يخزيك الله» بالخاء والياء، بدل قول معمر: «ولا يحزنك الله» بالحاء والزاي.

٤ ـ رواية عُقيل: ساقها الإمام أحمد **(٦/٢٢٣)**: حدثنا حجاج، أخبرنا ليث بن سعد، قال: حدثني عُقَيل بن خالد، قال: وقال محمد بن مسلم: سمعت عروة بن الزبير، يقول: قالت عائشة زوج النبيّ ﷺ: فرجع إلى خديجة يَرْجُفُ فؤاده، فدخل، فقال: «**زَمِّلُوني، زملوني**»، فزُمِّلَ، فلمّا سُرِّي عنه قال: «**يا خديجة، لقد أشفقت على نفسي بلاءً، لقد أشفقت على نفسي بلاءً**»، قالت خديجة: أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصدق الحديث، وتَصِلُ الرحم، وتَحْمِل الكَلَّ، وتَقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحقّ، فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد، وكان رجلاً قد

تنصّر، شيخاً أعمى، يقرأ الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: أي عَمِّ، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بالذي رأى من ذلك، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نُزّل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: «**أوَ مخرجيّ هم؟**» قال: نعم، لم يأتِ رجل بمثل ما جئت به قطّ إلا عُودي، وإن يُدْركني يومك أَنْصُرْك نصراً مؤزراً.

❋ ❋ ❋

٢٥٥ ـ {١٦١} وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ؛ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللّهِ الأَنْصَارِيَّ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ـ كَانَ يُحَدِّثُ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ ـ قَالَ فِي حَدِيثِهِ ـ: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**». قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾» وَهِيَ الأَوْثَانُ. قَالَ: «**ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٥/١٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قال النووي: «هذا نوع مما يتكرر في الحديث ينبغي التنبيه عليه، وهو أنه قال: «عن جابر وكان من أصحاب النبي ﷺ» ومعلوم أنّ جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ من مشهوري الصحابة أشد شهرة، بل هو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، وجوابه: أنّ بعض

الرواة خاطب به من يتوهم أنه يخفى عليه كونه صحابياً، فبينه إزالة للوهم، واستمرت الرواية به، فإن قيل: فهؤلاء الرواة في هذا الإسناد أئمة جلّة، فكيف يتوهم خفاء صحبة جابر في حقهم؟ فالجواب: أنّ بيان هذا لبعضهم كان في حالة صغره قبل تمكنه ومعرفته، ثم رواه عند كماله كما سمعه، وهذا الذي ذكرته في جابر يتكرر مثله في كثيرين من الصحابة، وجوابه كله ما ذكرته، والله أعلم».

٢ ـ قال الحفاظ: «وهذا ـ أيضاً ـ من مرسل الصحابي؛ لأن جابراً لم يدركه زمان القصة؛ فيحتمل أن يكون سمعها من النبي ﷺ، أو من صحابي آخر حضرها، والله أعلم».

هكذا قال الحافظ، لكن الرواية القادمة صرحت بأن جابراً سمع الحديث من رسول الله ﷺ.

٣ ـ وفيه بيان الغريب الوارد في الحديث، وهو كثير عند مسلم منه أو من الرواة.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن.

✽ غريب الحديث:

قوله: (كان يحدّث، قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فترة الوحي ـ قال في حديثه ـ): فتر: من الفتور، وهو سكون بعد حدّة، ولين بعد شدّة، وضعف بعد قوة؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٧]؛ أي: سكون حال عن مجيء رسول الله ﷺ، قاله الراغب.

والمعنى: أنّ جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ كان يحدّث عن فتور الوحي عن نزوله على رسول الله في أول الأمر، فذكر أشياء، ولم يذكر أشياء؛ كما يدلّ عليه سياق الحديث.

قوله: (فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض):
والمعنى: في الوقت الذي انقطع فيه نزول جبريل - عليه السلام - بالوحي من الله تعالى على رسوله محمد ﷺ كان رسول الله يمشي في الطريق فسمع صوتاً من السماء غريباً لم يألفه، فرفع بصره ليرى ما في السماء، فإذا هو يفاجَأ بجبريل - عليه السلام - وهو الملك الذي جاءه من قبل في الغار؛ فعرفه، ولكنّ جبريل كان بصورة غير الصورة التي رآه عليها أول مرة؛ فإنه في هذه المرة خلق عظيم يجلس على كرسي بين السماء والأرض من غير اعتماد على شيء يدعمه ويرفعه.

قوله: (فجئثت منه فرقاً، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثّروني):
قال النووي - رحمه الله -: «(فجئثت منه)، رواه مسلم من رواية يونس، وعقيل ومعمر، ثم كلهم عن ابن شهاب، وقال في رواية يونس: فجئثت، بجيم مضمومة، ثم همزة مكسورة، ثم ثاء مثلثة ساكنة، ثم تاء الضمير، وقال في رواية عقيل ومعمر فجثثت، بعد الجيم ثاءان مثلثتان، هكذا هو الصواب في ضبط رواية الثلاثة. وذكر القاضي عياض - رحمه الله تعالى -: أنه ضبط على ثلاثة أوجه، منهم من ضبطه بالهمزة في المواضع الثلاثة، ومنهم من ضبطه بالثاء في المواضع الثلاثة. قال القاضي: وأكثر الرواة للكتاب على أنه بالهمز في الموضعين الأولين، وهما رواية يونس وعقيل، وبالثاء في الموضع الثالث، وهي رواية معمر.

وهذه الأقوال التي نقلها القاضي كلها خطأ ظاهر، فإن مسلماً - رحمه الله - قال في رواية عقيل: (ثم ذكر بمثل حديث يونس غير أنه قال: «**فجثثت منه فرقاً**»، ثم قال مسلم في رواية معمر: أنها نحو حديث يونس إلا أنه قال «**فجثثت منه**»، كما قال عقيل، فهذا تصريح من مسلم بأن رواية معمر وعقيل متفقتان في هذه اللفظة، وأنهما مخالفتان لرواية يونس فيها، فبطل بذلك قول من قال: الثلاثة بالثاء أو بالهمزة، وبطل أيضاً قول من قال: إن رواية يونس وعقيل متفقة ورواية معمر مخالفة لرواية عقيل، وهذا ظاهر لا خفاء به ولا شك فيه، والله أعلم.

وقد ذكر صاحب «المطالع» أيضاً روايات أخر باطلة مصحفة، تركت حكاياتها لظهور بطلانها، والله أعلم.

وأما معنى هذه اللفظة، فالروايتان بمعنى واحد؛ أعني: رواية الهمزة ورواية الثاء، ومعناها: فزعت، ورعبت.

وقد جاء في رواية البخاري: «فرعبت»، قال أهل اللغة: جئث الرجل إذا فزع؛ فهو مجؤوث. قال الخليل والكسائي: جئث وجث؛ فهو مجؤوث ومجثوث؛ أي: مذعور فزع، والله أعلم»[1].

والمعنى: عندما رأى رسول الله ﷺ جبريل - عليه السلام - على صورته وحاله دخل قلبه خوف شديد، فرجع إلى بيته على حاله يرتجف مما فيه يطلب من أهله أن يغطوه؛ فغطوه؛ ليذهب ما به.

قوله: (فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ - ٥] **وهي: الأوثان. قال: ثم تتابع الوحي)**: وفي حال خوفه وهو متغطٍ بثيابه أنزل الله عليه الآيات التي تأمره بالقيام والانطلاق لتبليغ الدِّين، وتعظيم الرَّب بالتكبير، وتطهير الملابس، والبُعد عن أسباب البلاء الموجب للعقوبة.

والمعنى: يا أيها المتغطي بثيابه، قم بجد ونشاط واصدع بالحق، فادعو أهل مكة وخوِّفهم العذاب إن لم يسلموا ويتركوا عبادة الأوثان والأصنام. وربك؛ أي: سيدك ومالكك وخالقك ومدبّر أمورك عظمه بالتكبير ووصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة، وهو أكبر من أن يكون له شريك. وثيابك التي تلبسها طهرها بحفظها من النجاسات، وهي دالة على طهارة الباطن من الأمراض المعنوية، وهي - أي: الطهارة - شرط في قبول أجل عبادة وهي الصلاة. والرجز: وهي الأوثان والأصنام التي يعبدها قومك؛ فاتركها، وأمر قومك بهجرها، والكفر بها؛ لأنها سبب للعذاب الأبدي السرمدي.

وبعد هذا الخطاب والأمر بالدعوة كثر مجيء جبريل - عليه السلام - بالوحي متتابعاً.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/٢٠٧).

۞ فقه الحديث:

١ ـ أنّ الراوي قد يختصر شيئاً لسبب ما، وإيراد الشاهد منه، وأنّ بعضهم يحفظ ما لم يحفظه الآخر.

٢ ـ أنّ الوحي فتر بعد حادثة الغار حيناً ثم رجع من جديد.

٣ ـ جواز تحدث الإنسان بما حصل له من المحن بعد زوالها؛ شكراً لله تعالى.

٤ ـ أنّ النبي لم يكن يعرف اسم الملك الذي نزل عليه أول الأمر.

٥ ـ أنّ النبي ﷺ رأى جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ على صور مختلفة، أحياناً يتمثل بصورة بشر، وأحياناً على صورته الحقيقية العظيمة المهيبة.

٦ ـ جواز رفع البصر إلى السماء عند وجود حادث من قبلها، وقد ترجم له البخاري في «كتاب الأدب»، ويدل عليه قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية ١٧ و١٨].

٧ ـ أنّ نزول هذه الآيات كان عند هذه الحادثة.

٨ ـ أنّ الله أمر رسوله ﷺ بتبليغ هذا الدِّين للناس.

٩ ـ بيان كيفية معالجة من أصابه فزع، وهو أن يلف بالثوب، ويصب عليه ماء بارد، حيث ورد في رواية يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة: «فدثروني، فصبوا علي ماءً بارداً».

١٠ ـ جواز مناداة الشخص بما هو متلبس به؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١].

وهذا من لطيف الخطاب، وفيه تأنيس للرسول ﷺ.

١١ ـ أنّ الواجب على الداعي أن يعظم ربه عند دعوته الآخرين؛ ليجلُّوه، ويهابوه، ويعبدوه.

١٢ ـ أنّ طهارة اللباس شرط من شروط الصلاة، ونوع من أنواع العبادة.

١٣ ـ وجوب تقصير الثوب وعدم إرساله تحت الكعبين؛ لأنه أنقى للثوب، وأتقى للرب، وفيه أحاديث كثيرة صحاح، وآثار متوافرة جيدة.

١٤ ـ الأمر بترك الشرك والمعاصي على اختلاف أنواعها؛ لأنها سبب الهلاك والعذاب.

١٥ ـ أنّ الراوي أدرىٰ بمعنى مرويه من الأحاديث من غيره.

١٦ ـ بيان فضل الله ـ عَجَلَّ ـ على رسوله ﷺ؟ حيث تتابع الوحي دون انقطاع حتى فارق الدنيا: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

تذييل:

قال الحافظ: «قال الإسماعيلي: «موَّه بعض الطاعنين على المحدثين؛ فقال: كيف يجوز للنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة، ويشكو لخديجة ما يخشاه، وحتى يوفي بذروة جبل؛ ليلقي منها نفسه على ما جاء في رواية معمر؟

قال: ولئن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه فكيف ينكر على من ارتاب فيما جاءه به مع عدم المعاينة؟

قال: والجواب: أن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى بإيصاله إلى الخلق أن يقدمه ترشيح وتأسيس، فكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة، ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك، فلما فجئه الملك فجئه بغتة أمر خالف العادة والمألوف؛ فنفر طبعه البشري منه، وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال؛ لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها؛ فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه، وينفر طبعه منه حتى إذ تدرج عليه وألفه استمر عليه، فلذلك رجع إلى أهله التي ألف تأنيسها له فأعلمها بما وقع له؛ فهوّنت عليه خشيته بما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة، فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة لمعرفتها بصدقه، ومعرفته وقراءته الكتب القديمة، فلما

سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به، ثم كان من مقدمات تأسيس النبوة فترة الوحي؛ ليتدرج فيه ويمرن عليه، فشقّ عليه فتوره إذ لم يكن خوطب عن الله بعد أنك رسول من الله ومبعوث إلى عباده؛ فأشفق أن يكون ذلك أمر بدىء به ثم لم يرد استفهامه فحزن لذلك، حتى إذا تدرج على احتمال أعباء النبوة والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح.

قال: ومثال ما وقع له في أول ما خوطب ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول: «الحمد لله» فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ، وكذا لو سمع قائلاً يقول: «خلت الديار» لم يتحقق أنه ينشد شعراً حتى يقول: «محلها ومقامها» انتهى ملخصاً.

ثم أشار إلى أن الحكمة في ذكره ﷺ ما اتفق له في هذه القصة أن يكون سبباً في انتشار خبره في بطانته، ومن يستمع لقوله ويصغي إليه، وطريقاً في معرفتهم مباينة من سواه في أحواله؛ لينبهوا على محله.



٢٥٦ ـ {. . .} وحَدَّثَنِي عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي؛ قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِالرَّحْمٰنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: **«ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي»** ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ يُونُسَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: **«فَجُثِثْتُ مِنْهُ فَرَقاً حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ»** قَالَ: وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ: الأَوْثَانُ. قَالَ: ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ بَعْدُ، وَتَتَابَعَ.

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ يُونُسَ وَقَالَ: فَأَنْزَلَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥] قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ ـ وَهِيَ الأَوْثَانُ ـ وَقَالَ: **«فَجُثِثْتُ مِنْهُ»** كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ دقة الإمام مسلم في تمييز ألفاظ الرواة.

٢ ـ وأنّ أفضل طرق شرح الحديث جمع ألفاظه في الموطن الواحد دون خلل أو خلط.

٣ ـ ترجيح الألفاظ المختلفة عن الرواة في الحديث الواحد؛ حيث رجح لفظ «فجئثت» على «فجثثت».

٤ ـ رواية عقيل التي ذكر المصنف: أخرجها الإمام البخاري **(٣٢٣٨)**: حدثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا الليث؛ قال: حدثني عُقَيل، عن ابن شهاب؛ قال: سمعت أبا سلمة قال: أخبرني جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «**ثم فَتَرَ عني الوحي فَتْرَةً، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرَفَعْتُ بصري قِبَلَ السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعدٌ على كرسيّ بين السماء والأرض، فجُئِثت منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض، فجئْتُ أهلي، فقلت: زَمِّلوني زملوني، فأنزل الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢] إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥]. قال أبو سلمة: والرجزُ: الأوثانُ.

وأما رواية معمر؛ فأخرجها البخاري **(٤٩٢٥)** حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب. (ح) وحدثني عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، قال الزهري: فأخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمٰن، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت النبيّ ﷺ، وهو يُحَدِّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض، فجُئِثت منه رعباً، فرَجَعْت، فقلت: زمّلوني زملوني، فَدَثَّروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١] إلى ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، قبل أن تُفْرَض الصلاة، وهي: الأوثان، والله تعالى أعلم بالصواب.

٥ ـ من منهج الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في «الصحيح»: أن يجمع طرق الحديث ورواياته في مكان واحد دون تكرار إلا النزر اليسير وذلك لفائده.

❋ غريب الحديث:

قوله: (ثم فتر الوحي عني فترة): هذا يؤكد: أنّ الوحي انقطع مدة ثم عاد إليه، ويؤكده قوله في آخره: «ثم حمي الوحي بعد، وتتابع». وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود.

قوله: (حتى هويت إلى الأرض): هويت: من هوى، يقال؛ هوى يهوي هوياً؛ إذا انحدر ونزل بالضم، وقيل: بالفتح، وقيل: لغتان صحيحتان.

والمعنى: أنّ النبي من شدة خوفه وفزعه سقط على الأرض، أو نزل إليها.

قوله: (ثم حمي الوحي بعد وتتابع): قال النووي: هما بمعنى، فأكد أحدهما بالآخر، ومعنى «حمي» كثر نزوله وازداد، من قولهم: حميت النار والشمس، أي: قويت حرارتها.

قلت: وهذا يدل على أن الانقطاع غير كلي، بل بالتأخير مع القلة، إذ لو كان كلياً لما قال في آخره: «حمي وتتابع».

وهذا معنى فتر.

قوله: (قبل أن تفرض الصلاة): أي: هذه الواقعة كانت قبل أن يفرض الله تعالى الصلوات الخمس؛ لأن فرضها كان ليلة الإسراء، وذلك بعد المبعث بخمس سنين.

والمراد: أن تطهير الثياب كان مأموراً به قبل أن تفرض الصلاة. فتنبه.

۞ فقه الحديث:

١ ـ أنّ الوحي لم ينقطع بالكلية بل ببطء وقلة.

٢ ـ أنّ نزول أول سورة «المدثر» كان في أول نزول الوحي، وليس مطلق الأولية، أو أول ما نزل بعد فتور الوحي.

٣ ـ الطهارة مأمور بها قبل أن تفرض الصلاة.

٤ ـ بيان شدة الخوف الذي أصابه من رؤية الملك وصوته.



٢٥٧ ـ {...} وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فَقُلْتُ: أو ﴿ٱقْرَأْ﴾؟ فَقَالَ: سَأَلتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللّهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] فَقُلْتُ: أَوِ ﴿ٱقْرَأْ﴾؟ قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ. فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ** ـ يَعْنِي: جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ **فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي. فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللّهُ** ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١ و٢]».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه الوليد بن مسلم، وهو يدلس تدليس التسوية، وقد صرح بالتحديث في جميع طبقات السند؛ فهو حجة، وأمناً بذلك من تدليسه.

٢ ـ في رواية البخاريّ من طريق حرب بن شدّاد، عن يحيى: «فقلت: أُنبئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]»، وفي رواية أبي داود الطيالسيّ، عن حرب: «قلت: إنه بلغني أنه أول ما نَزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾».

قال في «الفتح»: «ولم يُبيِّن يحيى بن أبي كثير مَن أنبأه بذلك، ولعله يريد عروة بن الزبير، كما لم يبيّن أبو سلمة مَن أنبأه بذلك، ولعله يريد

عائشة، فإن الحديث مشهور عن عروة، عن عائشة كما تقدم من طريق الزهريّ عنه مُطَوَّلاً».

٣ ـ استشكل الحافظ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ رواية يحيى هذه؛ فقال: «والمشكل من رواية يحيى بن أبي كثير قوله: «**جاورت بحراء شهراً، فلما قَضَيتُ جواري نزلت، فاستبطنت الوادي، فنوديت**... إلى أن قال: **فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء** ـ يعني: جبريل ـ **فأتيت خديجة، فقلت: دَثِّروني**»».

ثم قال الحافظ: «ويزيل الإشكال أحد أمرين:

إما أن يكون سقط على يحيى بن أبي كثير وشيخه من القصة مجيء جبريل بحراء بـ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وسائر ما ذكرته عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وإما أن يكون جاور ﷺ بحراء شهراً آخر، فقد تقدم أن في مرسل عُبيد بن عُمير عند البيهقيّ: أنه كان يجاور في كل سنة شهراً، وهو رمضان، وكان ذلك في مُدّة فترة الوحي، فعاد إليه جبريل بعد انقضاء جواره»[1].

* غريب الحديث:

قوله: (فقلت: أو اقرأ): **(أو)** هنا بمعنى **(بل)** الإضرابية.

قوله: (جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت. فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أَرَ أحداً... فإذا هو على العرش في الهواء ـ يعني جبريل عليه السلام ـ...):

(جاورت): من المجاورة، وهي: الملاصقة وملازمة الشيء، وهو الاعتكاف الشرعي.

(فاستبطنت): أي: صرت في باطنه.

(١) «فتح الباري» (٨/٥٤٦).

و(**العرش**): لغة السرير، وقيل: سرير الملك، ويطلق ويراد به معاني كثيرة.

والعرش المذكور هنا هو الكرسي المذكور في الرواية السابقة.

والمعنى: أنّ النبي ﷺ اعتكف في غار حراء شهراً كاملاً للعبادة، ولعلها مرة غير الأولى، فإنها كانت أياماً ويعود لأهله يتزود ويرجع، وعندما انتهى من هذا الاعتكاف، ونزل عن الجبل الذي فيه الغار، وتوسط الوادي؛ إذ منادٍ ينادي النبي وهو لا يعلم من يناديه ولا من أين، فأخذ ينظر في الجهات الأربع؛ فلم يرَ أحداً، وتكرر هذا النداء وهو لا يعلم من أين، بعد ذلك رفع رأسه ـ وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء ـ فإذا هو يفاجَأُ بالملك الذي جاءه في الغار على الكرسي الذي يدل على العظمة والقوة، فهابه وهاله ما رأى؛ فأصابته رجفة شديدة؛ فأتى خديجة كعادته، وطلب منها أن تغطيه، وتصب عليه الماء، ونزلت حينئذٍ أول آيات سورة المدثر.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ النبي ﷺ كان يعتزل الناس، ويعتكف مراراً في الغار.

٢ ـ سؤال أهل العلم عن العلم.

٣ ـ بيان الدليل على صحة قوله واستدلاله عند الحاجة.

٤ ـ أنّ الأحكام الشرعية لا يقال بها بالعقل؛ بل بالنقل.

٥ ـ أنّ النبي ﷺ لم يكن يعرف جبريل ـ عليه السلام ـ بصوته واسمه في أول الأمر.

٦ ـ أنّ حياة الملائكة وحركاتهم عظيمة مخيفة مهيبة.

٧ ـ وقد يكون النبي ﷺ قد أُغمي عليه بعد ذلك الموقف والمنظر عندما رجع؛ فصبُّوا عليه الماء؛ ليفيق، أو أنه ارتخت مفاصله، وكسل جسده؛ فصبُّوا الماء؛ لينشط.

٨ ـ وفيه استحباب صب الماء على المغمى عليه والكسل طلباً للنشاط.

٩ ـ أنّ جابراً كان يرجح نزول سورة المدثر قبل سورة العلق.

١٠ ـ وجود الخلاف قديماً في أي السورتين نزل أولاً.

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وليس فيه إشكال إلا قوله: إن أول ما نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، ولكن الجمع بينه وبين حديث عائشة سهل ـ والحمد لله ـ وهو أن يقال: هذه أولية نسبية؛ أي: بالنسبة لانقطاع الوحي؛ أي: أول ما أنزل عليه بعد انقطاع الوحي. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١ و٢].

ولهذا قال أهل العلم: إن رسول الله ﷺ نبئ بـ(اقرأ) وأرسل بـ(المدثر)، حيث صار نبيًّا بـ(اقرأ)؛ لأنه نزل عليه الوحي، وأرسل بالمدثر؛ أي: قيل له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]»[(١)].



٢٥٨ ـ {...} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَقَالَ: «**فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

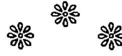
➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية علي بن المبارك: أخرجها البخاري (**٤٩٢٤**): حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن، عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، قلت: يقولون: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]،

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص**٥٣١ ـ ٥٣٢**).

فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدَّثنا رسول الله ﷺ، قال: **«جاورت بحراء، فلما قضيت جِوَاري هَبَطتُ، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرت أمامي، فلم أرَ شيئاً، ونظرت خلفي، فلم أرَ شيئاً، فرفعت رأسي، فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دَثِّروني، وصُبُّوا عليّ ماءً بارداً،** قال: **فدَثَّروني، وصَبُّوا عليّ ماءً بارداً،** قال: **فنزلت:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٣]».



٧٥ - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات

٢٥٩ - {١٦٢} حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ. يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**» قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**». قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ**». قَالَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.**

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهرُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عليه السلام - قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيل، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ». قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ». قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ». قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى - عليه السلام - حَتَّى قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ». فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أنّ رواته كلهم بصريون.

٣ ـ أنّ حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت، وثابت ألزم أصحاب أنس ـ رضي الله عنه ـ.

٤ ـ أنّ مسلماً فرّق الحديث في الروايات المتتابعة.

٥ ـ أنّ الحديث يُعد من مراسيل الصحابة؛ فإن أنساً لم يدرك ذلك.

٦ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بهذا السياق والتمام من أفراد مسلم، وأخرج البخاري منه فقرات (**٣٥٧٠** و**٤٩٦٤** و**٥٦١٠** و**٦٥٨١** و**٧٥١٧**).

✵ غريب الحديث:

قوله: (أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه).

أُتيت: أن الله أرسل إليه البراق.

والبراق: ـ بضم الباء الموحدة والراء المفتوحة المخففة ـ، وهو مشتق من البريق؛ لأن لونه أبيض؛ أو من البرق؛ لأنه وصف بالسرعة في سيره، شبهه بالبرق الذي يظهر في السماء.

والدابة: هي الحيوان، وكل ما دبَّ على الأرض؛ فهو دابة؛ وهي دابة كان الأنبياء يركبونها.

والحمار: نوع من الدواب معروف، ومثله البغل.

والحافر: من الدواب ما يقابل القدم من الإنسان، والجمع: حوافر.

والحافرة: فاعلة من الحفر؛ لأن الفرس بشدة دوسها تحفر الأرض.

وطرفه: من الطرف ـ بفتح الطاء وسكون الراء ـ؛ وهو: العين أو البصر الذي في العين، وطرف العين: جفنه، والطرف، تحريك الجفن، وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمهُ النظر. وفي القرآن قال تعالى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

والمعنى: أنّ الله ـ ﷻ ـ أرسل إلى محمد ﷺ البراق، وهو حيوان من الحيوانات، وأكّد ذلك بقوله: «وهو دابة»، والدابة معروفة لها القوائم، وتمشي على الأرض، وتركب، وتقريب حجمه ما بين الحمار والبغل؛ ليدل على أنه من جنسها، وأيضاً بنسبة الحافر له. كلُّ ذلك لكي لا يقول جاهل أو عقلاني أن البراق كطائرة اليوم، وإنما استعمل المجاز ونحو هذه الأقوال المنحرفة الخاطئة وأصحابها.

وبيّن أنّ سرعة سير البراق إلى آخر ما يراه ببصره من المشاهد، وهذا من السرعة بمكان تأييداً وتسهيلاً للنبي في جولته ومهمته.

قوله: (فركبته حتى أتيت بيت المقدس): وعندما جاءني ركبته وسار بي سيره السريع الذي ذُكر وصفه، فوصل بي إلى بيت المقدس.

والحكمة أن يكون الرسول ﷺ راكباً في الإسراء:

أ ـ أن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه.

ب ـ أن الركوب أبلغ في الأمن والطمأنينة.

ت ـ أن الركوب أكرم من المشي.

ث ـ أن ركوب البراق في مقام خرق العادة أبلغ في تأنيس رسول الله ﷺ.

وأمّا بيت المقدس فقد قال النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة: إحداهما بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة. والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة.

قال الواحدي: أما من شدده؛ فمعناه: «المطهر»، وأما من خففه؛ فقال أبو علي الفارسي: لا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً، فإن كان مصدراً كان؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠] ونحوه من المصادر، وإن كان مكاناً؛ فمعناه: بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها.

وقال الزجاج: البيت المقدس المطهر، وبيت المقدس؛ أي: المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، ويقال فيه أيضاً: إيلياء. والله أعلم»[(١)].

قوله: (فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء): ربطته: أي: شددته. الحلقة: بإسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى الجوهري وغيره فتح اللام ـ أيضاً ـ حلقة، وجمعها: حَلَق وحَلَقَات. وأمّا على الإسكان؛ فجمعها حَلَق وحِلَق بفتح الحاء وكسرها؛ قاله النووي.

والحلقة: كل شيء استدار؛ قاله ابن منظور.

والمعنى: أنّ النبي ﷺ ربط البراق بالحلقة كما يفعل بسائر الدواب خشية الشرود. وبين أن الأنبياء يفعلون ما فعله سابقاً أو لاحقاً عند الاجتماع بهم.

وقوله: (الحلقة التي يربط بها الأنبياء): تدل بوضوح أن البراق كان مسخراً لجميع الأنبياء، والله أعلم.

قوله: (ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ فإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة): وبعد الوصول إلى المسجد الأقصى صلّى ركعتين

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/٢١١).

فيه، وخرج بعد ذلك وإذ بجبريل قدم إليه ومعه إناء الخمر وإناء اللبن يخيره واحداً منهما، فأُلهم أن يختار اللبن، فأخبره جبريل بأن اللبن يدلّ على الفطرة الصافية التي لم تشب ـ تخلط ـ بسوء.

الفطرة: من الفَطْر، وهو الابتداء والاختراع، والفطرة: الحالة منه، كالجلسة والرّكبة.

والمعنى: أنه يولد على نوع من الجِبِلّةِ والطبع المتهيىء لقبول الدّين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد. قاله ابن الأثير.

وقيل: هي الإسلام والاستقامة.

قال النووي: «اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة؛ لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين، سليم العاقبة. وأمّا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل».

قوله: (ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: مَن أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا): عرج: يقال: عرج يعرج عروجاً، والعروج هو: الصعود.

والمعنى: بعد الانتهاء من الإسراء إلى بيت المقدس والصلاة في مسجده، خرج النبي وتم التخيير في أي الإناءين، وبعد اختيار الفطرة ركب النبي البراق وانطلق في رحلة إلى السماء؛ ليرى من آيات ربه الكبرى، فَصُعِدَ بالنبي وبالبراق إلى السماء برفقة جبريل الأمين وهو دليل أو أشبه بذلك. وعندما وصلوا إلى السماء الدنيا ووقفا عند بوابيها؛ استأذن جبريل وهم لا يعرفونه، فأعلمهم بنفسه وبمن معه باسميهما، وقد شعروا بأن أحداً معه بإدراك خاصٍ بهم.

وقولهم: وقد بُعث إليه؟ ليس المقصود بالبعث الرسالة، وإنما سألوا تعجباً من نعمة الله عليه بذلك أو استبشاراً به، وقد علموا أن بشراً لا يرقى هذا المرتقى العالي إلا بإذن الله تعالى؛ وأن جبريل لا يصعد بمن لم يرسل

إليه. فأجابهم جبريل: بأنه قد أرسل ليحضر إلى السماء، ففتحوا الباب لهم.

قوله: (فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير...): فالتقى النبي بأبيه آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ورحب بقدومه بعد ردّ السلام ودعا له بالخير. وهكذا وقع له في السماء الثانية من العروج والاستفتاح والاستئذان والسؤال والجواب والدخول.

قوله: (فإذا أنا بابنَي الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء ـ صلوات الله عليهما ـ): قال ابن السكيت: يقال: ابنا خالة ولا يقال: ابنا عمة، ويقال: ابنا عم ولا يقال: ابنا خالٍ.

ولم يبين سبب ذلك، والسبب فيه: أن ابنَي الخالة أم كل منهما خالة الآخر لزوماً، بخلاف ابنَي العمة، وكذلك ابنا العم بخلاف ابني الخال.

وقد استشكل رؤية الأنبياء في السماوات مع أنّ أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض، وأُجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو حضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً، ويؤيده حديث عبدالرحمٰن بن هاشم عن أنس ففيه: «**وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء**» فافهم، قاله الحافظ.

قوله: (فإذا أنا بيوسف ﷺ، وإذا هو قد أُعطي شطر الحسن):

والمعنى: أنّ يوسف بلغ من الجمال ما قُدِّرَ بنصف جمال الناس مجتمعين؛ أي: نصف جمال أبيه آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ فإن آدم اجتمع فيه الجمال البشري، ولذلك يدخل أهل الجنة الجنة على صورة أبيهم آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

والجمال المذكور هو الخلقي الظاهر.

قوله: (فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور): أي: الذي تعمره الملائكة بالعبادة، ثم بين أن الملائكة تدخله للعبادة يومياً، في كل يوم سبعون ألف ملك، وأنهم لا يعودون إليه؛ لكثرتهم.

قوله: (ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى): قال النووي: «هكذا وقع في الأصول «السدرة» بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا «سدرة المنتهى»».

قلت: ووقع تفسيرها من كلام ابن مسعود في «الصحيح» **(١٧٣)** قال: «لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى - وهي في السماء السادسة - إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها...».

قلت: قوله في السادسة يخالف الأكثر من الرواة.

قال القرطبي: «وفي حديث أنس ما يقتضي أن السدرة في السماء السابعة أو فوقها؛ لقوله: «**ثم ذهب بي إلى السدرة**» بعد أن استفتح السماء السابعة ففتح له فدخل، وفي حديث عبدالله أنها في السماء السادسة، وهذا تعارض لا شك فيه، وما في حديث أنس أصحّ، وهو قول الأكثر، والذي يقتضيه وصفها: بأنها التي ينتهي إليها علمُ كلّ ملك مُقرَّب وكل نبي مرسَل، على ما قاله كعب، وقال: وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله. وكذلك قال الخليل بن أحمد،... وأيضاً فإن حديث أنس مرفوع، وحديث عبدالله موقوف عليه من قوله، والمسند المرفوع أولى».

قلت: ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض، وذهب إلى الجمع الحافظ، فقال:

«قلت: ولا يعارض قوله إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة؛ لأنه يحمل على أن أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها».

قوله: (وإذا ورقها كآذان الفِيَلة، وإذا ثمرها كالقلال): الفيل: مفرد، وجمعها: فيلة - بكسر الفاء وفتح التحتانية بعدها لام -، ويجمع - أيضاً -: أفيال؛ ويجمع - أيضاً - فيول؛ كما عند البخاري: «مثل آذان الفيول». والفيل الحيوان المعروف، وهو ضخم الخلقة وعظيمها. ذو خرطوم طويل، يتناول به الأشياء كاليد، وله نابان كبيران يتخذ منهما العاج.

والقلال: ـ بكسر القاف ـ جمع قلة ـ بالضم ـ؛ وهي: الجرار، والقلة: الجرة العظيمة تسع قربتين. يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين؛ فلذلك وقع تحديد الماء الكثير بها في قوله: «**إذا بلغ الماء قلتين**».

ويقال: كقلال هجر.

وهجر: ـ بفتح الهاء والجيم ـ، قرية قريبة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تُعمل بها القِلال؛ لأنها تقل؛ أي: ترفع وتحمل.

قال ابن دحية: «اختيرت السدرة دون غيرها؛ لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل ممدود، وطعام لذيذ، ورائحة زكية، فكانت بمنزلة الإيمان الذي يجمع القول والعمل والنية، والظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول».

قوله: (فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها): غشيها: من الغشية، يقال: غشيه يغشاه غشياناً؛ إذا جاءه، وغشاه تغشية: إذا غطّاه، وغشي الشيء: إذا لابسه.

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ لما وصل إلى سدرة المنتهى رأى شيئاً عظيماً؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] وهذا خبر مؤكد بالقسم واللام وقد. والآيات هي المشاهدة المنظورة لا المقروءة، ووصفها بالكبرى؛ لعظمها كماً وكيفاً.

فإنه رأى أوراق وثمار الأشجار العظيمة، ورأى الجنة ودخلها وما فيها، ورأى النار وعذاب أهلها وغيرها.

وقوله: «**تغيرت**»: أي: انتقلت عن حالها الأول إلى حال أحسن منها، بحيث لا يستطيع أن يعبر عنها لسان، ويصفه بنان، وتخطر على عقل إنسان.

وعند الإمام أحمد زيادة في السياق: «... فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتاً أو زمرداً أو نحو ذلك».

قوله: (ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة): فرض: من الفرض، وأصله: القطع. يقال: فرضه يفرضه فرضاً، وافترضه افتراضاً، وهو: الواجب.

والمعنى: أنّ الله أوحى إليّ أحكاماً، منها أوجب عليَّ - وأمته داخلة في هذا الواجب - أن أُصلي خمسين صلاة في اليوم والليلة.

قال الحافظ: «والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء: أنه ﷺ لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله له ولأُمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة، وقال: في اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء إشارة إلى عظم بيانها، ولذلك اختص فرضها بكونه بغير واسطة؛ بل بمراجعات تعددت.

قوله: (ارجع إلى ربك): ارجع إلى المكان الذي تكلمت منه مع ربك؛ فاطلب منه حاجتك من التخفيف كما جاء في السياق.

قوله: (فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم): والمعنى: أنّ موسى - عليه السلام - طلب من نبينا أن يراجع ربه ويطلب منه أن يخفف - أي: ينقص - من عدد الصلوات؛ لأن الناس لا يطيقون ذلك، ويوقعهم في حرج ومشقة؛ ولأنني جربت هذا مع قومي فلم يقبلوا ولم يلتزموا إلا ما شاء الله وقليل ما هم.

قوله: (خَفِّفْ على أُمتي، فحط عني خمساً): طلب النبي ﷺ أن ينقص له ولأُمته عمّا فرضه عليهم من خمسين صلاة في اليوم والليلة مرحلة مرحلة خمساً خمساً.

قوله: (فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً): الرجوع إلى موسى وذلك عند نزوله من السماء السابعة إلى السادسة التي فيها موسى - عليهما الصلاة والسلام -.

قال الحافظ: «قيل اختص موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بهذا دون غيره ممن لقيه النبي ﷺ ليلة الإسراء من الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لأنه أول من تلقاه عند الهبوط، ولأن أُمته أكثر من أمة غيره، ولأن كتابه أكبر الكتب المنزلة قبل القرآن تشريعاً وأحكاماً، أو لأن أُمة موسى كانوا كلفوا من الصلاة ما ثقل عليهم فخاف موسى على أُمة محمد مثل ذلك، وإليه الإشارة بقوله: «**فإني بلوت بني إسرائيل**»».

قال مقيده أبو أسامة الهلالي - كان الله له -: الأخير هو الصواب؛ لأن صريح منطوق الحديث؛ فلا يعدل عنه إلى غيره.

وأما قولهم: أن موسى أول من لقيه من الأنبياء؛ ليس بصحيح؛ لأن موسى في السماء السادسة، وإبراهيم كان في السابعة، فكان يكون إبراهيم أولى بذلك، ولكن إذا ورد الأثر بطل النظر.

قوله: (فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حتى قال: «يا محمد): وهكذا يصعد للمراجعة، وينزل إلى موسى ويسأله ويجيبه حتى خاطبه ربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - بصوت وحرف يناديه باسمه.

قوله: (إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة...): وبيّن له في هذا الخطاب التشريعي: أنه قبل شفاعته لأُمته في تخفيف عدد الصلوات من خمسين إلى خمس؛ وأنه أبقى أجر الخمسين، وفسر ذلك بأن الحسنة تضاعف إلى عشر بما جاء بعده.

قوله: (فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه): نكتة لطيفة قالها ابن المنير: «يحتمل أنه ﷺ تفرّس من كون التخفيف وقع خمساً خمساً أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمساً لكان سائلاً في رفعها؛ فلذلك استحيا».

ويحتمل أن يكون سبب الاستحياء أن العشرة آخر جمع القلة وأول جمع الكثرة؛ فخشي أن يدخل في الإلحاح في السؤال لكن الإلحاح في الطلب من الله مطلوب، فكأنه خشي من عدم القيام بالشكر والله أعلم، قاله الحافظ.

فقه الحديث:

١ ـ هذا الحديث من الأحاديث الطوال، والذي يعرف بحديث الإسراء والمعراج.

٢ ـ بيان الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ثم العروج إلى السماوات العلى، والمعراج ذكر في فواتيح سورة النجم باتفاق المفسرين.

٣ ـ بيان ما أكرم الله به نبيه وخليله محمد ﷺ بالعروج إليه، وتكليمه إياه بلا واسطة.

٤ ـ بيان عظم القدرة التي أُعطيها البراق في مسيره واتجاهه إلى العلو.

٥ ـ أنّ البراق حيوان من جملة الحيوانات؛ لكنه خص بأشياء للقيام بدوره في نقل النبيين والانتقال بهم.

٦ ـ تأييد النبي ﷺ بخوارق العادة.

٧ ـ أنّ الأنبياء جميعاً دخلوا بيت المقدس، وصلوا في المسجد الأقصى.

٨ ـ مشروعية الأخذ بالأسباب، وأنه لا ينافي التوكل؛ بل هو من التوكل؛ ولذلك ربط الرسول ﷺ البراق في حلقة بيت المقدس.

٩ ـ الداخل للمسجد لا بد أن يصلي ركعتين.

١٠ ـ بيان توفيق الله تعالى لنبيه في الاختيار.

١١ ـ فضيلة بيت المقدس، وأنه مسرى نبينا محمد ﷺ، ومصلى الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ فك الله أسره من احتلال دولة اليهود الخبيثة، وأعاده إلى المسلمين بمنه وكرمه، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، فنسأل الله أن يجعله فتحاً قريباً، ونصراً مؤزراً مبيناً.

١٢ ـ أنّ اللبن يفسر بالفطرة، والإسلام، والعلم، والشيء الطيب الطاهر المغذي، كثير الفائدة.

١٣ ـ أنّ الإسراء والمعراج وقع للنبي ﷺ باليقظة بروحه وجسده.

١٤ ـ أنّ للسماء أبواباً حقيقة، وحفظة موكلين بها.

١٥ ـ أنّ الملائكة لهم وظائف متعددة.

١٦ ـ وفيه الاستئذان عند إرادة الدخول إلى بيت أو مكان له أبواب وحرس.

١٧ ـ على المستأذن أن يقول: أنا فلان، ولا يقتصر على أنا؛ لأنه ينافي مطلوب الاستفهام.

١٨ ـ أن أبواب السماء تُفتح وتُغلق بأمر الله.

١٩ ـ بيان علو مكانته ﷺ، وعلو ما وصل إليه من ملكوت السماوات العلى.

٢٠ ـ استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن، والدعاء لهم وإن كانوا أفضل من الداعي.

٢١ ـ بيان أدب من آداب البوّاب، وأنه لا يسمح لأحد بالدخول إلا بعد أن يتأكد من إذن صاحب البيت للطارق، وإن كان صديقاً له.

٢٢ ـ الملائكة لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم الله تعالى به، ولذلك استفهموا من جبريل ـ عليه السلام ـ عن بعثة النبي ﷺ.

٢٣ ـ بيان إكرام الله للأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ حيث رفعهم إلى السماوات العلى.

٢٤ ـ بيان تفاوت مراتب الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٢٥ ـ وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وأسباب الفتنة.

٢٦ ـ أنّ عيسى ويحيى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ أبناء خالة؛ أم كل منهما خالة الآخر.

٢٧ ـ أنّ يوسف ـ عليه السلام ـ أُوتي شطر الحسن الذي أُعطيه الناس، أو الذي كان عليه آدم ـ عليه السلام ـ؛ وأنه من الجمال بمكان حيث جعل امرأة العزيز تراوده عن نفسها؛ كما في الكتاب العزيز: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣١ و٣٢].

٢٨ ـ أنّ هذا الجزء من الحديث المتعلق بإدريس من معاني قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

٢٩ ـ أنّ السماوات سبع؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

٣٠ ـ أنّ البيت المعمور في السماء السابعة، وهو قبلة أهل السماء؛ كما أن الكعبة هي قبلة أهل الأرض.

٣١ ـ جواز الاستناد إلى القبلة بالظهر وغيره، مأخوذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور.

٣٢ ـ بيان معنى «سدرة المنتهى» من كلام ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض؛ فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها؛ فيقبض منها».

٣٣ ـ بيان كثرة عدد الملائكة وأنهم من أكثر خلق الله تعالى، إن لم يكونوا الأكثر، فإنه لا يعلم من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر.

٣٤ ـ بيان عظم الجزاء الذي أعده الله لأوليائه في الآخرة.

٣٥ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يزين ويجدد الجنات إلى الأحسن لسكانها.

٣٦ ـ أنّ هذا الجزء المذكور فيه الغشية وما قبلها من معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

٣٧ ـ أنّ العقل البشري لا يستطيع أن يدرك حقيقة ما في الجنة.

٣٨ ـ أنّ الوحي المذكور في السماء هو من وراء حجاب: كلام يسمعه دون واسطة.

٣٩ ـ أنّ الصلاة فرضت ليلة المعراج في السماء، وهذا يدل على أهميتها وفضلها.

٤٠ ـ أنها فرضت أول الأمر خمسون صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، فهي خمس في العدد، خمسون في الأجر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها.

٤١ ـ في الحديث دليل على استقرار هذا العدد؛ فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، وفيه رد على الحنفية الذين أوجبوا صلاة سادسة وهي الوتر.

٤٢ ـ جواز نسخ الحكم قبل التمكن من الامتثال؛ خلافاً للمعتزلة.

٤٣ ـ أنّ ما فُرض على النبي ﷺ هو فرض على أُمته إلا ما خصه الدليل.

٤٤ ـ أنّ التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة.

٤٥ ـ فيه الإشارة إلى عظم بلاء موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع بني إسرائيل.

٤٦ ـ قال الحافظ في «الفتح»:

«قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسداً، معاذ الله؛ فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا﴾ [الحجر: ٤٧] فكيف بمن اصطفاه الله تعالى؟ بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم، المستلزم لتنقيص أجره:

لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه؛ ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة».

٤٧ ـ مشروعية بذل النصيحة لمن يحتاج إليها، وإن لم يستشر الناصح في ذلك.

٤٨ ـ بيان نوع من أنواع الشفاعة التي أعطيها النبي ﷺ.

٤٩ ـ شفقة النبي ﷺ ورحمته ولطفه بأُمته.

٥٠ ـ وفيه فضيلة الحياء والاستحياء من رب العالمين.

٥١ ـ دليل صحيح فصيح أنّ الله تعالى كلّم محمداً ﷺ من وراء حجاب.

٥٢ ـ وأنّ الله ـ تعالى ـ يتكلم بصوت وحرف، متى شاء وكيف شاء، ويُسمع من شاء من عباده.

٥٣ ـ مشروعية الإلحاح في الدعاء وطلب الحاجة.

٥٤ ـ ثبت عن ابن مسعود قوله: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] قال: فراش من ذهب.

٥٥ ـ وعند مسلم في «صحيحه»؛ «قال: فأُعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أُعطي الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أُمته شيئاً المقحمات».

٥٦ ـ في «المدارك»: أنه يوم نودي على الفيل بالمدينة فخرج ابن القاسم ولم يخرج يحيى بن يحيى. فقيل لابن القاسم في ذلك؟ فقال: إنما خرجت لأنظر الآذان التي شبه بها النبي ﷺ ورق سدرة المنتهى.

٥٧ ـ قال الحافظ: «قيل: الحكمة في الإسراء به راكباً مع القدرة على طي الأرض له إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة في مقام خرق

العادة، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه».

٥٨ ـ وقال ـ أيضاً ـ: «والحكمة لكونه بهذه الصفة الإشارة إلى أن الركوب كان في سلم وأمن، لا في حرب وخوف، أو لإظهار المعجزة بوقوع الإسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة».

٥٩ ـ ويؤخذ من ترك تسمية سير البراق طيراناً: أن الله إذا أكرم عبداً بتسهيل الطريق له حتى قطع المسافة الطويلة في الزمن اليسير أن لا يخرج بذلك عن اسم السفر وتجري عليه أحكامه.

قلت: وهذا يصدق على السفر بالطائرة كما هو معروف اليوم.

٦٠ ـ قال ابن أبي جمرة: «خُصَّ البراق بذلك إشارة إلى الاختصاص به؛ لأنه لم ينقل أن أحداً ملكه، بخلاف غير جنسه من الدواب».

قال: «والقدرة صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق، ولكن ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه؛ لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماش، والراكب أعز من الماشي».

٦١ ـ قال الحافظ: «والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج أنه لما قدس ظاهراً وباطناً حين غسل بماء زمزم بالإيمان والحكمة، ومن شأن الصلاة أن يتقدمها الطهور ناسب ذلك أن تفرض الصلاة على تلك الحالة، وليظهر شرفه في الملأ الأعلى، ويصلي بمن سكنه من الأنبياء وبالملائكة، وليناجي ربه، ومن ثم كان المصلي يناجي ربه ـ جلّ وعلا ـ».

٦٢ ـ قال القاضي: «وفي هذه القصة أدلّ حجة وأوضح برهان، وأصح دليل على مذهب أهل الحق من فعل الله تعالى وخلقه محضاً ليس يوجبهما سبب ولا تقتضيهما طبيعة، ولا يشترط لوجودهما شرط لا يوجدان إلا معه البتة؛ إلا من حيث أجرى الله العادة، حتى إذا شاء خرقها وأنفذ قدرته كيف شاء وكانت بمجرد قدرته وإرادته، خلافاً للفلاسفة ومن ضارع

مذهبهم من المعتزلة، فإن شق الجوف وإخراج الحشوة، وإخراج القلب وشقه ومعاناته وغسله، وإخراج شيء منه كل ذلك مقتل في العادة وسبب يوجد معه الموت لا محالة، وقد اجتمعت هذه كلها في هذه القصة ولم يمت صاحبها، إذ لم يُرد الله موته ولا قضاه، بل كانت هذه المهالك في حق غيره أسباباً لحياة نفسه وقوة روحه وكمال أمره».

٦٣ ـ وقال: «وفي هذا دليل على صحة قول المحققين: إن الكفر لا يصح قبل النبوة على الأنبياء، وإن نبينا وسائرهم معصومون منه ومن سائر المعاصي، ثابتو الإيمان من صغرهم، ألا ترى كيف حشي صدره وقلبه حكمة وإيماناً من صغره وهو عند ظئره؟».

٦٤ ـ وقال ـ أيضاً ـ: «وفيه حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتاب الله من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام، التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات من كتاب الله والأحاديث الصحيحة، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره، لكن كيفية ذلك وجنسه وصورته مما لا يعلمه إلا الله أو من أطلعه على غيبه من ذلك من ملائكته ورسله، ومما لا يتأوله ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان، إذ جاءت به الشريعة، ودلائل العقول لا تحيله، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، حكمة من الله تعالى وإظهار لما شاء من غيبه لمن شاء من ملائكته وخلقه، وإلا فهو الغني عن الكتب والاستذكار، لا إله غيره».

٦٥ ـ وقال: «وفي علو منزلة نبينا وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليل على عُلُوّ درجته وإبانة فضله».

٦٦ ـ وفيه: الردّ على طوائف من المبتدعة حيث نفوا أن يكون الله تعالى يتكلم.

٦٧ ـ وأنّ محمداً ﷺ كلّم الله ـ تعالى ـ بغير واسطة؛ كما كلّمه موسى ـ عليه السلام ـ، فهو كليم الله تعالى.

٦٨ ـ وليس في الحديث دليل على رؤية النبي لربه تعالى لا من قريب ولا من بعيد، إذ لم يشر الحديث إلى ذلك أدنى إشارة.

والصحيح: أن الرسول ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رأى نور الحجاب: فقال: «**رأيت نوراً**»، وقال: «**نور أنى أراه**».

٦٩ ـ قال ابن أبي جمرة: «الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أُسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، وإذا صحّ خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند».

٧٠ ـ قال الحافظ بعد إيراد جملة من الآثار: «فهذه آثار يشد بعضها بعضاً فيها دلالة على أن البراق كان معداً لركوب الأنبياء، خلافاً لمن نفىٰ ذلك كابن دحية. وجاءت آثار أخرى تشهد لذلك لم أرَ الإطالة بإيرادها».

٧١ ـ أنّ إمامة الرسول ﷺ بالأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ دليل من عشرات الأدلة على أن شريعة الإسلام ناسخة لجميع شرائع النبيين وخاتمة لها.

٧٢ ـ وفيه بيان الارتباط الوثيق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فهو ثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال، ولذلك؛ فإن تضييعه أمر شديد؛ فينبغي على أمة الإسلام حكاماً وشعوباً: أن يرجعوا إلى دينهم؛ ليعيدوا المسجد الأقصى وبيت المقدس إلى ديار المسلمين، ويحرروه من يهود الذين عاثوا فيه الفساد، وسفكوا الدم الحرام، والله غالب على أمره.

٧٣ ـ أنّ الأصل حمل النصوص على الحقيقة الشرعية، لا يُحاد عنه إلا بدليل صحيح أو التعذر.

٧٤ ـ ثبت عند البخاري برقم (٥٦١٠) في هذا الحديث:

«... فأُتيتُ بثلاثة أقداح: قَدَحٌ فيه لبن، وقدح فيه عسل، وقدح فيه خمر...».

قال الحافظ: «والزيادة من الحافظ مقبولة، وقد توبع، وذكر إناءين لا ينفي الثالث، مع أنني قدّمت في الكلام على حديث الإسراء أن عرض الآنية على النبي ﷺ وقع مرتين: قبل المعراج وهو في بيت المقدس، وبعده وهو عند سدرة المنتهى، وبهذا يرتفع الإشكال جملة».

قال ابن المنير: «لم يذكر السر في عدوله عن العسل إلى اللبن كما ذكر السر في عدوله عن الخمر، ولعل السر في ذلك كون اللبن أنفع، وبه يشتد العظم وينبت اللحم، وهو بمجرده قوت، ولا يدخل في السرف بوجه، وهو أقرب إلى الزهد ولا منافاة بينه وبين الورع بوجه، والعسل وإن كان حلالاً لكنه من المستلذات التي قد يخشى على صاحبها أن يندرج في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٠]».

قلت: ويحتمل أن يكون السر فيه ما وقع في بعض طرق الإسراء أنه ﷺ عطش ـ كما تقدم في بعض طرقه مبيناً هناك ـ فأتي بالأقداح، فآثر اللبن دون غيره لما فيه من حصوله حاجته دون الخمر والعسل، فهذا هو السبب الأصلي في إيثار اللبن وصادف مع ذلك رجحانه عليهما من عدّة جهات؛ قاله الحافظ.

٧٥ ـ قال ابن المنير: «ولا يعكر على ما ذكرته: أنه كان يحب الحلوى والعسل؛ لأنه إنما كان يحبه مقتصداً في تناوله لا في جعله ديدناً ولا تنطعاً».

٧٦ ـ ويؤخذ من عرض الآنية عليه ﷺ إرادة إظهار التيسير عليه، وإشارة إلى تفويض الأمور إليه.

٧٧ ـ وفيه دليل على طهارة اللبن.

٧٨ ـ استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى والإلحاح في دعائه وعدم الاستعجال.

٧٩ ـ بيان ما أسدى موسى ـ عليه السلام ـ لأمة محمد ﷺ حيث نصح للنَّبيِّ ﷺ بطلب التخفيف عليهم عن خمسين صلاة حتى صارت خمساً.

٨٠ ـ بيان فضل الله تعالى على هذه الأمة المحمدية المرحومة حيث خفف عنها خمسين صلاة من حيث العدد، وأبقى أجرها كما هي.

٨١ ـ حديث الإسراء والمعراج من الأدلة المتواترة على علو الله على خلقه، وأنه فوق عرشه بائن من خلقه.

٨٢ ـ اللبن يؤول في المنام بالفطرة والعلم.

٨٣ ـ ذكر البراق ووجوده دليل على وجود عوالم كثيرة لا يعلمها الإنسان، ولم يحط بها علماً.

٨٤ ـ عدم اختيار رسول الله ﷺ لإناء الخمر فيه تنبيه على أنها ستحرم على أمته، ولو لم تكن يومئذ محرمة عليهم؛ لأن تحريمها وقع بالتدريج، وتأخر الفصل فيها.

٨٥ ـ الملائكة في الملأ الأعلى كانوا يعلمون أن محمداً رسول رب العالمين، ولكنهم لم يعلموا وقت رسالته.

٨٦ ـ الملائكة الكرام مستغرقون بالعبادة، لا يفترون عنها.

٨٧ ـ فيه من أحكام السلام وآدابه: أن المار يسلم على القاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد؛ فقد كان رسول الله ﷺ وجبريل يبدؤون الأنبياء بالسلام.

٨٨ ـ مما يدل على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح يقظة لا مناماً أن النبي ﷺ لما حدّث قريشاً به كذبوه، وأنكروه أشد الإنكار، ولو كان إسراء روح أو منام ما كذبوا رسول الله ﷺ، ولا أنكروا الإسراء والمعراج؛ لأن قريشاً لا تنكر المنامات.

٨٩ ـ الإسراء والمعراج كما هو شرف ورفعة للنبي ﷺ؛ فهو كذلك لأمة محمد ﷺ.

٩٠ ـ البراق يطير طيراناً؛ لأنه إذا كان يضع حافره عند منتهى طرفه، فمنتهى طرفه سيكون بعيداً، ولذلك هو يقفز قفز طيران.

٩١ ـ لا يجوز أن نقول البراق عند من؟ ومن أين نزل؟ وأين يوجد؟ وهل جاء من السماء؟ أو خرج من الأرض؟ وأشباه ذلك مما يفرضه الذهن، ويتكلفه الفكر، كل ذلك لا ينبغي أن نبحث فيه؛ لأن من سبقونا بالعلم والإيمان والفضل لم يبحثوا عنه، ولو كان جائزاً وممكناً لفعلوا.

٩٢ ـ السماء سقف محفوظ؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] لا يمكن أن يدخله أحد إلا بإذن من الله تعالى.

٩٣ ـ جواز التعريف بالأشخاص لمن لا يعرفهم، فقد قال جبريل للرسول: «هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم عليه فرد السلام، وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح».

٩٤ ـ الآباء وإن علوا؛ فكلهم يطلق عليه أب، وكذلك الأبناء وإن سفلوا؛ فهم أبناء.

٩٥ ـ إدريس ـ عليه الصلاة والسلام ـ من بني إسرائيل، وأخطأ من جعله قبل نوح كما في شجرة تسلسل نسب النبي ﷺ إلى آدم، وفيها إدريس فوق نوح، وهذا كذب، ووجه كذبه قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ٦٣] وإدريس نبي ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

وكل الأنبياء من بعد نوح ومن ذريته: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الحديد: ٢٦] فكيف يكون من آباء نوح؟

والصواب أنه من بني إسرائيل؛ لأنه يذكر في بني إسرائيل.

٩٦ ـ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أفضل الأنبياء والمرسلين إلا رسولنا محمد ﷺ، ولذلك رآه رسول الله ﷺ في السماء السابعة فوق الأنبياء كلهم.

٩٧ ـ دلّ الحديث على قوة جأش الرسول ﷺ وقوة قلبه؛ فإن الله سبحانه أسرى به، وعرج به، وأراه الآيات الكبرى، ومع ذلك ما كذب الفؤاد ما رأى، وما زاغ البصر وما طغى، بل كان في كمال الثبات، وعلى كمال الأدب؛ فلم يلتفت يمنة ولا يسرة مع أن الموقف على ما فيه من غرائب يستدعي ذلك.

٩٨ ـ ترتيب الأنبياء في السماوات لا يدل على ترتيب الأفضلية؛ لأن عيسى ـ عليه السلام ـ في السماء الثانية، وهو أفضل ممن فوقه إلا موسى وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ.

٩٩ ـ الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة، ولم يحصل تعدد؛ كما قال بعض أهل العلم.

١٠٠ ـ بداية الإسراء كانت من المسجد الحرام ونهايته كانت في بيت المقدس، وهذا دليل أن مكة منها المبتدأ وبلاد الشام إليها المنتهى في كلمات الله الشرعية والكونية. وهو ما فصلته تفصيلاً، وأصلته تأصيلاً منهجياً في كتابي: «معلمة أحاديث بلاد الشام الصحيحة».



٢٦٠ ـ {...} حدّثنِي عَبْدُاللّهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيّ، حَدَّثَنَا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُنْزِلْتُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

❃ غريب الحديث:

قوله: (أُتيت فانطلقوا بي، فشرح عن صدري، ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت).

أتيت: أي: أتاني الملائكة.

انطلقوا بي: ذهبوا بي.

إلى زمزم: إلى بئر زمزم، وهي البئر المعروفة في المسجد الحرام بمكة.

فشرح عن صدري: أي: شق.

ثم أنزلت: أي: ردّ إلى مكانه الذي رفع منه، وأنزل في مضجعه كما هو ظاهر الرواية؛ لكنها مختصر، والرواية التامة تبيين: أنها أنزلت طست من ذهب ممتلئة حكمة وإيماناً حشي بها قلبه؛ كما سيأتي مفصلاً.

والمعنى: أنّ الملائكة جاؤوا النبي ﷺ أول ما جاءوا وهو صغير لم يبلغ بواجب كلفوا به من قبل الله تعالى - يأتي التصريح به في الرواية التي تليها - فحملوه من مكانه، وذهبوا به إلى مكان بئر زمزم، وعند ذلك شقوا صدره، وأخرج قلبه، وغسل بماء زمزم، وأعيد مكانه، ثم أُنزل بمعنى أنزل من المكان الذي رفع إليه، ووضع على الأرض بعد هذه العملية؛ لأن الروايات الأخرى فيها أنهم حملوه ولازمه الرفع، وبعد ذلك أنزلوه.

فقه الحديث:

١ - أنّ العناية الإلهية بالنبي ﷺ كانت منذ ولادته إلى وفاته.

٢ - أنّ النبي ﷺ خص بالطاقات التي يختلف فيها عن سائر الناس.

٣ - وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه.

تكميل لكل نبيل:

رواية المصنف - رَحِمَهُ اللهُ - مختصرة من المتن الطويل كسائر الروايات التي يوردها مختصرة؛ لكنه لم يبين ذلك، وإليك تفصيل العلماء:

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ -:

ولم أزل أَعُدّ هذا وما قبله أنا وغيري من غرائب المعاني، ودقائق أسرار كشف المشكل إلى أن أوقفني المطالعة عن الجلاء فيه، وإذا اللفظ طرفٌ من الحديث الطويل المتقدّم، وقف عليها الراوي معلِّقاً بقيّة الحديث بما تقدّم، ومُحيلاً عليه، فذكر الإمام أبو بكر الخُوَارَزميّ المعروف بالبَرْقانيّ في «الصحيح» فقال فيه: «**ثمّ أُنزلت طستٌ مملوءةٌ حكمةً وإيماناً، فحُشي بها صدري، ثم عُرِج بي**...»، وذكر تمام الحديث[1].

قال النوويّ: «ومقتضى رواية البَرْقانيّ أن يُضْبَطَ «أُنْزِلَتْ» ـ بفتح اللام وإسكان التاء ـ، وكذلك ضبطناه في الجمع بين «الصحيحين» للحميديّ، وحَكَى الحميديّ هذه الزيادة المذكورة عن رواية البَرْقانيّ وزاد عليها، وقال: أخرجها البَرْقانيّ بإسناد مسلم، وأشار الحميديّ إلى أن رواية مسلم ناقصة، وأن تمامها ما زاده البَرْقانيّ، والله تعالى أعلم».

وقال الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» **(٢/٥٣٣ ـ ٥٣٤)**:

وأخرج مسلم ـ أيضاً ـ طرفاً منه من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُتيتُ، فانطلقوا بي إلى زمزم، فشُرح عن صدري، ثم غُسل بماء زمزم، ثم أُنزلت**»، لم يزد مسلم على هذا فيما رأيناه من نُسَخ كتابه.

وتمامه في كتاب أبي بكر البَرْقَانيّ بهذا الإسناد، قال: «**ثم أنزلت طستاً من ذهب ممتلئةً إيماناً وحكمةً، فحشا بها صدري، ثم عَرَج بي الملكُ إلى السماء الدنيا، فاستفتح الملك، فقال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعِث؟ قال: نعم، ففتح، فإذا آدم، فقال: مرحباً بك من ولد ومرحباً بك من رسول، ثم عَرَج بي إلى السماء الثانية، واستفتح، فقال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعِثَ؟ قال: نعم، قال: ففتح، فإذا عيسى ويحيى، فقالا: مرحَباً بك من أخٍ ومرحباً بك من رسول، قال: ثم عَرَجَ بي الملك إلى السماء الثالثة، ثم اسْتفتح، قال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: من معك؟ قال: محمد، قال:**

(١) «إكمال المعلم» (١/٦٩٢ ـ ٦٩٤).

وقد بُعِثَ إليه؟ قال: نعم، ففتح، فإذا يوسف، قال: مرحباً بك من أخٍ ومرحباً بك من رسول، قال: ثم عَرَجَ بي إلى السماء الرابعة، ثم استفتح، فقال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعِثَ؟ قال: نعم، فإذا إدريس في الرابعة، فقال: مرحباً بك من أخٍ ومرحباً بك من رسول، قال: ثم عَرَج إلى السماء الخامسة، ثم استفتح، فَقال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث؟ قال: نعم، قال: ففتح، فإذا هارون، فقال: مرحباً بك من أخٍ ومرحباً بك من رسول، ثم عَرَج بي الملك إلى السماء السادسة، ثم استفتَح، فقال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث؟ قال: نعم، ففتح، فإذا موسى، فقال: مرحباً بك من أخٍ ومرحباً بك من رسول، ثم عَرَجَ إلى السماء السابعة، ثم استفتح، فقال: من ذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث؟ قال: نعم، ففتح، فإذا إبراهيم، فقال: مرحباً بك من ولد ومرحباً بك من رسول، فانتهيتُ إلى بناء، فقلتُ للملك: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله ـ عز وجل ـ للملائكة، يدخل فيه كلَّ يوم سبعون ألف ملك، يقدّسون الله، ويسّبحونه، ولا يعودون فيه، قال: ثم انتهيتُ إلى السدرة، وأنا أعرف أنها سدرة، أعرف ورقها وثمرها، قال: فلمّا غشيها من أمر الله ما غَشِيها، تحرّكت حتى ما يستطيع أحدٌ نعتها، قال: وفُرِض عليّ خمسون صلاةً، فأتيتُ على موسى، قال: بكم أُمرتَ؟ قلت: أُمرتُ بخمسين صلاةً، قال: فإن أمتك لا تُطيق هذا، فارجع إلى ربّك، فاسأله التخفيف، فرجعتُ إلى ربي، فوضع عنّي عشراً، قال: فما زلت بين ربي وموسى حتى جعلها خمس صلوات، فأتيتُ على موسى، فقال: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، قال: لا، بل أُسلِّم لربي، فنوديتُ: إني قد كمَّلتُ فَرِيضَتِي وخفَّفتُ عن عبادي، بكلّ صلاة عشر صلوات».



٣٦١ ـ {. . .} حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ

يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً. فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ ـ يَعْنِي ظِئْرَهُ ـ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ.

* غريب الحديث:

قوله: (أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فصرعه فشق عن قلبه): صرعه: من الصرع، والصرع: علَّة في الجهاز العصبي: تصحبها غيبوبة، وتشنج في العضلات. ويطلق ويراد به الطّرح على الأرض، وهذا هو المقصود في الحديث.

والمعنى: أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ أول ما أتى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ جاءه وهو صغير يلعب مع الغلمان، فطرحه على الأرض وشق صدره؛ ليصل إلى قلبه.

قوله: (فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه): علقة: من العلق، وهو الدّم الجامد، ومنه العلقة التي يكون منها الولد؛ قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] والعلق يطلق ويراد به أشياء كثيرة.

والشيطان: هو كل متمرد من إنس وجان، والمقصود هنا به شيطان الجنّ.

والطّست: ـ بفتح الطاء وكسرها والفتح أشهر ـ؛ وهي: إناء معروف، ويقال فيها: طسّ ـ بتشديد السين وحذف التاء ـ، وطسة ـ أيضاً ـ، وجمعها: طساس، وطسوس، وطسات.

لأمه: ـ بفتح اللام وبعدها همزة ـ ، يقال: لأم ولاءم بين الشيئين، إذا جمع بينهما، وضمّ بعضه إلى بعض.

والمعنى: أن جبريل استخرج قلب النبي ﷺ وغسله بعد أن نزع منه حظ الشيطان المتشكل بالعلقة ـ وهي القطعة من الدّم الجامدة ـ وإنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم. وكان غسل قلبه بأطهر ماء وأطيبه موضوع بأغلى وعاء من ذهب، وهذا أمر خارق للعادة لا يبقى أحد من البشر على الحياة إذا نزع قلبه. وإنما كان هذا للنبي إكراماً وإعداداً لما سيقوم به ويواجه ويختبر به مما لا يتحمله أي بشرٍ.

وبعد تلك العملية الجراحية أعاد القلب مكانه، وضم العظم واللحم بعضه إلى بعض بالخياطة، وأرجعه إلى المكان الذي أخذه منه، وهو معنى «أنزلت» في الرواية السابقة.

قال الحافظ: خص الطست، لكونه أشهر آلات الغسل عرفاً، والذهب لكونه أعلى أنواع الأواني في الجنة، ومنها: أنه لا تأكله النار، ولا التراب، ولا يلحقه الصدأ، ومنها: أنه أثقل الجواهر؛ فناسب ثقل الوحي.

قوله: (وجاء الغلمان يسعون إلى أُمِّه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إنّ محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون): الغلمان: جمع كثرة لغلام، وتجمع أيضاً؛ فيقال: غلمة؛ وهو: الصبي من حين يولد إلى أن يشب.

والظئر: هي ـ بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة ـ المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى، ويقال ـ أيضاً ـ لزوج المرضعة: ظئر.

منتقع: ـ بالقاف المفتوحة ـ؛ أي: متغير اللون.

قال أهل اللغة: امتقع لونه؛ فهو ممتقع، وابتقع بالباء، فهو مبتقع، فيه ثلاث لغات، والقاف مفتوحة فيهن. قال الجوهري وغيره: والميم أفصحن، ومعناه: تغير من حزن أو فزع.

والمعنى: أنّ الغلمان لما رأوا النبي أُخذ وصرع وحصل له ما حصل أسرعوا إلى مرضعته؛ فقالوا لها: إنه مات، فأسرعوا إليه، فوجدوه متغير اللون من الخوف الذي وقع له.

قوله: (وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره): وذلك لأنه كان

خادماً للنبي ﷺ عشر سنين في بيته، وحلّه وترحاله، وخلوته وجلوته، إلا ما لا يجوز وجوده فيه.

فقه الحديث:

١ ـ وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه فضلاً عمن شاهده، فقد جرت العادة بأن من شق بطنه وأخرج قلبه يموت لا محالة، ومع ذلك فلم يؤثر فيه ذلك ضرراً، ولا وجعاً؛ فضلاً عن غير ذلك.

٢ ـ قال ابن أبي جمرة: الحكمة في شق قلبه ـ مع القدرة على أن يمتلىء إيماناً وحكمة بغير شق ـ الزيادة في قوة اليقين؛ لأنه أُعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالاً ومقالاً، ولذلك وصف بقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

٣ ـ استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء، وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به. وثبت شق الصدر ـ أيضاً ـ عند البعثة؛ كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ولكل منها حكمة، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: «**فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك**» وكان هذا في زمن الطفولية، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

«وهذا الشقّ هو خلاف الشقّ المذكور في حديث أبي ذرّ ومالك بن صعصعة ـ رضي الله عنهما ـ؛ بدليل اختلاف الزمانين والمكانين والحالين، أما الزمانان؛ فالأول في صِغَره؛ والثاني في كِبَره، وأما المكانان؛ فالأول كان ببعض جهات مكة عند مرضعته، والثاني عند البيت، وأما الحالان؛ فالأول نُزع من قلبه ما كان يضرّه وغُسِل، وهو إشارة إلى عصمته، والثاني غُسِل، ومُلِئ

حكمةً وإيماناً، وهو إشارةٌ إلى التهيّؤ إلى مشاهدته ما شاء الله أن يُشْهِدَه، ولا يُلْتَفت إلى قول من قال: إن ذلك كان مرّةً واحدةً في صغره، وأخذ يُغلّط بعض الرواة الذين رووا أحد الخبرين، فإن الغلط به أَلْيَق والوهم منه أقرب، فإن رُواة الحديثين أئمة مشاهير حُفّاظٌ، ولا إحالة في شيء مما ذكروه، ولا معارضة بينهما ولا تناقض، فصحّ ما قلناه، وبهذا قال جماعة من العلماء؛ منهم: القاضي المهلَّب بن أبي صفرة في «شرح مختصر صحيح البخاري»»[1].

٤ ـ جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة؛ فلا يستحيل شيء من ذلك.

٥ ـ أنه ﷺ لا حظّ للشيطان فيه، ولا سلطان له عليه؛ بل عصمه الله منه.

٦ ـ دليل على أنّ الطبيب يجوز له أن يشق صدر المريض، وينظر إلى أعضائه الداخلية، ويخيط ذلك بعد انتهاء العملية، وأنّ الصدر ليس بعورة على الرجل. ولهذا يجوز النظر إليه.

وهذا ما يعرف في الطب الحديث بعمليات القلب المفتوح، وهي من أخطر العمليات الجراحية.

٧ ـ بيان قرب أنس ـ رضي الله عنه ـ من النبي ﷺ.

٨ ـ أنّ أثر هذا الشق بقي ظاهراً في جسده إلى سن الكبر مما يدل أنه شق حقيقي وعملية واقعية بخلاف من زعم غير ذلك.



٢٦٢ ـ {...} حَدَّثَنَا هَرُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ ـ وَهُوَ ابْنُ بِلالٍ ـ قَالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ

(١) «المفهم» (١/٣٨٢ ـ ٣٨٣).

مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ؛ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئاً وَأَخَّرَ. وَزَادَ وَنَقَصَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أن الإمام مسلم كان خرّيتاً عارفاً بالأحاديث والعلل التي فيها، فقد أورد الحديث بإسناده، ومع ذلك أشار إلى الخطأ الذي فيه حيث قال: وقدّم وأخر، زاد ونقص.

٢ ـ تصريح الإمام مسلم بأن في حديث الإسراء فيه اضطراب من قبل شريك بن عبدالله بن أبي نمر.

قال القاضي عياض:

«وقد جاء في مسلم من رواية شريك في هذا الحديث اضطراب وأوهام، أنكرها عليه العلماء، وقد نبَّه مسلم على ذلك بقوله: «فقدَّم وأخَّر وزاد ونقص منها».

قال عبدالحق في «الجمع بين الصحيحين»: «زاد فيه ـ يعني: شريكاً ـ زيادة مجهولةً، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى الإسراء جماعة من الحفاظ، فلم يأتِ أحدٌ منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ».

وسبق إلى ذلك أبو محمد بن حزم، فيما حكاه الحافظ أبو الفضل بن طاهر في جزء سمّاه: «الانتصار لأيامى الأمصار»؛ فنَقَل فيه عن الحميديّ، عن ابن حزم، قال: «لم نجد للبخاريّ ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديثين، ثم غلبه في تخريجه الوهم، مع إتقانهما وصحة معرفتهما فذكر هذا الحديث، وقال: فيه ألفاظ معجمة، والآفة من شريك.

من ذلك قوله: «قبل أن يوحى إليه»، وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة، قال: وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم إنما كان قبل الهجرة بسنة، وبعد أن أوحي إليه بنحو اثنتي عشرة سنة.

ثم قوله: «إن الجبار دنا فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»، وعائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: إن الذي دنا فتدلى جبريل».

وقال أبو الفضل بن طاهر: تعليل الحديث بتفرد شريك، ودعوى ابن حزم أن الآفة منه شيء لم يُسْبَق إليه، فإن شريكاً قَبِله أئمة الجرح والتعديل، ووثَّقُوه، ورووا عنه، وأدخلوا حديثه في تصانيفهم، واحتجوا به، ورَوَى عبدالله بن أحمد الدَّوْرَقيّ، وعثمان الدارميّ، وعباس الدُّوريّ عن يحيى بن معين: لا بأس به، وقال ابن عديّ: مشهور من أهل المدينة، حَدَّث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا رَوَى عنه ثقة لا بأس به، إلا أن يَرْوِي عنه ضعيف، قال ابن طاهر: وحديثه هذا رواه عنه ثقةٌ، وهو سليمان بن بلال قال: وعلى تقدير تسليم تفرده «قبل أن يوحى إليه» لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع من الحديث، لا يُسقط جميع الحديث، ولا سيَّما كان الوَهَم لا يستلزم ارتكاب محذور، ولو تُرِك حديث مَن وَهِم في تاريخ لتُرك حديث جماعة من أئمة المسلمين، ولعله أراد أن يقول: «بعد أن أوحي إليه»، فقال: «قبل أن يوحى إليه»».

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وعلى ذلك نقول: ما خالف فيه شريك ثابتاً؛ فإنه ينظر الأرجح، فيؤخذ به، وما زاد بدون مخالفة؛ فإنه يؤخذ بالزيادة»[1].

٣ ـ قوله: (قبل أن يوحى إليه) أنكره الخطابي، وابن حزم، وعبدالحق، والقاضي عياض، والنووي وغيرهم من العلماء.

وصرح المذكورون بأن شريكاً تفرد بذلك، وفي ذلك نظر؛ فقد وافقه كثير بن خنيس عن أنس؛ كما أخرجه سعيد بن يحيى الأموي في «كتاب المغازي» من طريقه. قاله الحافظ.

ـ قال أبو الفضل بن طاهر: «تعليل الحديث بتفرد شريك، ودعوى ابن حزم: أن الآفة منه شيء لم يسبق إليه. فإن شريكاً قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه ورووا عنه، وأدخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به، وروى عبدالله بن أحمد الدورقي وعثمان الدارمي وعباس الدوري عن يحيى بن معين: لا بأس به. وقال ابن عدي: مشهور من أهل المدينة،

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥٥٠).

حدّث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به إلا أن يروي عنه ضعيف. وحديثه هذا رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال، وعلى تقدير تسليم تفرده «قبل أن يوحى إليه» لا يقتضي طرح حديثه. فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث، ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور، ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لتُرك حديث جماعة من أئمة المسلمين، ولعله أراد أن يقول: بعد أن أُوحي إليه، فقال: قبل أن يوحى إليه» اهـ.

٤ ـ رواية شريك بن عبدالله بن أبي نمر: ساقها الإمام البخاريّ في «كتاب التوحيد» من «صحيحه» مطوّلةً (٧٥١٧): حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثني سليمان، عن شريك بن عبدالله، أنه قال: سمعت أنس بن مالك، يقول: ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نَفَرٍ قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أَيُّهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يَرَهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يَرَى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشَقّ جبريل ما بين نَحْره إلى لَبَّته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه، ثم أَتَى بطست من ذهب، فيه تَوْرٌ من ذهب، محشوّاً إيماناً وحكمةً، فحشا به صدره ولَغَاديده ـ يعني: روق حلقه ـ ثم أطبقه، ثم عَرَج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: مَن هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بُعِث؟، قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء، لا يَعْلَم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يُعلمهم، فوَجَدَ في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك آدم، فسَلِّم عليه فسَلَّم عليه ورَدّ عليه آدم، وقال: مرحباً وأهلاً بابني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطّردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مَضَى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ

وزَبَرْجَد، فضرب يده، فإذا هو مسكٌ أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عَرَج به إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: مَن هذا؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً، ثم عَرَج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عَرَج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عَرَج به إلى السماء الخامسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عَرَج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كلُّ سماء فيها أنبياء قد سمَّاهم، فأوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: ربِّ، لم أظُنّ أن يُرْفَع عليّ أحدٌ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا للجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاةً على أمتك كلَّ يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد، ماذا عَهِدَ إليك ربك؟ قال: عَهِد إليّ خمسين صلاةً كلَّ يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع، فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبيّ ﷺ إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يا ربِّ خَفِّف عنّا، فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى، فاحتبسه، فلم يزل يُرَدِّده موسى إلى ربه، حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضَعُفُوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع، فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبيّ ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم، فخفف عنّا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا

يُبَدَّل القول لديّ كما فرضتُهُ عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خَفَّف عنّا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك، فتركوه، ارجع إلى ربك، فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: يا موسى، قد والله استحييت من ربي، مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام».

٤ ـ قال الحافظ: «ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك:

الأول: أمكنة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في السموات وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة، وقد سبق الجواب عن ذلك، وأجاب بعضهم عن قوله: «قبل أن يوحى»؛ بأن القبلية هنا في أمر مخصوص وليست مطلقة، واحتمل أن يكون المعنى: قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلاً؛ أي: أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر به، ويؤيده قوله في حديث الزهري: فرج سقف بيتي.

الثالث: كونه مناماً.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى، وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة.

الخامس: مخالفته في النهرين، وهما: النيل والفرات، وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور في غير روايته: أنهما في السماء السابعة، وأنهما من تحت سدرة المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره كما بينت ذلك في شرح رواية قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة.

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث: أنه في الجنة.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله ـ عز وجل ـ، والمشهور في الحديث أنه جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

العاشر: قوله: «فعلا به الجبار؛ فقال: وهو مكانه».

الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الأحاديث أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع.

الثاني عشر: زيادة ذكر التور في الطست، فهذه أكثر من عشرة مواضع في هذا الحديث لم أرها مجموعة في كلام أحد ممن تقدم، وقد بينت في كل واحد إشكال من استشكله والجواب عنه إن أمكن وبالله التوفيق.

وقد جزم ابن القيم في الهدي: بأن في رواية شريك عشرة أوهام، لكن عدّ مخالفته لمحال الأنبياء أربعة منها، وأنا جعلتها واحدة، فعلى طريقته تزيد العدة ثلاثة، وبالله التوفيق».

قال شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ: «ولذلك؛ فإن القلب لا يطمئن للاستفادة من حديثه إلا فيما توبع عليه، وهو قليل جداً، وقد حسّن الحافظ بعضها، والله أعلم»[1].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: هذا هو التحقيق الدقيق الذي لا مزيد عليه، وأما ما تقدم من كلام شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ؛ فهو مرجوح، والله أعلم.

* غريب الحديث:

قوله: (عن ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة): أُسري: مأخوذ من السري، وهو: سير الليل.

---

(١) «الإسراء والمعراج» (ص٣٦).

تقول: أسرى وسرى إذا سار ليلاً بمعنى، هذا قول الأكثر.

وقال الحوفي: أسرى: سار ليلاً، وسرى: سار نهاراً، وقيل: أسرى سار من أول الليل، وسرى سار من آخره وهذا أقرب، قاله الحافظ.

والكعبة: كلُّ بيت على هيئته في التربيع، وبها سميت: الكعبة.

وقيل: كل شيء علا وارتفع؛ فهو كعب.

ومسجد الكعبة: هو المسجد الحرام.

والمعنى: أنّ أنساً كان يحدثنا عن ليلة إسراء رسول الله ﷺ، وأنه كان من المسجد الحرام.

قوله: (أنه جاءه ثلاثة نفر): المقصود بالنفر هنا: هم الملائكة.

قوله: (وساق الحديث بقصته): أي: أن شريكاً ساق متن الحديث مطولاً، وفيه قصة الإسراء بتمامها.

فقه الحديث:

١ ـ الإسراء كان من المسجد الحرام.



٢٦٣ ـ {١٦٣} وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ ـ عليه السلام ـ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ**

أَحد؟ قَالَ: نَعَمْ. مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَتَحَ. قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ». قَالَ: «فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى». قَالَ: «فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ». قَالَ: «قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ ﷺ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ التي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى». قَالَ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ». قَالَ: «فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَفَتَحَ».

فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ. وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. قَالَ: «فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ - صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ - قَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ». قَالَ: «ثُمَّ مَرَّ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: «هَذَا إِدْرِيسُ». قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى - عليه السلام - فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى». قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى. فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ». قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ - عليه السلام - فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ». قَالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللّهُ عَلَى

أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاةً». قَالَ: «فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى؛ فَقَالَ مُوسَى ـ عليه السلام ـ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟» قَالَ: «قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ لِي مُوسَى ـ عليه السلام ـ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». قَالَ: «فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا». قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ـ عليه السلام ـ فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». قَالَ: «فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ». قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي». قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِي سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ». قَالَ: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٦١/١١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ قال الحافظ: «وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة لكن طرقه في الصحيحين تدور على أنس مع اختلاف أصحابه عنه، فرواه الزهري عنه عن أبي ذرٍّ كما في الباب، ورواه قتادة عنه، عن مالك بن صعصعة، ورواه شريك بن أبي نمر وثابت البناني عنه عن النبي ﷺ بلا واسطة، وفي سياق كل منهم عنه ما ليس عند الآخر».

٣ ـ وفيه رواية الأقران؛ صحابي عن صحابي آخر.

٤ ـ نصفه الأول مسلسل بالمصريين، ونصفه الآخر مسلسل بالمدنيين.

٢ ـ حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٤٦ و١٦٣٦ و٣٣٤٢).

* **غريب الحديث:**

قوله: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة): فرج - بضم الفاء وبالجيم -؛ أي: فتح، والحكمة فيه: أن الملك انصبّ إليه من السماء انصبابة واحدة، ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المناجاة، وتنبيهاً على أن الطلب وقع على غير ميعاد، ويحتمل أن يكون السر في ذلك: التمهيد لما وقع من شق صدره، فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامة في الحال كيفية ما سيصنع به لطفاً به وتثبيتاً له، قاله الحافظ.

قوله: (ففرج صدري): فرج - بفتح الفاء وبالجيم أيضاً -؛ أي: شقه.

قوله: (ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري ثم أطبقه) قال النووي: «في تفسير الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها: أن الحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك» ا.هـ ملخصاً.

وقد تطلق الحكمة على القرآن، وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك»، قاله الحافظ.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي - ختم له بالخير -: وتطلق - أيضاً - على السنة؛ كما حقق ذلك الإمام الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في كتاب المستطاب: «الرسالة».

والمعنى: أنّ الله - تعالى - جعل الحكمة والإيمان تتجسد كما الأعمال يوم القيامة، وأن يحشو قلب النبي محمداً ﷺ منه؛ ليتحمل المهام والمشاهدات التي سيقدم عليها؛ فإن القوى البشرية لا تتحمل إلا بإعدادٍ إلهي وإمداد رباني يختص به من شاء من عباده.

قوله: (ثم أطبقه)؛ أي: أطبق صدره.

قوله: (ثم أخذ بيدي فعرج بي): استدل به على أن المعراج وقع غير مرة؛ لأنه لم يذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى.

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: الصواب: أن الراوي اختصر الحديث، وحمله على التعدد بعيد جداً.

والمراد: أن الملك بعد أن أطبق صدره، أخذه ممسكاً بيده، وعرج به إلى السماوات العلى.

قوله: (إلى السماء): أي: السماء الدنيا كما عند البخاري، وكذلك ما بعده يؤكد ذلك، وهو قوله: «فلما جئنا إلى السماء الدنيا...».

قوله: (قال جبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لخازن السماء الدنيا: افتح): أي: السماء القريبة من الأرض، وهذا يدل على أن الباب كان مغلقاً.

قوله: (قال: من هذا): أي: قال الخازن مستفهماً من الذي يستفتح ليدخل.

قوله: (قال: هذا جبريل): أي: أخبره جبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بأنه هو المستأذن.

قوله: (قال: هل معك أحد): أي: قال الخازن لجبريل: هل معك أحد سيدخل معك.

قوله: (قال: نعم معي محمد ﷺ): أي: قال جبريل للخازن: نعم معي محمد ﷺ سيدخل معي.

قوله: (قال: فأرسل إليه): أي: قال الخازن مستفهماً هل أرسل إليه للدخول معك، وهل هو مأمور الآن بالعروج إلى السماء.

قوله: (قال: نعم، ففتح): أي: قال جبريل للخازن أن محمداً ﷺ أرسل إليه، ففتح الخازن الباب.

قوله: (فلما علونا السماء الدنيا): أي: لما علا جبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ومحمد ﷺ.

وقال بعض العلماء: فيه دليل على أن ملائكة كل سماء كانت تشيعهما حتى يصلا إلى السماء التي تليها.

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: هذا فيه نظر؛ لأن (نا) يدل على التثنية وليس على الجمع، فلا حاجة إلى وجود غيرهما معهما.

وأيضاً؛ فإن تشييع الملائكة لهما يحتاج إلى دليل صحيح ونص صريح؛ لأن هذا المقام لا تليق به الاحتمالات.

قوله: (فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة. قال: فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى): الأسودة: جمع: سواد، كقذال وأقذلة، وسنام وأسنمة، وزمان وأزمنة، وتجمع الأسودة على أساود؛ وهي: الأشخاص، وسواد الإنسان: شخصه، يقال: لا يفارق سوادي سوادك. وفسر الأسودة في الحديث بأنها نسم بنيه.

قوله: (فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. قال: قلت: يا جبريل، مَن هذا؟ قال: هذا آدم ﷺ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قِبل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبل شماله بكى).

مرحباً: أي لقيت وجئت مكاناً رحباً وسعة، وكنى بذلك عن الانشراح والانبساط بلقائه.

النسم: جمع نسمة، كالشجر: جمع شجرة، وهي نسم بني آدم.

والمعنى: أنّ النبي ﷺ لما وصل إلى السماء الدنيا تلقاه آدم ـ عليه السلام ـ بالترحيب وانبساط وإظهار السرور لمجيئه، وهو ـ أي: نبينا ـ لا يعرف هذا المرحب. فسأل جبريل ـ الدليل على الأماكن والأعيان ـ: مَن هو؟ فأجابه: بأنه آدم أبو البَشر. ولهذا قال له: والابن الصالح.

ورأى عن يمين ويسار آدم نسم ذريته التي ستكون في الأرض. وأنهم ينقسمون إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. وأن آدم يفرح ويُسر عند نظره لذريته من أهل الجنة، ويحزن ويبكي عند نظره لأهل النار.

قال الحافظ: «قيل اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها؛ لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير، ولذلك كررها كل منهم عند كل صفة، والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير، وفي قول آدم: «بالابن الصالح» إشارة إلى افتخاره بأبوة النبي ﷺ».

قلت: ويقال في إبراهيم من التوجيه ما قيل في حق آدم - عليه السلام -.

قوله: (مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح): هذا قول كل من لقيه من الأنبياء إلا آدم وإبراهيم؛ لأن آدم أبو البشر، وإبراهيم من أجداده، والباقي إخوانه قالوها تلطفاً وأدباً، فالأنبياء إخوة، والمؤمنون إخوة.

قوله: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام): ظهرت: أي: علوت وارتفعت.

والمستوى: المصعد، وهو موضع مشرف يُستوى عليه. وقد يكون مستوى حيث يظهر عدل الله وحكمته لعباده هناك.

وصريف الأقلام: تصويتها فيما يكتب بها فيه، ومن ذلك صريف الفحل بأنيابه وهو حك بعضها ببعض، وهذا المكتوب فيه؛ هو اللوح المحفوظ.

قال الخطابي: «هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووجبه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره».

قال القاضي عياض: «وفيه حجة لمذهب أهل السنّة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتاب الله من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام، التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات من كتاب الله والأحاديث الصحيحة، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره، لكن كيفية ذلك وجنسه وصورته مما لا يعلمه إلا الله أو من أطلعه على غيبه من ذلك من ملائكته ورسله، ومما لا يتأوله ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان، إذ

جاءت به الشريعة، ودلائل العقول لا تحيله، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، حكمة من الله تعالى وإظهار لما شاء من غيبه لمن شاء من ملائكته وخلقه، وإلا فهو الغني عن الكتب والاستذكار، لا إله غيره.

وفي علو منزلة نبينا وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليل على علو درجته وإبانة فضله».

قوله: (فراجعت ربي فوضع شطرها): قال الحافظ: في رواية مالك بن صعصعة: «**فوضع عني عشراً**» ومثله لشريك، وفي رواية ثابت «**فحط عني خمساً**» قال ابن المنير: ذكر الشطر أعم من كونه وقع في دفعة واحدة.

قلت: وكذا العشر، فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات، أو المراد بالشطر في حديث الباب البعض.

وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمساً خمساً وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها.

قوله: (ثم أُدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك): جنابذ: ـ بالجيم والنون وبعد الألف موحدة ثم ذال معجمة ـ.

قال النووي: «أمّا الجنابذ هي: القباب، واحدتها: جنبذة».

وأمّا اللؤلؤ: الدُّرُّ؛ وهو يتكون في الأصداف من رواسبَ أو جوامد صلبة لمّاعة مستديرة في بعض الحيوانات المائية الدنيا من الرّخويات، واحدته لؤلؤة، والجمع: لآلىءُ.

قال النووي: «وفيه أربعة أوجه: بهمزتين، وبحذفهما، وإثبات الأولى دون الثانية وعكسه».

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ أكرم النبي ﷺ بدخول الجنة وهو حيّ، ورؤية ما فيها، وهذا لا يعرف لأحد من بني البشر إلاّ ما ذُكر عن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ هذه الواقعة حصلت له وهو بمكة قبل الهجرة وبعد البعثة.

٢ ـ أنّ الملائكة أجسام نورانية تدخل الأماكن بسهولة، ولا تحتاج إلى هدم وفتح ونحوها، ومع هذا فرج سقف البيت.

٣ ـ تأييد النبي ﷺ بخوارق العادة؛ ومنها: فتح سقف البيت من غير هدم، ولا سقوط وأذية.

٤ ـ أنّ هذا المجيء لجبريل ـ عليه السلام ـ دون إعلام مسبق.

٥ ـ أنّ الإيمان والحكمة تتجسدان بأمر الله متى شاء، وهذا يدل على أنّ الأعمال الصالحة تتجسد يوم القيامة، والنصوص في هذا كثيرة مستفيضة.

قال الحافظ: «وتجسيد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة، والموت في صورة كبش، وكذلك وزن الأعمال وغير ذلك من أحوال الغيب».

٦ ـ بيان فضيلة الحكمة والإيمان، وأنهما شيئان مختلفان.

٧ ـ بيان عظم ما قام في صدره؛ بل وعقله وقلبه ﷺ من معرفة الله والإيمان به.

٨ ـ فيه بيان أن رسول الرجل يقوم مقام إذنه؛ لأن الخازن لم يتوقف عن الفتح له على الوحي إليه بذلك، بل عمل بلازم الإرسال إليه.

٩ ـ من أدب الاستئذان أن يسمي المستأذن نفسه؛ لئلا يلتبس بغيره.

١٠ ـ دليل على تقدير مصير الخلائق ـ من المكلفين ـ قبل خلقهم.

١١ ـ وأنهم ينقسمون على قسمين لا ثالث لهم؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

١٢ ـ بيان حزن الأب على شقاء ذريته من أهل النار، وسعادته لمن كان من أهل الجنة.

١٣ ـ أنّ اليمين دائماً ممدوح ومرغوب فيه، والشمال عكسه.

١٤ ـ بيان ما في قلب الأب من الرحمة الفطرية الجبلية.

١٥ ـ جواز قول مرحباً للقادم، وإنما يكون بعد السلام؛ كما ثبت في نصوص أخرى.

١٦ ـ استحباب الترحيب بالقادم بأي كلام حسن مليح، وذلك بعد رد السلام.

١٧ ـ تبجيل أهل العلم والفضل.

١٨ ـ افتخار آدم بالنبي ﷺ؛ لأنه من ذريته، وكذلك افتخر النبي ﷺ بالإمام المهدي محمد بن عبد الله؛ لأنه من ولد فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وهكذا كل أبٍ يفتخر بأهل الصلاح من أولاده وذرياتهم.

١٩ ـ أنّ هذه الرواية ليس فيها تفصيل أماكن الأنبياء في السماوات.

٢٠ ـ أنّ الأنبياء إخوة؛ دينهم واحد، وشرائعهم مختلفة.

٢١ ـ أنّ إبراهيم من آبائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٢٢ ـ وفيه بيان الحدّ الذي بلغه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذه الرحلة.

٢٣ ـ وفيه إثبات الكتابة: كتابة مقادير الخلق من الحياة والموت، والرزق، والسعادة والشقاوة، والأمر والنهي وغير ذلك.

٢٤ ـ وبيان إحدى مراتب القدر؛ كما هو معلوم عند أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح، وهي: الكتابة.

٢٥ ـ فيه دليل على علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله.

٢٦ ـ فيه بيان شفقة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ورحمته بأمة محمد ﷺ، وأنه كان ناصحاً أميناً لنبينا محمد ﷺ في هذه الرحلة المباركة.

٢٧ ـ أنّ الشطر يطلق ويراد به النصف وأقل من ذلك.

٢٨ ـ أنّ الله تعالى يقول ـ أي يتكلم ـ وهو لا يتبدل القول لديه.

٢٩ ـ إثبات دخول النبي ﷺ الجنة، ورؤية ما فيها عياناً حقيقة لا مناماً ولا خيالاً.

٣٠ ـ دليل لمذهب أهل السنَّة والجماعة: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

٣١ ـ بيان شيء مما في الجنة من نعيم وإكرام.

٣٢ ـ قال الحافظ أبو عوانة في «المسند» (١/١٨٨):

«فيه الردّ على الجهميّة، وبيان أن الجنّة مخلوقة، وأن النبيّ ﷺ دخلها، وأنها فوق السماوات، وأن السدرة المنتهى فوقها، وأن النبيّ ﷺ انتهى إليها، وأنه دنا من ربّ العزّة، وربّ العزّة دنا منه قاب قوسين أو أدنى، وأن ما غشي السدة من الألوان كان من نوره تبارك وتعالى، وأن الكوثر الذي أُعطيه محمد ﷺ هو مخلوقٌ وموجودٌ، وهو نهرٌ من ماء، ترابه المسك، وصفة الحوض، وماؤه، وأن من بدّل ما كان علي النبيّ ﷺ من أمته لم يَرِد حوضه، وأن النيل والفرات أصلهما في السماء، وإثبات صريف الأقلام فوق السماوات السبع، وأن موسى رفع فوق الأنبياء بكلامه تبارك وتعالى».

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: (قوله: ورب العزة دنا منه قاب قوسين أو أدنى) هذه الضمائر على الصحيح في كلام المحققين ترجع إلى جبريل ـ عليه السلام ـ لا للرب تبارك وتعالى.

وما ورد في ذلك مرفوعاً؛ فهو من أوهام شريك بن عبدالله بن أبي نمر كما تقدم؛ فتنبه!



٣٦٤ - {١٦٤} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - لَعَلَّهُ قَالَ - عَنْ مَالِك بْنِ صَعْصَعَةَ - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ: **«بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلاَثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا** - قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ - **«فَاسْتَخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَاناً وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ»**. قَالَ: **«فَفُتِحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَباً بِهِ. وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»**. قَالَ: **«فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ﷺ»**. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى وَيَحْيَى - عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ - وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ. وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ. وَفِي الْخَامِسَةِ هَرُونَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: **«ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى - عليه السلام - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلاَمٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي، يَدْخُلُ مِنْ أُمَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي»**. قَالَ: **«ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»**. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ الله ﷺ أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ **«فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ**

أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ والآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقِيلَ: أَصَبْتَ، أَصَابَ اللّهُ بِكَ، أُمَّتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلاةً» ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

❋ راوي الحديث:

مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري النجاري - ﷺ -، سكن المدينة، روى حديث الإسراء فقط عن النبي ﷺ.

➢ فوائد الإسناد:

١ - من سداسيات المصنف - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

٢ - أنّ مالك بن صعصعة ليس له في «الصحيحين»، إلا هذا الحديث.

٣ - قد جاءت طريق أخرى لهذا الحديث فيها الجزم دون شك.

٤ - لا يُعرف روى عنه أحدٌ إلا أنس بن مالك.

٥ - مسلسل بالبصريين.

٦ - فيه رواية صحابي عن صحابي.

٧ - حديث مالك بن صعصعة - رضي الله عنه - هذا - متفق عليه، فقد أخرجه - أيضاً - البخاري (**٣٢٠٧** و**٣٣٩٣** و**٣٤٣٠** و**٣٨٨٧**).

٨ - رواية سعيد بن أبي عروبة هذه اختصر الإمام المسلم بعض مواضعها، وقد أخرجها بطولها أبو عوانة في «المسند» (**٣٣٧/١٠٧/١**) حدثنا يحيى بن أبي طالب؛ قال: ثنا عبدالوهاب بن عطاء قال: ثنا سعيد بن أبي عروبة. (ح) وحدثنا أبو الحسن عبدالملك بن عبدالحميد بن ميمون بن مِهْران، قال: ثنا رَوْح بن عُبادة، قال: أنبأ سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة: أن نبيّ الله ﷺ قال: «**بينا أنا**

عند البيت، بين النائم واليَقْظَان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، قال: فأُتيت، فانطُلِق بي، ثم أُتيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشُرِح صدري إلى كذا وكذا» قال قتادة: قلت للذي معي: ما يَعْنِي؟ قال: قال: إلى أسفل بطني، «فاستُخرج قلبي، فغُسل بماء زمزم، ثم أُعيد مكانه، فحُشي إيماناً وحكمةً، ثم أُتيت بدابة أبيض، يقال له: البراق، فوق الحمار دون البغل، فحُملت عليه، ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الدنيا، ثم استفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيءُ جاء، ففُتِح لي، فأتيت على آدم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم، فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح، والنبيّ الصالح، ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أَوَ قد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيءُ جاء، ففُتِح لنا، فأَتيت على يحيى وعيسى، فقلت: يا جبريل من هذان؟ قال: هذان يحيى وعيسى، قال: وأحسبه قال: ابنا الخالة، فسلمت عليهما، فقالا: مرحباً بالأخ الصالح، والنبيّ الصالح، ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيءُ جاء، ففُتِح لنا، فأَتيت على يوسف، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبيّ الصالح، ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيءُ جاء، ففُتِح لنا، فأَتيت على إدريس، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: أخوك إدريس، فسلمت عليه، فقالت: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح» قال: فكان قتادة يقرأ عندها ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]. «ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً

به، ولنعم المجيءُ جاء، ففُتِح لنا، فأَتيت على هارون، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: أخوك هارون، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبيّ الصالح، ثم انطلقنا، حتى أتينا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أَوَ قد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيءُ جاء، ففُتِح لنا، فأَتيت على موسى، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبيّ الصالح، فلما جاوزته بكى، قيل: وما يبكيك؟ قال: رَبِّ هذا غلام، بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي، ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: وقد بُعِث؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيءُ جاء، ففتح لنا، فأَتيت على إبراهيم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح، والنبيّ الصالح، ثم رُفِع لنا البيت المعمور، يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه، آخرَ ما عليهم، ثم رُفعت لنا السدة المنتهى، فحَدّث نبيُّ الله ﷺ أنّ ورقها مثلُ آذان الفِيَلة، وأن نَبِقَها مثلُ قلال هَجَر، وحَدَّث نبيّ الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار، يخرجن من أصلها، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران، فالنيل والفرات، قال: ثم أُتيت بإنائين: أحدهما لبن، والآخر خمر، فاخترت اللبن، فقيل لي: أصبت أصاب الله بك، وأمتُك على الفطرة، وفُرِضت عليَّ خمسون صلاة في كل يوم، فأَتيت على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قلت: فُرضت عليّ خمسون صلاةً كلَّ يوم، قال: إني قد بَلَوْتُ الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، وإن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك، فَسَلْه التخفيف لأمتك، قال: فرجعت إلى ربي، فحَطّ عني خمساً، ثم أَتيت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت: حط عني خمساً، قال: إني قد بَلَوتُ الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، وإن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى

ربك، فسله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت إلى ربي، فحَطَّ عني خمساً، قال: فما زلت بين موسى وبين ربي، حتى صُيِّرت إلى خمس صلوات في كل يوم، فأَتيت على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قلت: صُيِّرت إلى خمس صلوات كل يوم، قال: إني بلوت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، وإن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك، فسله التخفيف لأمتك، فقلت: لقد رجعت إلى ربي، حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلِّم، قال: فنوديت أني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وجعلت الحسنة بعشرة أمثالها».

* غريب الحديث:

قوله: (رجل من قومه): أي: أن مالك بن صعصعة من قوم أنس بن مالك؛ لأنه من بني النجار.

قوله: (بينا أنا عند البيت): أي: عند الكعبة؛ لأنه صار علماً عليها.

قوله: (بين النائم واليقظان): النوم: فترة راحة للبدن والعقل، تغيب خلالها الإرادة والوعي جزئياً أو كلياً، وتتوقف فيها جزئياً الوظائف البدنية.

واليقظان: من اليقظة، وهي: الانتباه من النوم؛ يقال: رجل يقظان الفكر. والجمع: يقاظى ويِقَاظٌ.

والمعنى: أنّ الملائكة أول ما جاءوا إليه ﷺ كان في حالة هي بين النائم الغائب عن الوعي وبين المنتبه القلب والفكر، ثم هو بعد ذلك مستيقظ كل الاستيقاظ لما أخذوه وحصل له ما حصل.

قال ابن أبي جمرة: «لو قال ﷺ إنه كان يقظاً لأخبر بالحق؛ لأن قلبه في النوم واليقظة سواء، وعينه - أيضاً - لم يكن النوم تمكن منها، لكنه تحرى ﷺ الصدق في الإخبار بالواقع، فيؤخذ منه أنه لا يعدل عن حقيقة اللفظ للمجاز إلا لضرورة».

قوله: (إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة، بين الرجلين): القائل من الملائكة الذين جاؤوه وهو جبريل ـ عليه السلام ـ، وكان النبي ﷺ إذ ذاك نائم أول أمره بين حمزة وجعفر؛ فأشار جبريل: أنه الذي ينام بينهما.

قوله: (فلما جاوزته بكى، فنودي: ما يبكيك؟ قال: ربِّ هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أُمته الجنة أكثر مما يدخل من أُمتي): والمعنى: أنّ نبينا لما مرّ بموسى ـ عليه السلام ـ وانتهى وعلا بعد ذلك، بكى موسى ـ عليه السلام ـ فسأله سائلٌ ـ ولم يُصرح به ـ: ما الذي يدعوك للبكاء؟ فإن هذا المقام والحال لا يدعو للبكاء؟ فأجاب ربه تعالى ـ وهو أعلم به ـ: أنّ محمداً قد بعث للناس بالرسالة بعدي، فأنا لسبقي كنت أظن أنّ أحداً لم يدرك من الأجور ما أدرك، ولشدة مكابدتي بني إسرائيل الأمد الطويل؟ وأنّ أتباعي على ديني في تلك الحقبة الطويلة أكثر من أُمته؟ فلماذا كان عكس ذلك؟ قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسداً ـ معاذ الله ـ؛ فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أُمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أُمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة.

قال بعض العلماء: لما غلب الأسف على موسى ـ عليه السلام ـ في الابتداء على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد ﷺ حتى تمنى ما تمنى؛ استدرك ذلك ببذل النصيحة لأمة محمد ﷺ والشفقة عليهم؛ ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه في الابتداء، والله أعلم.

وأمّا قوله: «غلام» فليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه.

قال ابن أبي جمرة: «إنّ الله جعل الرحمة في قلوب الأنبياء أكثر مما

جعل الرحمة في قلوب غيرهم؛ لذلك بكى رحمة لأُمته. وأمّا قوله: «هذا الغلام» فأشار إلى صغر سنه بالنسبة إليه».

قال الخطابي: «العرب تسمي الرجل المستجمع السن: غلاماً ما دامت فيه بقية من القوة».

ويظهر لي أن موسى - عليه السلام - أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا - عليه الصلاة والسلام - من استمرار القوة في الكهولية، وإلى أن دخل في سن الشيخوخة، ولم يدخل على بدنه هرم، ولا اعترى قوته نقص، حتى أن الناس في قدومه المدينة رأوه مردفاً أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب، وعلى أبي بكر اسم الشيخ مع كونه في العمر أسن من أبي بكر، قاله الحافظ.

قوله: (وحدَّث نبي الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان. فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أمّا النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأمّا الظاهران فالنيل والفُرات): يخرج من أصلها؛ أي: من أصل السماء السابعة، ويجوز أن يكون من أصل سدرة المنتهى؛ لأنها في السابعة.

وأمّا الباطنان: فيحتمل أن يكونا الكوثر والسلسبيل، ويحتمل أن يكونا سيحان وجيحان؛ لأنها - المذكورات - من أنهار الجنة ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

قال الحافظ: «وقع في رواية شريك؛ كما في «التوحيد»: أنه رأى في السماء الدنيا «نهرين يطّردان؛ فقال له جبريل: هما النيل والفرات عنصرهما»، والجمع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهىٰ مع نهري الجنة، ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة، وأراد بالعنصر عنصر امتيازهما بسماء الدنيا؛ كذا قال ابن دحية».

وقال: «... فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران في حديث الباب.

وكذا روي عن مقاتل قال: الباطنان السلسبيل والكوثر.

وأمّا الحديث الذي أخرجه مسلم بلفظ: «**سيحان، وجيحان، والنيل، والفُرات من أنهار الجنة**» فلا يغاير هذا؛ لأن المراد به: أن في الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة، وحينئذ لم يثبت لسيحون وجيحون أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك، وأمّا الباطنان المذكوران في حديث الباب فهما غير سيحون وجيحون، والله أعلم».

قال النووي: «في هذا الحديث أن أصل النيل، والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حيث شاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه عقل، ولا شرع، وهو ظاهر الحديث؛ فوجب المصير إليه».

قال ابن أبي جمرة: «فيه أنّ الباطن أجل من الظاهر؛ لأن الباطن جعل في دار البقاء، والظاهر جعل في دار الفناء، ومن ثم كان الاعتماد على ما في الباطن؛ كما قال ﷺ: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

قال القرطبي:

«أن النيل والفرات لما كانا مشاركين لنهري الجنّة في أصل السّدرة أُطلق عليهما أنهما في الجنة. وسيحان وجيحان يمكن أن يكونا تفرّعا من النّيل والفرات؛ لقرب انفجارهما من الأصل.

وقيل: إنّ ذلك إنما أُطلق تشبيهاً لهذه الأنهار بأنهار الجنّة؛ لما فيها مِن شدّة عذوبتها وحُسْنها وبركتها، والله تعالى أعلم».

تنبيه: الفرات بالمثناة في الخط في حالتي الوصل، والوقف في القراءات المشهورة، وجاء في قراءة شاذة أنها هاء تأنيث، وشبهها أبو المظفر بن الليث بالتابوت والتابوه.

قوله: (فقيل: أصبت، أصاب الله بك، أُمتك على الفطرة): أصبت: أي: أصبت الفطرة، وأصاب الله بك: أي أراد بك الفطرة والخير، فكانت أُمته كذلك على الفطرة.

❁ فقه الحديث:

١ ـ أنّ الملائكة جاءت النبي ﷺ وهو عند الكعبة في حالة بين النائم واليقظان.

٢ ـ جواز النوم مع جماعة في مكان واحد شريطة أن يكون كل واحد منهم في فراش خاص؛ كما جاء في نص آخر.

٣ ـ الأصل حمل الأحاديث على الحقيقة الشرعية، وعدم صرفها عن حقيقتها إلا إذا تعذر حملها على ذلك، والقرآن من باب أولى.

٤ ـ التصريح بالحد الذي وصل إليه الشق؛ وهو: أسفل البطن.

٥ ـ مشروعية قول الرجل: مرحباً للقادم والضيف؛ ولكن بعد السلام؛ لما ثبت في الحديث من الأمر بذلك.

٦ ـ جواز البكاء على ما فات الإنسان من الأُجور والصالحات.

٧ ـ بيان فضل النبي ﷺ على أُمته؛ فإنه سبب لكل خير أصابهم.

٨ ـ أنّ أجود أعمال الأُمة ينتقل مثلها لهذا النبي؛ لأنه كان سبباً في هدايتها، وهو الذي علمها، وهكذا كل نبي.

٩ ـ الإشارة إلى الفرق الكبير بين سن النبي وسن موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

١٠ ـ بيان عظيم ما أُعطي نبينا محمد ﷺ من بين سائر النبيين.

١١ ـ أنّ هذه الأُمة أكثر من أُمة موسى ـ عليه السلام ـ دخولاً الجنة، وهكذا على سائر الأمم؛ كما ثبت في أحاديث أُخر.

١٢ ـ أنّ الرحمة في قلوب الأنبياء والرسل أكثر من بين سائر الأمة.

١٣ ـ قال ابن بطال: «فهم موسى من اختصاصه بكلام الله ـ تعالى ـ له في الدنيا دون غيره من البشر؛ لقوله: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]: أن المراد بالناس هنا البشر كلهم، وأنه استحق بذلك أن لا يرفع أحد عليه، فلما فضل الله محمداً عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما أعطاه من المقام المحمود، وغيره ارتفع على موسى، وغيره بذلك».

١٤ ـ قال ابن أبي جمرة: «فيه أن الحكمة ليس بعد الإيمان أجل منها، ولذلك قرنت معه، ويؤيده قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وأصح ما قيل في الحكمة: أنها وضع الشيء في محله، أو الفهم في كتاب الله، فعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان، وقد لا توجد، وعلى الأول فقد يتلازمان؛ لأن الإيمان يدل على الحكمة».

١٥ ـ قال الحافظ: «وقيل: الحكمة في الاقتصار على هؤلاء المذكورين للإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم، فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبي ﷺ من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حلّ لكل منهما من المشقة، وكراهة فراق ما ألفه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذي أخرج منه، وبعيسى، ويحيى على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه، وإرادتهم وصول السوء إليه، وبيوسف على ما وقع له من إخوته من قريش في نصبهم الحرب له، وإرادتهم هلاكه، وكانت العاقبة له، وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح: «**أقول كما قال يوسف: لا تثريب عليكم**»، وبإدريس على رفيع منزلته عند الله، وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه، وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «**لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**»، وبإبراهيم في استناده إلى البيت المعمور بما ختم له ﷺ في آخر عمره من إقامة منسك الحج، وتعظيم البيت، وهذه مناسبات لطيفة أبداها السهيلي فأوردتها منقحة ملخصة».

١٦ ـ قال شيخنا الألباني ـ رحمه الله ـ: «هذا؛ ولعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها؛ كما أن أصل الإنسان من الجنة، ويدل على ذلك لفظ الحديث المتقدم (١١١): «فُجِّرَت»؛ فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في

الأرض، فإن لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه؛ فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]»[1].

١٧ ـ بيان ما أبدع الله ـ تعالى ـ من خلق الجنة، وما فيها من أنهار ونعيم.

١٨ ـ أنّ النيل والفرات نهران من الجنة على الحق والحقيقة.

١٩ ـ وفيه بيان فضل النهرين على غيرهما من أنهار الدنيا.

٢٠ ـ أنّ هذه الأُمة تكون على الفطرة تبعاً لنبيها.

٢١ ـ أنّ الغبطة مشروعة ممدوحة بخلاف الحسد.

٢٢ ـ أنّ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه من غير أن ينقص من أُجورهم شيئاً.

٢٣ ـ بيان ما كان عليه رسول الله محمد ﷺ من التواضع وحسن الخلق.

٢٤ ـ فضيلة ماء زمزم على جميع المياه.

٢٥ ـ قال ابن حبان في «صحيحه» (١/٢٤٣ ـ ٢٤٧):

قال أبو حاتم: الله جلَّ وعلا قادر على ما يشاء، ربما يَعِدُ الشيءَ لوقت معلوم، ثم يقضي كون بعض ذلك الشيء قبل مجيء ذلك الوقت، كوعده إحياء الموتى يوم القيامة، وجعله محدوداً، ثم قَضَى كون مثله في بعض الأحوال، مثل مَن ذكره الله، وجعل الله جلَّ وعلا في كتابه، حيث يقول: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ق١/ص٢٢٩/ح١١٢).

يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية [البقرة: **٢٥٩**]، وكإحياء الله جلَّ وعلا لعيسى ابن مريم صلوات الله عليه بعض الأموات، فلما صَحّ وجود كون هذه الحالة في البشر إذا أراده الله جلَّ وعلا قبل يوم القيامة، لم يُنكَر أن الله جلَّ وعلا أحيا موسى في قبره، حتى مَرّ ﷺ ليلة أسري به... فلما دخل ﷺ بيت المقدس، وأُسري به أُسري بموسى حتى رآه في السماء السادسة، وجرى بينه وبينه من الكلام ما تقدم ذكرنا له، وكذلك رؤيته سائر الأنبياء الذين في خبر مالك بن صعصعة.

فأما قوله ﷺ في خبر مالك بن صعصعة: «**بينما أنا في الحطيم، إذ أتاني آتٍ، فشقّ ما بين هذه إلى هذه**»، فكان ذلك له فضيلة فضل بها على غيره، وأنه من معجزات النبوة؛ إذ البشر إذا شُقّ عن موضع القلب منهم ثم استُخْرِج قلوبهم ماتوا.

وقوله: «**ثم حُشِي**» يريد أن الله جلَّ وعلا حَشَا قلبه اليقين والمعرفة الذي كان استقراره في طست الذهب، فنُقِل إلى قلبه، ثم أُتي بدابة، يقال لها: البراق، فحُمِل عليه من الحطيم أو الحجر، وهما جميعاً في المسجد الحرام، فانطَلَق به جبريل، حتى أتى به على قبر موسى، على حسب ما وصفناه، ثم دخل مسجد بيت المقدس، فخَرَق جبريل الصخرة بإصبعه، وشدَّ بها البراق، ثم صَعِد به إلى السماء، ذُكِر شدّ البراق بالصخرة في خبر بريدة، ورؤيته ﷺ موسى يصلي في قبره ليسا جميعاً في خبر مالك بن صعصعة، فلما صَعِد به إلى السماء الدنيا، استَفتَح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أُرسِل إليه؟ يريد به: وقد أرسل إليه لِيُسْرَى به إلى السماء، لا أنهم لم يعلموا برسالته إلى ذلك الوقت؛ لأن الإسراء كان بعد نزول الوحي بسبع سنين، فلما فُتِح له، فرأى آدم على حسب ما وصفنا قبلُ، وكذلك رؤيته في السماء الثانية يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، وفي السماء الثالثة يوسف بن يعقوب،

وفي السماء الرابعة إدريس، ثم في السماء الخامسة هارون، ثم في السماء السادسة موسى، ثم في السماء السابعة إبراهيم؛ إذ جائز أن الله جلَّ وعلا أحياهم؛ لأن يراهم المصطفى ﷺ في تلك الليلة، فيكون ذلك آيةً معجزةً يُسْتَدَلّ بها على نبوته على حسب ما أصّلنا قبلُ، ثم رُفع له سدرة المنتهى، فرآها على الحالة التي وَصَفَ، ثم فُرِض عليه خمسون صلاةً، وهذا أمر ابتلاءٌ، أراد الله جلَّ وعلا ابتلاء صفيه محمد ﷺ حيث فَرَض عليه خمسين صلاةً؛ إذ كان في علم الله السابق أنه لا يَفْرِض على أمته إلا خمس صلوات فقط، فأَمَره بخمسين صلاة أمر ابتلاء، وهذا كما نقول: إن الله جلَّ وعلا قد يأمر بالأمر يريد أن يأتي المأمور به إلى أمره من غير أن يريد وجود كونه، كما أَمَر الله جلَّ وعلا خليله إبراهيم بذبح ابنه، أَمَره بهذا الأمر، أراد به الانتهاء إلى أمره دون وجود كونه، فلما أسلما وتلّه للجبين فداه بالذبح العظيم؛ إذ لو أراد الله جلَّ وعلا كون ما أَمَر لوَجَد ابنه مذبوحاً، فكذلك فَرَض الصلاة خمسين، أراد به الانتهاء إلى أمره دون وجود كونه، فلما رجع إلى موسى، وأخبره أنه أمر بخمسين صلاة كل يوم، ألهم الله موسى أن يسأل محمداً ﷺ بسؤال ربّه التخفيف لأمته، فجعل جلَّ وعلا قول موسى - عليه السلام - له سبباً لبيان الوجود لصحة ما قلنا: إن الفرض من الله على عباده أراد إتيانه خمساً لا خمسين، فرَجَع إلى الله جلَّ وعلا، فسأله فوضع عنه عشراً، وهذا أيضاً أمر ابتلاء، أريد به الانتهاء إليه دون وجود كونه، ثم جَعَل سؤال موسى - عليه السلام - إياه سبباً لنفاذ قضاء الله جلَّ وعلا في سابق علمه، أن الصلاة تُفْرَض على هذه الأمة خمساً لا خمسين، حتى رجع في التخفيف إلى خمس صلوات، ثم ألهم الله جلَّ وعلا صفيه ﷺ حينئذ حتى قال لموسى: قد سألت ربي حتى استحييتُ لكني أَرْضَى وأُسَلِّم، فلما جاوز ناداه منادٍ؛ أمضيت فريضتي، أراد به الخمس صلوات، وخففت عن عبادي، يريد: عن عبادي من أمر الابتلاء الذي أمرتهم به من خمسين صلاة التي ذكرناها.

وجملة هذه الأشياء في الإسراء رآها رسول الله ﷺ بجسمه عياناً، دون أن يكون ذلك رؤيا أو تصويراً صُوِّرَ له؛ إذ لو كان ليلة الإسراء، وما

رأى فيها نوماً دون اليقظة، لاستحال ذلك؛ لأن البشر قد يَرون في المنام السماوات، والملائكة، والأنبياء، والجنة، والنار، وما أشبه هذه الأشياء، فلو كان رؤية المصطفى ﷺ ما وُصِفَ في ليلة الإسراء في النوم دون اليقظة، لكانت هذه حالةً يستوي فيها معه البشر؛ إذ هم يرون في مناماتهم مثلها، واستحال فضله، ولم تكن تلك حالةً معجزةً يُفَضَّل بها على غيره، ضدّ قول من أبطل هذه الأخبار، وأنكر قدرة الله جلَّ وعلا، وإمضاء حكمه لما يحب كما يحب، جلَّ ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه».

٢٦ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«وقد وقع في حديث الإسراء ألفاظ مشتهرة؛ منها: قول جبريل ـ لما أوصل النبي ﷺ إلى منزلة ترك فيها جبريل النبي ﷺ، وتجاوز النبي ﷺ، قال جبريل للنبي ﷺ: «هذه منزلة إذا تجاوزتها اخترقت، وإن تجاوزتها أنا احترقت».

فالظاهر أن هذا من الروايات الضعيفة، وحديث المعراج فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، وفيه حديث المعراج الذي ينسب إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فيه ما هب ودب، حتى ألفاظ الصحيحين مختلفة اختلافاً عظيماً، وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أنه كان في مكة، وكان الناس إذ ذاك ليسوا على جانب كبير من العناية والكتابة، وكما تعلمون أن الحفظ خوّان، ربما نسي الإنسان؛ فيزيد وينقص»(١).



٢٦٥ ـ {...} حدّثنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَزَادَ فِيهِ: «**فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِىءَ حِكْمَةً وَإِيمَاناً**».

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥٥٩ ـ ٥٦٠).

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ **قوله: (فذكر نحوه)** أي: هشام الدستوائي.

٢ ـ **قوله: (وزاد فيه)** أي: زاد هشام على رواية سعيد بن أبي عروبة: (فأتيت بطست...).

٣ ـ رواية هشام الدستوائي أخرجها بطولها النسائي (٤٤٤):

«أخبرنا يعقوب بن إبراهيم؛ قال: حدثنا يحيى بن سعيد؛ قال: حدثنا هشام الدستوائيّ؛ قال: حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن النبيّ ﷺ قال: «**بينا أنا عند البيت، بين النائم واليقظان، إذ أقبل أحد الثلاثة، بين الرجلين، فأُتيت بطست من ذهب، ملآن حكمةً وإيماناً، فشُقَّ من النحر إلى مَرَاقّ البطن، فغُسِل القلب بماء زمزم، ثم مُلِئ حكمة وإيماناً، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار، ثم انطلقت مع جبريل ـ عليه السلام ـ، فأتينا السماء الدنيا، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحباً به، ونعم المجيءُ جاء، فأَتيت على آدم ـ عليه السلام ـ، فسلمت عليه، قال: مرحباً بك، من ابن ونبيّ، ثم أتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، فمثل ذلك، فأتيت على يحيى وعيسى، فسلمت عليهما، فقالا: مرحباً بك من أخٍ ونبيّ، ثم أتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، فمثل ذلك، فأتيت على يوسف ـ عليه السلام ـ، فسلمت عليه، قال: مرحباً بك من أخٍ ونبيّ، ثم أتينا السماء الرابعة، فمثل ذلك، فأتيت على إدريس ـ عليه السلام ـ، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك، من أخٍ ونبيّ، ثم أتينا السماء الخامسة، فمثل ذلك، فأتيت على هارون ـ عليه السلام ـ، فسلمت عليه، قال: مرحباً بك، من أخٍ ونبيّ، ثم أتينا السماء السادسة، فمثل ذلك، ثم أتيت على موسى ـ عليه السلام ـ، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك، من أخٍ ونبيّ، فلما جاوزته بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنةَ أكثر وأفضل مما يدخل من أمتي، ثم أتينا السماء السابعة، فمثل ذلك،**

فأتيت على إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك، من ابنٍ ونبيّ، ثم رُفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ، فإذا خرجوا منه لم يعودوا فيه، آخرُ ما عليهم، ثم رُفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نَبِقُها مثل قلال هَجَر، وإذا وَرَقها مثل آذان الفِيَلة، وإذا في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالفُرات والنيل، ثم فُرضت عليّ خمسون صلاةً، فأتيت على موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فُرضت عليّ خمسون صلاةً، قال: إني أعلم بالناس منك، إني عالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، وإن أمتك لن يطيقوا ذلك، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك، فرجعت إلى ربي، فسألته أن يخفف عني، فجعلها أربعين، ثم رجعت إلى موسى ـ عليه السلام ـ، فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها أربعين، فقال لي مثل مقالته الأولى، فرجعت إلى ربي ـ عز وجل ـ، فجعلها ثلاثين، فأتيت على موسى ـ عليه السلام ـ، فأخبرته، فقال لي مثل مقالته الأولى، فرجعت إلى ربي، فجعلها عشرين، ثم عشرة، ثم خمسة، فأتيت على موسى ـ عليه السلام ـ، فقال لي مثل مقالته الأولى، فقلت: إني أستحي من ربي ـ عز وجل ـ أن أرجع إليه، فنودي: أن قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي بالحسنة عشر أمثالها».

غريب الحديث:

قوله: **(فشق من النحر إلى مراق البطن)**: فشق: أي: شق صدره، النحر: أعلى الصدر موضع القلادة منه.

ومراق البطن: ـ بتشديد القاف ـ ما رقّ من أسفل البطن ولان، ولا واحد له من لفظه، وميمه زائدة.

والمعنى: أنّ الملك شقّ شقاً كبيراً من جسد النبي ﷺ حتى وصل من أول نحر من أعلى صدره إلى أسفله حتى وصل إلى قرب قُبله؛ كما ثبت في رواية أخرى.

فقه الحديث:

١ ـ بيان شدة ما لاقى النبي ﷺ من هذه العملية النادرة من نوعها.

٢ ـ قال الحافظ: «وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به.

وثبت شق الصدر ـ أيضاً ـ عند البعثة؛ كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ولكل منها حكمة، فالأول وقع فيه الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: «**فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك**»، وكان هذا في زمن الطفولة؛ فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء؛ ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل؛ لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة؛ كما تقرر في شرعه ﷺ».



٣٦٦ ـ {١٦٥} حَدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ـ يَعْنِي: ابْنَ عَبَّاسٍ ـ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ فَقَالَ: «**مُوسَى آدَمُ طُوَالٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**».

وَقَالَ: «**عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ**»، وَذَكَرَ مَالِكاً خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ.

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٧/٢٣).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: قتادة عن أبي العالية.

٤ ـ حديث عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه، أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٢٣٩ و٣٣٩٦).

✹ غريب الحديث:

قوله: (موسى آدم طوالٌ، كأنه من رجال شنوءة).

موسى: المقصود هو نبي الله وكليمه ﷺ موسى بن عمران نبي بني إسرائيل.

وآدم: بالمد، مفرد، وجمعها: أدم ـ بتسكين الدال ـ كأحمر وحمر. والأدمة: هي السمرة، وقيل: السمرة الشديدة.

وطوال: بضم الطاء، وتخفيف الواو، ومعناه: طويل.

وشنوءة: ـ بفتح المعجمة، وضم النون، وسكون الواو بعدها همزة، ثم هاء تأنيث: وهم حي من اليمن، ينسبون إلى شنوءة؛ وهو عبدالله بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد.

ولقب شنوءة، لشنآن كان بينه وبين أهله، والنسبة إليه: شنوئي بالهمز بعد الواو، وبالهمز بغير واو.

قال ابن قتيبة: «سمي بذلك من قولك رجل فيه شنوءة؛ أي: تقزز. والتقزز بقاف وزايين: التباعد من الأدناس»؛ كذا في «الفتح».

والمعنى: أن نبينا يخبر عن صفة خَلْقِ موسى - عليه الصلاة والسلام - أنه أسمر البشرة يشبه أهل شنوءة من اليمن.

قوله: (عيسى جعد مربوع): الجعد: من صفات الرجال يكون مدحاً وذماً، وهو المجتمع المنقبض الملتوي، ويكون في الجسم وفي الشّعر خاصة.

وجعودة الجسم: اجتماعه واكتنازه.

وجعودة الشّعر: التواءه؛ وهو: القطط، وهو ضد السّبط؛ لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم.

ومربوع: من الربعة، وهو - بفتح الراء وسكون الموحدة - ويجوز فتحها؛ وهو: الرجل بين الرجلين في القامة، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير وفيه لغات.

ويقال للمرأة: ربعة.

قوله: (وذكر مالكاً خازن جهنم، وذكر الدجال).

والخازن: مفرد، والجمع: خزنة، وهو من الخزن، بمعنى الحفظ: والكتم، والستر.

والدجال: - فعَّال بفتح أوله، والتشديد - من الدجل؛ وهو: التغطية، وسمي دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بالكذب والباطل، يقال: دجل البعير بالقطران إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه، وهو المموه.

والمعنى: أن نبينا ذكر عيسى - عليه الصلاة والسلام - بوصف ظاهر في الخلقة وهو المتوسط في القامة، المكتنز في جسمه، وذكر مالكاً خازن النار، الذي يحرس، ويحفظ النار ووكل بها من قِبَلِ الله - تعالى - وذكر الدجال؛ وهو: الذي يخرج آخر الزمان - وهو الذي يراد عند الإطلاق - يكذب، ويموه، ويلبس على الناس.

فقه الحديث:

١ ـ إثبات الإسراء بالنبي ﷺ.

٢ ـ بيان وصف موسى وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

٣ ـ جواز تشبيه الفاضل بالمفضول.

٤ ـ أنّ خازن النار اسمه: مالك.

٥ ـ أنّ الملائكة تسمى بأسماء البشر أو العكس.

٦ ـ مشروعية التسمي بأسماء الملائكة.

٧ ـ أنّ الدجّال ثبت ذكره في أحاديث مستفيضة مشهورة.

٨ ـ بيان بعض ما رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء.

٩ ـ عظيم فضل الله على رسوله محمد ﷺ حيث أسرى به في ليلة واحدة وعرج به إلى الملأ الأعلى حيث رأى من آيات ربه الكبرى، ثم حفظ ذلك، وكأنها بين عينيه.

١٠ ـ جواز نعت الإنسان بأوصافه الخَلْقية والخُلُقية للتخصيص لا للتنقيص.



٣٦٧ ـ {...} وحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ﷺ ـ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ»**.

وَأُرِيَ مَالِكاً خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ، فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللّهُ إِيَّاهُ: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة: ٢٣].

قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللّهِ ﷺ قَدْ لَقِيَ مُوسَى - عليه السلام -.

* غريب الحديث:

قوله: (... رجلٌ آدم طوال جعد... سبط الرأس): هذا في ظاهره يخالف ما سبق من وصف عيسى بالجعودة، ولا خلاف؛ فإن الجعودة؛ كما بيّنّا تكون في الجسم، وتكون في الرأس.

قال العلماء: إن المتحصل من الروايات في وصف عيسى أنه: جعد الجسم سبط شعر الرأس.

والسبط؛ هو: المنبسط المسترسل الذي لا يتكسر منه شيء كشعور الهند.

قوله: (وأُري مالكاً خازن النار، والدجّال، في آيات أراهن الله إياه ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قال قتادة يفسرها: أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى - عليه السلام -):

قال النووي: «هو - بضم الهمزة وكسر الراء -، ومالكاً - بالنصب -، ومعناه: أري النبي ﷺ مالكاً، وقد ثبت في «صحيح البخاري» في هذا الحديث: «ورأيت مالكاً»، ووقع في أكثر الأصول: «مالكٌ» بالرفع، وهذا قد ينكر، ويقال: هذا لحن لا يجوز في العربية، ولكن عنه جواب حسن، وهو: أن لفظة «مالك» منصوبة، ولكن أسقطت الألف في الكتابة. وهذا يفعله المحدثون كثيراً فيكتبون: سمعت أنس، بغير ألف، ويقرؤونه بالنصب، وكذلك «مالك»، كتبوه بغير ألف، ويقرؤونه بالنصب، فهذا إن شاء الله - تعالى - من أحسن ما يقال فيه، وفيه فوائد يتنبه بها على غيره، والله أعلم».

وهذا الاستشهاد بقوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ هو من استدلال بعض الرواة.

أمّا تفسير قتادة، فقد وافقه عليه جماعة، منهم مجاهد، والكلبي، والسدي، وعلى مذهبهم معناه: فلا تكن في شك من لقائك موسى، وذهب كثيرٌ من المحققين من المفسرين، وأصحاب المعاني إلى أن معناها: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب، وهذا مذهب ابن عباس، ومقاتل والزجاج، وغيرهم، والله أعلم».

قلت: والثاني هو الأرجح؛ لأن السياق والسباق يقرر هذا.

فقه الحديث:

١ ـ هذه الرؤية كانت ليلة أُسري به ﷺ.

٢ ـ رؤية النبي ﷺ لمالك والدجّال ثابت من قوله في روايات أخرى.

٣ ـ تفسير قتادة محتمل، وليس ببعيد.

٤ ـ اختلاف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في التفسير اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد.

٥ ـ بيان فائدة علمية مهمة سار عليها المحدثون قديماً: يكتبون الاسم غير منصوب بغير ألف، ويقرؤونه بالنصب.



٢٦٨ ـ {١٦٦} حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الأَزْرَقِ، فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الأَزْرَقِ. قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللّهِ بِالتَّلْبِيَةِ**»، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى، فَقَالَ: «**أَي ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى. قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتّى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّي**».

قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ: «قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي لِيفاً».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٧/٢٣).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخه؛ فبغداديان، وأما وهشيم؛ فواسطي.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: داود بن أبي هند عن أبي العالية.

٥ ـ حديث عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**١٥٥٥ و٣٣٥٥ و٥٩١٣**).

* غريب الحديث:

قوله: (وادي الأزرق)؛ هو: وادٍ بين مكة والمدينة خلف أمج، ويبعد عن مكة ميل واحد.

قوله: (كأني أنظر إلى موسى):

قال المهلَّب: «هذا وَهَمٌ من بعض رواته؛ لأنه لم يَأْتِ أثرٌ ولا خبرٌ أن موسى حيّ، وأنه سيحجّ، وإنما أتى ذلك عن عيسى؛ فاشتبه على الراوي، ويدل عليه قوله في الحديث الآخر: «**لَيُهِلَّنَّ ابن مريم بفَجِّ الرَّوْحَاء**».

وردّ عليه الحافظ ـ رحمه الله ـ؛ فقال: «وهو تغليطٌ للثقات بمجرد التوهم، فسيأتي في «كتاب اللباس» من البخاريّ بالإسناد المذكور بزيادة ذكر إبراهيم فيه، أفيقال: إن الراوي غَلِطَ، فزاده؟ وقد أخرج مسلم الحديث من طريق أبي العالية، عن ابن عباس بلفظ: «كأني أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية، واضعاً إصبعيه في أذنيه مارّاً بهذا الوادي، وله جؤارٌ إلى الله بالتلبية»،

قاله لما مَرّ بوادي الأزرق، واستفيد منه تسمية الوادي، وهو خَلْفَ أَمَج بينه وبين مكة ميل واحد، قال: وفي هذا الحديث ـ أيضاً ـ ذكر يونس، أفيُقال: إن الراوي الآخر غَلِطَ، فزاد يونس؟»(١).

وقال ابن المُنَيِّر: «توهيم المهلَّب للراوي وَهَمٌ منه، وإلا فأيّ فرق بين موسى وعيسى؟ لأنه لم يثبت أن عيسى منذ رُفع نزل إلى الأرض، وإنما ثبت أنه سينزل».

قال الحافظ: «أراد المهلب بأن عيسى لَمّا ثبت أنه سينزل كان كالمحقق، فقال: كأني أنظر إليه، ولهذا استدلّ المهلب بحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الذي فيه: «**لَيُهِلَّنّ ابن مريم بالحج**».

وهذا مبني على اختلاف العلماء في معنى (كأني أنظر)، وقد ذكر أقوال العلماء في ذلك القاضي عياض ـ رحمه الله ـ؛ فقال: «وأكثر الروايات في وصفه لهم يدل أن ذلك رآه ليلة أُسْرِيَ به، وقد وقع ذلك مبيناً في رواية أبي العالية عن ابن عباس وفي رواية ابن المسيب عن أبي هريرة، وليس فيها ذكر التلبية.

فإن قيل: كيف يتوجه ما ذكر من حجِّهم وتلبيتهم وهم أموات، وفي الأخرى، وليست دار عَمَلٍ، فاعْلَمْ وفَّقَكَ الله أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة:

أحدها: أنا إذا قلنا: إنهم كالشهداء، بل هُم أفضلُ من الشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبْعُدُ أن يحجُّوا ويُصلوا كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا وكُتب لهم؛ لأنهم بعدُ وإن كانوا في الأخرى فهم في هذه الدنيا التي هي دارُ العَمَل، حتى إذا فنيت مُدَّتُها وأعقبتها الأخرى التي هي دار الجزاء انقطع العمل.

والوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاءٌ، قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠].

---

(١) «فتح الباري» (٣/٤٨٥).

الوجه الثالث: أن تكون هذه رؤية منام في غير ليلة الإسراء، أو في بعض ليلة الإسراء كما قال في رواية عبدالله بن عُمَر: «بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة...» وذكر الحديث في قصَّة عيسى.

الوجه الرابع: أنه ﷺ أُرِي حالهم قبل هذا ومُثِلوا له في حال حياتهم وكيف تلبيتهم حينئذ وحجهم كما قال في الحديث: «كأني أنظر إلى موسى، وكأني أنظرُ إلى يونس، وكأني أنظر إلى عيسى».

الوجه الخامس: أن يكون أخبر بتحقيق حال ما أوحي إليه من أمرهم وما كان منهم، وإن لم يرهم رؤية عين، ويدل عليه قوله: «كأني أنظر» فصار يقينه بذلك كالمشاهدة»[1].

قوله: (هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية): هابطاً من الهبوط؛ وهو: النزول.

والثنية: الطريق في الجبل، وهي مفرد، وجمعها: ثنايا.

والجؤار ـ بضم الجيم وهمزة بعدها ـ؛ وهو: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة، وهو كالخوار للبقر.

يقال: جأر الرجل يجأر جُؤاراً.

والتلبية: من لبيك، وهو إمّا مصدر منصوب؛ كحنانيك ودواليك كان أصله لباً، ثم ثني، ومعناه: إجابة بعد إجابة، من لبىٰ يلبي، أو إقامة بعد إقامة على طاعتك، من قولهم: أَلَبَّ بالمكان، ولَبَّ إذا أقام به.

والمعنى: أنّ النبي ﷺ يحدث عن مشهدٍ رآه، وكأنه يحدث عن شيء هو الآن أمامه، وأوله موسى ـ عليه السلام ـ وهو حاج إلى بيت الله الحرام ينزل من جبل يمر فيه من هذا الوادي، وله صوت عالٍ بالتلبية.

قوله: (ثنية هرشىٰ) ـ بفتح الهاء، وإسكان الراء، وبالشين المعجمة مقصورة الألف ـ، جبل على طريق الشام والمدينة النبوية قريب من الجحفة.

---

(١) «إكمال العلم» (١/٥١٦ ـ ٥١٨).

قوله (يونس بن متى): (متى) اسم أبيه وليس اسم أمه؛ ففي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عند البخاري: «ونسبه إلى أبيه».

وقيل: أن يونس كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس بعث إلى أهل نينوى من أرض العراق.

قوله: (على ناقة حمراء جعدة): أي: راكباً على ناقة حمراء، مكتنزة اللحم.

قوله: (عليه جبة صوف): الجبة: لباس معروف، والصوف للغنم كالشعر للمعز، والوبر للإبل.

قوله: (خطام ناقته خُلْبَة): الخطام ـ بكسر الخاء ـ: الحبل الذي يقاد به البعير، يجعل على مقدم أنفه.

وخلبة: ـ بضم الخاء المعجمة، وبالباء الموحدة بينهما لام ـ، فيها لغتان: الضم، والإسكان للام؛ وهو: الليف؛ كما فسره الراوي.

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ قال عند وصوله لثنية هرشى: أنّ يونس نبي الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حجّ بيت الله، وهو يلبي على ناقة مختزلة قوية، يلبس جبة من صوف، قد خطم ناقته بخطام من ليف.

فقه الحديث:

١ ـ جواز السؤال عن شيء معلوم؛ لإيجاد الاستعداد الفكري للجواب، وهذا أُسلوب تعليمي مفيد.

٢ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ أطلع نبينا ﷺ على بعض أحوال النبيين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

٣ ـ أنّ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لهم كرامات خاصة على سائر الخلق.

٤ ـ أنّ شرائع الأنبياء متفقة في الأصول، وتختلف في مسائل العبادات التي دونها.

٥ ـ استحباب رفع الصوت بالتلبية للمحرم، وهذا مما اتفقت عليه شريعة محمد، وشريعة موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

وقد ورد الأمر به؛ ففي حديث أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عند الترمذي بإسناد صحيح لغيره: سئل رسول الله ﷺ أي الحج أفضل؟ قال: «**العج والثج**».

وعند أصحاب السنن وأحمد بإسناد صحيح عن خلاد بن السائب الأنصاري عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني جبريل؛ فأمرني أن آمر أصحابي، ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية**».

٦ ـ التلبية في بطون الأودية من سنن المرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ولذلك قال العلماء: أنها تتأكد عند الصعود والهبوط.

٧ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وفي قوله: (عليه جبة من صوف) ما يدل على أن حج السابقين مختلف عن حجنا، هذا هو الظاهر، وقد يكون معذوراً، لا ندري»[(١)].

٨ ـ بيان منهج مسلم في إيراد غريب الحديث؛ كأئمة الحديث قبله مثل أحمد بن حنبل ـ رحمهم الله ـ.



٢٦٩ ـ {...} وحدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**» فَقَالُوا: وَادِي الأَزْرَقِ. فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى** ﷺ ـ فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ ـ **وَاضِعاً إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللّهِ بِالتَّلْبِيَةِ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي**».

قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: «**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا: هَرْشَى أَوْ لِفْتٌ.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥٦٢).

فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ، مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّياً».

* غريب الحديث:

قوله: (فذكر من لونه وشعره لم يحفظه داود): أي: أن أبا العالية ذكر وصف اللون والشعر عن ابن عباس؛ لكن داود بن أبي هند نسي ذلك.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: إن نسيه داود؛ فقد حفظه غيره، وقد سبق نقله.

قوله: (واضعاً إصبعيه في أذنيه): أي: وضع إصبعيه في أذنيه عند رفع صوته بالتلبية، وهذا موافق لقوله: (له جؤار إلى الله بالتلبية).

قوله: (لفت): موضع بين مكة والمدينة.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الأحاديث يفسر بعضها بعضاً، وهي أفضل وأولى طرق تفسير الحديث النبوي.

٢ ـ من منهج مسلم بيان الشك أو الخطأ ممن هو بتصريح أو إشارة، أو يشعر بوجود عيب ونحوه في الرواة أو الرواية.

٣ ـ قال العلماء: فيه دليل على استحباب وضع الإصبع في الأذن عند رفع الصوت بالأذان ونحوه مما يستحب له رفع الصوت.

قال النووي (٢/٢٣٠): «وهذا الاستنباط والاستحباب يجيء على مذهب من يقول من أصحابنا وغيرهم: إن شرع من قبلنا شرع لنا».

قال أبو أسامة الهلالي ـ ختم له بالخير ـ: الراجح عندي: أن شرع ما قبلنا ليس شرعاً لنا؛ لاستغناء شرعنا عن غيره، وحاجة غيره له، فشرعنا يستدل به ولا يستدل عليه، والله أعلم.



٢٧٠ ـ {. . .} حدّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ؛ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ أَسْمَعْهُ قَالَ ذَاكَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «**أَمَّا إِبْرَاهِيمُ، فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى، فَرَجُلٌ آدَمُ جَعْدٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث مجاهد عن ابن عباس هذا وقع عند البخاري **(٣٤٣٨)** عنه عن ابن عمر، وهو غلط؛ كما قرر ذلك الحفاظ، ومنهم ابن حجر في «فتح الباري» **(٦/٥٥٩)**.

٢ ـ لم يصرح أحد ممن روى هذا عن ابن عون بذكر النبي ﷺ.

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ لكنه صريح في الرفع يدل عليه قول ابن عباس: «لم أسمعه قال ذاك، ولكنه قال: . . .».

فمن الذي سمعه ابن عباس يقول؟ أليس هو النبي ﷺ؛ هذا أولاً.

ثانياً: أن هذا غيب لا مجال للرأي والاجتهاد فيه؛ فلا يمكن أن يقوله ابن عباس من تلقاء نفسه، ولا عن غير النبي ﷺ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (كنّا عند ابن عباس، فذكروا الدجّال، فقال: إنه مكتوب بين عينيه كافر): في مجلس من مجالس العلم عند العلماء يتذاكر جمع في مجلس الحبر البحر عن مسائل من بينها الدجّال، فقال قائل من بين القاعدين: أنّ الدجّال مكتوب بين عينيه علامة تميزه عن غيره ويعرف بها؛ وهي كلمة كافر.

قوله: (فقال ابن عباس: لم أسمعه قال ذاك، ولكنه قال: أمّا إبراهيم، فانظروا إلى صاحبكم): عندما سمع ابن عباس كلام هذا في ذاك المجلس

قال: أنا لم أسمع هذا الكلام من النبي ﷺ، بل قال ﷺ في حق إبراهيم: أنّ أشبه الناس به أنا.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب حضور مجالس العلماء، والاستفادة منها.

٢ ـ أنّ الصحابة والتابعين حريصون على مدارسة العلم.

٣ ـ أنّ الدجّال يُعرف بوسام في جبينه بين عينيه مكتوب بالعربية: كافر، وهو ثابت في أحاديث صحاح.

٤ ـ ليس في الصحابة ـ ﷺ ـ من جمع السُّنة على سبيل الحصر.

٥ ـ أنّ نبينا ﷺ أشبه الناس بأبيه إبراهيم ﷺ.

٦ ـ أنّ من علم حجة على من لم يعلم، والمثبت مقدم على النافي.



٣٧١ ـ {١٦٧} حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ. (ح) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ ـ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي نَفْسَهُ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دَحْيَةُ»**.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: **«دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ»**.

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ ﷺ ـ في الحديث (١٥/١٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ له فيه شيخان فرق بينهما.

٣ ـ فرق بين شيخيه لسببين:

أ ـ قال قتيبة: «حدثنا» مما يدل أنه سمعه من لفظ شيخه، أما محمد بن رمح؛ فقال: «أخبرنا» مما يدل أنه سمعه من شيخه بقراءة خبره عليه.

ب ـ قتيبة قال: «ليث»، وابن رمح قال: «الليث».

٤ ـ أنّ كل ما رواه الليث بن سعد، عن أبي الزبير محمول على الاتصال صرح أم لم يصرح، والدليل على ذلك: ما ذكره الحافظ في «التهذيب» وغيره؛ قال ابن أبي مريم عن الليث: قدمت مكة فجئت أبا الزبير، فدفع إليَّ كتابين، فانقلبت بهما، ثم قلت في نفسي: لو عاودته فسألته هل سمع هذا كله من جابر؟ فقال: منه ما سمعت، ومنه ما حُدِّثتُ عنه.

فقلت له: أعلم لي على ما سمعت، فأعلم لي على هذا الذي عندي.

قال الساجي: «وبلغني عن يحيى بن معين أنه قال: استحلف ليث أبا الزبير بين الركن والمقام أنك سمعت هذه الأحاديث من جابر؟ فقال: والله إني سمعتها من جابر، يقول ثلاثاً».

٥ ـ فائدة جمع ألفاظ الرواة؛ ومنها: التصريح بأسماء المبهمين من الرجال، أو زيادة فائدة في التسمية، والتصريح حتى لا تختلط الأسماء، ولازمه الأشخاص، وهو علم دقيق لا يعرفه إلا أهل هذا الفن الشريف وأرباب هذه الصناعة الحديثية العظيمة.

٦ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (عرض عليَّ الأنبياء): العرض هنا بمعنى: الرؤية.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ أظهر لي صورة الأنبياء، وأراني إياها.

قوله: (فإذا موسى ضرب من الرِّجال): الضرب: ـ بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها باء موحدة ـ؛ وهو: النحيف خفيف اللحم الممشوق المستدق.

قوله: (فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود): الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ؛ حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم وغيرها. وهو مفرد، والجمع: أشباه. وهو يكون في الوجه، وقد يطلق: ويراد به الهيئة العامة.

⟡ فقه الحديث:

١ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يكرم نبيه ﷺ بكرامات لم ولن يعطاها أحدٌ من الخلق، ومنها اجتماعه بالنبيين والمرسلين في بيت المقدس، وفي السماوات عند العروج إليها، وتصويرهم له ﷺ كأنه يراهم في حينه.

٢ ـ أنّ هذا جائز لا مطعن فيه، وله نظائر مشابهة له، مثل إتيان جبريل بصورة بيت المقدس أمام الرسول ﷺ يصف ما فيها للمشركين؛ ليثبت صدقه فيما ادعاه.

٣ ـ أنّ موسى ـ عليه السلام ـ وُصِفَ هنا بالضرب ـ وهو الخفيف في لحم بدنه ـ فيدل على أنّ الجعودة التي فيه هي في شعره خاصة؛ أو أكثر من جسده.

٤ ـ أنّ الملائكة قد أُعطوا من القدرة ما يستطيعوا به أن يتصوروا بصور البشر.

٥ ـ أنهم لا يتصورون بصورة الكفار أو الفُسَّاق.

٦ ـ جواز تشبيه الفاضل بالمفضول.

٧ ـ منقبة ظاهرة لكلٍّ من عروة ودحية.

٨ ـ أنّ دحية بن خليفة ـ رضي الله عنه ـ كان من أجمل الناس خَلْقاً.



٢٧٢ ـ {١٦٨} وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ـ وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ. قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ عَبْدٌ: أَخْبَرَنَا ـ عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ** ـ فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ ـ: **فَإِذَا رَجُلٌ** ـ حَسِبْتُهُ قَالَ ـ **مُضْطَّرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**». قَالَ: «**وَلَقِيتُ عِيسَى** ـ فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ **فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ؛ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ**» يَعْنِي حَمَّاماً. قَالَ: «**وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ ـ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ**». قَالَ: «**فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ. فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ. فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ ـ أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ ـ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أن له فيه شيخين قرن بينهما.

٣ ـ **قوله: (وتقاربا في اللفظ)**؛ أي: اختلفا في اللفظ اختلافاً يسيراً، واتحدا في المعنى.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الزهري عن سعيد بن المسيب.

٥ ـ دقة مسلم، وأمانته العالية في أداء ألفاظ الرواة، والمشايخ دون خلطٍ بينها.

٦ ـ تفريق مسلم بين «حدثنا» و«أخبرنا».

٧ ـ إيراد الغريب في الحديث.

٨ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من المتفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٣٣٩٤** و**٣٤٣٧** و**٤٧٠٩** و**٥٥٧٦** و**٥٦٠٣**).

* غريب الحديث:

قوله: (حين أسري بي لقيت): أي: وقت الإسراء بي استقبلت أو صادفت هؤلاء الأنبياء.

قوله: (فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس ـ يعني حماماً ـ): ديماس: ـ بفتح الدال والكسر ـ، وهو في اللغة السرب، ويطلق أيضاً على الكِن، والحمام من جملة الكِن.

والمراد من ذلك: وصفه بصفاء اللون، ونضارة الجسم، وكثرة ماء الوجه؛ حتى كأنه كان في موضع كن، فخرج منه وهو عَرْقان.

فقه الحديث:

١ ـ بيان جمال عيسى ـ عليه السلام ـ الخَلْقِي.

وقد وصف عيسى في رواية أبي هريرة بأنه أحمر، وفي رواية ابن عمر الآتية (**١٦٩**) آدم؛ أي: أسمر.

وقد روى البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه أنكر رواية أحمد، وحلف أن النبي ﷺ لم يقله.

ويمكن الجمع بين الحمرة والأدمة بأن حقيقتهما ليست مراده بل ما قاربهما، والله أعلم.

٢ ـ أنّ النبي ﷺ شرب إناء اللبن الذي اختاره.

٣ ـ بيان نعمة الله ورحمته بهذه الأُمة المرحومة، وعظيم لطفه حيث اختار لهم بإلهام رسوله ﷺ، وتوفيقه للخير، وإرشاده للصواب.

٤ ـ قال الحافظ: «يعني: الحمام» هو تفسير عبدالرزاق، ولم يقع ذلك في رواية هشام.

٥ ـ أنّ النبي أشبه الناس بإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

٦ ـ بيان صفة خَلْقِ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من صفات خَلْقِ النبي ﷺ.

٧ ـ ويؤخذ من قول جبريل في الخمر: «غوت أمتك»: أن الخمر ينشأ عنها الغي، ولا يختص ذلك بقدر معين؛ لأنها أم الخبائث، ومنبع الشرور.



٧٦ ـ باب ذكر عيسى ابن مريم والمسيح الدجال

٢٧٣ ـ {١٦٩} حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئاً عَلَى رَجُلَيْنِ ـ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ ـ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ، أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّها عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١/٨).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ **قوله: (قرأت على مالك)**: هذه صيغة التزمها يحيى بن يحيى في روايته عن مالك؛ لأن مالكاً يرى القراءة مثل السماع.

٣ ـ هذا الإسناد أصح الأسانيد مطلقاً؛ كما قال إمام أهل الصنعة البخاري.

٤ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيخه يحيى بن يحيى؛ لكنه دخل المدينة النبوية للأخذ عن مالك.

٥ ـ حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٤٤٠ و٣٤٤١ و٥٩٠٢ و٦٩٩٩ و٧٠٢٦ و٧١٢٨).

* **غريب الحديث:**

قوله: (أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً. . . له لمة كأحسن ما أنت راء من اللِّمم، قد رجَّلها فهي تقطر ماء): أراني: ـ بفتح الهمزة ـ، بمعنى: أطلعني، وقد يكون حقيقة مشاهدة، وقد يكون من الرؤيا، وهي حق أيضاً؛ والثاني هو الصواب للرواية القادمة.

الكعبة: سميت كعبة؛ لارتفاعها وتربعها، وكل بيت مربع عند العرب فهو كعبة، وقيل: سميت كعبة؛ لاستدارتها وعلوها.

ولمة: ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ، جمعها: لمم، كقربة وقرب.

قال الجوهري: ويجمع على لمام، يعني: بكسر اللام، وهو الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين، فإذا بلغ المنكبين؛ فهو جمة، وإذا قصرت عنهما؛ فهي وفرة.

رجلها: ـ بتشديد الجيم ـ، معناه: سرحها بمشط مع ماء أو غيره.

تقطر ماء: يحتمل أنها تقطر ماء من الماء الذي سرحها به، أو يكون ذلك عبارة عن نضارته، وحسنه، واستنارته، واستعارة الجمال خَلْقِهِ.

قوله: (متكئاً على رجلين ـ أو على عواتق رجلين ـ يطوف بالبيت): العاتق: مفرد، والجمع: عواتق؛ وهو: ما بين المنكب والعنق.

يطوف بالبيت: قال القاضي عياض: «إن كانت هذه رؤيا عين؛ فعيسى حي لم يمت، يعني: فلا امتناع في طوافه حقيقة، وإن كان مناماً، فهو محتمل؛ لما تقدم، ولتأويل الرؤيا، وعلى هذا يحمل ما ذكر من طواف الدجال بالبيت، وأن ذلك رؤيا، إذ قد ورد في «الصحيح» أنه: لا يدخل مكة ولا المدينة»[1]. انتهى بتصرف.

---

(١) «إكمال المعلم» (٢/٧٢٦ ـ ٧٢٧).

والمعنى: أن الله ـ تعالى ـ أطلع نبيه على وقائع، وأحداث ستكون أو كانت، حقيقة أو مناماً، ومن هذه المشاهد: عيسى ابن مريم بصورة جميلة من الشعر، واللون، والبهاء الحسن؛ وهو يطوف ببيت الله الحرام قد استند على رجلين في طوافه.

قوله: (فسألت: مَن هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم): المسيح: ـ بفتح الميم وتخفيف المهملة المكسورة وآخره حاء مهملة ـ يطلق على الدجال، وعلى عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ.

لكن عيسى ﷺ مسيح الهدى، والدجّال مسيح الضلالة.

ونقل عن بعض العلماء ضبط «المسيح» للدجّال ـ بكسر الميم والسين المشددة ـ «مِسِّيح».

وضبطه بعضهم ـ أيضاً ـ بالخاء المعجمة بدلاً من الحاء المهملة؛ وهو: من المسخ واللعنة؛ أي: أنه ممسوخ الخِلقةِ؛ لكفره، وادعائه للألوهية.

واختلف في سبب تسمية عيسى ﷺ بالمسيح منها المقبول المعقول؛ لدلالة النصوص عليه، ومنها المردود لبُعده وفقد الدليل.

قال الحافظ: «وذكر شيخنا الشيخ مجد الدِّين الشيرازي صاحب «القاموس» أنه جمع في سبب تسمية عيسى بذلك خمسين قولاً أوردها في «شرح المشارق»».

وقال ـ في موطن آخر ـ: «وبالغ القاضي ابن العربي فقال: ضلّ قوم فرووه المسيخ بالخاء المعجمة، وشدّد بعضهم السين؛ ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم، وقد فرّق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجّال «مسيح الضلالة» فدلّ على أن عيسى مسيح الهدى، فأراد هؤلاء تعظيم عيسى، فحرّفوا الحديث.

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ رأى عيسى وهو لا يعرف شخصه من قبل؛ فسأل الملائكة عنه فأجابوه بأنه عيسى ابن مريم؛ دلَّ على هذا الرواية الآتية.

قوله: (ثم إذا أنا برجل جعد قطط، أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافيةٌ، فسألت: مَن هذا؟ فقيل: هذا المسيح الدجَّال): جعد قطط: مضى الكلام على الجعودة، ونزيد؛ فنقول: قال الهروي: «الجعد في صفات الرجال يكون مدحاً ويكون ذماً؛ فإذا كان ذماً؛ فله معنيان: أحدهما: القصير المتردد، والآخر: البخيل، يقال: رجل جعد اليدين، وجعد الأصابع؛ أي: بخيل...».

والقطط: ـ بفتح القاف والمهملة بعدها مثلها، هذا هو المشهور، وقد تكسر الطاء الأولى ـ المراد به: شدة جعودة الشعر.

أعور العين: أعور مفرد، والجمع: عور؛ وهو: العيب في العين وذهاب ضوئها.

والمعنى: أنها معيبة ذهب ضوؤها ليست سليمة.

عنبة طافية: العنبة واحدة: العنب؛ وهو: الثمر المعروف.

وطافية: ـ بالياء بعد الفاء، وليس بالهمز ـ من طفا الشيء إذا ظهر، وبرز.

والمعنى: أنها ناتئة نتوء حبة العنب من بين أخواتها.

والمعنى العام: أنه ﷺ رأى من ضمن ما رأى رجلاً من البشر بصفات ذميمة قبيحة ينفر منها الناس، ويشمئزون من رؤية صاحبها فسأل عنه، فأُخبر بأنه المسيح الدجّال: مسيح الضلالة، والشقاوة الذي مسخ الله مظهره، ومخبره سواء.

فقه الحديث:

١ ـ بيان إكرام الله ـ جلّ وعلا ـ لنبيه محمد ﷺ حيث أطلعه على ما كان غيباً من صفات كل من عيسى والدجال اللعين.

٢ ـ شدة اهتمام رسول الله ﷺ بتعليم أمته ما ينفعها أو يضرها حتى تأخذ بأسباب كل منهما، وتستعد له قبل وقوعه.

٣ ـ أنّ هذه الرؤية كانت عند الكعبة، ويأتي تفصيل كيفية الرؤيا في الروايات القادمة.

٤ ـ بيان حسن خِلْقَةِ عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٥ ـ أنّ إطالة الشعر في حق الرجال، وجعله لمة، وأكثر من ذلك سنة قديمة موروثة عن الأنبياء والمرسلين، والطواف مثله.

٦ ـ استحباب ترجيل الشعر، وتعاهده.

٧ ـ جواز الاتكاء على الرجل، والاثنين، وأكثر من ذلك عند الحاجة.

٨ ـ جواز الطواف على الدابة وللمحمول، فقد صح عن النبي ﷺ أنه طاف راكباً، وتعليله بأنه كان يشتكي لا يصح، وما ورد فيه؛ فضعيف.

٩ ـ أنّ نبينا ﷺ لا يعرف كلًّا من عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والدجّال ـ عليه اللعنة ـ.

١٠ ـ أنّ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينسب لأُمه؛ لأنه وُلِدَ من غير أب؛ بل بأمر الله.

١١ ـ لا يجوز أن ينسب المرء لغير أبيه؛ فذلك من الكبائر.

١٢ ـ أنّ الدجّال أعور العين اليمنى؛ كأنها عنبة طافية.

١٣ ـ أنّ عيسى مسيح الهدى، والدجَّال مسيح الضلال.

١٤ ـ قال ابن العربي: في اختلاف صفات الدجال بما ذكر من النقص بيان أنه لا يدفع النقص عن نفسه كيف كان، وأنه محكوم عليه في نفسه.

١٥ ـ قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «وغلط من استدل بهذا الحديث على أن الدجال يدخل مكة أو المدينة؛ إذ لا يلزم من كون النبي ﷺ رآه في المنام بمكة أن دخلها حقيقة، ولو سُلِّم أنه رآه في زمانه ﷺ بمكة؛ فلا يلزم أن يدخلها بعد ذلك إذا خرج في آخر الزمان»[(١)].



(١) «فتح الباري» (١٠/٣٧٠).

٢٧٤ ـ {...} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ الْمُسَيَّبِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ ـ يَعْنِي: ابْنَ عِيَاضٍ ـ عَنْ مُوسَى ـ وَهُوَ ابْنُ عُقْبَةَ ـ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُاللّهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَوْماً، بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ، الْمَسِيحَ الدَّجَّال، فَقَالَ: «**إِنَّ اللّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْداً قَطَطاً، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**».

❊ غريب الحديث:

قوله: (ذكر رسول الله ﷺ يوماً، بين ظهراني الناس، المسيح الدجّال...): كان رسول الله ﷺ حريصاً على الخير، فما ترك خيراً إلا وعلّمه لأُمته، وما من شرٍّ إلا وحذر أُمته منه، ومن ذلك الشر العظيم والفتنة التي ليس لها نظير في حياة البشرية جميعاً: فتنة الدجَّال؛ لذلك ذكر النبي ﷺ دجال الضلالة في مجلس من مجالسه المباركة.

قوله: (إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ ليس بأعور): معناه: أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ منزَّه عن سمات الحدث، وعن جميع النقائص، وأنّ أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة؛ لكون العور أثر محسوس يدركه العالم، والعامي، ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادّعى الربوبية وهو ناقص الخلقة، والإله يتعالى عن النقص؛ عُلِمَ أنه كاذب، فلا يغتر به من يرى تخييلاته، وما معه من الفتنة.

قوله: (أراني الليلة في المنام عند الكعبة): هذه الرواية تؤكد أنّ هذه الرؤية أنها رؤية منام لا رؤية عين، وإن كانت حقاً وصدقاً.

قوله: (كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن...): قطن: - بفتح القاف والمهملة -، وهو عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب، وهو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية.

فقه الحديث:

١ - أنّ هذه الرواية وضحت كيفية الرؤيا التي رآها الرسول ﷺ؛ وأنها ليست رؤيا عين؛ بل رؤية منام.

٢ - بيان كمال نصح الرسول ﷺ وشفقته على أُمته؛ حيث حذرهم من المكاره والمخاطر؛ ومنها: الدجّال.

٣ - أنّ الرسول ﷺ ما من خيرٍ إلاّ وقد دلّ أُمته عليه، وما من شرٍّ إلاّ وقد حذّر أُمته منه.

٤ - أنّ الله - تعالى - متصف بصفات الكمال، ومنعوتٍ بنعوت الجمال والجلال.

٥ - وأنه - سبحانه - لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يُشبهه شيءٌ من خلقه؛ فليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

٦ - وفيه تنبيه على أن دعواه الربوبية كذب؛ لأن رؤيا الله - تعالى - مقيَّدة بالموت، والدجال يدّعي أنه الله، ويراه الناس مع ذلك.

٧ - وردٌّ على من يزعم: أنه يرى الله - تعالى - في اليقظة كغلاة المتصوفة تعالى الله عن ذلك.

٨ - أنّ العور صفة نقص، وذم وعيب.

٩ - أنّ مسيح الضلالة أعور العين اليمنى، ويأتي تفصيل ذلك.

١٠ - أنّ كل صفة نقص في المخلوق؛ فالخالق منزَّه عنها، وكل صفة كمال في البشر؛ فالخالق أحق وأولى بها.

١١ - أنّ الجعودة في صفة الدجّال صفة مذمومة قبيحة فيه.

١٢ ـ وقد أورد البخاري هذا الحديث في باب: رؤيا الليل.

قال الحافظ: «أي رؤيا الشخص في الليل هل تساوي رؤياه بالنهار أو تتفاوتان، وهل بين زمان كل منهما تفاوت؟ وكأنه يشير إلى حديث أبي سعيد: «**أصدق الرؤيا بالأسحار**» أخرجه أحمد مرفوعاً، وصححه ابن حبان.

وذكر نصر بن يعقوب الدينوري: أن الرؤيا أول الليل يبطأ تأويلها، ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت أجزاء الليل، وأن أسرعها تأويلاً رؤيا السحر، ولا سيما عند طلوع الفجر.

وعن جعفر الصادق: أسرعها تأويلاً رؤيا القيلولة».

١٣ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «ولقد استدل أهل السنَّة بهذا الحديث على أن الرب ـ جلَّ وعلا ـ له عينان اثنتان فقط، وليس له أكثر من ذلك؛ قالوا: لأنه لو كان له أكثر من اثنتين؛ لبينه النبي ﷺ»[(١)].

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: وقد سألت شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ عن الاستدلال بهذا الحديث على أن الله له عينان اثنتان، فقال: هو استدلال صحيح، وأقره بكلام سمعته أذناي، ووعاه قلبي.

ولذلك أخطأ من نَسَبَ نفسه إلى شيخنا الألباني ـ رحمه الله ـ؛ فقال غير ذلك، ونسب لشيخنا جهله وقلة علمه وما كان لشيخنا ـ رحمه الله ـ؛ وهو الذي أمضى عمره في نصره منهج السلف وعقيدتهم: أن يخالف إجماع أهل السنة والجماعة على ذلك.

وإنما الذي حصل أن بعض المنتسبين للشيخ ـ رحمه الله ـ خالف أهل السنَّة والجماعة في ذلك، وأراد أن يمشي قوله: فنسب ذلك إلى شيخنا ـ يرحمه الله ـ قياساً وظناً؛ فأساء مرتين:

الأولى: عندما خالف إجماع السلف، وهذه بدعة ضلالة.

والثانية: نسبة مذهب باطل إلى إمام من أئمة السلفية هو بريء منه.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٥٧٠ ـ ٥٧١).

ولكن ظهر أمره واتضح كذبه عندما قوبل بفتوى مسجلة بصوت شيخنا ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قرر فيها ما ذكرته عنه، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

وقد جرّ هذا وأمثاله من فلول الحركات الحزبية المندسة في دعوة أهل السنة والجماعة بلايا ورزايا؛ فنسأل الله العفو والعافية، وأعاذنا وإخواننا ودعوتنا من شرِّهم ومكرهم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.



٢٧٥ ـ {. . .} حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ رَجُلاً آدَمَ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى رَجُلَيْنِ، يَسْكُبُ رَأْسُهُ ـ أَوْ يَقْطُرُ رَأْسُهُ ـ فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَى ابْنُ مَرْيَم، أَوِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ـ لاَ نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ ـ **وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً أَحْمَرَ، جَعْدَ الرَّأْسِ، أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطَنٍ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ**».

فقه الحديث:

١ ـ أن من صفات الدجال: أن شعره جعد، ولون بشرته أحمر.

٢ ـ رؤية النبي ﷺ عيسى ابن مريم والدجال معاً في رؤيا واحدة تدل على أن عيسى هو مَنْ سيقضي على الدجال ويقتله بباب لدٍّ من أرض فلسطين المسلمة حررها الله من أسر يهود؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر محمد ﷺ.



٢٧٦ ـ {١٧٠} حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلاَ اللّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٦/١٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ وقع في معظم نسخ صحيح مسلم هذا الحديث قبل الحديث الذي يليه، ومن دقق النظر وجد أن الصواب أن يتأخر عنه؛ لأن التالي له صلة وثيقة بما تقدم، وهذا في الإسراء.

وقد جاء في شرح الأبي والسنوسي على ما ذكرت، والله أعلم.

٢ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٨٨٦ و٤٧١٠).

✹ غريب الحديث:

قوله: (لمّا كذبتني قريش): لم يُذكر متى كان هذا التكذيب، وفي أي شيء هو، لكن بينتها الرواية بعد القادمة، وفي غير هذا الكتاب مفصلاً، وأنّه كان في صبيحة اليوم الذي أُسري به من ليلته إلى بيت المقدس من أرض الشام؛ وأنه في خبر الإسراء.

فعِند الإمام أحمد زيادة توضح ذلك، ولفظه: «**لما كذبتني قريش [حين أسري بي إلى بيت المقدس]**. . .» وقد علقها البخاري في «صحيحه».

قوله: (قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه): الحجر: ـ بكسر الحاء وإسكان الجيم ثم راء ـ، هو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي.

فجلا: ـ رُوِيَ بتشديد اللام وتخفيفها ـ، معناه: كشف وأظهر.

والآيات: جمع آية؛ وهي: العلامة.

والمعنى: أنّ قريشاً كذبت رسول الله ﷺ عندما أخبرهم أنه قد أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فطلبوا منه أن يصف لهم علامات ـ وهي الآيات ـ ظاهرة هناك يعرفها من ذَهَبَ إليه، فأخذ يصف لهم من العلامات التي تعرف هناك، وهو ينظر إلى بيت المقدس، كأنه

مصور أمامه، قد كشف الله له حتى يُفحم ويلجم المشركين الشاكين المكذبين له، ولما جاء وأخبر به.

فقه الحديث:

١ ـ أول من صدّق رسول الله بخبر الإسراء أبو بكر الصديق، وبذلك سمي: صديقاً. قال الحافظ (ح٤٧١٠): «وصله الذُّهلي في «الزهريات»، وأخرجه قاسم بن ثابت في «الدلائل» من الطريق ذاته، ولفظه: «جاء ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك! يزعم أنه أتى بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة؟! قال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لقد صدق».

وقال في موطنٍ آخر (٣٨٨٦): «وقد عزاه للبيهقي في «الدلائل» أيضاً بلفظ: قال: نعم؛ إني أُصدقه بأبعد من ذلك؛ أُصدقه بخبر السماء. قال: فَسُمِّيَ بذلك الصِّدِّيق».

٢ ـ وأصرح من هذه الرواية حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما كان ليلة أسري بي؛ وأصبحت بمكة؛ فَظِعْت بأمري، وعرفتُ أن الناس مكذِّبيَّ**»، فقعد معتزلاً حزيناً، فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟! فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». قال: ما هو؟ قال: «**إنه أُسري بي الليلة**» قال: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قال: ثم أصبحتَ بين ظهرانينا؟! قال: «**نعم**». قال: فلم يُرِ أنه يُكَذِّبُه؛ مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟! فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». فقال: هيَّا معشر بني كعب بن لؤي! حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما. قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ: «**إني أُسري بي الليلة**». قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: «**نعم**». قال: فمن بين مُصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب؛ زَعَمَ! قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد،

ورأى المسجد. فقال رسول الله ﷺ: «**فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت** ـ قال ـ **فجيء بالمسجد، وأنا أنظر؛ حتى وضع دون دار** ـ أو: عقال ـ أو عقيل ـ **فنعتُّه وأنا أنظر إليه**» قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه. قال: فقال القوم: أما النعت؛ فوالله لقد أصاب.

أخرجه أحمد (**١/٣٠٩**)، والطبراني (**١٢٧٨٢**)، وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الخصائص» (**١/٤٠٠**) لابن أبي شيبة أيضاً، والنسائي، والبزار، وأبي نعيم بسند صحيح، وحسنه الحافظ في «الفتح» (**٧/١٩٩**)؛ قاله شيخنا الألباني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في «الإسراء والمعراج» (**٨٠ ـ ٨٢**).

ولهذا قال أهل العلم: إنما جعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالمقدمة بين يدي المعراج وبرهان عليه، ولذلك عندما طلب كفار مكة دليلاً على الإسراء نعت لهم رسول الله ﷺ المسجد؛ فلزمتهم الحجة بذلك، ومن ثم لزمهم تصديق المعراج، والله أعلم.

٣ ـ بيان معجزة من المعجزات التي أُكرم بها النبي ﷺ.

٤ ـ تأييد الله لنبيه وحفظه ورعايته؛ حيث يسارع إلى إزالة ما يقع له من كروب؛ فيزول عنه كل همّ وغمّ وضيق، ويثبت قلبه على أمر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

٥ ـ بيان ما كانت عليه قريش من المعاداة لرسول الله ﷺ.

٦ ـ أنّ بيت المقدس كان معلوماً معروفاً لقريش؛ لأنها كانت تسافر إلى الشام للتجارة في رحلة الشتاء والصيف؛ وكما ذكر الله ـ تعالى ـ عنهم في «سورة قريش».

٧ ـ فيه شاهد عملي لقوله ﷺ: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب**» فكلما اشتدت الكربة، واشتد تعلقك بالله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فرجت.

٨ ـ فيه دليل أن الكُرب تلحق الأنبياء؛ كما لحقت النبي ﷺ هذه الكربة العظيمة؛ فجعلوا يتحدونه ويسألونه عن بيت المقدس؛ لأنهم مكذبون له.

٩ ـ فيه دليل على تشبيه الغائب بالحاضر المشاهد، وذلك يكون للتوكيد.



٢٧٧ ـ {١٧١} حدّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبِطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاء ـ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً ـ قُلْتُ: مَنْ هذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعِدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَه عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَّالُ. أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابْنُ قَطَنٍ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١/٨).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ نصفه الأول مسلسل بالمصريين، ونصفه الآخر بالمدنيين.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب الزهري عن سالم بن عبدالله.

٣ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: سالم بن عبدالله عن أبيه.

❋ غريب الحديث:

قوله: (**ينطف رأسه ماء**): أي: يقطر ويسيل.

قوله: (**أو يهراق على رأسه**): أي: ينصب.

قوله: (**جسيم**): أي: سمين عظيم الجسم.

وباقي شرحه تقدم الكلام عليه.



٢٧٨ ـ {١٧٢} وحدّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنّى، حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ ـ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ ـ عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَاي، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**». قَالَ: «**فَرَفَعَهُ اللّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ؛ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ـ عليه السلام ـ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ـ عليه السلام ـ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ** ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ **فَحَانَتِ الصلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ نصفه الأول مسلسل بالبغداديين، والثاني بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عبدالله بن الفضل عن أبي سلمة.

٤ ـ بيان سعة حفظ الإمام مسلم، وتفننه حيث ساق الحديث أولاً من رواية جابر عنه ﷺ، ثم ساقه من رواية أبي هريرة.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

❊ **غريب الحديث:**

قوله: (في الحجر): أي: حجر الكعبة.

قوله: (فسألتني عن أشياء من بيت المقدس): أي: من أوصاف بيت المقدس.

قوله: (لم أثبتها): أي: لم أحفظها، ولم أضبطها لاشتغالي بما هو أهم منها.

قوله: (فكربت كربة ما كربت مثله قط) ـ هو بضم الكافين ـ، والضمير في مثله يعود على معنى الكربة؛ وهو: الكرب، أو الغم، أو الهم، أو الشيء.

قال الجوهري: «الكربة ـ بالضم ـ الغم الذي يأخذ بالنفس، وكذلك الكرب، وكربه الغم إذا اشتدّ عليه»، قاله النووي.

وقط تستعمل للزمان الماضي.

قوله: (فبدأني بالسلام): أي: سلم عليّ قبل أن أسلم عليه تبجيلاً وتكريماً.

فقه الحديث:

١ ـ في رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ من التفصيل بخلاف رواية جابر السابقة.

٢ ـ التصريح بأن السؤال كان عن إسراء النبي ﷺ.

٣ ـ أنّ النبي ﷺ كسائر البشر ينسى، وينام، ونحوها.

٤ ـ بيان ما أصاب النبي ﷺ من كرب عند سؤال قريش له، وقد نسي أشياء منها.

٥ ـ أنه رأى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يصلون في قبورهم، وهذا الحديث من أقوى الأحاديث في هذه المسألة.

٦ ـ أنّ الملائكة تحيتهم سلام؛ كسلام البشر المسلمين.

٧ ـ دليل على تعظيم الملائكة وحبهم للنبي ﷺ حيث بدأه بالسلام.

٨ ـ ليس في الحديث دليل على جواز الصلاة عند القبور أو عليها؛ لأنه من ذرائع ووسائل الشرك.

➢ فوائد زوائد تتعلق بمبحث الإسراء والمعراج:

١ ـ أحاديث الباب عند الإمام مسلم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ لم تستوعب كل أحداث ووقائع الإسراء والمعراج؛ فهي كثيرة مبثوثة في بطون كتب ودواوين السنّة النبوية.

٢ ـ أنّ العلماء أفردوا الإسراء والمعراج بمصنفات كثيرة؛ فمنهم من اقتصر على الصحيح، ومنهم جمع الغث والسمين، ومنهم من اعتنى بجوانب منها، ومنهم من أفردها للرد على الطاعنين والمنكرين.

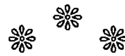
٣ ـ انتشرت في الأسواق رسالة حول معراج الرسول تُنسب ـ ظلماً وزوراً ـ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو منها بريء، وهي مكذوبة محشوة بالباطل والبهتان.

ولمحمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني، وأيضاً لأحمد شلبي الأزهري فيهما من الإنكار والتحكيم العقلي ورد الروايات الثابتة، وهما ممن تأثر بالعقلانيين.

٤ ـ قال الحافظ أبو الخطاب: عمر بن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» ـ وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس، وتكلم عليه فأجاد وأفاد ـ: «وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأُبي بن كعب، وعبدالرحمٰن بن قرط؛ وأبي حبة، وأبي ليلى الأنصاريين، وعبدالله بن عمرو، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أُمامة، وسمرة بن جندب، وأبي الحمراء، وصهيب

الرومي، وأُم هانىء، وعائشة، وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم أجمعين -، منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة، والملحدون ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾» ا.هـ نقله الحافظ ابن كثير في «تفسيره».

٥ - قال ابن كثير: «وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث: صحيحها، وحسنها، وضعيفها، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء - عليهم السلام -، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة؛ فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مرهوب، ولم يتحصل على مطلب... وهذا بعيد جداً، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد؛ لأخبر النبي ﷺ به أُمته، ولنقله الناس على التعدد والتكرر» ا.هـ مختصراً.



٧٧ - باب في ذكر سدرة المنتهى

٢٧٩ - {١٧٣} وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، جَمِيعاً عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ نُمَيْرٍ - وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ - قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِاللّهِ؛ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ. فَيُقْبَضُ مِنْها، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً، الْمُقْحِمَاتُ».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - في الحديث (٨٠/٥٠).

➤ فوائد الإسناد:

١ - من سباعيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - له فيه ثلاثة شيوخ قرن بين الأخيرين.

٣ - فيه ثلاثة تابعين كوفيون، وهم: الزبير بن عدي، وطلحة بن مصرف، ومرة.

٤ - مسلسل بالكوفيين سوى شيخه زهير؛ فبغدادي.

٥ - **قوله: (ألفاظهم متقاربة)**: هذا من دقة الإمام مسلم؛ أي: أن ألفاظهم مختلفة اختلافاً يسيراً مع الاتحاد في المعنى.

٦ ـ **قوله: (عبدالله)** مهملاً هو ابن مسعود؛ لأن القاعدة أنه إذا أُطلق عبدالله في سند الكوفيين؛ فهو المراد.

٧ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (... وغفر لمن لم يشرك بالله من أُمته شيئاً، المقحمات): المقحمات ـ بضم الميم، وإسكان القاف، وكسر الحاء ـ، من اقتحم.

يقال: اقتحم الإنسان الأمر العظيم، وتقَحمه: إذا رمىٰ نفسه فيه من غير رَوِيّة وتثبت.

والمراد بها هنا: الذنوب العظام، الكبائر التي تهلك أصحابها، وتوردهم النار، وتقحمهم إياها.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ أعطي رسوله ﷺ من الكرامات التي فيها الرحمة بأُمته، والتشريف مما لم تعطه أُمة من الأُمم السابقة، وهي الصلوات الخمس المفروضة، وخواتيم سورة البقرة المشتملة على سعة رحمة الله، والمغفرة لكل من أذنبَ ذنباً هو دون الشرك، والكبيرة التي توجب حَدًّا على فاعلها في الدنيا، أو عذاباً في الآخرة.

❖ فقه الحديث:

تقدم ذكره في شرحنا، ومما لم يذكر:

١ ـ بيان محل سدرة المنتهى ووصفها، وقد تقدم تفصيل ذلك.

٢ ـ تكفل الله لمن لم يشرك به شيئاً، ولم يأتِ بكبيرةٍ أنْ يغفر له.

٣ ـ بيان فضل الصلوات الخمس؛ حيث فرضت في الملأ الأعلى، خلاف سائر الفرائض.

قال القرطبي: «إنما خصت بذلك؛ لما تضمنته من التخفيف عنهم، والثناء على رسول الله ﷺ والمؤمنين، وإجابة دعواتهم ونصرتهم».

٤ ـ بيان فضل خواتيم سورة البقرة، وقد تواترت الأحاديث الصحاح في **بيان فضلها وشرفها، ومن ذلك:**

أ ـ أنزلت من كنز تحت العرش.

أخرج النسائي وأحمد وغيرهم بإسناد صحيح عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت الأرض كلها لنا مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأُوتيت هؤلاء الآيات آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط أحد منه قبلي ولا يعطى منه أحد بعدي**».

وفي الباب عن عقبة بن عامر، وأبي ذر، وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري، وعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ.

ب ـ أرسل الله ملكاً لم ينزل إلى الأرض قط، فنزل من باب من السماء لم يفتح قط، فأتى النبي ﷺ فبشره بأنها نور أُوتيه لم يؤته نبي قبله، وأنه لن يقرأ بحرف منها إلا أعطيه:

أخرج الإمام مسلم عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أَبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته».

ت ـ أنزلتا من كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، ولا تقرآن في دار ثلاث ليال؛ فيقربها شيطان:

أخرج أحمد والنسائي في «اليوم والليلة» وابن حبان وغيرهم عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، فأنزل منه آيتين ختم**

بهما سورة البقرة فلا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان».

والحديث صحيح بطرقه.

وفي الباب عن شداد بن أوس.

ث ـ كانتا فرجاً للمسلمين واستجاب الله لهم فيهما:

أخرج مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فاشتد ذلك على صحابة رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، فقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أُنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابَيْن من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**» فلما أقر بها القوم، وذلت بها ألسنتهم أنزل الله ـ عز وجل ـ في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ ـ قال عفان: قرأها سلام أبو المنذر يفرق ـ ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ ـ فصار له ما كسبت من خير، وعليه ما اكتسبت من شر فسر العلاء هذا ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: نعم.

وفي الباب عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

جـ ـ من قرأهما في ليلة كفتاه.

أخرج الشيخان عن أبي مسعود البدري ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال

رسول الله ﷺ: «**الآيتان من آخر سورة البقرة؛ من قرأهما في ليلته كفتاه**».

حـ ـ إذا تليت مع آية الكرسي لا يدخل الشيطان البيت تلك الليلة.

أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي في «الدلائل»، بإسناد حسن عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قصة الشيطان حين أخذه، وفيه: «فإني لا أعود، وآية ذلك على أن لا يقرأ أحد منكم آية الكرسي وخاتمة البقرة، فدخل أحد منا في بيته تلك الليلة، فخليت سبيله، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره؛ فإذا مناديه ينادي أين معاذ بن جبل؟ فلما دخلت عليه؛ قال لي: ما فعل أسيرك فقلت: عاهدني ألا يعود؛ فأخبرته بما قال. قال لي رسول الله ﷺ: «**صدق الخبيث وهو كذوب**» قال: فكنت أقرأها عليه بعد ذلك؛ فلا أجد فيه نقصاناً.



٢٨٠ ـ {١٧٤} وحدّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ ـ وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ ـ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللّهِ ـ عز وجل ـ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٠/٨٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين سوى شيخه؛ فبغدادي، وعباد بن العوام؛ فواسطي.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: الشيباني عن زر بن حبيش.

٤ ـ حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٢٣٢).

* غريب الحديث:

قوله: (حدثنا الشيباني قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾**)**: هو سليمان بن أبي سليمان ـ واسمه فيروز ـ الشيباني الكوفي الثقة يسأل الإمام الثقة المخضرم زر بن حبيش عن معنى قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

قاب: ما بين المقبض والسِّيَةِ من القوس؛ وهو: الاعوجاج في رأسه.

والقوس: يطلق على أشياء؛ ما يرمى عنه، وما يرمى به، وهو القوس العربي، والذراع الذي يقاس به الشيء.

والمعنى: من الذي كان من قرب محمد هذا القرب الذي كاد أن يلامسه فيه؟!

قوله: (قال: أخبرني ابن مسعود؛ أنّ النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح): فأجابه زرٌّ: أنّ الجواب عند ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ صاحب الرسول الذي أخذ العلم عنه؛ أنه جبريل ـ عليه السلام ـ وكان على خِلْقَتِهِ التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح.

فقه الحديث:

١ ـ سؤال أهل العلم عن المسائل المشكلة.

٢ ـ الجواب بالأثر، ورحم الله سفيان الثوري القائل: إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر؛ فافعل.

٣ ـ أنّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعلم الناس بالقرآن وتفسيره.

٤ ـ أنّ المذكور بالآية في القُرب المكاني؛ هو: جبريل ـ عليه السلام ـ.

٥ ـ أنّ النبيَ ﷺ رأى جبريل ـ عليه السلام ـ على خِلقَتهِ التي خلقه الله عليها.

٦ ـ أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ له ستمائة جناح، الله أعلم بكيفيتها.



٢٨١ ـ {. . .} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِاللّهِ؛ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (ما كذب الفؤاد ما رأى): الفؤاد: كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد؛ أي: التوقد. قاله الأصبهاني.

والفؤاد مفرد، وجمعه: أفئدة.

والمعنى: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى من جبريل ـ عليه السلام ـ حقيقة وبصورة عظيمة.

وباقي الحديث تقدم بيانه وشرحه.



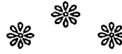
٢٨٢ ـ {. . .} حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِاللّهِ؛ قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

فقه الحديث:

١ ـ فيه تأكيد رؤية النبي ﷺ لجبريل ـ عليه السلام ـ، وأنها من الآيات الكبرى التي أُريها نبينا ﷺ.

٢ ـ إثبات أن الملائكة ذوي أجنحة: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١].

٣ ـ هذا يدل على سرعة الملائكة وقوتهم وبخاصة جبريل ـ عليه السلام ـ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].



٧٨ ـ باب معنى قول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟

٢٨٣ ـ {١٧٥} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ.

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عبدالملك عن عطاء.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

فقه الحديث:

١ ـ بيان أقوال العلماء من الصحابة في هذه الآيات، وأنّ مذهب ابن مسعود فيما تقدم، وأبي هريرة هنا: أنّ الرؤية كانت لجبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ.

٢ ـ أنّ النبي ﷺ كانت له عرجات في تلك الليلة؛ لاستحطاط عدد الصلوات؛ فكل عرجة نزلة.

٣ ـ أنّ رؤية جبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ كانت في نزلة من هذه النزلات.

٤ ـ الرسول ﷺ رأى جبريل ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مرة في الأرض، ومرة في السماء على خِلْقَتِهِ العظيمة.



٢٨٤ ـ {١٧٦} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِهِ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٧/٢٣).

فقه الحديث:

١ ـ أنّ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يرى أنّ الذي رآه نبينا في الإسراء هو الله ـ تعالى ـ وليس جبريل.

٢ ـ وأنّ هذه الرؤية كانت بالقلب، وليست بعيني الرأس.

٣ ـ أنّ الصحابة اختلفوا في تفسير هذه الآيات؛ مَن المقصود بالرؤية؟



٢٨٥ ـ {...} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو سعِيدٍ الأَشَجُّ، جَمِيعاً عَنْ وَكِيعٍ، قَالَ الأَشَجُّ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] قَالَ: رَآهُ بِفُؤادِهِ مَرَّتَيْنِ.

فوائد الإسناد:

١ ـ فيه ثلاثة تابعين يروي بعضهم عن بعض؛ وهم: الأعمش ـ واسمه: سليمان بن مهران ـ، وزياد بن الحصين، وأبو العالية ـ واسمه: رُفيع بن مهران ـ.

٢ ـ وهذا يسمى رواية الأقران.

٣ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

◁ فقه الحديث:

١ ـ أنّ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ذهب إلى إثبات رؤية النبي ﷺ لربه مرتين بفؤاده.



٢٨٦ ـ {...} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنِ الأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَهْمَةَ بِهذَا الإِسْنَادِ.

◁ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية حفص عن الأعمش: أخرجها الحافظ ابن منده في «الإيمان» (٢/٧٥٩/٧٥٦) وأنبأ يحيى بن آدم، ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن زياد بن الحصين أبي جهمة، عن أبي العالية، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رآه بقلبه مرتين.



٢٨٧ ـ {١٧٧} حَدّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ؛ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ! ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللّهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللّهِ الفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئاً فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤمِنِينَ! أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللّهِ ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] فَقَالَتْ: أَنَا أَوّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**». فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللّهَ يَقُولُ: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ** ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَوَلَمْ تَسْمَعْ

أَنَّ اللّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]. قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللّهِ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللّهِ الْفِرْيَةَ. وَاللّهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللّهِ الْفِرْيَةَ. وَاللّهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النحل: ٦٥].

راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الحديث (١٦٠/٢٥٢).

فوائد الإسناد:

١ ـ ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٤٥٢/٢٧ ـ ٤٥٤) في ترجمة مسروق ـ رحمه الله ـ: «قال الحافظ أبو بكر الخطيب: يقال؛ إنه سُرِقَ وهو صغير، ثم وجد؛ فسمي: مسروقاً، وأسلم أبوه الأجدع».

٢ ـ وقال: «وقال مجالد عن الشعبي، عن مسروق: لقيت عمر بن الخطاب، فقال: ما اسمك؟ فقلت: مسروق بن الأجدع. قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«الأجدع شيطان»**، أنت مسروق بن عبدالرحمٰن. قال الشعبي: فرأيته في الدِّيوان: مسروق بن عبدالرحمٰن».

٣ ـ وأسند منه إلى الشعبي، قال: «غشي على مسروق بن الأجدع في يوم صائف وهو صائم، وكانت عائشة زوج النبي ﷺ قد تبنّته؛ فسمّى ابنته: عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئاً، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه! أفطر واشرب، قال: ما أردتِ بي يا بُنية؟ قالت: الرِّفق. قال: يا بنية! إنما طلبتُ الرِّفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

٤ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٥ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: داود، والشعبي، ومسروق.

٦ ـ حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرج ـ أيضاً ـ البخاري (٤٦١٢ و٤٨٥٥ و٧٣٨٠ و٧٥٣١).

٧ ـ في رواية الترمذي عن الشعبي؛ قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة، فسأله عن شيء، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، فقال له كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه.

وعند عبدالرزاق؛ فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين؛ فكبر كعب، وقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين؛ قال مسروق: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمد ربه؟

ولابن مردويه عن الشعبي عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن كعب مثله. قال الشعبي: فأتى مسروق عائشة، فذكر الحديث، فظهر بذلك سبب سؤال مسروق لعائشة ـ رضي الله عنها ـ عن ذلك، قاله الحافظ في «فتح الباري» (٨/٤٧٢ ـ ٤٧٣).

* غريب الحديث:

قوله: (كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة!...): لما سمع مسروق بن الأجدع كلام عبد الله بن عباس، وكعب الأحبار: أنّ محمداً ﷺ رأى الله ـ تعالى ـ دخل على أُم المؤمنين، وزوج النبي الأمين، فقيهة النساء لعلّ علماً عندها حول هذه المسألة عن النبي ﷺ؛ فسألها من وراء حجاب عمّا سمعه، فأجابته مناديةً له بكنيته (أبو عائشة).

قوله: (ثلاث من تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفِرْية؟): ثلاث: أي: ثلاث دعوات أو كلمات.

والفِرْية: ـ بكسر الفاء وإسكان الراء ـ؛ وهي: الكذبة مفردة، والجمع: فِرَىٰ.

والمعنى: أنّ عائشة ـ رضي الله عنها ـ أخبرته بأن ثلاث دعوات باطلة من تكلّم بواحدة منهن؛ فقد كذب على الله ـ تعالى ـ، وارتكب كبيرة من الكبائر، وقال على الله ما لا يصح، ولا يجوز.

قوله: (قلت: ما هنّ؟ قالت: من زعم: أنّ محمداً ﷺ رأى ربه؛ فقد أعظم على الله الفرية؟!): فلما سمعت ما قالت من التهديد، والوعيد الشديد لمن تكلم بثلاث كلمات، دفعني ذلك السؤال عنها، فقلت: أخبريني ما هي هذه الثلاث؟ فقالت له: وذكرت الأولى منهنّ: أنّ من ادعى رؤية محمد ﷺ لربه؛ فقد كذب، وقال منكراً من القول وزوراً.

قوله: (وكنت متكئاً فجلست): وكنت قاعداً متكئاً على أحد شقي على شيء؛ فاعتدلت جالساً دون اتكاء، وهذا ليستعد ويتمكن من مراجعتها، وهذا يعطي مزيد الاهتمام.

قوله: (أنظريني ولا تعجليني، ألم يقلِ الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]): أنظريني: من الإنظار: وهو التأخير والإمهال، يقال: أنظرتُه أنظِرُه، واستنظرته؛ إذا طلبتَ منه أن ينظرَك؛ كقوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

والمعنى: أمهليني حتى أتكلم ولا تُقابليني بالجواب السريع حتى أنتهي. وذكر الآيتين، وفيهما التصريح بالرؤية.

قوله: (فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ): فأجابته عائشة ـ رضي الله عنها ـ بعد سماعها له؛ بأنها أول من سأل رسول الله ﷺ ممن سأله من المسلمين عن هذه المسألة بما فيها الآيتان السابقتان.

قوله: (فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، سادًّا عظم خلقه ما بين السماء

إلى الأرض): فأجابني رسول الله ﷺ عمّا سألته عنه، وهو الذي سألتني عنه؛ فقال: هذا الذي رأيته هو جبريل الملك، ولم أشاهده على صورته التي خلقه الله عليها غير المرتين المذكورتين في الآيتين، وكان نازلاً من السماء، قد ملأ ما بين السماء والأرض.

قوله: (فقالت: أوَلم تسمع أنّ الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، **أوَ لم تسمع أن الله يقول:** ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]): ثم قالت عائشة لمسروق: ألم تسمع هذه الآية التي فيها التصريح الجازم بنفي إدراك الخالق وإحاطة الأبصار به، والآية الثانية التي فيها التصريح بنفي الكلام مع الرؤية بل من وراء حجاب.

قوله: (قالت: ومن زعم: أنّ رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٦٧]): والثانية: من الدعوات الباطلة هذه؛ هي: أنّ الرسول المؤتمَن على الوحي المنزَل قد أخفى شيئاً منه؛ فمَن قال به فقد أتى بالكذب على الله ـ تعالى ـ وهو مرتكب لكبيرة من الكبائر، وهو مكذب بقول الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ ففي هذه الآية الأمر بالتبليغ، والتحذير من كتمان شيء مما أنزله الله، ولو كان الأمر كذلك؛ لكتم هذه الآية.

قوله: (قالت: ومن زعم: أنه يخبر بما يكون في غدٍ؛ فقد أعظم على الله الفِرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥]): وهذه الدعوة الباطلة الثالثة؛ هي: أنْ يدّعي أحدٌ من الخلق علم الغيب، والله ـ تعالى ـ أخبر أنه استأثر نفسه بالغيب دون سائر خلقه، فلا يعلمه مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح، ولا ساحر كذّاب.

☜ فقه الحديث:

١ ـ منقبة ظاهرة لعائشة ـ رضي الله عنها ـ حيث كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وكبار التابعين يرجعون إليها عند وقوع الخلاف في المسائل العلمية والخبرية.

٢ ـ استحباب نداء المرء بكنيته ـ رجلاً كان أو أنثى ـ.

٣ ـ أنّ هذه الثلاث المذكورات من الكبائر؛ لأنه من الكذب على الله.

٤ ـ أنّ ذكر الثلاث لا يفيد الحصر، بل تسهيل الحفظ والضبط والفهم. والكتاب والسنّة فيهما الكثير من الأقوال والأعمال من أوقعها؛ فقد قال على الله الكذب، وافترى عليه.

٥ ـ أنّ عائشة ـ رضي الله عنها ـ تنفي بشدّة أن يكون محمد ﷺ رأى ربه ـ تعالى ـ ببصره في الدنيا.

٦ ـ استحباب الجلوس الحسن الذي يكون فيه الطالب أقرب، وأيسر، وأسهل للحفظ، والفهم لما يُلقى إليه من العلم.

٧ ـ جواز الاتكاء بدون عذر؛ لأن الاتكاء من الأمور المباحة الجائزة بدون عذر، فقد كان النبي ﷺ يجلس متكئاً.

٨ ـ اهتمام عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالبحث عن المسائل العلمية حيث سبقت غيرها في سؤال المراد بآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

٩ ـ استحباب الأدب مع أزواج رسول الله ﷺ إذا ذكرت بأن يُترضى عليهن؛ لأن الله رضي عليهن، وكرّمهن بزواج رسول الله ﷺ، وجعلهن أُمهات لنا.

١٠ ـ جواز طلب الطالب من المعلم أن يمهله؛ ليبين ما عنده من إشكال، أو حجة في المسألة.

١١ ـ وعلى العالم أنْ يمهل الطالب، ولا يعجل عليه.

١٢ ـ أنّ الصحابة ـ ومنهم أزواج النبي ﷺ ـ أعلم الناس بفهم الكتاب العزيز والسنَّة النبوية، وهذا يدلّ على حجية منهجهم على من بعدهم.

١٣ ـ أنّ عائشة لم تنفِ رؤية النبي لربه في الدنيا من فهمها، بل بحديث صريح صحيح من رسول الله ﷺ.

١٤ ـ أنّ المقصود بهذه الرؤية في الآيتين هو جبريل ـ عليه السلام ـ.

١٥ ـ وأنّ الرؤية في المرتين كانتا على صورة جبريل ـ عليه السلام ـ الحقيقية العظيمة.

١٦ ـ بيان عظم خَلْقِ جبريل ـ عليه السلام ـ.

١٧ ـ أن الله ـ عز وجل ـ لا تحيط به أبصار المخلوقين، وهو محيط بها ـ سبحانه وتعالى ـ.

١٨ ـ أن الله لا يمكن في هذه الدنيا لأي بشر أن يخاطبه الله ـ تعالى ـ معاينة.

١٩ ـ أنّ هذه الآية من سورة الأنعام أحد أدلة النافين لرؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا.

٢٠ ـ أنّ الآية من سورة الشورى أحد أدلة النافين ـ أيضاً ـ؛ لأنه إن كان حال الكلام لم يُرَ فكيف يُرَى دون كلامٍ، فمن باب أولى أن لا يُرى.

٢١ ـ وبينت الآية أنواع الكلام أو الوحي الإلهي للأنبياء: الكلام من وراء حجاب دون واسطة ملك، وبواسطة الملك، والنفث ـ وهو الإلقاء ـ في الروع.

٢٢ ـ أنّ الرسول ﷺ قد بلّغ رسالة ربه كاملة دون نقص ولا زيادة، ولا تحريف وتبديل.

٢٣ ـ أنّ ادعاء النقص في الشريعة ـ في الكتاب والسنّة ـ؛ اتهام لله بالجهل، ولرسوله بالتقصير، وللصحابة بالخيانة وعدم الأمانة.

٢٤ ـ ودلت الآية من سورة المائدة على وجوب تبليغ الدِّين من قبل المرسلين، وثوابهم في كافة الميادين.

٢٥ ـ أنّ الغيب لا يعلمه أحدٌ إلاّ الله ـ تعالى ـ.

٢٦ ـ وفيه تصريح من عائشة ومسروق ـ رضي الله عنهما ـ بجواز قول المستدل بآية من القرآن «أنّ الله ـ عز وجل ـ يقول». وقد كره ذلك مطرف بن عبدالله بن الشِّخير التابعي المشهور، فروى ابن أبي داود بإسناده عنه؛ أنه قال: «لا تقولوا إن الله يقول، ولكن قولوا: إنّ الله قال».

وهذا الذي أنكره مطرف ـ رحمه الله ـ خلاف ما فعله الصحابة، والتابعون، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فالصحيح المختار: جواز الأمرين، كما استعملته عائشة، ومن في عصرها، وبعدها من السلف والخلف، وليس لمن أنكره حجة. ومما يدل على جوازه من النصوص قول الله: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله ـ عز وجل ـ:** ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»، والله أعلم»، قاله النووي بتصرف.

٢٧ ـ جواز الاقتصار على جزء من الآية عند الاستشهاد، وإن كانت مرتبطة بعضها ببعض، فعائشة قالت: «ما كان» بحذف (الواو)، والتلاوة: (وما كان) بإثبات الواو، ولكن لا يضر هذا في الرواية والاستدلال؛ لأن المستدل ليس مقصوده التلاوة على وجهها، وإنما مقصوده بيان موضع الدلالة، ولا يؤثر حذف الواو في ذلك، وقد جاء لهذا نظائر كثيرة في الحديث، منها قوله: «فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] هكذا هو في روايات الحديثين في «الصحيحين» والتلاوة بالواو فيهما، والله أعلم. قاله النووي بتصرف.

متممات مهمات:

١ ـ اختلف السلف والخلف: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج؟

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«اختلف الصحابة هل رأى ربه تلك الليلة أم لا؟

فصح عن ابن عباس: أنه رأى ربه، وصحّ عنه أنه قال: «رآه بفؤاده».

وصحّ عن عائشة، وابن مسعود إنكار ذلك، وقالا: إن قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤] إنما هو جبريل.

وصحّ عن أبي ذرّ أنه سأله: هل رأيت ربك؟ فقال ﷺ: «**نور أنّى أراه؟**»؛ أي: حال بيني وبين رؤيته النور؛ كما قال في لفظ آخر: «**رأيت نوراً**»، وقد حَكَى عثمان بن سعيد الدارميّ اتفاق الصحابة على أنه لم يره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: وليس قول ابن عباس: إنه رآه مناقضاً لهذا، ولا قوله: «رآه بفؤاده»، وقد صحَّ عنه أنه ﷺ قال: «**رأيت ربي ـ تبارك وتعالى ـ**»، ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لَمَّا احتَبَسَ عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بَنَى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ، وقال: نعم، رآه حقّاً؛ فإن رؤيا الأنبياء حقّ، ولا بدّ، ولكن لم يقل أحمد ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: إنه رآه بعيني رأسه يقظةً، ومَن حَكَى عنه ذلك؛ فقد وَهِمَ عليه، ولكن قال مرةً: رآه، ومرة قال: رآه بفؤاده، فحُكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة مِن تصرف بعض أصحابه: أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك.

وأما قول ابن عباس: إنه رآه بفؤاده مرتين؛ فإن كان استناده إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، والظاهر أنه مُستنَدُهُ، فقد صَحَّ عنه أن هذا المرئي جبريل رآه مرتين في صورته التي خُلِق عليها، وقول ابن عباس هذا هو

مُستند الإمام أحمد في قوله: رآه بفؤاده، والله أعلم»[1].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: الذي جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة؛ فيجب حمل المطلقة على المقيدة، فيكون ما أثبته ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ غير الذي نفته عائشة ـ رضي الله عنها ـ؛ فابن عباس أثبت الرؤية القلبية وهي نفت الرؤية البصرية، فلا تعارض بين قوليهما، واستدلال عائشة ـ رضي الله عنها ـ بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يؤيد هذا الجمع، لأن الآية ظاهرة في نفي إحاطة البصر، وذلك لا ينفي رؤية القلب.

هذا قول المحققين من الأولين والآخرين، وأما ما ذهب إليه القرطبي من الوقف في المسألة، وعلل بأن ما ورد في المسألة من الظنيات والمعتقدات لا تثبت بها؛ ففيه نظر من وجوه:

أ ـ أن الراجح في المسألة بالدليل الواضح عدم رؤية الرسول ﷺ لربه في الدنيا رؤية بصر، وأن الذي حصل رؤية قلب أو منام، وكلاهما حق.

ب ـ إن الوقف ينبني على تكافؤ الأدلة، وليس الأمر كذلك بل من نفى الرؤية البصرية هم جمهور الصحابة بل نقل إجماعهم على ذلك، وهذا الإجماع مبني على أدلة صحيحة صريحة.

ت ـ قوله: إن المعتقدات لا تثبت بالظنيات هو مذهب المعتزلة ومن تبعهم من أفراخهم الأشعرية؛ حيث يصرحون بأن العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد؛ لأنها تفيد الظن.

وهذا مذهب باطل، ورأي عاطل مخالف لمنهج السلف، وقد بسطت القول في رده في كتابي: «الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد»؛ فانظره غير مأمور.

وكذلك ما ذهب إليه الإمام ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى الجزم بالإثبات لا يسلم له لما تقدم، والله أعلم.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/٣٦ ـ ٣٨).

ولذلك؛ فإن مذهب السلف الصحيح عدم ثبوت رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، وما نقل عن بعض الصحابة وأهل العلم محمول على الرؤية القلبية، وأما ما يعزى إليه من أنه قال: إنه رآه بعينه أو ببصره؛ فلم يثبت عنه بسند صحيح، وإنما هو قول بعض الرواة مفسِّراً لما وقع في بعض الروايات: أنه رأى ربه من غير تقييد بالفؤاد، والصواب: حمل المطلق على المقيد كما تقدم؛ لتتفق الروايتان على معنًى واحد.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين، وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه: أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر، فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ»[1].

ولذلك ما اشتهر في كتب المتأخرين من نسبة القول بالرؤية البصرية إلى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ غلط من كل الوجوه، وباطل من كل النواحي.

٢ ـ ذهب الإمام النووي تبعاً لغيره: أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تنفِ الرؤية البصرية اعتماداً على حديث مرفوع، وهو رأي مرجوح من وجوه:

أ ـ في صحيح مسلم من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق. قال مسروق: وكنت متكئاً، فجلست، فقلت: ألم يقل الله: ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴿١٣﴾﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك؛ فقال: «**إنما هو جبريل**».

وهذا صريح أن نفي عائشة ـ رضي الله عنها ـ مبني على ما سمعت من رسول الله ﷺ.

ب ـ لقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لما سئل: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى أراه؟**».

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١٣/٢٥٦ ـ ٢٥٧).

٣ ـ استدلال عائشة ـ رضي الله عنها ـ بقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ لا يعني أنها تنفي رؤية الله في الآخرة؛ كما قد يتوهم.

وقد بين الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ مراد السلف من هذه الآية فقال ذاكراً أقوالهم:

«**أحدهما**: لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في «الصحاح»، و«المسانيد»، و«السنن»، كما قال مسروق، عن عائشة أنها قالت: «من زعم أن محمداً ﷺ أبصر ربه، فقد كذب»، وفي رواية: «على الله، فإن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾.

وقال آخرون: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وهذا مُخَصَّصٌ بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة.

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فَهِمُوه من الآية: إنه لا يُرَى في الدنيا ولا في الآخرة، فخالفوا أهل السنَّة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دَلَّ عليه كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنَّة رسوله ﷺ، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ و٢٣]، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قال الإمام الشافعيّ ـ رحمه الله ـ: فدَلَّ هذا على أن المؤمنين لا يُحجبون عنه تبارك وتعالى.

وأما السنَّة: فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجَرِير، وصُهَيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، عن النبيّ ﷺ: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، في العَرَصات، وفي رَوْضَات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنّه وكرمه آمين.

وقيل: المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: أي: العقول.

عن أبي الحصين يحيى بن الحصين، قارئ أهل مكة: أنه قال ذلك.

وهذا غريبٌ جدّاً، وخلاف ظاهر الآية، وكأنه اعتَقَد أن الإدراك في معنى الرؤية، والله تعالى أعلم.

وقال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية، ونفي الإدراك، فإن الإدراك أخصّ من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم، ثم اختَلَفَ هؤلاء في الإدراك المنفي ما هو؟ فقيل: معرفة الحقيقة، فإن هذا لا يعلمه إلا هو، وإن رآه المؤمنون، كما أن مَنْ رَأَى القمر، فإنه لا يُدرك حقيقته، وكُنْهه، وماهيّته، فالعظيم أولى بذلك، وله المثل الأعلى.

وقال آخرون: المراد بالإدراك الإحاطة، قالوا: ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وفي «صحيح مسلم»: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، ولا يلزم منه عدم الثناء، فكذلك هذا.

وقال آخرون في الآية بما رواه الترمذي وابن أبي عاصم وابن أبي حاتم وابن مردويه، والحاكم من حديث الحكم بن أبان، قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: رأى محمد ربه تبارك وتعالى، فقلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الآية؟ فقال لي: لا أُمَّ لك، ذلك نوره الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء، وفي رواية: لا يقوم له شيء، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخفض القسط، ويرفعه، يُرفَع إليه عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»».

ثم قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ ما حاصله: «نفيُ الإدراكِ الخاصِّ لا ينفي الرؤية يوم القيامة، يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه، فلا تدركه الأبصار، ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تثبت الرؤية في الدار الآخرة، وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ فالذي

نفته الإدراك الذي بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه، فإن ذلك غير ممكن للبشر، ولا للملائكة، ولا لشيء.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه؛ لأنه خلقها، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقد يكون عَبَّر بالأبصار عن المبصرين، كما قال السُّدّيّ في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾: لا يراه شيء، وهو يرى الخلائق.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ قال: اللطيف باستخراجها، الخبير بمكانها، والله أعلم.

وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فيما وعظ به ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]»(١).



٢٨٨ ـ {...} وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُالوَهَّابِ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، بِهذَا الإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ. وَزَادَ: قَالَتْ: وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ اختصار الأسانيد للحديث الواحد مع التنبيه على الفروق التي فيها.

٢ ـ تفنن الإمام في ذكر الرواة؛ أحياناً يسمي، وأحياناً يُكني، وأحياناً ينسب، وهكذا.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/١٢٢ ـ ١٢٨) مختصراً.

٣ ـ جواز نسبة الرجل إلى أمه إذا كان لا يعرف إلا بها، وذلك للتخصيص وليس للتنقيص.

٤ ـ عبدالوهاب هذا هو الثقفي؛ كما صرح به الحافظ المزي في «تحفة الأشراف» (٧٢٥/١١).

وأخرج الحديث أبو عوانة في «المسند» (٤٠٦/١٣٥/١) من طريق آخر، وصرح بأنه عبدالوهاب بن عطاء.

والثقفي وابن عطاء يرويان عن داود بن أبي هند؛ لكن لم يذكر محمد بن المثنى في الرواة عن ابن عطاء بل عن الثقفي؛ فثبت أنه الثقفي والله أعلم.

٥ ـ رواية عبدالوهاب الثقفي: أخرجها النسائي في «الكبرى» (١١٤٠٨/٤٣٢/٦):

أنا محمد بن المثنى؛ قال: حدثني عبدالوهاب، نا داود، عن عامر، عن مسروق: أن عائشة قالت: ثم يا أبا عائشة، ثلاثٌ من قال بواحدة منهنّ، فقد أعظم على الله الفِرْية، قال: وكنت متكئاً، فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني، ولا تُعْجِليني، أرأيت قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]؟ قالت: إنما هو جبريل ـ عليه السلام ـ رآه مرةً على خَلْقه، وصورته التي خُلِق عليها، ورآه مرةً أخرى حين هَبَطَ من السماء إلى الأرض ساداً عِظَم خَلْقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أول من سأل نبي الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «**هو جبريل**»، ومن زعم أنه يَعْلَم ما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، ومن زعم أن محمداً كتم شيئاً، مما أنزل الله عليه، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، قالت: لو كان محمدٌ ﷺ كاتِماً شيئاً مما أُنزل عليه، لَكَتَم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ

﴿مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧].

* غريب الحديث:

قوله: (ولو كان محمد ﷺ كاتماً...): قال أبو العباس القرطبي ـ رحمه الله ـ: «اجترأ بعض المفسرين في تفسير هذه الآية، ونسب إلى رسول الله ﷺ ما لا يليقُ به ويستحيل عليه، إذ قد عصمه الله منه، ونزّهه عن مثله، فقال: إنّ النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد، وربما أطلق بعض المجّان لفظ «عشق»، ثم جاء زيد يريد تطليقها؛ فقال له: «**أمسك عليك زوجك واتقِ الله**»، وهو مع ذلك يُحبّ أن يطلقها؛ ليتزوجها.

وهذا القولُ إنما يصدر عن جاهل بعصمته ـ عليه السلام ـ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته، والذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين: أنّ ذلك القول الشنيع ليس بصحيح، ولا يليق بذوي المروءات، فأحرى بخير البريات، وأن تلك الآية إنما تفسيرها ما حُكي عن علي بن حسين: أنّ الله ـ تعالى ـ أعلم نبيّه بكونها زوجة له، فلما شكاها زيد له؛ وأراد أن يطلقها، قال له: أمسك عليك زوجك واتقِ الله، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به مما هو مُبديه بطلاق زيد لها، وتزويج النبي ﷺ لها، ونحوه عن الزهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري وغيرهم، والذي خشيه النبي ﷺ إنما هو إرجاف المنافقين، وأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجة ابنه.

ومساقُ الآية يدلُّ على صحة هذا الوجه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٣٨] ولو كان ما ذكر أولئك لكان فيه أعظم الحرج، ولقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وبالله التوفيق»[1] ا. هـ.

---

(١) «المفهم» (٦/٤٠٦).

قال الحافظ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والحاصل: أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو: تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، ووقوع ذلك من إمام المسلمين؛ ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم»(1) ا.هـ.

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكّى زيد للنبيّ ﷺ خُلُق زينب؛ وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب، والوصية: «**اتق الله في قولك، وأمسك عليك زوجك**»، وهو يعلم أنه سيفارقها، ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُرِد أن يأمره بالطلاق بِمَا عَلِم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قولٌ من الناس في أن يتزوج زينبَ بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر، من أن خشي الناسَ في شيء قد أباحه الله له، بأن قال: أمسك مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحقّ بالخشية؛ أي: في كل حال.

قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين، والعلماء الراسخين، كالزهريّ، والقاضي بكر بن العلاء القشيريّ، والقاضي أبي بكر ابن العربيّ، وغيرهم.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾: إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نَهَى عن تزويج نساء الأبناء، وتَزَوَّج بزوجة ابنه.

فأما ما رُوي: أن النبي ﷺ هَوِيَ زينب امرأة زيد، وربما أَطْلق بعض الْمُجّان لفظ عِشِق، فهذا إنما يَصْدُر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مُسْتَخِفّ بحرمته.

(1) «فتح الباري» (٨/٣٨٣).

قال الترمذيّ الحكيم في «نوادر الأصول»، وأسند إلى علي بن الحسين قوله: فعليُّ بنُ الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهراً من الجواهر، ودرّاً من الدرر، أنه إنما عَتَب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾؟

وقال النحاس: قال بعض العلماء: ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة، ولا بالاستغفار منه؟ وقد يكون الشيء ليس بخطيئة، إلا أن غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يَفْتَتِن الناس»[1].

ومراد عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ لو كتم شيئاً من الوحي؛ لكتم هذه الآية؛ لأن فيها بيان المعاتبة له، ومع ذلك لم يكتمها، بل بلَّغها للأمة، والله أعلى وأعلم.

فقه الحديث:

١ ـ بلّغ رسول الله ﷺ الأمانة، وأدى الرسالة، ولم يكتم شيئاً من الدين، بل ترك الأمة على بيضاء نقية ليلها كنهارها.

٢ ـ أنّ هذه القصة ـ أيضاً ـ مما كان أحرى بالنبي ﷺ أن يخفيها من غيرها؛ لما فيها من عدم رغبة النبي في إظهار هذه القصة، أو شيئاً منها.

٣ ـ بيان الذي كان النبي ﷺ يخفيه من إعلام الله له: أن زينب ستكون زوجةً له بخلاف ما زعمه المنافقون، والطاعنون، والزنادقة في حق رسول الله ﷺ.

٤ ـ أنّ الخشية أنواع، ومراتب مختلفة.

٥ ـ إبطال التبني الذي كان مشروعاً أول الإسلام.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/١٩٠ ـ ١٩١).

٦ ـ جواز نسبة النعمة أو الإنعام للعبد.

٧ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ مطلع على قلوب العباد، فالظاهر والباطن عنده سواء.

٨ ـ الله لا يستحي من الحق؛ فإذا هذا العتاب القوي والكلمات العظيمة من الله في حق رسوله ﷺ، ولها نظائر مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]، وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].



٢٨٩ ـ {...} حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ؛ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللّهِ! لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي لِمَا قُلْتَ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ. وَحَدِيثُ دَاوُدَ أَتَمُّ، وَأَطْوَلُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (وساق الحديث بقصته)**: أي: ساق إسماعيل بن أبي خالد متن الحديث مع بيان قصته التي جرت بين مسروق وعائشة ـ رضي الله عنها ـ.

٢ ـ **قوله: (حديث داود أتم وأطول)**: أي: حديث داود بن أبي هند أتم سياقاً وأطول.

٣ ـ رواية إسماعيل بن أبي خالد: أخرجها البخاري **(٤٨٥٥)**:

حدثنا يحيى، حدثنا وكيعٌ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق؛ قال: قلت لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: يا أمتاه، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قَفّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدَّثكهن؛ فقد كَذَب؟ من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه؛ فقد كذَبَ، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]،

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]. ومن حدّثك أنه يعلم ما في غد؛ فقد كَذَب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. ومن حدَّثك أنه كَتَمَ؛ فقد كذَبَ، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في صورته مرتين».

* غريب الحديث:

قوله: (سألت عائشة. . .): هذه الرواية تدل على أنّ الذي بدأ بالكلام هو مسروق، فبدأ بالسؤال؛ فأجابته بما تقدم في الرواية الأولى، وما بعدها.

قوله: (فقالت: سبحان الله؟): كلمة تقال عند التعجب، والاستغراب والإنكار.

قال النووي: «ولفظة «سبحان الله»؛ لإرادة التعجب كثيرة في الحديث، وكلام العرب، كقوله ﷺ: «**سبحان الله، تطهري بها**» و«**سبحان الله، المسلم لا ينجس**»، وقول الصحابة: «سبحان الله يا رسول الله»؛ وممن ذكر من النحويين أنها من ألفاظ التعجب: أبو بكر بن السراج وغيره» ا.هـ.

قوله: (لقد قفّ شعري لما قلت): قال النضر بن شميل: «القف: - بفتح القاف وتشديد الفاء -؛ كالقشعريرة، وأصله التقبض والاجتماع؛ لأن الجلد ينقبض عند الفزع، والاستهوال، فيقوم الشعر لذلك، وبذلك سميت: القفة، التي هي: الزنبيل؛ لاجتماعها، ولما يجتمع فيها».

قال ابن الأعرابي: «تقول العرب عند إنكار الشيء «قف شعري»، و«اقشعر جلدي»، و«اشمأزت نفسي»».

والمعنى؛ أي: قام شعري من الفزع؛ لما حصل عندها من هيبة الله، واعتقدته من تنزيهه، واستحالة وقوع ذلك.

فقه الحديث:

١ ـ جواز قول: «سبحان الله» عند التعجب، والإنكار، والاستغراب.

٢ ـ بيان شدة تعظيم عائشة ـ رضي الله عنها ـ لربها ـ سبحانه وتعالى ـ.



٢٩٠ ـ {. . .} وحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ؛ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٠] قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ، فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ.

فوائد الإسناد:

١ ـ سمى الإمام مسلم الشعبي في هذه الرواية، ونسبه في التي سبقتها؛ فقال هنا: عامر، وقال هناك: الشعبي.

٢ ـ رواته كلهم كوفيون.

غريب الحديث:

قوله: (كان يأتيه في صورة الرجال): أي: كان جبريل ـ عليه السلام ـ يأتي رسول الله ﷺ في صورة رجل من البشر، وكان يأتيه كثيراً في صورة دحية الكلبي.

قوله: (فسدّ أفق السماء): الأفق الناحية من الأرض ومن السماء، والمراد أن جبريل ـ عليه السلام ـ لما ظهر للنبي ﷺ على صورته الحقيقية سد الأفق من عظمته.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الضمير في الآيات المذكورة هنا هو: جبريل ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ كان يأتي رسولَ الله محمد ﷺ في صور مختلفة، في صورة الرجال، وعلى صورته الحقيقية.

٣ ـ أنّ عائشة ـ رضي الله عنها ـ تؤكد أن رسول الله ﷺ لم يَرَ ربه ألبتة، بل رأى جبريل ـ عليه السلام ـ على صورته العظيمة.

٤ ـ جواز مناقشة من هو دونك في العلم والسن.

٥ ـ إظهار الصواب بالدليل الصحيح الصريح دون حدس وجدل.

٦ ـ قدرة الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على التشكل في صورة البشر.

٧ ـ عظمة خلق الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مما يدل على عظمة الله ـ عز وجل ـ.



٧٩ ـ باب في قوله ـ عليه السلام ـ: «نور أنى أراه؟» وفي قوله: «رأيت نوراً».

٢٩١ ـ {١٧٨} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ؛ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٦١/١١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: قتادة عن عبدالله بن شقيق.

٣ ـ حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

✸ غريب الحديث:

قوله: (نور أَنَّى أراه) هو: ـ بتنوين نور، وبفتح الهمزة في: أنّى، وتشديد النون وفتحها ـ، وأراه ـ بفتح الهمزة ـ. وأَنَّى: بمعنى: كيف.

والمعنى: حجابه ـ سبحانه ـ نور، فكيف أراه؟

قال المازري ـ رحمه الله ـ: «(أراه) عائداً على الله ـ سبحانه ـ»[(١)].

وقوله: «أَنَّى أراه» يعني: أن النور أغشى بصري، ومنعني من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، فيكون انتهاء رؤيته ﷺ إلى النور خاصة، وهو الذي أدرك، فإذا أمكن هذا التأويل لم يكن ذلك مناقضاً للخبر الآخر، بل هو مطابق لأنه أخبر أنه رأى نوراً، وكذلك الأول، والرواية التي فيها: «نوراني» أشد

---

(١) «المعلم بفوائد مسلم» (١/٢٢٤).

إشكالاً. ويحتمل أن يكون معناه راجعاً إلى ما قلنا: أي خلق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال»[1].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

«و(قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**نورٌ أنَّى أراه**») هكذا رويناه وقيّدناه برفع «نور» وتنوينه، وفتح أنى التي بمعنى كيف الاستفهامية، ورواية مَن زعم أنه رواه: «نور إني» ليست بصحيحة النّقل، ولا موافقة للعقل، ولعلّها تصحيف، وقد أزال هذا الوهم الروايةُ الأخرى حيث قال: «**رأيت نوراً**». ورفع «نور» على فعل مضمر تقديره: غلبني نور، أو حجبني نور. «وأنى أراه» استفهامٌ على جهة الاستبعاد لغلبة النور على بصره، كما هي عادة الأنوار السّاطعة كنور الشّمس، فإنه يُغْشِي البصر، ويحيره إذا حَدَّق نحوه، ولا يعارض هذا «رأيت نوراً» فإنه عند وقوع بصره على النور رآه ثم غلب عليه بعد فضعف عنه بَصَرُه»[2].

فقه الحديث:

١ ـ أنّ النبي ﷺ لم يَرَ ربَّه.

٢ ـ أنّ نور الحجاب حال بين رؤية النبي ﷺ لربه ـ جلّ وعلا ـ.

٣ ـ وفي السياق ما يُشعر أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يرى في الدنيا.

فوائد زوائد:

١ ـ ذكر شراح الحديث كالمازري والقاضي والنووي أنه روى: «نوراني».

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ هذه رواية مصحفة، وكلمة محرفة؛ كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه تلميذه ابن قيم الجوزية ـ رحمهما الله ـ:

---

(١) «المعلم بفوائد مسلم» (٢٢٤/١).

(٢) «المفهم» (٤٠٧/١).

«قال الشّيخ شمس الدين ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يقول في قوله ﷺ **«نور أنى أراه»**: «معناه كان ثَمَّ نور، وحال دون رؤيته نور فأنى أراه؟ قال: ويدل عليه: أن في بعض ألفاظ الصحيح: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نوراً».

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس، حتى صحفه بعضهم؛ فقال: «نوراني أراه» على إنها ياء النسب؛ والكلمة كلمة واحدة. وهذا خطأ لفظاً ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه، وكان قوله: «أنى أراه؟» كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث، ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في «كتاب الرد له» إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك. وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة؛ فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين: حيث قال: إنه رآه؛ ولم يقل بعيني رأسه.

ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس.

ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر: قوله ﷺ في الحديث الآخر: **«حجابه النور»** فهذا النور هو ـ والله أعلم ـ النور المذكور في حديث أبي ذر: **«رأيت نوراً»**»[1].

٢ ـ وذكر الشراح إشكالاً في وصف الله تعالى بأنه نور، وهذا إشكال على مذهب الأشاعرة النفاة؛ وليس على منهج السلف الصالح الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه.

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على المتكلمين أهل التأويل، وصحح وصف الله تعالى بأنه نور، وأنه لا إشكال في ذلك[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٥٠٧ ـ ٥٠٨).

(٢) المصدر السابق (٦/٣٧٤ ـ ٣٩٦).

وانظر ـ تفضلاً ـ: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن قيم الجوزية (٤٤ ـ ٥٠).

٢ ـ اتفق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه، واتفقوا على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً كما يرون الشمس والقمر ليلة البدر.



٢٩٢ ـ {...} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبِي (ح) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، كِلاَهُمَا، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «**رَأَيْتُ نُوراً**».

❊ غريب الحديث:

قوله: (قد سألت): أي: سألته.

قوله: (رأيت نوراً): هذا النور هو الحجاب؛ كما سيأتي في الرواية القادمة.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الرسول ﷺ لم يَرَ ربه ـ سبحانه وتعالى ـ في ليلة الإسراء.

٢ ـ أنه ﷺ رأى النور الذي هو حجاب بين الخالق وخلقه.

٣ ـ لا يجوز أن يهمل النص الصريح الصحيح، ويعتمد على النص المحتمل، وكذلك الضعيف.

٤ ـ أنّ الجمع مقدّم على الإهمال، فالرؤية وقعت بالمنام والقلب، ولم تقع بعيني الرأس.

٥ ـ وقد لخص شيخ الإسلام فقه هذه المسألة تلخيصاً حسناً لم يدع

شاردة ولا واردة إلا وجعلها في مكانها؛ فانتظم عقد هذه المسألة بتحقيق نفيس وبحث أنيس.

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

«وأما الرؤية فالذي ثبت في «الصحيح» عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»، وعائشة أنكرت الرؤية.

فمن الناس من جمع بينهما؛ فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أُثبت رؤية الفؤاد.

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة، أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعين؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق؛ ففهموا منه رؤية العين؛ كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنَّة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أنى أراه**».

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه؛ لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] ولو كان رآه بعينه؛ لكان ذكر ذلك أولى.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، وهذه رؤيا الآيات، لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم، حيث صدقه قوم، وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك؛ لذكره كما ذكر ما دونه.

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة: أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد ﷺ خاصة، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عياناً؛ كما يرون الشمس والقمر»[1] ا.هـ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٥٠٩ ـ ٥١٠).

٨٠ ـ باب قوله ـ عليه السلام ـ: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور؛ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»

٢٩٣ ـ {١٧٩} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعمشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «**إِنَّ اللّهَ ـ عز وجل ـ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ** ـ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **النَّارُ ـ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ الأَعْمَشِ وَلَمْ يَقُلْ: حَدَّثَنَا.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٤٢/٦٦).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ رواته كلهم كوفيون من أوله إلى منتهاه.

٣ ـ وفيه ثلاثة تابعين يروي بعضهم عن بعض؛ الأعمش، وعمرو، وأبو عبيدة.

٤ ـ دقة الإمام مسلم وعلو كعبه في هذا العلم، يظهر من خلال تمييز ألفاظ الرواة.

قال النووي: «وأمّا قوله: «وفي رواية أبي بكر عن الأعمش، ولم

يقل: حدثنا»؛ فهو من احتياط مسلم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وورعه وإتقانه، وهو أنه رواه عن أبي كريب، وأبي بكر، فقال أبو كريب في روايته: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، وقال أبو بكر: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، فلما اختلفت عبارتهما في كيفية رواية شيخهما أبي معاوية، بينها مسلم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فحصل فيه فائدتان:

إحداهما: أنّ (حدثنا) للاتصال بإجماع العلماء، وفي (عن) خلاف كما قدمناه في الفصول وغيرها، والصحيح الذي عليه الجماهير من طوائف العلماء: أنها أيضاً للاتصال؛ إلا أن يكون قائلها مدلساً، فبيّن مسلم ذلك.

والثانية: أنه لو اقتصر على إحدى العبارتين، كان فيه خلل؛ فإنه إن اقتصر على (عن) كان مفوتاً لقوة (حدثنا) وراوياً بالمعنى، وإن اقتصر على (حدثنا) كان زائداً في رواية أحدهما راوياً بالمعنى، وكل هذا مما يجتنب والله أعلم بالصواب» ا.هـ.

٥ - حديث أبي موسى الأشعري - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - هذا - من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات): الكلمة: هي الجملة المترابطة في المعنى.

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ كعادته قام خطيباً، أو واعظاً يعظ أصحابه بالعلم النافع، فقال لهم خمس جمل عاليات غاليات تتعلق بربِّ البريات.

قوله: (إنّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام): هذه هي الكلمة - الجملة - الأولى من الكلمات الخمس.

وفي هذه الكلمة إخبار عن الله - عَزَّ وَجَلَّ - أنه لا ينام؛ وأنه يستحيل بحقه - تعالى - أن ينام.

ففي الجملة أولاً: نفي الوقوع، وثانياً: نفي الجواز أو الصحة. وذلك؛ لأنّ النوم أخو الموت، وهو انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس، والله منزَّه عن ذلك، وهو مستحيل في حقه.

والمراد: أنّ الله ـ تعالى ـ لا يدركه خلل، ولا يلحقه ملل بحال من الأحوال.

قوله: (يخفض القسط ويرفعه): قال ابن قتيبة: القسط: الميزان، سُمي به من القِسط: العدل.

أراد: أنّ الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه، وأرزاقهم النازلة من عنده.

وقيل: أراد بالقسط: القسم من الرزق الذي يُصيب كل مخلوق، وخفضه: تقليله، ورفعه: تكثيره.

قوله: (يُرْفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل): الرفع نوعان:

الأول: رفع فيه القَبول والمحبة له، وهذا هو العمل الصالح، وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

والثاني: رفع الأعمال لكتابتها في دواوين الخلق حتى يجازى بها أصحابها في الآخرة، سواءً كانت صالحة وغير صالحةٍ.

والمعنى: أنّ الملائكة الذين يتعاقبون فينا في الليل، وكذلك الذين في النهار يرفعون أعمال العباد الصالحة والطالحة عند انتهاء عملهم، وصعودهم إلى ربهم قبل رفع أعمال الذين يلونهم.

قوله: (حجابه النور ـ وفي رواية أبي بكر: النار ـ لو كشفه لأحرقت

سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه): أصل الحجاب: المنع من الوصول؛ يُقال: حجبه حجباً وحجاباً.

والسبحات: - بضم السين والباء ورفع التاء في آخره -، جمع سبحة، وسبحات وجهه: نوره وجلاله، وما في معناها من البهاء، والجمال والعظمة، والكبرياء، ونعوت التعالي، والكمال.

والمعنى: أنّ الله - تعالى - الحكيم الرحيم بعباده جعل بين رؤية عباده له حجاباً من نور أو نار لا يستطيعون رؤيته بسبب وجوده، ولو قدّر - تعالى - أن يكشف هذا الحجاب من أمامهم لما استطاعوا الصمود والثبات بسلامة؛ بل لاحترق خلقه كلهم؛ لأنّ بصره محيط بالكون كله وجميع مخلوقاته.

وهذا الحجاب حقيقي وليس مجازاً؛ كما أوهم كلام الإمام النووي وغيره من الشراح.

والحجاب يحجب بصر خلقه عنه بنوره؛ فلا أحد يدركه - ﷻ -.

قال الإمام الدارمي - رحمه الله -: «... إنما نقول: احتجب الله بهذه النار عن خلقه بقدرته وسلطانه، ولو قدّر كشفها لأحرق نور الرب وجلاؤه كل ما أدركه بصره، وبصره مدرك كل شيء، غير أنه يصيب به ما يشاء، ويصرفه عما يشاء، كما أنه حين تجلى لذلك الجبل خاصة من بين الجبال جعله دكاً، ولو تجلى لجميع جبال الأرض لصارت دكاء كما صار جبل موسى، ولو تجلى لموسى لجعله دكاً، وإنما خر صعقاً؛ لما هاله من صوت الجبل»(١).

والمقصود من الحديث؛ أنّ رؤية الله - تعالى - مستحيلة في الدنيا؛ لأن الحجاب يمنع من ذلك، ولو قدر زواله، لهلك الخلق.

ولبيان عظمة الخالق الجليل الذي لا يعظم عليه شيء، بل كلهم حقير فقير.

---

(١) «الرد على المريسي» (٢/٧٥٠ - ٧٥٤).

فقه الحديث:

١ ـ أنّ رسول الله ﷺ كان يخطب الناس، ويعظهم على الدوام، ويرشدهم لما في صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

٢ ـ أنّ شأن الخطب التيسير، والتسهيل، والكلمات الجوامع.

٣ ـ أنّ الخطب والمواعظ عند السلف كانت تشتمل على التوحيد والسنة والمعاد، وليست بالقصص الصحيح فضلاً عن الضعيف والمكذوب.

٤ ـ ومن ذلك وصية لقمان لابنه وهو يعظه قال له: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

٥ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ متصف بصفات الكمال والجمال، ومنعوت بنعوت الجلال؛ ومنها: الحياة الكاملة المنافية للسِّنة والنوم.

٦ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ عادل في حكمه يرفع ويخفض، يرزق ويمنع، يعزل ويذل، يرحم ويعذب؛ كلٌّ بما يستحق كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

٧ ـ أنّ الله ـ عز وجل ـ لا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحدٌ من خلقه.

٨ ـ دليل على علو الله ـ سبحانه ـ على خلقه.

٩ ـ أنّ أعمال العباد تُرفع، وتُكتب عنده ـ سبحانه ـ.

١٠ ـ وأنّ الأعمال لا تتأخر؛ بل على الفور قبل قدوم نصف اليوم الثاني.

١١ ـ ويؤخذ من هذه الكلمة: أنّ عمل الليل لا يجوز أن يؤخَّر إلى النهار والعكس ـ أيضاً ـ.

١٢ ـ أنّ الله ـ جل ثناؤه ـ حجب الخلق من رؤيته بحجاب من نور أو نار.

١٣ ـ عظم الخالق، وجلاله، وجماله، وكماله.

١٤ ـ بيان عظم إحاطة الله، وعلمه بخلقه.

١٥ ـ أنّ القرآن الكريم يشهد لهذا الحديث وهو تفسير في عدة مواطن:

أ ـ قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ب ـ وفي قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ت ـ وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ث ـ وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

ج ـ وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

ح ـ **وقوله**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

١٦ ـ دليل على نفي رؤية الله في الدنيا.

١٧ ـ أنّ الأحاديث والروايات تفسر بعضها بعضاً.

١٨ ـ إثبات الحجاب له ـ سبحانه وتعالى ـ حقيقة لا مجازاً، وهو النور الحائل بينه وبين خلقه، ولولاه لاحترقوا؛ لأن الله كتب الفناء على كل شيء؛ فلا يحتمل نور البقاء؛ فتحترق به.

١٩ ـ فيه الرد على الجهمية فيما أنكرته من الصفات؛ وهو: الوجه، والبصر، ورفع القسط، وخفضه، فكلها صفات ثابتة لله ـ عز وجل ـ كما يليق بجلاله ـ سبحانه وتعالى ـ.

٢٠ ـ قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «فإن تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك؛ فإن مثل هذه النار الصافية التي كلم الله بها موسى يقال لها: نار ونور؛ كما سمى الله نار المصباح نوراً، بخلاف النار المظلمة كنار جهنم فتلك لا تسمى نوراً.

فالأقسام ثلاثة: إشراق بلا إحراق، وهو النور المحض كالقمر، وإحراق بلا إشراق وهي النار المظلمة. وما هو نار ونور كالشمس ونار المصابيح التي في الدنيا توصف بالأمرين»[1].

٢١ ـ فيه إثبات صفة الوجه لله، وهي صفة ثابتة في الكتاب: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٧].

وكذلك ثبتت هذه الصفة بأحاديث صحاح كثيرة، ولا يلزم من إثباتها تشبيه الله بخلقه؛ لأن الصفات لها حكم الذات، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته.

وأما تأويلها بالذات، كما وقع في كلام كثير من الشراح؛ فهذا يؤدي إلى نفي صفة الوجه، وتعطيل صفات الرحمٰن ـ تبارك وتعالى ـ.

ومذهب السلف إثبات دون تشبيه، وتنزيه دون تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

* * *

٢٩٤ ـ {...} حَدَّثَنَا إِسْحٰقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ. وَلَمْ يَذْكُرْ «**مِنْ خَلْقِهِ**» وَقَالَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان طريقة مسلم في الاختصار من غير إخلال.

٢ ـ أنّ بعض الرواة يحفظ الحفظ الكامل، وبعضهم ينسىٰ بعض الشيء، فالزيادة مقبولة من الثقة الحافظ.

٣ ـ وقد يكون بعض الرواة يذكر الشاهد الذي يريده، وبعضهم يورده كاملاً.

٤ ـ دقة مسلم وأمانته، وقد تقدم التنبيه عليه مراراً وتكراراً.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٨٧/٦).

٥ ـ رواية جرير: أخرجها ابن منده في «الإيمان» (٢/٧٧٠/٧٧٧):

أنبأ محمد بن إبراهيم بن الفضل، ثنا أحمد بن سلمة. (ح) وأنبأ محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن نعيم؛ قالا: ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ جرير. (ح) وأنبأ عبدالرحمٰن بن يحيى، ثنا إسماعيل بن عبدالله بن مسعود، أنبأ عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخفض القسط، ويرفعه، يُرْفَع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**».

* غريب الحديث:

قوله: (بأربع كلمات): لا تنافي بينه وبين رواية (بخمس كلمات)؛ إذ يحتمل بضم بعض الكلمات في بعضها.

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وتحصل من ذلك أن الكلمات خمس، لكن بعض الرواة قال: إنها أربع، وعدّ قوله: «ولا ينبغي أن ينام» مع قوله: «إن الله لا ينام» لأنه جعل قوله: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» تابعاً لها؛ لأن الصفة الأولى لانتفاء النوم والصفة الثانية لاستحالة النوم، وكلها تتعلق بصفة واحدة، فعدوها واحدة»[(١)].



٢٩٥ ـ {. . .} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّار، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر، قَالَ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ عَنْ عَمْرو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَرْبَع: «**إِنَّ اللّهَ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ**».

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٠٤).

فقه الحديث:

١ ـ قال الطيبي: «في الحديث إشارة إلى أن حجابه خلاف الحجب المعهودة، فهو محتجب عن الخلق بأنوار عزه، وجلاله، وأشعة عظمته، وكبريائه، وذلك هو الحجاب الذي تدهش دونه العقول، وتبهت الأبصار، وتتحير البصائر، فلو كشفه فتجلّى لما وراءه بحقائق الصفات، وعظمة الذات؛ لم يبق مخلوق إلا احترق. ولا منظور إلا اضمحل، وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائي والمرئي، والمراد به هنا منع الأبصار من الرؤية له»(١).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: ظاهر كلامه أن الحجاب مجاز عن منع الرؤية، وهذا باطل من التأويل؛ لأن الحجاب ثابت بالنصوص على الحقيقة.

وقال الإمام الدارمي:

«إنما كانت تَحرق سُبُحات وجهه ـ ﷻ ـ لو كشفها كلّ شيء في الدنيا؛ لأن الله تعالى كَتَب الفناء عليها، وركّب ما ركّب من جوارح الخلق للفناء، فلا تحتمل نور البقاء، فتحترق به، أو تُدكّ، كما دُكّ الجبل، فإذا كان يوم القيامة رُكّبت الأبصار والجوارح للبقاء، فاحتملت النظر إلى وجهه الكريم، وإلى سُبُحاته، ونور وجهه من غير أن تحرق أحداً، كما لو أن أجسَمَ رَجُلٍ وأَعْظَمه وأكمله لو أُلقي في الدنيا في تنّور مسجور لصار رماداً في ساعة، فهو يتحرق في نار جهنم ألف عام وأكثر، ونارُها أشدّ حرّاً من نار الدنيا سبعين ضعفاً، لا يصير منها رماداً، ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]؛ لأن أجسامهم، وأبصارهم، وأسماعهم تُركَّب يومئذ للبقاء، فاحْتَمَلت من عذاب جهنّم ما لم تكن تحتمل جزءاً من ألف جزء من عذاب الدنيا، وكذلك أولياء الله تعالى تحتمل أبصارهم النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة، ولو قد أدركهم شيء

(١) «الكاشف عن حقائق السنن» (٢/٥٥٠).

من سُبُحات وجهه في الدنيا لاحترقوا، كما قال رسول الله ﷺ، ولم تحتملها أبصارهم»[1].

٢ ـ أنّ للّيل أعمال، وعبادات ووظائف، وللنهار كذلك.

٣ ـ أنه لا تخلو ساعة من عمل عامل، وتقدير فعل.

٤ ـ أنّ الأعمال تشمل القول وعمل القلب، وليست للجوارح فقط؛ كما قد يظن.

٥ ـ وفي ضمنه التحذير من تعطيل الليل والنهار من الأعمال فلا يكتب له شيء ألبتة.

تذييل:

قال شيخنا فقيه الزمان ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«قال: «إن الله لا ينام» هذه صفة انتفاء؛ أي: انتفاء صفة النوم عنه، وهي من الصفات التي يسمونها: الصفات السلبية.

ومن المعلوم: أن الصفات السلبية المحضة ليس فيها مدح؛ لأن السلب المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، فضلاً أن يكون كمالاً. إذن ما معنى الصفات السلبية؟ أي: الصفات المنفية عن الله، ومعناها ثبوت كمال ضدها.

مثلاً: تقول: فلان عدلٌ لا يظلم، يعني: ليس في عدله ظلم، وكلما حكم؛ فهو عادل.

فمعنى «لا ينام» انتفاء صفة النوم عنه، لكن لماذا؟ لكمال حياته، وكمال قيوميته؛ فهو حي قيوم؛ فلكمال حياته لا ينام، ولهذا نرى في النوم ـ للإنسان ـ فائدتين:

الفائدة الأولى: الراحة مما مضى.

والفائدة الثانية: الاستجمام والنشاط لما يستقبل.

والرب ـ عز وجل ـ لا يحتاج إلى ذلك؛ لأنه ـ تبارك وتعالى ـ كامل القيومية،

---

(١) «الرد على المريسي» (٢/٧٥٥ ـ ٧٥٨).

وكامل الحياة، ولذلك قالوا: إن أهل الجنة لا ينامون؛ لكمال حياتهم؛ ولأن النوم يفوت عليهم النعيم الموجود في الجنة، يتلهون عنه بالأكل والشرب والاستمتاع بالحور، وغير ذلك، فلا ينامون.

ولا ينام سبحانه ـ أيضاً ـ لكمال قيوميته لو أنه نام ـ ﷻ ـ فمن يدير الخلق؟ من يصرف شؤونهم؟

ويذكر في خبر إسرائيلي أن موسى ـ عليه السلام ـ قال: يا رب، هل تنام؟ فأمره أن يأخذ زجاجتين، والزجاجة معروفة، ثم ألقى عليه النعاس، فلما نعس، ضربت إحداهما الأخرى، فتكسرت.

والإنسان إذا نام، لم يتمكن من رعاية أمره، فالرب ـ ﷻ ـ لكمال حياته وكمال قيوميته لا ينام.

والخلاصة: أن هذه الصفة المنفية، أو السلبية تضمنت كمالاً في حياته، وفي قيوميته في تصريف عباده.

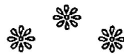
قوله ـ في الثانية ـ: «ولا ينبغي له أن ينام» لا ينبغي، يعني: أنه مستحيل أن ينام.

وليعلم أن كلمة (لا ينبغي) في القرآن والسنَّة بمعنى الشيء الممتنع، المستحيل.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١، ٩٢]. يعني: أنه مستحيل غاية الاستحالة.

وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] يعني: هذا مستحيل؛ حسب العادة التي أجراها الله ـ ﷻ ـ.

وفي هذا الحديث قال النبي ﷺ: «**إن الله لا ينبغي له أن ينام**» يعني: مستحيل؛ لأن النوم صفة نقص»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٠٠ ـ ٦٠٢).

٨١ ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ

٢٩٦ ـ {١٨٠} حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، وَأَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعاً عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِالصَّمَدِ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي غَسَّانَ ـ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِالصَّمَدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِاللّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ، فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٤٢/٦٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ رواته كلهم بصريون غير إسحاق؛ فمروزي، وأبي بكر؛ فكوفي.

٣ ـ له فيه ثلاثة شيوخ قرن بينهما.

٤ ـ سياق الحديث لشيخه أبي غسان المسمعي، وأما الآخران فروياه بالمعنى.

٥ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: أبو عمران عن أبي بكر.

٦ ـ أبو بكر اسمه كنيته على الصحيح.

٧ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: أبو بكر عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ.

٨ ـ حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٤٨٧٨ و٤٨٨٠ و٧٤٤٤).

* **غريب الحديث:**

قوله: (جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما): جنتان: مثنى، مفردها جنة، والجمع: جنان؛ وهي: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٥]، وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف: ٣٩] قيل: وقد تسمىٰ الأشجار الساترة: جنة.

وتطلق هذه الكلمة، ويراد بها دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان وهو الستر؛ لتكاثف أشجارها، وتظليلها بالتفاف أغصانها.

وأصل (الجَنّ) ستر الشيء عن الحاسة.

والفضة: المعدن الثمين المعروف، وهو أحد النقدين لونه أبيض.

والآنية: هي الوعاء الذي يستعمل للشرب، والغرف، وغير ذلك على اختلاف أشكالها.

و«جنتان»: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هما جنتان. و«آنيتهما»: مبتدأ و«من فضة» خبره مقدم.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ خلق جنتين من بين سائر الجِنان من فضة يُكرم بهما أقواماً من أهل الجنة؛ لعلو مكانتهم على غيرهم من أهل الجنة.

قوله: (وجنتان من ذهب...): الذهب: هو المعدن الثمين، وهو أحد وأشرف النقدين، ولونه أصفر. ويقال في هذه الجملة ما قيل في التي سبقتها.

قوله: (وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه، في جنة عدن): الكبرياء في اللغة: العظمة، يقال فيه: كَبُرَ الشيء ـ بضم الباء ـ أي: عَظُم؛ فهو كبير وكبار، فإذا أفرط قيل: كبّار، بالتشديد، وعلى هذا فيكون الكبر، والعظمة اسمين لمسمى واحد، ولكن الحديث فرّق بينهما ففيه: **«الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قصمته»**

فقد عبّر عن أحدهما بالإزار، والآخر الرداء، وهما مختلفان، وفيه: «**فمن نازعني واحداً منهما**» فالصحيح إذن الفرق.

ووجهه: أن جهة الكبرياء يستدعي متكبراً عليه، والعظمة لا تقتضي ذلك، وإذا تقرر هذا؛ فالكبرياء والعظمة من أوصاف كمال الله ـ تعالى ـ.

«في جنة عدن» يقال: عدن بها؛ أي: أقام، ومنه سميت جنة عدن؛ أي: جنة إقامة، يقال: عَدَن بالمكان يَعْدِنُ عَدْناً إذا لزمه، ولم يبرح منه. المعادن: المواضع التي تُستخرج منها جواهر الأرض؛ كالذهب، والفضة، والنحاس وغير ذلك، واحدها: معدن، والعدن: الإقامة، والمعدن: مركز كل شيء. انتهى بتصرف من النهاية.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ جعل حجاباً يمنع أهل الجنة من رؤية وجهه وسماه: رداء الكبرياء وهم مستقرون في جنة من جنان الله الكثيرة الواسعة تسمى: جنة عدن، ينتظرون كشفه؛ ليروا جلال، وجمال، وكمال الله ـ سبحانه ـ الذي ليس كمثله شيء.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الجنة اسم جنس، وليست هي جنة واحدة، بل جنان كثيرة.

٢ ـ أنّ الجنان مختلفة في خلقها ووصفها، وليست سواء.

٣ ـ أنّ الله خلق جنتين من فضة، وأخريين من ذهب.

٤ ـ لازم هذا أنّ أهل الجنة متفاوتون في الرتبة؛ وهي المكانة والمنزلة.

٥ ـ أنّ الذهب والفضة من جواهر ومتاع وزينة الدنيا والآخرة.

٦ ـ أنّ أهل الجنة سينظرون إلى وجه الله ـ تعالى ـ في الجنة.

٧ ـ أنّ هذا من كرم الله ـ تعالى ـ وتفضله عليهم.

٨ ـ أنّ الله جعل حجاباً من العظمة والكبرياء يمنع أهل الجنة من رؤيته حتى يشاء.

٩ ـ أنّ أهل الجنة خالدون مستقرون في الجنانِ لا خروج منها.

١٠ ـ الرد على طوائف المبتدعة من المعتزلة، والخوارج، وبعض المرجئة في نفيهم رؤية الله في الآخرة، وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل قبيح.

١١ ـ قال النووي: «تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها، لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة، وكذلك باقي شبههم».

١٢ ـ قال القاضي: «وأهل الحق لا يشترطون شيئاً من ذلك ـ وهي البنية والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع ـ سوى وجود المرئي، وأنّ الرؤية إدراك يخلقها الله للرأي فيرى المرئي».

١٣ ـ إثبات وجود الجنة ـ الآية ـ، وأنها مخلوقة.

١٤ ـ إثبات صفة الوجه ورداء الكبرياء لله ـ ﷻ ـ خلافاً لمن نفاهما كالمعتزلة أو عطلها بالتأويل القبيح كالأشاعرة ومن تأثر بهم من شراح الحديث.

١٥ ـ قال الحافظ: «تكملة: جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن القيم في «حادي الأرواح» فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد، وأسند الدارقطني، عن يحيى بن معين؛ قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح».

١٦ ـ وقال: «ويعارضه ـ أي: هذا الحديث ـ حديث أبي هريرة: قلنا يا رسول الله!: حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة...**» الحديث.

أخرجه أحمد والترمذي، وصححه ابن حبان، وله شاهد عن ابن عمر أخرجه الطبراني وسنده حسن، وآخر عن أبي سعيد أخرجه البزار ولفظه: «**خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة...**» الحديث، ويجمع بأن الأول صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها، والثاني صفة حوائط الجنان كلها، ويؤيده أنه وقع عند البيهقي في «البعث» في حديث أبي سعيد: «**إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة**» وعلى هذا فقوله: «**آنيتهما وما فيهما**» بدل من قوله: «من ذهب» ويترجح الاحتمال الثاني».



٢٩٧ ـ {١٨١} حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَة، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيّ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنْ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ**» قَالَ: «**يَقُولُ اللّهُ ـ تَبارَكَ ـ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنا مِنَ النَّارِ؟**» قَالَ: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ».

✹ راوي الحديث:

صهيب بن سنان بن مالك الرومي، أبو يحيى، أصله من العرب من النمر بن قاسط بن وائل، سبته الروم وهو غلام، فنشأ فيهم، ونسب إليهم، قيل: إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم وقدم مكة فحالف عبدالله بن جدعان، وقيل: بل اشتراه من الروم بنو كلب، وجاؤوا به إلى مكة؛ فاشتراه عبدالله بن جدعان، صحابي مشهور، كان من المستضعفين بمكة والمعذبين في الله؛ أسلم قديماً، وعذب في ذات الله، ثم هاجر إلى المدينة النبوية، ومن فضائله أنه شهد بدراً والشاهد بعدها، وإليه أوصى عمر عندما طعن أن يصلي بالناس حتى يجتمع أهل الشورى على رجل، ويعده العلماء سابق الروم.

توفي بالمدينة النبوية في شوال سنة (٣٨هـ)، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

➢ فوائد الإسناد:

١ - من سداسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - مسلسل بالبصريين إلا عبدالرحمٰن بن أبي ليلى؛ فمدني ثم كوفي، وصحابيه مدني.

٣ - فيه رواية تابعي عن تابعي: ثابت عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى.

٤ - حديث صهيب - رضي الله عنه - هذا - من أفراد مسلم.

٥ - اختلف العلماء في وصل الحديث، وانقطاعه، ووقفه على عبدالرحمٰن بن أبي ليلى.

قال النووي في «شرحه»: «وهذا الذي قاله هؤلاء ليس بقادم في صحة الحديث... لأن الحديث إذا رواه بعض الثقات متصلاً، وبعضهم مرسلاً، أو بعضهم مرفوعاً، وبعضهم موقوفاً حكم بالمتصل المرفوع؛ لأنهما زيادة ثقة، وهي مقبولة عند الجماهير من كل الطوائف».

وما ذكره النووي - رحمه الله - من الترجيح مقبول؛ لأن الذي وصل الحديث هو حماد بن سلمة وهو أثبت من روى عن ثابت، ولذلك يقدم على غيره بلا مثنوية، وروايته أصح من غيرها وأرجح، ولذلك اختارها الإمام مسلم وأودعها في «صحيحه»، والله أعلم.

❃ غريب الحديث:

قوله: (إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ): المعنى: بعد أن منَّ الله - تعالى - على طوائف من الخلق بالتوحيد الخالص، والعمل الصالح؛ ثم أكرمهم بمنِّه وفضله بالجنة بعد الموت، والبعث، والحساب يخاطبهم، وهم في النعيم

المقيم والخير العظيم العميم الذي لا ينقطع، وهم في حال لا يشوبه هم، ولا غم، ولا نكر، ونصب، ولا هرم، وحر، وقر، وغير ذلك.

قوله: (يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: تريدون شيئاً أزيدكم؟): يخاطبهم ربهم بصوت يسمعونه ـ وهذا من الكرامات ـ سائلاً لهم؛ وهو أعلم بحالهم وحاجتهم: ماذا تريدون من النعيم أعطيكم إياه زيادة على ما حصلتموه؟

قوله: (فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟!): فيجيبون بعد ذلك السؤال، وعليه يؤكدون ما أعطوا: إنك بيضت وجوهنا بالنور التام الذي يفوق جمال أهل الدنيا، وأدخلتنا الجنة دار الأبرار الأطهار التي ليس لها مثيل ونظير سابق، ولا يصل عقل إلى تخيلها قبل ذلك أبداً، وأنجيتنا من النار دار البوار، وسوء القرار، وأهلها الأشرار؛ فهل بعد هذا العطاء من عطاء؟ فإن من زُحزح عن النار وأُدخل الجنة؛ فقد فاز. فكيف مع هذا النعيم الزائد؟ لا نطلب شيئاً ولا نظن أننا سنطلب، أو نحتاج شيئاً يذكر.

قوله: (فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم ـ ﷻ ـ): بعد ذلك السؤال والجواب، وبينما هم يتقلبون بالنعم، إذ فجئهم الله بأمره وتقديره ـ سبحانه ـ للحجاب الذي منعهم من رؤيته أن يزول؛ ليروه في كمال الجمال، ونعوت الجلال، والعظمة، والبهاء، والكبرياء. عند ذلك فرحوا حتى لو قدر الموت في الجنة لماتوا فرحاً؛ فكانت هذه الكرامة أحبَّ شيء لهم في الجنة.

فقه الحديث:

١ ـ الإيمان بخلق الجنة، ووجودها ـ الآن ـ.

٢ ـ أنّ للجنة أهلاً هم سكانها.

٣ ـ أنّ الجنة دار الموحدين.

٤ ـ إثبات صفة الكلام لله ـ تعالى ـ.

٥ ـ أنّ أهل الجنة يسمعون كلام الحق ـ سبحانه ـ، وذلك بعد أن يخلق الله لهم القدرة على سماعه ورؤيته.

٦ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يكرم أهل التوحيد بالنجاة من النار، والفوز بالجنة، ويُبيض وجوههم بالنور الحسي والمعنوي.

٧ ـ أنّ الله يكشف الحجاب عن أهل الجنة؛ ليروه.

٨ ـ أنّ أحبَّ شيء لأهل الجنة رؤية الله ـ تعالى ـ.

٩ ـ الحديث تفسير لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وبيان أن المراد من (الحسنى) الجنة، وأن (الزيادة) هي النظر إلى وجه الله الكريم.

١٠ ـ أن النظر إلى وجه الله الكريم أكبر نعيم يعطاه المرء في الجنة؛ فكل نعيم الجنة دونه.

اللَّهم اجعلني من ورثة جنة النعيم، وارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم.

١١ ـ لا يُفهم من هذا النص وأمثاله: أنّ الخلق يحيطون بالخالق؛ إذ لا يلزم من الرؤية الإحاطة؛ كما تقدم بيانه.



٢٩٨ ـ {...} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَرُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. وَزَادَ: ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية يزيد بن هارون: أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» **(٤٥٣/٣٤٥/١)** حدثنا أبو بكر عبدالله بن يحيى الطلحي، ثنا عبدالله بن غنام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة،

عن ثابت البناني، عن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ﷺ؛ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، نودوا: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه، قالوا: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويدحرجنا عن النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم منه**» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

* غريب الحديث:

قوله: (ثم تلا هذه الآية): في رواية ابن ماجه (١٨٧) أن الرسول بدأ بتلاوة الآية قبل الحديث.

ولا تعارض؛ لأن الواو لا تفيد الترتيب؛ فتحمل على رواية مسلم بـ(ثم) والله أعلم.

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾) قال ابن كثير في «تفسيره»: «يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنىٰ في الدار الآخرة؛ كقوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضاً، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور، والحور، والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه: النظر إلى وجهه الكريم؛ فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم؛ بل بفضله ورحمته».

فقه الحديث:

١ ـ قال الحافظ ابن كثير: «وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبدالرحمٰن بن أبي ليلى، وعبدالرحمٰن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة،

والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ».

قلت: ثم أورد حديث صهيب ـ رضي الله عنه ـ هذا من رواية أحمد، وعزاه لمسلم وجماعة من أئمة الحديث.

٢ ـ أنّ السنّة تفسر القرآن، وتبينه، وتوضحه.

٣ ـ أنّ جمع الطرق من أفضل وسائل تفسير الحديث وفقهه.

٤ ـ قال الحافظ ابن حجر: «وأدلة السمع طافحة بوقوع ذلك في الآخرة لأهل الإيمان دون غيرهم، ومنع ذلك في الدنيا... وقال ابن بطال: «ذهب أهل السنة وجمهور الأُمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة».

٥ ـ وممن جمع أطراف هذه المسألة في بحث نفيس شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ؛ فقال:

«اعلم أن رؤية الله تعالى في الآخرة تكون في عرصات القيامة، وتكون بعد دخول الجنة.

أما بعد دخول الجنة؛ فإنها تكون للمؤمنين فقط ـ الذين هم أهل الجنة ـ.

وأما في عرصات القيامة، فالناس ـ بالنسبة لرؤية الله ـ عز وجل ـ ـ في الموقف ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المؤمنون، وهؤلاء يرون ربهم ـ عز وجل ـ في العرصات، وبعد دخول الجنة.

القسم الثاني: الكفار، وهؤلاء لا يرون الله؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥]. ولقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

والقسم الثالث من الناس: المنافقون، فهؤلاء يرون الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ثم يحتجب عنهم، فيكون ذلك أشد حسرة عليهم مما لو حرموا رؤيته من البداية، وذلك أنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام؛ فظاهرهم وعلانيتهم الإسلام؛ فيمكَّنون من رؤية الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في عرصات القيامة، ثم يحجبون عن الله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ.

والمراد هنا: رؤية المؤمنين لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وهذه ثابتة بالقرآن والسنَّة المتواترة، ولهذا صرح بعض أهل العلم بكفر من أنكر رؤية الله، وقالوا: من أنكر رؤية الله في الآخرة؛ فهو كافر؛ لأنه مكذب لما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ تواتراً لفظيًا، أو معنوياً بأصرح لفظ وأبينه، بحيث لا يحتمل المجاز بوجه من الوجوه.

وكذلك في القرآن آيات متعددة تدل على ثبوت رؤية الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فمن ذلك:

١ ـ قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله، هكذا فسَّرها النبي ﷺ.

ومن المعلوم أن أعلى درجة في تفسير القرآن ـ بعد تفسير القرآن بعضه ببعض ـ هو تفسير رسول الله ﷺ؛ لأنه أعلم الناس بمراد الله تبارك وتعالى.

٢ ـ ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. فقد فسَّر كثير من العلماء المزيد بأنه النظر إلى وجه الله؛ لأن النبي ﷺ فسر الزيادة في الآيات ـ التي سقناها ـ بالنظر إلى وجه الله، وإن كانت الآية في سورة ق تعم هذا وغيره؛ لأنه قال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾؛ أي: مزيد على ما يشؤون، وفوق ما يتمنون.

٣ ـ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ و٢٣].

فقوله: (ناضرة) بمعنى حسنة، من النضارة، وهي: الحسن، وقوله في الثانية (ناظرة) من النظر، ولذلك عديت بإلى.

والوجوه الناضرة إذا عدي نظرها بإلى تعين أن يكون النظر بالعين؛ لأننا لا نعلم شيئاً يرى في الوجه إلا العين، فتعين أن تكون ناظرة إلى الله - عز وجل - بالعين.

٤ - قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. يريد بذلك الفجار.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: وإذا حجب في حال الغضب، كان لا يحجب الآخرين في حال الرضا، وهذه دلالة واضحة، وهي دلالة بالمفهوم.

٥ - قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]؛ فإن قوله: (ينظرون) محذوفة المعمول، فتعم كل ما ينظرون إليه من النعيم.

وإذا قارنا هذا بما في أول السورة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فنقول: من جملة ما ينظرون إليه: الله - عز وجل -.

٦ - قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]. لأن نفي الإدراك دليل على أصل ثبوت الرؤية.

فهذا ست آيات في القرآن بعضها صريح، وبعضها دون ذلك.

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ نقلها عالَم من الصحابة - رضي الله عنهم -، وعالَم من التابعين؛ فهي متواترة بلفظ صريح، لا يمتري فيه أي إنسان.

فقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**إنكم سوف ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامُون في رؤيته**»، أو: «**لا تضارون في رؤيته**»، أو: «**لا تضارُون في رؤيته**»، والأحاديث في هذا كثيرة، وسيسوق المؤلف - رحمه الله - ما تيسر منها.

وإذا ثبت بالدليل الأثري: أن الله تعالى يُرى، فما الذي يمكن أن يعارض به؟

قالوا: يمكن أن يعارض بالدليل النظري، وبالدليل الأثري ـ أيضاً ـ.

أما الدليل الأثري: فإن موسى ﷺ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

و«لن» ـ حسب دعواهم ـ تفيد التأبيد، فيكون هذا النفي نفياً مؤبداً؛ يعني: لن تراني في الدنيا، ولا في الآخرة؛ لأن التأبيد يقتضي الأبدية.

وقالوا: إن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقد استدلت أم المؤمنين عائشة على أن النبي ﷺ لم ير ربه، فيكون نفي الإدراك هنا، بمعنى: نفي الرؤية؛ أي: لا يرى، فهذا دليلهم الأثري.

أما الدليل النظري: فقالوا: إنا إذا أثبتنا أن الله ـ ﷻ ـ يُرى؛ لزم أن يكون جسماً، وإذا كان جسماً؛ لزم أن يكون حادثاً مشبهاً للحوادث، ومعلوم أن الله تعالى قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والقاعدة في باب المناظر أن الإنسان ـ عند الجدل والمناظرة ـ يلزمه شيئان:

الشيء الأول: أن يثبت ما ادعاه.

والشيء الثاني: دفع مُدعى خصمه، وذلك ليثبت الشيء من دون معارضة، وبغير ذلك، لا يتم التغلب على الخصم.

نحن أثبتنا ما قلنا: بأن الله ـ ﷻ ـ يُرى في الآخرة بدلالة الكتاب، والسنّة المتواترة، وإجماع الصحابة ـ ﵃ ـ حيث لم يرد عن واحد منهم أنه نفى أن الله يُرى.

أما الإجابة على مُدعى الخصم؛ فسهلة جدًا: فإن قول الله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لا يعني بذلك أنه لن يراه أبداً، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فدل هذا على أن الرؤية المنفية في الدنيا؛ لأنه طلب الرؤية الآن، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ولكنه لم يستقر لما تجلى ربه للجبل، بل جعله دكًا، فعرف موسى أنه لن يتمكن إطلاقاً من أن يرى الله - ﷻ -.

فإذا قالوا: هذا التقرير يخالف مقتضى مدلول (لن)؛ لأن مقتضاه التأبيد!

قلنا: هذه دعوى كاذبة على اللغة العربية؛ فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤ و٩٥]. فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ فنفى تمنيهم له بـ(لن)، وأكد ذلك بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، ومع ذلك قال الله تعالى عن أهل النار - عموماً -: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وهذا تمنٍّ وزيادة، فإنهم يدعون ليقضى عليهم؛ لأن اللام لام الدعاء في قوله: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فتبين بهذا أن (لن) لا تفيد التأبيد، لكنها تفيد تأبيد كل شيء بحسبه.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ثم عضدهم هذا الاستدلال بقول عائشة - رضي الله عنها -، فنقول: هذه الآية دليل عليكم، وليست دليلاً لكم؛ لأن نفي الإدراك دليل على أصل ثبوت الرؤية، ولو لم تثبت أصل الرؤية؛ لكان نفي الإدراك لغواً ينزه عنه كتاب الله - ﷻ -.

وأما اعتدادكم بقول عائشة - رضي الله عنها - فإننا نقول:

عائشة - رضي الله عنها - كغيرها من الناس، تخطئ وتصيب، فقد أنكرت أن المرأة تقطع الصلاة، واستدلت بأنها تنام معترضة بين يدي الرسول ﷺ، وهذا لا شك أنه اشتباه عليها في الدليل؛ لأن النبي ﷺ إنما أثبت بطلان

الصلاة بالمرور، وعلى هذا فلا يصح أن يقاس المرور على الاضطجاع، أو الاعتراض بين يدي المصلي.

وأنكرت ـ رضي الله عنها ـ أن الميت يعذب ببكاء أهله، واستدلت بالآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. مع أن الحديث صريح وصحيح، واستدلالها بالآية استدلال ليس بجيد؛ لأن عذاب الميت في قبره بما نيح عليه، أو ببكاء أهله ليس عذاب عقوبة، لكنه عذاب تأذٍّ وتألم، فهو كقول النبي ﷺ: **«السفر قطعة من العذاب»**، مع أنه ليس عقوبة.

فالمقصود: أن عاشة ـ رضي الله عنها ـ وهمت بالاستدلال بالآية ـ وهو قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ـ على انتفاء الرؤية.

وكم لها من إصابة ـ رضي الله عنها ـ؟ وكم لها من أحاديث أهدتها لهذه الأمة؟ وكم لها من أفعال لا يعلمها إلا هي ـ ومن شاركها ـ من الأمور التي لا يطلع عليها الناس، والواقعة من رسول الله ﷺ؟ وهي من أفقه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ومن أكثرهم تحديثاً عن رسول الله ﷺ، وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه، ولكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة.

وأما الجواب عن استدلالهم النظري، فيقال: هذا الدليل النظري الذي عندكم ـ والذي تعارضون به النصوص ـ هو دليل باطل بلا شك؛ لأن العلماء يقولون: القياس ـ وهو القياس الفقهي ـ إذا عارض النص فهو فاسد الاعتبار، مطرح، فكيف بالأمر الغيبي الذي لا مجال للعقول فيه؟ فإنه يجب التسليم به.

ثم إن قولكم: إنه يلزم أن يكون الله جسماً، فنقول: ما هذا الجسم الذي تطنطنون به؛ لتهدموا به ما جاء في الكتاب والسنَّة من صفات الله؟

إن أردتم أنه جسم مركب كتركيب الأجسام المخلوقة، التي يمكن انفصال الجسم بعضه عن بعض، ويمكن أن يفقد بفقد شيء منها، فهذا لا نوافقكم عليه.

وإن أردتم بالجسم أن الله ـ عَجَّلَ ـ ذو ذات قائمة، وهو قائم بنفسه، يفعل، ويقول، وينزل، ويستوي، ويأخذ، ويقبض، فهذا حق؛ لأنه جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وهذا لا يلزم منه أن يكون مماثلاً للأجسام، فالأجسام متباينة مع أنها كلها مخلوقة، وإذا صح تباين الأجسام المخلوقة، فالتباين بين الخالق والمخلوق من باب أولى؛ بل ممتنع غاية الامتناع، والمعنى: أنه إذا جاز في الأجسام المخلوقة أن تتماثل؛ فإنه لن يجوز أبداً أن يتماثل الخالق والمخلوق.

والغريب أن هؤلاء يدندنون بهذا الدليل على إنكار صفات الله ـ والعياذ بالله ـ كلما أرادوا أن ينكروا شيئاً من الصفات، قالوا: لأن هذا يقتضي أن يكون جسماً، فيجاب عن هذا الإيراد بالاستفصال السابق عن مرادهم بمعنى الجسم، مع أن اللفظ حادث.

فالحاصل أننا نعتقد، ونؤمن بأن الله يُرى يوم القيامة، ونشهد بذلك بين يدي الخلق، من البشر، والجن، والملائكة أن الله تعالى يرى يوم القيامة، وأن ذلك ثابت بكلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وإجماع الصحابة ـ ﷺ ـ إذ لم ينقل عنهم حرف واحد أنهم أنكروا أن الله تعالى يُرى في الآخرة.

قال بعض العلماء: من أنكر أن الله يرى يوم القيامة، فنسأل الله أن يحرمه من هذه الرؤية، وهذه دعوة عليه بمقتضى قوله، وكلامه.

يقول: إذا كنت لا تؤمن بهذا ـ مع دلالة النصوص عليها دلالة مطلقة صريحة ـ فلا أراك الله وجهه، وكفى بذلك غبناً أن يدعى عليه بشيء هو يكرهه، ولكنه يعتقده، ولا ريب أن كل إنسان يسر إذا قيل له: سترى الله، لكن الذين ينكرون ذلك، لا يسرون بهذا نسأل الله العافية. فهذه عقيدة أهل السنَّة والجماعة، نسأل الله وإياكم أن يجعلنا منهم، وأن يميتنا عليها، وأن يهدي من ضلَّ في هذه المسألة، حتى يعتقد ما دل عليه الكتاب والسنَّة.

وسنذكر الآن إجابتهم عن أدلة القائلين بوجوب الرؤية.

أما قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: **٢٢ و٢٣**]. فالمراد: إلى ثواب ربها ناظرة، وليس إلى ربها.

فنقول لهم: هذا خلاف الأصل، ودعوى أن هناك كلمة مقحمة، دعوى لا دليل عليها، وهل يمكن للإنسان أن يقابل ربه يوم القيامة، والله يقول عن هذه الوجوه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ثم يقول: إلى ثواب ربها ناظرة؟ لا يمكن.

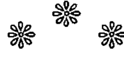
وقالوا: إن معنى ناظرة هنا؛ أي: تنتظر ثواب الله ـ عز وجل ـ، فيقال: هذا غلط على اللغة العربية؛ لأن النظر إذا كان بمعنى الانتظار؛ فإنه يتعدى بنفسه، مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: **١٥٨**]؛ أي: ما ينتظر هؤلاء إلا أن تأتيهم الملائكة، ومثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: **٥٣**].

وأجابوا عن قوله تبارك وتعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: **٢٣**]. بأنه ليس فيها التصريح بأنهم ينظرون إلى الله، فنحن نقول: ينظرون ما أعد الله لهم من النعيم، ولقد علمتم أن أول ما يدخل فيها النظر إلى وجه الله؛ لقوله في أول السورة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: **١٥**].

ويجيبون عن تفسير النبي ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: بأنها النظر إلى وجه الله؛ أي: النظر إلى ثواب الله، أو الانتظار لله ـ عز وجل ـ وما يعطيهم من الثواب، وكل هذا ـ كما ترى ـ خلاف ظاهر النصوص.

أما الأحاديث، فيجيبون عن قوله ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**» يقولون: هذه رؤية اليقين، وليست رؤية التعيين بالعين، فيقال لهم: إن اليقين ثابت أولاً في الدنيا قبل دخول الجنة؛ قال النبي ﷺ ـ في الإحسان ـ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، فما هو اليقين الذي تجدد في الآخرة؟

وعلى كل حال، لهم أجوبة، لكنها أجوبة باردة، لا تحق حقًّا، ولا تبطل باطلاً»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٠٥ ـ ٦١٧).

٨٢ ـ باب معرفة طريق الرؤية

٢٩٩ ـ {١٨٢} حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ نَاساً قَالُوا لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**» قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً؛ فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟**». قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، وَقَدِ امْتَحَشُوا؛ فَيُصَبُّ**

عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ؛ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُها، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ فَيَقُولُ: لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ، وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ، وَرآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ، وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ؛ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ! فَيَقُولُ: لاَ، وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ؛ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتّى يَضْحَكَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ. قَالَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدُ: وَأَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «**وَمِثْلُهُ مَعَهُ**». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ: «**ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ**». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ

مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَوْلَهُ: «**ذَلِكَ لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «**وَذَلِكَ**» الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ.

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ نصفه الأول مسلسل بالبغداديين، ونصفه الثاني مسلسل بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب عن عطاء بن يزيد.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: يعقوب عن أبيه.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ (٦٥٧٣ و٧٤٣٧).

* غريب الحديث:

قوله: (أنّ ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟): أي: إنّ جمعاً من أصحاب رسول الله سألوه ﷺ عن الآخرة؟ فحدّثهم عن الصراط، والجنة، ونعيمها، وأهلها، والنار، وعذابها، وأهلها، وعن جزاء عصاة الموحدين، وغير ذلك من أحوال، وأهوال الآخرة، وعند ذلك بدا لهم سؤال؛ فسألوه إياه، وهو: هل نرى الله ـ ربنا ـ الذي عبدناه في الدنيا يوم القيامة؟

وهذا السبب ورد في رواية العلاء بن عبدالرحمٰن عند الترمذي وأنه ذكر الحشر.

والسؤال هنا لم يكن عن الرؤية في الدنيا؛ كما هو ظاهر من السياق.

والقيامة: اسم لما يكون بعد النفخ في الصور، وقيام الناس من قبورهم لله ربِّ العالمين للعرض والحساب والجزاء.

قوله: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟): تضارون: ـ بضم أوله وبالضاد المعجمة وتشديد الراء بصيغة المفاعلة ـ من «الضرر» وأصله «تضاررون» ـ بكسر الراء وبفتحها ـ؛ أي: لا تَضُرُّون أحداً، ولا يضركم بمنازعة، ولا مجادلة، ولا مضايقة؛ قاله الحافظ.

وجاء (لا تضارون) ـ بتخفيف الراء ـ، من الضير، وهو الضُّر؛ أي: لا يخالف بعضكم بعضاً، فيكذبه، وينازعه، فيضيره بذلك.

وجاء (لا تضامون)؛ أي: لا تضايقون، ولا تتزاحمون.

والمعنى: هل يلحقكم ضرر من منازعة، أو مضايقة عندما ترون القمر، وهو الكوكب المضيء المعروف في السماء في حال كماله وتمامه، وذلك في ليلة الرابع عشر؟ ويقال في الشمس مثله.

قوله: (قالوا: لا يا رسول الله!): قالوا جواباً على سؤاله: لا يلحقنا أي ضرر من رؤيته.

قوله: (قال: فإنكم ترونه كذلك): وهذا جواب لسؤالهم عن رؤيته تعالى: أنكم تروه ـ سبحانه ـ دون أدنى مشقة أو كلفة وضرر؛ فشبَّه رؤية الله برؤية القمر في الوضوح ورفع المشقة، وزوال الشك.

قال الزين بن المنير: «إنما خص الشمس والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغير سحاب أكبر آية، وأعظم خلقاً من مجرد الشمس والقمر؛ لما خصا به من عظيم النور والضياء، بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال، والكمال سائغاً شائعاً في الاستعمال».

وقال ابن الأثير: «قد يتخيل بعض الناس أن كاف التشبيه للمرئي، وهو غلط، وإنما هي كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي، ومعناه: أنها رؤية مزاح عنها الشك، مثل رؤيتكم القمر».

وقال الحافظ: «وليس في عطف الشمس على القمر إبطال لقول من قال في شرح حديث جرير: الحكمة في التمثيل بالقمر أنه تتيسر رؤيته للرائي بغير تكلف، ولا تحديث يضر بالبصر، بخلاف الشمس، فإنها حكمة الاقتصار عليه، ولا يمنع ورود ذكر الشمس بعده في وقت آخر، فإن ثبت أن المجلس واحد خدش في ذلك».

وقال ابن أبي جمرة: «في الابتداء بذكر القمر قبل الشمس متابعة للخليل، فكما أمر باتباعه في الملة اتبعه في الدليل، فاستدلّ به الخليل على إثبات الوحدانية، واستدلّ به الحبيب على إثبات الرؤية، فاستدلّ كل منهما بمقتضى حاله؛ لأن الخلة تصح بمجرد الوجود، والمحبة لا تقع غالباً إلا بالرؤية».

قوله: (يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه): والمعنى: أنّ الله يجمع الخلائق في مكان واحدٍ وأرض مستوية واسعة للجزاء، وذلك بعد البعث، ويخاطبهم بصوت يسمعونه بإذنه: ألاَ من كان منكم يعبد أحداً؛ فليلحق به؛ إنساً أو جنًّا أو حجراً وشجراً ونجماً وملكاً ونبياً ووليّاً وغيرهم؛ فكأنه يقول: إذهبوا فخذوا جزاءكم ممن عبدتموهم؟! وهذا فيه من التوبيخ، والتقريع، وهو نوع من أنواع العذاب.

قوله: (فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت): الطواغيت: جمع طاغوت، وهو مشتق من طغى، والطغيان: مجاوزة الحد في العصيان، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، وقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طـه: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١]، وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] فاستعير الطغيان فيه؛ لتجاوز الماء الحد.

قال النحويون: وزنه فَعَلُوت نحو: جبروت، وملكوت.

وقيل: أصله طغووت، ولكن قُلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة، ثم قلب الواو ألفاً؛ لتحركه وانفتاح ما قبله.

والطاغوت: قيل: الشيطان، وقيل: الساحر، وقيل: الأصنام وغير ذلك.

قال الليث، وأبو عبيدة، والكسائي، وجماهير أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عُبِدَ من دون الله ـ تعالى ـ.

قلت: وهذا التفسير فيه قصور.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وأجمع ما قيل في تعريفه هو ما ذكره ابن القيم ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بأنه: ما تجاوز به العبد حده من متبوع، أو معبود، أو مُطاع.

ومراده من كان راضياً بذلك، أو يقال: هو طاغوت باعتبار عابده، وتابعه، ومطيعه؛ لأنه تجاوز به حدّه حيث نزّله فوق منزلته التي جعلها الله له، فتكون عبادته لهذا المعبود، واتباعه لمتبوعه، وطاعته لمطاعه طغياناً؛ لمجاوزته الحدّ بذلك».

فالمتبوع مثل: الكُهّان، والسحرة، وعلماء السوء.

والمعبود مثل: الأصنام.

والمطاع مثل: الأمراء الخارجين عن طاعة الله، فإذا اتّخذهم الإنسان أرباباً يُحِلُّ ما حرَّم الله من أجل تحليلهم له، ويُحرِّم ما أحلَّ الله من أجل تحريمهم له؛ فهؤلاء طواغيت.

قلت: والقيد برضاه؛ لكي لا يدخل فيه ـ التعريف ـ عيسى ابن مريم وأمثالهم؛ لأنهم عبدوا بغير رضاهم.

قال الواحدي: «الطاغوت يكون واحداً وجمعاً، ويؤنّث ويُذكَّر، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ﴾ [النساء: ٦٠] فهذا في الواحد. وقال تعالى في الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال في المؤنث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]»(١).

---

(١) «القول المفيد» (١/ ٣٠).

والمعنى: أنّ الناس بعد خطاب الله لهم باتباع معبوداتهم يستجيبون لأمره فيلحق من كان يعبد الشمس الشمسَ، وهكذا مما ذكر وغيره.

وذكر الشمس والقمر للتنويه على عظم خلقهما.

قوله: (وتبقىٰ هذه الأُمة فيها منافقوها): قال العلماء: «إنما بقوا في زمرة المؤمنين؛ لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم، فيتسترون بهم أيضاً في الآخرة، وسلكوا مسلكهم، ودخلوا في جملتهم، وتبعوهم، ومشوا في نورهم، حتى ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وذهب عنهم نور المؤمنين».

قوله: (فيأتيهم الله ـ تبارك وتعالى ـ في صورة غير صورته التي يعرفون): والمعنى: أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يأتي على الحق، والحقيقة إتياناً يليق بجلاله وكماله؛ كما نطق بذلك القرآن في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٠]، وغيرها من نصوص الكتاب والسنّة الصحيحة الصريحة. يأتيهم الله بصفات غير التي وصفت لهم من وصفه في الكتاب والسنّة، ولا يفهم من هذا أنهم رأوه في الدنيا، أو أنه يُرى، ولا أنه يرسل ملكاً ونحوه، فإن هذا طريق غير أهل الحق من السلف الصالح أهل الحديث أهل السنّة والجماعة.

قوله: (فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه): وفي تلك الصورة التي أنكروها؛ يخاطبهم فيقول لهم معرِّفاً لهم بنفسه: أنا ربكم؛ أي: الذي خلقكم ورزقكم وكنتم إياه تعبدون في الدنيا. عند ذلك يجيب من سمع قوله ورآه منكراً أن يكون هو ربهم؛ لمخالفة صفاته التي رأوها ما شاهدوه: نعوذ بالله منك.

وهذه الاستعاذة بالله تقرر أنهم لا يظنون أنه ربهم، فيلجؤون إلى الله من أن يسقطوا في هذا الامتحان، وهذا من امتحانات وأهوال الآخرة، ويبقوا في أماكنهم حتى يتعرفوا على ربهم بالصفات التي أخبروا بها.

قوله: (فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه): بعد ذلك الامتحان يتجلى ربُّ العزة لهم

بصفات الجمال والجلال والكمال التي علموها من الكتاب والسنَّة، فيعرفونه بها، فيخاطبهم معرِّفاً لهم بنفسه: أنا ربكم فماذا تقولون؟ فيجيبونه: نعم أنت ربنا الذي عبدناه وبصفاته التي تعلّمناها عرفناه، عند ذلك يتبعونه فيما يأمرهم به.

قوله: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا، وأُمتي أول من يُجيز): يضرب الصراط: أي يفرض ويوضع ويمد، كلها من معاني الضرب. والصراط: ويقال بالسين «السراط» وهو لغة: الطريق، وقد يكون مستقيماً، وقد يكون أعوجاً.

والمراد به هنا: جسر على ظهر جهنم يمر الناس عليه، وقد جاء في وصفه: إنه أدق من الشعرة وأحَدّ من السيف؛ كل هذا تعظيماً، وتهويلاً لأمره، وخطورة المشي عليه.

وظهري: ـ بفتح الظاء وسكون الهاء ـ، وكأنه يقول: على طرفيها.

ويُجيز: ـ بضم الياء وكسر الجيم والزاي آخره ـ، ومعناه: يكون أول من يمضي عليه ويقطعه، يقال: أجزت الوادي وجزته، لغتان بمعنى واحد.

قال الأصمعي: «أجزته قطعته، وجزته مشيت فيه».

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ يأمر بالصراط؛ وهو: الجسر فيمد على طرفي جهنم، ويأمر الخلق أن يعبروه امتحاناً، وبلاء يثبت فيه أهل الإيمان، ويسقط فيه أهل النفاق والكفران، وتكون هذه الأُمة المرحومة المحمدية أول الأُمم مع نبيها تعبره، وتسلم من فتنته، وتنجح في الاختبار.

قوله: (ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله! قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم): الكلاليب: جمع كلوب ـ بفتح الكاف وضم اللام المشددة ـ، وهو: حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور، ويقال لها ـ أيضاً ـ كُلاب.

والسعدان: ـ بفتح السين وإسكان العين المهملة ـ، جمع سعدانة، وهو: نبت له شوكة عظيمة، وشوكه من جميع الجوانب يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان.

وقوله: «هل رأيتم السعدان؟» هو: استفهام تقرير؛ لاستحضار الصورة المذكورة.

والمعنى: وعند عبور الناس الصراط لا يتكلم الناس بشيء إلاّ الرسل: يدعون الله ـ تعالى ـ بالسلامة، والنجاة، والنجاح في هذا الامتحان الرهيب، وليس العبور وحده المخيف؛ بل ما جعل من الكلاليب التي تخطف الناس إلى النار بقدر أعمالهم السيئة يخطفون، وبقدر أعمالهم الصالحة يسلمون منها.

قال ابن المنير: «تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها، وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا، وألفوه بالمباشرة، ثم استثنىٰ إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارهما» نقله الحافظ.

قوله: (فمنهم المؤمن بقي بعمله، منهم المجازى حتى يُنجى): المؤمن وقي تلك الخطاطيف، والكلاليب بفضل عمله الصالح فبقي سالماً، ومنهم الذي يصيبه من هذه الكلاليب، فيؤذى بقدر ما أصاب من الذنوب حتى تكتب له النجاة.

قوله: (حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله ـ تعالى ـ يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله): حتى إذا فرغ بمعنى قضى لكل واحد بما يستحق من الجزاء، إمّا إلى الجنة، وإمّا إلى النار، مَنَّ على الموحدين العصاة الذين قضى أن ينالوا نصيباً من النار بالخروج منها، وذلك بأمر الملائكة بهذا العمل، فيخرجون كل من قال: لا إله إلا الله. مقرًّا بقلبه، وناطقاً بلسانه، وراضياً بها ولها.

قال القرطبي: «واقتصاره على «لا إله إلا الله»، ولم يذكر معها الشهادة بالرسالة؛ لأنهما لما تلازمتا في النطق اكتفىٰ بذكر إحداهما على الأخرى».

قوله: (فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلاّ أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود): عند ذهاب الملائكة إلى النار؛ لإخراج عصاة الموحدين يعرفون بعلامة وهي: أنّ الله حرّم على النار أن تحرق أماكن السجود من أجسام الموحدين.

قوله: (فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد): امتحشوا: ـ بالحاء المهملة، والشين المعجمة، وبفتح التاء والحاء، وضم الشين ـ؛ ومعناه: احترقوا وزناً ومعنى.

والمحش: احتراق الجلد، وظهور العظم.

والحبة: « ـ بكسر الحاء ـ وهي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول، وجمعها حبب ـ بكسر الحاء المهملة وفتح الباء ـ.

وأمّا حميل السيل: ـ بفتح الحاء وكسر الميم ـ، وهو ما جاء به السيل من طين، أو غثاء، والمراد: محمول السيل» قاله النووي.

قال ابن أبي جمرة: «فيه إشارة إلى سرعة نباتهم؛ لأن الحبة أسرع في النبات من غيرها، وفي السيل أسرع؛ لما يجتمع فيه من الطين الرخو الحادث مع الماء مع ما خالطه من حرارة الذبل المجذوب معه».

والمعنى: أنّ هؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم برحمته فأخرجهم من النار قد احترقت أجسادهم؛ فيحييهم الله بماء خاص يدعىٰ «ماء الحياة» فإذا صُبَّ عليهم ينبتون كالزرع الذي يكون في الوديان أطراف الأنهار، وبهذا يتم إخراج جمعاً من الموحدين من النار.

قوله: (ويبقىٰ رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول: أي ربِّ! اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه): قشبني:

ـ بقاف، وشين معجمة مفتوحتين مخففاً ـ وحكي التشديد ـ ثم موحدة ـ.

قال الخطابي: «قشبه الدخان إذا ملأ خياشيمه وأخذ يكظمه، وأصل القشب خلط السم بالطعام، يقال: قشبه إذا سمه، ثم استعمل فيما إذا بلغ الدخان، والرائحة الطيبة من غايته».

وقال النووي: «معناه: سمني، وآذاني، وأهلكني، كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب.

وذكاؤها: بالمد هنا، وفي روايات أخر بالقصر، وهو الأشهر في اللغة.

قال ابن القطاع: «يقال: ذكت النار تذكو ذكا بالقصر، وذكواً ـ بالضم وتشديد الواو ـ؛ أي: كثر لهبها، واشتدّ اشتعالها، ووهجها، وأمّا ذكا الغلام ذكاءً بالمد، فمعناه: أسرعت فطنته».

والمعنى: أنّ النبي ﷺ يذكر رجلاً ممن يعبر الجسر المنصوب على ظهر جهنم ـ وهو الصراط ـ قد أقبل بوجهه إلى النار يرى لهبها، وينااله من حرها وريحها الكريهة، عندها يتوجه إلى ربه بالدعاء أنْ يصرف وجهه عن النار، بمعنى: أن ينجيه منها بعبوره الصراط بسلامة، وإدخاله الجنة، وهكذا يبقىٰ يدعو ويرجو ما شاء الله.

قوله: (ثم يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود، ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار): قال الحافظ: «أمّا «عسيت» ففي سينها الوجهان: الفتح والكسر، وجملة «أن تسألني»؛ هي: خبر عسى».

والمعنى: هل يتوقع منك سؤال شيء غير ذلك، وهو استفهام تقرير؛ لأن ذلك عادة بني آدم، والترجي راجع إلى المخاطب لا إلى الربِّ، وهو من باب إرخاء العنان إلى الخصم؛ ليبعثه ذلك على التفكر في أمره، والإنصاف من نفسه.

قال ابن أبي جمرة: «إنما بادر للحلف من غير استحلاف؛ لما وقع له

من قوة الفرح بقضاء حاجته؛ فوطّن نفسه على أن لا يطلب مزيداً، وأكّده بالحلف.

عند ذلك يُجيب الله دعاءه فيصرف الله وجهه عن النار».

قوله: (فإذا أقبل على الجنة، ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي ربِّ! قدّمني إلى باب الجنة): المعنى: بعد السلامة من النار يصل إلى مقربة من الجنة، ويرى ما ظهر له من جمالها، وريحها، وأنوارها يسكت فترة لا يطلب من ربه شيئاً، ثم هو تغلبه نفسه، وتدفعه للسؤال من جديد لما يشاهده من بعيد: فيطلب من ربه أن يقدمه إلى باب الجنة فقط دون دخولها.

قوله: (فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك، ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم! ما أغدرك؛ فيقول: أي ربِّ! ويدعو الله...): فيسأله ربه، وهو أعلم بحاله، وجوابه ألم تعطني العهود والمواثيق على أن لا تسألني بعد إذ صرفت وجهك عن النار، ويخوفه ويسمه بالغدر، ويظل يدعو، وينادي، ويناجي، ويرغب، ويرهب حتى يقول الله له ما قاله أولاً من عدم السؤال بعد إجابته، فيؤكد ذلك الرجل بالحلف بعزّة الله، والعهود، والمواثيق أكثر من أول مرة؛ فيجيبه لما أراد فيقدم إلى باب الجنة.

قوله: (فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور...): انفهقت: ـ بفتح الفاء والهاء والقاف ـ، ومعناه: انفتحت واتسعت، ومنه المتفيهقون: وهم الذين يتوسعون في الكلام، ويفتحون به أفواههم، مأخوذ من الفهق؛ وهو: الامتلاء والاتّساع. لما أجابه ربه لما سأل، وأوقفه على باب الجنة وانفتحت؛ رأى الخير العظيم العميم، وأسباب السرور، والحبور لم يسكت طويلاً حتى عاد يسأل ربه دخولها، وأعاد ربه القول له كما تقدم.

قوله: (فيقول: أي ربِّ! لا أكون أشقىٰ خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى

يضحك الله ـ تبارك وتعالى ـ منه، فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة): عند ذلك ـ وهو رؤية الجنة وما فيها ـ قال لربه: إن أبقيتني هنا، ولم تدخلني الجنة؛ فأنا أشقىٰ الخلق عامة، أو الشقي من بين أهل الجنة. فلما يسمع الله قوله، ويرى لوعته، ولهفته لدخولها مع ذله، وافتقاره لما يرى ما لا يستطيع أن يصبر عليه؛ ضحك من حاله، وأدخله بفضل رحمته إياه الجنة.

قوله: **(فإذا دخلها قال الله له: تمنَّه، فيسأل ربه ويتمنى، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني. قال الله ـ تعالى ـ: ذلك لك، ومثله معه)**: وبعد أن أدخله الجنة قال له: سل ما تتمناه، فيسأل، وإن من فضل الله عليه، ورحمته به أن يذكره ما لا يتذكره، ولا يعلمه حتى ينتهي من السؤال، وعندها يغدق عليه من الكرم أن يعطيه كل ما سأل، ومثله معه.

قوله: **(قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد من حديثه شيئاً. حتى إذا حدّث أبو هريرة: إن الله قال لذلك الرجل: «ومثله معه»...)**: المقصود: أنّ عطاء يقول ليس بين رواية أبي سعيد، وأبي هريرة خلاف، ثم هو بعد ذلك سمع الحديث من أبي هريرة؛ فلم يجد خلافاً، وسمع من أبي سعيد مرة أخرى؛ فإذا فيه زيادة على حديث أبي هريرة. قال أبو هريرة: هذا الذي حفظته منه.

وقال أبو سعيد: أؤكد أني حفظت زيادة على ما حفظتَ قوله: «**ذلك لك، وعشرة أمثاله**»، وهذه هي الزيادة على ما في حديث أبي هريرة.

والمعنى: أنّ أبا هريرة حفظ قوله ﷺ في الحديث: «**ومثله معه**».

وأبو سعيد حفظ منه: «**ذلك لك، وعشرة أمثاله**»؛ فلعله أُخبر أولاً بذلك، ثم زيد له؛ فأُخبر مرة ثانية، وأفاد أبو هريرة: أنّ ذلك الرجل هو آخر أهل الجنة دخولاً لها.

فقه الحديث:

١ ـ مشروعية سؤال أهل العلم عن مسائل العقيدة، وما بعد الموت للتعلم لا للتعنت.

٢ ـ تقييد السؤال بيوم القيامة دليل أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لا يمكن أن يرى في الدنيا، وأن هذا كان مستقراً عند الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ؛ ففي حديث أبي أمامة الصحيح في قصة الدجال عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء في «المختارة»: **«ولا ترون ربكم حتى تموتوا»**.

٣ ـ هذا الحديث يدل على فضل رسول الله ﷺ وجوده حيث كان ﷺ إذا سئل عن شيء استغرق في غيره مما يظن أن الإنسان يحتاج إليه.

ويدل عليه أيضاً حديث البحر: **«هو الطهور ماؤه الحل ميتته»** مع أن الميتة لم يقع عنها سؤال.

٤ ـ يستحب للمعلم أن يقرب للطلبة المسائل بضرب الأمثال.

٥ ـ أحد الأدلة الصحيحة الصريحة في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ونفتها المبتدعة من المعتزلة والخوارج، وأوّلوا الرؤية في هذه الأحاديث بالعلم، وهو خطأ لغة ومعنى؛ فإن الرؤية بمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على أحدهما دون الآخر، وهنا تعدت إلى مفعول واحد فهي للإبصار، وأما المعنى؛ فإن رسول الله ﷺ شبه رؤية الله بالشمس، وهذا التشبيه لا يصح إلا معاينة، وكذلك الكفار يعلمون الله ضرورة في الآخرة، فترتفع بهذا التأويل خصوصية المؤمنين بالكرامة ولذة النظر.

٦ ـ أنّ رؤية الله ـ تعالى ـ تكون من غير ضرر، ولا مشقة.

٧ ـ بيان معرفة طريق الرؤية.

٨ ـ سلوك طريق الأدب في مخاطبة أهل العلم، وطلابه.

٩ ـ الإيمان بالبعث بعد الموت.

١٠ ـ جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته، وجواز التعبير عن ذلك بما يفهمه؛ حيث أخبرهم برؤية ربهم، ثم ضرب لهم مثلاً بما يعرفونه من رؤية الشمس والقمر.

١١ ـ أنّ كل معبود يعذب مع عابده في نار جهنم إذا رضي بذلك من دون الله ـ تعالى ـ.

١٢ ـ أنّ قوله: «يجمع الله الناس...» هذا من تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

١٣ ـ وقوله: «مَن كان يعبد شيئاً؛ فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس...» من تفسير قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

١٤ ـ إخبار بأن الشمس والقمر يعبدان من دون الله، وأنهما سيلقيان في جهنم مع عابدهما تبكيتاً لعبادهما، وليس تعذيباً لهما.

١٥ ـ أنّ من أسباب العبادة الجمال والعظمة؛ كما في الشمس، والقمر.

١٦ ـ أنّ التكليف لا ينقطع إلا بالاستقرار في الجنة أو النار؛ كما ذكر ذلك وقرره أهل العلم، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وانظر لذلك ما كتبه العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان»؛ فإن فيه بحثاً نافعاً ماتعاً.

١٧ ـ أنّ الامتثال للأمر في القيامة يكون بالاضطرار لا بالاختيار.

١٨ ـ أنّ الله يفضح المنافقين في الآخرة.

١٩ ـ يحاول المنافقون أن يستروا كذبهم، ونفاقهم في الآخرة؛ كما كانوا في الدنيا.

٢٠ ـ أنّ المنافقين في الدرك الأسفل من أهل النار.

٢١ ـ وفيه فضيلة الإيمان؛ لأنه لما تلبس به المنافق ظاهراً بقيت عليه حرمته إلى أن وقع التمييز بإطفاء النور وغير ذلك.

٢٢ ـ أنّ المؤمنين يعرفون ربهم في الآخرة بما وصف لهم في الكتاب، وصريح صحيح السنة.

٢٣ ـ بيان معنى الطاغوت، وهو كل ما عُبِدَ من دون الله من متبوع أو مطاع برضاه.

٢٤ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يتكلم بصوت وحرف.

٢٥ ـ وأنه يسمعه من يشاء من عباده في الدنيا والآخرة.

٢٦ ـ إثبات صفة الإتيان والمجيء لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله من غير تحريف وتزييف.

٢٧ ـ وكذلك يقال في الصورة.

٢٨ ـ أنّ الخلق جميعاً سيجوزون الصراط.

٢٩ ـ والصراط مع دقته وحدّته يسع جميع المخلوقين منذ آدم ـ عليه السلام ـ إلى قيام الساعة.

٣٠ ـ الصراط منصوب على جهنم خلافاً لمن أنكره من أهل البدع.

٣١ ـ أنّ النار مع عظمها، وشدتها لا تتجاوز الحدّ الذي أُمرت بإحراقه.

٣٢ ـ بيان شفقة ورحمة الرسل على أقوامهم.

٣٣ ـ وفيه بيان دعاء الرسل يومئذ.

٣٤ ـ أنّ المشقة والخشية ليست من ضرب الصراط، وأمر الخلق أن يعبروه؛ بل ما يكون على جانبيه من الكلاليب التي تخطف، وتخدش المارّة، والنار التي تحته.

٣٥ ـ والأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء والأصل مع المبالغة في تفاوت الصفة.

٣٦ ـ جواز الاستدلال على العلم الضروري بالنظري.

٣٧ ـ أنّ المؤمن ينجو بالإيمان، والعاصي يخدش بقدر معصيته، والكافر والمنافق يسقط؛ لكفره.

٣٨ ـ أنّ الله يمنُّ على بعض العصاة بما يأتي:

أولاً: الخروج من النار.

ثانياً: أنه ـ سبحانه ـ يخرج جميع الموحدين الذين أقروا بكلمة التوحيد، ونطقوا بها، وإن لم يعملوا غير الشهادتين.

٣٩ ـ أنّ الملائكة لهم وظائف، ومنهم الذين يخرجون العصاة من النار.

٤٠ ـ أنّ عصاة الموحدين يعرفون في النار بسيما المصلين؛ إذ آثار الوضوء والصلاة ظاهرة لا تحترق من بين سائر أجزائهم.

٤١ ـ أنّ الله حرّم على النار أن تأكل أماكن السجود من الخلق إكراماً لموضع السجود، وعظم مكانهم من الخضوع لله ـ تعالى ـ.

يا رب أعضاء السجود عتقتها   من فضلك الوافي وأنت الباقي
والعتق يسري في الغنى يا ذا الغنى   فامنن على الفاني بعتق الباقي

٤٢ ـ رحمة الله بعباده العصاة حيث يخرجهم بعد إحراقهم، ويحييهم بماء الحياة في الجنة.

٤٣ ـ فيه تسمية ذلك الماء به (أي: ماء الحياة) إشارة إلى أنهم لا يحصل لهم الفناء بعد ذلك.

٤٤ ـ الخلائق يؤولون إلى فريقين اثنين: فريق في الجنة، والآخر في النار.

٤٥ ـ بيان قصة آخر رجل من أهل الجنة دخولاً لها وبيان حاله.

٤٦ ـ فضل الدعاء، وقوة الرجاء في إجابة الدعوة، ولو لم يكن الداعي أهلاً لذلك في ظاهر الحكم؛ لكن فضل الكريم واسع.

٤٧ ـ فيه إشارة إلى أن الشخص لا يوصف بالفعل الذميم إلا بعد أن يتكرر ذلك منه.

٤٨ ـ استحباب طلب الشفاعة من الله للرحمة.

٤٩ ـ والشفاعة تكون للمذنب وغير المذنب.

٥٠ ـ ويؤخذ منه: أن الإنسان لا ينظر إلى ذنبه؛ بل إلى عفو ربه.

٥١ ـ بيان عظم الجنة وما فيها من النعيم، وأنها سبب للسرور والخير.

٥٢ ـ جواز الحلف بصفات الله ـ تعالى ـ، ومنها: العزة.

٥٣ ـ أنّ كل من حُرِمَ الجنة؛ فهو شقي.

٥٤ ـ إثبات ضحك الله ـ تعالى ـ، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته، وهو ضحك حقيقي وقد ثبتت هذه الصفة في عدة أحاديث منها ما أخرجه مسلم: «**يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**».

وأما من قال: أن الله لا تقوم به الأفعال الاختيارية، ويفسر الضحك بلازمه وهو الثواب، وأنه كناية عن الرضا المستلزم للثواب؛ فهو من تحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل فاسد.

٥٥ ـ أنّ كل ما يتمناه المرء في الجنة يحصله.

٥٦ ـ بيان سعة فضل الله ورحمته.

٥٧ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ أعطى الرجل كل ما سأله، وما أرشده إليه، وعشرة أمثاله.

٥٨ ـ أنّ بعض الرواة يحفظ ما لا يحفظه الآخر، وأنّ الرسول ﷺ ينزل عليه الوحي بزيادة أشياء ونقصها؛ فيحدّث بها.

٥٩ ـ وفي قوله: «**فأكون أول من يجيز**» إشارة إلى أن الأنبياء بعده يجيزون أُممهم.

٦٠ ـ قال ابن أبي جمرة: «لم يذكر في الخبر مآل المذكورين، لكن

لما كان من المعلوم أن استقرار الطواغيت في النار علم بذلك أنهم معهم في النار؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]».

٦١ ـ دليل على أن عذاب المؤمنين المذنبين مخالف لعذاب الكفار.

٦٢ ـ ويستفاد منه أنّ الرسول ﷺ كان عارفاً بجميع أمور الدنيا بتعليم الله له، وإن لم يباشر ذلك.

٦٣ ـ وفيه إشارة إلى نتنِ وقذر ريح النار، وطيب ريح الجنة، وهو من أعظم نعيمها.

٦٤ ـ وفيه ما طبع عليه الآدمي من قوة الطمع، وجودة الحيلة في تحصيل المطلوب، فطلب أولاً: أنّ يبعد من النار؛ ليحصل له نسبة لطيفة بأهل الجنة، ثم طلب الدنو منهم، وقد وقع في بعض طرقه طلب الدنو من شجرة بعد شجرة إلى أن طلب الدخول.

٦٥ ـ أن صفات الآدمي التي شرف بها على الحيوان تعود له كلها بعد بعثه، كالفكر والعقل وغيرهما.

٦٦ ـ وفيه: أن جماعة من مذنبي هذه الأمة يعذبون بالنار، ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة، خلافاً لمن نفى ذلك عن هذه الأمة، وتأول ما ورد بضروب متكلفة، والنصوص الصريحة متضافرة متظاهرة بثبوت ذلك.

٦٧ ـ وأنّ تعذيب الموحدين بخلاف تعذيب الكفار؛ لاختلاف مراتبهم من أخذ النار بعضهم إلى ساقه، وأنها لا تأكل أثر السجود، وأنهم يموتون فيكون عذابهم إحراقهم وحبسهم عن دخول الجنة سريعاً كالمسجونين، بخلاف الكفار الذين لا يموتون أصلاً؛ ليذوقوا العذاب، ولا يحيون حياة يستريحون بها.

٦٨ ـ قد استشكل كون وجهه إلى جهة النار، والحال أنه ممن يمر على الصراط طالباً إلى الجنة فوجهه إلى الجنة، لكن وقع في حديث أبي أُمامة المشار إليه قبل أنه يتقلب على الصراط ظهراً لبطن، فكأنه في تلك

الحالة انتهى إلى آخره فصادف أن وجهه كان من قبل النار، ولم يقدر على صرفه عنها باختياره فسأل ربه في ذلك.

٦٩ ـ وهذا أحد أحاديث الشفاعة، وإن أورده المؤلف وبوّب عليه الشرّاح؛ لبيان طريقة رؤية الرّب في الآخرة.

٧٠ ـ قال الكلاباذي: «إن إمساك الرجل أولاً عن السؤال حياء من ربه ـ ﷻ ـ، والله يحب أن يسأل؛ لأنه يحب عبده المؤمن؛ فيباسطه بقوله أولاً: «لعلك إن أعطيت هذا تسأل غيره؟» وهذه حالة المقصر، فكيف حال المطيع، وليس نقض هذا العبد عهده وتركه ما أقسم عليه جهلاً منه، ولا قلة مبالاة، بل علماً منه بأن نقض هذا أفضل العهد أولى من الوفاء به؛ لأن سؤاله ربه أولى من ترك السؤال مراعاة للقسم، وقد قال ﷺ: «**من حلف على يمين؛ فرأى خيراً منها، فليكفر عن يمينه، وليأت الذي هو خير**» فعمل هذا العبد وفق هذا الخبر، والتكفير قد ارتفع عنه في الآخرة».

➢ فوائد زوائد:

١ ـ قال بعض أهل العلم من الشراح: فإنه لا يرى في جهة، وهذا قول الأشاعر والماتريدية ونفاه العلو عن الله ـ ﷻ ـ؛ فإن أرادوا هذا؛ فقولهم باطل.

ولفظ الجهة من الألفاظ العامة التي لا يجوز التسرع في إثباتها أو نفيها وإنما يستفصل عن مراد من أطلقها أو نفاها.

فمن أراد إثبات علو الله على خلقه؛ فقوله صواب، ولفظه ينصح بتركه واستعمال الألفاظ الشرعية.

ومن أراد نفي العلو، فلفظه وقصده باطل، والله أعلم.

٢ ـ ذهب بعض الشراح إلى تأويل إتيان الله يوم القيامة بأن المراد رؤيتهم إياه.

وهذا تأويل يسلكه الأشاعرة وغيرهم من أهل البدع، والإتيان من أفعال الرب تبارك وتعالى التي يجب أن نؤمن بها على ما يليق بجلال الله وكماله وتنزيهه عن أفعال المخلوقين.

وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنَّة؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

والإتيان من الصفات الفعلية المتعلقة المشيئة، وقد تضمنت معنى الصفة والفعل.

وقد رد الإمام ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ على من ادعى أن الإتيان مجاز من اثني عشر وجهاً؛ نقض تأويلهم، وأبطل دعواهم(١).

وزعم آخرون: أن هذا من باب مجاز الحذف، وتقديره: وجاء أمر ربك.

وقال آخرون تقدير وتقريره: يأتيهم بعض ملائكة الله، وهذا كله باطل، ويرده سياق النص من وجوه:

أ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ففرق سبحانه بين إتيان الملائكة، وإتيان الله تعالى، وإتيان بعض آياته، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً، وهذا التنويع يدل على اختلاف بين إتيان الرب وإتيان ملائكته أو بعض آياته.

ب ـ قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] فعطف مجيء الملك على مجيء الرب مما يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيء الرب حقيقة كما هو مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك.

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/١٠٦ ـ ١٠٧).

ت ـ وقع في رواية العلاء بن عبدالرحمٰن بلفظ: «فيطلع عليهم رب العالمين» فهل يقبل التأويل بالملك أو يعقل التأويل بأمر الله أو آية من آياته؟

٣ ـ ونفى بعض الشراح صفة الصورة وأولوها بالصفة. والصورة ثابتة لله تعالى كثبوت الصفة بلا فرق، وصورته ـ جل جلاله ـ تليق بذاته العلية.

وقد صرح أئمة السلف بذلك: أحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه، وابن خزيمة، وابن قتيبة، وأبو إسماعيل الهروي ـ رحمهم الله ـ.

قال ابن قتيبة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ: أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين.

وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه: بكيفية ولا حد»[1].

٤ ـ الآية التي يعرف بها المؤمنون ربهم يوم القيامة هي الساق؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري الآتي.



٣٠٠ ـ {...} حَدَّثَنَا عَبْدُاللّٰهِ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا؛ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ دقة الإمام مسلم حيث قال: بمثل معنى، ولم يقل نحوه أو مثله.

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص٤١٥ ـ بتحقيقي).

٢ ـ قوله: **(وساق الحديث بمثل معنى حديث إبراهيم بن سعد)**: أي: شعيب بن أبي حمزة روى الحديث متابعاً لإبراهيم بن سعد عن الزهري بمثل معنى ما رواه.

٣ ـ رواية شعيب بن أبي حمزة: ساقها البخاري في «صحيحه» **(٦٥٧٤)**: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهريّ، أخبرني سعيد وعطاء بن يزيد، أن أبا هريرة أخبرهما، عن النبيّ ﷺ. (ح) وحدثني محمود، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهريّ عن عطاء بن يزيد الليثيّ، عن أبي هريرة، قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟**»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يَجْمَع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويُضْرَب جِسْرُ جهنم**»، قال رسول الله ﷺ: «**فأكون أوّلَ من يُجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شَوْك السَّعْدان، أما رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يَعْلَم قدر عظمها إلا الله، فتَخْطِف الناسَ بأعمالهم، منهم الموبَقُ بعمله، ومنهم الْمُخَرْدَل ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يُخْرِج من النار من أراد أن يُخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يُخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحَرَّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم، قد امْتَحَشُوا، فيُصَبُّ عليهم ماءٌ، يقال له: ماءُ الحياة، فينبتون نباتَ الْحِبَّة في حَمِيل السيل، ويبقى رجل منهم قبِلٌ بوجهه على النار، فيقول: يا رب قد قَشَبَني ريحها، وأحرقني ذَكَاؤها، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلك إن أعطيتك أن**

تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيَصْرِف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قَرِّبني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك ابن آدم ما أغدرك! فلا يزال يدعو، فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيُقَرِّبه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها، سَكَتَ ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: رب أدخلني الجنة، ثم يقول: أوَ ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يَضْحَك، فإذا ضَحِكَ منه، أَذِنَ له بالدخول فيها، فإذا دَخَل فيها، قيل له: تَمَنَّ من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تَمَنَّ من كذا، فيتمنى حتى تنقطع به الأمانيّ، فيقول له: هذا لك، ومثله معه»، قال أبو هريرة: «**وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً**»، قال عطاء: وأبو سعيد الخدريّ جالس مع أبي هريرة، لا يُغَيِّر عليه شيئاً من حديثه، حتى انتهى إلى قوله: هذا لك ومثله معه، قال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هذا لك، وعشرة أمثاله**»، قال أبو هريرة: حفظت: «مثله معه».



٣٠١ ـ {...} وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ؛ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.
٢ ـ أنه يروي من صحف حديثية، وهذا من صحيفة همام بن منبه.
٣ ـ أنه اختار من هذه الصحيفة أحاديث، ولم يروها كلها.

٤ ـ مسلسل باليمنيين، غير شيخه فنيسابوري.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (**إنّ أدنى مقعد أحدكم من الجنة...**): أدنى: أقل. ومقعد: منزلة ومكانة.

والمعنى: أنّ أقلّ أهل الجنة مكانة ودرجة بالجنة هذا الذي تمنى طويلاً، وأُعطي ما تمناه، ومثله معه.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ هذا أدنى أهل الجنة منزلة، وفي الحديث السابق أنه آخر أهل الجنة دخولاً لها.

٢ ـ أنّ أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ حفظ في جزاء هذا الرجل ما تمنىٰ ومثله، بينما أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ يحفظ أنّ له عشرة أمثال ما تمنىٰ.



٣٠٢ ـ {١٨٣} وحدّثني سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَة، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ نَاساً فِي زَمَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة الْقَمَر لَيْلَةَ الْبَدْر صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِما، إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلا يَبْقَى أَحَدٌ، كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنَ الأَصْنَامِ، والأَنْصَابِ؛ إِلا يَتَساقَطُونَ فِي**

النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَيُدْعَى الْيَهُودُ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا! فَاسْقِنَا؛ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّها سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقولُونَ: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا! فَاسْقِنَا». قَالَ: «فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلا تَرِدُون؟ فَيُحْشَرُون إِلَى جهَنَّمَ، كَأَنَّها سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّار، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ - تَعَالَى - مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ - ﷻ - فِي أَدْنى صُورةٍ مَنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، لا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ؛ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للَّهِ مَنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤوسَهمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ، سَلِّم سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ، مَزَلَّةٌ فيه خَطَاطِيفُ، وَكَلالِيبُ، وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ. فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مَنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي، نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للَّهِ فِي

اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ، مِنَ الْمُؤمِنِينَ لله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنا! كَانُوا يَصُومُون مَعنَا، وَيُصلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فيُقالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلى رُكْبَتَيْهِ(١). ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُم فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ. فيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحداً مَمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ؛ فَأَخْرِجُوهُ، فيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً. ثُمَّ يَقولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنا أَحَداً، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُم فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً».

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهذَا الْحَدِيثِ؛ فَاقْرؤُوا إِنْ شِئْتُم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. «فَيَقُولُ اللَّهُ ـ ﷻ ـ: شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمؤمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مَنَ النَّارِ فَيُخرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَماً، فيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟» فَقَالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ؟ قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤلاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ

(١) «ركبتيه» كذا هنا، والصواب: «كعبيه»؛ انظر ـ غير مأمور ـ: «حكم تارك الصلاة» لشيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ.

الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - مسلسل بالمدنيين، غير شيخه؛ فحدثاني، وحفص بن ميسرة فعسقلاني.

٣ - حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - هذا - متفق عليه، فقد أخرجه - أيضاً - البخاري (٤٥٨١ و٤٩١٩ و٧٤٣٩).

٤ - تقديم المصنّف رواية سويد بن سعيد هذه على رواية عن عيسى بن حماد، مع أن سويداً متكلّم فيه يضعف زعم القائلين: أن مسلماً يقدم دائماً الأحاديث التي ليس في أسانيدها طعن، فإن عيسى بن حماد الذي ستأتي روايته عند المصنّف بعد هذا متابعةً أوثق منه، مجمع على توثيقه، وروايته أخرجها البخاريّ في «الصحيح»، عن يحيى بن بكير، عن الليث، وهذا يقع كثيراً عند المصنّف والظاهر أن الإمام مسلماً يقدّم ما يراه أنسب، إما في سياق المتن، أو غير ذلك، ولا يلتزم الترتيب في الأسانيد، والله أعلى وأعلم.

٥ - اختلف في نسبة حفص بن ميسرة أهو إلى صنعاء الشام أم صنعاء اليمن.

فقد نسبه الأكثرون إلى صنعاء الشام، وهو قول البخاري وأحمد والنسائي والفلاس ومحمد بن المثنى ويعقوب بن سفيان.

ونسبه أبو حاتم إلى صنعاء اليمن، ويدل عليه صنيع أبي داود.

* غريب الحديث:

قوله: (أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ): أي: من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

قوله: (قال): أي: رسول الله ﷺ موضِّحاً لهم كيف يرون الله.

قوله: (صحواً): أي: لا سحاب ولا قتر يحجبها.

قوله: (قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟): أي: سألوا رسول الله عن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ولم يقع السؤال عن الدنيا؛ لأنهم يعلمون أن الله لا يرى في الدنيا.

قوله: (. . .قال: ما تضارون في رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة إلاّ كما تضارون في رؤية أحدهما): «ما» هنا النافية، بمعنى: أنكم لن تجدوا الضرر من الضيق، والمشقة، والزحام، ونحوها في رؤيتكم لربكم؛ كما أنكم لا تجدون ذلك عند رؤية القمرين أو أحدهما، وإن كان هناك شيء من الضرر والمشقة فبقدر ما يحصل عند رؤية القمرين فقط. كل هذا لبيان سهولة الأمر ويسره، وهذا من أعظم نِعَم الله علينا.

قوله: (إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّنٌ): أي: إذا الزمن يوم القيامة، أذن: من الأذان، وهو الإعلام بالشيء، يقال: أذّن يؤذِّن تأذيناً؛ ومنه قول الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. والمؤذن: كل من يُعلم بشيء نداءً ـ أي بصوت مرتفع ـ، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، وقوله: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

والمعنى: أنّ أحداً نادى بصوت مرتفع من السماء يسمعه كل من حضر للعرض والحساب والجزاء.

قوله: (من الأصنام والأنصاب): الصنم: جثة متخذة من فضة، أو نحاس، أو خشب كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله ـ تعالى ـ، الجمع: أصنام، ومفرده صنم، ومنه قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤].

والأنصاب: جمع نصب؛ يقال: نصب الشيء وضعه وضعاً ناتئاً؛

كنصب الرمح، والبناء، والحجر، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

قوله: (إلا يتساقطون في النار): أي: يقعون في جهنم.

قوله: (وغُبَّرِ أهل الكتاب) غبر: - بضم الغين المعجمة وتشديد الموحدة -، وهو جمع غابر، وغبر الشيء بقيته.

والمعنى: أنّ كل من عبد غير الله - تعالى - من الأصنام، والأوثان، والأنصاب سيسقطون في جهنم، ولا يبقى إلا المؤمن والمنافق وبقية أهل الكتاب ممن عبد عزيراً وعيسى ابن مريم - عليه السلام -، ظانين أنهم على حق، بعد ذلك يبتلوا، ويسقطون في الامتحان، والنار بدليل الفقرات التي تليها.

قوله: (فيُدعى اليهود؛ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد): عزير: هو نبي في المشهور، ويُقال: إنه رجل صالح.

والمعنى: أنّ الداعي الذي يُنادي اليهود خاصة، ويسألهم: ما الإله الذي كنتم في الدنيا تعبدوه؟ فأجابوا بأنهم يعبدوا عزيراً، ويدّعوا: أنه ابن الله - تعالى الله عن ذلك -، فيجيبهم المنادي: أنكم كذبتم في قولكم: أنّ عزيراً ابن الله، وعلى عبادته؛ فإنّ الله غني عن الصاحبة والولد.

قال الحافظ: «هذا فيه إشكال؛ لأن المتصف بذلك بعض اليهود، وأكثرهم ينكرون ذلك، ويمكن أن يجاب بأن خصوص هذا الخطاب لمن كان متصفاً بذلك، ومن عداهم يكون جوابهم ذكر من كفروا به كما وقع في النصارى، فإن منهم من أجاب بالمسيح ابن مريم مع أنّ فيهم من كان بزعمه يعبد الله وحده، وهم الاتحادية الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم».

قوله: (فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا! فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار): تبغون: بغى يبغي؛ وهو: الطلب. والمعنى: ماذا تطلبون.

وتردون: من الورود؛ يقال: وردتُ الماء أرده وروداً، إذا حضرته لتشرب.

والمعنى: أي اذهبوا إلى الماء فاشربوا؛ لترتوا ويذهب عطشكم.

والسّراب: هو الذي يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي، وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

ويحطم: من الحطم، وهو الكسر، والإهلاك، والحطمة اسم من أسماء النار؛ لكونها تحطم ما يلقى فيها.

والمعنى: أنّ اليهود يسألون: أي شيء تريدون؟ فيجيبون: بأنا قد عطشنا من شدة هذا الموقف المخيف؛ فاسقنا ما يذهب عطشنا، ويخفف كربنا. فيشار إليهم أن اذهبوا إلى ذلك الذي ترونه ماءاً، وهو: السراب الذي يخيل إليهم أنه ماء، وعندما يذهبوا إليه؛ فإذا هم يتساقطون في النار، ففوجئوا، وفجعوا، وإذا بها يحطم ويأكل بعضها بعضاً.

ويُقال للنصارى مثل ما قيل لليهود، ويجازوا مثل جزاءهم.

قوله: (فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم): قال النووي: «معنى قولهم: التضرع إلى الله - تعالى - في كشف هذه الشدة عنهم، وأنهم لزموا طاعته - ﷻ -، وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته - سبحانه - من قراباتهم وغيرهم، ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم، وهذا كما جرى للصحابة المهاجرين وغيرهم، ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان، فإنهم يقاطعون من حاد الله ورسوله ﷺ، مع حاجتهم في معايشهم إلى الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم، فآثروا نص الله - تعالى - على ذلك، وهذا معنى ظاهر في هذا الحديث لا شك في حسنه».

قوله: (حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب): قال النووي: «إن مع لغة، كما أن حذفها مع عسى لغة».

ومعناه: ينقلب عن الصواب ويرجع عنه، للامتحان الشديد الذي جرى.

قوله: (فيكشف عن ساق): أُبهم الساق، وبينتها رواية البخاري في «الصحيح» **(٧٤٣٩)** وفيه: «**فيكشف عن ساقه**»؛ فنسب الساق لنفسه، فهي صفة خبرية نؤمن بها دون الخوض في بيان كيفيتها.

وقد بسطت القول في هذه المسألة وجمعت أقوال علماء السلف في هذه الصفة، وخرّجتها وبينت درجتها من الصحة والضعف في كتابي الفرد: «المنهل الرقراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ وفصّلت: أن الساق من صفات الله ـ ﷻ ـ، وأن قولنا فيها كقولنا في باقي الصفات مما أثبته الكتاب والسنَّة لله على ما يليق بجلاله دون تشبيه، أو تعطيل، أو تمثيل، أو تفويض.

قوله: (ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً؛ إلَّا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه): طبقة: الطبق: فقار الظهر، واحدتها: طبقة؛ يريد أنه صار فقارهم كله كالفقارة الواحدة، فلا يقدرون على السجود.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ يمتحن المؤمنين، ومن استتر معهم في المحشر بالسجود؛ فيوفق المؤمن الصادق، ويفضح المنافق الكاذب فلا يستطيع ذلك؛ فيقع على قفاه.

قوله: (وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة): والمعنى: أنه ـ سبحانه ـ قد أزال المانع عن نفسه لهم لرؤيته، ويتجلى لهم.

قوله: (ثم يضرب الجسر على جهنم): أي: يجعل وعيد الصراط على متن جهنم وظهرها.

قوله: (وتحل الشفاعة): أي: تقع الشفاعة ويؤذن فيها لمن يشاء الله ويرضى.

قوله: (ويقولون: اللهم سلم سلم): أي: يقول المرسلون؛ لأنه لا

يتكلم في ذلك الوقت غيرهم: اللهم سلمنا وسلم أممنا من ضرر الصراط، والتكرار للكثرة أو للإلحاح في الدعاء.

قوله: (وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان): دحض: بتنوين دحض، وداله مفتوحة، والحاء ساكنة.

ومزلة: ـ بفتح الميم وكسر الزاي ـ ويجوز فتحها وتشديد اللام.

والدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر، ومنه دحضت الشمس؛ أي: مالت، وحجة داحضة؛ أي؛ لا ثبات لها.

والخطاطيف: جمع خاطف؛ وهو: كلوب يختطف بها الشيء؛ أي: يستلب، ويؤخذ بسرعة.

الحسك: ـ بفتح الحاء والسين ـ، جمع حسكة، وهو شوك صلب معروف بمكة.

والمعنى: أنهم سألوا رسول الله ﷺ ما الجسر ـ وهو الصراط ـ، فأجابهم ببيان أوصافه أنه مخيف تزل أقدام فيه، وتخطف أخرى بالكلاليب التي تشبه الشوك المعروف لديهم في البادية في الصورة.

قوله: (فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب): أي: يمر المؤمنون على الصراط بسرعة إطباق جفن العين، والبرق والريح والطير والفرس السابق والإبل.

والمعنى: أنهم في مرورهم على الصراط متفاوتون في سرعة مرورهم على حسب أعمالهم؛ فمن بلغ الكمال في الإخلاص والعمل كان مروره كطرف العين، والذي يليه كالبرق، وهكذا.

(فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم): مكدوس: ـ بالسين ـ؛ أي: مدفوع، وتكدس الإنسان؛ إذا دفع من ورائه فسقط.

ويروى بالشين المعجمة: من الكدش، وهو السوق الشديد، والكدش: الطرد والجرح - أيضاً -.

والمعنى: أن الناس الذين يجوزون الصراط المنصُوب على ظهر جهنم ثلاثة أقسام:

الأول: يسلم فلا يناله شيء أصلاً.

والثاني: يخدش ثم يرسل، فيخلص.

والثالث: يكردس، ويلقى؛ فيسقط في جهنم.

قوله: (فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله، في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا، كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون): والمعنى: أقسم بالله - تعالى - ما منكم - أهل الإيمان - من أحدٍ يناشد لله في الدنيا في طلب حقه، وتحصيله من خصمه، والمعتدي عليه؛ بأشد من مناشدة المؤمنين لله - تعالى - في الشفاعة لإخوانهم الذين دخلوا بمعاصيهم. ومن تلك المناشدة قولهم: ربنا إنّ إخواننا الذين يعذبون في النار كانوا يصومون معنا، ويصلون . . . و. . . فاشفع لهم، وارحمهم بإخراجهم من النار، فنحن نتوسل إليك بهذا.

بعد ذلك النداء والدعاء يستجيب الله لهم؛ فيأمر الملائكة بإخراجهم، فيعرفونهم بعلامات المصلين حيث لا تحترق أماكن السجود، لا سيما علامة الوجه. فيخرجون من هؤلاء خلقاً كثيراً قد نالهم من العذاب ما وصل إلى كعبيه ونصف ساقيه، حتى يخرجوا جميع هذا الصنف من المؤمنين العصاة. فيرجعون إلى الله ويخبروه - وهو أعلم بحالهم -، ثم يأمرهم مراتٍ عديدة بإخراج من كان عنده أدنى أنواع الحسنات من غير المصلين، وفي كل مرة يخرجوا جميع من وصف به، حتى يصل الأمر إلى من في قلبه أدنى درجات الإيمان؛ وهو من في قلبه مثقال ذرة من خير فيخرج.

وكان أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - يُصدّق هذا الحديث ويقويه بالآية من سورة النساء.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]: والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ العادل المنزه عن الظلم، والجور لا يظلم، ولو بقدر أصغر ما يعرفه العرب، ولا يضاعفها؛ فالسيئة سيئة لا تكبر ولا تزيد، وأمّا الحسنة؛ فيقبلها؛ لأنه يحبها وأهلها، ويعطي المزيد عليها الأجر العظيم. وهذا من فضله.

قوله: (فيقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: شفعت الملائكة.... فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل).

قال القاضي عياض ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قيل معنى الخير هنا اليقين.

قال: والصحيح: أن معناه شيء زائد عن مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما هذا التجزؤ لشيء زائد عليه، من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب، من شفقة على مسكين، أو خوف من الله ـ تعالى ـ، ونية صادقة.

ويدل عليه قوله في الرواية الأخرى في الكتاب: «**يخرج من النار من قال: لا إلَه إلَّا الله، وكان في قلب من الخير ما يزن كذا**» ومثله الرواية الأخرى: «**يقول الله ـ تعالى ـ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط**». وفي الحديث الآخر: «**لأخرجن من قال: لا إلَه إلَّا الله**». قال القاضي: فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم، وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ دليلاً عليه. وتفرد الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان، وضرب بمثقال الذرة المثل لأقل الخير، فإنها أقل المقادير.

قال القاضي: وقوله ـ تعالى ـ: «**من كان في قلبه ذرة وكذا**» دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته نية، وفيه دليل على

زيادة الإيمان ونقصانه، وهو مذهب أهل السنَّة»[1].

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: نقل النووي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ كلام القاضي دون أدنى تعقب، وكان ينبغي أن ينبه على قوله: «لأن الإيمان هو التصديق لا يتجزأ» وهو كلام باطل؛ لأن الأعمال من الإيمان، وليس من ثمراته ومكملاته، وهو قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص، فالعمل من الإيمان، وداخل في مسماه، وركن في حدّه؛ كما فصلته في المقدمات.

قوله: (ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون لى الشمس أُصفير وأُخضير، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟): قال الحافظ: «وفيه تنبيه على أن ما يكون إلى الجهة التي تلي الجنة يسبق إليه البياض المستحسن، وما يكون منهم إلى جهة النار يتأخر النصوع عنه؛ فيبقى أصيفر وأخيضر إلى أن يتلاحق البياض، ويستوي الحسن، والنور، ونضارة النعمة عليهم». قال ابن أبي حمرة: «ويحتمل أن يشير بذلك إلى أن الذي يباشر الماء ـ يعني الذي يرش عليهم ـ يسرع نصوعه، وأن غيره يتأخر عنه النصوع؛ لكنه يسرع إليه، والله أعلم». اهـ.

قوله: (فقالوا: يا رسول الله! كأنك كنت ترعى بالبادية): أي: حيث عرفت كيف تنبت الحبة، ووفقت في هذا الوصف.

قوله: (قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدّموه): أمّا اللؤلؤ؛ فمعروف.

وأمّا الخواتم: فجمع خاتم ـ بفتح التاء وكسرها ـ، ويقال: خيتام وخاتام.

قال صاحب «التحرير»: «والمراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب، أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها.

ومعناه: تشبيه صفائهم، وتلألئهم باللؤلؤ، والله أعلم».

---

(١) «إكمال العلم» (٢/٨٢٥ ـ ٨٢٩).

بعد أن يمنُّ الله الكريم على عصاة هذه الأُمة الموحدين، وذلك بإخراجهم من النار، جعل علامة يعرفهم بها إخوانهم من أهل الجنة، يقول بعضهم لبعض: هؤلاء الذين دخلوا الجنة بلا عمل ظاهر من أعمال الجوارح من الأركان العملية والواجبات الشرعية؛ إلاّ التوحيد إقراراً ونطقاً.

قوله: (وزاد بعد قوله بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه): قال النووي: «هذا مما يسأل عنه فيقال: لم يتقدم في الرواية الأولى ذكره القدم، وإنما تقدم ولا خير قدموه؟ وإذا كان كذلك لم يكن لمسلم أن يقول: زاد بعد قوله: ولا قدم إذ لم يجر للقدم ذكر؟ وجوابه: أن هذه الرواية التي فيها الزيادة، وقع فيها: «ولا قدم» بدل قوله في الأولى: «خير قدموه»، إذ لم يجر له ذكر في هذه الرواية فقال: زاد بعد قوله: «ولا قدم قدموه»؛ أي: زاد بعد قوله في روايته: «ولا قدم قدموه».

واعلم أيها المخاطب أن هذه لفظة في روايته، وأن زيادته بعد هذا.

والقدم هنا بفتح القاف، والدال، ومعناه: الخير كما في الرواية الأخرى، والله أعلم».

قال الحافظ: «قرأت في «تنقيح الزركشيّ»: وقع هنا في حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ بعد شفاعة الأنبياء: «فيقول الله: بقيت شفاعتي، فيُخْرِج من النار مَن لم يعمل خيراً»، وتمسك به بعضهم في تجويز إخراج غير المؤمنين من النار، ورُدَّ بوجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة ضعيفةٌ؛ لأنها غير متّصلة، كما قال عبدالحق في «الجمع».

والثاني: أن المراد بالخير المنفيّ ما زاد على أصل الإقرار بالشهادتين، كما تدل عليه بقية الأحاديث، هكذا قال.

والوجه الأول غلط منه؛ فإن الرواية متصلةٌ هنا، وأما نسبة ذلك لعبدالحقّ؛ فغلطٌ على غلط؛ لأنه لم يقله إلا في طريق أخرى، وقع فيها: «أَخْرِجُوا من كان في قلبه مثقال حبة خَرْدل من خير»، قال: هذه الرواية

غير مُتَّصِلة، ولما ساق حديث أبي سعيد الذي في هذا الباب ساقه بلفظ البخاريّ، ولم يتعقبه بأنه غير مُتَّصِل، ولو قال ذلك؛ لتعقبناه عليه، فإنه لا انقطاع في السند أصلاً، ثم إن لفظ حديث أبي سعيد هنا، ليس كما ساقه الزركشيّ، وإنما فيه: «فيقول الجبّار بقيت شفاعتي، فيخرج أقواماً، قَدِ امْتَحَشُوا»، ثم قال في آخره: «فيقول أهل الجنة: هؤلاء عُتَقاء الرحمٰن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قَدَّموه»، فيجوز أن يكون الزركشيّ ذكره بالمعنى» ا.هـ.

قوله: (وليس في حديث الليث: فيقولون: «ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين» وما بعده، فأقرّ به عيسى بن حماد): وقال: أمّا قوله: «وما بعده» فمعطوف على فيقولون: ربنا؛ أي: ليس فيه فيقولون: «ربنا» ولا ما بعده.

وأمّا قوله: «فأقر به عيسى» فمعناه: أقر بقول له أولاً: أخبركم الليث بن سعد إلى آخره، والله أعلم.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب الإجابة: بنعم.

٢ ـ جواز استعمال المثال، والتشبيه في تقريب المسائل العلمية.

٣ ـ أنّ مؤذناً يؤذن بالخلائق يسمعون صوته، ويفهمون خطابه.

٤ ـ الجزاء من جنس العمل، وذلك أنّ كل عابد يأخذ أجره من عابده، ويتبعه في مصيره؛ كما تبعه في دنياه.

٥ ـ أنّ عبدة الأنصاب، والأصنام، والطواغيت وكل ما عبد من البشر من دون الله برضاه في النار.

٦ ـ من الشرك عبادة غير الله، ولو كان نبياً، أو ولياً.

٧ ـ اليهود والنصارى مشركون ليسوا بمؤمنين، وهذا من أعظم الأدلة التي تدحض فرية دعاة وحدة الأديان، الذين يعدون اليهود والنصارى من أهل الإيمان ـ عياذاً بالله ـ من الضلال والخسران.

٨ ـ أن عزيراً، وعيسى ابن مريم ليسا ابنين لله ـ تعالى ـ، ما اتخذ الله من صاحبة، ولا ولد.

٩ ـ بيان كذب اليهود والنصارى وافترائهم على الله ورسله وأوليائه.

١٠ ـ وبيان فضل التضرع والتذلل لله ـ تعالى ـ.

١١ ـ سؤال الله ـ تعالى ـ بالعمل الصالح.

١٢ ـ إثبات صفة الساق لله ـ تعالى ـ. وأنها ليست بأعجب من صفة اليد، والعين، والصورة، والوجه، وغيرها من صفات الله ـ ﷻ ـ.

١٣ ـ بيان هول الصراط، وما عليه من ابتلاء.

١٤ ـ يؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، متوسط بينهما يصاب، ثم ينجو، وكل قسم منها ينقسم أقساماً تعرف بقوله: «بقدر أعمالهم».

١٥ ـ بيان طلب المؤمنين من ربهم الشفاعة لإخوانهم الذين دخلوا النار بذنوبهم.

١٦ ـ وقوع الشفاعة وبيان أنواعها يوم القيامة للمؤمنين، والنبيين والمرسلين، وأعظمها شفاعة وأرحم الراحمين: رب العالمين.

١٧ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ لا يظلم مثقال ذرة.

١٨ ـ أن السيئات لا تضاعف؛ بخلاف الحسنات.

١٩ ـ أن كل موحد يخرج من النار.

٢٠ ـ أن أناساً يدخلون الجنة من غير عمل عملوه، ولا خير قدموه.

٢١ ـ أنّ العصاة من أهل الجنة الذين سبق عذابهم في النار يعرفون بالخواتم في رقابهم.

٢٢ ـ أن هؤلاء عتقاء الله من النار.

٢٣ ـ أنّ من أفضل ما أكرم الله به أهل الجنة أن رضي عنهم فلا يسخط أبداً.

٢٤ ـ دليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

٢٥ ـ أن تارك الصلاة تكاسلاً مقراً بها معترفاً بتقصيره راجياً رحمة ربه ليس بكافر الكفر الأكبر؛ بل هو من جملة العصاة أصحاب الكبائر؛ كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء.

وانظر تفاصيل هذه الجملة في كتاب شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «حكم تارك الصلاة»؛ فإنه نفيس.



قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ؛ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ؟**» قلْنَا: لا. وَسُقْتُ الْحَدِيثَ حَتَّى آخِرُهُ، وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «**بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيتم وَمِثْلُهُ مَعَهُ**».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ.

وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ: «**فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ وَمَا بَعْدَهُ**».

فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ رواية الليث: ساقها البخاري (**٧٤٣٩**): حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر، إذا كانت صحواً؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ، إلا كما تضارون في رؤيتهما**» ـ ثم قال ـ: «**ينادي منادٍ ليذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرّ أو فاجر، وغُبَّراتٍ من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تُعْرَض كأنها سرابٌ، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، حتى يبقى مَن كان يعبد الله من بَرّ أو فاجر، فيقال لهم: ما يَحْبِسُكم، وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم، ونحن أحوج منّا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: لِيَلْحَقْ كلُّ قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوّلَ مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كلُّ مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعةً، فيذهب كيما يسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً، ثم يُؤتى بالجسر، فيُجْعَل بين ظهري جهنم،** قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: **مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عليه خَطاطيف، وكَلاليب، وحَسَكَةٌ، مُفَلْطَحَةٌ، لها شوكة عُقَيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السَّعْدان، المؤمنُ عليها كالطَّرْف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ونَاجٍ مَخْدُوشٌ، ومَكْدُوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم**

يُسْحَبُ سَحْباً، فما أَنتم بأشدّ لي مناشدةً في الحقّ قد تبيّن لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نَجَوْا في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلّون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويُحَرِّم الله صورهم على النار، فيأتونهم، وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون مَن عَرَفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عَرَفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون مَن عَرَفوا.

قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، **فيشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امْتَحَشُوا، فيُلْقَون في نهر بأفواه الجنة، يقال له ماء الحياة، فَيَنْبُتون في حافتيه، كما تنبت الْحِبَّة في حَمِيل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، وإلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيُجعَل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمٰن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم، ومثله معه».**

٢ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقول أبي سعيد ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ: بلغني، هل له حكم الرفع؟

فالجواب: أن هذا عند العلماء يسمى بلاغاً، فهو يلحق بالمرفوع؛ لأن أبا سعيد ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ إذا قال: بلغني مستدلاً به، فلا بد أن يكون على أصل، ولهذا حكم بعضهم على مثل هذه الصيغة بأنها مرفوعة حُكماً، وأنها كقوله: يبلغ به، أو يرفعه أو ما أشبه ذلك.

فعلى القول بأنه مرفوع حكماً، فلا شك أنه قطعي، ويكون قوله: دَحَضٌ مزلة ليس صريحاً في أنه طريق واسع، ولو كان صريحاً لقلنا: إن

حديث أبي سعيد يؤول، فيقال: إنه في مشقته، أو في مشقة العبور عليه، كأنه أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف.

وأمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، ولا يقال: كيف يتصور أن الناس تمشي على شيء أدق من الشعر، وأحد من السيف؟!

ثم إن ظاهر النصوص أنه طريق واحد، يعني: ليست جسوراً ينفذ الناس من كل جسر، فالله أعلم، وعلينا أن نؤمن، ونقول: العلم عند الله»[١].

❋ غريب الحديث:

قوله: (وزاد بعد قوله: «بغير عمل عملوه، ولا قدم قدموه»): أي: زاد الليث على رواية حفص قوله: «فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه، قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف».

قوله: (فأقر به عيسى): أي: أقر بقوله له: أخبركم الليث بن سعد إلى آخره.



٣٠٣ ـ {...} وحدّثناه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَونٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْن أَسْلَمَ، بِإِسْنَادِهِمَا، نَحْوَ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ إِلَى آخِرِهِ. وَقَدْ زَادَ ونَقَصَ شَيْئاً.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قال النووي في «شرحه»: «قوله بإسنادهما يعني: بإسناد حفص بن ميسرة، وإسناد سعيد بن أبي هلال الراويين في الطريقين المتقدمين عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٤٤ ـ ٦٤٥).

ومراد مسلم - رحمه الله - أن زيد بن أسلم رواه عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري، ورواه عن زيد بهذا الإسناد ثلاثة من أصحابه: حفص بن ميسرة، وسعيد بن أبي هلال، وهشام بن سعد.

فأمّا روايتا حفص، وسعيد، فتقدمتا مبيَّنتين في الكتاب.

وأمّا رواية هشام: فهي من حيث الإسناد بإسنادهما، ومن حيث المتن نحو حديث حفص، والله - عز وجل - أعلم».

٢ - رواية هشام بن سعد: أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» (٢٤٨/١ - ٤٥٨/٢٤٩):

حدثنا أبو بكر عبدالله بن يحيى بن معاوية الطَّلْحيّ، ثنا عُبيد بن غَنّام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا جعفر بن عون، ثنا هشام بن سعد، ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قلنا: يا رسول الله، هل نَرَى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً، ليس فيها سحاب؟**»، قال: قلنا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً، ليس فيها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**ما تضارون في رؤيته يوم القيامة، إلا كما لا تضارون في رؤية أحدهما، إذا ان يومُ القيامة نادى مناد: ألا يَلْحَقُ كلُّ أمة بما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد صنماً، ولا وثناً، ولا صورةً إلا ذهبوا، حتى يتساقطوا في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده، من بَرّ وفاجر، وغُبَّرات أهل الكتاب، ثم تُعْرَض جهنم، كأنها سراب يَحْطِم بعضُها بعضاً، ثم يُدْعَى اليهود، فيقول: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: عزيراً ابن الله، فيقول: كذبتم، ما اتخذ الله صاحبةً ولا ولداً، فماذا تريدون؟ قال: فيقولون: أي ربنا ظَمِئنا، فيقول: ألا تَرِدون؟ فيذهبون حتى يتساقطوا في النار، قال: ثم يُدْعَى النصارى، فيقول: ماذا كنتم تعبدون؟ فيقولون: المسيح ابن الله، فيقول: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا ظَمِئنا، فاسْقنا، فيقول: أفلا تَرِدون؟ فيذهبون حتى يتساقطوا في النار، فيبقى مَن كان يعبد الله من بَرّ وفاجر، ثم يَتَبَدَّى الله في صورة غير صورته التي**

رأيناه فيها أوّل مرة، فيقول: يا أيها الناس، لَحِقَت كلُّ أمة بما كانت تعبد، وبقيتم، فلا يُكَلِّمه يومئذ إلا الأنبياء، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا، وكنا إلى صحبتهم أحوج، لَحِقَت كلُّ أمة بما كانت تعبد، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نَعْبُد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول: هل بينكم وبين الله من آية تعرفونها؟ فيقولون: نعم، فيَكْشِف عن ساق، فنخرّ سُجَّداً أجمعون، ولا يبقى أحدٌ كان يسجد في الدنيا سمعةً ولا رياءً، ولا نفاقاً إلا على ظهره طبقاً واحداً، كلما أراد أن يسجد خَرّ على قفاه، ثم يَرْفَعُ بَرَّنَا ومُسِيئنا، وقد عاد لنا في صورته التي رأيناه فيها أوّل مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعم، أنت ربنا، ثلاث مرات، ثم يُضْرَب الجسر على جهنم»، قال: قلنا: وما الجسر؟ يا رسول الله، بأَبينا أنت وأُمِّنا، قال: «دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، له كَلاليب وخَطاطيف، وحَسَكٌ، يكون بنجد عُقَيفَاء، يقال له: السَّعْدان، فيَمُرُّ المؤمنون كلمح البرق، وكالطَّرْف، وكالريح، وكالطير، وكأجود الخيل والراكب، فناجٍ مرسلٌ، ومخدوشٌ مرسلٌ، ومكدوس في نار جهنم، والذي نفسي بيده، ما أحدكم بأشدّ مناشدةً في الحق يراه مسألة المؤمنين في إخوانهم، إذا رأوا أن قد خَلَصوا من النار، يقولون: أي ربنا إخواننا كانوا يصلّون معنا، ويصومون معنا، ويحجّون معنا، ويُجاهدون معنا، قد أخذتهم النار، فيقول: اذهبوا، فمن عَرَفتم صورته، فأخرجوه، وتُحَرَّم صورهم على النار، فيجدون الرجلَ قد أخذته النار إلى قدميه، وإلى أنصاف ساقيه، وإلى ركبتيه، وإلى حِقْويه، فيُخرجون منها بشراً كثيراً، ثم يعودون، فيتكلمون، فيقول: اذهبوا فما وجدتم في قلبه مثقال قِيراط خير، فأخرجوه، فيخرجون منها بشراً كثيراً، ثم يعودون، يتكلمون، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه نصف قيراط خير، فأخرجوه، فيخرجون منها بشراً كثيراً، ثم يعودون، فيتكلمون، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة، فأخرجوه، قال: وكان أبو سعيد إذا حَدّث بهذا الحديث قال: إن لم تُصَدِّقوني، فاقرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، فيقولون: ربنا لم نَذَر فيها خيراً، فيقول: هل بقي إلا أرحم الراحمين؟ فيقول: قد شفعت

الملائكة، والأنبياء، وشفع المؤمنون، فهل بقي إلا أرحم الراحمين؟ قال: فيأخذ قبضة من النار، فيَخْرُجُ قوماً قد عادوا حُمَمَةً، لم يعملوا خيراً قط، فيُطرحون في نهر الجنة، يقال له: نهر الحياة، فينبتون فيه ـ والذي نفسي بيده ـ كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل، ألم تروها وما يليها من الظل أُصَيفر، وما يليها من الشمس أُخيضر؟ قال: قلنا: يا رسول الله كأنك كنت في الماشية، قال: **فينبتون كذلك،** قال: **فيخرجون أمثال اللؤلؤ، فيُجْعَل في رقابهم الخواتيمُ، ثم يرسلون في الجنة، فهؤلاء الجهنميون، هؤلاء الذين أخرجهم الله من النار بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، فيقول الله ـ ﷻ ـ: من وجدتم؟ فيأخذون حتى ينتهون، ثم يقولون: لو يعطينا الله ما أخذنا، فيقول الله ـ ﷻ ـ: فأنا أعطيكم أفضل ما أخذتموه، فيقولون: يا ربنا، وما أفضل ما أخذنا؟ فيقول: رضواني، فلا أسخط».**

٣ ـ **قوله (وقد زاد ونقص شيئاً)**: أي: هشام بن سعد زاد في روايته على حفص وسعيد بن أبي هلال بعض الزيادات، ونقص منها بعضاً:

قال شيخنا ابن العثيمين:

«وهذا هو الغالب في الأحاديث الطويلة، أنها يقع فيها زيادة ونقص من الرواة، أو تغيير كلمة، أو تقديم أو تأخير، لا سيما الذين يحدثون من حفظهم؛ لأن الإنسان بشر، وتعتريه أحوال تقتضي نسيانه بعض ما روى، وما أشبه ذلك، ولكن كل هذا لا يضر؛ لأن العمدة على الأصل»(١).

ومما زاده ونقص:

ـ زاد قوله: «ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً» بعد قوله: «وغبرات أهل الكتاب».

ـ قوله: «فنخر سجداً أجمعون» بعد قوله: «فيكشف عن ساقه.

ـ وقوله: ثلاث مرات» بعد قوله: «فيقولون: نعم، أنت ربنا».

ـ وقوله: «بأبينا أنت وأمنا» بعد قوله: «وما الجسر يا رسول الله؟».

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٤٤).

ـ وقوله: «ويُجاهدون معنا» بعد قوله: «ويحجون معنا».

ـ وقوله: «وإلى حِقْويه» بعد قوله: «وإلى ركبتيه».

ـ وقوله: «إذا حَدّث بهذا الحديث» بعد قوله: «وكان أبو سعيد».

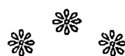
ـ وقوله: «والذي نفسي بيده» بعد قوله: «فينبتون».

ـ وقوله: «فيأخذون حتى ينتهون» بعد قوله: «خذوا فلكم ما أخذتم».

ـ ومما نقصه: قوله: «لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب» بعد قوله: نعوذ بالله منك».

ـ وقوله: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار» بعد قوله: «ومكدوس في نار جهنم».

ـ ومما غيّره قوله: «مثقال قِيراط خير» بدل قوله: «مثقال دينار من خير».



٨٣ ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار

٣٠٤ ـ {١٨٤} وحدثني هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ؛ قَال: أَخْبَرَنِي مَالكُ بْنُ أَنسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يُدْخِلُ الله أَهْلَ الجَنَّة الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوه، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا حُمماً قَدِ امْتَحَشُوا فَيُلقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ أَوِ الحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلتَوِيَةً**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيخه وابن وهب، فمصريان.

٣ ـ فيه رواية الابن عن أبيه.

٤ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٢٢ و٤٥٨١ و٦٥٦٠).

✲ غريب الحديث:

قوله: (... مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه): الحبة: ـ بفتح الحاء ـ هو إشارة إلى ما لا أقل منه، قال الخطابي: هو مثل؛ ليكون عياراً في المعرفة لا في الوزن؛ لأن ما يشكل في المعقول يرد إلى المحسوس؛ ليفهم.

والمراد بحبة الخردل هنا: ما زاد من الأعمال على أصل التوحيد؛ لقوله في الرواية الأخرى: «**أخرجوا من قال: لا إلّه إلاَّ الله، وعمل من الخير ما يزن ذرة**».

قوله: (فيلقون في نهر الحياة أو الحيا...): الحيا: هنا مقصور؛ وهو: المطر، سمي: حيا؛ لأن الأرض تحيا به.

ولذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون، وتحدث فيهم النضارة؛ كما يحدث ذلك المطر في الأرض.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الله جعل للجنة أهلاً وللنار أهلاً.

٢ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يدخل أهل الجنة الجنة برحمته.

٣ ـ إثبات صفة المشيئة لله ـ ﷻ ـ.

٤ ـ دليل صريح صحيح على زيادة الإيمان ونقصه.

٥ ـ فيه دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب، وصحبته النية.

٦ ـ أنه لا يبقى من أهل التوحيد أحدٌ في النار أبداً.

٧ ـ بيان فضل وأثر هذا الماء المبارك.

٨ ـ وفيه رد على المرجئة حيث زعموا: أن المعاصي لا تضر مع الإيمان، وعلى المعتزلة في أنّ المعاصي موجبة للخلود.

٩ ـ فيه تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

١٠ ـ فيه دليل أن الأعمال من الإيمان؛ لقوله: «حبة خردل من إيمان» والمراد ما زاد على أهل التوحيد.

١١ ـ إثبات الشفاعة وهو ما أجمع عليه أهل الحق من أهل السنَّة والجماعة، وهو ما أنكره أهل البدع والأهواء، ولقد تكاثرت الأحاديث في الشفاعة حتى وصلت حدّ التواتر؛ لأنه وقعت المعركة فيه بين أهل السنَّة من جهة والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى، فالسلف الصالح يرون أن الشفاعة تنفع في أهل النار من أهل الكبائر، وأما الخوارج والمعتزلة فلا يرون أن الشفاعة تنفع فيهم؛ لأنهم كفار.

ولذلك أكثر نقلة الأحاديث من نقل أحاديث الشفاعة رداً على هؤلاء المبتدعة، وتقريراً لما أصَّلَه أهل السنَّة والجماعة في هذا الباب.

١٢ ـ دل الحديث أن الشفعاء يعلمون ما في قلوب الذين في النار، وهذا وإن كان من أمور الغيب؛ فإن الله إذا أراد شيئاً كان، ويدل عليه قوله: «انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه»، فلا بد أن يعرفوا ذلك، وإن كانت أعمال القلوب من أمور الغيب.



٣٠٥ ـ {...} وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ (ح) وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ، كِلاهُمَا، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَقَالا: **«فَيُلقَوْنَ فِي نَهَر يُقَال لَهُ: الحَيَاةُ»** وَلَمْ يَشُكَّا. وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ: **«كَمَا تَنْبُتُ الغُثَاءَةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ»** وَفِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: **«كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حمِئةٍ أَوْ حَمِيلةِ السَّيْلِ»**.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (كلاهما)**: أي: وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي وخالد بن عبدالله الطحان.

٢ ـ **قوله: (بهذا الإسناد)**: أي: بإسناد عمرو بن يحيى بن عمارة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري.

٣ ـ رواية وهيب: ساقها البخاري في «صحيحه» (٦٥٦٠):

حدثنا موسى، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدريّ ـ رضي الله عنه ـ، أن النبيّ ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه، فيُخْرَجون قد امْتَحَشُوا، وعادوا حُمَماً، فيُلْقَون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الْحِبّة في حَمِيل السيل**، أو قال: **حَمِية السيل»**، وقال النبيّ ﷺ: **«ألم تَرَوْا أنها تَنْبُتُ صفراء مُلْتَوِيَةً؟»**.

وأما رواية خالد الطحّان؛ فقد ساقها ابن منده في «الإيمان» (٢/٨٠٧/٨٢٣):

وأنبأ محمد بن عبيدالله بن أبي رجاء، ثنا موسى بن هارون، ثنا وهب بن بقية، ثنا خالد بن عبدالله، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال الله برحمته: انظُروا من كان في قلبه حبة خردل من إيمان، فأخرجوه من النار، قال: فأُخرجوا قد عادوا حُمَماً، فيُلْقَون في نهر يسمى نهر الحياة، فيَنْبُتُون كما تنبت الْغُثَاءة في جانب السيل، ألم تَروا أنها تأتي صفراء ملتويةً؟»**.

٤ ـ **قوله: (ولم يشكّا)** أي: وهيب وخالد لم يشكا كما شك مالك بن أنس، فقال: «في نهر الحياة أو الحيا».

* غريب الحديث:

قوله: (كما تنبت الغثاءة): ـ بضم الغين المعجمة، وبالثاء المثلثةِ المخففة، وبالمد وآخره هاء ـ وهو: كل ما جاء به السيل.

وقيل: المراد ما احتمله السيل من البذور.

وجاء في غير مسلم **«كما تنبت الحبة في غثاء السيل»**: بحذف الهاء من آخره، وهو ما احتمله السيل من الزبد، والعيدان، ونحوهما من الأقذار.

قوله: (كما تنبت الحبة في حمئة أو حملة السيل): أمّا الأول: فهو حمئة - بفتح الحاء وكسر الميم وبعدها همزة -، وهي: الطين الأسود الذي يكون في أطراف النهر.

وأمّا الثاني؛ فهو: حميلة، وهي واحدة الحميل المذكور في الروايات الأُخر، بمعنى المحمول، وهو الغثاء الذي يحتمله السيل، والله أعلم. قاله النووي.



٣٠٦ - {١٨٥} وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ - يَعْنِي ابْنُ المُفَضَّلِ - عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلا يَحْيَوْنَ، وَلكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ** - أَوْ قَالَ: **بِخَطَايَاهُمْ** - **فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحماً، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِر، فَبُثُّوا عَلى أَنْهَارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قِيل: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**». فَقَال رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ كَانَ بِالبَادِيَةِ.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ - من خماسيات المصنف - رحمه الله -.

٢ - مسلسل بالبصريين غير صحابيه؛ فمدني.

٣ - حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - هذا - من أفراد مسلم.

٤ ـ بيان الأمانة العلمية في النقل دون زيادة؛ فقوله: يعني ابن المفضل، يريد أنّ شيخه نصر لم يقلها، وإنما هو الذي قالها؛ لأُبين من هو بشر.

❋ غريب الحديث:

قوله: (أمّا أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون): قال النووي في «شرحه» «معنى هذا الحديث: أنّ الكفار الذين هم أهل النار، والمستحقون للخلود لا يموتون فيها، ولا يحيون حياة ينتفعون بها، ويستريحون معها، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٢٦]، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣] وهذا جار على مذهب أهل الحق: أنّ نعيم أهل الجنة دائم، وأنّ عذاب أهل الخلود في النار دائم».

قوله: (ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال: **بخطاياهم ـ فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً)**.

قال النوويّ في «شرحه»: وأما قوله ﷺ: «**ولكن ناس أصابتهم النار**. . .إلخ»: معناه: أن المذنبين من المؤمنين يُميتهم الله تعالى إماتةً بعد أن يُعَذّبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقيةٌ، يَذْهَب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يُميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدّة التي قدَّرها الله تعالى، ثم يَخرُجون من النار موتى، قد صاروا فَحْماً، فَيُحْمَلون ضَبَائر كما تُحْمَل الأمتعة، ويُلْقَون على أنهار الجنة، فيُصَبّ عليهم ماءُ الحياة، فيَحْيَون، ويَنبُتون نَبَاتَ الْحِبّة في حَمِيل السيل، في سرعة نباتها وضعفها، فتَخْرُج لضعفها صَفْراء مُلْتَويةً، ثم تشتدّ قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم، وتَكْمُلُ أحوالهم، فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه.

وحَكَى القاضي عياض ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فيه وجهين: أحدهما: أنها إماتة حقيقيةٌ، والثاني: ليس بموت حقيقيّ، ولكن يَغِيب عنهم إحساسهم بالآلام،

قال: ويجوز أن تكون آلامهم أخَفّ، فهذا كلام القاضي، والمختار ما قدمناه».

قوله: (أُذن بالشفاعة): أي: أذن الله تعالى للملائكة والأنبياء والصالحين أن يشفعوا في عصاة الموحدين.

قوله: (فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة! أفيضوا عليهم): ضبائر: جمع ضبارة، وهم الجماعات في تفرقة، وكل مجتمع ضبارة.

والمعنى: أنّ الملائكة أحضرت عصاة الموحدين من النار، وهم جماعات جماعات بعد أن احترقوا إلى حدِّ التفحيم، فأدخلوا الجنة، ووضعوا بالقُرب من الأنهار؛ ليتصدق عليهم أهلها بإفاضة الماء عليهم؛ لينبتوا كالحب من الزرع.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ أهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمنافقين مخلدون فيها لا يخرجون، وكذلك أهل الجنة.

٢ ـ أن أهل النار الذين حكم الله بخلودهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولا منافاة بين النفيين، وذلك أنهم لا يموتون ميتة يستريحون فيها، ولا يحيون حياة يسعدون بها، بل هم ـ عياذاً بالله ـ لا أحياء ولا أموات، ويتمنون أن يموتوا: ﴿وَنَادَوْا يَمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

٣ ـ أنّ العصاة من هذه الأُمة ذا عذبوا بقدر أعمالهم في النار خرجوا منها.

٤ ـ أنّ المعاصي تختلف، فمنها: الكفر، ومنها: الكبيرة، ومنها: الصغيرة.

٥ ـ أن عصاة الموحدين إذا دخلوا النار رحمهم الله مرتين بأن يميتهم

حتى يصيروا حمماً لا يحسون بألمها وشدة عذابها، ثم يدخلهم الجنة بشفاعة الشافعين، ورحمة رب العالمين.

٦ ـ أنّ الآخرة حياة لا موت فيها.

٧ ـ أنّ أهل الجنة يحسنون إلى العصاة مراراً وتكراراً في الدنيا والآخرة، وفي الآخرة الشفاعة، وإفاضة الماء عليهم.

٨ ـ أنّ المرء ينسب للبيئة التي يعيش بها؛ لمعرفته لها ووصف ما فيها.

٩ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«في قول الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ: كأن النبي ﷺ قد كان بالبادية! ثم سكت ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فهل هذا إقرار، أو كراهة لما قالوا؟

الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه إقرار، مع سعة صدر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وإلا لو كان ممن يرى نفسه من الناس، ما رضي بهذا القول، كيف يأتي رجل فيصف الحبة إذا خرجت ـ أول ما تخرج ـ فيقال له: كأنك بالبادية؟! لكن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتسع صدره لهذا، وهو ﷺ قد كان يرعى الغنم، ويعرف شجر البادية، ويعرف كيف تخرج، أول ما تخرج.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون واسع الصدر؛ لأن أغلب الناس الذين تضيق صدورهم بما يصنع الناس بهم، غالبهم دون مستوى الأحداث، أما من كان فوق مستوى الأحداث، ورأى نفسه بمكان يربأ بنفسه أن ينزل، فهو لا يهمه أن يقال له مثل هذا القول، وما أشبه ذلك»[1].

١٠ ـ فيه دليل لمن قال بفناء نار الموحدين كابن تيمية وابن قيم الجوزية ـ رحمهما الله ـ، ويدل عليه قوله: «أما أهل النار الذين هم أهلها» إذن فهناك فيها من ليس من أهلها الخالدين فيها، ثم بينه بأنهم عصاة الموحدين فإذا خرجوا منها؛ فلا معنى لبقائها هذا الذي أراده شيخا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وقد صرح بذلك ابن قيم الجوزية فقال: «ولما كان

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٤٩ ـ ٦٥٠).

الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة:

دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة؛ فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر أعمالهم أخرجوا من النار، فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض»(١).

وأما الرد على شبهات القائلين بفناء النار؛ فقد أتى عليها الأمير الصنعاني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في كتابه «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار»، وزادتها حسناً تحقيقات شيخنا الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

١١ ـ فيه رد على الخوارج والمعتزلة الذين يحكمون بخلود أهل الكبائر، وأنهم لا يخرجون من النار أبداً، وينكرون الشفاعة.



٣٠٧ ـ {...} وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ؛ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، إِلى قَوْلِهِ: «**فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.



➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه بيان سماع أبي مسلمة من أبي نضرة.

٢ ـ فيه بيان أن رواية شعبة موافقة لرواية بشر بن المفضل؛ إلا أنه خالفه في اختصار الحديث.

---

(١) «الوابل الصيب» (ص٤٢ ـ ٤٣).

٣ ـ رواية شعبة: أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» **(٤٦٣/٢٥٢/١)**.

حدثني أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، نا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي مَسْلَمة، قال: سمعت أبا نضرة، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إن أهل النار الذين هم أهل النار، لا يموتون فيها، ولا يحيون، ولكنها تُصِيب قوماً بذنوبهم، أو خطاياهم، حتى إذا صاروا فَحْماً، أُذِن في الشفاعة، فيَخرُجون ضَبَائر، فيُلْقَون على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة أهريقوا عليهم من الماء، فَيَنْبُتون كما تَنبُت الْحِبّة في حميل السيل**».

تكميل لكل نبيل:

قال القاضي عياض ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «مذهب أهل السنَّة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طـه: ١٠٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأمثالهما، وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف، ومن بعدهم من أهل السنَّة عليها، ومَنَعَت الخوارج، وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وبقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات؛ فباطل، وألفاظ الأحاديث في «صحيح مسلم» وغيره صريحة في بطلان مذهبهم، وأنها في المذنبين، وفي إخراج مَنِ استوجب النار، لكن الشفاعة بمجموعها على خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ، وهي الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه وردت أيضاً لنبينا ﷺ.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيَشْفَع فيهم النبيّ ﷺ، ومن شاء الله تعالى.

الرابعة: فيمن دَخَل النار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبيّنا ﷺ، والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كلَّ من قال: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث، حتى لا يبقى فيها إلا الكافرون، ومن حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود، كما جاء في الحديث.

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة، ولا ينكرون أيضاً شفاعة الحشر الأَوّل.

وقد عُرِف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح - رضي الله عنهم - شفاعة نبيّنا ﷺ، ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يُلْتَفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه الله شفاعة محمد ﷺ؛ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات، ثم كلُّ عاقل معترف بالتقصير، محتاج إلى العفو، غير مُعْتَدٍّ بعمله، مُشفق من أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائلَ أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة؛ لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كله خلاف ما عُرِف من دعاء السلف والخلف»[1] ا. هـ.

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: إن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم، ويحدّثون بما سمعوا من النبيّ ﷺ في ذلك، فأخرج البيهقيّ في «البعث» من طريق شَبِيب بن أبي فَضَالة: ذَكَروا عند عمران بن حصين - رضي الله عنهما - الشفاعة، فقال رجل: إنكم لتحدثوننا بأحاديث لا نجد لها في القرآن أصلاً، فغَضِب، وذكر له ما معناه: إن الحديث يُفسِّر القرآن.

---

(١) «إكمال العلم» (٢/٨٢١ - ٨٢٦).

وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح، عن أنس ـ ﵁ ـ قال: «**مَن كَذَّب بالشفاعة، فلا نصيب له فيها**».

وأخرج البيهقيّ في «البعث» من طريق يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس ـ ﵄ ـ: خَطَب عمر ـ ﵁ ـ، فقال: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يُكَذِّبون بالرجم، ويكذبون بالدّجّال ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار. ومن طريق أبي هلال، عن قتادة قال: قال أنس: يخرج قوم من النار، ولا نُكَذِّب بها كما يكذب بها أهل حَرُوراء ـ يعني: الخوارج ـ.

قال ابن بطال: أنكرت المعتزلة، والخوارج الشفاعة في إخراج مَن أُدخل النار من المذنبين، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وغير ذلك من الآيات، وأجاب أهل السنّة: بأنها في الكفار، وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترةً، ودَلّ عليها قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: **٧٩**]، والجمهور على أن المراد به الشفاعة، وبالغ الواحديّ، فنقل فيه الإجماع، ولكنه أشار إلى ما جاء عن مجاهد، وزَيَّفَهُ، وقال الطبريّ: قال أكثر أهل التأويل: المقام المحمود هو الذي يقومه النبيّ ﷺ ليريحهم من كَرْبِ الموقف، ثم أَخرَج عِدّة أحاديث في بعضها التصريح بذلك، وفي بعضها مُطْلَق الشفاعة.

فمنها حديث سلمان ـ ﵁ ـ قال: «فيُشَفِّعه الله في أمته، فهو المقام المحمود»، ومن طريق رِشْدين بن كُرَيب، عن أبيه، عن ابن عباس ـ ﵄ ـ: «المقام المحمود: الشفاعة»، ومن طريق داود بن يزيد الأوديّ، عن أبيه، عن أبي هريرة ـ ﵁ ـ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: **٧٩**] قال: سئل عنها النبيّ ﷺ، فقال: هي الشفاعة، ومن حديث كعب بن مالك ـ ﵁ ـ رفعه: «**أكون أنا وأمتي على تلّ، فيكسوني ربي حُلّةً خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود**»، ومن طريق يزيد بن زريع، عن قتادة: ذُكِر لنا أن نبي الله ﷺ أول شافع،

وكان أهل العلم يقولون: إنه المقام المحمود، ومن حديث أبي مسعود - ﷺ - رفعه: «**إني لأقوم يوم القيامة المقام المحمود، إذا جيء بكم حُفَاةً عُرَاةً،** وفيه: **ثم يكسوني ربي حُلّةً، فألبسها، فأقوم عن يمين العرش مقاماً لا يقومه أحدٌ، يغبطني به الأولون والآخرون**»، ومن طريق ابن أبي نَجِيح عن مجاهد: «المقام المحمود: الشفاعة»، ومن طريق الحسن البصري مثله، قال الطبريّ: وقال ليث، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: يُجلسه معه على عرشه، ثم أسنده، وقال: الأول أولى على أن الثاني ليس بمدفوع، لا من جهة النقل، ولا من جهة النظر.

وقال ابن عطية: هو كذلك إذا حُمِلَ على ما يليق به، وبالغ الواحدي في رَدّ هذا القول، وأما النّقّاش فنقل عن أبي داود، صاحب «السنن» أنه قال: من أنكر هذا فهو مُتَّهَمٌ، وقد جاء عن ابن مسعود - ﷺ - عند الثعلبيّ، وعن ابن عباس - ﷺ - عند أبي الشيخ، وعن عبدالله بن سلام - ﷺ - قال: «إن محمداً يوم القيامة على كرسيّ الربّ بين يدي الربّ»، أخرجه الطبريّ.

فيحتمل أن تكون الإضافة إضافة تشريف، وعلى ذلك يُحْمَل ما جاء عن مجاهد وغيره.

والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، لكن الشفاعة التي وَرَدت في الأحاديث المذكورة في المقام المحمود نوعان:

الأول: العامّة في فصل القضاء.

والثاني: الشفاعة في إخراج المذنبين من النار، وحديث سلمان الذي ذكره الطبريّ أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً، وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد والترمذيّ، وحديث كعب أخرجه ابن حبان، والحاكم، وأصله في مسلم، وحديث ابن مسعود أخرجه أحمد، والنسائيّ، والحاكم، وجاء فيه أيضاً عن أنس، وعن ابن عمر، وعن جابر عند الحاكم من رواية الزهريّ، عن علي بن الحسين عنه، واختُلِف فيه على الزهريّ، فالمشهور عنه أنه من

مرسل علي بن الحسين، كذا أخرجه عبد الرزاق، عن معمر، وقال إبراهيم بن سعد، عن الزهريّ، عن عليّ، عن رجال من أهل العلم. أخرجه ابن أبي حاتم، وحديث جابر في ذلك عند مسلم من وجه آخر عنه، وفيه عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه عند ابن مردويه، وعنده أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص، ولفظه: سئل النبيّ ﷺ عن المقام المحمود، فقال: «هو الشفاعة»، وعن أبي سعيد عند الترمذيّ، وابن ماجه.

وقال الماوردي في «تفسيره»: اختُلِف في المقام المحمود على ثلاثة أقوال، فذكر القولين: الشفاعة والإجلاس، والثالث: إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة، قال القرطبيّ: هذا لا يغاير القول الأول، وأثبت غيره رابعاً، وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، عن سعيد بن أبي هلال، أحدِ صغار التابعين أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل، فيغبطه بمقامه ذلك أهلُ الجمع، قال الحافظ: وخامساً، هو ما اقتضاه حديث حُذيفة ـ رضي الله عنه ـ وهو ثناؤه على ربه، ولكنه لا يغاير الأول أيضاً، وحَكَى القرطبي سادساً، وهو ما اقتضاه حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد، والنسائيّ، والحاكم، قال: «**يشفع نبيكم رابعَ أربعة: جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى، أو عيسى، ثم نبيكم، لا يشفع أحدٌ في أكثر مما يشفع فيه...**» الحديث، وهذا الحديث لم يُصَرَّح برفعه، وقد ضعفه البخاريّ، وقال: المشهور قوله ﷺ: «**أنا أول شافع**». قال الحافظ: وعلى تقدير ثبوته، فليس في شيء من طرقه التصريح بأنه المقام المحمود، مع أنه لا يغاير حديث الشفاعة في المذنبين، وجَوّز المحب الطبري سابعاً، وهو ما اقتضاه حديث كعب بن مالك، فقال بعد أن أورده: هذا يشعر بأن المقام الشفاعة، ثم قال: ويجوز أن تكون الإشارة بقوله: «**فأقول**» إلى المراجعة في الشفاعة، قال الحافظ: وهذا هو الذي يتجه، ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامّة، فإن إعطاءه لواء الحمد، وثناءه على ربه، وكلامه بين يديه، وجلوسه على كرسيه، وقيامه أقرب من جبريل، كلُّ ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه؛ ليُقْضَى بين الخلق، وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار، فمن توابع ذلك.

واختُلِف في فاعل الحمد من قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فالأكثر على أن المراد به أهلُ الموقف، وقيل: النبيّ ﷺ، أي أنه هو يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل، والأول أرجح؛ لما ثَبَت من حديث ابن عمر بلفظ: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمده أهل الجمع كلهم، ويجوز أن يُحْمَل على أعمّ من ذلك: أي مقاماً يحمده القائم فيه، وكل مَن عرفه، وهو مطلق في كل ما يَجْلِب الحمد، من أنواع الكرامات، واستَحْسَن هذا أبو حيان، وأيّده بأنه نكرةٌ، فدَلّ على أنه ليس المراد مقاماً مخصوصاً.

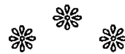
وقال ابن بطال: سَلَّم بعضُ المعتزلة وقوع الشفاعة، لكن خَصّها بصاحب الكبيرة الذي تاب منها، وبصاحب الصغيرة الذي مات مصرًّا عليها.

وتُعُقِّب بأن من قاعدتهم: أن التائب من الذنب لا يُعَذَّب، وأن اجتناب الكبائر يُكَفِّر الصغائر، فيلزم قائله أن يخالف أصله.

وأُجيب بأنه لا مغايرة بين القولين؛ إذ لا مانع من أن حصول ذلك للفريقين إنما حصل بالشفاعة، لكن يحتاج مَن قَصرها على ذلك إلى دليل التخصيص، وقد ثبت قوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، ولم يخص بذلك من تاب.

وقال عياض: أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة في الإراحة من كرب الموقف، وهي الخاصة بنبينا ﷺ، والشفاعة في رفع الدرجات، وأنكرت ما عداهما.

وفي تسليم المعتزلة الثانية نظرٌ»[١].



(١) «فتح الباري» (١١/٤٢٦ ـ ٤٢٨).

٨٤ ـ باب آخر أهل النار خروجاً

٣٠٨ ـ {١٨٦} حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الحَنْظَلِيُّ؛ كِلاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ؛ قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عبيدَةَ، عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهل النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيَقُول الله ـ تَبارَكَ وَتَعَالَى ـ لهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِليْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُول: يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ الله ـ تبَارَكَ وَتَعَالى ـ لهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ**». قَالَ: «**فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُول: يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ الله لهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لك مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا**». قَالَ: «**فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي ـ أَوْ أَتَضْحَكُ بِي ـ وَأَنْتَ المَلِكُ؟**». قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُول الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلةً.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥٠/٨٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخه إسحاق؛ فمروزي ثم نيسابوري.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: إبراهيم بن يزيد النخعي عن عَبيدة بن عمرو السلماني.

٤ ـ **قوله: (كلاهما)** قال النووي: «وقع في معظم النسخ «كليهما» بالياء ووقع في بعضها «كلاهما» بالألف مصلحاً، وقد قدمت في الفصول في أول الكتاب بيان جوازه بالياء».

وجهه بالياء أن يكون مفعولاً لفعل مقدر؛ أي: أعني كليهما، ويمكن أن يقرأ بالألف وإن كان مكتوباً بالياء؛ لأجل الإمالة.

٥ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ ﷺ ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري **(٦٥٧١ و٧٥١١)**.

✲ غريب الحديث:

قوله: (رجل يخرج من النار حبواً) ـ حبواً بمهملة وموحدة ـ؛ أي: زحفاً وزنه ومعناه؛ وهو: المشي على اليدين والرجلين، ومن العلماء مَنْ فرق بين الحبو والزحف.

قال النووي: «قال أهل اللغة: الحبو: المشي على اليدين والرجلين، وربما قالوا: على اليدين والركبتين، وربما قالوا: على يديه ومقعدته، وأما الزحف؛ فقال ابن دريد وغيره: هو المشي على الإست مع إفراشه بصدره، فحصل من هذا أن الحبو والزحف متماثلان أو متقاربان، ولو ثبت اختلافهما حمل على أنه في حال يزحف وفي حال يحبو».

قوله: (فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى..): ملأى: من الإمتلاء، وهو الاستيفاء والكمال، يقال: ملأت الإناء أملؤه ملأً، والملءُ الاسم.

والمعنى: أني ذهبت إلى الجنة حيث أمرتني لم أجد لي مكاناً فيها، فهي قد امتلأت بأهلها، وذلك فيما يخيل إليه، وليس على الحقيقة.

قوله: (اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها): أي: في سعتها. والمعنى: لك زيادة عليها في الكمية والكيفية، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالمؤمن لما ترك الدنيا جوزي بمثلها عدلاً، وعشرة أضعافها فضلاً.

قوله: (أو إن لك عشرة أمثال الدنيا): الشك من الراوي. وفي رواية الأعمش الآتية: (فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم،

فيقال له: تمن فيتمنى، فيقال له: لك الذي تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا».

قال النووي:

قوله: «فيقول الله تعالى له: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»، وفي الرواية الأخرى: «لك الذي تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا»، هاتان الروايتان بمعنى واحد، وإحداهما تفسير للأخرى، فالمراد بالأضعاف الأمثال؛ فإن المختار عند أهل اللغة: أن الضعف المثل، وأما قوله ﷺ في الرواية الأخرى في الكتاب: «فيقول الله تعالى: أيُرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟»، وفي الرواية الأخرى: «أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك، وعشرة أمثاله»، فهاتان الروايتان لا تُخالفان الأُوليين، فإن المراد بالأولى من هاتين أن يقال له أوّلاً: لك الدنيا ومثلها، ثم يزاد إلى تمام عشرة أمثالها، كما بيّنه في الرواية الأخيرة، وأما الأخيرة؛ فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا، لا ينتهي ملكه إلى جميع الأرض، بل يَمْلِك بعضاً منها، ثم منهم من يَكْثُر البعض الذي يملكه، ومنهم من يَقِلّ بعضه، فيُعْطَى هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات، وذلك كله قدر الدنيا، ثم يقال له: لك عشرة أمثال هذا، فيعود معنى هذه الرواية إلى موافقة الروايات الأخرى المتقدّمة، ولله الحمد، وهو أعلم».

قوله: (فيقول): أي: الرجل **(أتسخر بي)**: أي أتستهزئ بي؟

قال النووي: وقع في الروايات «أتسخر بي»، وهو صحيح، يقال: سَخِرتُ منه، وسَخِرت به، والأول هو الأفصح الأشهر، وبه جاء القرآن، والثاني: فصيح ـ أيضاً ـ، وقد قال بعض العلماء: إنه إنما جاء بالباء لإرادة معناه؛ كأنه قال: أتهزأ بي».

قوله: (أَوْ أَتَضْحَكُ بِي؟ وَأَنْتَ الْمَلِكُ»): جملة حالية من فاعل «تضحك»، و«أو» للشكّ، وفي رواية الأعمش: «أتسخر بي؟»، ولم يشكّ، وفي رواية أنس، عن ابن مسعود: «أتستهزئ بي، وأنت رب العالمين؟»».

قال النووي: «قوله: «أو أتضحك... إلخ»، هذا شكّ من الراوي،

هل قال: «أتسخر بي؟ أو قال: أتضحك بي؟»، فإن كان الواقع في نفس الأمر أتضحك بي؟ فمعناه: أتسخر بي؟ لأن الساخر في العادة يضحك ممن يَسْخَر به، فوُضع الضحك موضع السخرية.

قال: وأما معنى: «أتسخر بي؟» هنا ففيه أقوال:

أحدها: قاله المازريّ: إنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث، دون لفظه؛ لأنه عاهد الله مراراً أن لا يسأله غير ما سأل، ثم غَدَرَ، فَحَلّ غدره محل الاستهزاء والسخرية، فقدّر الرجل أن قول الله تعالى له: «ادخل الجنة»، وتردده إليها، وتخييل كونها مملوءة ضرب من الإطماع له، والسخرية به؛ جزاءً لِمَا تقدم من غدره، وعقوبةً له، فسَمَّى الجزاءَ على السخرية سخرية، فقال: أتسخر بي؟ أي: تعاقبني بالإطماع؟

والقول الثاني: قاله أبو بكر الصوفي: إن معناه نفي السخرية التي لا تجوز على الله تعالى؛ كأنه قال: أَعْلَم أنك لا تهزأ بي؛ لأنك رب العالمين، وما أعطيتني من جزيل العطاء، وأضعاف مثل الدنيا حقّ، ولكن العجب أنك أعطيتني هذا، وأنا غير أهل له، قال: والهمزة في «أتسخر بي» همزة نفي، كما في قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٥] على أحد الأقوال، قال: وهو كلامُ مُتَدَلِّلٍ عَلِمَ مكانه من ربه، وبَسْطَهُ له بالإعطاء.

والقول الثالث: قاله القاضي عياض: أن يكون هذا الكلام صَدَرَ من هذا الرجل، وهو غير ضابط لما قاله؛ لِمَا ناله من السرور ببلوغ ما لم يَخْطُر بباله، فلم يضبط لسانه دَهَشاً وفَرَحاً، فقال، وهو لا يعتقد حقيقةَ معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق، وهذا كما قال النبيّ ﷺ في الرجل الآخر: إنه لم يَضْبِط نفسه من الفرح، فقال: «أنت عبدي، وأنا ربك».

وقال القرطبيّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «أكثروا في تأويله، وأشبه ما قيل فيه: إنه استَخَفَّه الفرَح، وأدهشه، فقال ذلك، وقيل: قال ذلك؛ لكنه خاف أن يُجَازَى على ما كان منه في الدنيا من التساهل في الطاعات، وارتكاب

المعاصي، كفعل الساخرين، فكأنه قال: أتجازيني على ما كان مني؟ فهو كقوله ـ عز وجل ـ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ الآية [البقرة: ١٥]؛ أي: يُنْزل بهم جزاء سخريتهم واستهزائهم»[1] ا.هـ.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: استهزاء الله بالمنافقين وسخريته منهم من صفات الله تعالى التي يقابل بها من يستحقها، ولذلك فهي تأتي في المقابلة كالمكر والخديعة؛ فيجب حملها على الحقيقة اللائق به ـ سبحانه وتعالى ـ دون تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قوله: (لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه): نواجذ: ـ بنون وجيم وذال معجمة ـ جمع ناجذ.

قال النووي: «قال أبو العباس ثعلب، وجماهير العلماء من أهل اللغة، وغريب الحديث، وغيرهم: المراد بالنواجذ هنا الأنياب، وقيل: المراد هنا الضواحك، وقيل: المراد بها الأضراس، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة، ولكن الصواب عند الجماهير ما قدمناه».

والمعنى: أنّ الرسول ﷺ ضحك لضحك الله من ذلك الرجل الذي ظن أنّ الله ـ تعالى ـ يسخر ويستهزئ به.

وللمبالغة في ضحك الرسول ﷺ قال: حتى بدت نواجذه؛ وهي: الأنياب أو الضواحك.

وفي رواية ابن مسعود زيادة: «فضحك ابن مسعود، فقالوا: لم تضحك؟ فقال: هكذا فعل رسول الله ﷺ من ضحك رب العالمين، حين قال الرجل: أتستهزئ مني؟ قال: لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر».

وأول البيضاوي صفة الضحك منه بمعنى الرضا.

وصفة الضحك ثابتة لله في الأحاديث الصحاح، وضحك النبي ﷺ

---

(١) «المفهم» (١/٤٢٤ ـ ٤٢٥).

تأكيد لها بالفعل ودليل على أنها حقيقة لا مجاز. وهي من صفات الأفعال المتعلقة بالمشيئة، فيجب الإيمان بها وعدم تأويلها أو تعطيلها أو تحريفها، والله أعلم.

قوله: (فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة): بين ابن حبان في «صحيحه» (**٧٤٢٧ و٧٤٣١ و٧٤٧٥**) أن قائل هذه الجملة: «فكان يقال...» هو إبراهيم النخعي. وأما القائل لهذه الجملة؛ فهو الرسول ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري الآتي، وكذلك يدل عليه حديث المغيرة بن شعبة.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، ولكن أخبره الله فيما أوحى إليه مما يكون في الآخرة، وغيره مما شاء به.

٢ ـ أنّ هذا الرجل يحبو على الصراط إلى أن يسلم من النار أو يكون قد عذب في النار، ثم أخرج منها، فكان آخر أهل النار خروجاً منها.

٣ ـ أنّ أدنى أهل الجنة له عشرة أمثال الدنيا.

٤ ـ إثبات صفة الضحك لله ـ تعالى ـ.

٥ ـ وصفة السخرية كذلك وهي تقال على المقابلة؛ أي: أن الله يسخر من الساخرين، ويستهزئ بالمستهزئين.

٦ ـ أنّ النبي ﷺ كان يضحك عند تحديثه بهذا الحديث تأسياً برب العالمين.

٧ ـ بيان سعة فضل الله ـ ﷻ ـ، وإكرامه لعباده المؤمنين، وتجاوزه عن العصاة، وأنه يعطيهم ما لم يخطر ببالهم.

٨ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: «في هذا ـ من الفقه ـ أن الواجب يسقط بالعجز عنه، وذلك أن هذا الرجل ذهب فوجدها ملأى، حسب ما خيل له، وظن أنه لا يستطيع أن يدخل، إذ كيف يدخل في دار

مملوءة؟ فرجع، ولم يعاتبه الله، ولكن أمره ثانية، ثم أمره ثالثة، وفي الثالثة أخبره أنه سيجد مثل الدنيا وعشرة أمثالها[1]».

٩ ـ جواز الضحك، وأنه ليس بمكروه، ولا بمسقط للمروءة، وإنما يكره كثرة الضحك؛ لأنها تميت القلب، وبخاصة إذا كان بدون سبب، أو لأدنى سبب، أو تجاوز الحد المعتاد من أمثاله في تلك الحال.



٣٠٩ ـ {...} وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ـ قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عن الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ؛ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً. فَيُقَال لهُ: انْطَلِقْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ. قَالَ: فَيَذْهَبُ فَيَدْخُل الجَنَّةَ، فَيجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا المَنَازِلَ. فَيُقَال لهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُول: نَعَمْ. فَيُقَال لهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى. فَيُقَال لَهُ: لكَ الذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا. قَالَ فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ المَلكُ؟**». قَالَ: فَلقَد رَأَيْتُ رَسُول الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ مسلسل بالكوفيين.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ أن شيخه أبو بكر حدثه بالمعنى، واللفظ لأبي كريب.

٤ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض، الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٥٠ ـ ٦٥١).

* **غريب الحديث:**

قوله: (أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم. فيقال له: تمن، فيتمنى. فيقال له: لك الذي تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا): أتذكر الزمان، أي: الدنيا.

والمعنى: أتذكر الأيام التي عشتها في الدنيا؟ فيجيب بنعم أنا أذكر الدنيا وأيامها وشهواتها وملذاتها التي كنا نحبها ونتمناها.

فيقول له: اطلب كل ما تتمناه مما كان فيها.

فيطلب إلى أن يصل الدنيا بما فيها، ثم يعطى عشرة أمثالها.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الروايات تُفسر بعضها بعضاً؛ فالمراد بالأضعاف الأمثال في الحديث السابق، والله أعلم.

وقد تقدم الكلام عليه فيما قبله.



٣١٠ ـ {١٨٧} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثابِتٌ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّة، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَال: تَبارَكَ الذِي نَجَّانِي مِنْك، لقَدْ أَعْطَانِيَ الله شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَلِينَ والآخِرِينَ. فَتُرْفَعُ لهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أي رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مائِهَا. فَيَقُولُ الله ـ ﷻ ـ: يَا ابْنَ آدَمَ! لعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لا، يَا رَبُّ! وَيُعَاهِدُهُ ألا يَسْأَلهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لهُ عَلَيْهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلها وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولى. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ**

لأشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلهَا، لا أَسْألكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي ألا تَسْألَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ ألا يَسْأَلهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لهُ عَلَيْهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأوليَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لا أَسْألكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي ألا تَسْألَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلى، يَا رَبِّ! هَذِهِ لا أَسْألكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَي رَبِّ! أَدْخِلنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيكَ الدُّنْيَا، وَمِثْلهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالمِينَ».

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلا تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِنْ ضِحْكِ رَبِّ العَالمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِىءُ مِنْكَ، وَلكِنِّي على مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخه وصحابي الحديث؛ فكوفيان.

٣ ـ فيه رواية الأقران، رواية صحابي، عن صحابي؛ أنس بن مالك، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ.

٤ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

* **غريب الحديث:**

قوله: (آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفَعُه النار مرة): يكبو: يسقط على وجهه.

وتسفعه: ـ بفتح التاء وإسكان السين المهملة وفتح الفاء ـ، ومعناه: تضرب وجهه، وتسوده، وتؤثر فيه أثراً.

والمعنى: أنّ هذا الرجل حاله عند عبوره الصراط المشي بسلامة حيناً، والسقوط والوقوع على وجهه حيناً آخر، وتمسه النار حيناً آخر أيضاً؛ كل ذلك بقدر المعاصي التي اقترفها في حياته.

قوله: (فإذا ما جاوزها التفت إليها): أي: تعدى النار ونجى من حرها وسمومها؛ التفت إليها مخاطباً إياها.

قوله: (تبارك الذي نجاني منك): أي: تقدس وتنزه ربي الذي نجاني منك وزحزحني عنك.

والمعنى: أن هذا الرجل وحد الله ونزهه فرحاً بما أعطاه من النجاة، ومنحه من الفوز ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قوله: (لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين): أقسم بالله من شدة فرحه أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين، وذلك أنه ما رأى أحداً مشاركاً له خروجه من النار؛ لأنه آخر أهل النار خروجاً!

قوله: (فترفع له شجرة): أي: يرى شجرة عندها عين ماء كما سيأتي في قوله: (وأشرب من مائها).

قوله: (فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة... إلخ): أي: يطلب من الله ـ عز وجل ـ أن يجعله قريباً من هذه الشجرة؛ ليستظل بظلها ويشرب من مائها.

قوله: (فيقول الله ـ ﷻ ـ: يا ابن آدم! لعلي أن... إلخ): أي: يسأل الله ـ ﷻ ـ عبده وهو أعلم به: لعلي إذا أعطيتك مسألتك وحققت لك أمنيتك أن تسألني غيرها.

قوله: (فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره): أي: يعاهد الله أن لا يسأله غيرها؛ لكنه لن يفي؛ لكنه معذور في ذلك، فلا يؤاخذه الله ولا يلومه.

قوله: (لأنه يرى ما لا صبر له عليه): أي: نعمة لا صبر له عنها ولذلك عذره الله تعالى ولم يلمه.

قوله: (فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى... إلخ): أي: يقربه الله من الشجرة الأولى فعندما يستظل بظلها ويشرب من مائها يرى شجرة أخرى أحسن؛ لأن الله ـ ﷻ ـ أراد له الترقي من الأدنى إلى الأعلى، لكنه يقع منه ما وقع في المرة الأولى، وهكذا حتى يصل إلى باب الجنة.

قوله: (فإذا أدناه منها؛ فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها): أي: إذا صار على باب الجنة سمع مؤانسة أصحاب الجنة مع أزواجهم، أو محاورتهم مع أصحابهم؛ فأراد الاستئناس بهم، أو في غنائهم؛ فأراد أن يتقرب ليلتذ بأنعامهم طلب من الله أن يدخله الجنة.

قوله: (ما يصريني منك؟): يصريني: ـ بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة ـ، ومعناه: ما الذي يقطع مسألتك مني ويمنعك من سؤالي.

والمراد: ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك، فقد أجبتك إلى ما سألت وحققت لك ما تمنيت كرة بعد كرة، وأخذت ميثاقك أن لا تعود، ولا تسأل غيره، وأنت لا تفي بذلك، فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية؟

وهذا من فضله سبحانه على عباده، وسعة رحمته وكرمه وبره ولفظه وإحسانه بهم؛ فسبحانه من إله كريم ورب بر رحيم لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

قوله: (**أيرضيك أن أعطيك الدنيا... إلخ**): أي: أيكفيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؛ فيقول لربه لغلبة فرحه وشدة دهشته: أتستهزئ بي وأنت الله رب العالمين، فلم يضبط لسانه دهشة وفرحاً، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوقين، ومثله ما جاء في حديث التوبة حيث قال الواجد راحلته: «اللهم أنت عبدي، وأنا ربك»، قال رسول الله: «**أخطأ من شدة الفرح**» متفق عليه.

قوله: (**فضحك ابن مسعود... إلخ**): أي: ضحك ابن مسعود؛ لأن النبي ﷺ ضحك، ورسول الله ﷺ ضحك من ضحك ربِّ العالمين.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: «وهل ضحك الإنسان ـ إذا سمع هذا الحديث ـ من باب الاتباع»؟

فيقال: إذا صار الذي في قلبك هو الذي في قلب رسول الله ﷺ حتى ضحك، أما أن تتعمد الضحك؛ فلا أظن هذا من الاتباع والسنَّة»[1].

قوله: (**فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر**): أي: عندما استبعد العبد ما أعطاه الله وهو عند نفسه ليس أهلاً لذلك، وقال: أتستهزئ بي؟ أخبره الله أن يجعله أهلاً لذلك، ويعطيه ما استبعده؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ على ما يشاء قادر.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«في آخر هذا الحديث: «على ما أشاء قادر» إشكالٌ من جهة أنه قيد القدرة بما شاء، فهل يعني ذلك أن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه؟

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٥٤).

أخذ بذلك المعتزلة؛ فقالوا: إن الله لا يقدر على أفعال العباد، فلا يشاؤها، ولكن استدلالهم بهذا الحديث غير صحيح؛ لأن هذا قيد على فعلٍ واقع؛ لأن هذا الرجل استبعد أن يحصل له هذا النعيم، فأراد الله أن يطمئنه بأنه على ما يشاء قادر، وأنه إذا شاء شيئاً؛ فهو قادر عليه، هذا هو المعنى، وليس المعنى: أني قادر على ما أشاء، غير قادر على ما لا أشاء، هذا بعيد.

ونظير هذا قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

فليس المعنى: أنه على جمعهم إذا شاء قدير، وإذا لم يشأ فليس بقدير، بل هو قدير - ﷻ - شاء أم لم يشأ. فالمشيئة هنا راجعة للجمع؛ يعني: إذا شاء جمعهم؛ فإنه ليس بعاجز عنهم.

وهذا - أيضاً - أي: هذا النعيم الذي حصل لهذا الرجل؛ إذا شاء الله فهو قادر عليه، أما إذا قلت: إن الله على كل شيء قدير، وعبرت عن هذا بقولك: إن الله على ما يشاء قدير؛ فلا يصح هذا؛ لأن الله - ﷻ - أطلق وصف القدرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧] وما أشبه ذلك بخلاف القدرة المقيدة معين؛ فإن معناها أنه لما شاءه لم يعجز عنه»(١).

فقه الحديث:

١ - بيان فضل الله - تعالى - على هذا الرجل.

٢ - أنّ النجاة من النار والفوز بالجنة خير مما أُعطي العالمين في دنياهم.

٣ - بيان ما جبل عليه الإنسان من الطمع وحب المزيد.

٤ - أنّ الإنسان يُعذر فيما لا يقدر عليه ولا طاقة له به.

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٥٣ - ٦٥٤).

٥ ـ أنّ ضحك ابن مسعود تأسياً برسول الله ﷺ.

٦ ـ جواز قول: «**ولكنّي على ما أشاء قادر**» مع اليقين الجازم بأنه لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء؛ فهو على كل شيء قدير.

تتمة مهمة:

نقل شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ عن الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ قوله:

«يجيء في كلام بعض الناس وهو على ما يشاء قدير، وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنَّة: وهو على كل شيء قدير؛ لعموم مشيئته وقدرته تعالى خلافاً لأهل الاعتزال الذين يقولون إن الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصي بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله، ولهذا يقول أحد ضلّالهم:

زعم الجهول ومن يقول بقوله ... أن المعاصي من قضاء الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قضا ... حد الزناء وقطع كف السارق

وقال أبو الخطاب ـ رحمه الله ـ في بيان الحق والصواب:

قالوا فأفعال العباد فقلت ما ... من خالق غير الإله الأمجد
قالوا فهل فعل القبيح مراده ... قلت الإرادة كلها للسيد
لو لم يرده وكان كان نقيصة ... سبحانه عن أن يعجزه الردي

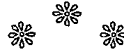
وهذه الإرادة التي ذكرها أبو الخطاب في السؤال هي الإرادة الكونية القدرية، لا الإرادة الكونية الشرعية»[١].

ثم تبين له خطأ هذا القول؛ فتراجع عنه، فقال ـ رحمه الله ـ:

---

(١) «العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق» (ص٢٠).

«دلّ قوله تعالى في آخر الحديث: «ولكني على ما أشاء قادر أو قدير» على خطأ ما جاء في التعليق على «العقيدة الطحاوية» (ص٢٠) نقلاً عن بعض الأفاضل: يجيء في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس بصواب...». فأقول: بل هو عين الصواب بعد ثبوت ذلك في هذا الحديث، لا سيما ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، وذلك لا ينافي عموم مشيئته وقدرته تعالى كما توهم المشار إليه، والله أعلم»[١].



(١) «السلسلة الصحيحة» (٦/١/١٩٥/٢٦٠١).

٨٥ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها

٣١١ ـ {١٨٨} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ؛ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا**». وَسَاقَ الحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ. ولَمْ يَذْكُرْ: «**فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ**» إلى آخِرِ الحَدِيثِ. وَزَادَ فِيهِ: «**وَيُذَكِّرُهُ الله، سَلْ كَذَا وَكَذَا. فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ الله: هُوَ لكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**» قَالَ: «**ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ؛ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الحُورِ العِينِ. فَتَقُولانِ: الحَمْدُ لله الذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه زهير بن محمد التميمي، وترجمته في «تقرب التهذيب» ظاهرها تضعيفه بسبب رواية أهل الشام عنه.

وهو كلام غير منضبط للوجوه الآتية:

أ ـ لم يذكر أنه ثقة ولا صدوق، مع العلم أن الإمام أحمد وثقه وأخرج له الجماعة ومنهم الشيخان.

ب ـ أن الحافظ تصرف في عبارة أبي حاتم، وأصلها: «محله الصدق، وفي حفظه سوء، وكان حديثه بالشام أنكر من حديثه بالعراق؛

لسوء حفظه؛ فما حدث به من حفظه ففيه أغاليط، وما حدّث من كتبه؛ فهو صالح».

ت ـ فرق العلماء بين رواية أهل الشام عنه ورواية غيرهم، فرواية أهل الشام عنه ضعيفة، قال الإمام أحمد: في رواية الشاميين عن زهير يروون عنه مناكير، وأما رواية أصحابنا عنه فمستقيمة.

وقال البخاري: ما روى عنه أهل الشام؛ فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة؛ فصحيح.

ث ـ ولذلك؛ فهو ثقة إلا في رواية أهل الشام عنه؛ فإنها ضعيفة، وقد بسطت القول في ذلك في كتابي: «طرح التثريب عن تقريب التهذيب وإصلاحه من السقط والخطأ والعيب» يسر الله نشره على خير وبركة.

وهذا الحديث من رواية أهل العراق عنه؛ لأن يحيى بن أبي بكير كوفي الأصل، نزيل بغداد.

٢ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

٣ ـ حديث أبي سعيد الخدريّ ـ رضي الله عنه ـ هذا الذي أحاله المصنّف على حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ساقه الحافظ أبو عوانة في «مسنده» (١/١٤٢/٤٢٤).

حدثنا عباس الدُّوريّ، والصغانيّ، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، بمكة، قالوا: ثنا يحيى بن أبي بُكير، قال: ثنا زُهير بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن النعمان بن أبي عَيّاش، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلةً، رجلٌ صَرَفَ الله وجهه عن النار قِبَلَ الجنة، ومَثَّل له شجرةً، ذات ظلّ، فقال: أي رب قَدِّمني إلى هذه الشجرة، أكونُ في ظلها، وآكل من ثمرها، قال الله له: فهل عسيتَ إن أعطيتك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا، وعِزَّتك، فيُقَدِّمه الله إليها، فتُمَثَّلُ له شجرة أخرى، ذات ظلّ، وثمرة، وماء، فيقول: أي ربّ قَدِّمني إلى هذه الشجرة، أكونُ في ظلها، وآكل من ثمرها، وأشرب من مائها، فيقول له:**

هل عسيتَ إن فعلتُ أن تسألني غيره؟ فيقول: لا، وعزّتك، لا أسألك غيره، فَيَبْرُز له باب الجنة، فيقول: أي ربّ قَدِّمني إلى باب الجنة، فأكون تحت نِجَاف الجنة، فأنظر إلى أهلها، فيُقَدِّمه الله إليها، فيرى أهل الجنة، وما فيها، فيقول: أي رب أدخلني الجنة، فيدخله الله الجنة، فإذا دخل الجنة، قال: هذا لي، فيقول الله له: تَمَنَّ فيتمنى، ويُذَكِّره الله: سَلْ من كذا، سَلْ من كذا، حتى إذا انقطعت به الأَمَانيّ، قال الله له: هو لك، وعشرة أمثاله، ثم يدخل الجنة تَبْدُر عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان له: الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك، فيقول: ما أعطي أحدٌ مثل ما أعطيتُ».

قال الصائغ في حديثه: «الحمد لله الذي خبأك لنا، وخبأنا لك».

* غريب الحديث:

قوله: (وساق الحديث): أي: أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (ولم يذكر: «فيقول: يا ابن آدم. . . إلخ»): أي: أن أبا سعيد لم يذكر قوله ﷺ: «**فيقول: يا ابن آدم. . .**» إلى آخر الحديث.

قوله: (الأماني) جمع أمنية؛ **وهي**: ما يتمناه الإنسان.

قوله: (ثم يدخل بيته): أي: قصره الذي أعد الله له في الجنة.

قوله: (زوجتاه): تثنية زوجة، وهي لغة صحيحة، وفيها أبيات كثيرة من شعر العرب، وذكرها ابن السكيت، وجماعاً من أهل اللغة، قاله النووي.

قوله: (من الحور العين): أي: نساء أهل الجنة، واحدتهن: حوراء؛ وهي: الشديدة البياض، الشديدة سوادها، قاله ابن الأثير.

قوله: (الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك): أي: خلقك لنا، وخلقنا لك، وجمع بيننا في هذه الدار الباقية الأبدية.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ لكل رجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين.

٢ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ خلق الحور العين لأهل الجنة، وخلقهم لهن.

٣ ـ أنّ الحمد لا ينقطع حتى في الجنة، فللّه الحمد دائماً أبداً.



٣١٢ ـ {١٨٩} حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ؛ قَالَ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، رِوَايَةً إِنْ شَاءَ الله. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّف بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُالمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يُخْبِرُ عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى المِنْبَرِ يَرْفَعُهُ إِلى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: وَحدثَنِي بِشْرُ بْنُ الحَكَمِ ـ وَاللفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ وَابْنُ أَبْجَرَ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلى المِنْبَرِ. قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا ـ أَرَاهُ ابْنُ أَبْجَرَ ـ قَالَ: «**سَأَل مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّةَ، فَيُقَال لهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَل النَّاسُ مَنَازِلهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَال لهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ. فَيَقُولُ: لك ذَلكَ وَمِثْلهُ وَمِثْلهُ وَمِثْلهُ وَمِثْلهُ. فَقَال فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، ولَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُول: رَضِيتُ، رَبِّ. قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلةً؟ قَالَ: أولئِكَ الذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تسمع أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ**». قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ الآيَةَ [السجدة: ١٧].

✸ راوي الحديث:

المغيرة بن شعبة، هو أبو عبدالله أو أبو عيسى المغيرة بن شعبة بن مسعود بن مُعَتِّب الثقفي الصحابي المشهور ـ رضي الله عنه ـ، أسلم عام الخندق وهاجر، أول مشاهده الحديبية، مات بالكوفة سنة (٥٠هـ)، وكان عاملاً عليها من قبل معاوية، وولي قبلها إمرة البصرة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخيه: ابن أبي عمر؛ فمكي، وبشر؛ فنيسابوري.

٣ ـ له فيه ثلاثة شيوخ فرق بينهم.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن أبجر عن الشعبي.

٥ ـ بيان طريقة مسلم في ذكر الرواة، فأحياناً يصرح باسمه، وأحياناً يكنيه، وأحياناً ينسبه، وأحياناً يُلقبه؛ أو يذكره بلقبه المعروف عند أهل هذا الفن.

ومن ذلك ابن بجر كذا في الطريق الأولى نسبه، وفي الثاني سماه؛ فقال: عبدالملك بن سعيد.

٦ ـ قال النووي ـ رحمه الله ـ: «قوله: (عن مطرف، وابن أبجر، عن الشعبي، قال: سمعت المغيرة بن شعبة رواية إن شاء الله ـ تعالى ـ)، وفي الرواية الأخرى: (سمعته على المنبر يرفعه إلى رسول الله ﷺ)، وفي الرواية الأخرى: (عن سفيان، عن مطرف، وابن أبجر، عن الشعبي، عن المغيرة، قال سفيان: رفعه أحدهما أراه ابن أبجر قال: «**سأل موسى ﷺ ربه ـ سبحانه وتعالى ـ ما أدنى أهل الجنة منزلة**»): اعلم أنه قد تقدم في الفصول التي في أول الكتاب، أنّ قولهم: رواية، أو يرفعه، أو ينميه، أو يبلغ به، كلها ألفاظ موضوعة عند أهل العلم لإضافة الحديث إلى رسول الله ﷺ، لا خلاف في

ذلك بين أهل العلم. فقوله: (رواية) معناه: قال: قال رسول الله ﷺ، وقد بينه هنا في الرواية الثانية. وأمّا قوله: (رواية إن شاء الله) فلا يضره هذا الشك والاستثناء؛ لأنه جزم به في الروايات الباقية. وأمّا قوله في الرواية الأخيرة: (رفعه أحدهما) فمعناه: أنّ أحدهما رفعه، وأضافه إلى رسول الله ﷺ، والآخر وقفه على المغيرة فقال: عن المغيرة قال: «**سأل موسى** ﷺ»، والضمير في: (أحدهما) يعود على مطرف، وابن أبجر شيخي سفيان، فقال أحدهما: عن الشعبي، عن المغيرة، عن النبي ﷺ قال: سأل موسى ﷺ، وقال الآخر، عن الشعبي، عن المغيرة قال: «**سأل موسى**»، ثم إنه يحصل من هذا، أن الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً.

وهذا المذهب الصحيح المختار الذي عليه الفقهاء، وأصحاب الأصول، والمحققون من المحدثين؛ أنّ الحديث إذا روي متصلاً، وروي مرسلاً، وروي مرفوعاً، وروي موقوفاً؛ فالحكم للموصول والمرفوع؛ لأنها زيادة ثقة وهي مقبولة عند الجماهير من أصحاب الفنون والعلوم، فلا يقدم اختلافهم هاهنا في رفع الحديث ووقفه، لا سيما وقد رواه الأكثرون مرفوعاً، والله أعلم». ا.هـ بتصرف يسير.

٧ ـ حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

٨ ـ **قوله**: (**رواية إن شاء الله**) هذا الشك والاستثناء في هذا الطريق لا يضر في صحة الحديث؛ لأنه جزم به في الروايات الباقية؛ قاله النووي.

* غريب الحديث:

قوله: (**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة**): أي: سأل موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ ربه ـ عز وجل ـ عن أدنى أهل الجنة منزلة.

قوله: (**هو رجل يجيء بعدما أدخل... إلخ**): أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن أدنى أهل الجنة منزلة، وأنه رجل يأتيها بعدما أدخل أهل الجنة الجنة واستقروا في منازلهم وتبوؤوا درجاتهم، فيتفضل الله عليه، ويأمره أن يدخل الجنة.

قوله: (فيقول: أي رب! كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم...): أي: يقول الرجل للرب - تبارك وتعالى - كيف أدخل الجنة ولا مكان فيها، وأهلها قصدوا مقاصدهم، وساروا سبلهم إلى منازلهم.

قوله: (فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا...)، أي: يعطيه الله مثل خمسين ضعف مُلك ملك من ملوك الدنيا، وهو يساوي عشرة أمثال الدنيا كما تقدم، ولا معارضة كما بينا هناك وأن له في الجنة ما اشتهت نفسه ولذت عينه.

قال شيخنا ابن العثيمين - رحمه الله -:

«وهل قوله: (وعشرة أمثاله) يدل على أن مجموع ما أعطي أحد عشر، أم المراد: لك هذا وتكميل عشرة أمثاله؟.

يحتمل هذا وهذا، وتكميل العشرة هو ظاهر اللفظ، وقد يكون له عشرة أمثاله مضافة إليه فيكون أحد عشر، لكن الاحتمال القوي أن المراد: لك هذا، وتكميل عشرة أمثاله»[(١)].

قوله: (فأعلاهم منزلة؟): أي: سأل موسى - عليه السلام - ربه عن أعلى أهل الجنة منزلة وأرفعهم درجة.

قوله: (أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أُذن، ولم يخطر على قلب بشر): أمّا أردت - بضم التاء -؛ ومعناه: اخترت واصطفيت.

والمعنى: أنّ أعلى الناس منزلة في الجنة هم الذين اصطفاهم الله، واختارهم، وفضلهم على سائر الخلق في الدنيا والآخرة، فغرس كرامتهم بيده؛ فلا تتبدل، ولا تتغير ثابتة محفوظة بحفظه لها؛ فأعطاهم ما لم يعط أحداً من العالمين، وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون، والصديقون، والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٥٧).

فقه الحديث:

١ ـ أنّ العلماء هم الخطباء حقيقة، وأما أن يصير القصاص هم الخطباء؛ فتلك مصيبة.

أخرج الهروي في «ذم الكلام» بإسناد صحيح عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، من ترك عشر ما يعرف فقد هوى، ويأتي من بعد زمان كثير خطباؤه، قليل علماؤه، من استمسك بعشر ما يعرف فقد نجا»**.

٢ ـ وفيه بيان مكانة المغيرة في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٣ ـ أنّ مثل هذا الخبر عن موسى الكليم ﷺ لا يقال بالرأي؛ فهو أحد المؤكدات لصحة نسبته للرسول ﷺ.

٤ ـ أنّ عطاء الرَّبِّ ـ سبحانه وتعالى ـ لا ينفد، ولا ينقطع.

٥ ـ أنّ للمؤمن في الجنة ما اشتهت نفسه ولذّت عينه.

٦ ـ أنّ الجنة منازل بعضها فوق بعض.

٧ ـ وفيه بيان صفات أعلى أهل الجنة منزلة.

٨ ـ وفيه بيان جزاء هؤلاء مما لم يخطر على قلب بشر، ولم تر عينه، ولم تسمع أذنه.

٩ ـ استحباب الاستشهاد للمسألة بالثابت من النصوص؛ كالقرآن.

١٠ ـ قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: «وفي هذا الحديث: إثبات اليد لله ـ عز وجل ـ، وهذا ثابت في القرآن، والسنَّة، وإجماع السلف.

وهي يد حقيقية، وليست يداً معنوية، كما زعمه أهل التحريف، وقالوا: المراد باليد القدرة، أو القوة، أو النعمة، ولكننا نقول: هذا تحريف للكلم عن مواضعه، والصواب: أنها يد حقيقية موصوفة، بها يأخذ، ويقبض، ويهز، ونؤمن ـ أيضاً ـ أن له أصابع ـ عز وجل ـ.

ومثل هذه الصفات؛ تسمى: الصفات الخبرية، وضابطها ـ أي: ضابط الصفات الخبرية ـ: هي التي مسماها بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء، فاليد لنا بعض وجزء من البدن، لكننا لا نقول مثل ذلك بالنسبة لله ـ عز وجل ـ، بل نقول: هي يد حقيقية، وهي من الصفات الخبرة التي لا يهتدي لها العقل.

ووجه ذلك: أن العلم، والحياة، والقدرة، وما أشبه ذلك، صفات معنوية يهتدي لها العقل؛ لأن العقل يعلم أن الخالق لا بد أن يكون حيًّا عليماً قادراً، لكن هل يقول: لا بد له من يد؟ لا، ولهذا أطلق عليها الصفات الخبرية.

وهذا لا يثبته أهل التعطيل من المعتزلة فما فوقهم في التعطيل، يقولون: لا يمكن أن يكون لله يد حقيقية؛ لأن هذا تجسيم، والتجسيم عندهم ممنوع؛ لأن الأجسام متماثلة ـ على زعمهم ـ.

إذاً، فنثبت لله تعالى يداً حقيقية، وهل هذه اليد تماثل أيدي المخلوقين؟ لا، والدليل على ذلك السمع والعقل:

فأما الدليل السمعي: فيقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأما الدليل العقلي: أن الله أخبر أنه يقبض السموات والأرضين بيده، وجاء عن ابن عباس ـ وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ـ أن السموات السبع، والأرضين السبع، بالنسبة ليد الله كخردلة في كف أحدنا، فهل يمكن عقلاً ـ إذا آمنا بذلك ـ أن يكون هناك مماثل لهذه اليد؟ لا.

كما أن العقل ـ أيضاً ـ يمنع منعاً باتًّا أن يكون الخالق مماثلاً للمخلوق في جميع صفاته.

واعلم أن اليد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه: بالإفراد، والتثنية والجمع.

فمثال المفرد: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومثال المثنى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

ومثال الجمع: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١]؛ يعني: الإبل، والبقر، وكل ما أشبهها.

وأما الاستدلال على الجمع بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]. فلا يصح؛ لأن معنى: (بأيد)؛ أي: بقوة، والله تعالى لم يضفها لنفسه، و(أيد) مصدر آد يأيد أيداً، كباع يبيع بيعاً، ويدل على أنه أراد بها القوة، قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النبأ: ١٢]؛ أي: قوية.

فإذا قال قائل: كيف نجمع بين هذه الوجوه؟

فيقال: الجمع بينها سهل، أما بالنسبة للمفرد، فلا ينافي التعدد إطلاقاً؛ لأن المفرد المضاف يعم، ولهذا لو قال الرجل: أعتقت عبداً، وله عشرة أعبد، ولم ينوِ عبداً معيناً، عتق جميع العبيد، ولو قال: طلقت زوجتي، ولم ينو زوجةً معينة طلقت جميع النساء.

يبقى عندنا الجمع بين ما ورد مجموعاً، وما ورد مثنى، فهذا ـ أيضاً ـ سهل، فيقال:

إن قلنا: بأن أقل الجمع اثنان فلا تعارض إطلاقاً؛ لأننا نحمل الجمع على أقل مدلوله، وإن قلنا: بأن أقل الجمع ثلاثة، فالجمع هنا يراد به التعظيم، والجمع يرد للتعظيم حتى في المفرد، فـ(نحن) ـ مثلاً ـ ضمير للجمع، وقد يعبر به الإنسان عن نفسه وهو واحد، ولهذا لم ترد الأيدي مجموعة إلا مضافة لضمير الجمع: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ وبهذا يزول الإشكال، وتستقر العقيدة على أن لله تعالى يدين اثنتين، بدون زيادة؛ لقول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. والسياق في بيان عظم هذه الصفة، ولو كان لله أكثر من يدين لذكر ذلك.

فإن قال قائل: أيهما أشرف الإنسان أم البعير؟ الإنسان، والإنسان ما عدا آدم، مخلوق بالكلمة، والبعير يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فأضافه الله تعالى إلى يده، ومعلوم أن ما خلقه الله بيده أشرف مما خلقه بالكلمة؛ لأن الله قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ وهذا يدل

على أنَّ خلق الله بيده له ميزة، فالجواب على قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ لا يدل على أن الله خلقها بيده؛ لأن هناك فرقاً بين أن تقول: خلقت هذا بيدي، أو كسبته يداي ـ مثلاً ـ وذلك أن قوله: مما عملت أيدينا، مثل قوله مما عملنا، والدليل على هذا: ﴿أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ فمعناه: مما عملنا، والعرب تضيف الكسب إلى اليد، والمراد صاحب اليد، وتضيف العمل إلى اليد، والمراد صاحب اليد؛ لأن غالب العمل يكون باليد، وعليه فنقول: هذه البهائم خلقت بالكلمة ولم تخلق باليد، وقد علمتم أنه قد بلغنا ـ حتى اليوم ـ أن الله خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده»[(١)].



٣١٣ ـ {. . .} حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللَّهِ الأَشْجَعِيُّ، عَنْ عَبْدِالمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ؛ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلى المِنْبَرِ: إِنَّ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَأَلَ اللَّهَ ـ عز وجل ـ عَنْ أَخَسِّ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْهَا حَظًّا. وَسَاقَ الحَدِيثَ بِنَحْوِهِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (وساق الحديث نحوه)**: أي: أن عبيدالله الأشجعي ساق تمام الحديث بنحو رواية سفيان بن عيينة المتقدمة.

٢ ـ هذه الرواية موقوفة على المغيرة، والراجح الرواية المرفوعة.

قال الترمذي **(٣١٩٨)**: «ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة، ولم يرفعه، والمرفوع أصح».

وقال ابن منده في «الإيمان» **(٢/٨٢٢/٨٤٦)** بعد إخراج الحديث: أخرجه مسلم عن أبي كريب في إثر حديث ابن عيينة؛ ليبين الحديث الموقوف من المرفوع.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٥٧ ـ ٦٦١).

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: ولا تعارض بين المرفوع والموقوف للوجوه الآتية:

أ ـ سفيان بن عيينة أوثق من الأشجعي، فزيادته مقبولة، وروايته محفوظة.

ب ـ أن الموقوف في هذه الحالة لا يقال بالرأي والاجتهاد؛ فهو له حكم المرفوع.

٣ ـ رواية الأشجعيّ التي أحالها المصنّف على رواية ابن عيينة: ساقها الحافظ ابن منده في «الإيمان» (**٢/٨٢١/٨٤٦**):

أخبرني أبي، حدثني أبي، ثنا أبو كريب، ثنا عبيدالله بن عبيدالرحمٰن الأشجعيّ، ثنا عبدالملك بن أبجر، قال: سمعت الشعبيّ يقول: سمعت المغيرة بن شعبة، وهو على المنبر: «إن موسى؛ سأل الله ـ عز وجل ـ عن أخس أهل الجنة منها حظًّا، فقيل له: ذاك رجل يُؤْتَى، وقد دخل الناس الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: أين؟ وقد أخذ الناس أَخَذَاتهم، فيقال: اعْدُدْ أربعةً من ملوك الدنيا، فيكون لك مثل الذي كان لهم، ولك أخرى شهوةُ نفسك، فيقول: أشتهي كذا، وأشتهي كذا، ويقال: لك أخرى، لذةُ عينك، فيقول: أَلَذُّ كذا، وألذّ كذا، فيقال: لك عشرة أضعاف، ومثل ذلك، وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظًّا، فقال: ذلك على ختمته عليه يوم خلقتُ السمٰوات والأرض، قال الشعبي: فبيانها في كتاب الله القرآنِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية».

❋ غريب الحديث:

قوله: (أخس أهل الجنة منها حظاً؟): أخس: من الخساسة، وهي: الدناءة، يقال: تزوجت من فلان لأرفع من خساسته؛ أي: لكي أرفع قدره ومنزلته عند الناس.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: «كلمة (أخس) أشد على السمع من كلمة أدنى؛ فالراوي رواها بالمعنى، والسؤال الذي وقع من موسى ـ عليه السلام ـ: بلفظ: (أدنى)؛ لأنه أخف على السمع من كلمة (أخس)،

وإن كان خسيس بمعنى الداني؛ لكن أحياناً تكون نبرات اللفظ مستبشعة أو منفرة»[1].

قوله (حظاً): أي: منزلة ونصيباً.

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.

٣١٤ ـ {١٩٠} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ. فَيُقَالُ: عَمِلتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لهُ: فَإِنَّ لكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَاهُنَا»**.

فَلقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٦١/١١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن المعرور بن سويد.

٤ ـ فيه رواية الابن عن أبيه: محمد بن عبدالله بن نمير عن أبيه.

٥ ـ حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد مسلم.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٦٢).

غريب الحديث:

قوله: (اعرضوا عليه صغار ذنوبه): أي: أروه الصغائر من ذنوبه.

قوله: (وارفعوا عنه كبارها): الرفع هنا المقصود منه أن لا يطلعوه عليها؛ ليروا ماذا يقول أو لئلا يشتد خوفه، ويقنط من رحمة الله.

وقد رواه الترمذي بلفظ: «**وأخبئوا**» من الإخباء؛ وهو: الإخفاء.

قوله: (فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا): المعنى: يذكره صغار ذنوبه التي ارتكبها باليوم والساعة، وبِنوع المعصية.

قوله: (فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه): والمعنى: أنه يعترف بما ارتكب ولا يقدر على الإنكار؛ لأنّ الله ـ تعالى ـ اطلع عليها، والملائكة كتبتها، ولو جرء على ذلك لما استطاع حيث تشهد عليه جوارحه، فينطقها الله الذي أنطق كل شيء.

وعند عرض صغار الذنوب باليوم والساعة؛ خشي أن تعرض كبار ذنوبه؛ فيفضح أمام الأشهاد، ويعذب في النار.

قوله: (فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: ربِّ قد عملت أشياء لا أراها هاهنا): والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ قد بدل سيئاته حسنات؛ لكونه تائباً إليه؛ كما قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذا من الله ـ تعالى ـ تفضلاً وإكراماً وإنعاماً. عند ذلك يقول هذا الرجل المرحوم: إني قد عملت غير هذه الذنوب، وهي أعظم فلمَ لا أراها، لا يطلعوني عليها؛ لأعترف بها؛ فإني أرجو أن يبدلها ربي بأعظم حسنات وأكثر؟

فقه الحديث:

١ ـ الذنوب تقسم إلى صغائر وكبائر.

٢ ـ أنّ ذنوب العباد تعرض عليهم يوم القيامة.

٣ ـ أنّه ـ تعالى ـ من كرمه وتفضله يبدل السيئات حسنات.

٤ ـ بيان طمع العبد برحمة ربه حتى في الآخرة.

٥ ـ أنّ هذا الحديث من تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٦ ـ إن الله يحب العفو والستر، فقد ستر على عبده في الدنيا والآخرة وأكرمه بأن جعل سيئاته حسنات.

٧ ـ موجب الضحك: أن الله ستر عليه، ثم يقول: عملت أشياء لا أراها هنا، فلو سكت لكان أحسن؛ لكن هذا دأب الإنسان.

٣١٥ ـ {...} وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ؛ كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ له ثلاثة شيوخ فرق بينهم.

٢ ـ لم يجمع المصنّف بين الأسانيد الثلاثة؛ فيقول: حدثنا ابن نمير، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب، كلهم عن أبي معاوية، ووكيع، كلاهما عن الأعمش.

لأن شيوخه الثلاثة لم يتّفقوا في الرواية عن أبي معاوية، ووكيع كليهما؛ فابن أبي شيبة، لا يروي عن أبي معاوية، وأبو كريب لا يروي عن وكيع، وابنُ نمير روى عنهما جميعاً، فصنيع المصنّف هو الذي يفصّل هذا التفصيل، فلو سلك مسلك الجمع؛ لأدّى إلى ظنّ أن الثلاثة يروون عنهما جميعاً مع أنه خلاف الواقع، وهذا من دقائق صنيع المصنّف؛ فإن له منه الأحظَّ الأوفرَ، كما أقرّ له بذلك الحفّاظ الجهابذة، حتى فضّلوه على البخاريّ في هذا الجانب.

٣ ـ رواية وكيع: أخرجها أبو عوانة في «المسند» (١/١٤٦/٤٣٥):

حدثنا ابن أبي رجاء الْمِصِّيصيّ، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن المعرور بن سُوَيد، عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرِضُوا عليه صغار ذنوبه، ويُخْبَأُ عنه كِبَارها، فيقال: عَمِلت يوم كذا كذا وكذا، وعَمِلت يوم كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، ثلاث مرات، قال: وهو مُقِرٌّ، ليس بمنكر، وهو مُشْفِقٌ من الكبائر أن تجيء، قال: فإذا أراد الله به خيراً، قال: أعطوه مكانَ كلِّ سيئة حسنةً، فيقول: يا رب إن لي ذنوباً ما رأيتها هاهنا**»، **فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بَدَت نواجذه، ثم تلا رسول الله ﷺ**: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وأخرجه ابن منده في «الإيمان»، (٢/٨٢٢/٨٤٨):

أنبأ الحسين بن عليّ، ثنا الحسن بن عامر، ثنا عبدالله بن محمد بن إبراهيم الْعَبْسيّ. (ح) وأنبأ أحمد بن إسحاق بن أيوب، ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا محمد بن أبي بكر المقَدَّميّ، قالا: ثنا وكيع، ثنا الأعمش، عن المعرور بن سُويد، عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله : «**إني لأعلم أول أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار، يُؤْتَى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرِضُوا عليه صغار ذنوبه، ويُخفَى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، فيُقِرُّ، لا ينكره، وهو مُشْفِقٌ من الكبائر، فيقال: أعطوه مكان كلّ سيئة عَمِلها حسنةً، فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها هاهنا**»، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ وضحك حين ذكر هذا الحديث، حتى بَدَت نواجذه. انتهى.

وأما رواية أبي معاوية، فأخرجها ابن منده في «الإيمان» (**٢/٨٢٣/٨٤٩**):

أنبأ محمد بن إبراهيم بن الفضل، ومحمد بن يعقوب، قالا: ثنا أحمد بن سلمة، ثنا هناد، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المعرور بن سُوَيد، عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار**

خروجاً من النار، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، يؤتى برجل، فيقال: سلوه عن صغار ذنوبه، وتُخْفَى كبارها، فيقال له: عَمِلت كذا وكذا، وعملت كذا وكذا يوم كذا وكذا، فيقال له: إن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا»، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَت نواجذه.



٣١٦ ـ {١٩١} حَدَّثَنِي عُبَيْدِاللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ؛ كِلاهُمَا عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عَبَادَةَ القَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ يُسْأَلُ عن الوُرُودِ. فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ. قَالَ: فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الأَوَّلُ فَالأَوَّل، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلى لهُمْ يَضْحَكُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُوراً، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، سَبْعُونَ أَلفاً لا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الذِينَ يَلونَهُمْ كَأَضْوَأَ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ. ثم تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةٌ؛ فَيُجْعَلونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ المَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ. وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا، وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٥/١٦).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ مسلسل بالمكيين من ابن جريج، وسكن جابر مكة.

٤ ـ مسلسل بالتحديث والسماع من أوله إلى آخره.

٥ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من أفراد مسلم ـ رحمه الله ـ.

٦ ـ **قوله: (فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ)**: قال النوويّ في «شرحه»: «هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من «صحيح مسلم»، واتَّفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيفٌ، وتغييرٌ، واختلاط في اللفظ؛ قال الحافظ عبدالحقّ في كتابه «الجمع بين الصحيحين»: هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين، أو كيف كان، وقال القاضي عياض: هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغييرٌ كثيرٌ وتصحيفٌ، قال: وصوابه: «نَجيء يوم القيامة على كُوم»؛ هكذا رواه بعض أهل الحديث، وفي كتاب ابن أبي خيثمة، من طريق كعب بن مالك: «**يُحْشَرُ الناس يوم القيامة على تَلٍّ، وأمتي على تَلّ**»، وذكر الطبريّ في «التفسير» من حديث ابن عمر: «فَيَرْقَى هو ـ يعني: محمداً ﷺ ـ وأمته على كُوم فوق الناس»، وذكر من حديث كعب بن مالك: «**يُحشَر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تَلّ**». قال القاضي: فهذا كله يُبَيِّن ما تَغَيَّر من الحديث، وأنه كان أظلم هذا الحرف على الراوي، أو امَّحَى، فعَبَّر عنه بكذا وكذا، وفسره بقوله: أي فوق الناس، وكَتَبَ عليه «انظر» تنبيهاً، فجمع النَّقَلَةُ الكلَّ، ونَسَّقُوه على أنه من متن الحديث، كما تراه. هذا كلام القاضي، وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين، والله تعالى أعلم.

قال القاضي: ثم إن هذا الحديث جاء كلُّه من كلام جابر موقوفاً عليه، هذا من شرط مسلم؛ إذ ليس فيه ذكر النبيّ ﷺ، وإنما ذَكَره مسلم،

وأدخله في المسند؛ لأنه رُوِيَ مسنداً من غير هذا الطريق، فذكر ابن أبي خيثمة، عن ابن جريج، يرفعه بعد قوله: «يَضحك»، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فَينطلق بهم»، وقد نَبَّهَ على هذا مسلم بعد هذا في حديث ابن أبي شيبة وغيره، في الشفاعة، وإخراج من يخرج من النار، وذكر إسناده، وسماعه من النبيّ ﷺ بمعنى بعض ما في هذا الحديث، والله تعالى أعلم» ا.هـ.

وحديث جابر ـ رضي الله عنه ـ هذا اختلف الرواة فيه على ابن جريج في الرفع والوقف، والأكثرون على وقفه، فقد رواه عنه موقوفاً روح عند المصنّف، وأبو عاصم عند ابن منده، وحجاج بن محمد عنده أيضاً.

ورواه عنه مرفوعاً روح بن عبادة، رواه عنه الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في «مسنده» **(٣/٣٨٣)**، ورواه أيضاً ابن لهيعة عنده **(٣٤٥)** فقد رواه أحمد عن موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير: أنه سأل جابراً ـ رضي الله عنه ـ عن الورود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نحن يوم القيامة على كُوم فوق الناس، فيُدعى بالأمم بأوثانها**...»الحديث.

ولذلك فالراجح فيه الوقف؛ لأن الذي رفعه من الثقات روح فقط، على خلاف فيه، وأما ابن لهيعة؛ فضعيفٌ، لكن الموقوف في مثل هذا له حكم الرفع؛ لأنه مما لا يُقال بالرأي، ولم يعرف عن جابر الرواية عن أهل الكتاب، فلهذا أورده المصنّف هنا، على أن جابراً ـ رضي الله عنه ـ صرّح بسماع بعضه من النبيّ ﷺ في رواية عمرو بن دينار التالية، فتنبّه، والله تعالى أعلم.

* غريب الحديث:

قوله: (يسأل عن الورود): الورود: أصله قصد الماء، ثم يستعمل في غيره.

والمراد عبور الصراط، وورود الأمم النار، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

قوله: (فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس): في العبارة تخليط وتغيير وتحريف كما سبق والمراد: نجيءُ يوم القيامة على كوم أو تل.

قوله: (فتدعى الأمم بأوثانها...): أي: مع أوثانها التي كانت تعبدها من دون الله، يدعى أولها ثم الذي يليه، وهكذا.

قوله: (ثم يأتينا ربنا بعد ذلك...): فيه إثبات صفة إتيان الله ـ سبحانه ـ، ومجيئه على ما يليق بجلاله وكماله.

قوله: (ويعطى كل إنسان منهم، منافق أو مؤمن نوراً): قال القاضي: «ذاك بظاهر إيمانهم، ودخولهم في جملتهم كما كانوا في الدنيا، وكما حشروا غراً محجلين معهم، حتى فضحهم الله بإطفاء نورهم على الصراط، وسقوطهم في نار جهنم، وصدهم عن الحوض، وتصييرهم ذات الشمال».

أما المؤمن فنوره كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾ [الحديد: ٢٨].

وأما المنافق فكما بين الله: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣ و١٤].

قوله: (فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون): الزمرة: هي الجماعة، ويقال: الجماعة القليلة. وفي الكتاب: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧٣].

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ أكرم المؤمنين بعبور الصراط بسلام، ودخول الجنة، فأعطاهم من النور ـ وهو الجمال الحسي والمعنوي ـ ما بلغ

من شدة نورهم كضوء القمر الذي يُنير الأرض والسماء، وتعداد هذا الفوج سبعون ألفاً، ومع ذلك كله فهم يدخلون من غير حساب وعذاب.

قوله: (ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها): حراقه: الهاء عائدة فيه على المخرج من النار؛ يعني: أثر النار، والمحرق منه يذهب بما رش عليهم أهل الجنة من مائها. قاله القاضي.

فقه الحديث:

١ ـ بيان مكانة جابر ـ رضي الله عنه ـ في العلم، حيث كان الناس يقصدونه بالفتيا والعلم.

٢ ـ وبيان فضيلة هذه الأُمة على سائر الأُمم، وأنها فوقهم في الدنيا والآخرة.

٣ ـ أنّ هذا الحديث من تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

٤ ـ بيان أن أول زمرة يدخلون الجنة جمالهم كالبدر.

٥ ـ وأنّ الذين يدخلون الجنة أول زمرة هم الذين لا حساب عليهم ولا عذاب، وتعدادهم سبعون ألفاً.



٣١٧ ـ {...} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ جَابراً يَقُولُ: سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأُذُنِهِ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاساً مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ**».

فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ هذا الإسناد أصح أسانيد أهل مكة.

٣ ـ جواز استعمال الألفاظ التي تؤكد سماع الراوي للحديث، وهذا منه.

* **غريب الحديث:**

قوله: (إن الله يخرج ناساً من النار): أي: بالشفاعة.



٣١٨ ـ {...} حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ قَوْماً مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ**»؟ قَالَ: نَعَمْ.

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ أنه يسمي الراوي دون أن ينسبه، وأحياناً، وهكذا ـ وقد ذكرناه ـ، وعمرو في الرواية السابقة هو عمرو بن دينار الراوي المذكور في هذه الرواية، وهذا من حسن صناعة المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ الحديث هنا مختصر، وأخرجه بتمامه البخاري (٦٥٥٨): حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد، عن عمرو، عن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار بالشفاعة؛ كأنهم الثَّعارير» قلت: ما الثعارير؟ قال: الضغابيس، وقد كان سقط فمه، فقلت لعمرو بن دينار: أبا محمد، سمعت جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج بالشفاعة من النار»؟ قال: نعم.**

* **غريب الحديث:**

قوله: (قال: نعم): أي: سمعته يقول ذلك.



٣١٩ ـ {. . .} حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ سُلَيْمٍ العَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الفَقِيرُ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ قَوْماً يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا، إِلا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلونَ الجَنَّةَ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حجاج؛ هو: ابن يوسف بن حجاج الثقفي، أبو محمد بن أبي يعقوب البغدادي، المعروف بابن الشاعر، وكان يوسف شاعراً صحب أبا النواس، وكان يُلقب (لَقْوة).

وليس هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي الأمير المبير الشهير. فهذا من المتفق والمفترق: المتفق بالاسم والمفترق بالشخص، اتفقا بالاسم، واسم الأب، والقبيلة.

٢ ـ يزيد الفقير؛ قيل له ذلك؛ لأنه أصيب في فقار ظهره؛ فكان يألم منه، حتى ينحني له.

❋ غريب الحديث:

قوله: (إلا دارات وجوههم): دارات الوجوه؛ جمع دارة؛ وهي: ما يحيط بالوجه من جوانبه، ومعناه: أنّ النار لا تأكل دارة الوجه؛ لكونها محل السجود. وسبق في الحديث الآخر إلا مواضع السجود، وسبق الجمع هناك، قاله النووي.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «الدارات معروفة، والمراد بذلك تدوير الوجه، وما يحيط بالوجه.

وقد مرّ علينا أن أعضاء السجود لا تأكلها النار، ومنها: الجبهة، والأنف، وكأن ذلك ـ والله أعلم ـ إما أنه أطلق الكل وأريد به البعض، أو أن الله سبحانه ينجي الوجه كله تبعاً لموضع السجود: الجبهة والأنف، وهذا

أقرب؛ لأن الوجه فيه الجبهة والأنف اللذان يسجد عليهما»(١).

قوله: (حتى يدخلون الجنة): هكذا هو في الأصول: «حتى يدخلون» بالنون، وهو صحيح وهي لغة، وذلك على اعتبار استحضار الصورة المستقبلة؛ لأن شرط رفع المضارع بعد (حتى) أن يكون حالاً حقيقة أو تقديراً.

قال ابن مالك في «الخلاصة»:

وتلو حتى حالاً أو مؤولاً ... به ارفعن وانصب المستقبلا

فقه الحديث:

١ ـ بيان فضل السجود.

٢ ـ أنّ الروايات تُبين المراد من الإجمال والتفصيل.



٣٢٠ ـ {...} وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا الفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ـ يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي أَيُّوبَ ـ قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الفَقِيرُ؛ قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ. فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ. قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلى المَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَالِسٌ إِلى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُول الله ﷺ. قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الجَهَنَّمِيِّينَ. قَالَ: فَقُلتُ لهُ: يَا صَاحِبَ رَسُول اللَّهِ! مَا هَذَا الذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فَمَا هَذَا الذِي تَقُولونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَعْنِي الذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟ ـ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ المَحْمُودُ الذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِج. قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ. قَالَ: وَأَخَافُ أَلاَّ أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٦٥ ـ ٦٦٦).

قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْماً يَخْرُجُونَ مِنَ النارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا.
قَالَ: يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ.

قَالَ: فَيَدْخُلونَ نَهْراً مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ، كَأَنَّهُم القَرَاطِيسُ، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ! أَتَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا. فَلا وَاللَّهِ، مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ. أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نَعِيمٍ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ قال النووي: «المراد بأبي نعيم الفضل بن دكين، ـ بضم الدال المهملة المذكورة في أول الإسناد ـ، وهو: شيخ شيخ مسلم، وهذا الذي فعله أدب معروف من آداب الرواة، وهو أنه ينبغي للراوي إذا روى المعنى، أن يقول عقب روايته: أو كما قال احتياطاً، وخوفاً من تغيير حصل».

٣ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخه؛ فبغدادي، وجابر بن عبدالله؛ فمكي.

٤ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

* غريب الحديث:

قوله: (كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج): شغفني: ـ بالغين المعجمة، وروي بالعين المهملة ـ، وهما بمعنى من الشغف: وهو جمع شغاف القلب، وهو حجابه، وقيل: وسطه، وباطنه.

يقال: شغف به وبحبه شغفاً: أي: أحبه وأُولع به؛ فهو شغِفٌ، وهي شغفة. ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠].

الخوارج: سمي الخوارج بذلك؛ لخروجهم على طاعة الإمام، وتكفيرهم الناس.

والمعنى: أنّ يزيداً قد ابتلي ببدعة الخوارج حتى استقرت في قلبه، واعتقدها، وأخذ ينشرها، ويدعو الناس إليها؛ وهي: القول بأنّ مرتكب الكبيرة كافر لا يدخل الجنة؛ بل في النار خالداً فيها.

قوله: (فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس): العصابة: هي الجماعة المجتمعة على قول أو فعل.

والمعنى: خرجنا من الكوفة، ونحن جماعة اجتمعنا على رأي واحد؛ وهو الذهاب لحج بيت الله الحرام في موسمه؛ لنخرج على الناس مظهرين وداعين لمذهب الخوارج، وهو: أن أصحاب الكبائر خالدون في نار جهنم لا يخرجون، وكذا كل من دخلها.

قوله: (فمررنا على المدينة): المدينة: هي طيبة الطيبة، مدينة رسول الله ﷺ.

وهذا المرور في طريقهم إلى مكة المكرمة.

قوله: (فإذا جابر بن عبدالله يحدِّث القوم، جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ): لما دخلوا المسجد النبوي للصلاة فيه حرصاً على الأجر، واغتناماً للفرصة في هذه الرحلة، حيث الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام؛ وجدوا جابر بن عبدالله الصحابي الجليل ابن الصحابي - رضي الله عنهما - يدرس في المسجد عن رسول الله ﷺ، وقد استند إلى أحد أعمدة المسجد؛ وهي: السارية.

قوله: (فإذا هو قد ذكر الجهنميين): الجهنميين: نسبة إلى جهنم التي هي دار الكافرين، وجزاء العصاة المذنبين.

وجهنم اسم لأسماء النار، وهي كثيرة.

والمعنى: أنّ جابراً - رضي الله عنه - ذكر العصاة من هذه الأمة الموحدين الذين يدخلون النار حتى يطهروا على قدر ذنوبهم، ثم بعد ذلك إلى الجنة حيث مستقرهم.

قوله: (قال فقلت له: يا صاحب رسول الله! ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، **﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾** [السجدة: ٢٠] **فما هذا الذي تقولون؟)**: لما سمع يزيد حديث جابر تعجب من ذلك؛ فإنّ هذا خلاف ما صرحت به نصوص القرآن، ومنها ما ذكره مما ظاهره أنّ كل من دخل جهنم لن يخرج منها؛ بل خُلِّد فيها، وكان من أهلها. فأنكر على جابر بقوله: ما هذا الكلام الذي تحدث به؛ فإنه لا يتفق مع هذه النصوص؟

قوله: (فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ـ عليه السلام ـ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ ـ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج): المعنى: لما سمع جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ شبهة يزيد الفقير، وطلب الأخير منه الجواب على شبهته قال له جابر: أتقرأ القرآن، فأجابه بنعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ من خلال ما قرأت منه، ومن السنة الثابتة عنه ﷺ؟ ذلك المقام الذي ليس لأحد سواه؛ من الدرجة العالية، والمنزلة الرفيعة، فأجاب بنعم. فقال له مجيباً على سؤاله: في هذا المقام يرضى الله بشفاعته، ويأذن له بإخراج عصاة الموحدين من النار.

قوله: (ثم نعت وضع الصراط، ومَرِّ الناس عليه. قال: وأخاف ألاّ أكون أحفظ ذاك. قال: غير أنه قد زعم أنّ قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم. قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس): قال يزيد بعد سماعه لكلام جابر، ثم أخذ جابر في حديثه عن رسول الله ﷺ في شأن الشفاعة وحديثها، فوصف الصراط، وعبور الناس عليه وأنّ أقواماً يخرجون من النار بشفاعته بعد أن دخلوا فيها، وذكر ما تقدم في الأحاديث السابقة.

وأمّا السماسم جمع سمسم، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت؛ ليؤخذ حبها دقاقاً سوداً؛ كأنها محترقة، فشبه بها هؤلاء الذين يخرجون من النار، وقد امتحشوا.

قوله: (فرجعنا قلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا. فلا والله، ما خرج منّا غير رجل واحدٍ. أو كما قال أبو نعيم):
قال يزيد بعد أن سمع حديث جابر في ذكر الشفاعة هو وأصحابه الذين خرجوا يريدون الحج، ثم الخروج على الناس بمذهبهم الباطل؛ لينشروه، راجعنا أنفسنا فقلنا لبعضنا البعض: إنّ هذا الشيخ الذي صحب رسول الله ﷺ والذي يدرِّس في مسجده، وهو كبير في السن يبعد أن يكذب عليه ﷺ. عند ذلك رجعنا عن مذهبنا، وأقسم بالله: أنه لم يبق على مذهب الخوارج هؤلاء إلاّ واحد.

فقه الحديث:

١ ـ جواز التحدث عن حال المرء قبل الهداية مما فيه عبرة وعظة.

٢ ـ أن بدعة الخوارج من أول البدع ظهوراً في الإسلام وأخطرها على حياة الأمة؛ فقد ظهرت في زمن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٣ ـ أنّ البدعة إذا دخلت القلب أفسدته وأحرقته وتوطنت فيه، وقلما يسلم المرء منها إذا دخلت؛ لأن الأهواء تتجارى بأصحابها كما يتجارى الكلب بصاحبه؛ فلا يدع عرقاً ولا مفصلاً إلا خالطه.

٤ ـ أنّ أهل البدع والضلال يترقبون الفرص؛ لنشر مذاهبهم الباطلة، وآرائهم العاطلة، والخروج على الناس وبخاصة موسم الحج؛ فإن أهل الأهواء والبدع يجتهدون في إفساده بنشر باطلهم، وإحداث الفتن فيه، واستغلال تجمعُ المسلمين من شتى أقطار الدنيا؛ ليروجوا بدعتهم بينهم؛ فتنتشر في البلاد بواسطة الحجاج الذين يتأثرون بهم، ولذلك يحاول الروافض كل عام تخريب موسم الحج بفتنتهم ونشر بدعهم واستغلال جهل عامة المسلمين بحقيقة دينهم وعقائدهم الباطلة المنحرفة.

٥ ـ أنّ عامة أهل البدع أهل عبادة، وليسوا من أهل العلم.

٦ ـ المدينة في النصوص الشرعية علمٌ على مدينة رسول الله ﷺ.

٧ ـ بيان فضل جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ ومنزلته في العلم.

٨ ـ أنّ العلماء من أولي الأمر الذين يرجع إليهم عند حصول الفتن وظهور البدع؛ فهم السادة والقادة الحقيقيون للأمة.

٩ ـ بيان فضل العلم على العبادة.

١٠ ـ جواز التحديث، والشيخ مستند إلى سارية.

١١ ـ استحباب عقد الدروس للعلماء الكبار من أهل السنَّة والجماعة في المسجد النبوي، ومن باب أولى في الحرم المكي؛ ليعلموا الناس عقيدتهم ويصححوا مناهجهم، ويذبوا عن الكتاب والسنَّة شبه الزائغين وضلالات أهل الأهواء والمنحرفين.

فحري بأهل السنَّة والجماعة أن يستغلوا موسم الحج وكذلك العمرة؛ لتفقيه الناس ونشر العقيدة الصحيحة، والتحذير من أهل البدع والأهواء؛ كما فعل هذا الصحابي الجليل؛ فإنه بجلوسه في المسجد النبوي يحدث الناس قمع الله به فتنة يزيد الفقير وأصحابه الخوارج، فاهتدوا وعادوا دعاة إلى السنَّة.

١٢ ـ أنّ العلم ما كان فيه قال الله، قال رسوله، ليس بالعقل والظن والعاطفة الجارفة العاصفة للحق.

١٣ ـ الجهنميون هم عصاة الموحدين الذين يخرجون من النار بالشفاعة بعد العذاب.

١٤ ـ استحباب مخاطبة الأكابر والأفاضل بأحسن وصف وأرق خطاب.

١٥ ـ أنّ عادة الشباب وجبلتهم: العجلة، والحماس، والاندفاع، ولو إلى غير هدى.

١٦ ـ الإنكار على العلماء وعدم توقيرهم من سمات أهل البدع.

١٧ ـ أنّ سوء الفهم يقود إلى الضلال والهلاك.

١٨ ـ أنّ الدليل لا يؤخذ من نص أو نصوص؛ بل يحتاج إلى جمع ما ورد في المسألة، وإعمال القواعد المرعية، والنصوص الشرعية فيها للخروج بالحكم الصحيح للمسألة.

١٩ ـ أن القرآن لا يفهم بمعزلٍ عن السنة النبوية.

٢٠ ـ أنّ الاكتفاء بالقرآن والاستغناء به عن السنة نوع من الكفر والضلال.

٢١ ـ أنّ السنة قاضية على القرآن، وحاكمة عليه.

٢٢ ـ على العالم والمعلم أن يحلم على السائل والجاهل.

٢٣ ـ أنّ المقام الذي يحتاج فيه إلى تفصيل وبسط لا يحسن فيه الإختصار والإيجاز؛ بل قد يحرم.

٢٤ ـ تفسير للمقام المحمود بالشفاعة يوم القيامة.

٢٥ ـ بيان عظم منزلة رسول الله ﷺ عند ربه من بين سائر الخلق.

٢٦ ـ بيان احتياط الراوي بالاقتصار على المتيقن منه خشية الخلط والتقول.

٢٧ ـ من فطنة الدعاة استعمال الأشياء المعلومة عند المخاطبين في تقريب المعاني، وهذا من محاسن التشبيه.

٢٨ ـ أنّ الغسل والتطهير من أسباب محو الذنوب، وآثارها عن العباد في الدنيا والآخرة.

٢٩ ـ وفيه بيان شدة ما يلقاه عصاة الموحدين في النار.

٣٠ ـ أن العذاب يكون حسياً ومعنوياً معاً.

٣١ ـ ينبغي على المرء أن يراجع نفسه قبل أن يقدم على الشيء مراراً.

٣٢ ـ بيان أثر صاحب السوء؛ فإنه يقود إلى البدعة؛ فالصاحب ساحب.

٣٣ ـ بيان عظم دور العلماء في صلاح الأُمة وإصلاحها لا سيما الشباب منهم.

٣٤ ـ أنّ تصدر غير العلماء سبب في انتشار البدع، والعكس كذلك.

٣٥ ـ أنّ أهل البدع عندهم من الصدق والصراحة ونحوهما، ولكن سوء الفهم أرداهم.

٣٦ ـ أنّ الكذب في الشيخ الكبير قبيح كل القبح، وليس هو فيه كالصغير.

٣٧ ـ أنّ العلماء هم الذين يتصدون لمناظرة أهل البدع.

٣٨ ـ أنّ التحاكم للعلماء في الأمور الشرعية، والمشكلات من الحكم بما أنزل الله.

٣٩ ـ وأنّ التحاكم للحزبية، والمذهبية، والعادات، والأهواء من الحكم بغير ما أنزل الله.

٤٠ ـ أنّ سعادة الأُمة بالالتفاف حول العلماء الربانيين من أهل السنَّة والجماعة أتباع السلف الصالح والأخذ عنهم.

٤١ ـ جواز الحلف من غير استحلاف.

٤٢ ـ فيه رد على ثلاث طوائف مبتدعة؛ فهو رد على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: بتخليد مرتكب الكبيرة في النار، وأن من دخلها لا يخرج منها أبداً، وينكرون الشفاعة.

وفيه رد على المرجئة الذين يقولون: أن الموحدين لا يدخلون النار أبداً، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

والحديث يدل دلالة واضحة على بطلان هذه المذاهب الردية، وأن الحق ما عليه أهل السنة والجماعة؛ فمرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق

بكبيرته، وهو تحت المشيئة: إن شاء عفا الله عنه، وذاك فصله، وإن شاء عذبه، وهذا عدله.

وهو إن دخل النار ليعذب؛ فإنه لا يخلد في نار جهنم بل يخرج بشفاعة الشافعين ورحمة رب العالمين.

ومما يؤكد أن هذا الحديث فيه رد على المرجئة: أن مثل هذه القصة قد حصلت لجابر ـ رضي الله عنه ـ مع طلق بن حبيب، فقد أخرج الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في «مسنده» **(١٤١٢٥)** بسنده عن طلق بن حبيب، قال: كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبدالله، فقرأت عليه كلَّ آية ذكرها الله ـ عز وجل ـ، فيها خلود أهل النار، فقال: يا طلق أَتُرَاك أقرأ لكتاب الله مني؟ وأعلم بسنَّة رسول الله ﷺ؟ فاتَّضَعْتُ له، فقلت: لا والله بل أنت أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنَّته مني، قال: فإن الذين قرأتَ أهلُها هم المشركون، ولكن قوم أصابوا ذنوباً، فعُذِّبوا بها، ثم أُخْرِجوا، صُمَّتَا ـ وأهوى بيديه إلى أذنيه ـ إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَخْرُجون من النار**»، ونحن نقرأ ما تقرأ.

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» **(٧٤٨٣/٥٢٦/١٦)** بسند صحيح، عن عمرو بن دينار، يقول: «سمعت جابر بن عبدالله، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بأذنيّ هاتين، وأشار بيده إلى أذنيه، يُخْرِجُ الله قوماً من النار، فيدخلهم الجنة، فقال له رجل في حديث عمرو: إنّ الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، فقال جابر بن عبدالله: إنكم تجعلون الخاصّ عاماً، هذه للكفار، اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧] هذه للكفّار».

٤٣ ـ يؤخذ من هذا الحديث خطورة منهج الخوارج وأتباعهم من التكفيريين الجدد، وذلك لقول يزيد الفقير: «كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج» فهو يخبر عن خطورة منهج الخوارج، وأنه يخالط القلوب،

ويسكن في سويدائها؛ لأنه يقوم على الحماسة الدينية والعاطفة العاصفة التي تحجب العقل عن التفكر والتدبر.

ومن خطورة هذا الفكر: أن دعاته خلايا نائمة في كل عصر؛ فإذا وجدوا البيئة المناسبة خرجوا على الأمة الإسلامية وجيشوا جيوشهم؛ ليضربوا برها وفاجرها ولا يتحاشون مؤمنها، ويسفكون الدم الحرام؛ فقد أخبر رسول الله ﷺ عنهم، ووصف خروجهم، فأخرج ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ينشأ نشء يقرون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج فَرَق قُطِع حتى يخرج في أعراضهم الدجال**»؛ فهذا الحديث يدل على استمرار خروج الخوارج في جيوش عظيمة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

ولذلك يجب على ولاة أمور المسلمين من الحكام والعلماء صيانة الشباب المسلم من هذا الفكر المنحرف، وحمايتهم من هذه الفئة الضالة؛ فإن فعلوا نصرهم الله؛ لأن الرسول ﷺ بشرهم بأن أهل السنَّة منصورون ظاهرون.

٤٤ ـ ويؤخذ منه وجوب إحسان الظن بالعلماء؛ لأنه سبيل للانتفاع بعلومهم؛ كما قال هؤلاء الذين كانوا يحملون مذهب الخوارج ويرون رأيهم لما سمعوا قول جابر بن عبدالله: «ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟» فإنهم ابتداء لم يصدقوا بل نزهوا جابراً عن الكذب على رسول الله ﷺ، فتابعوه ونفعهم الله به؛ فاهتدوا.

أما إساءة الظن بالعلماء والتنفير منهم ووصفهم بأنهم مستغرقون بالجزئيات ولا يعلمون مشاكل الشباب والأمة، وأنهم علماء الحيض والنفاس، وجهال بواقع المسلمين؛ فإن هذا من سنن أهل الأهواء لإحداث قطيعة بين الشباب والعلماء؛ ليخلو لهم الجو؛ فينحرفوا بالشباب ويوجهونهم نحو بدعهم وأهوائهم بعيداً عن رقابة أهل العلم ونصح علماء أهل السنَّة والجماعة.

٤٥ ـ ويؤخذ من الحديث: أن أفضل طريقة لمعالجة الفكر التكفيري

ورأي الخوارج هو محاورتهم ومجادلتهم بالحق؛ لأن غالبهم جهال، ونزعوا إلى هذه المناهج عاطفة وحماسة؛ فإذا سمعوا ردود العلماء برغبة وطلب للحق رجعوا وانتفعوا، ولكن بشرط أن يناصحهم علماء السنَّة والجماعة اتباع السلف الصالح، وليس الحزبيون المتسترون بعباءة السلفية، المتدثرون بلباس أهل السنَّة كيداً وخديعة!!!

٤٦ ـ ويؤخذ من هذا الحديث وهذه القصة العجيبة: أن كلام أهل العلم في مواسم الحج لا يقتصر على فقه الحج ومسائله وفوائده التربوية بل يجب تعليم العقيدة الصحيحية وما يضادها، وذكر المناهج المنحرفة والأحزاب الضالة والتحذير منها، ونشر منهج السلف الصالح بقوة واعتزاز.

٤٧ ـ ويؤخذ من هذا الحديث: أن الخوارج والروافض لا يعظمون شعائر الله؛ فلا يعظمون البلد الحرام ولا الشهر الحرام.

وما فتنة جهيمان العتيبي وحزبه من الجهال الضلال: الذين تلاعبت بهم الأحزاب المنحرفة وقوى المكر العالمي، وهيأت لهم: أن المهدي المنتظر بينهم باسمه ورسمه وصفته ونسبه؛ فاستباحوا المسجد الحرام، وأشاعوا الفوضى في البلد الحرام، وسفكوا الدم في الموسم الحرام.

لكن الله ـ ﷻ ـ مكَّن من رقابهم، وانطفأت فتنتهم، وأراح الله المسلمين من شرهم ومكرهم، فللَّه الحمد والمنَّة على الإسلام والسنَّة.

وقد كان شيخنا الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ سيفاً مصلتاً على هذه المناهج المنحرفة، واعظاً لأتباعها بالتبرؤ منها، والعودة إلى مجالس العلماء، والتمسك بغرزهم؛ فلما ظهر شرهم، وأعلنوا خطتهم تبرأ منهم، وسطر مخازيهم في أكثر كتبه انتشاراً، وأعظمها فائدة، فقال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو يذكر الطوائف التي أنكرت وجود المهدي في السنَّة النبوية، ومنهم محمد الغزالي المعاصر ـ:

«...بعد هذا كله أليس من العجيب حقاً قول الشيخ الغزالي في «مشكلاته» التي صدرت حديثاً (ص١٣٩):

«من محفوظاتي وأنا طالب: أنه لم يرد في المهدي حديث صريح، وما ورد صريحاً فليس بصحيح»!

فمن هم الذين لقنوك هذا النفي وحفظوك إياه وأنت طالب؟ أليسوا هم علماء الكلام الذين لا علم عندهم بالحديث، ورجاله، وإلا فكيف يتفق ذلك مع شهادة علماء الحديث بإثبات ما نفوه؟! أليس في ذلك ما يحملك على أن تعيد النظر فيما حُفِّظته طالباً، لا سيما فيما يتعلق بالسنَّة والحديث تصحيحاً وتضعيفاً، وما بني على ذلك من الأحكام والآراء، ذلك خير من أن تشكك المسلمين في الأحاديث التي صححها العلماء لمجرد كونك لُقنته طالباً، ومن غير أهل الاختصاص والعلم؟!

واعلم يا أخي المسلم: أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة؛ كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عاماً وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوساً! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معاً يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن

يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾.

ومنهم ـ وفيهم بعض الخاصة ـ من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة، ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال: «وداوني بالتي كانت هي الداء»! وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر!!! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر!

وطائفة منهم: رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق!

وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة، لأن بعض الدجاجلة ادعاها، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلاً صراحة، كالشيخ شلتوت، وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضاً، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين. وما مثل هؤلاء المنكرين جميعاً عندي إلا كما لو أنكر رجل ألوهية الله ـ عز وجل ـ بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنة! (فهل من مدكر)»[١].

وقال بعد أن ذكر ضعف حديث أم سلمة في المهدي:

«وله طريق أخرى عن أم سلمة نحوه، وفيه زيادات، يشير أحدها إلى أن الرجل الذي يأتي مكة هو المهدي؛ لكن في سنده جهالة، ولذلك خرجته في «الضعيفة» (١٩٦٥).

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤/٤٣).

ولقد كان الجهل بضعفه من أسباب ضلال جماعة (جهيمان) التي قامت بفتنة الحرم المكي، وادعوا زوراً أن المهدي بين ظهرانيهم، وطلبوا له البيعة، فقضى الله على فتنتهم ومهديهم، وكفى المؤمنين شرهم»[(١)].

وقال ـ قدس الله روحه ـ:

واعلم أيها الأخ المؤمن! أن كثيراً من الناس تطيش قلوبهم عند حدوث بعض الفتن، ولا بصيرة عندهم تجاهها، بحيث إنها توضح لهم السبيل الوسط الذي يجب عليهم أن يسلكوه إبانها، فيضلون عنه ضلالاً بعيداً، فمنهم مثلاً من يتَّبع من ادعى أنه المهدي أو عيسى، كالقاديانيين الذين اتبعوا ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى المهدوية أولاً، ثم العيسوية، ثم النبوة، ومثل جماعة (**جهيمان**) السعودي الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيراً من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرهم.

ومنهم من يشاركنا في النقمة على هؤلاء المدعين للمهدوية، ولكنه يبادر إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان، ويدعي بكل جرأة أنها موضوعة وخرافة!!! ويسفه أحلام العلماء الذين قالوا بصحتها، يزعم أنه بذلك يقطع دابر أولئك المدعين الأشرار! وما علم هذا وأمثاله أن هذا الأسلوب قد يؤدي بهم إلى إنكار أحاديث نزول عيسى ـ عليه السلام ـ أيضاً، مع كونها متواترة! وهذا ما وقع لبعضهم، كالأستاذ فريد وجدي، والشيخ رشيد رضا، وغيرهما، فهل يؤدي ذلك بهم إلى إنكار ألوهية الرب ـ تبارك وتعالى ـ لأن بعض البشر ادَّعوها كما هو معلوم؟! نسأل الله السلامة من فتن أولئك المدعين، وهؤلاء المنكرين للأحاديث الصحيحة الثابتة عن سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم»[(٢)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٥٥٨/٤).

(٢) المصدر نفسه (٢٧٨/٥).

وأما كلامه عنهم وتحذيره من فكرهم في أشرطته المسموعة؛ فأكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يذكر.

وما كنت لأستطرد في هذه المسألة لولا ظهور رجل شانئ سخر قلمه وأطلق لسانه ظلماً وزوراً وتحريفاً وملأ الصحف ورفع عقيرته في القنوات الفضائية ويعينه على ذلك أحزاب وقوم سوء ومما ذكره أن الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ كان من مصادر فكر جهيمان والمنظر لحركته، وأن دعوته كذلك؛ فوجب بيان الحال نصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ لئلا يغتر بكلامه من لا يعرف الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ وحقيقة دعوته السلفية النقية التي هي محض الإيمان، ولباب الأمن والأمان على كل ديار المسلمين.

وقد شهد بذلك القاصي والداني، والمحب والشاني، وصدق شيخنا عندما قال: إذا مات الألباني عرفه الناس!!!

٤٧ ـ يؤخذ من هذا الحديث خطورة الشبهات، وأنها خطافة، والقلوب ضعيفة.

قال شيخنا فقيه الزمان ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«انظر كيف يتعلق الإنسان بالشبه؟!

ومن حكمة الله ـ عز وجل ـ أن في الوحي ـ كتاباً وسنَّة ـ شبهات، وكذلك في الأمور الكونية شبهات، من أجل الابتلاء والامتحان.

أما الشبهات في الأمور الشرعية ـ كالكتاب والسنَّة ـ فالابتلاء فيها لمن في قلبه زيغ، ولمن كان صافي القلب.

أما الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه، وأما الذين صفت قلوبهم وسلمت، فيحملون المشتبه على المحكم.

ولقد ذكرنا هذه القاعدة أنه إذا ورد نص ذو وجهين، ونص لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، فالأول مشتبه، والثاني محكم، فيجب أن يحمل المشتبه على المحكم، وبهذا يستريح الإنسان، ويسلم مما يقع في قلبه من الشك.
أما في الأمور الكونية، فالله ـ عز وجل ـ يقدر مصائب عامة وخاصة، توجب للإنسان الذي إيمانه ضعيف، أن ينحرف، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]. فتجد القلب يقول: لماذا قدر الله هذا الشيء؟ لماذا قدر هذه السيول الجارفة؟ لماذا قدر هذه الريح العاصفة؟ لماذا قدر هذه الفتنة الطاحنة؟ وما أشبه ذلك، لكن المؤمن يعلم بأن الله لم يقدر ذلك إلا لحكم بالغة، وأسرار عظيمة، يعجز الإنسان عن إدراكها، فمن هنا يتمحص المؤمن من غير المؤمن.

هؤلاء الخوارج استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]. وما بعد الخزي من رفعة ولا إكرام، واعتمدوا على نصوص الوعيد، وغفلوا عن نصوص الوعد.

كما أن المرجئة على العكس، قالوا: إن صاحب الكبيرة لا يدخل النار أصلاً؛ لأن النار إنما أعدت للكافرين، وصاحب الكبيرة ليس بكافر، فلا يدخل النار، واعتمدوا على نصوص الوعد، وكلا الطائفتين مبتدعة، نظرت إلى النصوص بعين الأعور، الذي لا يرى إلا بعين واحدة.

أما أهل الحق ـ نسأل الله أن يجعلنا منهم ـ فإنهم نظروا للنصوص بعينين، وجمعوا بينهما، وقالوا: إن أهل النار ـ الذين هم أهلها ـ فهم الكفار الذين كفرهم محض، وهؤلاء لا شك أن النار أعدت لهم، وأما أهل النار الذين يستحقون أن يعذبوا فيها بقدر ذنوبهم؛ فهؤلاء هم عصاة المؤمنين، وهم مستحقون للنار، لكن قد لا يدخلونها بعفو الله عنهم، أو بشفاعة؛ لأن الإنسان قد يشفع له قبل يوم القيامة، كما قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ما من رجل مسلم يموت يقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**»، فيغفر له بسبب دعاء المصلين له.

فأهل الحق قالوا: إن الشفاعة لأهل الكبائر: إما أن لا يدخلوا النار، أو يخرجوا منها إذا دخلوا فيها.

وهؤلاء ـ أعني: الخوارج ـ قالوا: من دخل النار، فإنه لا يخرج منها، واستدلوا بالآيات المتشابهة، وهي قوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ أي: أذللته، ولا عزَّ بعد الذل.

والآية الثانية قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]. فكيف يخرجون منها إخراجاً كليًّا؟

وبناءً على ما تقدم من قاعدة التعامل مع النصوص المحكمة والمتشابهة، فنقول ما قاله أئمتنا، وسلفنا الصالح: إن الله يخرج بالشفاعة أقواماً من النار، قد امتحشوا واحترقوا، ويدخلهم الجنة، وليس هذا بممتنع ولا بعزيز على الله ـ عز وجل ـ.

قال: فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنهم رجعوا من الحج، وأنهم اقتنعوا بما قال جابر، إلا رجلاً واحداً فبقي على رأي الخوارج، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فإن قيل: هؤلاء الخوارج، ذكر النبي ﷺ أنهم أهل تعبد، فكيف يجتمع هذا مع كونهم أشداء على أهل الإسلام؟

والجواب أن يقال: إن الرسول ﷺ أخبر أن الإسلام لا يتجاوز حناجرهم، فقلوبهم خاوية، عندهم قوة في الظاهر وتزمت، ولهذا يكفِّرون الناس، لكن القلوب ـ والعياذ بالله ـ خاوية من الإيمان؛ لأنهم يريدون أن يسطوا على الناس من فوق، وأن يلزموا الناس بالشريعة، ولكن فيما بينهم وبين الله ـ نسأل الله السلامة ـ قد حيل بينهم وبين الإيمان، وهذا يوجب أن الإنسان يخشى على نفسه من الغيرة الشديدة، التي ربما تجعله ظاهريًّا، والقلب خاوٍ، كما كان عليه هؤلاء الخوارج، وقد قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: والله ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بما وقر في قلبه.

ونحن إذا تأملنا أحوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ؛ وجدنا أن أعمالهم بسيطة وسهلة، ليس فيها صعوبة ولا مشقة، ولكن مع ذلك، لا شك أنهم أصفى منا إيماناً، وأتقى لله»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٦٦ ـ ٦٦٩).

٣٢١ ـ {١٩٢} حَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ وَثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلى اللَّهِ، فَيَلتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا؛ فَلا تُعْدِنِي فِيهَا. فَيُنَجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين من أوله إلى آخره.

٣ ـ هدّاب ـ بالتثقيل وفتح أوله ـ ، ويقال له ـ أيضاً ـ : هُدبة ـ بضم أوله وسكون الدال بعدها موحدة ـ ، وهو ابن خالد الأسود القيسي، أبو خالد البصري، ثقة عابد.

٤ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

✹ غريب الحديث:

قوله: (يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله): أربعة رجال، أو فئات من الناس يخرجهم الله من النار بعد أن عذبوا بذنوبهم فيعرضون عليه ـ سبحانه وتعالى ـ.

قوله: (فليتفت أحدهم فيقول: أي ربِّ، إذ أخرجتني منها؛ فلا تعدني فيها. فينجيه الله منها): بعد خروجهم من النار يلتفت أحدهم إليها يكاد لا يصدق أنه خرج منها، ونجا من عذابها يدعو ربه قائلاً: بعد أن أكرمتني ومننت عليَّ بالخروج منها؛ فلا تعدني إليها. فيستجيب الله له فينجيه منها.

فقه الحديث:

١ ـ أن شدة العذاب تذهب بلب القلب، فكأنه لا يدرك ما يحصل معه؛ فهو كالسكران.

٢ ـ أنّ الخارجين من النار أصناف متعددة.

٣ ـ أنّ الدعاء والسؤال لا ينقطع حتى في الآخرة، فإن عطاء ربنا غير مقطوع.

٤ ـ بيان فضل الله ـ تعالى ـ على الموحدين.



٣٢٢ ـ {١٩٣} حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فُضَيْلُ بْنُ حُسَيْنٍ الجَحْدَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الغُبَرِيُّ ـ وَاللفْظُ لأَبِي كَامِلٍ ـ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ** ـ وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: **فَيُلهَمُونَ لِذَلِكَ** ـ **فَيَقُولونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلى رَبِّنا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا! قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الخَلقِ، خَلقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ؛ فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلكِنِ ائْتُوا نُوحاً، أَوَّلَ رَسُولٍ بَعثَهُ اللَّهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحاً ﷺ. فَيَقُولُ: لسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلاً. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلكِنِ ائْتُوا مُوسَى ﷺ، الذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ. فَيَقُولُ: لسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، ولَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. فَيَقُولُ: لسْتُ هُنَاكُمْ، ولَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً ﷺ، عَبْداً قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**

وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ على رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُل تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَداً فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وأُدْخِلهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ! قُل تُسْمَعْ، سَل تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وأُدْخِلهُمُ الجَنَّةَ** ـ قَالَ: فَلا أَدْرِي في الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ ـ **فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إلا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلودُ**». قَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلودُ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين من أوله إلى آخره.

٣ ـ بيان منهج مسلم ـ رحمه الله ـ في إيراد الروايات الصحيحة مع ما فيها من إدراج؛ مع التنبيه عليه.

٤ ـ أنّ قوله: «أي وجب عليه الخلود» مدرجةً من كلام قتادة؛ كما نبه عليه في قوله: قال ابن عبيد.

٥ ـ حديث أنس أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٤٤٧٦ و٦٥٦٥ و٧٤١٠ و٧٥١٠ و٧٥١٦).

* غريب الحديث:

قوله: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك ـ وقال ابن عبيد: فيلهمون لذلك ـ فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا!): «فيهتمون ويلهمون: معنى اللفظتين متقارب، فمعنى **الأولى**: أنهم يعتنون بسؤال الشفاعة، وزوال الكرب الذي هم فيه، ومعنى **الثانية**: أن الله ـ تعالى ـ يلهمهم سؤال ذلك، والإلهام أن يلقي الله ـ تعالى ـ في النفس أمراً يحمل على فعل الشيء أو تركه»، قاله النووي.

واستشفعنا: السين والتاء للطلب؛ أي: لو طلبنا الشفاعة من أصحابها؛ ليشفعوا لنا عند ربنا.

والمعنى: أنّ الناس ـ كلُّ الناس مؤمنهم وكفارهم سواء ـ في موقف الحساب يغشاهم من الكرب، والهم، والغم ما لا يطيقون، ولا ما لا يحتملون؛ لأنهم لا يعلمون مآلهم، وجزاءهم، والشمس فوق رؤوسهم؛ فيلهمهم الله ـ تعالى ـ رحمة منه بهم ـ أنْ يذهبوا إلى الأنبياء ـ وهم أول وأولى الخلق بالشفاعة عند الله تعالى ـ يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله، من أي شيء، ولأي شيء؟ يطلبون الشفاعة للراحة من هذا الموقف الرهيب الذي يشيب فيه الولدان، ويتبرأ كل صاحب من صاحبه، وكل ابن من أبيه وهكذا.

قوله: (فيأتون آدم ﷺ فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؛ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب؛ فيستحيي ربَّهُ منها، ولكن ائتوا نوحاً): أبو الخلق: عام أُريد به الخصوص، وهم البشر؛ كما في الرواية القادمة. والبشر أبناؤه؛ لأنهم منه؛ فكل الناس من ذكر وأُنثى من صلبه ـ عليه السلام ـ.

وخلقك الله بيده: هو من قوله ـ تعالى ـ في القرآن العظيم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] في خطابه لإبليس الخسيس، وهذا تشريف وتكريم، ومن تشريفه وتكريمه لآدم أن الله تعالى خلق آدم بيديه من

غير واسطة، وفيه إثبات صفة اليدين لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله.

ونفخ فيك من روحه: الإضافة فيه للتشريف والتكريم.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«**قوله**: «**ونفخ فيك من روحه**» ليس المراد أن الله نفخ فيه من روحه هو نفسه، وذلك لأن هذه الروح مخلوقة، وصفات الله عزَّ وتعالى غير مخلوقة، لكن هذا من باب إضافة الشيء إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ تكريماً وتشريفاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤]، وكقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]؛ فهي روح مخلوقة أضيفت إلى الله من باب التشريف والتكريم»[1].

وأمر الملائكة فسجدوا لك: أيضاً تشريف وتكريم، وهو خاص بآدم ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ، ومن الملائكة فقط.

وأمّا اليوم؛ ففي شريعتنا أنّ من سجد لأحد كائناً من كان ـ دون الله تعالى ـ فهو شرك وكفر لا يجوز.

اشفع لنا: أي: اطلب الشفاعة من الله.

والشفاعة: من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله، وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى؛ ليستعين به على ما يرومه؛ كما في «الفتح». أو ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك؛ فهي على التحقيق: إظهارٌ لمنزلة الشفيع عند المشفع، وإيصال منفعةٍ إلى المشفوع له؛ قاله القرطبي.

عند ربك: وفي الرواية الأخرى: «**إلى ربك**»، وتوجه بأنه ضمن معنى استشفعنا سعيٌ؛ لأن الاستشفاع طلب الشفاعة.

لست هناكم: هناك ظرف مكان، والمعنى: لست أنا في هذا المقام، وهي ـ أي الكلمة ـ كناية عن أنَّ منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعاً،

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٧٢).

وإكباراً لما يسألونه، وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري، ويؤيده رواية: «لست بصاحب ذاك».

فيذكر خطيئته التي أصاب: وهي أكله من الشجرة التي نهي عن أكلها؛ فعصاه، وبها أُخرج من الجنة، وأُهبط إلى الأرض، ولهذا يستحيي أن يطلب من ربه الشفاعة وقد عصاه، وعندها يحيلهم إلى نوح - عليه الصلاة والسلام -.

قوله: (أول رسول بعثه الله. قال: فيأتون نوحاً ﷺ. فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها): قال آدم لهم: اذهبوا إلى هذا النبي الرسول - وهو أول رسول - لأهل الأرض، فإنه خص بهذه المنقبة لفضله؛ فاطلبوا منه الشفاعة.

ثم هو - نوح - يقول مثل ما قال آدم - عليهما الصلاة والسلام -.

وسيأتي ذكر خطيئته في الرواية القادمة. وهكذا الخليل. والخليل: من الخلة؛ وهي: أعلى درجات المحبة.

قال في «النهاية»: «الخلة - بالضم - الصداقة والمحبة التي تخلّلت القَلب فصارت خلاله؛ أي: باطنه، والخليل: الصديق، فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، وإنما قال ذلك؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله - تعالى -، فليس فيها لغيره متسع، ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة، فإن الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين». اهـ.

وقيل: أصلها الانقطاع إلى من يخالك، مأخوذ من الخلة، وهي الحاجة؛ فسمي إبراهيم بذلك؛ لأنه قصر حاجته على ربه.

قوله: (ويذكر خطيئته التي أصاب): وهي الكذبات الثلاث التي جادل بها عن دين الله، وهي: قوله: إني سقيم، وقوله: فعله كبيرهم هذا، وقوله لامرأته: **أخبريه أني أخوك**.

وهي كذبات لغة، ولكن حقيقتها معاريض وتورية، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب.

وعلى الجُمْلَة؛ فأوجهُ هذه الأمورِ واضحةٌ، وصِدْقها معلومٌ على الأوجه المذكورة، فليس في شيءٍ منها ما يقتضي عِتاباً ولا عِقاباً، لكنّ هَوْلَ المقام وشدَّة الأمر حَمَله على ذلك الخوفِ منها، وأيضاً؛ فلنتبين درجة من يقول: «نفسي نفسي» من درجة من يقول: «**أمتي أمتي**»، والله أعلى وأعلم.

قال شيخنا ابن عثيمين:

«فإذا قال قائل: أليست التورية جائزة أحياناً؟ فيقال: بلى، ولا تقدح في عدالة الإنسان، لكن الإنسان الذي يكون في قمة المراتب، يرى كل شيء خادشاً لهذه المرتبة، فخجل أن يشفع إلى الله ـ عز وجل ـ بعد هذه الكذبات الثلاث.

وهذا أمر مشاهد، فترى الرجل التقي إذا فعل معصية تعظم في نفسه؛ لأنه لم يعتدها، ويكرهها، لكن الرجل الممارس لهذه المعصية لا يهتم بها، وكأنها ليست بشيء، ولهذا كان إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعلو مرتبته ـ رأى أن هذه الكذبات الثلاث مانعة أن يكون شفيعاً عند الله ـ عز وجل ـ»[1].

قوله: (ولكن ائتوا موسى ﷺ الذي كلّمه الله، وأعطاه التوراة): قال صاحب «التحرير»: أنّ الفضل الذي أُعطيته ـ أي إبراهيم ـ كان بسفارة جبريل، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة.

وفيه الإشارة إلى قول الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال النووي: «هذا بإجماع أهل السنة على ظاهره، وأن الله ـ تعالى ـ كلم موسى حقيقة كلاماً سمعه بغير واسطة، ولهذا أكد بالمصدر. والكلام صفة ثابتة لله ـ تعالى ـ لا يُشبه كلام غيره». اهـ.

وقد أوحى الله ـ تعالى ـ لموسى بالتوراة وهو الكتاب المقدس. فيقول: لست هناكم.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٨٠ ـ ٦٨١).

قال القاضي: «هذا يقولونه تواضعاً، وإكباراً لما يسألونه، وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أنّ هذه الشفاعة، وهذا المقام ليس له بل لغيره، وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى انتهى الأمر إلى صاحبه، ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معيناً، وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد ﷺ» ذكره النووي.

قوله: (ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته): عيسى: هو ابن مريم - عليه الصلاة والسلام -.

وروح الله: هي إضافة تشريف؛ كما يقال: بيت الله. وكلمته: سماه كلمة؛ لأنه كان بكلمة «كن» من غير أن يتقلب في أطوار الخلق كما تقلب غيره.

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -:

«وأنت ترى أن كل من سبق من الأنبياء والرسل يحيل إلى من بعده، ويعتذر بما يرى أنه عذر، ثم يأتون إلى عيسى، ولا يعتذر بشيء، ولكن يقول: «اذهبوا إلى محمد»، والحكمة من ذلك - والله أعلم - لأمرين:

الأول: أن يظهر فضل الرسول ﷺ، حيث إن كل واحد من هؤلاء الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام -، يعتذر بما يرى أنه عذر يحول بينه وبين الشفاعة، أما عيسى - عليه الصلاة والسلام - فلا يعتذر، لكن يرى أن محمداً ﷺ أولى بالشفاعة منه، فيكون محمد ﷺ أولى؛ لأنه ليس له ما يعتذر به، وهذا يؤخذ من اعتذار الأربعة.

والأمر الثاني: لإظهار كماله وفضله عليهم، وهذا يؤخذ من أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يقل شيئاً، فكان النبي ﷺ لكماله، أحقهم بالشفاعة، وإلاّ لألهمهم الله - عز وجل - أن يأتوا إلى محمد ﷺ من أول الأمر، ولا يحتاج أن يترددوا إلى هؤلاء الرسل - عليهم الصلاة والسلام -»[1].

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٨٢).

قوله: (ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عبداً قد غُفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر): احتج عيسى ـ عليه السلام ـ بأن محمداً صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بمعنى: أنّ الله لا يؤاخذه بذنب لو وقع منه، بخلاف غيره من إخوانه النبيين حيث وقع منهم الخطأ، وإن كان معفواً عنهم.

قوله: (فيأتوني، فأستأذن على ربي؛ فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله. فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع): بعد أن ينتهوا من عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ يأتون محمداً ﷺ يطلبون منه الشفاعة، فيجيبهم لما سألوا، فينطلق إلى مكان خاص ـ وهو تحت العرش ـ كما يأتي في الرواية القادمة، فيأذن الله له بالسجود فيسجد سجوداً طويلاً إلى أن يأذن له ﷺ برفع رأسه؛ فيرفعه، وعندها يظهر عظم مكان ومكانة نبينا محمد سيد الخلق في الدنيا والآخرة، ويعطى كل ما يريد.

قوله: (فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع، فيحد لي حداً فأخرجهم من النار، وأُدخلهم الجنة): بعد رفع رأسه ﷺ يبدأ الثناء على الله ـ تعالى ـ قبل الطلب وبعد التعب والنصب، فيلهم ـ عليه السلام ـ من التحميد، والثناء الطيب الحسن ما لم يكن قد ألهم فيه في الدنيا، ولم يكن خطر على باله بتوفيق ربه له، وعندها يُشفعني بطائفة من أُمتي فيخرجون بأمر الله من النار تخرجهم الملائكة، على ما تقدم في حديث أبي سعيد الطويل الذي قد مضى، وفيه بيان حال الأفواج الخارجة من النار من الإيمان. وهكذا مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى لا يبقى أحدٌ من أُمته ﷺ في النار.

قوله: (فأقول: يا ربِّ! ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ـ أي: وجب عليه الخلود ـ) بعد خروج جميع العصاة من أُمته ﷺ، لا يبقى إلاّ المشركون والمنافقون في النار لا يخرجون أبداً سرمداً جزاءً وفاقاً.

فقه الحديث:

١ ـ فيه إثبات الشفاعة، والرد على أهل الزيغ المنكرين لها.

٢ ـ أنّ الناس لا يفصل ويحكم بينهم، وينتقلون إلى دارهم حتى تقع شفاعة النبي محمد ﷺ؛ وهي: الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي أوتيه نبينا محمد ﷺ.

٣ ـ بيان شدة الكرب الذي يلحق الخلق في المحشر.

٤ ـ الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم في الدنيا من التوسل إلى الله في حوائجهم بأنبيائهم.

٥ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ من رحمته بهم يلهمهم طلب الشفاعة من النبيين والمرسلين.

٦ ـ بيان ما أكرم الله به آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من بين سائر النبيين.

٧ ـ أنّ آدم هو أبو البشر، فكل البشر من ذريته.

٨ ـ إثبات نوع من أنواع الشفاعة؛ وهي: قبول الفصل بين العباد والإذن فيها.

٩ ـ وفيه أنّ المسؤول عن الأُسرة والبيت هو الأب.

١٠ ـ وأنّ من طلب من كبير أمراً مهماً أن يقدم بين يدي سؤاله وصف المسؤول بأحسن صفاته، وأشرف مزاياه؛ ليكون أدعى لإجابته لسؤاله.

١١ ـ وأنّ المسؤول إذا لم يقدر على تحصيل ما سئل يعتذر بما يقبل منه، ويدل على من يظن أنه يكمل في القيام بذلك؛ فالدال على الخير كفاعله.

١٢ ـ وأنّ يُثنيَ على المدلول عليه بأوصافه المقتضية لأهليته، ويكون أدعى لقبول عذره في الامتناع.

١٣ ـ وفيه إثبات صفة اليد لله ـ تعالى ـ على ما يليق به سبحانه.

١٤ ـ وأنّ سجود الملائكة لآدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ تكريماً وتعظيماً لأمر الله وطاعة له.

١٥ ـ وأنّ السجود لغير الله ـ تعالى ـ في شريعتنا: كفر.

١٦ ـ قال الحافظ: «"لست هناكم" فيه استعمال ظرف المكان في الزمان لقوله؛ لأن هنا ظرف مكان فاستعملت في ظرف الزمان؛ لأن المعنى: لست في ذلك المقام، كذا قاله بعض الأئمة، وفيه نظر، وإنما هو ظرف مكان على بابه لكنه المعنوي لا الحسي، مع أنه يمكن حمله على الحسي لما تقدم من أنه ﷺ يباشر السؤال بعد أن يستأذن في دخول الجنة».

١٧ ـ أنّ نوحاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ أول رسل الله إلى أهل الأرض، وهذا لا يعارض كون آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبيًّا معلَّماً؛ كما سيأتي.

١٨ ـ استحباب الحياء من الله ـ تعالى ـ.

١٩ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ اتخذ إبراهيم خليلاً.

٢٠ ـ إثبات كلام الله ـ تعالى ـ، وأنه كلَّم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ تكليماً.

٢١ ـ أنّ التوراة كتاب سماوي نزل على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٢٢ ـ أنّ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يذكر خطيئة في هذه الرواية، وإن ثبت أنه ذكر شيئاً نُسِبَ إليه في روايات صحيحة.

٢٣ ـ بيان فضل نبينا ﷺ حيث غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنوبه.

٢٤ ـ وفيه تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق؛ لأنّ الرسل والأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم، وقد ظهر فضله في هذا المقام عليهم.

٢٥ ـ وفيه تفضيل الأنبياء المذكورين فيه على من لم يذكر فيه؛

لتأملهم لذلك المقام العظيم دون من سواهم، وهم: آدم ـ عليه السلام ـ؛ فهو أبو البشر، وأما البقية وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم السلام ـ؛ فهم أولو العزم من الرسل.

٢٦ ـ أنّ النبي ﷺ يرى ربه في الآخرة، ويسجد له، ويسأله، ويعطيه.

٢٧ ـ وبيان نوع آخر من أنواع الشفاعات؛ وهو: إخراج عصاة الموحدين من النار على دفعات.

٢٨ ـ أنّ أهل الشرك والكفر لا يخرجون من النار أبداً.

٢٩ ـ أنّ شرط الشفاعة إذن الخالق ورضاه عن الشافع.

٣٠ ـ بيان كرامة الله ـ تعالى ـ لرسوله في الدارين.

٣١ ـ وبيان فضيلة الحمد.

٣٢ ـ أنّ الناس يستشير بعضهم بعضاً عند وقوع الحوادث.

٣٣ ـ مشروعية الاستئذان قبل الدخول على الأسياد، والحكام، والعلماء، ونحوهم.

٣٤ ـ استحباب تحري المكان الشريف للدعاء؛ لأنّ الدعاء فيه أقرب للاستجابة.

٣٥ ـ أن هذا المقام والحديث بعامة تفسير لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٣٦ ـ أنّ ما أُجمل في عَدَدِ وحَالِ الدفعات التي تخرج من النار فصلت فيما مضى.

٣٧ ـ وفيه الرد على المرجئة والخوارج وهما على طرفي نقيض.

٣٨ ـ وتقديم ذوي الأسنان، والآباء على الأبناء في الأمور التي لها بال.

٣٩ ـ وبيان فضل محمد ﷺ على جميع الأُمم والخلق أجمعين.

قال النووي: «والحكمة في أنّ الله - تعالى - ألهمهم سؤال آدم، ومن بعده - صلوات الله وسلامه عليهم - في الابتداء، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد ﷺ؛ هي والله أعلم إظهار فضيلة نبينا محمد ﷺ، فإنهم لو سألوه ابتداءً لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله، وأمّا إذا سألوا غيره من رسل الله - تعالى - وأصفيائه فامتنعوا، ثم سألوه فأجاب، وحصل غرضهم، فهو النهاية في ارتفاع المنزلة، وكمال القرب، وعظيم الإدلال، والأُنس».

٤٠ - أن قوله: «أي وجب عليه الخلود» من تفسير الراوي، وهو قتادة، وليس من المرفوع.

➢ فوائد زوائد:

١ - ثبت أن الأنبياء - عليهم السلام - يأتون نبينا محمد ﷺ ليشفع للأمم عند ربها.

أخرج الإمام أحمد في «المسند» **(١٢٣٥٩)** بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس - رضي الله عنه -:

حدثني نبي الله ﷺ: «**إني لقائم أنتظر أمتي، تَعْبُر على الصراط، إذ جاءني عيسى، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد، يسألون، أو قال: يجتمعون إليك، ويدعون الله - عز وجل - أن يُفَرِّق جمع الأمم إلى حيث يشاء الله؛ لِغَمِّ ما هم فيه، والخلق مُلْجَمون في العرق، وأما المؤمن فهو عليه كالزُّكمة، وأما الكافر فيتغشاه الموت، قال: قال لعيسى: انتظر حتى أرجع إليك، قال: فذهب نبي الله ﷺ حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يَلْقَ ملك مُصْطَفَى، ولا نبي مُرْسَلٌ، فأوحى الله - عز وجل - إلى جبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تُشَفَّع، قال: فَشُفِّعتُ في أمتي، أن أُخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، قال: فما زلت أتردد على ربي - عز وجل -، فلا أقوم مقاماً إلا شُفِّعت حتى أعطاني الله - عز وجل - من ذلك أن قال: يا محمد، أدخل من أمتك من خلق الله - عز وجل - مَن شَهِد أنه لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً، ومات على ذلك**».

٢ ـ استشكل قول أهل الوقف لنوح أنه أول الرسل إلى أهل الأرض بأن آدم نبي مرسل.

وأجاب العلماء على ذلك بأجوبة، منها:

أ ـ بأن الأولية مقيدة بقوله: «إلى أهل الأرض».

ب ـ بأن رسالة آدم ـ عليه السلام ـ إلى بنيه، وهم موحدون ليعلمهم شريعته، ونوح رسالته إلى قوم كفار؛ ليدعوهم إلى التوحيد.

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«**قوله: «فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله»**: وهذا صحيح: لأن نوحاً أول رسول، وبه نعرف كذب ما يذكر من النسب، أن إدريس كان جدًّا لنوح.

وإدريس كان من الأنبياء، ولو كان جدًّا له، لكان هو أول رسول، ولكن هذا كذب، وإدريس من بني إسرائيل.

فإذا قال قائل: أليس آدم نبيًّا؟ قلنا: بلى هو نبي أوحي إليه، مأمور ومنهي، متعبد لله بالوحي الذي أوحاه الله إليه، لكن ليس رسولاً؛ لأنه يقال: إلى من أرسل؟ هو أول من خلق من البشر، فليس رسولاً، ثم إن أولاده كانوا قليلين، لم يحصل بينهم خلاف، ولا انتشروا في الأرض؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. فكانوا أمة واحدة، فاختلفوا، ثم بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وهذا واضح صريح في أن أول رسول هو نوح ـ عليه السلام ـ»(١).

٣ ـ ذكر أبو حامد الغزالي في «كشف علوم الآخرة»: أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحاً ألف سنة، وكذلك بين كل نبي ونبي إلى نبينا محمد ﷺ.

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٧٥ ـ ٦٧٦).

قال الحافظ: «ولم أقف لذلك على أصل، ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها؛ فلا تغتر بشيء منها».

٤ ـ لم يذكر عيسى ـ عليه السلام ـ ذنباً له؛ لكن وقع في رواية الترمذي من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ: «إني عبدت من دون الله» وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس: «إني اتخذت إلهاً من دون الله» وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور نحوه، وزاد: «وإن يغفر لي اليوم حسبي»، قاله الحافظ.

٥ ـ قال الحافظ ـ رحمه الله ـ:

«وتقدم في بعض طرقه: أن من جملة سؤال أهل الموقف استفتاحَ باب الجنة، وقد ثبت في «صحيح مسلم» أنه أوّلُ من يستفتح باب الجنة، وفي رواية علي بن زيد، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عند الترمذيّ: «**فآخذ حلقة باب الجنة، فأُقعقعها، فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتحون لي، ويُرَحِّبون، فأَخِرُّ ساجداً**»، وفي رواية ثابت، عن أنس، عند مسلم: «**فيقول الخازن: مَنْ؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»، وله من رواية المختار بن فلفل، عن أنس، رفعه: «**أنا أوّلُ من يَقْرَع باب الجنة**»، وفي رواية قتادة، عن أنس: «**آتي بابَ الجنة، فأستفتح، فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحباً بمحمد**»، وفي حديث سلمان: «**فيأخذ بحلقة الباب، وهي من ذهب، فيقرَعُ الباب، فيقال: مَن هذا؟ فيقول: محمد، فيفتح له، حتى يقوم بين يدي الله، فيستأذن في السجود، فيؤذن له**»، وفي حديث أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «**فيأتي جبريل ربه، فيقول: ائذن له**»(١).

٦ ـ قال الحافظ ـ رحمه الله ـ:

«وقد تمسّك بعض المبتدعة من المرجئة بالاحتمال المذكور في دعواه: أن أحداً من الموحدين لا يدخل النار أصلاً، وإنما المراد بما جاء من أن النار تَسْفَعُهم، أو تَلْفَحهم، وما جاء في الإخراج من النار جميعه محمول على ما يقع لهم من الكرب في الموقف.

---

(١) «فتح الباري» (١١/٤٤٤ ـ ٤٤٥).

وهو تمسك باطلٌ، وأقوى ما يُرَدّ به عليه ما سيأتي للمصنّف في «كتاب الزكاة» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في قصة مانع الزكاة: «**ما من صاحب إبل، لا يؤدّي حقّها منها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قَرْقَر أوفر ما كانت، تطؤه بأخفافها، وتَعَضّه بأفواهها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقْضَى بين العباد، فَيَرَى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار...**» الحديث بطوله، وفيه ذكر الذهب، والفضة، والبقر، والغنم، وهو دالٌّ على تعذيب من شاء الله من العصاة بالنار حقيقةً، زيادة على كرب الموقف.

وورد في سبب إخراج بقية الموحدين من النار ما تقدم أنّ الكفار يقولون لهم: ما أغنى عنكم قول: لا إله إلا الله، فَيَغْضَب الله لهم، فيخرجهم، وهو مما يُرَدُّ به على المبتدعة المذكورين»[1].

٧ ـ فيه إطلاق صفة الغضب على الله تعالى على حقيقتها، ما يليق بجلاله ـ سبحانه وتعالى ـ، من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، كبقيّة صفاته ـ سبحانه وتعالى ـ من السمع، والبصر، والقدرة، والرضا، والمحبّة، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأما تأويله بما يظهر من انتقامه ممن عصاه، بإرادة إيصال السوء، ونحو ذلك مما ذكره الشرّاح كالنوويّ وغيره، فإنه تحريف، مخالف لظواهر النصوص، ومذهب السلف الصالح.

٨ ـ قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «استَدَلَّ بهذا الحديث من جوّز الخطايا على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، كقول: كلِّ مَن ذُكِر فيه ما ذَكَرَ، وأجاب عن أصل المسألة بأنه لا خلاف في عصمتهم من الكفر بعد النبوة، وكذا قبلها على الصحيح، وكذا القول في الكبيرة على التفصيل المذكور، ويَلتَحِق بها ما يُزْرِي بفاعله من الصغائر، وكذا القول في كل ما يَقْدَح في الإبلاغ، من جهة القول، واختَلَفُوا في الفعل، فمنعه بعضهم حتى في النسيان، وأجاز الجمهور السهو، لكن لا يَحْصُل التمادي، واختلفوا فيما عدا ذلك كله، من

---

(١) «فتح الباري» (١١/٤٤٤ ـ ٤٤٥).

الصغائر، فذهب جماعة من أهل النظر إلى عصمتهم منها مطلقاً، وأوّلوا الأحاديث، والآيات الواردة في ذلك بضروب من التأويل، ومن جملة ذلك أن الصادر عنهم إما أن يكون بتأويل من بعضهم، أو بسهو، أو بإذن، لكن خَشُوا أن لا يكون ذلك موافقاً لمقامهم، فأشفقوا من المؤاخذة، أو المعاتبة. قال: وهذا أرجح المقالات، وليس هو مذهب المعتزلة، وإن قالوا بعصمتهم مطلقاً؛ لأن مَنْزَعهم في ذلك التكفير بالذنوب مطلقاً، ولا يجوز على النبي الكفر، ومَنْزَعنا أن أمّة النبي مأمورة بالاقتداء به في أفعاله، فلو جاز منه وقوع المعصية للزم الأمر بالشيء الواحد، والنهي عنه في حالة واحدة، وهو باطل. ثم قال ما ذُكر في حديث الباب لا يَخرُج عما قلناه؛ لأن أكل آدم من الشجرة، كان عن سهو، وطَلَب نوح نجاة ولده، كان عن تأويل، ومقالات إبراهيم كانت معاريض، وأراد بها الخير، وقتيل موسى كان كافراً»[١]. انتهى ملخصاً.

قال أبو أسامة الهلالي ـ غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ـ: القول الجامع في هذه المسألة: أن الأنبياء معصومون من الكفر والشرك والكبائر وما يبلغون عن الله تعالى مطلقاً، وأما الصغائر؛ فإن وقعت عن سهو أو تأويل؛ فلا يداومون عليها، والله أعلم.

٩ ـ تفسير قتادة الذي ورد في آخر الحديث صحيح بلا مثنوية، لأنه مأخوذ من خبر القرآن الصريح: أن الكفار مخلدون في جهنم، وأن الله لا يغفر أن يشرك به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤].

وفيه دلالة لمذهب أهل السنَّة والجماعة وما أجمع عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن تبعهم بإحسان: أنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد.

١٠ ـ قال شيخنا ابن العثيمين موضحاً خطيئة آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

«... فيذكر خطيئته التي أصاب، وقد فسرت في الأحاديث بأنها أكله من الشجرة؛ لأن الله تعالى قال لما أسكنهما الجنة: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. نهاهما فجاء

---

(١) «إكمال المعلم» (١/٥٧٣ ـ ٥٧٥).

إبليس، فوسوس لهما، فقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١ و٢٢]. وهو كاذب، حتى أكلا منها، ولهذا وسوس لأبينا، وصار يوسوس لنا ـ أيضاً ـ ويغرنا، نعرف الحق كما نعرف الشمس، ولكنه يقاسمنا بأنه ناصح: افعل كذا، افعل كذا حتى نغتر، فهذه خطيئته التي ذكر.

وفي هذا دليل على أن ما يروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن آدم ـ عليه السلام ـ جاءه إبليس حين حملت حواء، وأمرهما أن يسميا ولدهما عبد الحارث، وأبيا، فخرج ميتاً مرتين، أو ثلاثة، فجاءهم في الثالثة أو الرابعة، وقال: لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل ـ وهو نوع من الغزلان ـ فيخرج من بطنك فيشقه، فسمياه: عبد الحارث، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠، ١٩١]. فهذه القصة ليست بصحيحة إطلاقاً.

وقد بينا في شرح «التوحيد» أنها غير صحيحة من ثمانية أوجه: نقلية وعقلية، وأنها لا تصح من آدم ـ عليه السلام ـ؛ لأنه لو كانت كذلك؛ لكان اعتذاره بها أولى من اعتذاره بأكله من الشجرة؛ لأن أكل الشجرة معصية، وذاك شرك، والشرك أعظم»(١).

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: الذي ذكره شيخنا ـ رحمه الله ـ سبعة أوجه:

«**وهذه القصة باطلة من وجوه:**

الوجه الأول: أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ، وهذا من الأخبار التي لا تُتلقَّى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة.

الوجه الثاني: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء؛ لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا: ماتا عليه؛ كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة:

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٧٤ ـ ٦٧٥).

إذا مــا ذَكَــرْنَــا آدَمــاً وفِــعَــالَــهُ وتَـزْوِيـجَـه بِـنْـتَـيـه بـابْـنَـيـهِ بـالـخَـنَـا
عَلِمْنا بأنَّ الخَلْقَ من نَسْلِ فاجِرٍ وأن جميعَ الناسِ من عُنْصرِ الزنا

فمن جَوّز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كان تاب من الشرك؛ فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا، ولم يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه وتابا من ذلك.

الوجه الثالث: أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

الوجه الرابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك؛ لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى.

الوجه الخامس: أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: «**أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة**»، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: «**أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة**»، فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما، فلا يقبلان منه صرفاً ولا عدلاً.

الوجه السادس: أن في قوله في هذه القصة: «**لأجعلن له قرني أيل**»: إما أن يُصدِّقا أن ذلك ممكن في حقه؛ فهذا شرك في الربوبية؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله، أو لا يُصدِّقا؛ فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه.

الوجه السابع: قوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء؛ لقال: عما يشركان.

فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم، وعلى هذا؛ فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذين أشركوا شركاً

حقيقيًّا، فإن منهم مشركاً ومنهم موحداً»[1].

١١ ـ وقال ـ أيضاً ـ:

«وإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد نال الخلة لما امتثل أمر الله الذي نفذه في أحب البشر إليه، وقد نال هذه الخلة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**» وهل نالها أحد غيرهما؟ لا نعلم، ولو كان أحد نالها ـ والله أعلم ـ لبيّنه الله ـ عز وجل ـ؛ لئلا يهضم صاحب الحق حقه، فالظاهر أن الخلة للخليلين فقط: إبراهيم ومحمد صلّى الله عليهما وسلّم.

وبه نعرف أن وصفنا لرسول الله ﷺ بخليل الله أبلغ من وصفنا إياه بحبيب الله؛ لأن المحبة أدنى من الخلة، والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يحب أبا بكر، وهو أحب الرجال إليه، ولكنه قال: «**لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**» فالخلة أعلى من المحبة، ولهذا ثبت المحبة من الرسول ﷺ لأبي بكر، وانتفت الخلة.

ولهذا نحن نقول: إن الله يحب المؤمنين، ولا نقول: إن الله خليل المؤمنين.

ولهذا نسمع بعض الناس يقول: «محمد حبيب الله، وإبراهيم خليل الله، وهذا غريب! أليس محمد خليل الله كإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ؟ لماذا لا نعطي الحق لأهله؟!»[2].

١٢ ـ وقال ـ أيضاً ـ:

«**فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته، وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك! قل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي؛ فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع، فيحد لي حدًّا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة**».

وهنا إشكال؛ وهو: أن الشفاعة المذكورة هنا، صارت فيمن كان في النار، فيخرج منها، قال أهل العلم: وإنما طوى الرواة ذكر الشفاعة؛ لأن

(١) «القول المفيد» (٢/٣٠٨ ـ ٣١٠).

(٢) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٧٩ ـ ٦٨٠).

الشيء الذي حصل فيه الخلاف والنزاع، فيمن استحق النار، أو فيمن دخل النار أن يخرج منها، أما الشفاعة العظمى فلا ينكرها أحد، لا الخوارج ولا المعتزلة، بل هم يقرون بها ـ وهي الشفاعة في أهل الموقف أن يقضي بينهم ـ وقد ورد هذا مفصلاً في أحديث أخرى، لكنها ليست في الصحيحين.

والمقصود: أن الرواة طووا ذكر ذلك؛ لأنهم احتاجوا أن يبينوا ما وقع فيه النزاع بين الأمة، وهو الشفاعة في أهل الكبائر، وقد كان للمعتزلة والخوارج ـ في ذلك الوقت ـ صولة كبيرة، لذلك احتاجوا أن يركزوا على هذا»[1].

١٣ ـ وقال ـ أيضاً ـ:

«حديث أنس ـ ﷺ ـ من أوفى الأحاديث في الشفاعة»[2].



٣٢٣ ـ {...} وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ** ـ أَوْ: **يُلْهَمُونَ ذَلِكَ** ـ» بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: «**ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ** ـ أَوْ: **أَعُودُ الرَّابِعَةَ** ـ **فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ إِلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواته كلهم بصريون.

٢ ـ أنّ هذا الإسناد وأربعة بعده كلها مسلسلة بالبصريين، وهذا الاتفاق في غاية الحسن ونهاية في الندور؛ أعني: اتفاق خمسة أسانيد في صحيح مسلم متوالية جميعهم بصريون.

٣ ـ بيان طريقة مسلم في اختصار الأحاديث وحسنها.

٤ ـ رواية سعيد بن أبي عروبة: ساقها أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف» **(٣١٦٧٧/٣٠٩/٦)**:

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٨٣ ـ ٦٨٤).

(٢) المرجع نفسه (ص٦٧١).

حدثنا محمد بن بشر، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، ويُلْهَمون ذلك، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون له: يا آدم أنت أبو البشر، وخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربنا، يُرِحْنا من مكاننا هذا، قال: لست هناكم، ويشكو إليهم، أو يذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه، ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول أُرسل إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمٰن، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم قتل النفس بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيأتون عيسى، فيقول: لست لذلكم، ولست هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني**» ـ قال الحسن ـ: قال: «**فأنطلق، فأمشي بين سِمَاطَين من المؤمنين**» ـ انقطع قول الحسن ـ «**فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيَدَعُني ما شاء الله أن يَدَعَني، فيقال: أو يقول: ارفع رأسك، قل تسمع، وسل تُعْطَه، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده تحميداً يُعَلِّمنيه، فأشفع، فيَحُدّ لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه ثانية، فإذا رأيت ربي، وقعت ساجداً، فيَدَعُني ما شاء الله أن يَدَعَني، ثم يقول مثل قوله الأول، قل تُسمَع، وسل تُعطَه، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده تحميداً يُعَلّمنيه، فأشفع، فيحدّ لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه ثالثة، فإذا رأيت ربي، وقعت ساجداً، فيَدَعُني ما شاء الله أن يَدَعَني، فيقال: سل تُعْطَه، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده تحميداً، يُعلّمنيه، فأشفع، فيحدُّ لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه في الرابعة، فأقول: يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن**».



٣٢٤ ـ {. . .} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ؛ قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلهَمُونَ لِذَلِكَ**» بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا. وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**». أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ - رواية هشام الدستوائي أخرجها أبو عوانة في «المسند» (١/١٥٣/٤٤٤):

حدثنا الصَّغَانيّ، قال: ثنا رَوح بن عُبادة. (ح) وحدثنا يونس بن حبيب، قال: ثنا أبو داود، قالا: ثنا هشام الدستوائيّ، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن نبي الله ﷺ قال: «**يُجْمَع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لستُ هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحاً، أول الرسل بعثه الله، فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، ويَذكُر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمٰن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطايا أصابها، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة، وكَلَّمه تكليماً، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيَدَعني ما شاء الله أن يَدَعَني، ثم يقال لي: ارفع محمدُ، قل تسمع، وسل تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع، فأحمد ربي بتحميد، يُعَلِّمنيه، ثم أشفع، فيَحُدّ لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي، وقعت له ساجداً له، فيَدَعُني ما شاء الله أن يَدَعَني، ثم يقال لي: ارفع محمدُ، قل تُسمَع، وسل تُعطى، واشفع تُشَفَّع، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحدّ لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع،**

فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيَدَعُني ما شاء الله أن يَدَعَني، ثم يقال: ارفع محمدُ، قل تُسمَع، وسل تُعْطَه، واشفع تُشَفَّع، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحدّ لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود».

٢ ـ **قوله: (بمثل حديثهما)** أي: بمثل حديث أبي عوانة وسعيد بن أبي عروبة.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ هذه اللفظة والتي قبلها أفادتا أنّ الذين يهتمون، ويطلبون من الأنبياء الشفاعة هم المؤمنون من بين سائر الناس.

٢ ـ وأنّ التفسير هو إدراج من قتادة.



٣٢٥ ـ {. . .} وَحدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهالٍ الضَرِيرُ، حَدَّثَنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ وَهِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتَوائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(ح) وَحَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ المِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، قَالا: حَدَّثَنا مُعَاذٌ، وَهُوَ ابْنُ هِشَام، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**».

زَادَ ابْنُ مِنْهَالٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ يَزِيدُ: فَلقِيتُ شُعْبَةَ؛ فَحَدَّثْتُهُ بِالحَدِيثِ. فَقَالَ شُعْبَةُ: حَدَّثَنَا بِهِ قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالحَدِيثِ؛ إِلا أَنَّ شُعْبَةَ جَعَلَ مَكَانَ الذَّرَّةِ ذُرَةً. قَالَ يَزِيدُ: صَحَّفَ فِيهَا أَبُو بَسْطَامٍ.

* **راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أنس بن مالك في الحديث (١٢/١٠).

➢ **فوائد الإسناد:**

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ للمصنف فيه إسنادان:

أحدهما: عن محمد بن منهال، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة.

والآخر: عن أبي غسان المسمعي، عن معاذ بن هشام عن أبيه ثم يجتمع سعيد وهشام على قتادة، عن أنس.

وفائدة التحويل هو الاختصار، والله أعلم.

٣ ـ مسلسل بالبصريين.

٤ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٤٥).

٥ ـ سعيد بن أبي عروبة؛ هكذا يروى في كتب الحديث وغيرها، قال ابن قتيبة في كتابه «أدب الكاتب»: «الصواب ابن أبي العروبة بالألف واللام، واسم أبي عروبة: مهران».

٦ ـ أنّ سعيداً هذا ممن اختلط في آخر عمره، والمختلط لا يحتج بما رواه حال الاختلاط، وشككنا هل رواه في الاختلاط أم في الصحة؟ والصحيح: أن ما في الصحيحين عن المختلطين محمول على روايته قبل الاختلاط.

٧ ـ وأمّا هشام صاحب الدستوائي، منسوب إلى دستواء؛ وهي: كورة من كور الأهواز كان يبيع الثياب التي تجلب منها، فنسب إليها، فيقال هشام الدستوائي، وهشام صاحب الدستوائي؛ أي: صاحب البز الدستوائي.

٨ ـ وقوله: «وهو ابن هشام»، لم يستجز أن يقول معاذ بن هشام؛ لكونه لم يقع في الرواية قوله: ابن هشام، فأراد أن يبينه، وهذا وأشباهه مما كرر ذكره، أقصد: المبالغة في الإيضاح، والتسهيل.

٩ ـ «بيان التصحيف في «الذّرة» إلى «ذُرَةٍ»، وأنّ وقع من شعبة بن الحجاج، وكنيته: أبو بسطام. أمير المؤمنين»، قاله النووي بتصرف.

* غريب الحديث:

قوله: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله): أي: أن الله ـ ﷻ ـ يخرج من النار من أقر ونطق بشهادة التوحيد، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قوله: (وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة): أطلق لفظ الخير على الإيمان، والشعير نبات معروف.

ومما يدل على أن المراد الإيمان؛ فقد زاد البخاري: قال أبو عبدالله: قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس عن النبي ﷺ: **«من إيمان»** مكان **«من خير»**.

فبين أن المراد بالخير الإيمان.

قوله: (...وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرّه): البُرُّ؛ هو: القمح.

ومقتضى هذا أن وزن البرة دون وزن الشعيرة؛ لأنه قدّم الشعيرة، واتبعه بالبرة، ثم بالذَّرَّة، وذلك نظراً للجرم؛ لأنها أكبر جرماً منها، وهذا حسب بعض البلاد.

قوله: (...وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة): الذَّرة هي أقل الأشياء الموزونة، وقيل: هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر، وقيل: هي النحلة الصغيرة.

قوله: (زاد ابن منهال في روايته...): أي: أن أبا بسطام وهو شعبة بن الحجاج غير في ضبط (الذَّرَّة) فقال (ذُرَة) وهي حب معروف،

وكأن الحامل له على ذلك كونها من الحبوب؛ فناسب الشعيرة والبرة.

وقد اتفق أهل العلم على أن هذا تصحيف من شعبة؛ قاله النووي.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ هذا التفصيل يوضح ما أجمل من صفة كل حدٍّ قد أخرج من النار.

٢ ـ أنّ الإيمان يزيد وينقص، حيث جعل لبعض الناس ما يزن شعيرة، وهكذا، ولذلك احتج به البخاري في صحيحه حيث أورده تحت باب زيادة الإيمان ونقصانه..

٣ ـ كل هذه الأحاديث تدل على اشتراط النطق بالتوحيد، ولذلك فتصديق القلب وإقراره دون النطق بها لا يكفي، وكذلك النطق دون اعتقادها والإقرار بها.

٤ ـ أنّ الإيمان بالرسالة تابع للإيمان بالله وتوحيده.

٥ ـ أن بعض عصاة الموحدين يدخلون النار ولكنهم لا يخلدون فيها.

٦ ـ هذا الحديث ينقض مسألة (جنس العمل) التي ابتدعها الحركيون المعاصرون والحزبيون الجدد، وسلطوها على العلماء السلفيين لاتهامهم بالإرجاء، والتنفير منهم، وإلصاق التهم بهم.

ولكن تصدى لها العلماء الربانيون ونقضوها:

١ ـ قال شيخنا ابن العثيمن ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أما جنس العمل، أو نوع العمل؛ فهذا كله طنطنة لا فائدة منها».

٢ ـ وقال الشيخ صالح الفوزان ـ وفقه الله: «... هذه بدعة، هذه بدعة، ما نعرف إلا العمل، العمل من الإيمان يزيد وينقص، هذا تفسير السلف، أما جنس العمل؛ فهذه بدعة».



٣٢٦ ـ {...} حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ العَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلالٍ العَنْزِيُّ. (ح) وَحَدَّثَنَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ـ وَاللفْظُ لَهُ ـ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدثَنَا مَعْبَدٌ بْنُ هِلالٍ العَنْزِيُّ، قَالَ: انْطَلقْنَا إِلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ، فَانْتَهَيْنَا إِليْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحى، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ، فَدَخلنَا عَلَيْهِ، وَأَجلسَ ثَابِتاً مَعَهُ عَلى سَرِيرِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ يَسْأَلونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ. قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولونَ لهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لهَا، ولَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ ـ عليه السلام ـ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لسْتُ لهَا، ولَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى ـ عليه السلام ـ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ؛ فَيُؤْتَى مُوسَى؛ فَيَقُولُ: لسْتُ لهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى ـ عليه السلام ـ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ؛ فَيُؤْتَى عِيسى؛ فَيَقُولُ: لسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ، يُلْهِمُنِيه اللَّهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُل يُسْمَعْ لَكَ، وَسَل تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُل يُسْمَعْ لكَ، وَسَل تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ لي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُل يُسْمَعْ لكَ، وَسَل تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ**».

هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الذِي أَنْبَأَنَا بِهِ. فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الجَبَّانِ قُلنَا: لَوْ مِلنَا إِلى الحَسَنِ فَسَلمْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ. قَالَ: فَدَخَلنَا عَلَيْهِ فَسَلمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ! جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ. فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ. قَالَ: هِيهِ فَحَدَّثْنَاهُ الحَدِيثَ. فَقَالَ: هِيهِ قُلنَا: مَا زَادَنَا. قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلقَدْ تَرَكَ شَيْئاً مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَّكلوا. قُلنَا لهُ: حَدِّثْنَا. فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ. مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلا، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ. «**ثُمَّ أَرْجِعُ إِلى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لهُ سَاجِداً فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُل يُسْمَعْ لكَ، وَسَل تُعط، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لكَ ـ أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِليْكَ ـ وَلَكِنْ، وَعِزَّتِي، وَكِبْرِيَائِي، وَعَظَمَتِي، وَجِبْرِيَائِي، لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**».

قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلى الحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ، أَرَاهُ قَالَ: قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف.

٢ ـ متن الحديث الذي ساقه هنا هو لفظ شيخه سعيد بن منصور، وأما شيخه أبو الربيع فرواه بالمعنى.

٣ ـ مسلسل بالبصريين من أوله إلى آخره.

٤ ـ أبو الربيع العتكي هو بضم العين والتاء، وهو أبو الربيع الزهراني: نسبه الإمام مسلم مرة زهرانياً ومرة عتكياً، ومرة جمع له بين النسبين، ولا يجتمعان بوجه، وكلاهما يرجع إلى الأزد؛ إلا أن يكون للجمع سبب من جوار أو حلف؛ قاله النووي.

* غريب الحديث:

قوله: (انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه، وأجلس ثابتاً معه على سريره، فقال له: يا با حمزة!: إنّ إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة): انطلق أهل البصرة؛ ليسألوا أنس بن مالك الصحابي الجليل الذي طالت ملازمته لرسول الله ﷺ عن أحاديث الشفاعة، فلما وصلوا إليه وجدوه يصلي، ووجدوا ثابت البناني عنده ـ وهو تلميذه النجيب ـ فاستأذن ثابت عند أنس؛ لدخول أهل البصرة عليه للسؤال عن العلم، وعندما دخلوا أكرم أنس تلميذه أمام الوفد إظهاراً لعنايته به مع على سريره الذي يجلس عليه. وبدأ ثابت يقدم لشيخه حاجة هؤلاء الطلبة من العلم فخاطبه بكنيته المشهورة.

قوله: (ماج الناس بعضهم إلى بعض): ماج: من الموج؛ وهو: الاضطراب، ومنه قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]. والمعنى: أن الناس اضطربت أحوالهم للكرب والهم والغم مما نالهم، في هذا الموقف الرهيب.

قوله: (انطلق... فأخرجه منها): قال النووي: «اتفقت الأصول على أنه «**فأخرجه**» بضميره ﷺ وحده، في الانطلاق الثاني والثالث. أمّا الانطلاق الأول ففي بعض الأصول «**فأخرجوه**» على لفظ الجمع، وفي بعضها «**فأخرجه**» وفي أكثرها «**فأخرجوا**» بغير هاء، وكله صحيح، فمن رواه «**فأخرجوه**» يكون الخطاب للنبي ﷺ ومن تبعه من الملائكة، ومن حذف الهاء؛ فلأنها ضمير المفعول، وهو فضلة، يكثر حذفه، والله أعلم». انتهى. بتصرف.

قوله: (فلما كنّا بظهر الجبّان قلنا: لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه، وهو مستخف في دار أبي خليفة. قال: فدخلنا عليه فسلمنا عليه، فقلنا: يا أبا سعيد!: جئنا من عند أخيك أبي حمزة. فلم نسمع مثل حديث حدثناه

في الشفاعة): الجبان والجبانة: الصحراء، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء، تسمية للشيء بموضعه.

وملنا: أي: عدلنا، ومررنا عليه.

والحسن؛ هو: البصري إمام أهل البصرة.

ومستخف: من الخفاء؛ أي: هارب من شر الحجاج بن يوسف الثقفي المبير داخل في بيت أبي خليفة؛ ليسلم منه.

وأبو خليفة؛ هو: حجاج بن عتاب العبدي البصري، والد عمر بن أبي خليفة، سماه البخاري في «تاريخه»، وتبعه الحاكم أبو أحمد في «الكنى»؛ قاله الحافظ.

ولما وصلوا إليه؛ لزيارته والسلام عليه حدثوه بما فعلوه من زيارة أنس ـ رضي الله عنه ـ وسؤاله عن أحاديث الشفاعة.

قوله: (هيه فحدثناه. . . أن أحدثكموه): هيه: بكسر الهاء، وإسكان الياء، وكسر الهاء الثانية.

قال أهل اللغة: «يقال في استزادة الحديث إيه»، ويقال: «هيه بالهاء بدل الهمزة». قال الجوهري: «إيه اسم سمي به الفعل؛ لأن معناه الأمر؛ تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل: إيه ـ بكسر الهاء ـ».

وجميع: هو ـ بفتح الجيم، وكسر الميم ـ ومعناه: مجتمع العقل، والحفظ والقوة، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذٍ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنة تفرق الذهن، وحدوث اختلاط الحفظ.

والمعنى: أنّ الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ طلب منهم أن يحدثوه بالحديث الذي ألقاه عليهم أنس ـ رضي الله عنه ـ؛ ليستثبت من حفظه، وحفظهم له، فحدثوه، فقال لهم: أكملوا، فقالوا: ما زادنا إلاّ هذا، فقال: لعله قد نسي شيئاً منه، أو تركه لمصلحة راجحة؛ وهي الاتكال على التوحيد دون العمل.

فطلبوا منه أن يكمل ما بقيَ منه، فضحك عند ذلك، وقال لهم: لقد تعجلتم في طلبكم، وإني محدثكموه قبل أن تطلبوا مني ذلك، ثم سرد بقية الحديث، وفيه إخراج كل من أقرّ بالتوحيد، ونطق به خالصاً من النار، وإدخالهم الجنة، وأنّ الله ـ تعالى ـ أقسم ببعض صفاته أنه سيخرجهم استجابة لطلب وشفاعة رسول الله ﷺ. وبعد ذلك أكدَّ ثابت أنّ الحسن سمع ذلك من أنس قبل عشرين سنة، وهو ـ أي أنس ـ مستجمعاً للحفظ والقوة.

فقه الحديث:

١ ـ الحث على طلب العلم، والرحلة؛ لتحصيله من العلماء الربانيين، لا من الجهلاء شرقاً وغرباً.

٢ ـ استحباب تقديم الرجل الذي هو من خاصة العالم ليسأله.

٣ ـ واستحباب طلب الشفاعة من خواص العالم والحاكم للدخول عليه.

٤ ـ بيان مكانة ثابت البناني في العلم وعند أهله؛ ومنهم: أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

٥ ـ استحباب المداومة على أداء صلاة الضحى.

٦ ـ سلوك طريق الأدب في الاستئذان عند الدخول على بيت أو مكان ما من أصحابه.

٧ ـ وأنه ينبغي للعالم، وكبير المجلس: أن يكرم فضلاء الداخلين عليه، ويميزهم بمزيد إكرام في المجلس وغيره.

٨ ـ استحباب نداء الرجل ـ لا سيما أهل الفضل منهم ـ بالكنية.

٩ ـ بيان ازدهار البصرة بالعلم، والعلماء في القرون الأولى.

١٠ ـ أن أنساً بن مالك ـ رضي الله عنه ـ كان بصرياً.

١١ ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على السنن.

١٢ ـ جواز قول الراوي حدثنا محمد ﷺ.

١٣ ـ بيان شدّة الاضطراب الذي يقع يوم القيامة.

١٤ ـ وفيه استحباب شدّة الإلحاح في الطلب والمسألة.

١٥ ـ استحباب زيارة أهل الفضل للسلام، ولو من غير سؤال.

١٦ ـ يؤخذ من الحديث بيان كمال أدب الرسول ﷺ، وتعظيمه لربه ـ جلَّ وعلا ـ، وأنه لا يفعل إلا ما يأمره الله به أو يأذن به الرب ـ تبارك وتعالى ـ.

١٧ ـ ويؤخذ منه أن الله ـ تعالى ـ يفتح للإنسان من محامده ما لم يكن يعرفه من قبل في الحياة الدنيا.

١٨ ـ أنّ الحسن ـ رحمه الله ـ كان متوارياً من الحجاج الظالم.

١٩ ـ أكثر الناس أذية من ولاة السوء والجور؛ هم: علماء السلف الصالح في كل عصر ومصر، ومع ذلك يتهمهم الخوارج بموالاة أئمة الجور، وأنهم علماء السلطان ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ.

٢٠ ـ أن الإنسان يعذر بترك الجمعة والجماعات إذا خاف على نفسه، وكان لا يطمئن إذا خرج.

٢١ ـ استحباب تحديث الطالب الناس بما حمل من علم.

٢٢ ـ وفيه: مذاكرة أهل العلم.

٢٣ ـ جواز قول: هيه، وهي للاستزادة.

٢٤ ـ بيان سلامة حفظ وعقل الحسن حتى الكبر، وأنّ أنساً ـ وهو شيخه ـ قد نسيَ عند كبر سنه.

٢٥ ـ جواز طلب الحديث والعلم من الغير ـ ممن يحفظه ـ وإن كان الطالب يحفظه، ويضبطه للتثبيت ونحوه.

٢٦ ـ إخبار التلميذ أنّ شيخه قد نسيَ، أو اختلط، أو خرف ليس قدحاً فيه، وإنما هو من باب النصيحة الشرعية.

٢٧ ـ بيان حرص الطالب على الاستزادة من العلم التي تدفعه للسؤال.

٢٨ ـ أنّ الضحك والإعجاب؛ لحرص الطالب يدل على سروره بما يصنع، ولا حرج فيه.

٢٩ ـ أنّ زيادة الثقة مقبولة بشروط معتبرة.

٣٠ ـ أنّ عصاة الموحدين الذين لم يعملوا ـ سوى التوحيد ـ شيئاً ممن قال: لا إلّه إلا الله يدخلون الجنة بعد تطهيرهم بالنار.

٣١ ـ جواز القسم بصفات الله ـ تعالى ـ.

٣٢ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ يقسم بما شاء سبحانه.

٣٣ ـ تأكيد الراوي سماعه للحديث بذكر ألفاظ تدل على ذلك، أو تكرير ذكر الإسناد.

٣٤ ـ «جواز الاستشهاد بالقرآن في مثل هذا الموطن. وقد ثبت في «الصحيح» مثله من فعل رسول الله ﷺ لما طرق فاطمة وعلياً ـ رضي الله عنهما ـ، ثم انصرف وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] ونظائر هذا كثيرة»، قاله النووي.

◄ تنبيهات:

١ ـ قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

«في حديث أبي هريرة: إنَّ المحامدَ كانت بعد السُّجود. وفي حديث أنس: قبل السجود في حالة القيام، وذلك يدلّ على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أكثر من التّحميد والثّناء في هذا المقام كلّه في قيامه وسجوده إلى أن أُسعف في طِلْبته»(١).

(١) «المفهم» (٤٣٦/١).

٢ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«كنت أتوقع أن الحسن ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يذكر شيئاً غير هذه الزيادة، وهو أنه لم يذكر في هذا الحديث نوحاً، فلعل بعض الرواة نسي، فلم ينقل ذلك، وإلا فالأحاديث متظاهرة في أن آدم يحيله إلى نوح، ولكن بعض الرواة أسقطها نسياناً، كما أنه لم يذكر في هذا الحديث ما يعتذر به هؤلاء مع أنه ذكر في أحاديث أخرى.

وقد ذكرنا سابقاً: أن الأحاديث الطويلة يحصل فيها اختلاف كثير بين الرواة، ولكن بالإمكان أن يرجع إلى من هو أرجح في روايته من حيث الحفظ والإتقان، وهذا كما أن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ نسي ما حدث به الحسن منذ عشرين سنة»(١).



٣٣٧ ـ {١٩٤} حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ ـ وَاتَّفَقَا فِي سِيَاقِ الحَدِيثِ، إلا مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الحَرْفِ بَعْدَ الحَرْفِ ـ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْماً بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ. فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً؛ فَقَالَ: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ، وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ، وَالكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَمَا لا يَحْتَمِلونَ. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ. فَيَقُولونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لكَ، اشْفَعْ لنَا إِلى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلى مَا قَدْ**

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٦٨٨).

بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ؛ فَعَصَيْتُهُ. نَفْسي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً شَكُوراً، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، أَلا تَرى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلغَنا؟ فَيَقُولُ لهُمْ: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلى قَوْمِي. نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ، وَخَلِيلهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلى مَا قَدْ بلغَنَا؟ فَيَقُولُ لهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ. نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلكَ اللَّهُ، بِرِسَالاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ، على النَّاسِ، اشْفَعْ لنَا إلى رَبِّكَ، أَلا تَرى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرى مَا قَدْ بَلغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا. نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى عِيسَى ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولونَ: يَا عِيسَى! أَنتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلقَاهَا إِلى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لنَا إِلى رَبِّكَ، أَلا تَرى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى إِلى مَا قَدْ بَلغَنَا؟ فَيَقُولُ لهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلهُ مِثْلَهُ، ولنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلهُ، ولَمْ يَذْكُرْ لهُ ذَنْباً. نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِّي فَيَقُولونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْت رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفرَ اللَّهُ لكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلى رَبِّكَ، أَلا تَرى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرى مَا قَدْ بَلغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَليَّ، وَيُلهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ

تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ، فِيمَا سِوى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ مسلسل بالكوفيين سوى صحابيه؛ فمدني.

٤ ـ مسلسل بمن اشتهر بالكنى: أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة.

٥ ـ **قوله: (إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف)**: يشمل الكلمة والجملة.

٦ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٣٣٤٠ و٣٣٦١ و٤٧١٢**).

* غريب الحديث:

قوله: (أُتي رسول الله ﷺ يوماً لحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة): قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «محبته ﷺ في الذراع، وإعجابه بها؛ لنضج لحمها، وسرعة استمرائه، مع زيادة لذته وحلاوة مذاقه على سائر لحم الشاة، وبعده من مواقع الأذى الذي كان يتقيه ﷺ»[1].

---

(١) «إكمال المعلم» (٢/٨٧٤).

نهس: بالسين المهملة.

قال القاضي: «أكثر الرواة رووه بالمهملة، ووقع لابن ماهان بالمعجمة، وكلاهما صحيح بمعنى: أخذ بأطراف أسنانه».

قال الهروي: «قال أبو العباس: النهس بالمهملة بأطراف الأسنان، وبالمعجمة بالأضراس».

قوله: (أنا سيد الناس يوم القيامة).

قال القاضي ـ رحمه الله ـ: «السيد الذي يفوق قومه، والذي يُفزع إليه في الشدائد هو سيدهم ﷺ في الدنيا والآخرة، وإنما خص يوم القيامة؛ لارتفاع دعوى السؤدد فيها، وتسليم الكل له، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]؛ أي: انقطعت دعاوى الملك في ذلك اليوم»، وبقي الملك الحق لله وحده الذي قهر جميع الجبابرة، والمدعين الملك، وأفناهم، ثم أعادهم وحشرهم عراة فقراء»[(١)].

قال النووي: «إنما قال هذا ﷺ تحدثاً بنعمة الله، وقد أمره الله بهذا، ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ».

قوله: (وهل تدرون بم ذاك؟): وإنما كان هذا منه ﷺ؛ ليعلمهم عن سبب السيادة، لماذا؟

قوله: (يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون):

أمّا (الصعيد): فهو الأرض الواسعة المستوية.

وأمّا (فيسمعهم الداعي): ـ بضم الياء وكسر الميم ـ، والداعي فاعل؛ أي: يصل صوت الداعي إليهم جميعاً بقوة ودرجة واحدة.

---

(١) «إكمال المعلم» (٢/٨٧٣ ـ ٨٧٤).

وأمّا (وينفذهم البصر): ـ بفتح الياء وضم الفاء والذال ـ. وروي بضم الياء.

قال الكسائي: «يقال نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني، ويقال: أنفذت القوم إذا خرقتهم، ومشيت في وسطهم، فإن جزتهم حتى تخلفتهم قلت: نفذتهم بغير ألف».

والمعنى: أنّ بصر الداعي وصوته يصل إلى كل من اجتمع في أرض المحشر، بحيث لا يخفى منهم أحد، إن دعاهم داعٍ سمعوه، وإن نظر إليهم ناظر أدركهم. وتقدم الكلام على ذلك.

قوله: (وذكر كذباته): وهذه الكذبات في ذات الله ـ تعالى ـ؛ فقد ذكر الحافظ تحت حديث رقم **(٦٥٦٥)** قال: «وفي رواية أبي نضرة، عن أبي سعيد «فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله ﷺ: **«ما منها كذبة إلا ماحل بها عن دين الله»**، وللمصلحة الشرعية.

وفيها ما يصلح أن يقال: إنه تعريض، ومنها للإفحام وإلجام الخصم؛ فليس هي إذن من الكذب الذي يلحق قائله الذم والعقوبة».

قوله: (وكلّمت الناس في المهد): وذلك في كتاب في قوله: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

والمهد: هو شيء معروف يتخذ لتنويم الصبي.

والمراد: أن عيسى ـ عليه السلام ـ كلم الناس في المهد وهو صغير.

قوله: (وكلمة منه ألقاها إلى مريم): سماه كلمة؛ لأنه كان بكلمة (كن)، ولم يتقلب في أطوار الخلق كما تقلب غيره. فأبلغ مريم ـ عليها السلام ـ بها؛ فنفخ فيها من روحه؛ فحملت به.

قوله: (وخاتم الأنبياء): أي: آخرهم الذي يتمم النبوة بمجيئه، فلا نبي بعده.

قوله: (فأنطلق فآتي تحت العرش): هذا يوضح مكان هذا الطلب، وهذه الشفاعة، والسجدات التي يسجدها، وقد أبهم قبل ووضح هنا بتحت العرش.

قوله: (إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة...): المصراعان: ـ بكسر الميم ـ جانبا الباب، وهجر: ـ بفتح الهاء والجيم ـ، وهي مدينة عظيمة؛ هي: قاعدة بلاد البحرين.

وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث: «**إذا بلغ الماء قلتين**» تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع بها. قاله النووي.

فقه الحديث:

١ ـ ينبغي أن يقدم المقدم من القوم ما عرف عنه أنه يحبه، فالصحابة ـ ﷺ ـ رفعوا الذراع؛ لأن النبي ﷺ كانت تعجبه.

٢ ـ أنّ الرسول ﷺ كان يحب الذراع من الشاة.

٣ ـ أنّ لحم الذراع أسرع نضجاً واستمراء، وهو أطيب طعماً، وألذ مذاقاً، وأبعد عن مواطن الأذى، وأحسن منفعة.

٤ ـ جواز الكلام على الطعام، وأما حديث: «**تكلموا على طعامكم، ولو بثمن أسلحتكم**» فلا أصل له؛ كما سمعته من شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ.

٥ ـ أنّ رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين.

٦ ـ إذا أتى الإنسان بحكم من الأحكام، ورأى النفوس تتطلع إلى معرفة علته؛ فإنه ينبغي أن يبين العلة؛ لأن النبي ﷺ لما أخبرهم أنه سيد الناس يوم القيامة؛ فالنفوس تتطلع لمعرفة سبب ذلك، فبين رسول الله ﷺ السبب.

٧ ـ وأنّ الناس يحشرون في موطن واحدٍ للعرض والحساب.

٨ ـ وأنّ الجميع ممن يحشر يسمع، ويرى مشاهد الحساب، والعذاب، وجهنم، وكلام الداعي، والداعي يُسمعهم ويَسمعهم ويراهم جميعاً؛ لأنه لا يكون على سطح الأرض شجر، ولا جبال، ولا أودية ولا انحناء؛ لأنها الآن مكورة؛ لا ينفذ البصر كل من عليها.

٩ ـ أنّ الشمس تدنو من العباد زيادة في الكرب والهم والغم.

١٠ ـ وجواز سؤال العالم، والمعلم الطالب المتعلم عن سبب الحكم الشرعي وعلته؛ ليتحقق من سلامة فهمهم، ووقوفهم على العلل.

١١ ـ إثبات صفة الغضب لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله.

وأما ما قاله الشراح: أن الغضب ما يظهره من انتقامه ممن عصاه، وما يرونه من أليم عذابه؛ لأن الله يستحيل في حقه التغير في الغضب والرضا.

فهذا تأويل باطل، وتفسير باللازم، وليس معنى الغضب على الحقيقة.

١٢ ـ وأنّ هذا الغضب لم يسبق أن وقع مثله، ولا يأتي.

١٣ ـ بيان نوع المعصية التي أصابها آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

١٤ ـ وفيه: ما كان عليه نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ من العبادة والشكر.

١٥ ـ وبيان خطأ نوح، وهو الدعاء على قومه.

١٦ ـ وأنّ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ اعتذر بسبب كذباته وعدها ذنباً، وإن كانت في ذات الله.

١٧ ـ بيان خطأ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند قتله الرجل، ولم يؤمر بذلك.

١٨ ـ أنّ النبوة انقطعت، وانتهت، وتمت ببعث رسول الله ﷺ للناس جميعاً، فلا نبي بعده، ومن لازم ذلك أن لا رسول بعده.

١٩ ـ ردٌّ على الفرقة الكافرة الملحدة البهائية، وكذلك الفرقة المرتدة القاديانية التي تزعم أنها مسلمة، ومع ذلك يؤمنون برسول جاء بعد محمد ﷺ.

٢٠ ـ إثبات وجود العرش.
٢١ ـ أنّ طوائف من هذه الأُمة يدخلون الجنة من غير حساب.
٢٢ ـ وأنّ الجنة لها أبواب.
٢٣ ـ بيان بعد ما بين ناحيتي الباب الواحد؛ ليظهر عظم الجنة.

تنبيه:

وقع في الحديث شك في الراوي حيث قال: «...لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى».

وهذا شك من الراوي كما وضحته رواية عمارة بن القعقاع بلفظ: «لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة، قال: لا أدري أي ذلك قال».

ووقع عند ابن منده في «الإيمان» **(٨٧٩ ـ ٨٨٢)**: «كما بين مكة وهجر أو مكة وبصرى، لا أدري أيها قال؟».



٣٢٨ ـ {...} وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ، فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ، فَنَهَسَ نَهْسَةً؛ فَقَالَ: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى فَقَالَ: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لاَ يَسْأَلُونَهُ قَالَ: **«أَلاَ تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟»** قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»**. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ. وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ. وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾. وَقَوْلَهُ لآلِهَتِهِمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وَقَوْلَهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ، لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ»**.

قَالَ: لا أَدْرِي أَيَّ ذلِك قال.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ **قوله: (وساق الحديث)**: أي: عمارة بن القعقاع.

٢ ـ رواية عمارة بن القعقاع: أخرجها الحافظ ابن منده في «كتاب الإيمان» (٢/٨٥١/٨٨٢):

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل، وأحمد بن إسحاق بن أيوب، ومحمد بن يعقوب، قالوا: ثنا أحمد بن سلمة، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ جرير بن عبدالحميد، عن عُمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة، قال: وُضِعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد، فتناول الذراع، وكان أحب الشاة إلى رسول الله ﷺ، فنَهَس نَهْسَةً، فقال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»، ثم نهس أخرى، فقال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»، فلما رأى أن أصحابه لا يسألونه، قال: «**ألا تقولون كيف؟**» قالوا: يا رسول الله كيف؟ قال: «**يقوم الناس لرب العالمين، يُسْمِعهم الداعي، ويَنْفُذهم البصر، وتدنو الشمس من رؤوسهم، فيشتدّ عليهم حرّها، ويشقّ عليهم دُنُوُّها منهم**، قال: **فينطلقون من الضَّجَر والْجَزَع مما هم فيه، فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما نحن فيه من الشرّ؟ فيقول آدم: إن ربي غَضِب اليوم غَضَباً لم يغضب قبله مثله، ولن يَغْضَب بعده مثله، وكان أمرني أمراً فعصيته، وأطعت الشيطان، نهاني عن الشجرة، فعصيته، وأخاف أن يَطْرَحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي**، قال: **فينطلقون، فيأتون إلى نوح ـ عليه السلام ـ، فيقولون: يا نوح، أنت نبي الله، وأول رسل الله، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه من الرّ؟ فيقول نوح: إن ربي غَضِب اليوم غَضَباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة، فدعوت بها على قومي، فأُهلكوا، وإني أخاف أن يَطْرحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي**، قال: **فينطلقون، فيأتون إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فيقولون: يا إبراهيم أنت خليل الله، قد سَمِع بِخُلّتك أهل السماء وأهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما**

نحن فيه من الشرّ؟ فيقول إبراهيم: إن ربي غَضِب اليوم غَضَباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر الكوكب، قوله: إنه ربي، وقوله لآلهتهم: هذا كبيرهم، وقوله: إني سقيم، وأخاف أن يَطْرَحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي، فينطلقون، حتى يأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت نبي الله، اصطفاك الله برسالاته، وكلمك تكليماً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه من الشرّ؟ فقال موسى: إن ربي غَضِب اليوم غَضَباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً، لم أومر بها، فأخاف أن يَطْرَحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي، فينطلقون حتى يأتوا عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت نبي الله، أنت كلمة الله وروحه، ألقاها إلى مريم وروح منه، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه من الشرّ؟ فيقول عيسى: إن ربي غَضِب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ـ قال عمارة: ولا أعلمه ذكر ذنباً ـ وقال: إني أخاف أن يَطرحني في النار، انطلقوا إلى غيري، نفسي نفسي، فينطلقون، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم النبيين، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يُقِمه أحداً قبلي، فيقول: يا محمدُ اشفع تشفع، سل تعطه، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول الله له: أَدْخِل الجنةَ من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس في الأبواب الأُخَر، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين الباب إلى الباب كما بين مكة وهَجَر، أو مكة وبُصْرَى لا أدري أيهما قال».

❃ غريب الحديث:

قوله: (قصعة من ثريد ولحم): القصعة: هي الإناء يكون من خشب، والثريد هو الخبز المفتوت مع اللحم.

قوله: (ألا تقولون كيفه؟ قالوا: كيفه يا رسول الله؟) كيفه: هذه الهاء هي هاء السكت تلحق في الوقف.

وأمّا قول الصحابة: «كيفه» فأثبتوا الهاء في حالة الدرج؛ ففيها وجهان. حكاهما صاحب «التحرير» وغيره:

أحدهما: أن من العرب من يجري الدرج مجرى الوقف.

والثاني: أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبي ﷺ الذي حثهم عليه، فلو قالوا: كيف لما كانوا سائلين عن اللفظ الذي حثهم عليه. قاله النووي.

قوله: (وزاد في قصة إبراهيم): أي: زاد عمارة في قصة إبراهيم الخليل - عليه السلام - حيث ذكر قوله في الكوكب.

قوله: (قال: والذي نفس محمد بيده): أي: أقسم النبي ﷺ بهذا القسم.

قوله: (إلى عضادتي الباب): هما خشبتاه من جانبيه.

فقه الحديث:

١ - فيه بيان أدب الصحابة - رضي الله عنهم - مع رسول الله ﷺ حيث لم يسألوه؛ لئلا يشغلوه بالجواب عن الأكل.

٢ - يجوز للعالم أو المعلم إذا رأى أن من أمامه لم يسأله أن يفتح السؤال بنفسه؛ فيقول: من عنده سؤال؟ أو يلقي سؤالاً عليهم أو ما أشبه ذلك.

٣ - فيه: ذكر تفصيل كذبات إبراهيم - عليه السلام -.

٤ - فيه دليل على أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الكواكب، ولذلك لما ناظرهم استطرد معهم قائلاً عن الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾؛ أي: هذا ربي على زعمهم واعتقادهم، وإلا فهو - عليه السلام - لا يعتقد هذا، لكن قاله تنزلاً مع الخصم واستدراجاً؛ ليدحض حجته؛ فيبهت بالإلزام ويصمت بالإفحام.



٣٢٩ ـ {١٩٥} حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ؛ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَجْمَعُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالى ـ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا! اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ»**. قَالَ: **«فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيماً؛ فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فيقوم فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ، يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ»**. قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: **«أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ، وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلا زَحْفاً»**. قَالَ: **«وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»**.

وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً.

❁ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٥٠/١٦٨).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (والذي نفس أبي هريرة بيده: إن قعر جهنم لسبعون خريفاً): من كلام أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وليس مرفوعاً؛ لكن له حكم المرفوع

قولاً واحداً؛ لأنه لا يقال بالرأي والاجتهاد هذا أولاً، وثانياً أنه وردت أحاديث صحيحة في هذه المسألة.

٢ ـ حديث أبي هريرة وحذيفة معاً من أفراد مسلم، وأما حديث أبي هريرة بمفرده؛ فمتفق عليه.

٣ ـ أبو مالك سعد بن طارق الأشجعي له فيه إسنادان: عن أبي حازم عن أبي هريرة، والآخر عن ربعي عن حذيفة.

* غريب الحديث:

قوله: (فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة): تزلف: ـ هو بضم التاء وإسكان الزاي ـ ومعناه: تقرب كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] أي: قربت.

قوله: (وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم!): لماذا أنتم تطلبون مني أن أشفع لكم عند ربي، وقد عصيت أنا ربي؛ فكنت سبباً في إخراجكم من الجنة؟ لهذا اطلبوا هذا من غيري.

قوله: (إنما كنت وراء وراء): وراء وراء: ضبط ـ بفتح الهمزة وبضمها ـ، واختلف الترجيح فيهما.

قال النووي: «أشهرهما الفتح بلا تنوين، ويجوز بناؤها على الضم، وصوبه أبو البقاء، والكندي، وصوب ابن دحية: الفتح على أن الكلمة مركبة مثل شذر ومذر».

قال صاحب «التحرير»: «كلمة تقال على سبيل التواضع؛ أي: ليست في تلك الدرجة، وقد وقع لي فيه معنى مليح؛ وهو: أن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل، ولكن أتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة، وكرر وراء إشارة إلى نبينا ﷺ؛ لأنه حصل له السماع بلا واسطة، فكأنه قال أنا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد». انتهى بتصرف.

قوله: (وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً):

«أمّا (تقومان) فبالتاء المثناة من فوق، وقد قدمنا بيان ذلك، وأن المؤنثتين الغائبتين تكونان بالمثناة من فوق.

وأمّا (جنبتا الصراط) فبفتح الجيم والنون، ومعناهما: جانباه.

وأمّا إرسال الأمانة والرحم؛ فهو؛ لعظم أمرهما، وكثير موقعهما، فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله - تعالى -.

قال صاحب «التحرير»: «في الكلام اختصار، والسامع فهم أنهما تقومان؛ لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما»، قاله النووي.

قوله: (وشدّ الرجال): هو عدوها البالغ وجريها.

قوله: (تجري بهم أعمالهم): تفسير لقوله ﷺ: «**فيمر أولكم كالبرق... إلخ**»؛ أي: يكونون في سرعة المرور على الصراط حسب أعمالهم ومراتبهم.

قوله: (حتى تعجز بهم أعمالهم): أي: تقصر بهم أعمالهم.

قوله: (إلا زحفاً): إذا انسحب الرجل على إسته قيل زحف.

قوله: (وفي حافتي الصراط): هما جانباه.

قوله: (كلاليب): هي الخطاطيف التي تقدمت.

قوله: (فمخدوش ناج): أي: مجروح ينجو منها.

قوله: (ومكدوس في النار): وقع في بعض الأصول (مكروس) وهما بمعنى قريب.

والمراد: مدفوع في النار وموثوق ملقى فيها.

قوله: (إن قعر جهنم لسبعون خريفاً)؛ أي: بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفاً، والخريف: السنة.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الجنة تدنى من المؤمنين في عرصات القيامة.

٢ ـ أنّ آدم ـ عليه السلام ـ خرج من الجنة بعد أن كان فيها.

٣ ـ أنّ مسكن الإنسان الأول الجنة، وهي معاده إن عمل صالحاً.

ولهذا يشير الإمام ابن قيم الجوزية في قصيدته الميمية المفيدة:

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو ... فهل نعود لمنازلنا ونسلم

٤ ـ أنّ الخطأ يجوز من الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إما لسهو، أو تأويل، ولكن لا يقرون عليه، ولا يداومون على فعله.

٥ ـ أنّ شؤم الخطيئة يدوم، ويظهر ولو بعد حين من الدهر.

٦ ـ أن الأنبياء متفاوتون في المكانة عند الله ـ تعالى ـ.

٧ ـ بيان عظم الأمانة، وأهميتها، والرحم كذلك.

٨ ـ أنّ عبور الصراط يختلف بالسرعة، والبطء بحسب أعمال العباد ومراتبهم.

٩ ـ أنّ من الناس من يمر على الصراط زحفاً.

١٠ ـ بيان عظم جهنم إذ كان قعرها مسيرة سبعين عاماً.

١١ ـ هذا الحديث فيه رد صريح على الخوارج والمعتزلة؛ حيث أنكروا خروج الموحدين من النار، وحكموا بخلود أهل الكبائر فيها، وأنهم لا يخرجون منها أبداً.

١٢ ـ هذا الحديث فيه شفاعة أخرى غير الشفاعات السابقة في القضاء بين الخلائق، وهذه في فتح باب الجنة؛ لأن المؤمنين ينتهون إلى ذلك؛ فيجدون الباب غير مفتوح، ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

ونبينا محمد ﷺ أول من يشفع في الجنة، وله يفتح بابها؛ كما سيأتي مفصلاً في الباب الآتي.

١٣ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ (ص٧٠٦): «وفي هذا الحديث إشكال؛ وهو: أنه تكلم على الصراط بعد ذكر افتتاح الجنة. والظاهر: أن هذا من باب الترتيب الذكري، وليس ترتيباً واقعياً؛ لأن الوصول إلى الجنة لا يكون إلا بعد عبور الصراط».



٨٦ ـ باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»

٣٣٠ ـ {١٩٦} حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ قُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبعاً**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ قوله: (**قال قتيبة: حدثنا جرير**): أي: أن شيخه قتيبة أخذه عن جرير سماعاً منه مع جماعة، وذلك بخلاف إسحاق الذي لم يصرح بهذا؛ فبين المصنف ذلك.

٣ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

✵ غريب الحديث:

قوله: (**أنا أول الناس يشفع في الجنة**): أي: أشفع في دخول الناس الجنة، ويدل عليه قوله ﷺ: «**وأنا أول من يقرع باب الجنة**»، وقول خازن الجنة: «**بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**»..

قوله: (**وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**): أي: أكثر الأمم أُمتي، والأتباع، والأنصار أتباعي، وأنصاري على ديني في حياتي، وبعد مماتي.

فقه الحديث:

١ ـ بيان إحدى شفاعات الرسول ﷺ يوم القيامة، وذلك كونه أول شافع في الجنة.

٢ ـ بيان كونه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.

٣ ـ فضل كثرة الأتباع في الخير والدعاة إلى الهدى؛ لأنه يؤتى أجور أتباعه، فكلما كثروا كثر أجره.

٤ ـ بيان خصيصة من خصائص الأمة المحمدية؛ وأنهم أكثر الأمم وأعظمها وخيرها.



٣٣١ ـ {...} وحدّثنا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**».

❋ غريب الحديث:

قوله: (يوم القيامة): فيه أنّ هذا الدِّين سينتشر، ويعم أرجاء كثيرة من الأرض، ويدخل فيه أُمم كثيرة من الناس.

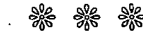
قوله: (وأنا أول من يقرع باب الجنة): أول من يدخلها رسول الله ﷺ، وأول من يمهد للناس دخولها هو ـ أيضاً ـ، وأُمته أول الأُمم.

فقه الحديث:

١ ـ الأمة الإسلامية أول الأمم دخولاً الجنة.

٢ ـ بشرى للمؤمنين بمستقبل هذا الدين، وأنه سينتشر وينتصر ويعم الأرض.

ومرويات مستقبل الإسلام متواترة ومتنوعة فصلتها في كتاب مفرد: «المستقبل للإسلام بفهم السلف الكرام».



٣٣٢ ـ {...} وحدَّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ زَائِدَةَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ؛ قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيّاً مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إلا رَجُلٌ وَاحِدٌ»**.

❊ غريب الحديث:

قوله: (لم يصدق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت): أي: لم يصدق نبي تصديقاً مثل تصديق أمتي إياي.

والمراد: كثرة مصدقيه وأتباعه وأنصاره.

قوله: (وإنّ من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أُمته إلا رجل واحد): في حين كثرة أتباعه ﷺ على دينه في الدنيا والآخرة؛ فإنّ بعض أصحاب الرسالات المؤيدين بالوحي، والمحفوظين بالعصمة لم يؤمن معهم أحدٌ من الناس، زيادة في إيمانهم ومكانتهم، وتربية لأتباعهم في كل عصر ومصر.

فقه الحديث:

١ ـ كثرة الأتباع ليس دليلاً على الحق؛ فهذا النبي الذي تبعه واحد، وبعضهم لا يتبعهم أحد لم يقصروا في بيان الحق والدعوة له ونصرته، ومع ذلك مخالفوهم أكثر اتباعاً منهم.

٢ ـ كثرة الأتباع في الخير لها أثر في زيادة الأجر.

٣ ـ أمة محمد أفضل الأمم؛ لأنها أكثر الأمم استجابة وتصديقاً لنبيها محمد ﷺ.

٤ ـ وبيان ما ابتلى الله به بعض الأنبياء من قلت الناصر والمعين، حتى إن بعضهم لم يجد من يصدقه من الناس، ولو واحداً.

٥ ـ أنّ عدم تحقيق الهدف لا يلزم منه سوء النية، وخبث الطوية، والفشل؛ بل زيادة في الابتلاء، ونوع من التربية.

٦ ـ وهذا درس للدعاة الناصحين والعلماء المصلحين: أنّ العبرة بالاستقامة على الحق، ولزومه لها، وليس بكثرة العدد، وإن كانت من أسباب النصر، وكثرة الأجر.



٣٣٣ ـ (١٩٧) وحدّثني عَمْرٌو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحِدٍ قَبْلَكَ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٠/١٢).

❋ غريب الحديث:

قوله: (فاستفتح): أي: أطلب أن يفتح لي.

قوله: (فيقول الخازن): أي: الملك الموكل لحفظ باب الجنة، وسمي خازناً؛ لأن الجنة خزانة الله؛ أعدها للمؤمنين.

قوله: (محمد): أي: أنا محمد.

قوله: (بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك): أي: بسببك أمرت أن لا أفتح لغيرك، لا لشيء آخر. أو أمرت بأن لا أفتح لأحد غيرك.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الشفاعة في الإذن بدخول الجنة من كرامات نبينا ﷺ.

٢ ـ أنّ نبينا ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً في الدنيا والآخرة.

٣ ـ وأنّ نبينا ﷺ أول من يطرق باب الجنة إيذاناً بدخول الناس فيها.

٤ ـ أنّ للجنة خازن أو خزنة وأبواب.

٥ ـ أنّ السنة عند الرد في السؤال أن يجيب بالاسم.

٦ ـ أنّ الجنة لا تُفتح لأحدٍ قبل رسول الله ﷺ.

٧ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«هذه الشفاعة في فتح باب الجنة لأهل الجنة، وهذه ـ أيضاً ـ خاصة بالنبي ﷺ، وعلى هذا فتكون الشفاعات الخاصة بالرسول ﷺ ثلاثة:

الشفاعة العظمى في أهل الموقف أن يقضي بينهم.

والثانية: الشفاعة في أن يدخلوا باب الجنة.

والثالثة: شفاعته في عمه أبي طالب، ووجه خصوصيتها: أن الكافر لا يمكن أن يُشفع له، إلا أبا طالب، فإن النبي ﷺ استأذن ربه، فأذن له، فشفع له، فخفف عنه النار، فصار أخف أهل النار عذاباً، لكن عليه نعلان يغلي منهما دماغه ـ والعياذ بالله ـ واستأذن النبي ﷺ ربه أن يستغفر لأمه، فلم يأذن له.

فإن قيل: كيف لم يأذن له، وأمه أقرب إليه من عمه؟

فالجواب: أن عمه إنما شَفع له، من أجل ما حصل منه من النفع للإسلام، وللنبي ﷺ، والذود عنه، لكن لما لم يكن مؤمناً، لم تنفعه هذه الأعمال في الآخرة، إلا على هذا القدر، أما أمه فقد ماتت قبل النبوة بزمان، ثم إنه استأذن أن يستغفر لأمه، وهذا يقتضي أن يغفر لها كل ذنب، وهذا لا يمكن.

والحاصل: أنه يجتمع له ﷺ صنفان من الشفاعة، صنف في دفع ما يضر، وهو الهم والكرب الذي يصيبهم، وصنف في حصول ما يسر: وهو الشفاعة في فتح باب الجنة.

أما الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، فهذه له ولغيره من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والمؤمنين، والملائكة»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٠٧ ـ ٧٠٩).

٨٧ ـ باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته

٣٣٤ ـ {١٩٨} حدّثني يُونسُ بْنُ عَبْدِ الأعْلَى، أخْبَرَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ، عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ؛ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأرِيدُ أنْ أخْتَبِىءَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ ﷺ ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين، سوى شيخه وابن وهب؛ فمصريان.

٣ ـ مسلسل بالفقهاء، فكلهم ممن اشتهر بالفقه.

٤ ـ في (يونس) ست لغات: ضم النون، وفتحها، وكسرها، مع الهمز فيهن، وتركه.

٥ ـ يونس بن عبدالأعلى توفي سنة (٢٦٤هـ)، وبذلك يكون مسلم ـ رحمه الله ـ توفي قبل شيخه حيث توفي سنة (٢٦١هـ).

٦ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب عن أبي سلمة.

٧ ـ حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦٣٠٤ و٧٤٧٤).

* غريب الحديث:

قوله: (لكل نبي دعوة يدعوها): والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ جعل لكل نبي من أنبيائه ـ عليهم أفضل الصلاة، وأتم التسليم ـ دعوة عظيمة عامة في حق أُمته مستجابة لا تُرد، سواء كانت بالخير أم الشر لهم.

قوله: (فأريد أن أختبىء دعوتي لأمتي يوم القيامة): أمّا أنا ـ محمد ـ لم أدعُ بها في حياتي على قومي ولا لهم، وإنما ادخرتها لهم ليوم القيامة؛ لأنها لا تُرد، ولعظم حاجتهم لها هناك، وهي الشفاعة على اختلاف أنواعها.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ أعطى كل نبي دعوة عظيمة عامة يستجاب له فيها؛ إمّا بالرحمة، وإمّا بالعذاب.

٢ ـ أنّ هذه الدعوة تكون لهم في الدنيا والآخرة.

٣ ـ أنهم أخذوها في الدنيا.

٤ ـ أنّ نبينا ﷺ ادخرها لأُمته في الآخرة.

٥ ـ وأنّ دعوته ﷺ في الآخرة هي الشفاعة.

٦ ـ بيان فضل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، وكذلك لم يجعلها عليهم بالهلاك في الدنيا؛ كما وقع لغيره من الأنبياء مثل نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٧ ـ يؤخذ من الحديث كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، ورأفته بهم، ورعايته لمصالحهم في الدنيا والآخرة، ولذلك جعل دعوته لهم في أهم أوقات حاجتهم.

٨ ـ يؤخذ من الحديث حسن تصرف النبي ﷺ؛ لأنه جعل دعوته فيما ينبغي.

٩ ـ في الحديث دليل لأهل السنَّة والجماعة: أن من مات على التوحيد غير مشرك بالله لا يخلد في النار، ولو مات مصراً على الكبائر.

تذييل:

وقع إشكال أوجبه ظاهر الحديث بما وقع للأنبياء بعامة ونبينا محمد ﷺ بخاصة من دعوات مستجابة كثيرة، مع أن ظاهر الحديث: أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط.

والجواب من وجوه:

١ ـ أن المراد بـ(لكل نبي دعوة)؛ أي: أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى.

٢ ـ أن لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته؛ إما بإهلاكهم، وإما بنجاتهم، والدعوات الأخرى خاصة؛ فمنها ما يستجاب، ومنها ما لا يستجاب.

٣ ـ وقال بعض أهل العلم: لكل منهم دعوة مستجابة تخصه لدنياه أو لنفسه؛ كقول نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وقوله زكريا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وقول سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

تنبيه:

زعم بعض شراح الحديث: أن جميع دعوات الأنبياء مستجابة، وهذا منه غفلته عن جملة من الأحاديث، منها:

١ ـ أن النبي ﷺ دعا على أحياء من العرب، ودعا على أناس من قريش بأسمائهم، ودعا على رعل، وذكوان، وذي قارة، ودعا على مضر؛ فلم يستجب له، وأنزل الله قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ولذلك بقيت تلك الدعوة مدخرة للآخرة؛ لأن غالب من دعا عليهم لم يرد هلاكهم، وإنما أراد زجرهم وردعهم ليتوبوا.

٢ ـ أن رسول الله ﷺ صرح بذلك في حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم؛ فقال: «**سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة**...» الحديث.



٣٣٥ ـ {...} وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ زُهَيْرُ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، وَأَرَدْتُ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ، أَنْ أَخْتَبِىءَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

✲ غريب الحديث:

قوله: (إن شاء الله): هذه للتبرك والامتثال؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: **٢٣** و**٢٤**].

وليس من باب الاستثناء في الدعاء؛ فتنبه.

فقه الحديث:

١ ـ استحباب ذكر المشيئة في كل أمر مشروع ينوي القيام به، طلباً للتبرك، وإن كان هذا الأمر متحقق الوقوع.

٢ ـ أمور العباد كلها بإذن الله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير.



٣٣٦ ـ {...} حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيُّ، مَثْلَ ذَلِكَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان طريقة من طرق الاختصار مع الدقة، وذلك في قوله: «**مثل ذلك**».

٢ ـ قوله: «جارية» ـ بالجيم ـ، و«أَسِيد» ـ بفتح أوله، وكسر ثانيه ـ،

وقد بيّن الحافظ المزّي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ الاختلاف في تسميته على الزهريّ في ترجمة أبي هريرة في «تحفة الأشراف»، وحاصله: أن البخاريّ وقع عنده من طريق شعيب، ومعمر: عمرٌو، ومن طريق إبراهيم بن سعد: عن ابن أبي أَسِيد بن جارية، فأبهمه، ونسبه لجده، ووقع لأحمد من طريق إبراهيم بن سعد: عُمَر بن أَسِيد، ولعل هذا هو السرّ في إبهامه، ووقع لأبي داود، من طريق إبراهيم: عَمرو بن جارية، فنسبه لجد أبيه، ووقع للنسائيّ من طريق شعيب: عُمَر بن أبي سفيان، وكذا وقع لمسلم من حديث آخر.



٣٣٧ ـ {. . .} وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيَّ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لِكَعْبِ الأَحْبَارِ: إِنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأَنَا أُرِيدُ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ أَنْ أَخْتَبِىءَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

فَقَالَ كَعْبٌ لأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ.

➤ فوائد الإسناد:

١ ـ كعب الأحبار هو ابن ماتع، أبو إسحاق الحميري، ثقة مخضرم أدرك الجاهلية، وأسلم في أيام أبي بكر أو أيام عمر، وكان من قبل على اليهودية، وهو من فضلاء التابعين.

٢ ـ كعب الأحبار؛ أي: كعب العلماء، لكونه صاحب كتب، والأحبار الحبر، وهو ما يكتب به، وكان ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ من علماء أهل الكتاب.

➤ فقه الحديث:

١ ـ جواز السؤال مراراً؛ للتأكد، والتوثق من صحة، وسلامة ما قال الراوي والمحدث، وليس ذلك تهمة له.



٣٣٨ ـ {١٩٩} حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وأبُو كُرَيْبٍ ـ وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ ـ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ، إنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

❋ غريب الحديث:

قوله: (لكل نبي دعوة مستجابة): أي: مجابة.

والمراد: أن لكل نبي دعوة مجابة في أمته؛ هو علم يقين في إجابتها بما أوحى الله إليه، ثم إن الله خيَّرهم في تعيينها، وما عداها من دعواتهم يرجون إجابتها.

قوله: (فتعجل كل نبي دعوته): أي: أن الأنبياء دعوا بهذه الدعوة المجابة، فتحققت.

قوله: (وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة): أي: لم أتعجل كما فعل الأنبياء من قبلي، وإنما أخَّرتها إلى يوم القيامة، ثم بيَّنها وأنها شفاعته لأمته.

قوله: (فهي نائلة ـ إن شاء الله ـ من مات من أُمتي لا يشرك بالله شيئاً): من ماتَ: في محل نصب على المفعولية، ولا يشرك بالله: في محل نصب على الحال.

والتقدير: شفاعتي نائلة من مات غير مشرك، وكأنه ﷺ أراد أن يؤخرها، ثم عزم؛ ففعل ورجا وقوع ذلك فأعلمه الله به فجزم به. قاله الحافظ.

فقه الحديث:

١ ـ فيه بيان فضله ﷺ على سائر الأنبياء حيث آثر أُمته على نفسه، وأهل بيته بدعوته المجابة.

٢ ـ وأيضاً؛ فإنه ﷺ لم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك؛ كما وقع لغيره ممن تقدمه.

٣ ـ وفيه: بيان كثرة كرمه ﷺ.

٤ ـ وبيان حسن تصرفه ﷺ؛ لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي.

٥ ـ وفيه: صحة نظره ﷺ؛ لأنه جعلها للمذنبين من أُمته؛ لكونهم أحوج إليها من الطائعين.

٦ ـ وفيه: كمال شفقته، ورأفته بهم، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم فجعل دعوته في أهم حاجتهم.

٧ ـ دليل لأهل السنة والجماعة أنّ من مات غير مشرك لا يخلد في النار، ولو مات مصراً على الكبائر.

٨ ـ أنّ المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين.

٩ ـ وفيه الرد على طوائف المبتدعة المختلفة من الخوارج والمعتزلة في تكفيرهم أصحاب الكبائر، وعلى المرجئة في قولهم: إن المعاصي لا تضر مع الإيمان.

١٠ ـ أنّ العبرة ليس بنقص البدايات، وإنما بكمال النهايات والخواتيم.

٣٣٩ ـ {...} حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ ـ وَهُوَ ابْنُ الْقَعقَاعِ ـ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ فَيُؤْتَاهَا، وإِنِّي اخْتَبأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: وهو ابن القعقاع؛ ليقول لك يا طالب العلم هذه الزيادة من كيسي ـ أو قولي ـ وليست من قول شيخي، وإنما قلتها؛ لبيان من هو عمارة. وتقدم مراراً.



٣٤٠ ـ {...} حَدَّثَنَا عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ ـ وَهُوَ ابْنُ زِيادٍ ـ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ؛ فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه رواية الأصاغر عن الأكابر، أو الأبناء عن الآباء، وتقدم كثيراً.

✍ فقه الحديث:

١ ـ بيان أن هذه الدعوة تكون في أمة كل نبي، لا في شأنه وأهله خاصة.

٢ ـ فيه أن الأنبياء مجابو الدعوة، وهذا لعظم منزلتهم عند الله تعالى.



٣٤١ ـ {٢٠٠} حدّثني أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثانَا ـ وَاللَّفْظ لأَبِي غَسَّانَ ـ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ ـ يَعْنُونَ ابْنَ هِشَام ـ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ مسلسل بالبصريين من أوله إلى آخره.

٢ ـ وقع في بعض النسخ: (وحدثني أبو غسان المسمعي، ومحمد بن المثنى، وابن بشار حدثانا، واللفظ لأبي غسان، قالوا: حدثنا معاذ ـ يعنون: ابن هشام ـ) قال النووي:

«هذا اللفظ قد يَستدركه مَن لا معرفة له بتحقيق مسلم وإتقانه، وكمال وَرَعِه، وحِذْقه، وعرفانه، فيتوهم أن في الكلام طولاً، فيقول: كان ينبغي أن يحذف قوله: «حدَّثانا»، وهذه غَفْلة ممن يصير إليها، بل في كلام مسلم فائدةٌ لطيفةٌ، فإنه سمع هذا الحديث من لفظ أبي غسان، ولم يكن مع مسلم غيره، وسمعه من محمد بن المثنى وابن بشار، وكان معه غيره، وقد قدمنا في الفصول أن المستحب والمختار عند أهل الحديث أن مَن سَمِع وحده قال: «حدَّثني»، ومَن سَمِع مع غيره قال: «حدثنا»، فاحتاط مسلم، وعَمِل بهذا المستحب، فقال: حدثني أبو غسان؛ أي: سمعت منه وحدي، ثم ابتدأ، فقال: ومحمدُ بنُ المثنى وابنُ بشار حدثانا؛ أي: سمعت منهما مع غيري، فـ«محمدُ بنُ المثنى» مبتدأ، و«ابنُ بشّار» عطف عليه، و«حدَّثانا» الخبر، وليس هو معطوفاً على أبي غسان. والله تعالى أعلم.

وقوله: «قالوا: حدثنا معاذ»، يعني بـ«قالوا»: محمدَ بنَ المثنى، وابنَ بشار، وأبا غسان».

٢ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦٣٠٥).

فقه الحديث:

١ ـ تحقيق وقوع هذه الدعوة من الأنبياء ـ سوى نبينا ـ في الدنيا.



٣٤٢ ـ {...} وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ أَبِي خَلَفٍ، قَالا: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ.

فوائد الإسناد:

١ ـ رواية شعبة أخرجها أبو عوانة في «مسنده» (١/٨٧/٢٦٠):

حدثنا الصنعاني؛ قال: ثنا روح بن عبادة؛ قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس؛ قال: قال النبي ﷺ: «**إن لكل نبي دعوة مستجابة، قد دعا بها في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي**».



٣٤٣ ـ {...} ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، جَمِيعاً عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيع قَالَ: قَالَ: «**أُعْطِيَ**» وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

فوائد الإسناد:

١ ـ قوله في الرواية الماضية: (عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك، أن نبيّ الله ﷺ قال: لكل نبيّ دعوة... إلخ)، ثم ذَكَر مسلم هذا الطريق عن وكيع، وأبي أسامة، عن مسعر، عن قتادة، ثم قال: غير أن في حديث وكيع قال: قال: «أُعْطِيَ»، وحديث أبي أسامة، عن النبيّ ﷺ.

قال النوويّ: «هذا من احتياط مسلم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، ومعناه: أن رواياتهم اختَلَفت في كيفية لفظ أَنَس، ففي الرواية الأولى: «عن أنس، أن النبيّ ﷺ

قال: **لكل نبيّ دعوة**»، وفي رواية وكيع: «عن أنس، قال: قال النبيّ ﷺ: **أُعْطِي كلُّ نبيّ دعوة**»، وفي رواية أبي أسامة: «عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: **لكل نبيّ دعوة**».

٢ ـ رواية مسعر أخرجها الحافظ أبو نعيم في «مستخرجه» (١/٢٧٤/٤٩٨):

حدثنا إبراهيم بن أبي حصين، ثنا محمد بن عبدالله الحضرميّ، نا عمرو بن عبدالله الأَوْديّ، ثنا أبي، عن مسعر، عن قتادة. (ح)، وحدثنا أبو محمد بن حيّان، ثنا ابن معدان، ثنا إبراهيم الجوهريّ، ثنا أبو أسامة، عن مسعر، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبيّ دعوةٌ يدعو بها في أمته، وإني جعلت دعوتي شفاعة لأمتي**».



٣٤٤ ـ {...} وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين.

٣ ـ رواية سليمان بن طرخان: أخرجها البخاري (**٦٣٠٥**):

وقال لي خليفة: قال معتمر: سمعت أبي، عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: «**كلُّ نبي سأل سؤالاً**»، أو قال: «**لكل نبي دعوةٌ، قد دعا بها؛ فاستجيب، فجعلتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**».

قال أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: زعم بعضهم أن هذا الحديث عند البخاري معلق، وليس كذلك بل هو متصل؛ كما قال الحافظ في «فتح الباري» (**١١/٩٧**): «...فعلى هذا هو متصل، وقد وصله ـ أيضاً ـ مسلم عن محمد بن عبدالأعلى عن معتمر».

وأخرجها ابن خزيمة بسند الإمام مسلم في «التوحيد» (٥٠٦):

حدّثنا محمد بن عبدالأعلى الصنعانيّ، قال: حدّثنا المعتمر، عن أبيه، عن أنس، أن النبيّ ﷺ قال: «**كلُّ نبيّ قد سأل سؤالاً**»، أو قال: «**لكلّ نبيّ دعوةٌ قد دعا بها قومه، فاستخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**».

قال ابن خزيمة (٢/٥٥٣): يريد بقوله: «قومه» إن كانت حفظت هذه اللفظة؛ أي: على قومه أو لقومه».



٣٤٥ ـ {٢٠١} وحدّثني مُحَمَّدُ بْنُ أحْمَدَ بْنِ أبِي خَلَفٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ. قَالَ: أخْبَرَنِي أبُو الزُّبَيْرِ؛ أنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ يَقُولُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٦/١٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ تصريح أبي الزبير بالسماع من جابر، يدل على سلامته من التدليس.

٢ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ هذا من أفراد الإمام مسلم.

⮱ فقه الحديث:

١ ـ هذه الدعوة أعظم دعوات رسول الله ﷺ.

٢ ـ هذه الأحاديث المتقدمة في هذا الباب تعد من أحاديث الشفاعة.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ ختم له بالخير ـ: أسأل الله أن يرزقني ووالديّ ومشايخي وذريتي وأنصاري على الحق ودعوة السلف الصالح شفاعة رسول الله ﷺ، وأن نرد حوضه لنشرب منه شربة لا ظمأ بعدها؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.



٨٨ ـ باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم

٣٤٦ ـ {٢٠٢} حدّثني يُونُسُ بْنُ عَبْدِالأعْلَى الصَّدَفِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ؛ أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ الآيَة [إبراهيم: ٣٦]. وَقَالَ عِيسَى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي»** وَبَكَى. فَقَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: **«يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلا نَسُوؤُكَ»**.

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (٦٣/٣٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمصريين من أوله إلى آخره.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: بكر بن سوادة عن عبدالرحمٰن بن جبير المصري المؤذن.

٤ ـ حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

* **غريب الحديث:**

قوله: (أنّ النبي ﷺ تلا قول الله - عز وجل -): تلا: مصدره تلاوة، تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها، والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس العكس.

والمعنى: أنّ النبي ﷺ كان يتلو كتاب الله حاضر القلب والعقل؛ ليتأمل ما فيها من العبر، والحكم ونحوها.

قوله: (في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ الآية إنهن أضللن: الضمير يرجع إلى الأصنام في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ . . .﴾ أسند الإضلال إلى الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل؛ لأنها سبب لضلالهم، فكأنها أضلتهم، وهذه الجملة تعليل لدعائه لربه.

﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾: أي: من تبع ديني من الناس؛ فصار مسلماً موحداً.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾: أي: من أهل ديني، جعل أهل ملته كنفسه مبالغة.

﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾: فلم يتابعني، ويدخل في ملتي.

﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قادر على أن تغفر له.

ويجوز أن يكون هذا قبل أن يعلم أن المشرك لا يغفر له، أو المراد: من عصاني في غير شرك وكفر وهذا أقرب أو بأن تتوب عليه؛ فيتوب عن شركه، أو هو من الرد إلى مشيئة الله - تعالى - التي لا تجيز وقوع ذلك؛ لأن الشرك لا يغفره الله.

قوله: (وقال عيسى - عليه السلام -: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾**)**: «وقال عيسى: قال بعضهم: هو - والله أعلم - اسم للقول لا فعلاً، يقال: قال قولاً، وقالاً وقيلاً، كأنه قال: وتلا قول عيسى» قاله القاضي عياض، كما ذكر النووي.

والمعنى: إنْ تُعذب هؤلاء الذين زعموا عبادتي، وأُميَ بأمري أو رضانا؛ فإنهم عبادك، وأنت تحكم وتفعل بهم ما تريد فهم في ملكك، وتحت قهرك، تعذبهم، وأنت غير ظالم لهم، وإن تغفر لهم؛ فأنت المتصرف المدبر لا معقب لحكمك ولا رادّ لقضائك.

ففي هذا القول من عيسى ـ عليه السلام ـ: تبرؤ من القدرة على الحكم في أُمته يوم القيامة بل الحكم فيهم إلى الله وحده، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات.

قال بعض الشراح: إن مغفرة الشرك كانت في الأمم الماضية، وإنما امتنعت في شرعنا.

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: هذا قول باطل، ورأي عاطل، مخالف لصريح كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، وهذه الآية التي تضمنت هذا الحكم خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ والتغيير والتبديل.

وقال آخرون: إن إبراهيم وعيسى ـ عليهما السلام ـ لم يعلما أن الكافر لا يغفر له.

وهذا أيضاً قول مخالف لصريح القرآن: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

قوله: (فرفع يديه، وقال: «اللهم، أُمتي أُمتي» وبكى): بعد أن قرأ الآيتين، وتدبرهما، وتذكر حال عصاة هذه الأمة، وما سيصيب هذه الأمة من الفتن العامة والخاصة، عندها رفع يديه داعياً متضرعاً راجياً رحمة ربه لأُمته حتى بكى حزناً، وخوفاً عليهم.

قوله: (فقال الله ـ عز وجل ـ: يا جبريل! اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟): لما دعا ربه في ذلك الوقت، وتلك الحالة المشرفة وربه السميع البصير أرسل جبريل سيد الملائكة إلى سيد أهل الأرض؛ ليعلمه أنه مراقب له ويعلم ما يريد، ولتشريفه في إرساله جبريل إليه، وتعظيمه وتبشيره.

قوله: (فأتاه جبريل - عليه السلام - فسأله. فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم -، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أُمتك ولا نسوؤك): وهو أعلم: جملة حالية اعتراضية؛ لدفع الوهم.

سنرضيك ولا نسوؤك: قال صاحب «التحرير»: «هو تأكيد للمعنى، أي: لا نحزنك؛ لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك حزناً بل ننجي الجميع».

فقه الحديث:

١ ـ أنّ القرآن الكريم حوى أنواعاً من العلوم منها: القصص الصدق من أخبار النبيين والسابقين.

٢ ـ أنّ التلاوة هي الطريقة الصحيحة لقراءة القرآن الكريم.

٣ ـ حرص الخليل والمسيح ـ عليهما الصلاة والسلام ـ على إقامة التوحيد لله ونشره، والتحذير من الشرك.

٤ ـ بيان خطر الشرك، وفتنة الناس به.

٥ ـ أنّ عبادة الأصنام هو دين قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

٦ ـ أنّ أتباع التوحيد ينسبون إلى إمامه، والسنة كذلك.

٧ ـ أنّ الله قادر على تعذيب ورحمة من شاء، وهو العدل الحكيم.

٨ ـ وفيه رد الأمور إلى المشيئة.

٩ ـ واستحباب طلب المغفرة والعفو عن الذنب دون الشرك.

١٠ ـ وبيان كمال شفقة النبي ﷺ على أُمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم.

١١ ـ واستحباب رفع اليدين عند الدعاء.

١٢ ـ واستحباب البشارة العظيمة لهذه الأُمة زادها الله شرفاً بما وعدها الله ـ تعالى ـ بقوله: «سنرضيك في أُمتك ولا نسوؤك»، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأُمة أو أرجاها.

١٣ ـ وبيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ.

١٤ ـ والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ، وأنه بالمحل الأعلى؛ فيترضى، ويكرم بما يرضيه.

١٥ ـ وهذا الحديث موافق لقول الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

قال بعض العلماء: والله ما يرضى محمد ﷺ، وواحد من أمته في النار.



٨٩ ـ باب بيان أن من مات على الكفر؛ فهو في النار، ولا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين

٣٤٧ ـ {٢٠٣} حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**إن أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٢/١٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين غير شيخه؛ فكوفي.

٣ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (أين أبي؟): أين هو الآن؟ وفي أي مكان هو؟ وما هو جزاؤه الجنة أم النار، في نعيم أو جحيم؟ لكي أفرح أو أحزن عليه.

قوله: (قال: في النار): إنّ أباك في النار يعذب بسبب كفره وشركه بالله تعالى، فلم يكن من الموحدين.

قوله: (فلما قَفَّى دعاهُ؛ فقال: إنّ أبي وأباك في النار): قفى: أي: ذهب مولّياً، وكأنه من القفا؛ أي: أعطاه قفاه وظهره.

والمعنى: أنّ الرجل ذهب وصار قفاه هو الظاهر في ذهابه؛ فدعاه رسول الله ﷺ يريد أن يخفف حزنه، ويهون عليه؛ فقال له: يا هذا! إنّ أبي

حاله ومصيره كحال ومصير أبيك، كلاهما في النار؛ لعدم اتباعهم شريعة إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، أو من بعده؛ هو: عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الذي كانت ديانته معروفة في أكثر المناطق. وهذا من تسلية الرجل، وحسن العشرة.

فقه الحديث:

١ - فيه أن من مات على الكفر؛ فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين.

٢ - وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان؛ فهو من أهل النار.

٣ - وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم -.

٤ - وفيه حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة، قالها النووي.

٥ - فيه مراعاة أحوال ومشاعر المخاطبين مع عدم التساهل، وتمييع الحق وكتمانه. ويدل عليه ما ترجم له ابن حبان فقال في «صحيحه» (٥٧٨/٢٤٠/٢): «ذكر الاستحباب للمرء استمالة قلب أخيه المسلم بما لا يحظره الكتاب والسنَّة».

٦ - وكل ما ورد بإحياء والديه ﷺ، وإيمانهما، ونجاتهما أكثره موضوع مكذوب مفترى، وبعضه ضعيف جداً لا يصح بحال لاتفاق أئمة الحديث على وضعه كالدارقطني؛ والجوزقاني، وابن شاهين، والخطيب، وابن عساكر، وابن ناصر، وابن الجوزي، والسهيلي القرطبي، والمحب الطبري، وفتح الدين بن سيد الناس، وإبراهيم الحلبي، وجماعة.

وقد بسط الكلام في عدم نجاة الوالدين العلاَّمة إبراهيم الحلبي في رسالة مستقلة، والعلاَّمة علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»، وفي رسالة مستقلة، ويشهد لصحة هذا المسلك هذا الحديث الصحيح، قاله صاحب «عون المعبود».

٧ ـ قال شيخنا العلامة الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «...في جملة أحاديث أخرى تدل كلها ـ كهذا ـ على أن من مات في الجاهلية مشركاً؛ فهو في النار، وليس من أهل الفترة؛ كما يظن كثير من الناس، وبخاصة الشيعة منهم، ومن تأثر بهم من السنة!

ومن تلك الأحاديث: ما رواه حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: «**في النار**». فلما قفى دعاه، فقال: ...» فذكر حديث الترجمة حرفاً بحرف.

أخرجه مسلم (**١٣٢/١ ـ ١٣٣**)، وأبو عوانة (**٩٩/١**)، وأبو داود (**٤٧١٨**)، والجوزقاني (**٢٣٣/١**) وصححه، وأحمد (**٢٦٨/٣**)، وأبو يعلى (**٣٥١٦/٢٢٩/٦**)، وابن حبان (**٥٧٨** ـ الإحسان)، والبيهقي (**١٩٠/٧**) من طرق، عن حماد بن سلمة به.

ومنها سعد بن أبي وقاص المتقدم برقم (**١٨**) بلفظ: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**».

فراجع سببه هناك؛ فإنه بمعنى حديث الترجمة لمن تأمله.

وإن مما يتصل بهذا الموضوع قوله ﷺ لما زار قبر أمه: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي..**» الحديث.

رواه مسلم وغيره، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» (ص**١٨٧ ـ ١٨٨**) من حديث أبي هريرة وبريدة، فليراجعهما من شاء.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرنا خير كبير وبركة.

واعلم أيها الأخ المسلم: أن بعض الناس اليوم، وقبل اليوم لا استعداد عندهم لقبول هذه الأحاديث الصحيحة، وتبنّي ما فيها من الحكم بالكفر على والدي الرسول ﷺ، بل إن فيهم من يظن أنه من الدعاة إلى الإسلام ـ؛ ليستنكر أشد الاستنكار التعرض لذكر هذه الأحاديث، ودلالتها الصريحة!

وفي اعتقادي: أن هذا الاستنكار إنما ينصبّ منهم على النبي ﷺ الذي قالها إن صدَّقوا بها. وهذا ـ كما هو ظاهر ـ كفر بواح، أو على الأقل: على الأئمة الذين رووها وصححوها، وهذا فسق أو كفر صراح؛ لأنه يلزم منه تشكيك المسلمين بدينهم، لأنه لا طريق لهم إلى معرفته والإيمان به، إلا من طريق نبيهم ﷺ كما لا يخفى على كل مسلم بصير بدينه، فإذا لم يصدقوا بها لعدم موافقتها لعواطفهم، وأذواقهم وأهوائهم ـ والناس في ذلك مختلفون أشد الاختلاف ـ كان في ذلك فتح باب عظيم جداً لرد الأحاديث الصحيحة، وهذا أمر مشاهد اليوم من كثير من الكتّاب الذين ابتليَ المسلمون بكتاباتهم كالغزالي والهويدي، وبليق وابن عبدالمنان، وأمثالهم ممن لا ميزان عندهم لتصحيح الأحاديث، وتضعيفها إلا أهواؤهم!

واعلم أيها المسلم ـ المشفق على دينه أن يُهدمَ بأقلام بعض المنتسبين إليه ـ أنّ هذه الأحاديث ونحوها مما فيه الإخبار بكفر أشخاصٍ أو إيمانهم، إنما هو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها وتلقيها بالقبول، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١ ـ ٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . . .﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالإعراض عنها وعدم الإيمان بها يلزم منه أحد أمرين لا ثالث لهما ـ وأحلاهما مرّ ـ: إما تكذيب النبي ﷺ، وإما تكذيب رواتها الثقات كما تقدم.

وأنا حين أكتب هذا أعلم أن بعض الذين ينكرون هذه الأحاديث أو يتأولونها تأويلاً باطلاً كما فعل السيوطي ـ عفا الله عنا وعنه ـ في بعض رسائله، إنما يحملهم على ذلك غلوهم في تعظيم النبي ﷺ، وحبهم إياه، فينكرون أن يكون أبواه ﷺ كما أخبر هو نفسه عنهما، فكأنهم أشفقُ عليهما منه ﷺ!! وقد لا يتورع بعضهم أن يركن في ذلك إلى الحديث المشهور على ألسنة بعض الناس الذي فيه أن النبي ﷺ أحيا الله له أمه، وفي رواية: أبويه، وهو حديث موضوع باطل عند أهل العلم كالدارقطني، والجوزقاني، وابن عساكر، والذهبي، والعسقلاني، وغيرهم كما هو مبين في موضعه، وراجع له إن شئت كتاب «الأباطيل والمناكير» للجوزقاني بتعليق الدكتور عبدالرحمن

الفريوائي (١/٢٢٢ ـ ٢٢٩)، وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٨٤):

«هذا حديث موضوع بلا شك، والذي وضعه قليل الفهم، عديم العلم، إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافراً لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة، لا بل لو آمن عند المعاينة، ويكفي في رد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، وقوله ﷺ في «الصحيح»: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي**».

ولقد أحسن القول في هؤلاء بعبارة ناصعة وجيزة الشيخ عبدالرحمن اليماني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تعليقه على «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للإمام الشوكاني، فقال (ص٣٢٢):

«كثيراً ما تجمح المحبة ببعض الناس، فيتخطّى الحجة ويحاربها، ومن وُفِّقَ علم أن ذلك منافٍ للمحبة الشرعية. والله المستعان».

قلت: وممن جمحت به المحبة السيوطي ـ عفا الله عنه ـ، فإنه مال إلى تصحيح حديث الإحياء الباطل عند كبار العلماء كما تقدم، وحاول في كتابه «اللآلىء» (١/٢٦٥ ـ ٢٦٨) التوفيق بينه وبين حديث الاستئذان، وما في معناه، بأنه منسوخ، وهو يعلم من علم الأصول أن النسخ لا يقع في الأخبار، وإنما في الأحكام! وذلك أنه لا يعقل أن يخبر الصادق المصدوق عن شخص أنه في النار ثم ينسخ ذلك بقوله: إنه في الجنة! كما هو ظاهر معروف لدى العلماء.

ومن جموحه في ذلك أنه: أعرض عن ذكر حديث مسلم، عن أنس المطابق لحديث الترجمة إعراضاً مطلقاً، ولم يشر إليه أدنى إشارة، بل إنه قد اشتط به القلم وغلا، فحكم عليه بالضعف متعلقاً بكلام بعضهم في راويه حماد بن سلمة! وهو يعلم أنه من أئمة المسلمين وثقاتهم، وأن روايته عن ثابت صحيحة، بل قال ابن المديني، وأحمد وغيرهما: أثبت أصحاب ثابت حماد، ثم سليمان، ثم حماد بن زيد، وهي صحاح.

وتضعيفه المذكور كنت قرأته قديماً جداً في رسالة له في حديث الإحياء ـ طبع الهند ـ ولا تطولها يدي الآن؛ لأنقل كلامه، وأتتبع عواره، فليراجعها من شاء التثبت.

ولقد كان من آثار تضعيفه إياه أنني لاحظت أنه أعرض عن ذكره أيضاً في شيء من كتبه الجامعة لكل ما هبّ ودبّ، مثل «الجامع الصغير» و«زيادته» و«الجامع الكبير»! ولذلك خلا منه «كنز العمال»، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وتأمل الفرق بينه، وبين الحافظ البيهقي الذي قدم الإيمان، والتصديق على العاطفة والهوى، فإنه لما ذكر حديث: «**خرجت من نكاح غير سفاح**»، قال عقبه: «وأبواه كانا مشركين، بدليل ما أخبرنا..».

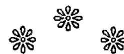
ثم ساق حديث أنس هذا، وحديث أبي هريرة المتقدم في زيارة قبر أمه ﷺ»[1]. اهـ.

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ـ: رسالة السيوطي التي أشار إليها شيخنا في تعليقاته النفيسة ومباحثه الأنيسة هي: «مسالك الحنفا في والدي المصطفى» ملأها بالأحاديث الموضوعة، والأخبار الضعيفة، والحكايات الواهية، ورد الأحاديث الصحيحة الصريحة بتأويل بارد.

وقد جاء فيها بعجائب وغرائب تضحك الثكلى فمن ذلك حمل قصة والد إبراهيم ﷺ التي جاءت صريحة في القرآن بأنه أبوه على أنه عمه، وليس أباه، فالله المستعان.

وقد نجّى الله شراح هذا الحديث من هذه اللوثة إلا الأبي حيث قال: «...ولعله يصح ما جاء أنه ﷺ سأل الله؛ فأحيا له أبويه؛ فآمنا به، وقدر رسول الله ﷺ فوق هذا، ولا يعجز الله شيء»[2]!!!

ولذلك اعتمد على قوله السيوطي في رسالته، وأعرض عن العلماء الفحول مثل القاضي عياض، والقرطبي، والنووي الذين قرروا ما أفادته ترجمة الباب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.



(١) «السلسلة الصحيحة» (١٧٩/٦ ـ ١٨٢ /ح٢٥٩٢).

(٢) «شرح الأبي» (٦١٧/١).

٩٠ ـ باب في قوله تعالى:
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]

٣٤٨ ـ {٢٠٤} حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ؛ قَالا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قرَيْشاً. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ! يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! أَنْقِذُوا أَنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي هَاشِم! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يا بَنِي عَبْدِالْمُطَلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا فَاطِمَةُ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه شيخان قرن بينهما.

٣ ـ مسلسل بالكوفيين غير شيخيه وصحابي الحديث.

٤ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي.

٥ ـ قال الحافظ (٤٧٧٠): «هذا من مراسيل الصحابة، وبذلك جزم الإسماعيلي؛ لأن أبا هريرة إنما أسلم بالمدينة، وهذه القصة وقعت بمكة، وابن عباس كان حينئذٍ إما لم يولد، وإما طفلاً. ويؤيد الثاني نداء فاطمة؛

فإنه يشعر بأنها كانت حينئذٍ بحيث تخاطب بالأحكام، وقد قدمت في «باب من انتسب إلى آبائه» في أوائل السيرة النبوية احتمال أن تكون هذه القصة وقعت مرتين، لكن الأصل عدم تكرار النزول، وقد صرح في هذه الرواية بأن ذلك وقع حين نزل.

نعم وقع عند الطبراني من حديث أبي أُمامة قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع رسول الله ﷺ بني هاشم، ونساءه، وأهله فقال: «**يا بني هاشم! اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم، يا عائشة بنت أبي بكر، يا حفصة بنت عمر، يا أُم سلمة...**» فذكر حديثاً طويلاً، فهذا إن ثبت دلَّ على تعدد القصة؛ لأن القصة الأولى وقعت بمكة؛ لتصريحه في حديث الباب أنه صعد الصفا، ولم تكن عائشة، وحفصة، وأم سلمة عنده، ومن أزواجه إلا بالمدينة، فيجوز أن تكون متأخرة عن الأولى فيمكن أن يحضرها أبو هريرة، وابن عباس أيضاً، ويحمل قوله: «لما نزلت... جمع»؛ أي: بعد ذلك، لا أن الجمع وقع على الفور، ولعله كان نزل أولاً ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ فجمع قريشاً؛ فعم ثم خص، كما سيأتي، ثم نزل ثانياً: «ورهطك منهم المخلصين» فخص بذلك بني هاشم ونساءه، والله أعلم».

٦ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٧٥٣ و٣٥٢٧ و٤٧٧١**).

٧ ـ هذه الطريق (...عبدالملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة) ترد زعم من قال: أن مسلماً ـ رحمه الله ـ يذكر الروايات حسب القوة؛ فيقدم الأقوى ويؤخر المتابعات؛ فإن رواية الرابعة أقوى منها بكثير، ففي هذه الرواية عبدالملك بن عمير وهو متكلم فيه.

❋ غريب الحديث:

قوله: (وأنذر عشيرتك الأقربين): نذر: من الإنذار؛ وهو: الإعلام، يقال: أنذرته أنذره إنذاراً؛ إذا أعلمته، فأنا منذر ونذير؛ أي: معلم ومخوّف

ومحذّر. ونذرتُ به: إذا علمت. والمنذر المعلم الذي يُعرّف القوم بما يكون قد دهمهم من عدو أو غيره. وهو المخوّف ـ أيضاً ـ كما في «النهاية».

والعشيرة: أهل الرجل الذين يتكثر بهم؛ أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثر بهم. كما في «المفردات».

والمعنى: لما أمره بما فيه كمال نفسه ـ وذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] ـ أمره بتكميل غيره، فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني، والدنيوي، وهذا لا يُنافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له: أحسن إلى قرابتك، فيكون هذا خصوصاً دالاً على التأكيد، وزيادة الحق، فامتثل ﷺ هذا الأمر الإلٓهي، فدعا سائر بطون قريش، فعمم وخصص، وذكرهم ووعظهم، ولم يُبقِ من مقدوره شيئاً، من نصحهم، وهدايتهم إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض. قاله السعدي.

قوله: (دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص): بعد نزول الآية بدأ بدعوة عشيرته ـ وهي قريش ـ، فعم القبيلة، ثم بعد ذلك خص أقربهم إليه، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة، وابن عباس، وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ.

قال الحافظ: «ونداؤه للقبائل من قريش قبل عشيرته الأدنين؛ ليكرر إنذار عشيرته، ولدخول قريش كلها في أقاربه؛ ولأن إنذار العشيرة يقع بالطبع، وإنذار غيرهم يكون بطريق الأولى».

وقال ـ أيضاً ـ: «والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف، والرأفة فيحابيهم في الدعوة، والتخويف؛ لذلك نص له على إنذارهم».

قوله: (أنقذوا أنفسكم من النار): وذلك يكون بالإيمان بالله، وبما جاء به رسول الله ﷺ؛ فإن الإيمان طريق النجاة والنجاح، والكفر والشرك طريق الخيبة والخذلان.

قوله: (يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار): يا فاطمة: يجوز فيها الرفع والنصب، وكذا يا صفية. وهذا من الخاص الذي ذكر أولاً.

قوله: (فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها): فإني لا أملك لكم من الله شيئاً؛ هذا مثل نص القرآن حيث أخبر الله عنه أنه يقولها للناس، فكأنه يقول لهم: لا تتكلوا على قرابتي؛ فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله بكم، أو منعه عنكم أن أحصله.

ورحماً سأبلها ببلالها: بلها يكون بوصلها، والإحسان إليها بالقول والفعل.

قال صاحب «المطالع»: « ـ رويناه بكسر الباء، وفتحها ـ من بله يبله، والبلال: الماء، ومعنى الحديث: سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه «بلوا أرحامكم»؛ أي: بوصلها» قاله النووي.

فقه الحديث:

١ ـ بيان استجابة الرسول ﷺ لأمر الله ـ تعالى ـ في تبليغ الدِّين.

٢ ـ أنّ دعوة النبيين والمرسلين قائمة على الرهبة والرغبة، والبشارة والنذارة.

٣ ـ جواز انتساب الرجل إلى آبائه قبل الجاهلية.

٤ ـ أنّ القريب أولى بالخير من البعيد، ولذلك يجب علينا أن نحرص على عشيرتنا الأقربين قبل كل شيء؛ لأننا مسؤولون عنهم يوم القيامة؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

٥ ـ وفيه الاعتناء بفقه الأولويات، والبدء بالأهم فالأهم.

٦ ـ أنّ الإيمان نجاة، والشرك غرق بالنار والعار.

٧ ـ أنّ الرسول ﷺ ـ وغيره من باب أولى ـ لا يملك تغيير حكم الله وقضائه.

٨ ـ وجوب صلة الأرحام.

٩ ـ أنّ هذه الصلة تختلف بحسب حال الموصول من إيمان وكفر، وصلاح وفساد وغيرها.

١٠ ـ أنّ للرحم حقاً، ولو كان الموصول كافراً.

١١ ـ أنّ أدنى حد الصلة بلها، ولو بالسلام.

١٢ ـ وفيه أنّ قطيعة الرحم من الجفاء، وصلتها من الوفاء.



٣٤٩ ـ {. . .} وحدّثنا عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، بِهَذَا الإسْنَادِ. وَحَدِيثُ جَرِيرٍ أَتَمُّ وَأَشْبَعُ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ بيان طريقته في الاختصار مع التنبيه على فيها من زيادة، ونقصان، واختلاف.

٢ ـ رواية أبي عوانة: أخرجها أبو عوانة في «المسند» (١/٨٨/٢٦٨):

حدثنا محمد بن يحيى، وإبراهيم بن مرزوق، وأبو أمية، قالوا: ثنا أبو الوليد. (ح) وحدثنا الزعفرانيّ؛ قال: ثنا عَفّان، قالا: ثنا أبو عوانة، عن عبدالملك بن عُمير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قام رسول الله ﷺ، فنادى: «**يا بَنِي كعب بن لُؤَيّ أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف،**

أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رَحِماً سَأَبُلُّها ببلالها».



٣٥٠ ـ {٢٠٥} حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ؛ قَالاَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ؛ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ! يَا بَنِي عَبْدِالْمُطَّلِبِ! لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عائشة بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ في الحديث (١٦٠/٢٥٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية الابن عن أبيه عن خالته: هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي.

٤ ـ هذا الحديث من مراسيل الصحابة؛ فإن عائشة لم تدرك الواقعة التي ذكرها الحديث.

٥ ـ حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (على الصفا): هو: الجبل المعروف في مكة المكرمة بجانب الكعبة، وأُدخل في حدود المسجد الحرام.

وإنما صعد؛ ليكون أظهر لهم؛ فيشاهدوه، ويُسمع الصوت أكثر، وأشبه بالمنادي للأمر المهم المفزع.

قوله: (سلوني من مالي ما شئتم): فإني أستطيع أن أُعطيكم منه ما شئت، وقدرت عليه، أمّا النجاة من النار؛ فلا أملكها، وإنما هي بيد العزيز الغفار.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ الرسول ﷺ عبد مأمور، هو كسائر الناس يبذل ما يستطيعه من النصح، ولا يضمن لأحد الجنة، وإنما العمل الصالح هو طريقها.

٢ ـ الاستحباب القيام على شيء عال أو مرتفع من الأرض؛ لإبلاغ الدعوة إذا كثر العدد، كما فعل رسول الله ﷺ حيث صعد على الصفا.

٣ ـ بيان أن الأقرب للرجل من كان يجمعه هو وجدّ أعلى، وكل من اجتمع معه في جد دون ذلك كان أقرب إليه.

٤ ـ أن إفراده ﷺ فاطمة وصفية وعباساً ـ رضي الله عنهم ـ؛ لشدة قرابتهم له، وشدة صلته بهم من بين أقربائه.

وكانت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أصغر أولاده، وللصغير زيادة محبة، فإذا انتفى نفعه لمن يحب من أقاربه، ومن يحرص على نفعه انتفى عن غيره من باب أولى.

٥ ـ النيابة لا تدخل في أعمال البر؛ إذ لو جاز ذلك لكان النبي ﷺ يتحمل عن فاطمة بما يخلصها؛ فإذا كان عمله لا ينفع نيابة عن ابنته؛ فغيره بالمنع أولى.

٦ ـ يدل الحديث على جواز أن يعطى الكافر من المال، وأنه لا حرج في ذلك؛ لأنه قال ﷺ لعشيرته: «**سلوني من ما شئتم**» ويؤيده قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٧ ـ يدل الحديث على أن رسول الله ﷺ في غاية الكرم وقمة الجود؛ لأنه قال لعشيرته: «**سلوني ما شئتم**».



٣٥١ ـ {٢٠٦} وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يَا بَنِي عَبْدِالْمُطَّلِبِ! لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ! لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ! لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ! سَلِينِي بِمَا شِئْتِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨/٥).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٢٧٥٣ و٣٥٢٧ و٤٧٧١**).

❋ غريب الحديث:

قوله: (اشتروا أنفسكم من الله)؛ أي: باعتبار تخليصها من النار، كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا الطاعة ثمن النجاة. وأمّا قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة؛ قاله الحافظ.

◄ فقه الحديث:

١ ـ فيه إشارة إلى أنّ النفوس كلها ملك لله ـ تعالى ـ.

٢ ـ وفيه أن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه وفّى ما عليه من الثمن.



٣٥٢ ـ {. . .} وحدّثني عَمْروٌ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زائِدَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ عَنِ الأعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، نَحْوَ هَذَا.

◄ فوائد الإسناد:

١ ـ **قوله: (نحو هذا)**: أي: نحو حديث ابن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

٢ ـ رواية الأعرج أخرجها أبو عوانة في «المسند» (١/٩٠/٢٧٤):

حدثنا محمد بن حيويه بن موسى؛ قال: أنبأ أبو اليمان؛ قال: أنبأ شعيب؛ قال: حدثني أبو الزناد. (ح) وحدثنا محمد بن كثير؛ قال: ثنا إسماعيل بن أبي كَرِيمة؛ قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبدالرحيم، عن عبدالوهاب، عن عبدالله بن ذكوان. (ح) وحدثنا طاهر بن خالد بن نِزار، قال: ثنا أبي، قال: ثنا إبراهيم بن طَهْمان، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزناد، عن عبدالرحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا بني عبد مناف، اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من الله، يا أم الزبير، يا عمة النبي ﷺ، يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، اشترِيَا أنفسكما من الله، لا أملك لكما من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئتما**».

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



٣٥٣ ـ {٢٠٧} حدّثنا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو؛ قَالا: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلا أَعْلاهَا حَجَراً، ثُمَّ نَادَى: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ! إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي، وَمَثَلُكُمْ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ: يَا صَبَاحَاهْ!**».

❋ راوي الحديث:

قبيصة بن المخارق؛ هو: ابن عبدالله بن شداد بن معاوية بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالي البصري، وفد على النبيّ ﷺ، وروى عنه، وكنيته أبو بشر، وكانت له دار بالبصرة، وله ولد اسمه قطن كان شريفاً، وقد ولي سجستان.

وأما زهير بن عمرو الهلالي فليس له إلا هذا الحديث، ونزل البصرة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين من أوله إلى آخره.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم عن صحابيين.

٤ ـ صحابيوه من المقلين في الرواية؛ فقبيصة له نحو خمسة أحاديث، وزهير ليس له إلا حديث الإنذار هذا.

٥ ـ حديث قبيصة وزهير ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (انطلق نبي الله ﷺ إلى رضمة من جبل، فعلا أعلاها حجراً، ثم نادى): قالا وقال: فمعناه: قالا؛ لأن المراد أن قبيصة، وزهيراً قالا، ولكن لما كانا متفقين، وهما كالرجل الواحد أفرد فعلهما، ولو حذف لفظة

قال: كان الكلام واضحاً منتظماً، ولكن لما حصل في الكلام بعض الطول حسن إعادة قال: للتأكيد، ومثله في القرآن العزيز ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون: ٣٥] فأعاد **(أنكم)**، وله نظائر كثيرة في القرآن العزيز والحديث، قاله النووي.

رضمة من جبل: الرضمة: واحدة الرضم، والرضام: وهي: صخور عظام بعضها فوق بعض، وقيل: هي دون الهضاب، وقيل: حجارة مجتمعة ليست بثابتة في الأرض؛ كأنها منثورة.

والمعنى: أنّ النبي ﷺ ذهب؛ لينذر الناس من قومه، فصعد مكاناً عالياً أعلى ما في الجبل، ونادى بالناس بجمعهم؛ ليتحدث إليهم.

قوله: (إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف: يا صباحاه): يربأ أهله: يحفظهم ويتطلع لهم، ويقال لفاعل ذلك ربئة، وهو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو، ولا يكون في الغالب إلا على جبل أو شرف أو شيء مرتفع لينظر إلى بعد.

وأما فخشي أن يسبقوه: أي: أن الأعداء ذلك الرجل، وأما فجعل: أي: أخذ وشرع.

وأمّا يهتف: يصيح، ويصرخ.

وقولهم: يا صباحاه! كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها؛ ليجتمعوا، ويتأهبوا له.

والمعنى: إني نذير لكم، وحالي معكم كمن رأى العدو أقبل تجاهنا فأسرع إلى مكان عالٍ يراه، ويسمعه جميع الناس ينادي بهم إن عدوكم أقبل تجاهكم فتأهبوا له، يوشك أن يصبحكم.

فإذا كان الأمر والحال كذلك ألا تأخذون بنصيحته، فتعملوا ما فيه نجاتكم من الهلكة، والذل، والدمار؟!

فقه الحديث:

١ ـ بيان حرص النبي ﷺ على قومه وشفقته عليهم.

٢ ـ استعمال واستنفاد كل الطرق والوسائل التي لا تتعارض مع الشرع في دعوة الناس.

٣ ـ هذا الحديث يُعد من الأمثال النبوية، وهي كثيرة أفردها العلماء. بمصنفات مستقلة قديماً وحديثاً بالشرح والتحليل وغيرها.

٤ ـ مشروعية الهتاف: (يا صباحاه) ونحوها من اعتاده الناس لجمعهم.

٥ ـ فيه أن رسول الله ﷺ عنده من العزم والحزم والشجاعة والإقدام ما ليس عندنا حيث قام في هذا المكان الذي الغلبة فيه لكفار قريش، فدعا الناس للاجتماع وعرض عليهم ما أمره الله به.



٣٥٤ ـ {...} وحدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا أَبو عُثْمَانَ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، وَقَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِنَحْوِهِ.

فوائد الإسناد:

١ ـ مسلسل بالبصريين.

٢ ـ **قوله**: (**بنحوه**) أي: أن رواية المعتمر عن أبيه نحو رواية يزيد بن زريع عنه.

٣ ـ رواية المعتمر بن سليمان: أخرجها أبو نعيم (٥٠٨/٢٧٧/١):

وحدثنا أبو محمد بن حبان، ثنا ابن أبي عاصم، ثنا عبيدالله بن معاذ، ثنا المعتمر بن سليمان، ثنا أبي، ثنا أبو عثمان النَّهديّ، عن زُهير بن عمرو، وقَبِيصة بن الْمُخارق، قال: لَمّا نَزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] انطَلَق نبي الله ﷺ إلى رَضْمَةٍ من جَبَل على أعلاها حجر، فجَعَل ينادي: «**يا بني عبد مناف، إنما أنا نذيرٌ، إنما مَثَلِي ومَثَلُكم، كرَجُل**

رأى العدوّ، فذَهَب يَرْبَأُ على أهله، فَخَشِي أن يُسْبَقَ، فجَعَل ينادي، أو يَهْتِف: يا صباحاه».



٣٥٥ ـ {٢٠٨} وحدّثنا أبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ، حَدَّثَنَا أبُو أسَامَةَ عَنِ الأعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] **«وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»**. خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: **«يَا صَبَاحَاهْ!»** فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ. فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فَقَالَ: **«يَا بَنِي فُلانٍ! يا بَنِي فُلانٍ! يَا بَنِي فُلانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِالْمُطَّلِبِ!»** فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ فَقَالَ: **«أرَأيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»** قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِباً. قَالَ: **«فَإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»**.

قَالَ: فَقَالَ أبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ: أمَا جَمَعْتَنَا إلا لِهَذَا ثُمَّ قَامَ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] ﴿وَقَدْ تَبَّ﴾. كَذَا قَرَأَ الأعْمَشُ إلَى آخِرِ السُّورَةِ.

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (١٧/٢٣).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف.

٢ ـ مسلسل بثقات الكوفيين غير صحابية، فمدني ثم بصري، ثم مكي؛ فطائفي.

٣ ـ فيه ثلاثة من التابعىن يروي بعضهم عن بعض: الأعمش، عن عروة بن مرة، عن سعيد بن جبير.

٤ ـ رواية الأعمش عن عمرو بن مرة من رواية الأقران؛ فكلاهما من الطبقة الخامسة.

٥ ـ حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**١٣٩٤ و٣٥٢٥ و٤٧٧٠ و٤٨٠١ و٤٩٧١ ـ ٤٩٧٣**).

٦ ـ هذا الحديث من مراسيل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

❋ غريب الحديث:

قوله: (ورهطك منهم المخلصين): الرهط: عشيرة الرجل وأهله، والرهط من الرجال: ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين، لا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، وأراهط جمع الجمع. «النهاية».

قال النووي: «ظاهر هذه العبارة أن قوله: **(ورهطك من المخلصين)** كان قرآناً أنزل، ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري».

قال الحافظ ابن حجرـ رحمه الله ـ: «... وفي هذه الزيادة تعقب على النووي حيث قال في «شرح مسلم»: إن البخاري لم يخرجها؛ أعني: (ورهطك منهم المخلصين) اعتماداً على ما في هذه السورة، وغفل كونها موجودة عند البخاري في سورة (تبت)... وهذه الزيادة وصلها الطبري من وجه آخر، عن عمرو بن مرة أنه كان يقرؤها كذلك.

قال القرطبي: لعل هذه الزيادة كانت قرآناً فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد بإنذار الكفار، والمخلص صفة المؤمن، والجواب عن ذلك: أنه لا يمتنع عطف الخاص على العام، فقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ عام فيمن آمن منهم، ومن لم يؤمن؛ ثم عطف عليه الرهط المخلصين تنويهاً بهم وتأكيداً»[1].

---

(١) «فتح الباري» (٨/٥٠٢).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ كان الله له ـ: ليس المراد بالإخلاص هنا المعنى الشرعي، وهو: الإخلاص لله، وإنما هو إخلاص المودة في القربى؛ فلا إشكال، والله أعلم.

قوله: (أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدِّقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد): أمّا سفح الجبل: ـ بفتح السين ـ؛ وهو: أسفله، وقيل: عرضه.

ومصدقي: ـ بتشديد الدال والياء ـ أي: مصدقين لي.

والمعنى: أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب.

قوله: (قال أبو لهب: تباً لك، أما جمعتنا إلا لهذا ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ وقد تب كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة): «أبو لهب» ـ بفتح الهاء وسكونها ـ عم النبي ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وأُمه خزاعية، وكني «أبا لهب» إما بابنه لهب، وإمّا بشدة حمرة وجنته، ووافق ذلك ما آل إليه أمره، من أنه سيصلى ناراً ذات لهب، ومات بعد وقعة بدر، ولم يحضرها، بل أرسل عنه بديلاً، فلما بلغه ما جرى لقريش مات غماً وكمداً.

وقوله: **(تباً لك)**؛ أي: خسراناً لك، مصدر محذوف فعله.

قوله: (وقد تب) أي: هلك وخسر أبو لهب.

قوله: (كذا قرأ الأعمش): قال النووي: «معناه: أن الأعمش زاد لفظة **(قد)** بخلاف القراءة المشهورة».

وفي رواية البخاري: «هكذا قرأها الأعمش يومئذٍ».

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وليست هذه القراءة فيما نقل الفراء عن الأعمش، فالذي يظهر أنه قرأها حاكياً لا قارئاً، ويؤيده قوله في هذا السياق «يومئذٍ»؛ فإنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك، والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود وحده»[1].

---

(١) «فتح الباري» (٨/٥٠٣).

فقه الحديث:

١ ـ بيان ما نسخ من القرآن في هذا الموطن والموضوع.

٢ ـ أنّ هذا النسخ نسخ تلاوة، وليس للحكم.

٣ ـ أنّ القبائل أو شعب القبائل وأفخاذها سمعوا دعوة الرسول ﷺ، وجاؤوا؛ لسماع قوله.

٤ ـ أنّ المشركين كانوا يعلمون صدق النبي ﷺ.

٥ ـ بيان ما عليه المشركون من شدّة العناد، والصد عن دعوة الرسول ﷺ ودينه.

٦ ـ وبيان سبب نزول هذه الآية.

٧ ـ وخسارة أبي لهب في تجارة الصالحات، فهو خالد في النار.

٨ ـ هذه القراءة قراءة شاذة، غير متواترة.

٩ ـ جواز تكنية الكافر إذا كان لا يُعرف إلاّ به، أو في ذكر اسمه محذور شرعي؛ كـ (عبد العُزى).

١٠ ـ لا يجوز تكنية الكافر؛ لأنه من باب التعظيم والتكبير؛ إلاّ ما تقدم.

١١ ـ بيان صبره ﷺ على أذى المشركين والأقربين.

١٢ ـ وضوح بيانه ﷺ وقوة حجته؛ إذ أخذ إقرارهم أولاً على صدقه في مهام أمورهم قبل أن يخبرهم وينذرهم؛ ليكون ذلك حجة على صدقه وعلى كذبهم إذا عاندوا!

١٣ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:

«أخذ العلماء من ذلك فائدة؛ وهي: أن القريب أو الأقرب هو من الجد الرابع فما دون؛ فمثلاً: لو وقف الإنسان على أقاربه، فإنه يشمل من الجد الرابع ومن نزل، ومن فوقه لا يدخل في الأقارب.

وكذلك نقول في صلة الأقارب الذين تجب صلتهم، هم الذين يشاركونك في الجد الرابع فما دون، وأما من سواهم، أو من فوقهم؛ فإنهم لا يدخلون في اسم القرابة»(١).

١٤ ـ يؤخذ من هذا الحديث أن مكارم الأخلاق التي كان يتحلى بها رسول الله ﷺ من دلائل نبوته وأعلام رسالته؛ حيث كان الرسول ﷺ قبل البعثة وحمل الرسالة في الذروة السامقة من الأخلاق صدقاً وأمانةً وكرماً وحلماً وشجاعةً وعفةً وقناعةً وصلةً للرحم والتي من أجلها تبوأ مكانة الإجلال والاحترام بين قومه.

فها هي زوجته خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ تصفه عندما أخبرها بنزول الوحي عليه:

ويقول: «**لقد خشيت على نفسي**» فقالت: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكَل وتكسب المعدم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر».

بأصول مكارم الأخلاق وصفته خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ، وبها استدلت على صدقه، وأن أمثاله لن يخزيهم الله أبداً؛ فهو معهم ينصرهم ويعينهم.

وبذلك نجزم أن مكارم الأخلاق سبب في تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين.

قال النووي ـ رحمه الله ـ:

«قال العلماء ـ رضي الله عنهم ـ: معنى كلام خديجة ـ رضي الله عنها ـ: أنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذكرت ضروباً من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء»(٢).

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٢٤).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/٢٠٢).

وها هي قبيلته تشهد له بمكارم الأخلاق وصدق الحديث في هذا الحديث، فيستدل عليهم رسول الله ﷺ على صدق دعواه وصحة رسالته؛ بما شهدوا له به من مكارم الأخلاق؛ فلا جرم أن تكون مكارم الأخلاق وصالحها لباب دين الإسلام ومن أعظم مقاصد البعثة المحمدية.



٣٥٦ ـ {...} وحدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ؛ قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأعْمَشِ، بِهذَا الإسْنَادِ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا فَقَالَ: «**يَا صَبَاحَاهْ!**» بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ نُزُولَ الآيَةِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ قوله: (**بنحو حديث أبي أسامة**): أي: أن أبا معاوية روى هذا الحديث عن الأعمش بنحو ما رواه أبو أسامة.

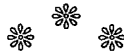
٢ ـ رواية أبي معاوية: أخرجها البخاري (**٤٩٧٢**):

حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن النبيّ ﷺ خرج إلى البطحاء، فَصَعِد إلى الجبل، فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «**أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصَبِّحكم، أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك، فأنزل الله ـ ﷻ ـ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها.

وأخرجها ـ أيضاً ـ ابن منده في «الإيمان» (**٢/٨٨٤/٩٥١**):

وأخبرنا محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن إسحاق، ثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صَعِد رسول الله ﷺ على الصفا، فنادى: «**يا صباحاه**»، فاجتمعت قريش إليه، فقالوا: ما لك؟ فقال: «**لو أني أخبرتكم أن العدو مُصَبِّحكم أو مُمَسِّيكم، أكنتم تصدقوني؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم من عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ إلى آخر السورة.

ورواية ابن منده أقرب إلى لفظ الإمام مسلم.



٩١ ـ باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه

٣٥٧ ـ {٢٠٩} وحدثنا عُبَيْدُالله بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالْمَلِكِ الأَمَوِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؛ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٣٤/٥٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ له فيه ثلاثة شيوخ قرن بينهما.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: عبدالملك بن عمير عن عبدالله بن الحارث.

٤ ـ عبدالله بن الحارث بن نوفل، صحابي من حيث الرؤية، تابعي من حيث الرواية.

٥ ـ وفيه رواية الأقران، صحابي عن صحابي.

٦ ـ حديث العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٨٨٣ و٣٨٨٥ و٦٢٠٨ و٦٥٧٢).

* غريب الحديث:

قوله: (هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يَحُوطك ويغضب لك؟): يحوطك: ـ هو بفتح الياء وضم الحاء ـ، قال أهل اللغة: يقال: حاطه يحوطه حوطاً، وحياطة: إذا صانه وحفظه، وذبّ عنه، وتوفر على مصالحه.

والمعنى: كان أبو طالب للنبي ﷺ عضداً وناصراً على قومه، يذب ويدفع عنه كل أذىً، ومكروه. فهل تنفعه في الآخرة؛ فينجو من عذاب الله، أو أدنى من ذلك لِما قدمه لك؟

قوله: (نعم. هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار): الضحضاح ـ بضادين معجمتين مفتوحتين ـ، وهو مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار؛ لقلته هنا.

والدرك: قال أهل اللغة: في الدرك لغتان فصيحتان مشهورتان ـ فتح الراء وإسكانها ـ وقرىء بهما في القراءات السبع.

والدرك الأسفل: مقر جهنم، وأقصىٰ أسفلها، وقالوا: ولجهنم أدراك فكل طبقة من أطباقها تسمى دركاً. والدرك في مراتب التسفّل، والنزول كالدَّرج في مراتب العلو والارتفاع.

وهو أشد أطباق جهنم عذاباً. ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وكان أبو طالب يستحق ذلك، إذ كان قد علم صدق النبي ﷺ في جميع حالاته، ولم يخف عليه شيء من أُموره من مولده إلى حين اكتماله.

فقه الحديث:

١ ـ أن أبا طالب كان درءاً للرسول ﷺ ناصراً للإسلام، فقد أخرج الحاكم في «مستدركه» بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث عائشة ـ ﵂ ـ؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب**».

ومع ذلك لم تدركه هداية التوفيق؛ فختم له بالكفر، ويشهد لهذا المعنى حديث عبدالله بن مسعود ـ ﷺ ـ الذي أخرجه ابن حبان والطبراني وغيرهم بإسناد حسن عن النبي ﷺ: «**إن الله ـ ﷻ ـ ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**».

وله شاهد في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ.

٢ ـ أنّ أبا طالب من أهل النار؛ لأنه لم يجرد التوحيد والعبادة لله؛ ولم يتبع رسول الله ﷺ في وحي الله.

٣ ـ أنّ كفر أبي طالب كان معلوماً عند الصحابة ـ ﷺ ـ.

٤ ـ وأنّ أبا طالب كان يعلم صدق الرسول ﷺ وما جاء به، ومع هذا لم يسلم فلم ينفعه ذلك شيء.

٥ ـ أنّ كل ما صدّق الرسول ﷺ فيما جاء به، ولم يوحد الله بالعبادة لا يكون مسلماً مؤمناً.

٦ ـ وبيان نوع من أنواع شفاعات النبي ﷺ، وهي التخفيف عن بعض الكفار العذاب.

٧ ـ أنّ من كفر بالله، ولم يعبده وحده، ويتبع رسوله، في شريعته لا تنفعه شفاعة الشافعين؛ فيخرج من النار.

٨ ـ وبيان جزاء أبي طالب من العذاب؛ وهو: ضحضاح من النار.

٩ ـ أنّ النّار دركات، والجنة درجات.

١٠ ـ جواز قول: «**لولا أنا**» في مثل هذه المواطن، ونحوها.

١١ ـ وهذا الحديث يخصص النصوص من مثل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

١٢ ـ الاعتراف بالفضل لأهله ولو كانوا كفاراً!

١٣ ـ بيان عظيم مكانته ﷺ عند ربه.

١٤ ـ بيان أن عذاب الكفار متفاوت.

١٥ ـ محبة الرسول ﷺ المحبة الطبيعية لا تنفع، وإنما الذي ينفع المحبة الإيمانية التي تقود إلى الاتباع لسنَّته، والاقتداء بهديه عقيدة ومنهجاً وسلوكاً.

١٦ ـ القرابة المجردة لا تنفع وكذلك الأنساب لا تجدي، وإنما ينفع القرب الديني، والنسب المنهجي.

ولقد أذلَّ الله أبا لهب وذويه مع القرابة، وعز سلمان الفارسي مع الغرابة، وصدق من قال:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس   وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

١٧ ـ يجوز إسناد الشيء إلى قائله؛ لقوله ﷺ: «**فأخرجته إلى ضحضاح**» مع أن الرب ـ عزّ وجلّ ـ هو الذي أخرجه.

١٨ ـ الحديث يدل دلالة واضحة أن الله فعال لما يريد؛ فقد مات أبو طالب مع قربه من النبي ﷺ مكاناً وزماناً ولقاءً وقرابة بينما سلمان الفارسي جاء من وراء البحار يسعى للهداية ويركض وراء أخبار النبي ﷺ وتحمل الرق والأسر حتى لقي رسول الله ﷺ فآمن وجاهد ولقي الله راضياً مرضياً.

ولقد أحسن الإمام ابن قيم الجوزية في «الفوائد» (ص**٦٩** ـ بتحقيقي) وهو يشرح قصة إسلام سلمان؛ فختمها بقوله: «فلما لقي الرسول عارض نسخة الرهبان بكتاب الأصل؛ فوافقه:

يا محمد! أنت تريد أبا طالب، ونحن نريد سلمان:

أبو طالب: إذا سُئل عن اسمه؟ قال: عبد مناف، وإذا انتسب؛ افتخر بالآباء، وإذا ذكرت الأموال؛ عدَّ الإبل... وسلمان: إذا سئل عن اسمه؟ قال: عبدالله، وعن نسبه؟ قال: ابن الإسلام، وعن ماله؟ قال: الفقر، وعن حانوته؟ قال: المسجد، وعن كسبه؟ قال: الصبر، وعن لباسه؟ قال: التقوى والتواضع، وعن وساده؟ قال: السهر، وعن فخره؟ قال: «**سلمان منا**»، وعن قصده؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: **٥٢**]، وعن سيره؟ قال:

إلى الجنة، وعن دليله في الطريق؟ قال: إمام الخلق وهادي الأئمة»[1].

١٩ ـ هذا الحديث يدل على ضعف جميع ما روي أن أبا طالب قال لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وكذلك يدحض ما جمعه بعض الروافض في جزء ملأه بالأحاديث الباطلة الدالة على إسلام أبي طالب.

٢٠ ـ قال شيخنا ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«يجوز إسناد الشيء إلى سببه. بلفظ لولا؛ لقوله: «**لولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار**»، والشاهد قوله: «**لولا أنا**».

وعلى هذا فيجوز أن أقول: لولا فلان لمِتُّ، كأن يكون رجلٌ سقط في النهر، فجاء إنسان فاستنقذه من الغرق، فيجوز أن يقول: لولا فلان لغرقت، أو هلكت، أو ما أشبه ذلك؛ لأن هذا الذي أنقذه سبب ظاهر معلوم، وإضافة الشيء إلى سببه الظاهر المعلوم لا يمكن أن تأتي الشريعة بمنعه؛ لأنه يوافق الفكر، ويوافق العقل، كما أخبر الله تعالى في القرآن ـ في آيات كثيرة ـ أن أهل الجنة يجزون بسبب أعمالهم، وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به.

أما إذا أضيف إلى سبب موهوم ـ ليس معلوماً ـ أو أضيف إلى سبب يعلم بطلانه، فإن هذا لا يجوز.

مثال الأول: ما يحصل عند كثير من الناس، من إضافة السبب المباشر إلى سببه الموهوم؛ كقول بعضهم: لولا كذا لحصل كذا، وهو ليس سبباً له، مثل أن يلبس قلادة عن العين، ويقول: لولا هذه القلادة لأصابتني العين، فهذا لا يجوز؛ لأن هذا موهوم.

مثال الثاني: أن يقول: لولا فلان الميت لهلكت، فهذا ـ أيضاً ـ لا يجوز، بل هذا شرك أكبر؛ لأن السبب هنا يعلم بطلانه، فالأقسام إذن ثلاثة:

القسم الأول: أن يضاف السبب إلى شيء معلوم.

---

(١) «الفوائد» (ص٦٩ ـ بتحقيقي).

القسم الثاني: أن يضاف السبب إلى شيء موهوم.

القسم الثالث: أن يضاف السبب إلى شيء معدوم.

فإن قال قائل: ما تقولون فيما رواه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: إن من التنديد قول الإنسان: لولا البط في الدار؛ لأتانا اللصوص؟

فنقول: إن السلف الصالح - إذا صح الأثر - يشددون في سد ذرائع الشرك، حتى لا يقع أحدٌ في ذلك، وحتى لا يتوهم واهمٌ أن البط هي التي تطرد اللصوص بنفسها، وإلا فإن ابن عباس - رضي الله عنهما - لا يمكن أن ينكر السبب المعلوم.

والبط في البيت عادة إذا جاء إنسان أجنبي تصرخ، وتصيح، لتنبه أهل البيت، ولهذا ترى الكلاب - التي يجوز اقتناؤها - إذا جاء الرجل الأجنبي، شرعت في نباحها حتى يستيقظ صاحبها.

فهذا لا يمكن أن ينكر، لكن السلف - كما تقدم - يحرصون غاية الحرص، ويشددون غاية التشديد في سد ذرائع الشرك.

ولدينا في هذا الباب عبارات، فلننظر أيها أصح؟

الأولى: لولا أن الله أنقذني بفلان لهلكت، هذه صحيحة، وهي من أحسن العبارات.

الثانية: لولا أن فلاناً أنقذني لغرقت، هذا صحيح - إذا كان أنقذه حقيقة - أما إذا كان ميتاً، فهذا لا يجوز.

الثالثة: لولا الله ثم فلان لغرقت، فهذه جائزة.

الرابعة: لولا الله ففلان لغرقت، فهذه بَيْن بَيْن.

الخامسة: لولا الله وفلان، فهذه غير جائزة؛ لأنك شركت الله تعالى مع فلان بحرف يقتضي التسوية، وهذا لا يجوز، والله أعلم»[(1)]. ا.هـ.



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٢٦ ـ ٧٢٨).

٣٥٨ ـ {. . .} حدّثنا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَبَا طَالِب كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**».

❁ غريب الحديث:

قوله: (يحوطك): أي: يحفظك.

قوله: **(وينصرك)**: أي: يعينك.

قوله: **(غمرات من النار)**: الغمرات: ـ بفتح الغين والميم ـ واحدتها غمرة ـ بإسكان الميم ـ؛، وهي: الشيء الكثير.

والمعنى: وجدته في شدة العذاب، وكثرته، فأخرجته إلى خفته، وقلته.



٣٥٩ ـ {. . .} وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدثَنِي عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبِ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية القطان هذه لم يسق الإمام مسلم متنها، وإنما ذكر سندها، وقد ساقها ابن منده في «الإيمان» **(٢/٨٨٧/٩٥٨)**:

أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى أبو زكرياء النيسابوري. (ح) وأخبرنا علي بن محمد بن نصر، ثنا معاذ بن المثنى، قالا: ثنا مسدد، ثنا يحيى بن سعيد القطان، ثنا سفيان بن

سعيد الثوريّ، ثنا عبدالملك بن عمير، ثنا عبدالله بن الحارث، ثنا العباس بن عبد المطلب، قال: قلت للنبيّ ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فقد كان يَحُوطك، وينصرك؟ قال: «**هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

٢ ـ رواية سفيان من طريق وكيع: ساقها أبو نعيم في «مستخرجه» (٥١٢/٢٧٩/١):

حدثنا أبو بكر الطَّلْحيّ، نا عُبيد بن غنّام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن سفيان. (ح) وحدثنا أبو محمد بن حيان، نا محمد بن يحيى، ثنا عمرو بن عليّ، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان، عن عبدالملك بن عُمير، عن عبدالله بن الحارث، عن العباس، أنه قال للنبيّ ﷺ: عمك أبو طالب، كان يَحُوطك، ويمنعك، ويفعل بك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لفي ضحضاح من النار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل**»، قال: لفظ وكيع.

٣ ـ فرق الإمام مسلم بالتحويل بين روايتي سفيان الثوريّ، اللتين أوردهما من رواية كلّ من يحيى القطّان، ووكيع عنه؛ للاختلاف بينهما في صيغ الأداء، وذلك: أن في رواية القطّان وقع التصريح بالتحديث والإخبار فوقه في جميع السند، بخلاف رواية وكيع، فإنها بالعنعنة فوقه، وهذا من دقائق علم الإسناد، ومن دقّة صنيع الإمام مسلم التي امتاز بها على كثير من أئمة الحديث، حتى فضّلوه على البخاريّ في هذا.

وأما شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



٣٦٠ ـ {٢١٠} وحدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، يَبْلُغُ كَعْبيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِماغُهُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيخه والليث؛ فمصريان.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن الحماد عن عبدالله بن جناب.

٤ ـ أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ صحابي ابن صحابي.

٥ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٨٨٥ و٦٥٦٤).

❋ غريب الحديث:

قوله: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة): هذا المرتجى في هذا الحديث قد تحقق وقوعه؛ إذ قال فيما سبق: «**وجدته في غمرات، فأخرجته إلى ضحضاح**»، فكأنه لما ترجّى ذلك أُعطيه، وحُقِّق له، فأخبر به.

قوله: (يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه): هذا من شدّة العذاب، ولهب النار يغلي دماغه؛ كما يغلي الماء في الإناء، وتحته النار.

➢ فقه الحديث:

١ ـ بيان وصف وصفة العذاب الذي يلقاه أبو طالب.

٢ ـ أنّ عذاب الله ـ تعالى ـ ألوان وأشكال.

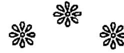
٣ ـ من عجائب الاتفاق: أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبيّ ﷺ أربعة، لم يسلم منهم اثنان، وأسلم اثنان، وكان اسم مَن لم يسلم ينافي أسامي المسلمين، وهما أبو طالب، واسمه عبد مناف، وأبو لهب، واسمه

عبد الْعُزَّى، بخلاف من أسلم، وهما حمزة، والعباس ـ ﵄ ـ؛ ذكره في الحافظ.

٤ ـ من حكمة تسليط العذاب على قدمي أبي طالب ما قاله السهيلي:

«الحكمة فيه: أن أبا طالب كان تابعاً لرسول الله ﷺ بجملته؛ إلا أنه استَمَرّ ثابتَ القدم على دين قومه؛ فسُلِّط العذاب على قدميه خاصّة؛ لتثبيته إياهما على دين قومه».

قال الحافظ في «الفتح»: «كذا قال، ولا يخلو عن نظر».



٩٢ ـ باب أهون أهل النار عذاباً

٣٦١ ـ {٢١١} حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يحيَى بْنُ أَبي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً، يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (إن أدنى أهل النار عذاباً): أي: أهون أهل النار عذاباً وأقلهم.

قوله: (ينتعل نعلين من نار): أي: يلبس في قدميه نعلين من النار.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ هذا أدنى ـ أقلّ ـ أهل النار عذاباً.

٢ ـ هذا الرجل هو أبو طالب؛ كما في حديث ابن عباس الآتي بعد هذا مباشرة.



٣٦٢ ـ {٢١٢} وحدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَهْوَن أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث (**١٧/٢٣**).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: ثابت عن أبي عثمان الهندي.

٢ ـ حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ أنّ أبا طالب أهون أهل النار عذاباً.

٢ ـ أنّ هذا العذاب المذكور أهون عذاب.



٣٦٣ ـ {٢١٣} وحدّثنا مُحمَّدُ بْنُ الْمُثَنّى، وَابْنُ بَشَّارٍ ـ وَاللَّفْظُ لابْنِ الـمُثَنّى ـ قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إسْحَاقَ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ، وَهُوَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَة، لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

✸ راوي الحديث:

النعمان بن بشير أبو عبدالله الأنصاري المدني، أول مولود في الأنصار بعد الهجرة على رأس أربعة عشر شهراً منها، سكن الشام، ثم ولي إمارة الكوفة ثم حمص، قتله خالد بن خلي الكلاعي يوم راهط سنة (٦٤هـ).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٦٥٦١ و٦٥٦٢).

✸ غريب الحديث:

قوله: (أخمص قدميه): أخمص: ـ بخاء معجمة، وصاد مهملة ـ وزن أحمر: ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم عند المشي.

قوله: (جمرتان): مثنى جمرة، والجمع: جمر وجمرات وجمار، وهي القطعة الملتهبة من النار.

قوله: (يغلي منهما دماغه): أي: يغلي مخه من حر الجمرتين.

فقه الباب:

١ ـ شدة عذاب جهنم؛ فإذا كان دماغه يغلي منهما، وهو أعلى ما فيه، وأبعد ما يكون عن قدميه، فما دونه من باب أولى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥ و٦٦].

٢ ـ عذاب النار يتفاوت فيها هين وفيها أهون.



٣٦٤ ـ {...} وحدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيبةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ؛ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً»**.

* **غريب الحديث:**

قوله: (له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه؛ كما يغلي المرجل...): أما النعل؛ فهو: الحذاء. وأمّا الشراك: ـ فبكسر الشين ـ، وهو أحد سيور النعل، وهو الذي يكون على وجهها، وعلى ظهر القدم، والغليان معروف، وهو شدة اضطراب الماء، ونحوه على النار؛ لشدة اتقادها.

يقال: غلت القدر تغلي غلياً، وغلياناً؛ وأغليتها أنا.

وأمّا المرجل: ـ فبكسر الميم، وفتح الجيم ـ وهو: قدر معروف، سواء كان من حديد أم نحاس أم حجارة أم خزف، هذا هو الأصح.

وقال صاحب «المطالع»: وقيل: هو القدر من النحاس يعني خاصة، والأول أعرف، والميم فيه زائدة.

وفي هذا الحديث، وما أشبهه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار، كما أنّ نعيم أهل الجنة متفاوت، قاله النووي.

فقه الحديث:

قال شيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فيه فوائد[1]:

١ ـ تصريحها بأن أبا طالب في النار، وأنه أهون أهل النار، وهذا خبر لا يمكن أن يدخله النسخ.

٢ ـ وفيها رد صريح على الرافضة الذين يدَّعون أن أبا طالب ليس في النار؛ بل إني رأيت لهم كتيباً وزع قبل سنوات، ادَّعى فيه كاتبه ـ أظنه أنه قال: إنه نبي ـ وهذا ـ والعياذ بالله ـ من كذبهم، ومن غلوهم، ولو أنهم رجعوا إلى الهدى، وأعطوا كل إنسان حقه؛ لكانوا أهدى سبيلاً، وأقرب إلى الله ـ عز وجل ـ.

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٣٠ ـ ٧٣١).

٣ ـ أن الذي يكون أهون أهل النار عذاباً لا يرى أن أحداً أشدُّ منه عذاباً، وذلك لشدة الألم والعذاب القلبي؛ لأن الإنسان لو رأى أن غيره مثله أو أشد؛ لهان الأمر عليه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٩]. يعني: لا ينفعكم اشتراككم في العذاب، بينما الناس في الدنيا إذا شاركهم أحد في المأساة هانت عليهم، كما قالت الخنساء ـ وهي ترثي أخاها صخراً ـ:

وما يبكون مثل أخي ولكن   أسلي النفس عنه بالتأسي

متممات مهمات:

١ ـ اسم أبي طالب عند العلماء المحققين عبد مناف، وشذ الروافض؛ فقالوا: اسمه عمران، وهو المقصود بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

٢ ـ في أحاديث هذا الباب والذي قبله، وبخاصة سؤال العباس ـ رضي الله عنه ـ عن حال أبي طالب المذكور في هذا الحديث ما يَدُلّ على ضعف ما أخرجه ابن إسحاق، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بسند فيه مَن لم يُسَمَّ: أن أبا طالب لَمّا تقارب منه الموت، بعد أن عَرَض عليه النبيّ ﷺ أن يقول: «**لا إله إلا الله**»، فأبى، قال: فنظر العباس إليه، وهو يُحَرِّك شفتيه، فأصغى إليه، فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها.

وهذا الحديث لو كان طريقه صحيحاً لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه، فضلاً على أنه لا يصح.

ورَوَى أبو داود، والنسائيّ، وابن خزيمة، وابن الجارود، من حديث عليّ ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا مات أبو طالب، قلت: يا رسول الله، إن عمك الشيخ الضالّ قد مات، قال: «**اذهب، فَوَارِهِ**»، قلت: إنه مات مشركاً، فقال: «**اذهب، فواره. . .**» الحديث.

٣ ـ وقد جمع بعض الروافض جزءاً أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب، ولا يثبت من ذلك شيء.

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: ولقد وقفت على تصنيف لبعض الشيعة أثبت فيه إسلام أبي طالب، منها ما أخرجه من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن العباس بن عبدالله بن سعيد بن عباس، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لَمّا أَتَى رسول الله ﷺ أبا طالب في مرضه، قال له: «**يا عَمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أستحلّ بها لك الشفاعة يوم القيامة**»، قال: يا ابن أخي، والله لولا أن تكون سُبَّةً عليّ، وعلى أهلي من أني قلتها جَزَعاً عند الموت، لقلتها، لا أقولها، إلا لأَسُرَّك بها، فلما ثَقُل أبو طالب، رُؤي يحرك شفتيه، فأصغى إليه العباس، فسمع قوله، فرفع رأسه عنه، فقال: قد قال، والله الكلمة التي سأله عنها.

ومن طريق إسحاق بن عيسى الهاشميّ، عن أبيه، سمعت المهاجر مولى بني نُفَيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبدالله يقول: إن ربه بعثه بصِلَة الأرحام، وأن يُعْبَد الله وحده، لا يعبد معه غيره، ومحمد الصدوق الأمين.

ومن طريق إسحاق بن عيسى الهاشميّ، عن أبيه، سمعت المهاجر مولى بني نُفَيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبدالله يقول: إن ربه بعثه بِصِلَة الأرحام، وأن يُعْبَد الله وحده، لا يعبد معه غيره، ومحمد الصدوق الأمين.

ومن طريق ابن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن أبي عامر الْهَوْزنيّ: أن رسول الله ﷺ خَرَج معارضاً جنازة أبي طالب، وهو يقول: «**وصلتك رحمٌ**».

ومن طريق عبدالله بن ضميرة، عن أبيه، عن عليّ، أنه لما أسلم، قال له أبو طالب: الزم ابن عمك.

ومن طريق أبي عبيدة، معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، عن أبيه، عن عمران بن حصين، أن أبا طالب، قال لجعفر بن أبي طالب لَمّا أسلم: قبِّل جناح ابن عمك، فصلى جعفر مع النبيّ ﷺ.

ومن طريق محمد بن زكريا الغلابي، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الْهُذليّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة، وهو شيخٌ قد عَمِيَ، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تركت الشيخ حتى آتيه؟**» قال: أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحقّ، لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك.

قال الحافظ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: وأسانيد هذه الأحاديث واهية، وليس المراد بقوله في الحديث الأخير إثبات إسلام أبي طالب، فقد أخرج عُمَر بن شَبّة في «كتاب مكة»، وأبو يعلى، وأبو بشر سمويه في «فوائده» كلهم من طريق محمد بن سلمة، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أنس في قصة إسلام أبي قحافة، قال: فلما مَدَّ يده يبايعه، بَكَى أبو بكر، فقال النبيّ ﷺ: «**ما يُبكيك؟**» قال: لأن تكون يَدُ عمك مكان يده، ويُسلِم، ويُقِرّ الله عينك أحب إليّ من أين يكون. وسنده صحيح، وأخرجه الحاكم من هذا الوجه، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وعلى تقدير ثوبتها، فقد عارضها ما هو أصح منها.

أما الأول: ففي «الصحيحين» من طريق الزهريّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبيّ ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية، فقال: «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمةً أُحاجّ لك بها الله**»، فقال له أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا به، حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبيّ ﷺ: «**لأستغفرنّ لك، ما لم أُنْهَ عنك**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ الآية [القصص: ٥٦].

فهذا الصحيح يردّ الرواية التي ذكرها ابن إسحاق؛ إذ لو كان قال كلمة التوحيد، ما نَهَى اللَّهُ تعالى نبيه ﷺ عن الاستغفار له، وهذا الجواب أولى من قول من أجاب: بأن العباس ما أَدَّى هذه الشهادة، وهو مسلم، وإنما ذكرها قبل أن يسلم، فلا يُعتدّ بها، وقد أجاب الرافضي المذكور عن قوله: «هو على ملة عبد المطلب» بأن عبد المطلب مات على الإسلام، واستدَلّ بأثر مقطوع، عن جعفر الصادق، وسنذكره بعدُ، ولا حجة فيه؛ لانقطاعه، وضعف رجاله.

وأما الثاني: وفيه شهادة أبي طالب بتصديق النبيّ ﷺ، فالجواب عنه، وعما وَرَدَ من شعر أبي طالب في ذلك، أنه نظير ما حَكَى الله تعالى عن كفار قريش: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ الآية [النمل: ١٤]، فكان كفرهم عناداً، ومنشؤه من الأَنَفَة والكبر، وإلى ذلك أشار أبو طالب بقوله: لولا أن تُعَيِّرني قريش.

وأما الثالث: وهو أثر الْهَوْزنيّ، فهو مرسلٌ، ومع ذلك فليس في قوله: «وصلتك رحم» ما يُدلّ على إسلامه، بل فيه ما يدلّ على عدمه، وهو معارضته لجنازته، ولو كان أسلم لمشى معه، وصلى عليه.

وقد ورد ما هو أصحّ منه، وهو ما أخرجه أبو داود، والنسائيّ، وصححه ابن خزيمة، من طريق ناجية بن كعب، عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ قال: لما مات أبو طالب، أتيت النبيّ ﷺ، فقلت: إن عمك الضالّ قد مات، فقال لي: «**اذهب، فواره، ولا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيني**»، ففعلت: ثم جئت، فدعا لي بدعوات. وقد أخرجه الرافضي المذكور من وجه آخر، عن ناجية بن كعب، عن عليّ بدون قوله: «الضالّ».

وأما الرابع، والخامس، وهو أمر أبي طالب ولديه باتباعه، فتركُهُ ذلك، هو من جملة العناد، وهو أيضاً من حسن نصرته له، وذَبِّه عنه، ومعاداته قومه بسببه.

وأما قول أبي بكر، فمراده: لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، أي: لو أسلم، ويُبَيِّن ذلك ما أخرجه أبو قُرّة، موسى بن طارق، عن موسى بن عُبيدة، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة، يقوده يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟**» قال أبو بكر: أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي طالب، لو كان أسلم مني بأبي.

وذكر ابن إسحاق أن عُمَر لما عارض العباس في أبي سفيان لَمّا أقبل به ليلة الفتح، فقال له العباس: لو كان من بني عديّ ما أحببت أن يُقْتَل، فقال عمر: أنا بإسلامك إذ أسلمت أفرح مني بإسلام الخطاب، يعني: لو كان أسلم.

ثم ذَكَر الرافضيّ من طريق رائد الْحِمّاني، قال: سئل أبو عبدالله، يعني: جعفر بن محمد الصادق: مَنْ أهلُ الجنة؟ فقال: الأنبياء في الجنة، والصالحون في الجنة، والأسباط في الجنة، وأجلُّ العالمين مجداً محمد ﷺ يقدُم آدم، فمن بعده من آبائه، وهذه الأصناف يحدثون به، ويحشر عبد المطلب به نور الأنبياء، وجمال الملوك، ويحشر أبو طالب في زمرته، فإذا ساروا بحضرة الحساب، وتبوأ أهل الجنة منازلهم، ودُحر أهل النار ارتفع شهاب عظيم، لا يَشُكّ من رآه أنه غيم من النار، فيحضر كلّ من عرف ربه من جميع الملل، ولم يعرف نبيه، ومن حُشِر أمة وحده، والشيخ الفاني، والطفل، فيقال لهم: إن الجبار تبارك وتعالى يأمركم أن تدخلوا هذه النار، فكل من اقتحمها خَلَص إلى أعلى الجنة، ومن كعَّ عنها غشيته. أخرجه عن أبي بشر، أحمد بن إبراهيم بن يعلى بن أسد، عن أبي صالح الحمادي، عن أبيه، عن جده، سمعت راشد الحماني، فذكره.

وهذه سلسلة شيعية غُلاة في رفضهم، والحديث الأخير وَرَد من عدة طُرُق في حق الشيخ الهَرِم، ومن مات في الفترة، ومن وُلد أكمه، أعمى أصم، ومن وُلد مجنوناً، أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ، ونحو ذلك،

وأن كلاًّ منهم يُدلي بحجة، ويقول: لو عقلت، أو ذكرت لآمنت، فتُرفَع لهم نار، ويقال لهم: ادخلوها، فمن دَخَلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن امتنع أُدخلها كرهاً، هذا معنى ما ورد من ذلك.

وما ورد في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب، أنه قال للنبيّ ﷺ: ما أغنيت عن عمك أبي طالب؟ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ فقال: «**هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل**»، فهذا شأن من مات على الكفر، فلو كان مات على التوحيد لنجا من النار أصلاً، والأحاديث الصحيحة، والأخبار المتكاثرة طافحة بذلك.

وقد فَخَر المنصور على محمد بن عبدالله بن الحسن، لَمّا خَرَج بالمدينة، وكاتبه المكاتبات المشهورة، ومنها في كتاب المنصور: وقد بُعِثَ النبيّ ﷺ، وله أربعة أعمام، فآمن به اثنان، أحدهما أبي، وكفر به اثنان، أحدهما أبوك.

ومن شعر عبدالله بن المعتز، يخاطب الفاطميين:

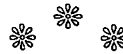
وَأَنْتُمْ بَنُو بِنْتِهِ دُونَنَا وَنَحْنُ بَنُو عَمِّهِ الْمُسْلِمِ

وأخرج الرافضي أيضاً في تصنيفه قصة وفاة أبي طالب، من طريق علي بن محمد بن متيم، سمعت أبي يقول: سمعت جدي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: تَبِعَ أبو طالب عبد المطلب في كل أحواله، حتى خرج من الدنيا، وهو على ملته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «**اذهب فواره**»، وأتيته لَمّا أُنزل به، فغسلته، وكفنته، وحملته إلى الحجون، فنَبَشت عن قبر عبد المطلب، فوجدته متوجهاً إلى القبلة، فدفنته معه، قال متيم: ما عَبَدَ عليّ، ولا أحد من آبائه إلا الله إلى أن ماتوا. أخرجه عن أبي بشر المتقدم ذكره، عن أبي بردة السلميّ، عن الحسن بن ما شاء الله، عن أبيه، عن علي بن محمد بن متيم، وهذه سلسلة شيعية، من الغُلاة في الرفض، فلا يُفْرَح به، وقد عارضه ما هو أصح منه مما تقدم، فهو المعتمد.

ثم استدل الرافضيّ بقول الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال: وقد عَزَّره أبو طالب بما اشتَهَر، وعُلِم، ونابذ قريشاً، وعاداهم بسببه، مما لا يدفعه أحد من نقلة الأخبار، فيكون من المفلحين. انتهى.

وهذا مبلغهم من العلم، وإنا نُسَلِّم أنه نصره، وبالغ في ذلك، لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه، وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رُتِّب عليه كلها»(١).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: يذكرني صنيع هؤلاء الروافض في كذبهم على الله ورسوله وآل بيته الأطهار بصنيع بعض المتصوفة الجهلة الذين يكرهون قراءة سورة المسد؛ لأنهم يرون فيها انتقاصاً لعم الرسول ﷺ، وأن ذلك يؤذي الرسول ﷺ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].



(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧/١٩٦ ـ ٢٠٢).

٩٣ ـ باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل

٣٦٥ ـ {٢١٤} حدّثني أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الحديث (**٢٥٢/١٦٠**).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالكوفيين غير عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ؛ فمدنية.

٣ ـ فيه ثلاثة من التابعين يروي بعضهم عن بعض: داود عن الشعبي عن مسروق.

٤ ـ حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

✵ غريب الحديث:

قولها: (ابن جدعان): هو عبدالله بن جدعان من بني تيم بن مرة من أقرباء عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وكان من رؤساء قريش، كان كثير الإطعام، وكان اتخذ للضيفان جفنة يرقى إليها بسلم.

قولها: (كان في الجاهلية...): أي: الأيام التي كانت قبل مبعث رسول الله ﷺ، سموا بذلك لكثرة جهالاتهم.

قولها: (... فهل ذاك نافعه؟): لما علمت عائشة أُم المؤمنين وزوج النبي الأمين ـ رضي الله عنها ـ أنَّ الكافر لا ينفعه شيء قدمه في حياته من خير؛ لأن شرط القبول غير متحقق فيه، وعلمت حال هذا الرجل الذي كان يُضرب به المثل في الكرم والجود والصلة وإغاثة المحتاجين أرادت أنْ تتأكد من جديد، فسألت رسول الله ﷺ هل تنفعه تلك الأعمال في الآخرة؛ فيخرج من النار، أو تُخفف عنه، أو يُشفع له ونحوها؟

قوله: (لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدِّين): عندها أجاب رسول الله ﷺ جواباً صريحاً فصيحاً؛ أنّ تلك الأعمال غير نافعته في الآخرة بوجه من الوجه، ولا بشيء البتة. ثم علل ذلك بأنه لم يكن يؤمن بالبعث بعد الموت؛ أي: بالإيمان، وإنما عبر عن الإيمان ببعض ما يدّل عليه، وهو قوله: لم يقل: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدِّين.

فقه الحديث:

١ ـ فيه دليل على أنه لا بأس أن يثنى على الميت الكافر بما يستحق.

٢ ـ فيه فضيلة هذا الدعاء: «رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

ومنه الدعاء المأثور في «الصحيحين»: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك».

٣ ـ أنّ العرب في الجاهلية كانت لهم أخلاق كريمة.

٤ ـ أنّ هذه الأخلاق كانت فِطرية لا بدافعٍ ديني.

٥ ـ وهي من أسباب هداية وتوفيق الكثير منهم للإسلام.

٦ ـ وأنّ الكافر لا ينفعهُ شيء قدمه في حياته من وجوه البر في الآخرة.

٧ ـ وإنما يأخذ جزاء ذلك في حياته من: صحةٍ، ورزقٍ، وذريةٍ، وجاهٍ، ونحوها؛ كما في أحاديث أُخر.

٨ ـ أنَّ الإيمان بالبعث شرط من شروط صحة الإسلام والإيمان؛ فمن لم يؤمن به كان كافراً.

٩ ـ شؤم الكفر، وأنه من مبطلات الأعمال.

١٠ ـ قال شيخنا العلامة الإمام الألباني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي الحديث دلالة ظاهرة على أن الكافر إذا أسلم نفعه عمله الصالح في الجاهلية؛ بخلاف ما إذا مات على كفره؛ فإنه لا ينفعه، بل يحبط بكفره، وقد سبق بسط الكلام في هذا الحديث الذي قبله.

وفيه دليل ـ أيضاً ـ على أنّ أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل البعثة المحمدية ليسوا من أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة الرسل، إذ لو كانوا كذلك؛ لم يستحقَّ ابن جدعان العذاب، ولما حبط عمله الصالح، وفي هذا أحاديث أخرى كثيرة سبق أن ذكرنا بعضها»[(١)].

تكميل:

١ ـ ذهب القرطبي إلى أن كل لفظ يدل على الدخول في الإسلام اكتفى به، ولا يلزم صيغة محدودة مثل كلمة التوحيد.

وهذا فيه نظر من وجوه:

الأول: لقد تواتر عن النبي ﷺ قوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله...**» فالنطق بالشهادتين للمتمكن من النطق بهما شرط في دخول الإسلام.

الثاني: الشهادتان أعظم أركان الإسلام ففي الحديث الصحيح: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...**».

الثالث: قوله: إن النطق بهما ـ أي: الشهادتين ـ واجب مرة في العمر!

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٤٩).

هكذا قال وهو قول عجيب غريب؛ فكيف يتصور من المسلم ألاّ يتلفظ بالشهادتين إلا مرة واحدة في عمره؟ ألا يذكر الله؟ ألا يصلي؟

٢ ـ ذهب بعض الشراح أن الكافر ممكن أن يستفيد من أعماله الصالحة في الآخرة بأن يخفف عنه العذاب واستأنسوا بما ورد في شأن أبي طالب.

وهو قول مرجوح وشاذ من وجوه:

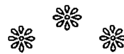
الأول: عدم انتفاع الكافر بعمله في الآخرة وعدم قبوله محل إجماع؛ فقد دل عليه الكتاب: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وفي «الصحيح» عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر؛ فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**».

الثاني: لا يجوز اعتبار طاعة الكافر مع كفره؛ لأنه شرط قبول الطاعة هو الإخلاص والمتابعة وهما مفقودان في طاعة الكافر.

الثالث: وما ورد في أبي طالب يقصر عليه؛ لأنه منصوص عليه، ولا يلحق به غيره قياساً؛ لأنه قياس مع الفارق.

ولذلك؛ فالتخفيف الوارد في هذه النصوص مقصور على من ورد فيهم لا يتجاوز إلى غيرهم، والله أعلم.



٩٤ ـ باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم

٣٦٦ ـ {٢١٥} حدّثني أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، جِهَاراً غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: «**أَلا إنَّ آلَ أَبِي** ـ يَعْنِي فُلاناً ـ **لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عمرو بن العاص ـ ﷺ ـ في الحديث (١٢١/١٩٢).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم.

٣ ـ أن قيس بن أبي حازم انفرد بالرواية عن العشرة المبشرين بالجنة، ولا يشاركه في ذلك أحد من التابعين؛ كما قال السيوطي في «الألفية»:

والتابعون طبقات عشرة ... مع خمسة أولهم ذو العشرة
وذاك قيس ما له نظير ... وعد عند الحاكم كثير

٤ ـ ليس لقيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص في الصحيحين إلا هذا الحديث.

٥ ـ حديث عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، وزاد تعليقاً: «ولكن لهم رحم، أبلها ببلالها».

٦ ـ طعن بعض الناس في صحة الحدث لما نسب إلى بعض رواته من النصب، وهو الانحراف عن علي ـ رضي الله عنه ـ وبغض آل بيته، ورد ذلك الحافظ بكلام متين فقال ـ رحمه الله ـ:

«أما قيس بن أبي حازم، فقال يعقوب بن شيبة: تكلَّم أصحابنا في قيس، فمنهم من رَفَع قدره، وعَظَّمه، وجعل الحديث عنه من أصح الأسانيد، حتى قال ابن معين: هو أوثق من الزهريّ، ومنهم مَن حَمَلَ عليه، وقال: له أحاديث مناكير، وأجاب من أطراه بأنها غرائب، وإفراده لا يقدح فيه.

ومنهم: مَن حَمَل عليه في مذهبه، وقال: كان يَحْمِل على عليّ، ولذلك تَجَنَّب الرواية عنه كثير من قدماء الكوفيين، وأجاب مَن أطراه بأنه كان يُقَدِّم عثمان على عليّ فقط.

والمعتمد عليه: أنه ثقةٌ ثبتٌ، مقبول الرواية، وهو من كبار التابعين، سَمِعَ من أبي بكر الصديق، فمن دونه، وقد رَوَى عنه حديث الباب إسماعيل بن أبي خالد، وبيان بن بِشْر، وهما كوفيان، ولم يُنْسَبا إلى النَّصْب، لكن الراوي عن بيان، وهو عنبسة بن عبدالواحد أُمويّ، قد نُسِب إلى شيء من النَّصْب.

وأما عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، وإن كان بينه وبين عليّ ما كان، فحاشاه أن يُتَّهَمَ.

وللحديث مَحْمِلٌ صحيحٌ، لا يستلزم نقصاً في مؤمني آل أبي طالب، وهو أن المراد بالنفي المجموع، كما تقدم.

ويَحْتَمِل أن يكون المراد بآل أبي طالب، أبو طالب نفسه، وهو إطلاق سائغ، كقوله في أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ: «**إنه أُوتي مِزماراً من مزامير آل داود ـ عليه السلام ـ**»، وقوله ﷺ: «**آل أبي أوفى**»، وخَصَّه بالذكر مبالغةً في الانتفاء، ممن لم يُسْلِم؛ لكونه عمَّه وشقيقَ أبيه، وكان الْقَيِّم بأمره ونصره وحمايته، ومع ذلك فلما لم يتابعه على دينه، انتفى من موالاته»[1].

(١) «فتح الباري» (١٠/٤٣٤).

* **غريب الحديث:**

قوله: (جهاراً غير سرٍّ): يحتمل أن يتعلق بالمفعول؛ أي: كان المسموع في حالة الجهر، ويحتمل أن يتعلق بالفاعل؛ أي: أقول ذلك جهاراً.

وقوله: غير سر: تأكيد لذلك؛ لدفع توهم أنه جهر به مرّة، وأخفاه أخرى، والمراد: أنه لم يقل ذلك خفية؛ بل جهر به وأشاعه. «الفتح».

قوله: (ألا إنّ آل أبي ـ يعني فلاناً ـ ليسوا لي بأولياء): عند القاضي في كتابه: «ألا إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء» كذا للسمرقندي، ولغيره: «آل أبي ـ يعني فلاناً ـ». ورواية: «فلان» على الحكاية.

وعند البخاري هكذا: «**إن آل أبي ـ بياض ـ ليسوا**...».

قال الحافظ: قال عبدالحق في كتاب «الجمع بين الصحيحين»: «إنّ الصواب في ضبط هذه الكلمة بالرفع؛ أي: وقع في كتاب محمد بن جعفر موضع أبيض؛ يعني: بغير كتابة، وفهم منه بعضهم: أنه الاسم المكني عنه في الرواية؛ فقرأه بالجر على أنه في كتاب محمد بن جعفر: «**إن آل أبي بياض**»، وهو فهم سيِّئ ممن فهمه؛ لأنه لا يعرف في العرب قبيلة يقال لها: آل أبي بياض، فضلاً عن قريش، وسياق الحديث مشعر بأنهم من قبيلة النبي ﷺ وهي قريش، بل فيه إشعار بأنهم أخص من ذلك؛ لقوله: «**إنّ لهم رحماً**»، وأبعد من حمله على بني بياضه، وهم بطن من الأنصار لما فيه من التغيير أو الترخيم على رأي، ولا يناسب السياق أيضاً.

قال ابن التين: حذفت التسمية؛ لئلا يتأذى بذلك المسلمون من أبنائهم.

وقال النووي: هذه الكناية من بعض الرواة، خشي أن يصرح بالاسم؛ فيترتب عليه مفسدة إمّا في حق نفسه؛ وإمّا في حق غيره، وإمّا معاً...

(وذكر الحافظ كلام العلماء في المقصود إلى أن قال).

قال أبو بكر بن العربي في «سراج المريدين»: «كان في أصل

حديث عمرو بن العاص: «**إنّ آل أبي طالب**» فغير «**آل أبي فلان**» كذا جزم به، وتعقبه بعض الناس، وبالغ في التشنيع عليه، ونسبه إلى التحامل على آل أبي طالب، ولم يصب هذا المنكر، فإن هذه الرواية التي أشار إليها ابن العربي موجودة في «مستخرج أبي نعيم» من طريق الفضل بن الموفق، عن عنبسة بن عبدالواحد بسند البخاري، عن بيان بن بشر، عن قيس بن أبي حازم، عن عمرو بن العاص رفعه «**إن لبني أبي طالب رحماً أبلها ببلالها**».

وقد أخرجه الإسماعيلي من هذا الوجه ـ أيضاً ـ لكن أبهم لفظ: «طالب»، وكأن الحامل لمن أبهم هذا الموضع ظنهم أن ذلك يقتضي نقصاً في آل أبي طالب؛ وليس كما توهموه؛ كما سأوضحه إن شاء الله تعالى».

أولياء: من الولاية، وهي التناصر، والتعاضد، والتآلف، والتعاون، والمعنى: أنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأنصار وأعوان لا في الدِّين، ولا الدنيا.

وهذا عام من المخصوص؛ فإن من جملة آل أبي طالب علياً، وجعفراً وهما من أخص الناس بالنبي ﷺ لما لهما من السابقة، والقدم في الإسلام ونصر الدِّين.

وللحديث محمل صحيح لا يستلزم نقصاً في مؤمني آل أبي طالب، وهو أنّ المراد بالنفي المجموع كما تقدم، ويحتمل أن يكون المراد بآل أبي طالب أبو طالب نفسه، وهو إطلاق سائغ؛ كقوله في أبي موسى: «**إنه أوتي مزماراً من مزامير آل داود**»، وقوله ﷺ: «**آل أبي أوفى**»، وخصه بالذكر مبالغة في الانتفاء ممن لم يسلم؛ لكونه عمه وشقيق أبيه، وكان القيم بأمره ونصره وحمايته، ومع ذلك فلما لم يتابعه على دينه انتفى من موالاته». قاله الحافظ «بتصرف».

قوله: (إنما وَليِّيَ اللَّهُ وصالِحُ المؤمنين): المعنى: أني لا أوالي أحداً بالقرابة، وإنما أحب الله ـ تعالى ـ لما له من الحق الواجب على العباد، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله ـ تعالى ـ، وأوالي من أوالي بالإيمان،

والصلاح سواء كان من ذوي رحم أو لا، ولكن أرعى لذوي الرحم حقهم لصلة الرحم.

۞ فقه الحديث:

١ ـ وجوب التبرؤ من المخالفين وموالاة الصالحين، والإعلان بذلك ما لم يخف ترتب فتنة عليه.

٢ ـ وفيه انقطاع الولاية بين المسلم والكافر وإن كان قريباً حميماً.

٣ ـ وفيه مراعاة أحوال وقلوب المخاطبين، والستر على الناس بعدم ذكر أسمائهم.

٤ ـ الرحم المأمور بصلتها والمتوعد على قطعها هي التي شرع لها ذلك، فأما من أمر بقطعة من أجل الدين؛ فيستثنى من ذلك.

٥ ـ هذا الحديث أصل لمسألة الولاء والبراء.

قال شيخنا فقيه الزمان ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«هذه الموالاة والمعاداة أمرها مهم وعظيم، فيجب على الإنسان أن تكون موالاته ومعاداته لله، يوالي لله، ويعادي لله.

وليعلم أن الموالاة والمعاداة، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: موالاة مطلقة، ومعاداة مطلقة: فالموالاة المطلقة للمؤمن الذي لم يتلبس بمعصية، فإن هذا المؤمن نواليه موالاة مطلقة، ونحبه حبًّا مطلقاً، ويجب علينا مناصرته بكل حال.

القسم الثاني: عكس ما سبق، وهي المعاداة المطلقة، وهو من ليس فيه إيمان، كالكافر، فيجب علينا أن نعاديه معاداة مطلقة، فلا نحبه، ولا نواده؛ أي: نطلب مودته، ولا نناصره.

وقد صرح كثير من العلماء: أن من ناصر كافراً على المسلمين؛ فإنه كافرٌ؛ لأن هذه من أعظم الموالاة.

القسم الثالث: الموالاة والمعاداة غير المطلقة، بمعنى: أن نوالي من وجه، ونعادي من وجه، وهذا في المؤمن الفاسق، نواليه من جهة إيمانه، فنحبه على ما معه من الإيمان، ونناصره على ما معه من الإيمان، ونكرهه على ما معه من الفسوق، وكذلك نعاديه على ما معه من الفسوق، ولا نناصره على ذلك، أي: على فسوقه.

فإن قال قائل: وهل يمكن أن يجتمع في القلب حب وبغض، وموالاة ومعاداة؟

قلنا: نعم، يمكن ذلك، ألست تتناول الدواء، وهو كريه الرائحة، مر الطعم، فتحبه من وجه، وتكرهه من وجه؟ فمن جهة أن الله يجعل فيه الشفاء تحبه، ومن جهة مرارة الطعم تكرهه.

وهذا الرجل كذلك، نحبه على ما معه من الإيمان، ولولا أني لم أحبه على ما معه من الإيمان، لكان هو والكافر على حد سواء، وأكرهه على ما معه من الفسق، ولولا ذلك، لكان هو وكامل الإيمان على حد سواء، وهذا خلاف القِسط، وخلاف العدل.

وهذا بالنسبة للفاعل، وإذا شئت فقل: بالنسبة للعامل، أما العمل فنكره الباطل مطلقاً، ولهذا نقول: البراءة من العامل غير البراءة من العمل؛ فالعمل ـ الذي هو الفسوق ـ نتبرأ منه مطلقاً، وكل المعاصي نتبرأ منها وإن لم تبلغ حد الكفر، وكل الطاعات نواليها، ونقبلها، ونحبها.

وهذا فرق يجب اعتباره، وهو التفريق بين العمل والعامل، ونزيد ذلك إيضاحاً بهذا المثال: مؤمن زنا، فنتبرأ من الزنا ـ الذي هو العمل ـ مطلقاً؛ لأنه فسق، ونواليه لإيمانه.

فإن قيل: هل يدخل في موالاة الكفار محبة عمل الكافر؛ لأنه يتقن عمله ويحسنه؟

فالجواب: لا؛ لأن هذه المحبة متجهة إلى العمل لا العامل، فهو لا يحبه شخصيًّا، بل يحب العمل الذي يُتقن، لكن مع ذلك نحن نقول: إننا

نفضل المسلم على الكافر في العمالة مهما كان؛ لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وهذه في الواقع دعاية سيئة من بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ حيث يقول: إن الكفار أتقن في أعمالهم من المسلمين، فيقال: الكفار يتقنون أعمالهم؛ لأنهم يعلمون أنهم لو لم يتقنوا أعمالهم لم يأتوا إلى المسلمين، فيجتمع فيهم الحشف وسوء الكيل، لكنهم يحسنون العمل من أجل أن يمشوا مع الناس، ومع ذلك أقول كما قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قوله: «ألا إن آل أبي ـ يعني: فلاناً ـ **ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين»** والرسول ﷺ سمّى هؤلاء الأقارب، لكن الرواة لم يذكروهم ستراً عليهم.

قال: «**ليسوا لي بأولياء**»، إذن من وليه؟ قال: «**إنما وليي الله وصالح المؤمنين**»، كما قال الله تعالى ـ في سورة المائدة ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وفي هذا إعلان البراءة ممن لا يستحقون الموالاة، وهذه هي ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ التي أمر الله تعالى بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]»[1].



(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٣٤ ـ ٧٣٧).

٩٥ ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب

٣٦٧ ـ {٢١٦} حدّثنا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ سَلام بْنِ عُبيْدِاللَّهِ الْجُمَحيُّ، حَدَّثَنا الرَّبِيعُ، ـ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِم ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**» ثُمَّ قَامَ آخَرُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

✸ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٥/٩).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالبصريين غير الصحابي؛ فمدني.

٣ ـ عبدالرحمٰن بن سلام الجمحي شيخ المصنف لم يرو عنه غير الإمام مسلم من أصحاب الكتب الستة.

٤ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٥٨١١ و٦٥٤٢).

✸ غريب الحديث:

قوله: (يدخل من أُمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب): هذا إخبار من النبي ﷺ عمّا أكرم الله به هذه الأمة المحمدية؛ أُمة الإجابة: أنّ منهم سبعون ألفاً سيدخلون الجنة بفضل الله، ومنته، ورحمته دون سؤال وحساب.

قوله: (فقال رجل: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم): لما سمع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هذا الخبر السّار، قام رجل يطلب الخير بدعاء

رسول الله ﷺ أن يجعله من هؤلاء، فإن من حصلت له هذه الكرامة فاز، وجاز، واستراح من كرب، وهمٍّ في الآخرة.

قوله: (اللهم اجعله منهم، ثم قال آخر، فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكّاشة): عُكّاشة: ـ بضم المهملة وتشديد الكاف ـ، ويجوز تخفيفها.

استجاب الرسول لطلب السائل؛ فدعا له. عندها قال رجل آخر يطلب ذلك لما رأى من استجابة الرسول لطلبه، فأجابه بأن الرجل الأول هو صاحب الظفر، والسبق حيث سبقك بطلبه، واستجبت لرغبته.

قال القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ولما لم يكن عند القائم بعده من تلك الأحوال الشريفة ما كان عند عكاشة، قال له: «**سبقك بها عكاشة**». وأيضاً: فلئلا يطلب كلٌّ من هنالك ما طلبه عكاشة والرجل الآخر، ويتسلسل الأمر، فسدّ رسول الله ﷺ الباب بما قال لعكاشة، وهذا أولى من قول من قال: إنّ ذلك الرجل كان منافقاً؛ لوجهين:

أحدهما: أن الأصل في الصحابة صحة الإيمان والعدالة، فلا يظن بأحد منهم شيء يقتضي خلاف ذلك الأصل، ولا يسمع ما لا يصح نقله، ولا يجوز تقديره.

والثاني: أنه قلّ أن يصدر مثل ذلك السؤال عن منافق؛ إذ ذلك السؤال يقتضي تصديقاً صحيحاً، ويقيناً ثابتاً، والله أعلم»(١).

فقه الحديث:

١ ـ فيه بيان ما أكرم الله ـ تعالى ـ هذه الأُمة.

٢ ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على الخير والمسابقة فيه.

٣ ـ فضيلة من دعا رسول الله ﷺ له.

٤ ـ الاهتمام بسد الذرائع.



(١) «المفهم» (٤٦٩/١).

٣٦٨ ـ {. . .} وحدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمْدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، بِمِثْلِ حَدِيثِ الرَّبِيعِ.

➤ **فوائد الإسناد:**

١ ـ **قوله: (بمثل حديث الربيع)** يعني: أن حديث شعبة مثل حديث الربيع بن مسلم المتقدم.

٢ ـ رواية شعبة أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» (**١/٢٨٢/٥٢٠**):

حدثناه أبو محمد بن حيان، ثنا أبو يعلى، نا عبدالرحمٰن بن سلام. (ح) وحدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن نا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، نا غندر، محمد بن جعفر، ثنا شعبة. (ح)، وحدثنا أبو عمرو، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا بندار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، سمعت محمد بن زياد يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**»، قال: فقال عكاشة: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**اللهم اجعله منهم**»، ثم قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**سبقك بها عكاشة**».

وأما بقية شرحه فقد تقدم الكلام عليه.



٣٦٩ ـ {. . .} حدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً، تُضِيءُ وَجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**».

قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ، يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«**اللّهُمَ، اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من سداسيات المصنف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ.

٢ ـ نصفه الأول مسلسل بالمصريين، والآخر بالمدنيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: ابن شهاب عن سعيد بن المسيب.

٤ ـ هذا الإسناد أصح الأسانيد عن أبي هريرة.

❊ غريب الحديث:

قوله: (يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر): هذه الزمرة التي تدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب زمرة واحدة متماسكون أخذ بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم.

ثم بين عددهم بقوله: «**سبعون ألفاً**»، وبين صفة وجوههم، وأنها مشرقة كإشراق البدر.

قوله: (فقام عكاشة بن محصن الأسدي): هو عُكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرارة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، حليف بني عبد شمس، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان جميلاً، ويكنى بأبي محصن، هاجر، وشهد بدراً وقاتل فيها قتالاً شديدا حتى انقطع سيفه في يده، فأعطاه رسول الله ﷺ جزلاً من حطب، فقال: «**قاتل بهذا**» فصار في يده سيفاً طويلاً شديد المتن أبيض، وبقي السيف عنده حتى استشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد، قتله طليحة بن خويلد الذي تنبأ.

وبه يضرب المثل في السبق، يقال للسابق في الأمر: «**سبقك بها عكاشة**».

قوله: (يرفع نمرة عليه): نمرة: - بفتح النون وكسر الميم -: كساء من صوف فيه خطوط بيض وسود وحمر، وهي مفردة والجمع: نمار؛ كأنها أخذت من لون جلد النمر؛ لاشتراكهما في التلون؛ وهي: من مآزر العرب.

قوله: (فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم): أي: من هؤلاء الذين وصفتهم بأنهم يدخلون الجنة بدون حساب على هذه الصفة الجميلة الجليلة.

قوله: (فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجعله منهم): من مجموع الروايات يتبين أن الرسول ﷺ سأل الدعاء أولاً ثم استفهم عكاشة: «أمنهم أنا يا رسول الله» فقال له الرسول ﷺ: «**أجبت**».

فقه الحديث:

١ - بيان حال الصحابة - رضي الله عنهم - في اللباس العربي القديم.

٢ - أنّ السائل مرة ثانية من الأنصار، فهذا يرد على من ادعى أنه منافق.

٣ - بيان جمال صورة هذه الزمرة من المؤمنين الموحدين.

٤ - بيان كرامة النبي ﷺ على ربه - عز وجل - حيث أدخل هذه الزمرة من أمة محمد ﷺ الجنة بغير حساب.

٥ - بيان فضل هذه الأمة المحمدية المرحومة ببركة نبيها محمد ﷺ.

٦ - إثبات الحساب يوم القيامة على الأعمال.

٧ - جمهور هذه الأمة سيحاسب على أعماله، وهذا الحساب ينقسم إلى: حساب عرض، وحساب مناقشة؛ كما أخبر الله تعالى بذلك، حيث قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وأخرج الشيخان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلا هَلَك**»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلِك العرضُ، وليس أحد يُناقَش الحسابَ يوم القيامة إلا عُذِّب**».

٨ ـ حسن تلطّف النبيّ ﷺ، وكريم أخلاقه، حيث لم يقل للرجل الآخر: إنك لست منهم، بل أجمل الجواب، فقال: «**سبق بها عكاشة**»؛ لئلا ينكسر قلبه، فهذا مصداق قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

٩ ـ ما كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من حبّهم المنافسة في الخير، وحرصهم على الوصول إليه، فقد قال عكاشة ـ رضي الله عنه ـ للنبيّ ﷺ لَمّا سمع هذا الخبر العظيم: «ادع الله أن يجعلني منهم».

١٠ ـ أنه يؤخذ من قوله: «**تضيء وجوههم**... إلخ»، أن أنوار أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم، وكذا صفاتهم في الجمال ونحوه، والله أعلم.



٣٧٠ ـ {٢١٧} وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ، قَالَ: حَدَّثَنهي أَبُو يُونُسَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً، زُمْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ، عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٩/٥).

تقدم الكلام عليه.



٣٧١ ـ {٢١٨} حدّثنا يَحْيَى بْنُ خَلَف الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ هِشَام بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدٍ ـ يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ ـ قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ**». قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فَقَامَ عُكَّاشَةُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**». قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٦٠/٣٧).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.
٢ ـ مسلسل بثقات البصريين.
٣ ـ حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ من أفراد الإمام مسلم.

❋ غريب الحديث:

قوله: (هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون):
(يكتوون): من الكي؛ وهو: إحراق الجلد بحديدة محماة بالنار؛ وهو: علاج معروف في كثير من الأمراض.

(ولا يسترقون): أي: لا يطلبون الرقية علاجاً، والرقية؛ هي: القراءة، وتكون مشروعة، وذلك ما كان بالقرآن والأدعية والأذكار الواردة، وتكون ممنوعة وذلك بالطلاسم والشعوذة والشركيات ونحوها.

وعلى ربهم يتوكلون: يحتمل أن تكون هذه الجملة مفسرة؛ لما تقدم، أو تكون من ذكر العام بعد الخاص.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله ـ عز وجل ـ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا

والآخرة كلها، وكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي، ولا يمنع، ولا يضر، ولا ينفع سواه.

وتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله ـ ﷻ ـ المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله ـ تعالى ـ أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل عليه إيمان به»[(١)].

فقه الحديث:

١ ـ بيان صفة هذه الزمرة في الدنيا، وحالهم من الإيمان.

٢ ـ أنّ الأفضل للعبد الابتعاد عن هذه الأمور؛ لتحصيل هذه الفضيلة العظيمة.

٣ ـ ليس فيه دليل على تحريم الكي والرقية، كما سيأتي تفصيله.

٤ ـ أن التداوي بالكي، والعلاج بالرقية أمر معروف مشروع.

٥ ـ وفيه بيان فضيلة التوكل.

٦ ـ أنّ المبشرين بالجنة لا يحصرون بعشرة أشخاص.



٣٧٢ ـ {...} حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ بْنُ عَبْدِالْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ عُمَرَ أَبُو خُشَيْنَةَ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَكَمِ بْنُ الأعْرَجِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ**» قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٦٢٨ ـ المنتقى).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ أنّ رواته بصريون عدا شيخ مسلم زهير بن حرب، فنيسابوري ثم بغدادي.

٢ ـ فيه رواية الراوي عن عمه: أبو حشينة الثقفي عن الحكم بن الأعرج.

❊ غريب الحديث:

قوله: (ولا يتطيرون): الطيرة؛ هي: التشاؤم بزجر الطيور ونحوها. وأصل التطير: أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر زجر الطير، فإن طار يمنة تيمن واستمر، وإن طار يسرة تشاءم به ورجع. وهو منهي عنه؛ لأنه من الشرك.

⮰ فقه الحديث:

١ ـ زادت هذه الرواية صفة أخرى فيهم؛ وهي: أنهم لا يتشاءمون.

٢ ـ أنّ الطيرة شرك؛ لأنها تنافي التوكل والتوحيد.



٣٧٣ ـ {٢١٩} حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ ـ يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَازِمٍ ـ عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ** ـ لا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيَّهُمَا قَالَ ـ **مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١١٢/١٧٩).

◄ فوائد الإسناد:

١ ـ من رباعيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بالمدنيين غير شيخه؛ فبغلاني، لكنه دخل المدينة لطلب العلم.

٣ ـ سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ آخر من مات من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في المدينة النبوية، وقد جاوز المائة.

٤ ـ حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٣٢٤٧ و٦٥٤٣ و٦٥٥٤).

❋ غريب الحديث:

قوله: (متماسكون، آخذ بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم): قال النووي: متماسكين ممسك بعضهم بيد بعض، ويدخلون معترضين صفاً واحداً بعضهم بجنب بعض.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «هو غاية التماسك والأخذ بالأيدي، وهذا ظاهره يستلزم الدور، وليس كذلك، بل المراد: أنهم يدخلون صفاً واحداً؛ فيدخل الجميع دفعة واحدة، ووصفهم بالأولية والآخرية باعتبار الصفة التي جازوا فيها على الصراط وفي إشارة إلى سعة الباب الذي يدخلون منه الجنة»[1].

✥ فقه الحديث:

١ ـ فيه بيان صفة دخولهم الجنة.

٢ ـ وتصريح بعظم سعة باب الجنة.

❋ ❋ ❋

٣٧٤ ـ {٢٢٠} حدّثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ؛ قَالَ: كُنْتُ عِنْدِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأى

---

(١) «فتح الباري» (٤١٣/١١).

الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، ولَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الأَسْلَمِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»؛ فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، ولَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، ولَكِن انْظُرْ إِلَى الأُفُق، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلا عَذَابٍ**».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ. فَخَاضَ النَّاسُ فِي أولئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الذِينَ صَحِبُوا رسُولَ الله ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدوا فِي الإِسْلام، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاء. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟**» فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ: «**هُمْ الَّذِينَ لا يَرْقُون، ولا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ الله أن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (**١٧/٢٣**).

أما بريدة بن الحصيب، فهو: ابن عبدالله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أفصى الأسلمي نسبة إلى أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو.

صحابي مشهور، أسلم مع نحو ثمانين رجلاً من أصحابه حين مر به الرسول ﷺ مهاجراً بالغميم، وبقي في موضعه حتى مضت بدر وأحد ثم قدم المدينة النبوية مهاجراً.

وشهد المشاهد كلها وشهد الحديبية وبيعة الرضوان؛ ففي الصحيحين أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة.

ثم تحول إلى البصرة، وغزا خراسان في زمن عثمان؛ فأقام بمرو حتى توفي ـ رضي الله عنه ـ ودفن بها سنة (٦٢هـ) أو (٦٣هـ) في خلافة يزيد بن معاوية.

وأخباره كثيرة، ومناقبه وفيرة، ومواقفه مشهورة.

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: حصين عن سعيد بن جبير.

٣ ـ حديث عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٣٤١٠ و٥٧٠٥ و٥٧٥٢ و٦٤٧٢ و٦٥٤١**).

❋ غريب الحديث:

قوله: (كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟): مجلس سعيد بن جبير مجلس للعلم والخير، ويجتمع فيه أهل العلم والخير؛ ليتذاكروا العلم، ويؤخذ عن أهله؛ وهم: العلماء.

وفي صبيحة ليلة من الليالي سأل سعيد أصحابه وطلابه أو جلساءه: من منكم شاهد ما شاهدته أنا ليلة أمسِ؟ وكان قد انقض شهاب من كوكب؛ فأضاء الأُفق؛ فشاهده من كان مُستيقظاً.

قوله: (قلت: أنا. ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت): فأجاب عند ذلك تلميذه حصين بن عبدالرحمن بقوله: أنا كنت

مستيقظاً في الليل عند وقوع ذلك الكوكب وسقوطه، ولكني لم أكن في صلاة حتى تقول أني متعبد لا أنام الليل من طول القيام، لا؛ بل كنت مشغولاً بنفسي حيث لدغت؛ فأخذت أخفف، وأطيب نفسي رجاء الشفاء، والسلامة من الداء.

قوله: (قال: فماذا صنعت؟): أي: قال سعيد بن جبير لتلميذه حصين: أي شيء صنعت؟ أتداويت أم صبرت على ما أصابك محتسباً؛ لتنال درجة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

قوله: (قلت: استرقيت): أي: طلبت الرقية من نفسي أو من غيري، والرقى هي التعاويذ.

قوله: (قال: فما حملك على ذلك؟): أي: قال سعيد: أي شيء دعاك إلى الاسترقاء؟ مع أن تركه أولى.

قوله: (حديث حدثناه الشعبي، فقال: وما حدثكم الشعبي؟): الذي دفعني للرقية هو خبر الثقة وهو الشعبي عامر بن شراحيل الإمام المشهور؛ فإنه حدثنا حديثاً مسنداً صحيحاً فيه مشروعية الرقية من لدغة العقرب ونحوها.

قوله: (لا رقية إلا من عين أو حمة): العين: تقول عنت الرجل أصبته بعينك؛ فهو معين، ومعيون، ورجل عائن، ومعيان وعيون.

والعين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر.

و«حمة»: ـ بضم المهملة وتخفيف الميم ـ وهي: كل هامة ذات سم من حية أو عقرب، وكثيراً ما تطلق على سم العقرب ولدغته.

قال الخطابي: «ومعنى الحديث: لا رقية أشفى، وأولى من رقية العين وذي الحمة، وقد رقى النبي ﷺ وأمر بها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله ـ تعالى ـ؛ فهي مباحة، وإنما جاءت الكراهة منها لما كان بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك، قال: ويحتمل أن يكون الذي كره من الرقية ما كان منها على مذاهب الجاهلية في العوذ التي كانوا

يتعاطونها، ويزعمون: أنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون: أنها من قبل الجن ومعونتهم».

قوله: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع): أي: قال سعيد لحصين لما ذكر له دليله في الاسترقاء: نعم، إنّ فعلك حسن؛ لأنك لم تقدم على شيء إلاّ بدليل صحيح، وهذا هو الواجب.

قوله: (ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ...): قال له: إنّ ما قلت وفعلت هو حسن، ولكن أريد أن استدرك على هذا أن ابن عباس، وهو الحبر البحر حدثنا بحديث مرفوع عن رسول الله يخالف هذا فيه الحث على ترك الرقية، ومحض الاعتماد على الله في دفع الداء؛ لينال الفضيلة وسرده عليه.

قوله: (عرضت عليّ الأُمم، فرأيت النبي ومعه الرَهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد): عرضت: ـ بضم أوله على البناء للمجهول ـ.

وعليّ: بالتشديد.

والأُمم: أُمم الأنبياء الذين قبله، والمراد: الأمم مع أنبيائهم. الرُهيط: ـ هو بضم الراء تصغير الرهط ـ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة.

والمعنى: أنّ الله ـ تعالى ـ أطلع نبيه محمداً ﷺ على صورة فيها الأنبياء وأُممهم؛ فرأى أن الأنبياء ليسوا كلهم قد أطاعهم قومهم، بل بعضهم لم يطعه أحد من قومهم، وبعضهم أطاعه جمع قليل جداً، وبعضهم أطاعه الجمع الغفير.

قوله: (إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أُمتي، فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه... ولا عذاب): السواد: يعني به: أشخاصاً كثيرة، وجمعه: أسودة، والسواد ضد البياض، وهو الشخص الذي يرى من بعيد، ووصفه بالكثير إشارة إلى أن المراد بلفظ الجنس لا الواحد.

وفي هذه الرؤية العينية رأيت سواد أناس كثر، يصل إلى حدٍّ عظيم في العدد، متبادر إلى ظني أنهم أتباعي على ديني، فقيل لي: ليس كما ظننت، بل هي أُمة موسى الكليم، والنبي الكريم، وإذا بأمته أُمة عظيمة. ولكن قال لي هذا القائل - وأظنه الملك - انظر إلى الأُفق؛ أي: الناحية، فإذا سواد عظيم، وقال لي - أيضاً - انظر إلى الناحية الأخرى، فإذا مثل ذلك، ثم قال لي مبشراً: هذه هي أُمتك، وفيهم سبعون ألفاً أكرمهم الله - تعالى - بأن أدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال الحافظ (٦٥٤١): «والمراد بالمعية المعنوية؛ فإن السبعين ألفاً المذكورين من جملة أُمته، لكن لم يكونوا في الذين عرضوا إذ ذاك؛ فأريد الزيادة في تكثير أمته بإضافة السبعين ألفاً إليهم.

وقد وقع في رواية ابن فضيل: «**ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب**»، وفي رواية عبثر بن القاسم: «**هؤلاء أُمتك، ومن هؤلاء من أُمتك سبعون ألفاً**»، والإشارة بهؤلاء إلى الأُمة لا إلى خصوص من عرض، ويحتمل أن تكون مع بمعنى «من» فتأتلف الروايات».

قوله: (ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب): أي: نهض رسول الله ﷺ من ذلك المجلس بعد حديثه عن هؤلاء القوم، فأخذ الناس يكثرون الظنون في أولئك القوم من هم؟ وما هي صفتهم؟ ولأي شيء أُعطوا هذا العطاء؟

قوله: (ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه): بعدما خرج من مجلسه الذي فيه أصحابه رجع إليهم وهم جلوس يتراجعون فيه، فقال لهم: ما شأنكم؟ ما الذي أشغل حديثكم؟ فقالوا له: القوم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب.

قوله: (هم الذين لا يرقون...): قوله: «يرقون» ليس بصحيح، ليس من كلام الرسول ﷺ، وهو يخالف سنته ﷺ القولية والعملية، ولهذا حكم العلماء على هذه اللفظة - أو الكلمة - بالشذوذ، وعلى سندها كذلك وسيأتيك - إن شاء الله - التفصيل.

فقه الحديث:

١ ـ الحث والحرص على مجالس العلماء.

٢ ـ أنّ السلف كانوا يتعبدون لله بألوان العبادات، ومنها التفكر في مخلوقات الله ـ تعالى ـ.

٣ ـ جواز سؤال العالم طلابه عن نشاطهم في العبادة بالليل.

٤ ـ وأنّ الإخبار بمثل هذا لا ينافي الإخلاص، ولا يخدش به.

٥ ـ جواز كتم بعض العبادة والتعريض خوفاً من رياء النفس.

٦ ـ مشروعية الرقية من لدغة العقرب وذوات السموم.

٧ ـ جواز طلب الرقية على النفس ومن الغير بشروطه المعتبرة.

٨ ـ الاحتجاج بالأثر على الخصم والمخالف.

٩ ـ أنّ الحديث والأثر يقطع جهيزة كل معاند.

١٠ ـ جواز أخذ العلم من المفضول، ومن الأصغر أو الأقل علماً.

١١ ـ إثبات العين، وتأثيرها على النفس والبدن.

١٢ ـ أنّ أنفع علاج للعين والسُّم هو الرقية الشرعية.

١٣ ـ الثناء على أهل الحديث لسلامة منهجهم، واعتدال طريقتهم.

١٤ ـ جواز المناقشة والمذاكرة؛ بل المناظرة بين العالِم وتلميذه.

١٥ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ أكرم محمداً ﷺ بأن أطلعه على الأُمم الماضية بالرؤية الحقيقية، وإن لم نعلم متى كانت؟ وكيف هي؟

١٦ ـ بيان شدة معاناة بعض الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من بين سائرهم في قلة الناصر والتابع.

١٧ ـ أنّ بعض الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لم يُسلم معه إلاّ قليل، ومنهم من لم يُسلم معه أحدٌ.

١٨ ـ وهذا الجزء من الحديث تفسير لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤].

١٩ ـ أنّ أُمة موسى ـ عليه السلام ـ أكثر الأُمم بعد أمة محمد ﷺ، وهو أكثرهم اتباعاً بعد محمد ﷺ وأُمته.

٢٠ ـ أنّ نبينا ﷺ أكثر الأنبياء اتباعاً؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، والناس يتبعونه منذ بعث إلى قيام الساعة.

٢١ ـ بيان فضيلة أصحاب رسول الله ﷺ وأفضليتهم، وأن ذلك كان معروفاً مشهوراً في عهد رسول الله ﷺ.

٢٢ ـ فضيلة من ولد في الإسلام، ولم يتلطخ بشيء من أعمال الجاهلية.

٢٣ ـ جواز سؤال العالم الطلاب عما يتجادلون فيه.

٢٤ ـ وهو ـ أي العالم ـ يحل الخصومات والإشكالات بين الطلاب.

٢٥ ـ ضعف رواية «يرقون» لمخالفتها السنة العملية والقولية.

٢٦ ـ فضل منزلة النبي ﷺ حيث عرضت عليه الأُمم ورآها.

٢٧ ـ بيان فضل الله تعالى على نبيه ﷺ بأن أمته أكثر الأُمم.

٢٨ ـ الحق لا يُعرف بالكثرة وعدد الأصابع المرفوعة إذ أن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرجلان، ويأتي النبي ومعه الرجل الواحد، والنبي وحده، ومنه يتبين أن صدق الداعية لا يعرف بكثرة أتباعه أو أشياعه، إنما بثباته على الحق، ودعوته إليه، وعدم التلون في الدين.

٢٩ ـ إكرام الله لهذه الأُمة، وإنها أمة مرحومة حيث يدخل منهم سبعون ألفاً الجنة بغير حساب.

٣٠ ـ فيه بيان صفات السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

قال القرطبي:

«قوله: «هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيّرون» اختلف الناس في معنى هذا الحديث، وعلى ماذا يحمل؟ فحمله الإمام المازري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: على أنهم الذين جانبوا اعتقادَ الطّبائعيين في أنَّ الأدوية تنفع طباعها، واعتقاد الجاهلية في ذلك ورقاهم، وهذا غير لائق بمساق الحديث ولا معناه؛ إذ مقصوده: إثبات مزيّة وخصوصيّة لهؤلاء السّبعين ألفاً. وما ذكره يرفع المزيةَ والخصوصيّة؛ فإن مجانبة اعتقاد ذلك هو حال المسلمين كافة، ومن لم يجانب اعتقاد ذلك لم يكن مسلماً. ثم إنَّ ظاهر لفظ الحديث إنما هو: «لا يرقون لا يكتوون» أي: لا يفعلون هذه الأمور، وما ذكره خروج عنه من غير دليل».

٣١ ـ جواز الاجتهاد في المسألة التي لا نص فيها للوصول إلى الحق والعمل به.

٣٢ ـ من طرق التعليم: إثارة مسألة وترك طلاب العلم يتباحثون فيها، ثم توجيههم إلى وجهة الحق.

٣٣ ـ بيان أقوال المتوكلين وطبقاتهم؛ كما بينها القرطبي:

«**الحال الأول**: حال المتمكن في التوكل، فلا يلتفت إلى شيءٍ من تلك الأسباب بقلبه، ولا يتعاطاها إلا بحكم الأمر.

الحال الثاني: حال غير المتمكن؛ وهو الذي يقع له الالتفات إلى الأسباب أحياناً، غير أنه يدفعها عن نفسه بالطُّرق العلمية، والبراهين القطعيّة، والأذواق الحالية، فلا يزال كذلك إلى أن يُرَقِّيَهُ اللَّهُ بجوده إلى مقام المتمكنين، ويلحقه بدرجات العارفين».

٣٤ ـ تحريم التشاؤم والتطير، وأما الكي والرقى؛ ففيها تفصيل.

٣٥ ـ اغتنام الفرصة لقطف ثمرة الخير؛ كما فعل عكاشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عندما طلب من الرسول ﷺ أن يسأل الله أن يكون منهم.

٣٦ ـ فضيلة عكاشة بن محصن ـ رضي الله عنه ـ، وأنه من أهل الجنة، وبه يتبين أن المشهود لهم بالجنة ليس العشرة فحسب بل يزيدون، وإنما خص العشرة بذلك؛ لأنهم وردوا في حديث واحد.

٣٧ ـ بيان أن أهل الجنة يختلف جمالهم وبهاؤهم؛ كما تختلف درجاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

٣٨ ـ أمة محمد ﷺ ثلاثة أنواع:

أ ـ **أمة الدعوة**، وهم الثقلان من مبعثه إلى قيام الساعة.

ب ـ **أمة الإجابة**، وهم المسلمون من أهل القبلة.

ت ـ **أمة الأتباع**، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والسبعون ألفاً من أمة الأتباع، والله أعلم.

٣٩ ـ حرص السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ على طلب الدليل ومعرفته والعمل به.

٤٠ ـ الأدلة تقسم إلى قسمين راجح ومرجوح، وهذا يظهر في استحسان سعيد بن جبير لما روى حصين، ولكن بين له أن هذا الدليل مرجوح وذكر الدليل الأرجح.

٤١ ـ تساؤل السلف الصالح عما يقع في الآفاق والتفكر في آيات الله في الكون؛ ليستدلوا بها على ما تدل عليه من صفات الله ـ عز وجل ـ.

متممات مهمات:

١ ـ قال شيخنا الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ:

«حقه أن يقول: اللفظ لمسلم، فإن البخاري ليس عنده قوله «لا يرقون» وعنده مكانها «لا يكتوون» وهو المحفوظ، ولفظ مسلم شاذ سنداً ومتناً»[(١)].

---

(١) في تعليقاته على «رياض الصالحين» (٧٤).

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وأول من نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، ونقل ذلك تلميذه ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ. فقال: «فقوله في الحديث: «لا يرقون، غلط من الراوي سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول ذلك، قال: وإنما الحديث: «هم الذين لا يسترقون».

قلت ـ أي: ابن قيم الجوزية ـ: وذلك لأن هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب؛ لكمال توحيدهم، ولهذا نفى عنهم الاسترقاء؛ وهو: سؤال الناس أن يرقوهم، ولهذا قال: «وعلى ربهم يتوكلون»، فلكمال توكلهم على ربهم، وسكونهم إليه، وثقتهم به، ورضاهم عنه، وإنزال حوائجهم به، لا يسألون الناس شيئاً لا رقية ولا غيرها، ولا يحصل لهم طيرة تصدهم عما يقصدونه، فإن الطيرة تنقص التوحيد وتضعفه»[1].

وحاول الحافظ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن يتعقب شيخ الإسلام ابن تيمية[2] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فلم يصب في وجهين:

الأول: نقله عن غيره في معرض التعقب بأن الزيادة من الثقة مقبولة، وسعيد بن منصور حافظ، وقد اعتمده البخاري ومسلم، واعتمد مسلم على روايته هذه، وبأن تغليط الراوي مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه.

قلت: هذه ليست زيادة ثقة، وإنما مخالفة ثقة للثقات؛ فهذا شذوذ.

الثاني: قوله: والمعنى الذي حمله على التغليط موجود في المسترقي؛ لأنه اعتل بأن الذي لا يطلب من غيره أن يرقيه تام التوكل فكذا يقال له والذي غيره به ذلك ينبغي أن لا يمكنه منه لأجل تمام التوكل.

قلت: فرق بين المقامين؛ فإن الراقي في مقام الإحسان، والمسترقي في مقام السؤال، وشتان ما بينهما.

٢ ـ اختلف في حديث: **«لا رقية إلا من عين أو حمة»** هل هو من حديث بريدة بن الحصيب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، أو من حديث عمران بن حصين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ؛ كما وقع عند البخاري (**٥٧٠٥**)، أو من حديث غيرهما؟

---

(١) «زاد المعاد» (١/٤٩٥).

(٢) «فتح الباري» (١١/٤٠٨ ـ ٤٠٩).

وكذا اختلف في وقفه ورفعه.

وقد وجدت تحقيقاً نفيساً للحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:

«عن عمران حُصين؛ قال: لا رقية إلا من عين أو حمة» كذا رواه محمد بن فَضيل، عن حصين موقوفاً، ووافقه هُشيم وشعبة، عن حُصين على وقفه.

ورواية هشيم عند أحمد، ومسلم.

ورواية شعبة عند الترمذيّ تعليقاً، ووَصَلها ابنا أبي شيبة، ولكن قالا: عن بُرَيدة، بدل عمران بن حصين.

وخالف الجميع: مالكُ بن مِغْوَل، عن حُصين؛ فرواه مرفوعاً، وقال: عن عمران بن حُصين: أخرجه أحمد، وأبو داود.

وكذا قال ابن عيينة، عن حُصين، أخرجه الترمذيّ.

وكذا قال إسحاق بن سليمان، عن حصين: أخرجه ابن ماجه».

واختُلِف فيه على الشعبيّ اختلافاً آخر؛

فأخرجه أبو داود، من طريق العباس بن ذَرِيح ـ بمعجمة، وراء، وآخره مهملة، بوزن عَظَيم ـ فقال: عن الشعبيّ، عن أنس، ورفعه، وشذّ العباس بذلك، والمحفوظ رواية حُصَين مع الاختلاف عليه، في رفعه ووقفه، وهل هو عن عمران، أو بُرَيدة؟

والتحقيقُ: أنه عنده عن عمران، وعن بُرَيدة جميعاً. ووقع لبعض الرواة عن البخاري قال: حديث الشعبيّ مرسلٌ، والمسندُ حديث ابن عباس.

فأشار بذلك إلى أنه أورد حديث الشعبيّ استطراداً، ولم يَقْصِد إلى تصحيحه، ولعلّ هذا هو السر في حذف الْحُميديّ له من «الجمع بين الصحيحين»؛ فإنه لم يذكره أصلاً.

ثم وجدت في نسخة الصغاني: قال أبو عبدالله ـ أي: البخاريّ ـ:

إنما أردنا من هذا حديث ابن عباس، والشعبيّ عن عمران مرسلٌ، وهذا يؤيد ما ذكرته»[1].

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ من هذا التحقيق النفيس يتبين:

أ ـ أن الشيخين ذكرا الحديث استطراداً لا أصالة واحتجاجاً، وهذا لا ينافي منهجهما.

ب ـ حديث عمران بن حصين مرفوعاً: أخرجه أبو داود **(٣٨٨٤)**، والترمذي **(٢٠٥٧)**، وأحمد **(٤/٤٣٦ و٤٣٨ و٤٤٦)**، والحميدي **(٨٣٦)**، والبزار **(٣٥٩٧)**، والطبراني في «الكبير» **(١٨/٥٨٧)**، و«الأوسط» **(١٤٧٢)**، والبيهقي **(٩/٣٤٨)** من طرق عن حصين عن الشعبي عن به.

ت ـ حديث بريدة بن الحصيب مرفوعاً: أخرجه الترمذي بإثر **(٢٠٥٧)** تعليقاً، وأبو حاتم في «العلل» **(٢/٣٤٨)** من طريق شعبة عن حصين به.

وأخرجه ابن ماجه **(٣٥١٣)** من طرق أبي جعفر الرازي عنه به.

ث ـ رجح الإمام المزي في «تحفة الأشراف» **(٢/٧٧)**: أن الحديث حديث عمران، وأما الحافظ؛ فرجح أنه عند حصين عن عمران وعن بريدة جميعاً.

ج ـ اعلم أن المرفوع لا يخالف الموقوف للوجوه الآتية:

الأول: أن مثل هذا القول لا يمكن أن يقال بالرأي والاجتهاد والقياس.

الثاني: أنه ورد مرفوعاً عن أنس بن مالك، وسهل بن حنيف، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وعائشة، وطلق بن علي، وحفصة بنت عمر، والشفاء بنت عبدالله، وأم سلمة، وعمرو بن حزم ـ رضي الله عنهم ـ.

وبالجملة؛ فحديث: **«لا رقية إلا من عين أو حمة»** محفوظ من كلام رسول الله ﷺ.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/١٥٦).

وكذلك اختلف في معناه؛ لكن أعدل الأقوال ما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «...لم يرد به نفي جواز الرقية في غيرها، بل المراد به: لا رقية أولى وأنفع منها في العين والحمة.

ودل عليه سياق الحديث؛ فإن سهل بن حنيف قال له ـ لما أصابته العين ـ: أو في الرقى خير؟ قال: «**لا رقية إلا في نفس أو حمة**».

ويدل عليه سائر أحاديث الرقى العامة والخاصة»(١).

٣ ـ اختلفت نظرة العلماء إلى أحاديث الكي وفقهها.

والمتأمل فيها لا يجد بينها تعارضاً ولا يرى فيها تناقضاً، وقد فصل القول فيها الإمام ابن قيم الجوزية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

«ثبت في «الصحيح» من حديث جابر بن عبدالله: «أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً، وكواه عليه».

ولما رُمِي سعد بن معاذ في أكْحَلِهِ حسمه النَّبيُّ ﷺ، ثم ورمت؛ فحسمه الثانية.

والحسم: هو الكي.

وفي طريق آخر: «أن النبيّ ﷺ كوى سعد بن معاذ في أكحله بمِشْقَصٍ، ثم حسمه سعد بن معاذ أو غيره من أصحابه».

وفي لفظ آخر: «أن رجلاً من الأنصار رمي في أكحله بمشقص؛ فأمر النبي ﷺ به؛ فكوي».

وقال أبو عبيد: وقد أتي النبي ﷺ برجل نعت له الكي، فقال: «**اكووه وارضفوه**».

قال أبو عبيد: الرضف: الحجارة تسخن، ثم يكمد بها.

(١) «الطب النبوي» (ص٢٣٩ ـ صحيحه).

وفي «صحيح البخاري» من حديث أنس: «أنه كوي من ذات الجنب، والنبي ﷺ حي».

وعن أنس: «أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة».

وقد تقدم الحديث المتفق عليه وفيه: «**وما أحب أن أكتوي**».

وفي لفظ آخر: «**وأنا أنهى أمتي عنِ الكي**».

وعن عِمران بن حصين: «أن النبي ﷺ نهى عن الكي».

قال: فابتلينا؛ فاكتوينا، فما أفلحنا، ولا أنجحنا.

وفي لفظ: «نهينا عن الكي»، وقال: فما أفلحن ولا أنجحن.

قال الخطابي: «إنما كوى سعداً؛ ليرقأ الدم من جرحه، وخاف عليه أن ينزف؛ فيهلك. والكي مستعمل في هذا الباب، كما يكوى من تقطع يده أو رجله.

وأما النهي عن الكي؛ فهو أن يكتوي طلباً للشفاء، وكانوا يعتقدون: أنه متى لم يكتو؛ هلك؛ فنهاهم عنه؛ لأجل هذه النية.

وقيل: إنما نهى عنه عمران بن حصين خاصة؛ لأنه كان به ناصور، وكان موضعه خطراً، فنهاه عن كيِّه، فيشبه أن يكون النهي منصرفاً إلى الموضع المخوف منه، والله ـ تعالى ـ أعلم».

وقال ابن قتيبة: «الكي جنسان:

كي الصحيح؛ لئلا يعتَلَّ، فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل من اكتوى؛ لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه.

والثاني: كي الجرح إذا نغل، والعضو إذا قطع؛ ففي هذا الشفاء.

وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجع، ويجوز أن لا ينجع؛ فإنه إلى الكراهة أقرب» انتهى.

وثبت في «الصحيح» في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم: «الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع:

أحدها: فعله.

والثاني: عدمُ محبته له.

والثالث: الثناء على من تركه.

والرابع: النهي عنه.

ولا تعارض بينها ـ بحمد الله تعالى ـ:

فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدلُّ على المنع منه.

وأما الثناء على تاركه؛ فيدل على أن تركه أولى وأفضل.

وأما النهي عنه؛ فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء، والله أعلم»[1].

وبنحوه قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ:

قال الإمام البخاريّ في «صحيحه»: «باب من اكتوى، أو كَوَى غيره، وفضل من لم يكتو».

فقال: «كأنه أراد أن الكي جائز للحاجة، وأن الأولى تركه إذا لم يتعين، وأنه إذا جاز كان أعمّ من أن يباشر الشخص ذلك بنفسه، أو بغيره لنفسه، أو لغيره.

وعموم الجواز مأخوذ من نسبة الشفاء إليه.

وفضلُ تركه من قوله ﷺ: **«وما أحب أن أَكْتَوِيَ»**.

---

(١) «الطب النبوي» (ص١٠٨ ـ ١١١).

وقد أخرج مسلم من طريق أبي الزبير، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ، قال: «رُمِيَ سعد بن معاذ على أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ».

ومن طريق أبي سفيان، عن جابر: «أن النبيّ ﷺ بَعَث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقَطَع منه عِرْقاً، ثم كواه».

ورَوَى الطحاويّ، وصححه الحاكم، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كَوَاني أبو طلحة في زمن النبيّ ﷺ»، وأصله في البخاريّ، وأنه كُوِيَ من ذات الجنب.

وعند الترمذيّ، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: «أن النبيّ ﷺ كَوَى أسعد بن زُرارة من الشوكة».

ولمسلم عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ: «كان يُسَلَّم عليّ حتى اكتويت، فتُرِكتُ، ثم تركت الكيّ، فعاد».

وله عنه من وجه آخر: «أن الذي كان انقطع عني رجع إليّ»؛ يعني: تسليم الملائكة، كذا في الأصل، وفي لفظ: «أنه كان يُسَلَّم عليّ، فلما اكتويت أُمسك عني، فلما تركته عاد إليّ».

وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذيّ، عن عمران ـ رضي الله عنه ـ: «نَهَى رسول الله ﷺ عن الكيّ؛ فاكتوينا، فما أفلحنا، ولا أنجحنا»، وفي لفظ: «فلم يُفلحن، ولم يَنجحن»، وسنده قويّ.

والنهي فيه محمول على الكراهة، أو على خلاف الأولى؛ لما يقتضيه مجموع الأحاديث، وقيل: إنه خاصّ بعمران؛ لأنه كان به الباسور، وكان موضعه خَطِراً، فنهاه عن كيّه، فلما اشتدّ عليه كَوَاه، فلم يَنجَح.

وقال ابن قتيبة: الكيّ نوعان: كَيُّ الصحيح؛ لئلا يَعْتَلّ، فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل من اكتوى؛ لأنه يريد أن يدفع القدر، والقدر لا يدافع.

والثاني: كيّ الجرح إذا نَغَلَ؛ أي: فَسَد، والعضو إذا قُطِع؛ فهو الذي يُشْرَع التداوي به، فإن كان الكيّ لأمر مُحْتَمِل فهو خلاف الأولى؛ لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لأمر غير مُحَقَّقٍ.

وحاصل الجمع: أن الفعل يدلّ على الجواز، وعدم الفعل لا يدلّ على المنع، بل يدلّ على أن تركه أرجح من فعله، وكذا الثناء على تاركه، وأما النهي عنه؛ فإما على سبيل الاختيار والتنزيه، وإما عما لا يتعين طريقاً إلى الشفاء»[1].

قال أبو أسامة الهلالي ـ عفا الله عنه ـ: وللكي فوائد ذكرها علماء الطب، منها:

١ ـ علاج لمنع انتشار الفساد.

٢ ـ تقوية العضو الذي برد مزاجه.

٣ ـ تحليل المواد الفاسدة المتشبثة بالعضو.

٤ ـ يساعد في وقف النزيف.

٥ ـ يعالج فوضى الطاقة في الجسم؛ فهو يعمل على تدفئة خطوط الطاقة وطرد البرد، ويعمل على تسهيل سريان الطاقة من أعلى إلى أسفل، ويعمل على تقوية خطوط الطاقة وتعادلها ومنعها من الانهيار.

٦ ـ ويساعد في تنشيط نظام المناعة.

٧ ـ يزيد إنتاج خلايا الدم البيضاء حيث تزيد فوراً بعد الكي، وتصل إلى ذروتها بعد ثماني ساعات.

٨ ـ يزيد في إنتاج خلايا الدم الحمراء والهيموغلوبين.

قال بعض الأطباء المعاصرين:

«جاء الإسلام والمغالاة في استعمال الكي شائعة، يعرضون به أجسامهم لآلام النار وتشويهها فيما لا جدوى منه، وما جاء من رسول إلا وكانت له القيادتان الدينية والدنيوية، ومن مهام الدولة نشر مناهج الطب الوقائي، وتقنين ممارسة المهن الطبية، ومكافحة الشعوذة والدجل في الطب وفي غيره. فأبى رسول الرحمة والإنسانية أن يعذبوا أنفسهم بأوهام لا تنفع؛

(١) «فتح الباري» (١٠/١٥٥ ـ ١٥٦).

فنهاهم عن الكي وعن الأدوية الوهمية، ووضح لهم أن استعماله مشروط بموافقته للداء؛ أي: بوجود استطباب له.

ورغب رسول الله ﷺ في أن تعيد أمته النظر في استعمال أدويتهم الشعبية، التي يمارسون تطبيقها دون استشارة طبيب، وأن يبعدوا عنها المغالاة، وأن يقتصروا في تطبيقها على مجالات معينة حيث تفيد، فنبههم إلى أن الدواء إنما يشفي بإذن الله ـ تعالى ـ إذا وافق الداء؛ أي: لا بد من تشخيص، ولا بد من اختيار دواء ملائم يستعمل بمقدار وبطريقة موافقين، فقال ـ عليه السلام ـ: «**لكل داء دواء؛ فإذا أصيب دواء الداء برء بإذن الله ـ عز وجل ـ**» وأورد ـ عليه السلام ـ ذكر الأدوية الشعبية الشائعة في زمانه وهي: الحجامة المدماة، والكي، والعسل، فاعترف بأنها أدوية لها فوائدها، ولكنه نبه إلى أن استعمالها طبياً يجب أن يكون موافقاً للداء؛ أي: تابعاً لوجود استطباب؛ وكرر النهي عن الكي والرقى ـ وهي المعالجة الروحية بالقراءات ـ وذلك لشدة الشطط في استعمالها دون مبرر علمي.

ثم قال ـ بعد أن ساق عدة أحاديث ـ: إن النهي في الأحاديث ليس على عمومه وإطلاقه، فقد وردت أحاديث نبوية سنراها تفيد استعمال النبي ﷺ وأصحابه للكي، فالنهي منصب على الاستعمال الشعبي المغالى في تطبيقاته، دون وجود استطباب؛ ولذا قال ابن حجر في «فتح الباري»: «ويؤخذ من الجمع بين كراهيته ﷺ للكي وبين استعماله أنه لا يترك مطلقاً ولا يستعمل مطلقاً، بل يستعمل عند تعينه طريقاً إلى الشفاء مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله ـ تعالى ـ، وعلى هذا التفسير يحمل حديث المغيرة رفعه: «**من اكتوى أو استرقى؛ فقد برئ من التوكل**».

وفي التعقيب على عنوان عقد البخاري بقوله: «باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو» قال ابن حجر: «كأنه أراد أن الكي جائز للحاجة، وأن الأولى تركه إذا لم يتعين، وأنه إذا جاز كان أعم من أن يباشر الشخص ذلك بنفسه أو بغيره لنفسه أو لغيره، وعموم الجواز مأخوذ من نسبة الشفاء إليه في أول حديثي الباب وفضل تركه من قوله ـ عليه السلام ـ: «**ما أحب أن أكتوي**».

وقال المازري: «وقوله - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «**وأنا أنهى أمتي عن الكي**»، وفي الحديث الآخر: «**وما أحب أن أكتوي**» إشارة إلى أن يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة إليه، ولا يوجد الشفاء إلا فيه؛ لما فيه من استعمال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي».

هذا، وإن الاكتواء من دون استطباب علمي يعد تعلقاً بالأوهام، والتعلق بالأوهام مناف للتوكل على الله - تعالى -»[(١)].

٤ - كذلك اختلفت عبارات أهل العلم في حدّ التوكل وبيان حقيقته.

قال الإمام النوويّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: اختَلَفَت عبارات العلماء من السلف والخلف في حقيقة التوكل، فحَكَى الإمام، أبو جعفر الطَّبَريّ وغيره عن طائفة من السلف، أنهم قالوا: لا يَسْتَحقُّ اسم التوكل إلا من لم يُخالط قلبه خوف غير الله تعالى، من سَبُع، أو عدوّ، حتى يترك السعي في طلب الرزق ثقةً بضمان الله تعالى له رزقه، واحتجوا بما جاء في ذلك من الآثار.

وقالت طائفة: حدُّه الثقة بالله تعالى، والإيقان بأن قضاءه نافذ ماضٍ، واتباع سنَّة نبيّه محمد ﷺ في السعي فيما لا بدّ منه، من المطعم والمشرب، والتحرُّز من العدوّ، كما فعله النبيّ ﷺ، وفعله الأنبياء - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين - فقد نصّ الله تعالى عنهم الخوفَ، والكسبَ، والتحرّز من أعدائهم، وعن نبيّنا ﷺ مثله، من ادّخار قوت سنته، وتطبُّبه، وفعل ذلك جِلّة أصحابه - رضي الله عنهم -»[(٢)].

قال أبو أسامة الهلالي - كان الله له -: القول الأخير هو الحق المبين؛ لموافقته كتاب الله وسنَّة سيد المرسلين، أما الأول؛ فمذهب بعض الصوفية الغلاة والزهاد الجفاة؛ فهو باطل رديء، وسيّئ وبيء مخالف لمنهج السلف الصالح - رضي الله عنهم -.

٥ - ورد في عدة أحاديث أن مع السبعين ألفاً زيادة عليهم؛ منها:

---

(١) «الطب النبوي والعلم الحديث» (٣/١٠٩).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٣/٩١).

أ ـ حديث أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عند أحمد بإسناد حسن لغيره قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي ـ عز وجل ـ؛ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً**».

قال أبو بكر: فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى، ومصيب من حافات البوادي.

ب ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سألت ربي ـ عز وجل ـ، فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً، فقلت: أي رب إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي، قال: إذن أكملهم لك من الأعراب**».

ث ـ حديث أبي أمامة عند النسائي وأحمد وابن حبان بإسناد حسن عن رسول الله ﷺ: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي**».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وفي الباب عن أبي أيوب عند الطبراني، وعن حذيفة عند أحمد، وعن أنس عند البزار، وعن ثوبان عند ابن أبي عاصم؛ فهذه طرق يقوي بعضها بعضاً»(١).



٣٧٥ ـ {...} حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، حَدَّثَنَا ابنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَمَمُ**». ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ، نَحْوَ حَدِيثِ هُشَيْمٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِ.

---

(١) «فتح الباري» (١١/٣٤٥).

- **فوائد الإسناد:**

١ ـ **قوله: (ثم ذكر باقي الحديث)**: أي: ذكر محمد بن فضيل باقي الحديث.

٢ ـ **قوله: (ولم يذكر أول حديثه)**: أي: قول حصين بن عبدالرحمٰن: «كنت عند سعيد بن جبير» إلى قوله: «حدثنا ابن عباس».

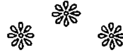
٣ ـ رواية محمد بن فضيل: ساقها أبو نعيم في «المستخرج» (١/٢٨٥/٥٢٧):

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا عمي أبو بكر، وواصل بن عبدالأعلى؛ قالا: نا محمد بن فُضيل، عن حُصين، عن سعيد بن جبير، ثنا ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضت عليّ الأمم، فإذا سَوَادٌ عظيم، فقلت: هذه أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل: انظر إلى الأُفُق، فإذا بسواد قد ملأ الأفق، فقيل لي: هذه أمتك، ويدخل الجنة سواها سبعون ألفاً، بغير حساب**»، ثم دخل رسول الله ﷺ، ولم يُبَيِّن لهم، فأفاض القوم، فقالوا: نحن هم الذين آمنا بالله، واتبعنا رسوله، فنحن هم، وأولادنا الذين وُلِدوا على الإسلام، فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «**هم الذين لا يَستَرْقُون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**».

أخرج الإمام البخاريّ في «صحيحه» (**٥٧٠٥**) رواية محمد بن فضيل مع قوله في أول الحديث: «**لا رُقية إلا من عين، أو حُمة**»؛ لكنها من حديث عمران بن حُصين ـ رضي الله عنهما ـ، فقال:

حدثنا عمران بن ميسرة، حدثنا ابن فضيل، حدثنا حُصين، عن عامر، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ، قال: «لا رُقية إلا من عين، أو حُمَة»، فذكرته لسعيد بن جبير، فقال: حدثنا ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «**عُرضت عليّ الأمم، فجعل النبي والنبيّان يمرون، معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفع لي سَوَاد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل**

لي: **انظر هاهنا وهاهنا، في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب**»، ثم دخل، ولم يُبَيِّن لهم، فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنا بالله، واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين وُلدوا في الإسلام، فإنا وُلدنا في الجاهلية، فبلغ النبيّ ﷺ، فخرج، فقال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»، فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»؛ فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**».



٩٦ ـ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة

٣٧٦ ـ {٢٢١} حدّثنا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِالله؛ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**». قَالَ: فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**». قَالَ: فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ. مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ**».

✹ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (٨٠/ ٥٠).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بثقات الكوفيين.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي مخضرم: أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون.

٤ ـ صرح يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق بسماعه من عمرو بن ميمون عند البخاري (٦٦٤٢)؛ فزالت شبهة تدليسه.

٥ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه؛ فأخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (**٦٥٢٨ و٦٥٣٠ و٦٦٤٢**).

✵ غريب الحديث:

قوله: (أَمَا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: فكبرنا): أَمَا ـ بتخفيف الميم ـ، وهو استفهام تقريري، قال ابن التين: ذكره بلفظ الاستفهام لإرادة تقرير البشارة بذلك، وذكره بالتدريج، ليكون أعظم لسرورهم.

وأَمَّا التكبير؛ فلسرورهم بهذه البشارة العظيمة.

قوله: (إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة): لم يقل أولاً شطر أهل الجنة؛ لفائدة حسنة؛ وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في إكرامهم؛ فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به، ودوام ملاحظته، قاله النووي.

قوله: (وسأخبركم عن ذلك. ما المسلمون في الكفار إلاَّ كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض): والمعنى: وسأخبركم عن سبب قلتكم يوم القيامة، وذلك أنّ الكفار من الأُمم جميعها أكثر من الإيمان الذين هم أقل؛ فإن أتباع النبيين قليلون في كل أُمة.

قال ابن التين: «أطلق الشعرة وليس المراد حقيقة الوحدة؛ لأنه لا يكون ثور ليس في جلده غير شعرة واحدة من غير لونه».

فقه الحديث:

١ ـ استحباب العطاء مرة مرة، وليس دفعة واحدة؛ فإن هذا أبلغ، وأكثر أثراً.

٢ ـ بيان فضل الله على هذه الأُمة.

٣ ـ أنّ أهل الإسلام شطر أهل الجنة وزيادة حيث ورد عند الترمذي وصححه وابن ماجه وأحمد من حديث بريدة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف أمتي منها ثمانون صفاً**».

وهو صحيح؛ كما قال الترمذي، وله شاهد من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عند الطبراني.

٤ ـ استحباب التكبير عند سماع البشرى.

ولكن لا يجوز اتخاذه عادة، وجعله شعاراً فيما هب ودبّ، وعرج ودرج؛ كما فعلت بعض الحركات الحزبية المعاصرة؛ فإن هذا بدعة ضلالة.

٥ ـ استحباب إدخال السرور على قلب المسلم وتبشيره.

٦ ـ أنّ المسلمين أقلّ من المشركين في الآخرة؛ بل والدنيا.

٧ ـ استعمال الأمثال في تقريب المعاني والمسائل.

٨ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ حقق رجاء نبيه ﷺ، وزاده من فضله.

٩ ـ بيان كثرة أعداد أهل النار بالنسبة لأهل الجنة.

١٠ ـ شدة حرص رسول الله ﷺ وكمال شفقته على أمته ورجاء الخير لهم، وطلب ذلك من ربه ـ عز وجل ـ.

١١ ـ يؤخذ من الحديث استحباب تكرير البشارة مرة بعد مرة.



٣٧٧ ـ {...} حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ـ واللَفْظُ لابْنِ الْمُثَنّى ـ قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أبي إسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ، نَحْواً مِنْ أرْبَعِينَ رَجُلاً، فَقَالَ: **«أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الْجَنَّةِ؟»**. قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: **«أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ ـ الْجَنَّةِ؟»**. فَقُلْنَا: نَعَمْ. فَقَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنِّي لأرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَاكَ أنَّ الْجَنَةَ لا يَدْخُلُهَا إلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أنْتُمْ فِي أهْلِ الشِّرْكِ إلا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأسْوَدِ، أوْ كَالشَّعرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأحْمَرِ»**.

❋ غريب الحديث:

قوله: (كنّا مع رسول الله ﷺ في قبة، نحواً من أربعين رجلاً): أصحابه ﷺ دائماً ينهلون من معينه العذب الصافي، وها هو ﷺ يجلس بمنى في قبة يستظل عن الشمس، وأصحابه معه قد اتسعت القبة ببركة العلم، والنور الذي يلقى فيها، وهم في هذا العدد الكبير، والجم الغفير.

قوله: (والذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة): والمعنى: أُقسم بالله الذي ملك

نفسي يتصرف بها كيفما شاء: إني أرجو من ربي أن يبلغ بكم نصف أهل الجنة، وذلك؛ لأنّ الله ـ تعالى ـ قضى أن لا يدخل الجنة إلاَّ نفس مسلمة مؤمنة.

قال الحافظ: «فكأنه رجا رحمة ربه أن تكون أُمته نصف أهل الجنة أعطاه ما ارتجاه وزاده، وهو نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾».

فقه الحديث:

١ ـ أنّ المكان الذي عُمر، ويعمر بالذكر يتسع كثيراً، ولو كان ضيقاً صغيراً، والواسع يضيق؛ لعدم الذكر.

٢ ـ الحرص على العلم في كل وقت ومكان يتناسب معهما.

٣ ـ جواز القسم من غير استحلاف، بل للتأكيد.

٤ ـ أنّ الجنة حرام على غير المسلم، فمن مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً.

٥ ـ أنّ هذا من معنى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥].

٦ ـ استحباب تكرير البشارة مرة بعد أخرى.

٧ ـ وحمل الناس على تجديد شكر الله ـ تعالى ـ وتكبيره، وحمده على كثرة نعمه.



٣٧٨ ـ {...} حدّثنا مُحَمْدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ـ وَهُوَ ابْنُ مِغْوَلٍ ـ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ؛ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلى قُبَّةِ أَدَمٍ. فَقَالَ: «**أَلا، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ. اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَتُحِبُّونَ أَنَّكُمْ رُبُعَ**

أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: **«أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»**. قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **«إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الأَمَمِ إلا كالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ»**.

❋ غريب الحديث:

قوله: (أدم): هو الجلد المدبوغ.

قوله: (اللهم هل بلغت، اللهم اشهد): أي: التبليغ واجب عليّ، وقد بلغت، فاشهد لي به.

فقه الحديث:

١ ـ أنّ رسول الله قام بالبلاغ المبين؛ لأن التبليغ واجب عليه ﷺ.

٢ ـ وأنه ﷺ استشهد الله ـ تعالى ـ على أداء الواجبات وتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وإقامة الحجة.

٣ ـ استحباب الجواب بـ «نعم».

٤ ـ عظم أعداد أهل النار، وعظم النار التي تحوي هذا العدد الكبير.

٥ ـ لا مجال للشك في أن مصير كل مشركٍ وكافرٍ إلى النار.

٦ ـ بيان رحمة النبي ﷺ بأُمته ومحبته لهم.



٩٧ ـ باب قوله: «يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون»

٣٧٩ ـ {٢٢٢} حدّثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ،** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. **قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ مِنْ يأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفاً، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ».** قَالَ: ثُمَّ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ».** فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا»** ثُمَّ قَالَ: **«وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ. إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ».**

❋ راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ في الحديث (١٨/٢٦).

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ من خماسيات المصنف ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسلسل بثقات الكوفيين إلى الأعمش، والبقية مدنيون.

٣ ـ فيه رواية تابعي عن تابعي: الأعمش عن أبي صالح.

٤ ـ الأعمش يعد راوية أبي صالح حيث روى عنه ألف حديث.

٥ ـ في رواية البخاري من طريق أبي أسامة وحفص بن غياث كلاهما عن الأعمش حدثنا أبو صالح؛ فصرح بالسماع؛ فزالت شبهة تدليسه، على أنه لا يدلس عن مشايخه الذين أكثر عنهم؛ كما قال الذهبي.

٦ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ هذا ـ متفق عليه، فقد أخرجه ـ أيضاً ـ البخاري (٦٥٣٠).

❋ غريب الحديث:

قوله: (يقول الله ـ عز وجل ـ: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك): يخاطب الله ـ تعالى ـ أبا البشر آدم ـ عليه السلام ـ باسمه، فأجابه آدم ـ عليه السلام ـ بتأكيد الاستجابة، والانقياد لأمره مع نسبة الخير إليه، مما يشعر أنه يقول: أُجيب لأمرك، ولا تأمر إلاّ بخير يعود علينا.

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند البخاري: أن خطاب آدم ـ عليه السلام ـ بذلك أول شيء يقع يوم القيامة، ولفظه: «**أول من يدعى يوم القيامة آدم؛ فتراءى ذريته**».

قوله: (أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال: فذاك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: البعث: بمعنى المبعوث، وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناها هنا: ميز أهل النار من غيرهم، وإنما خص بذلك آدم؛ لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء؛ فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء «**وعن يمينه أسودة، وعن شماله أسودة**» الحديث؛ كما تقدم في حديث الإسراء، قاله الحافظ.

وما بعث النار؟ أي: كم مقدار هذا البعث المتوجه إلى النار؟ فأجابه بهذا العدد الكبير المخيف الذي يكاد لا ينجو منه أحدٌ منّا، عندها يشيب

الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، ويظن الناس سكارى من شدة ما يلاقونه، وما هم بسكارى حقيقة، ولكن الأمر أعظم وأشد.

قوله: (فاشتد ذلك عليهم. قالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا؛ فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً، ومنكم رجل): لما سمعوا هذا الخبر الرهيب المخيف؛ فزعوا، وقالوا: من هذا الذي ينجو منّا، إنه واحد نخشى أن لا نكون ذاك الرجل؛ فنهلك.

عندها أخذ الرسول ﷺ يخفف عنهم هول هذه المصيبة بالبشرى، وذلك أنّ الله ـ تعالى ـ جعل وقود النار من أُمة يأجوج ومأجوج أكثر من هذه الأمة.

قال الحافظ: «ظاهره زيادة واحد عما ذكر من تفصيل الألف، فيحتمل أن يكون من جبر الكسر، والمراد: أن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين أو ألفاً إلاّ واحداً، وأما قوله: «ومنكم رجل» تقديره والمخرج منكم أو منكم رجل مخرج، ووقع في بعض الشروح: أن لبعض الرواة «**فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً**» بالنصب فيهما على المفعول بإخراج المذكور في أول الحديث، أي: فإنه يخرج كذا، وروي بالرفع على خبر إن واسمها مضمر قبل المجرور، أي: فإن المخرج منكم رجل.

قلت: والنصب أيضاً على اسم إن صريحاً في الأول، وبتقدير في الثاني، وهو أول من الذي قاله، فإن فيه تكلفاً».

وفي «مسلم» بالرفع فيهما، قال النووي: «هكذا في جميع الروايات والتقدير؛ فإنه فحذف الهاء وهي ضمير الشأن وذلك مستعمل كثيراً. . . قلت: وحاصله أن الإشارة بقوله: «منكم» إلى المسلمين من جميع الأُمم» ا.هـ مختصراً.

قال شيخنا ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ:

«وفي هذا الحديث إشكال، وهو قوله: «**بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**»، وفي آخر الحديث قال: «**منهم ألف، ومنكم واحد**».

ووجه الإشكال: أن المجموع سيكون ـ إذا أخذنا بظاهره ـ ألف وواحد، وعلى اللفظ الأول: أن الناجي من كل ألف واحد، ومع العدد الكثير سيكون الفرق كثيراً جدًّا، فكيف المخرج من هذا الإشكال؟

المخرج من هذا الإشكال، أن يقال: إن المعنى: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، مضافاً إليهم من ليسوا من يأجوج ومأجوج من الكفار، فمن يأجوج ومأجوج ألف، ومن هذه الأمة واحد، وإذا كانت نسبة يأجوج ومأجوج للمجموع توافق هذا الجزء من الألف، استقام الكلام.

ويحتمل أن نجبر الكسر في تسعمائة وتسعة وتسعين من الألف، فيكون المعنى: أنه يدخل من الألف ـ من يأجوج ومأجوج ـ: تسعمائة وتسعة وتسعين، والله أعلم»[1].

قوله: (أو كالرقمة في ذراع الحمار): الرقمة: ـ بفتح الراء وإسكان القاف ـ.

قال أهل اللغة: الرقمتان في الحمار؛ هما: الأثران في باطن عضديه، وقيل: هي الدائرة في ذراعيه.

وقيل: هي الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل.

وقال ابن التين: الرقمة قطعة بيضاء تكون في باطن عضو الحمار، والفرس وتكون في قوائم الشاة.

وقال الداودي: الرقمة شيء مستدير لا شعر فيه، سميت به؛ لأنه كالرقم.

فقه الحديث:

١ ـ هذا الحديث له صلة بما قبله؛ وهو: أن هذه الأمة تكون نصف أهل الجنة.

---

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٦٠).

٢ ـ أنّ الله تعالى يتكلم بصوت وحرف يُسمعه من شاء من خلقه متى وكيف شاء.

فقد ورد في بعض ألفاظ الحديث: «**فينادي بصوت** ـ أي: الله ﷻ ـ **إن الله يأمرك**».

وأما الحروف؛ فكتاب الله حروف وكلمات، والله تكلم به.

وأعلم أن صفات الله ـ ﷻ ـ ليست كصفات المخلوقين؛ لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ فيه رد على من قال: إن كلام الله مخلوق، وذلك أن الكلام وصف لا بد له من موصوف يقوم به، وإذا كان كذلك لزم أن يكون من صفات الله، وصفات الله ـ ﷻ ـ ليست مخلوقة.

٤ ـ وفيه ـ أيضاً ـ إبطال لقول الأشاعرة: إن كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه ـ أي: كلام نفسي ـ وأن ما يسمعه من يكلمه الله أصوات مخلوقة؛ خلقها الله ـ ﷻ ـ لتعبر عما في نفسه.

وهذا القول شر من قول المعتزلة والجهمية؛ لأن المعتزلة والجهمية يقولون: هذا الذي سمع هو كلام الله حقيقة؛ لكنه مخلوق، بينما الأشاعرة يقولون: إن الذي سمع ليس هو كلام الله حقيقة؛ لأن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس، وما سمع فهو مخلوق ليعبر عنه.

فاتفقت الطائفتان على أن ما سمع؛ فهو مخلوق؛ لكن الجهمية والمعتزلة قالوا: إنه حقيقة، والأشاعرة قالوا: إنه مجاز عن المعنى القائم بالنفس.

وبذلك يكون قول الأشاعرة في هذه المسألة شر من كلام الجهمية والمعتزلة، وكلاهما ضل في هذا الباب ضلالاً بعيداً.

٥ ـ ويؤخذ من الحديث: أن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد: أي: أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، حسب ما تقتضيه مشيئته وحكمته.

فمخاطبة الله ـ ﷻ ـ لآدم ـ عليه السلام ـ يوم القيامة حادثة، ومخاطبة الله

لآدم في الجنة حادثة، وقول الله ـ عَجَّلَ ـ للمصلي ـ إذا قال: الحمد لله رب العالمين ـ قال: حمدني عبدي، فهذا كلام حادث.

ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]؛ فهي تدل على أن القول يكون عند الإرادة، والإرادة تكون عند الفعل.

ولا يلبس عليك أيها السني أهل البدع بقولهم: إذا قلتم: إن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد يلزم منه أن يكون الله حادثاً!

قال شيخنا فقيه الزمان ابن عثيمين ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بعد أن ذكر بعض هذه الفوائد المتقدمة:

«والمسألة ليس فيها إشكال، وليس في إثبات كلام يكون حادثاً أي نقص.

يقول هؤلاء ـ الذين عللوا بأمور ظنوها عقليات، وهي وهميات ـ: يقولون: إذا قلتم بأن الله وصف بالحادث؛ لزم أن يكون الله حادثاً؛ لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث، وسبحان الله! هذا التعليل ـ وهو قولهم: الحوادث لا تقوم إلا بحادث ـ كذبٌ، ولا يصح عقلاً؛ لأن الحوادث تقوم بغير حادث.

ويدل لهذا: أننا نحن الآن مخلوقون من عدم، وما نحدثه من بعد فإن وجودنا سابق عليه، إذن فما يحدثه الله ـ عَجَّلَ ـ من أفعاله وكلامه؛ فإن وجود الله سابقٌ عليه، ووجود الله معلوم عقلاً، أنه أزلي.

وبهذا يتبين كذب هذه المقولة: أن الحوادث لا تقوم إلا بحادث.

إذاً؛ فعقيدتنا: أننا نثبت لربنا ـ جلَّ وعلاـ كلاماً حقيقيًا، يتكلم به كما يشاء، وكيف يشاء، ومتى شاء، وبما شاء، ولسنا نحجر على ربنا شيئاً أثبته لنفسه، هذه هي عقيدتنا في هذه المسألة العظيمة.

وليُعلم أن الذين يقولون: إن القرآن الكريم مخلوقٌ، وليس كلام الله، أنهم بذلك أبطلوا الشرائع، وكلامهم يقتضي بطلان الشريعة؛ لأنه إذا كان مخلوقاً، صارت حروفه مخلوقة على صور معينة، لا مدلول لها، ولا حقيقة لها.

فمثلاً: قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الإسراء: ٧٨]. هو أمر بإقامة الصلاة، وإذا قلنا إنها مخلوقة، صار معناه: أن الله خلق همزة، وقافاً، وميماً، وألفاً، ولام، وصادًا، ولام ألف، وهاء، خلق شيئاً على هذه الصورة، فهل هذا يفيد أمراً؟ والجواب: أن هذا لا يفيد أمراً.

ولهذا قال بعض العلماء: متى ما قلنا إن القرآن مخلوق؛ فقد أبطلنا الشريعة؛ لأنه لا يبقى عندنا أوامر، ولا نواه، وما هي إلا صورة للحروف، وصورة للكلمة، وصورة لما يسمع.

وقلّ من يتفطن لخطورة هذا القول من طلبة العلم، وكنا نتوقف في كلام شيخ الإسلام، وابن القيم من أنه إذا قلنا بأن القرآن مخلوق؛ لزم من ذلك بطلان الشريعة، وكنا نقول: كيف يلزم ذلك؟ حتى فتح الله علينا، وعرفنا أن المعنى أنه لا يكون أمراً ولا نهياً، وإنما هو صور مرقومة، أو أصوات مسموعة، كما نسمع وجبة الحصاة ـ مثلاً ـ على الحديد، أو ما أشبه ذلك.

فالحاصل: أننا نؤمن بأن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي مسموع، وأنه لا يشبه أصوات المخلوقين؛ لأن الصوت وصف، وكل صفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

فإن قال قائل: بأي لغة يتكلم الله؟ قلنا: هذا سؤال متعنت؛ لأن كتابنا: القرآن الكريم بيَّن الله ـ عز وجل ـ بأي لغة هو، فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]. وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]؛ يعني: صيرناه باللغة العربية، لعلكم تعقلون.

فنفهم من هذا التعليل، أن الله تعالى يخاطب كل واحد بما يفهمه من لغته؛ لأن الله قال في هذا القرآن: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣][١].

(١) «التعليق على كتاب الإيمان من صحيح مسلم» (ص٧٦٣ ـ ٧٦٥).

٦ ـ يؤخذ من الحديث: إثبات اليوم الآخر، وقيام الساعة؛ وهو: أحد أركان الإيمان، وقرين الإيمان بالله، من أنكره؛ فقد كفر كفراً مخرجاً من الملة.

٧ ـ حسن أدب آدم ـ عليه السلام ـ في خطابه مع ربه ـ عز وجل ـ.

٨ ـ أنّ الله تعالى خالق الخير ومالكه، والشر لا ينسب إليه.

٩ ـ إثبات صفة اليدين لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله.

١٠ ـ أنّ الله ـ تعالى ـ وكَّل آدم ـ عليه السلام ـ بإخراج أهل النار من ذريته.

١١ ـ أنّ بعث النار من قوم يأجوج ومأجوج: تسعمائة وتسعة وتسعين.

١٢ ـ أنّ عدد أهل النار من المسلمين قليل قليل.

١٣ ـ عِظَمِ أُمة يأجوج ومأجوج.

١٤ ـ بيان هول المشاهد في الآخرة، حتى إن الصغير يشيب، والحامل تضع حملها، وتحسب أنّ الناس سُكارى.

١٥ ـ عظم مراقبة النفس التي كانت عند الصحابة، حيث ظنوا: أنّهم هالكون في النار والعذاب.

١٦ ـ استحباب تبشير المسلم بالخير، وإدخال السرور عليه.

١٧ ـ جواز القسم دون استحلاف.

١٨ ـ استحباب التكبير والتحميد عند البُشرى.

١٩ ـ أن هذا الحديث من تفسير قول الله ـ تعالى ـ المذكور فيه من سورة الحج.

٢٠ ـ أن رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً؛ لأنه لما كان أصحابه منزعجين بشَّرهم؛ فعندها أدخل السرور على أنفسهم وارتاحت صدورهم.

٣٨٠ ـ {...} حدّثنا أبو بَكرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كِلاهُمَا عَنِ الأَعْمَشِ، بِهَذَا الإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّهُمَا قَالاَ: «**مَا أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي النَّاسِ إلا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ فِي الثَّوْرِ الأَبْيَضِ**»، وَلَمْ يَذْكُرَا: «**أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ**».

➢ فوائد الإسناد:

١ ـ رواية وكيع وأبي معاوية: أخرجها أبو نعيم في «المستخرج» (٥٣٣/٢٨٨/١):

حدثنا أبو بكر بن يحيى الطَّلْحيّ، ثنا عُبيد بن غنّام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع (ح) وحدثنا عبدالله بن محمد بن أحمد، ثنا أبو بكر الفِرْيابيّ، ثنا أبو كريب، ثنا أبو معاوية ووكيع، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ـ عز وجل ـ: يا آدم قم، فابْعَثْ بَعْثَ النار، قال: فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك يا رب، وما بَعْثُ النار؟ قال: من كل ألف تسعَمائة وتسعةً وتسعين، فحينئذ يشيب المولود، وتَضعُ كلُّ ذات حَمْلٍ حَمْلَها**، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، قال: فيقول: وما ذاك الواحد؟» قال: فقال رسول الله ﷺ: «**تسعُمائة وتسعٌ وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحدٌ**»، قال: فقال الناس: الله أكبر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، قال: فكبَّر الناسُ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنتم يومئذ في الناس، إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض**».

لفظ أبي بكر، عن وكيع، وأبي كريب، عن أبي معاوية.

وأما بقية شرحه؛ فقد تقدم الكلام عليه.

➢ فوائد زوائد:

١ ـ استشكل بعض أهل العلم ورود هذا الحديث مفسراً لقوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ و٢]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

فقالوا: بأن ذلك الوقت لا حمل فيه، ولا وضع، ولا شيب.

ثم أجابوا عن ذلك بعدة أجوبة؛ منها:

أ ـ أن ذلك يقع قبل يوم القيامة، والحديث صريح في رد هذا القول.

ب ـ أن هذا على سبيل التمثيل والتهويل، والتقدير: أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت، وهذا قول بالمجاز والحديث صريح في الحقيقة، وأن ظاهره مراد.

ت ـ وقال آخرون: بأن الحديث على حقيقته، وذلك أن كل أحد يبعث على ما مات عليه، فتبعث الحامل حاملاً، والمرضع مرضعاً، والطفل طفلاً؛ فإذا وقعت الزلزلة، وقيل ذلك لآدم، ورأى الناس آدم، وسمعوا ما قيل له، وقع بهم من الوجل والخوف ما يسقط معه الحمل، وتذهب به المرضعة.

وهذا هو أقوى الأجوبة وأحسنها في نقدي وتقديري، وقد ذكره الحليمي[(١)] واستحسنه القرطبي، ودونك ملخص قوله:

«قال ابن العربي: «لما نبأ النبي ﷺ بذكر الزلزلة التي تكون عند النفخة الأولى؛ ذكر ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال العظام التي يعطيها قوله: ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ومن قرعها ما لا تطيق حمله النفوس، وهو قوله لآدم: «ابعث بعث النار»، فيكون ذلك في أثناء ذلك اليوم، ولا يقتضي أن يكون ذلك متصلاً بالنفخة الأولى التي يشيب فيها الوليد، وتضع الحوامل، وتذهل المراضع؛ ولكن يحتمل أمرين:

(١) «المنهاج» (١/٤٤٨).

أحدهما: أن يكون آخر الكلام منوطاً بأوله، تقديره: يقال لآدم: ابعث بعث النار أثناء يوم يشيب فيه الوليد، وتضع الحوامل، وتذهل المراضع من أوله.

الثاني: أن شيب الوليد ووضع الحوامل وذهول المراضع يكون في النفخة الأولى حقيقة، وفي هذا القول الثاني تكون صفته بذلك إخباراً عن شدته، وإن لم يوجد غير ذلك الشيء فيه، وهذه طريقة العرب في فصاحتها».

قلت: الصحيح في النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث، وقول الله ـ تعالى ـ: «يا آدم! ابعث بعث النار» إنما هو بعد البعث يوم القيامة، ونفخة الفزع: هي نفخة الصعق، أو نفخة البعث؛ لأنه لو كانت نفخة الفزع غير نفخة الصعق لاقتضى ذلك أن يكون بقاء الناس بعدها أحياء ما شاء الله، ويكون هناك ليل ونهار حتى تأتي نفخة الصعق التي يموت بسماعها جميع الخلق، وعلى هذا لا يكون قوله: «ابعث» في أثناء اليوم الذي يكون مبدؤه نفخة الفزع على ما ذكره ابن العربي، والله أعلم.

ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة؛ فإنا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وما عليها من جبال وبناء كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ، وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها.

وقد قال علقمة، والشَّعبي: الزلزلة من أشراط الساعة، وهي في الدنيا.

وكذلك قال أنس بن مالك، والحسن البصري.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ [الحج: ٢]؛ الضمير المنصوب في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ للزلزلة، أو القيامة؟ قولان:

فعلى الأول: أن ذلك في الدنيا قبل نفخة الصعق، لعظم تلك الزلزلة وقوة حركتها بالأرض؛ لأن القيامة لا رضاع فيها ولا حمل ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]؛ يعني: من الخوف.

وعلى القول الثاني: يكون فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ذلك مثلاً، والمعنى: أنه يكون يوماً لا يهم أحد فيه إلا نفسه، والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصيحة الشديدة، ويكون الهول عظيماً.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك حقيقةً لا مثلاً، ويكون المعنى: أن من كانت محشورة مع ولد رضيع، فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهلت عن من ولدت، وأن الحوامل إذا بعثن أسقطن من فزع يوم القيامة الأحمال التي كانت أحياء، فماتت بموت أمهاتها أحياء، ثم لا يمتن بالإسقاط؛ لأن الموت لا يتكرر عليهن مرتين؛ لأنه لا موت في القيامة، وإنما هو يوم الحياة.

ثم يحتمل أن يحيي الله كل حمل كان قد أتم خلقه ونفخ فيه الروح، ويسويه ويعدّله، فإن الأم تذهل عنه، ولو لم تذهل ما قدرت على إرضاعه؛ لأنه لا غذاء لها يومئذٍ ولا لبن، واليوم يوم الحساب، لا يقبل فيه من أحد عذر ولا علة، فكيف تخلى والاشتغال بالولد مع ما عليها من الحساب، وهي بصدده من الجزاء؟ والحمل الذي لم يُنفخ فيه الروح قطّ إذا سقط يكون مع الوحوش تراباً، ولم يبتدأ إحياؤه؛ لأن اليوم يوم الإعادة، فمن لم يمُتْ في الدنيا: لم يحيا في الآخرة؛ قاله الحليمي في «منهاج الدين».

وقال الحسن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]؛ أي: من العذاب والخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ من الشراب.

ومما يبين ما قلناه: أن إبليس قال: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، فسأل النظرة والإمهال إلى يوم البعث والحساب وطلب أن لا يموت؛ لأن يوم البعث لا موت بعده، فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]؛ قال ابن عباس، والسدي وغيرهما: أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم، وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين، فأبى الله ذلك عليه.

فأما الكوائن يوم القيامة قبل الحساب؛ فقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢]، وقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة: ١] إلى آخرها.

والذي ثبت بسياق الآيات: أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم؛ لأن لا يراد إلا إذعار الناس، والتهويل عليهم، فينبغي أن يشاهدوها؛ ليفزعوا منها، ويهولهم أمرها، ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات، ولأنه ـ تعالى ـ قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: ٤]؛ أي: تخبر عما عمل عليها من خير وشر ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [الزلزلة: ٦]؛ فدلَّ ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس أحياء، واليوم يوم الجزاء، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣]؛ يعني: الآخرة ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤ ـ ١٨]، فدلّت هذه السورة على أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا بعد الإحياء، فدلّت هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية، والله أعلم»[١].

٢ ـ اختلف أهل العلم في يأجوج ومأجوج، وقد ترجح لدي فيهم ما يأتي:

أ ـ أنهما قبيلان عظيمان من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ بلا خلاف معتبر، والدليل على ذلك هذا الحديث الصريح الصحيح.

ب ـ ثم هم من ولد نوح ـ عليه السلام ـ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. فلم ينج من الطوفان إلا نوح وأصحاب السفينة: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥] ولم يبق من ذرية من نجا معه إلا ذريته ـ عليه السلام ـ. فهو أبو البشرية الثاني: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: ٧٧].

(١) كما في كتابي: «الدرر الفاخرة المنتقاة من التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص٢٣٣ ـ ٢٣٦).

ت ـ ويأجوج ومأجوج اسمان أعجميان؛ كما هو عند محققي أئمة اللغة كابن فارس[1]، والأزهري[2]، والجواليقي[3].

ث ـ لقد ورد ذكر يأجوج ومأجوج في كتب أهل الكتاب؛ كما في «سفر التكوين» (١٠/١ ـ ٢)، و«سفر حزقيال» (٣٨/١ ـ ٢)، و«رؤيا يوحنا» (٢٠/٧ ـ ٨).

ج ـ وهم أضعاف الناس مرات عديدة يدل على ذلك هذا الحديث، وعند الترمذي (**٣١٦٩**)، والنسائي في «التفسير» (**٣٦٠**)، وأحمد (**٤/٤٣٥**)، والحاكم (**١/٢٨ و٢/٣٣٣ و٣٨٥ و٤/٥٦٧**) من حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**أبشروا؛ فإن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه**».

وقد ورد في بعض الأحاديث: أن أحدهم لا يموت إلا يولد من صلبه ألف رجل.

والمرفوع منها لا يصح بوجه من الوجوه، وأما الموقوف فيصح بعضه؛ لكنه من أخبار أهل الكتاب كما لا يخفى؛ ففي «الفتن» لنعيم بن حماد (١٦٤٣)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٨/٦٦٢) بإسناد صحيح عن عبدالله بن سلام؛ قال: «**لا يموت الرجل من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذري فصاعداً**».

ح ـ وقد زعم بعض المعاصرين: أن يأجوج ومأجوج هم التتر وأهل الصين بخاصة.

وقال آخرون: أنهم أمم الكفر الموجودة الآن؛ كأميركا، ودول أوروبا، وبلاد اليابان.

وهذا قول مردود، وقد رد أهل العلم على الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ الذي ذهب إلى هذا القول في رسالتين مفردتين، وتمسك بقوله الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ـ رحمه الله ـ[4].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (١/٨ ـ ٩).

(٢) «تهذيب اللغة» (١١/٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٣) «المعرب» (ص٦٤٧ ـ ٦٤٨).

(٤) «لا مهدي ينتظر» (ص٧٥ ـ ٧٩).

فرد عليهم العلماء، ومما قاله الشيخ حمود التويجري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قد أنكر كبار العلماء في البلاد النجدية ما قرره الشيخ السعدي في رسالته في أمر يأجوج ومأجوج غاية الإنكار، واستدعاه الملك عبد العزيز إلى الرياض بسببها وتهدده وتوعده، وبعد ذلك لم نسمع عنه أنه تكلم في يأجوج ومأجوج بشيء حتى طبع «تفسيره»؛ فإذا كلامه فيه على خلاف ما قرره في رسالته التي أنكرها كبار العلماء، ولم يخرج في تفسير الآيات من سورة الكهف ومن سورة الأنبياء عما ذكره المفسرون في أمر يأجوج ومأجوج؛ فيحتمل أنه قد رجع عما قرره في رسالته، وإن لم يكن رجع عن ذلك، فكلامه في يأجوج ومأجوج متناقض، فيؤخذ بما كان منه موافقاً لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ويرد ما خالفهم فيه»(١).

ومما يؤكد بطلان هذا القول المحدث ما يأتي:

أولاً: أن الثابت في السنَّة النبوية ثبوتاً متواتراً أن خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وقتله الدجال.

ثانياً: أن مكث يأجوج ومأجوج بعد خروجهم لا يكون إلا فترة يسيرة.

ثالثاً: لقد ثبت بصريح القرآن وصحيح السنَّة أنهم وراء السد، وأنه لا يفتح ولا يندك إلا بين يدي الساعة.

رابعاً: لو كان المراد بيأجوج ومأجوج أمم الكفر لوجب ظهور بقية الآيات العظام من أشراط الساعة الكبرى؛ الآيات تتتابع كالخرزات المنظومات، ومع ذلك لم نر شيئاً من هذه الأشراط الكبرى والآيات العظام.

خ ـ وقد أنكر بعض المتأثرين باليهود الجدد ـ أي: المستشرقين ـ وجود يأجوج ومأجوج؛ فجعلوا الآيات القرآنية كناية، وكذبوا بالأحاديث

(١) «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» (ص٣٢٧).

وللشيخ حمود التويجري كلام نفيس جداً في «إتحاف الجماعة» (٢/١٦٨ ـ ١٧٤).

الصحاح، واحتجوا بأن الغربيين لم يعثروا على يأجوج ومأجوج وهم قد مسحوا الأرض وطاروا في الفضاء!!

وقد رد عليهم علماء الإسلام بكلام متين ونقد رصين نذكر منهم:

أولاً: ما قاله الشيخ عبدالله بن علي بن يابس النجدي ـ رحمه الله ـ:

«وقد اعترض الذين جعلوا آيات القرآن كناية وكذبوا الأحاديث؛ فقالوا: لماذا لم يعثر الإفرنج على أرض يأجوج ومأجوج، وهم قد مسحوا الأرض وطاروا في الفضاء؟ فلو كان هناك حقيقة اسمُها يأجوج ومأجوج غير البشر المعروفين لنا؛ لرأوهم وعرفوهم كما فَهِمْتُم بأنه صريح القرآن والمرويُّ من السنَّة الصحيحة.

وجوابنا على ذلك من وجوه:

الأول: أنه لا يلزم من وجودِ الشيءِ في مكان أن يعرف ذلك الشيء ويعثر على مكانه عقلاً، فالعقل لا يحتم ذلك؛ بدليلِ: أنّ الأنْفس التي بين جنبيِ الإنسانِ لا يعرفونها ولا يدرون من أيِّ شيءٍ هي، ومن جَهِلَ نفسه التي بين جنبيه؛ فهو أجهل بما في زوايا الأرض وخباياها التي بينهم وبينها سدود من الجبال الشامخاتِ والظواهر التي أودعها الله في الكون، وإذا كان وجودُ الشيء في مكان لا يستلزم العلم به ولا بمكانه عقلاً، فدعواكم أنهم اطلعوا على كلِّ شيءٍ دعوى باطلة بلا دليل، والعقل يأباها.

الوجه الثاني: أننا نسمع في كلِّ حين من إذاعات الغربِ أنفسهم وما تنشره الجرائد، أنهم اكتَشَفوا جزيرةً في موقعِ كذا، وتحَدُّ بمكان كذا في يوم كذا، وهذا برهان على جهلهم بالأرض القَريبة لهم، ودليلٌ على بطلان دعواكم.

الوجه الثالث: أن جهل الإفرنج واضح جليٌّ، فأرضهم مملوءة بالمعادن والخيرات، وهم أحرص الناس على تحصيلها والعثور على ذلك، وفي كلِّ حينٍ يظهرُ جهلهم بما يكتشفون في أرضهم، فلو كانوا كما تدَّعون فيهِم؛ لما كان في كل حين اكتشافات منجمٍ أو معدنٍ أو بترولٍ أو غير ذلك.

الوجه الرابع: إنّ جهلهم بالبدهياتِ أمر ظاهر مفروغ منه؛ وذلك في الاجتماعيات والقوميات وعاداتهم وطباعهم وأخلاقهم، واللَّهُ يظهر كلَّ حين جهلهم بما يعلنون أنهم اكتشفوه وعثروا عليه:

كل يومٍ تبدي صروف اللّيالِي   خلقاً من أبي سعيدٍ غريبا

الوجه الخامس: إنّ من البدهي في هذه الدنيا عند كل أحدٍ: إنَّ كل صنعة لا بد لها من صانع، وهذا الكون أرضه وسماؤه وما فيهما أعظم صنعة، ومع ذلك؛ فإن أكثر الإفرنج أيها الأفراخ! لا يعترفون بصانعِ هذا الكون القويّ العزيز الحكيم العليم الخبير، فهل من يجهل أكبر البدهيات يستحقُّ أن يدعى في علمه الإحاطة والتَّمام؟

الوجه السادس: إنّ كتاب اللَّهِ وسنَّة رسول الله أصدق من كلِّ أحدٍ، وإنّ كلَّ مسلم يعتزُّ بإيمانه، لا يمكن أن يكذب اللَّه ورسولَه في أخبارهما ويصدقَ أعداءَهما الذين جهلهم من أوضح الواضحات.

الوجه السابع: إنّ في بعضِ الكتبِ الإسلامية ـ ككتب التفاسير والتواريخ ـ: إن بعض الملوك أرسل بعَثات لمشاهدة السد وأنهم رأوه ووصفُوه، وقد جاء إلى النّبي ﷺ رجل، وزعم أنه رآه، فقال له النّبي ﷺ: «**صفه لي**»، فوصفه فصدقه ـ عليه السلام ـ.

هذا وفي كل حين يظهر الله آياته لعباده معجزاتٍ على صدق كتابه ورسوله ﷺ، وجهلِ الملحدين وأذنابهم: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

أما الأحاديث الواردة في شأن يأجوج ومأجوج؛ فهي كثيرة في جميع كتبِ الحديثِ؛ منها: حديث زينب بنت جحش...» وساقه.

ثم قال: «وورد ذكر يأجوج ومأجوج من حديث النواس بن سمعان في «الصحيح» ـ أيضاً ـ.

والخلاصة: أن الأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ، وهي شارحةٌ للقرآن، مبينةٌ له، نافيةٌ عند التفسير بالكناية والمجاز، وقد نقلها المسلمون واعتقدوها ودانوا بها، أما من ألهبتْ ظهورَهُم أسْواطُ الملاحدة فراحوا ينكرون ويحرِّفون فلا عبرة بما فعلوا»[1] ا.هـ.

ثانياً: قال الشيخ صالح الفوزان ـ وفقه الله ـ:

«وقد أنكر بعض الكتّاب العصريين وجود يأجوج ومأجوج ووجود السد، وبعضهم يقول: إن يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر المتفوقة في الصناعة!

ولا شك أنّ هذا تكذيب لما جاء في القرآن، وتكذيب لما صح عن رسول الله ﷺ، أو تأويل له بما لا يحتمله، ولا شك أنّ من كذب بما جاء في القرآن أو صحّ عن رسول الله ﷺ، فهو كافر، وكذلك من أوَّله بما لا يحتمله؛ فإنه ضالّ، ويخشى عليه من الكفر.

وليس لهؤلاء شبهةٌ يستندون إليها؛ إلا قولهم: إن الأرض قد اكتشفت كلُّها، فلم يوجد ليأجوج ومأجوج ولا للسد مكانٌ فيها.

والجواب عن ذلك: إنّ كون المكتشفين لم يعثروا على يأجوج ومأجوج وسدهم، لا يدلُّ ذلك على عدم وجودهم، بل يدلُّ على عجز البشر عن الإحاطة بملكوت الله ـ عز وجل ـ، وقد يكون الله ـ عز وجل ـ صرف أبصارَهم عن رؤيتهم، أو جعل أشياء تمنع مِن الوصول إليهم، والله قادرٌ على كلِ شيء، وكلُّ شيءٍ له أجل؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦ ـ ٦٧]، وما الذي أعمى أبصار الأوائل وأعجز قدراتهم عن كنوز الأرض التي اكتشفها المعاصرون كالبترول وغيره، إلاّ أن الله ـ عز وجل ـ جعل لذلك أجلاً ووقتاً؟! فالله المستعان»[2] ا.هـ.

---

(١) «إعلام الأنام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام» (ص١٢٢ ـ ١٢٩).

(٢) «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» (ص٢٣٨).

فصل في خصائص الأمة الإسلامية

لما كان البابان الأخيران متماسكين آخذ بعضهما ببعض؛ فبينهما معنى رائق يبين أن الله ـ تعالى ـ حبا هذه الأمة المحمدية المرحومة بمكارم جميلة، وكرّمها بفضائل جزيلة، وخصّها بخصائص جليلة؛ تمنعها من التحيّز، وتنفعها في التميّز.

هذا المعنى؛ هو: أن أمة محمد ﷺ أكثر أهل الجنة في الجنة.

ولما كانت هذه الخصيصة العظيمة، وهذه المنقبة الكريمة نتاج خصائص الأمة الإسلامية مجتمعة، وثمرة جهدها وجهادها في الدنيا؛ أحببت أن أختم هذا الشرح المبارك بهذا الفصل العظيم الذي يوصل إلى هذا المقام الكريم، لعلنا نوقظ به الهمم؛ لترقى معالي القمم؛ ليعود المسلمون ـ بإذن الله ـ من جديد كما كانوا خير الأمم.

١ ـ خير الأمم وأفضلها وأكرمها على الله:

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم بإسناد حسن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تتمون سبعين أمة؛ أنتم خيرها، وأكرمها على الله**».

٢ ـ الأمة المصطفاة المجتباة:

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

٣ ـ الأمة الوسط العدل:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤ ـ شهداء الله في الدنيا وفي الآخرة:

ففي آية البقرة: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وفي آية الحج: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

في «الصحيحين» عن أنس ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: مُرَّ على النبي ﷺ بجنازة؛ فأثنوا عليها خيراً؛ فقال: «**وجبت**»، ثم مُرَّ بأخرى؛ فأثنوا عليها شرًّا، فقال: «**وجبت**» فقيل: يا رسول الله! قلت لهذا وجبت، ولهذا وجبت؟ قال: «**شهادة القوم، المؤمنون شهداء الله في الأرض**».

وفي الآخرة يشهدون لكل نبي أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح لأمته، وأقام حجة الله عليهم.

أخرج ابن ماجه والنسائي في «الكبرى» وأحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه؛ فيقال: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم. فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه. قال: فذلك قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]».

٥ ـ أمة الفضل الظاهر والجزاء الوافر: عملهم قليل، وأجرهم جزيل:

أخرج البخاري من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم؛ كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس؛ أوتي أهل التوراة التوراة حتى إذا انتصف النهار عجزوا؛ فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا؛ فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس؛ فأعطينا قيراطين قيراطين. فقال أهل الكتابين: أي ربنا! أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن كنا أكثر عملاً، قال الله: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء**».

وذلك أن هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفاً استحقت أجرها وأجر الأمم من قبلها حيث قامت بما عجزوا عنه، وأكملت ما نقصوا، وأدت ما نقضوا:

يوضحه ما أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**مثل المسلمين واليهود والنصارى؛ كمثل رجل استأجر قوماً يعملون عملاً إلى الليل؛ فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوماً؛ فعملوا يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين**».

٦ ـ الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة:

أخرج مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له ـ قال: يوم الجمعة ـ فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى**».

وفيه من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا؛ فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**».

٧ ـ أمة محفوظة من الهلاك والاستئصال:

فلا تهلك بالقحط والجوع ولا بالغرق، ولا يسلط عليها عدو من غيرها؛ فيستبيح بيضتها ويستأصلها. ففي صحيح مسلم من حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها نسبة عامة، وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم؛ فيستبيح ببيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا**

أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً».

٨ ـ الأمة المنصورة:

أخرج أحمد وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ؛ قال: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب**».

وهذا النصر والتمكين موصول؛ لأن في الأمة المحمدية طائفة منصورة إلى قيام الساعة؛ ففي «الصحيحين» عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**».

٩ ـ الأمة المجاهدة:

فقد أحلّ الله ـ عز وجل ـ لهذه الأمة الغنائم والتي لم تحل لأحد قبلها:

قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنفال: ٦٩].

وفي «الصحيحين» من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة؛ فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**».

وفيهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**غزا نبي من الأنبياء...**» وذكر حديثاً طويلاً وفيه: «**فجاؤوا برأس بقرة من الذهب؛ فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها؛ ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا؛ فأحلها لنا**».

١٠ ـ الأمة المرحومة:

لما كانت الأمة الإسلامية بهذه المثابة عند ربها ـ ﷻ ـ، فقد رحمها ـ سبحانه وتعالى ـ برحمات متعددة لم تنلها أمة من الأمم؛ ففي حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ الذي أخرجه أبو داود وأحمد بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**أمتي أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل**».

فهذا النص النبوي يدل على اختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله بهم ورحمته عليهم، وأنهم مهما أصابهم في الدنيا من شدة وبلاء ولأواء؛ فإنها كفارة لذنوبهم، ورفع لدرجاتهم، ورحمة لهم في الآخرة.

ومن رحمة الله بهذه الأمة الدالة على أن أمة الإسلام أمة مرحومة أن الله جعل نبيّها ﷺ رحمة للعالمين وقبضه قبل أمته؛ ففي حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عند الإمام مسلم عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ـ ﷻ ـ إذا أراد رحمة أمة من عباده؛ قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي؛ فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين عذبوه وعصوا أمره**».

١١ ـ الأمة المعصومة التي لا تجتمع على ضلالة:

فقد عصم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمة الإسلامية بمجموعها؛ فلا تجتمع على ضلالة أو كفر أو بدعة أو معصية أو خطأ أبداً، وإن حصل شيء من ذلك من بعضها، فلن يتواطأ عليه مجموعها أو يسكت عنه.

أخرجه الترمذي حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الصحيح، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة**».

١٢ ـ أمة اليسر والحنيفية السمحة:

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال ـ جلَّ ثناؤه ـ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

وأخرج أحمد والطبراني بإسناد حسن لغيره عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**».

وأخرج أحمد بإسناد حسن لغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**لتعلم يهود أن في ديننا فسحة؛ إني أرسلت بحنيفية سمحة**».

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن؛ فقال: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**».

وفيها عن أنس ـ رضي الله عنه ـ؛ قال رسول الله ﷺ: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وسكِّنوا ولا تنفِّروا**».

١٣ ـ ومن هذا التيسير: أن الله رفع عن هذه الأمة الآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلها:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وحسبك حتى تدرك هذه المنقبة العظيمة ورحمة الله بهذه الأمة المرحومة ورفع الحرج عنها أن تعلم:

أ ـ أن بني إسرائيل إذا أصاب أحدهم البول؛ فلا يطهر ثوبه حتى يقرضه بالمقراض، وهذه الأمة تغسله بالماء.

ب ـ كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح مكتوباً على بابه ذنبه وكفارته، وهذه الأمة ستر الله عليها، وفتح لها باب التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

ت ـ كان القصاص في بني إسرائيل ولم تكن فيهم الدية، فخفف الله عن هذه الأمة وشرع الدية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ث ـ كان اليهود إذا حاضت المرأة فيهم اجتنبوها؛ فلم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيت، وأحل لهذه الأمة الاستمتاع بالحائض فيما دون الفرج.

ج ـ وكانت الصلاة لدى أهل الكتاب من قبلنا لا تؤدى إلا في بيعهم وكنائسهم وصوامعهم، وجعلت الأرض لنا مسجداً وطهوراً؛ فأيما رجل أدركته الصلاة فلم يجد ماء ولا مسجداً، فطهوره ومسجده عنده، يتيمم ويصلي.

١٤ ـ أن الله تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان والإكراه وعما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به:

ففي «صحيح مسلم»: أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وجثوا على الركب، وقالوا: يا رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق، وقد أنزلت

عليك هذه الآية، ولا نطيقها، فقال النبي ﷺ: «**تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين قبلكم: سمعنا وعصينا؟! ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»، فلما قالوا وذلَّت بها ألسنتهم؛ أنزل الله التخفيف في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ **فنسختها**».

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدّثت بها أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به**».

١٥ ـ أمة الغرِّ المحجَّلين:

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**فإنهم يأتون غراً محجّلين من الوضوء، وأنا فَرَطهم على الحوض، ألا ليذادنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً**».

وفيه من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن حوضي لأبعد من أيلة من عدن، والذي نفسي بيده! إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه**»، قالوا: يا رسول الله! وتعرفنا؟ قال: «**نعم تردون عليّ غراً محجّلين من آثار الوضوء؛ ليست لأحد غيركم**».

وفيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «**إن حوضي أبعد من أيلة من عدن؛ لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه؛ كما يصد الرجل إبل**

الناس عن حوضه» قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذٍ؟ قال: «**نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم: تردون علي غراً محجَّلين من أثر الوضوء**».

والغرة: علامة السجود.

والتحجيل: علامة الوضوء:

أخرج الترمذي وأحمد بإسناد صحيح عن عبدالله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمتي يوم القيامة غرّ من السجود، محجَّلون من الوضوء**».

١٦ ـ أمة كالمطر في الخير والنفع:

أخرج الترمذي وأحمد بإسناد صحيح عن أنس ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل أمتي كمثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره**».

١٧ ـ أمة التجديد:

أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».

١٨ ـ أمة الخلافة الراشدة في أول الزمان وآخره:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

أخرج الإمام أحمد والعراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب» بإسناد حسن عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: كنا قعوداً في المسجد ـ وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني؛ فقال: يا بشير بن سعد! أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس

أبو ثعلبة الخشني، قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**».

١٩ ـ الأمة الأكمل في التشريع، والأحسن في التنزيل:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٢٠ ـ في هذه الأمة القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وهذه القرون خير قرون بني آدم:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

أخرج البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرناً؛ فقرناً؛ حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه**».

وهكذا تتألق هذه الأمة المحمدية المرحومة، وتترادف عليها نعم من الله ـ عز وجل ـ؛ لترسم للأمة أسس ثباتها، وخصائص تميزها، وملامح شخصيتها؛ لكي تنهض من جديد، وتمارس دورها الريادي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وتبلغ العالمين مشروعها الحضاري لتكون حجة الله على الثقلين: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

ولما كان آخر هذه الأمة (لا) و(لن) يصلح إلا بما كان عليه أولها؛

فينبغي أن تتمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه في العقيدة والعبادة، والمنهج والسلوك، والأخلاق والمعاملات، ويهجرون مسالك أهل البدع والأهواء، ومناهجهم المنحرفة التي فرقت الأمة، وجعلوها شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وإنما نالت هذه الأمة هذه الفضائل، وسبقت إلى هذه الخصائص ببركة نبيها محمد ﷺ، ومكانته عند ربه، ومنزلته بين النبيين، وببركة أتباعها لسنته وسنَّة الخلفاء الراشدين، وثباتها عليها.

أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» بإسناد حسن لغيره عن عبدالله بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو نزل موسى؛ فاتبعتموه وتركتموني؛ لضللتم؛ أنا حظكم من النبيين، وأنتم حظي من الأمم»**.

قال مقيِّده أبو أسامة سليم بن عيد بن محمد بن حسين الهلالي نسباً، السلفي الأثري عقيدة ومنهجاً وسلوكاً، النجدي موطناً، الفلسطيني الخليلي مولداً، الأردني داراً وإقامة: انتهيت من هذا الشرح النافع في مجالس بدايتها سنة ألف وأربعمائة وسبع. وآخرها أصيل يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك سنة ألف وأربعمائة وإحدى وثلاثين من هجرة رسول الله ﷺ، وذلك في مكتبتي العامرة بإذن الله في داري الكائنة في منطقة طارق في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة.

وسمَّيته: **«الرَّوْضُ الرَّيّانُ شَرْحُ كتابِ الإِيمانِ من صحيح مسلم»**.

وأسأل الله ـ عز وجل ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى: أن يتقبله بقبول حسن، ويجعله لوجهه الكريم خالصاً، ولدخول الفردوس الأعلى سبباً، ولعباده المخلصين المتقين إماماً.

سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

